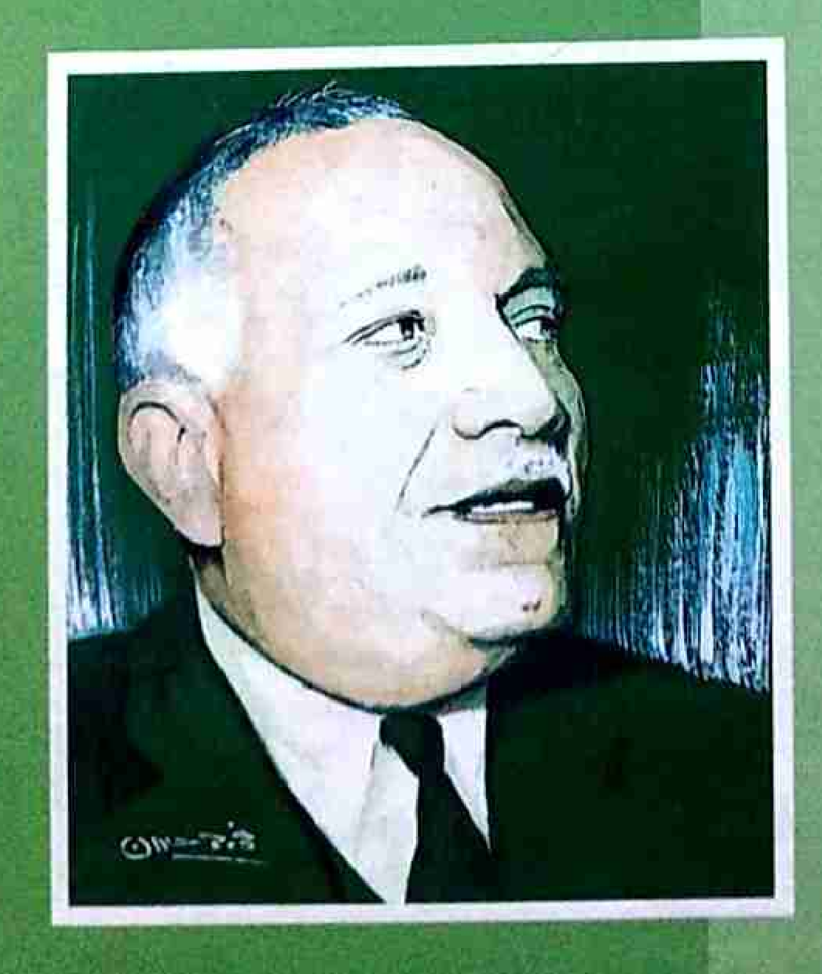
محمود غنيم

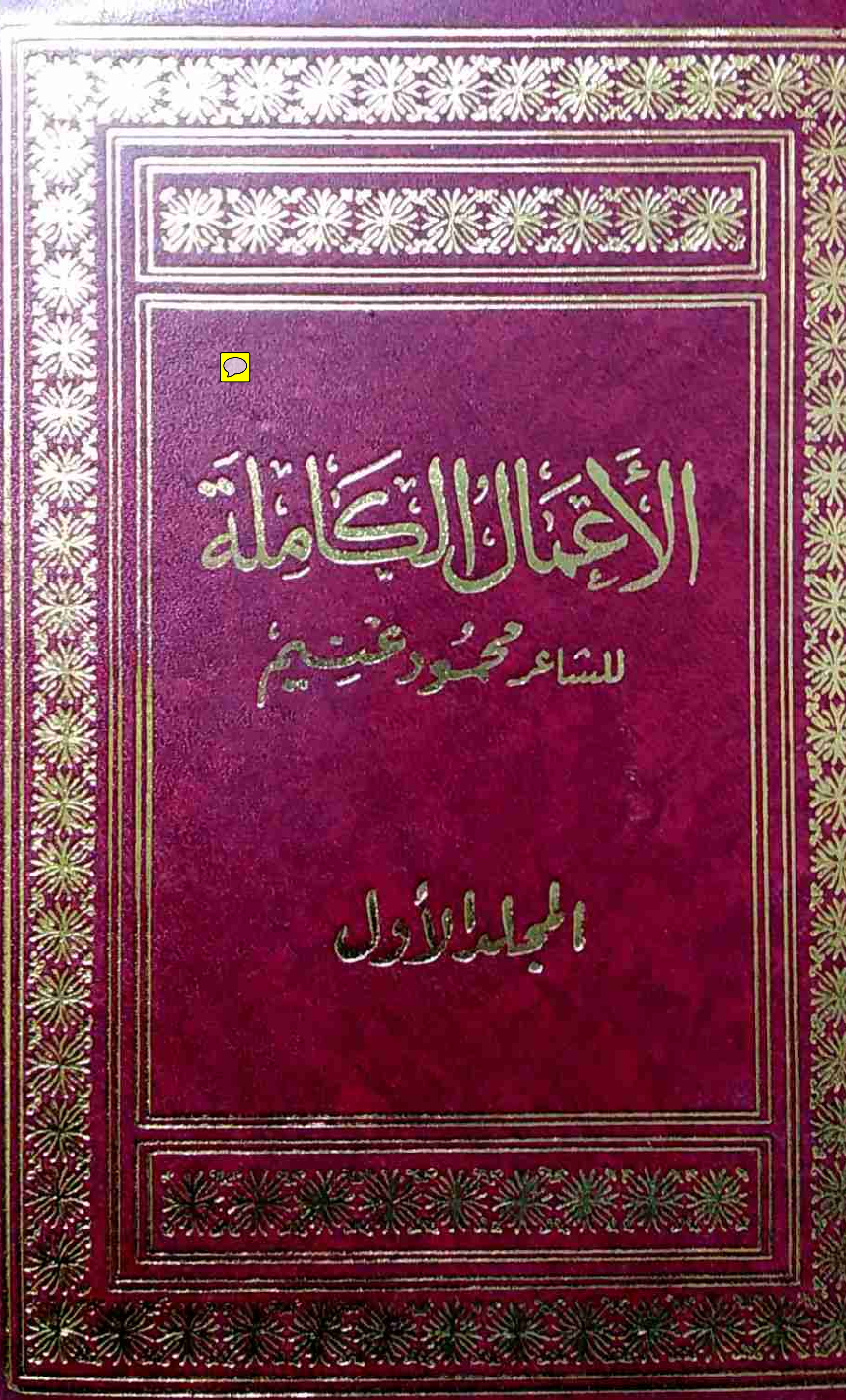


الأعمال الكاملة

المجلد الأول

- صرخة فى واد
- فى ظلال الثورة
- رجع الصدى




الأعمال الكاملة
للشاعر محمود غنيم
المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم



الشاعر الكبير محمود غنيم
شاعر الإسلام والعروبة

- هو أديب مصري وشاعر ومؤلف مسرحي .
- ولد بقرية مليج - محافظة المنوفية فى ٣٠/ ١١/ ١٩٠٢ .
- حفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة بكتاب القرية .
- التحق بمعهد طنطا الأزهري ثم تركه إلى مدرسة القضاء الشرعي ١٩٢٠م ولكنه لم يستكمل دراسته بها نظرا لإلغائها فلحق بالثانوية الأزهرية و حصل على شهادتها ١٩٢٤م ثم لحق بمدرسة دار العلوم وتخرج منها ١٩٢٩م .
- عين بعد تخرجة بالتدريس بمدينة كوم حمادة بمديرية البحيرة وكانت أمنيته أن ينتقل إلى القاهرة وهى مركز الثقافة والصحافة والأضواء .
- نقل إلى القاهرة ١٩٣٨م وساعدة فى ذلك أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام وبذلك تمكن من الاتصال بالصحافة والمجالس الأدبية وأشتهر أسمه وظل يتدرج فى وظائف التربية والتعليم .
- فى ١٩٤٣م عمل مفتشا للنشاط الأدبي بالوزارة .
- ١٩٤٥م عين مدير قسم المباريات الأدبيه وإدارة المجمع اللغوي بإدارة الثقافة العامة بالوزارة .
- ثم ١٩٤٦م مفتشا للغة العربية بالتعليم الأجنبي ثم مفتش عام .
- إلى أن وصل إلى عميد اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم حيث أنهى حياته الوظيفية فى عام ١٩٦٣م .
- تجلت مواهبه الشعرية وهو لا يزال فى مراحل الدراسة المبكرة وكانت أول قصائده المنشورة فى رثاء الزعيم الراحل محمد فريد وهو لم يبلغ بعد السادسة عشرة من عمره .
- حظيت بعد ذلك تجاربه الأولى بترحيب الصحف اليومية والمجلات الأدبية حيث نشر شعره فى الرسالة وأبوللو والثقافة وتصدرت قصيدته فى رثاء سعد زغلول كتاب دموع الشعراء على سعد زغلول ١٩٢٧م .
- حصل ديوانه الأول (صرخة فى واد) على الجائزة الأولى فى أول مسابقة شعرية ينظمها المجمع اللغوي على مستوى الأقطار العربية ١٩٤٧م .
- حصل ديوانه الثاني (فى ظلال الثورة) على جائزة الدولة ١٩٦٢م .
- تم إصدار ديوانه الثالث بعد وفاته ١٩٨٦م (رجع الصدى) بمعرفة الأسرة .

- بادر أبنائه بإصدار أعماله الشعرية الكاملة فى طبعة أنيقة ١٩٩٣م إحياء لذكراه تذكيراً بدوره فى مجال الشعر العربي المعاصر .
- يعد محمود غنيم من رواد المسرح الشعري بعد شوقي حيث يضم نتاجه الشعري خمس مسرحيات شعرية هي :ـ

  (المروءة المقنعة ١٩٤٤ ـ الجاه المستعار ١٩٤٥ ـ غرام يزيد ١٩٥٠ ـ يومان للنعمان ١٩٥٨ ـ النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع ١٩٦٠) .
- وقد نظم محمود غنيم فى مجالات الشعر (الإسلامي ، القومي ، السياسي ، الاجتماعي ، الفكاهي) وأصبح من كبار شعراء العالم العربي وكانت قصائده تهز المحافل الأدبية .
- اختير الشاعر عضو بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وكان له دور بارز فى الدفاع عن الشعر العربي فى المعارك الأدبية التي شهدتها الساحة الثقافية مع نهاية الخمسينات عند ظهور ما يسمى بالشعر الحر .
- اقترب غنيم من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر منذ ثلاثينات هذا القرن مثل "مدرسة البعث " " الديوان " " جماعة أبوللو " وجماعة " أدباء العروبة " و" رابطة الأدب الحديث " وغيرها .
- إلا إنه اتخذ موقفاً مستقلا من هذه الاتجاهات يعتمد على رؤيته الخاصة وأهمية التجديد وتطويع الشعر التقليدي لمقتضيات العصر والأفكار الحديثة فى إطار من المحافظة على الشكل الذي عرف به حتى أن البعض يراه متفرداً فى أدبنا الحديث تعز على أى مدرسة أدبية .
- يتميز غنيم بغزارة شعره الإسلامي وتشكيله بعداً عميقاً فى شعره إضافة إلى أنه يعكس الروح الإسلامية الغالبة على موضوعاته بصفة عامة مع تنوع موضوعات شعره الإسلامي كما أن وضوح الفكرة الإسلامية فى شعره كل الوضوح حتى أنها لاتشكل لديه اتجاهاً فحسب بل منهجا إسلاميا متكامل الأبعاد والملامح .

إعداد دكتور / عزيز محمود غنيم

مؤلـفاتـه

أولا / الدواوين الشعرية :

- "صرخة فى واد " ١٩٤٧ م طبعته لجنة البيان العربي
  نال عنه الجائزة الأولى من المجمع اللغوي ١٩٤٨م
- "فى ظلال الثورة "١٩٦٢م طبعته دار المعارف بالقاهرة
  نال عنه جائزة الدولة ١٩٦٣م
- " رجع الصدى " طبع بعد وفاته ١٩٨٦ م طبعته دار الشعب
- " الأعمال الكاملة " المجلد الأول ويضم جميع هذه الدواوين
  طبعته دار الغد بمعرفة أبناءه بإشراف رابطة الأدب الحديث

ثانيا / المسرحيات الشعرية :

- " المروءة المقنعة " ١٩٤٤م دار الكتاب العربي
- " الجاه المستعار " ١٩٤٥م مجلة دار العلوم العدد (،)
- " يومان للنعمان " ١٩٥٨م
- " غرام يزيد " ١٩٤٩م لجنة البيان العربي
  نال عنها جائزة وزارة الشئون الاجتماعية الأولى ١٩٥٠م
- " النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع " دار القلم
  نال عنها جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب

ثالثاً / الدراسات الأدبية والنقدية :

- كتاب حفني ناصف سلسلة من أعلام العرب ١٩٦٠م
- كتاب خمس من شعراء الوطنية الهيئة العامة للكتاب الجزء الأول .
  (كتب عن الشاعر أحمد الكاشف)

وذلك إلى جانب مئات المقالات والدراسات النقدية نشرتها الصحف والمجلات الأدبية مثل : (الرسالة ـ مجلة المجمع اللغوي ـ مجلة الهلال ـ الوعى الإسلامي ـ قافلة الزيت ـ رابطة العالم الإسلامي) وذلك على امتداد نصف قرن .

رابعاً / تحقيق التراث :

أسهم فى تحقيق الجزء الحادي والعشرين والثاني والعشرين من كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني .

المصادر :

- **تقويم دار العلوم**

العدد الماسي ١٨٧٤ ـ ١٩٤٧ م ا/ محمد عبد الجواد ـ دار المعارف

- **من تاريخنا المعاصر**

اد/ محمد عبد المنعم خفاجى

- **مشاهير الشعراء والأدباء**

على مهنى ـ على نعيم دار الكتب ببيروت ـ لبنان

- **دموع على الشاعر محمود غنيم**

د/ محمد أحمد سلامة

- **خمس من شعراء الوطنية**

اد/ محمد عبد المنعم خفاجى الهيئة العامة للكتاب الجزء الأول

- **شعراء مصر ١٩٩٠م**

ا/ عبد الله شرف طبع بمساعدة مؤسسة البابطين

- **موسوعة إعلام الفكر العربي**

سعيد جودة السحار مكتبة مصر بالفجالة

- **الاتجاه الإسلامي فى شعر محمود غنيم**

اد/ عبد اللطيف الحديدي دار المعرفة للطباعة طبعة أولى ١٩٩٨م المنصورة طلخا

دراسات عن الشاعر:

"**محمود غنيم وشعره** " رسالة دكتوراه محمد احمد سلامة

كلية اللغة العربية بالقاهرة

" **المسرح الشعري عند محمود غنيم** "رسالة ماجستير علاء عبد الفتاح

كلية اللغة العربية بالزقازيق .

" **التجديد فى شعر المحافظين فى مصر** " رسالة ماجستير ياسر أحمد عكاشة

كلية اللغة العربية بالزقازيق .

" **الصور البيانية فى شعر محمود غنيم** " رسالة دكتوراه كوثر سيد يوسف

كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة .

" **الواقع الاجتماعي فى شعر محمود غنيم** " رسالة ماجستير على السيد محمد زايد

كلية اللغة إيتاى البارود .

" **الاتجاه الوطني بين محمود غنيم وهاشم الرفاعى**" رسالة ماجستير رفعت محمد عثمان

الأعمال الكاملة

محمود غنيم

المجلد الأول

الدواوين الثلاثة

« صرخة في واد »

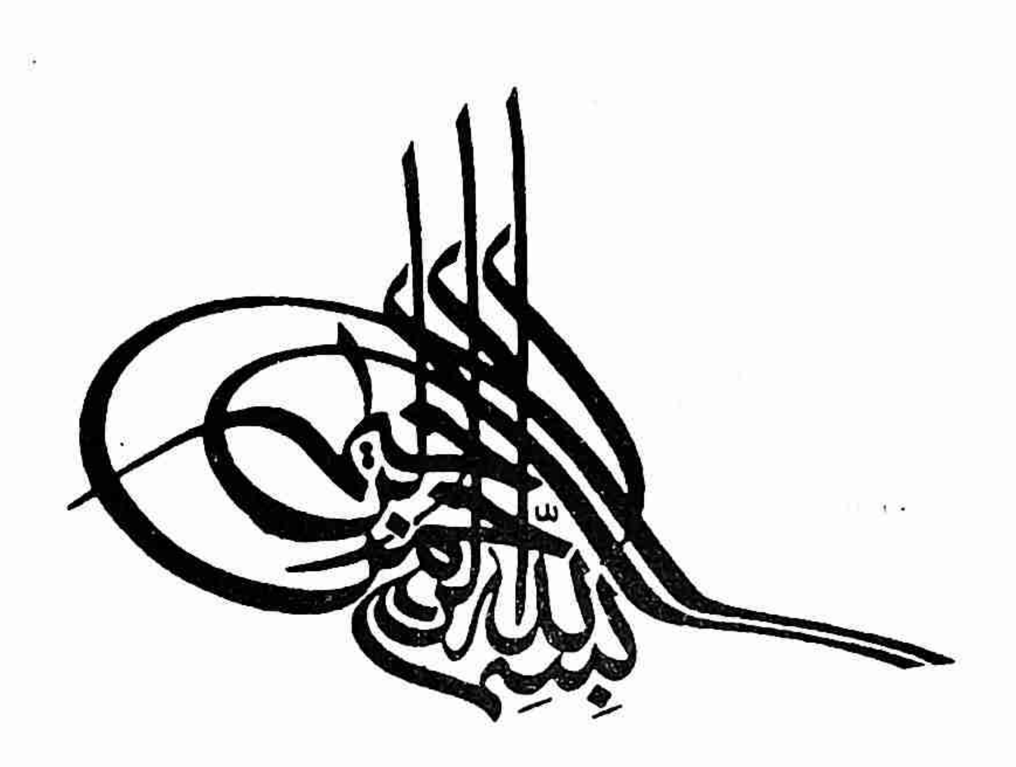
« في ظلال الثورة »

« رجع الصدى »

الناشر

دار الغد العربي

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



إذا لم تقم للشّعر في الشّعب دولة

تيقنتَ أن الشعب ماتت مشاعرُه !

محمود غنيم

الشاعر في سطور

* ولد الشاعر : «محمود غنيم» عام ١٩٠٢م ، بمحافظة المنوفية ، وتلقى علومه الأولى فى المعاهد الدينية بشبين الكوم وطنطا ، ثم انتقل إلى القاهرة ؛ للدراسة فى مدرسة القضاء الشرعى ، وكلية دار العلوم ، حتى حصل على درجة الدبلوم عام ١٩٢٩ م .

* تدرج الشاعر الكبير فى وظائف التدريس ، إلى أن ترقى إلى سلك التفتيش ، ونقل إلى القاهرة ، عام ١٩٤٣ م .

* وفى عام ١٩٤٥ م ، عين مديراً لقسم المباريات الأدبية والمجمع اللغوى ، بإدارة الثقافة العامة ، التى كانت تابعة ـ وقتها ـ لوزارة المعارف العمومية (التربية والتعليم) .

***

* تجلت موهبته الشعرية ، وهو لا يزال فى مراحل الدراسة ، وحظيت تجاربه الأولى بترحيب الصحف اليومية ، والمجلات الأدبية فى العقد الثانى من القرن العشرين ، وتصدرت قصيدته فى رثاء «سعد زغلول» كتاب : **«دموع الشعراء على سعد»** ، الذى ظهر عام ١٩٢٧ م .

* حصل ديوانه : **«صرخة فى واد»** على الجائزة الأولى ، فى أول مسابقة شعرية ينظمها المجمع اللغوى على مستوى الأقطار العربية ، عام ١٩٤٧ م .

* وحصل ديوانه الثانى : « **فى ظلال الثورة** » على جائزة الدولة عام ١٩٦٢ م .

* يعد محمود غنيم من رواد المسرح الشعرى ، بعد شوقى ؛ حيث يضم نتاجه الشعرى خمس مسرحيات شعرية ؛ وهى :

« **المروءة المقنعة** » عام ١٩٤٤ م ، و « **الجاه المستعار** » عام ١٩٤٥ م ، و « **غرام يزيد** » عام ١٩٥٠ ، و « **يومان للنعمان** » عام ١٩٥٨ م ، و «**النصر لمصر**» عام ١٩٦٠ م .

وقد حصلت هذه المسرحيات جميعها على جوائز تقديرية عند ظهورها .

***

* اختير الشاعر عضوًا بلجنة الشعر ، منذ إنشائها حتى وفاته ؛ وكان له دور بارز فى الدفاع عن الشعر العربى ، فى المعارك الأدبية التى شهدتها الساحة الثقافية مع نهاية الخمسينات ، عند ظهور ما يُسمَّى : « **الشعر الحر** » .

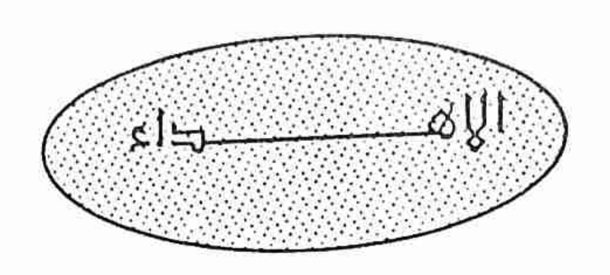
* اقترب « **غنيم** » من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر ، منذ ثلاثينات هذا القرن ؛ مثل : « **مدرسة البعث** » ، و « **الديوان** » ، وجماعة « **أبولّو** » ، وجماعة « **أدباء العروبة** » ، « **ورابطة الأدب الحديث** » ، وغيرها .

وقد اتخذ موقفًا مستقلاً من هذه الاتجاهات ؛ يعتمد على رؤيته الخاصة فى أهمية التجديد ، وتطويع الشعر التقليدى لمقتضيات العصر ، والأفكار الجديدة ، فى إطار من المحافظة على الشكل الذى عرف به .

الديوان الأول

صرخة فى واد

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٧
ضمن مطبوعات لجنة البيان العربى.



عهدتُك - يا والدى - محبًا للشعر ، تَلَذ سماعَه، وتجيد روايتَهُ، وتُحسن الاستشهادَ به .

وما زلتُ أَذكرُ - وإن بعد العهـد - أننى كنتُ حين أقرأ لك فى قصة عنترة، أتجاوز الشعرَ كلما بلغته؛ برَماً به وشغفاً بتتبُّعِ مجرى الحوادث، فتردُّنى إليه فى شبه انتهار قائلا: «اقرأ الشعر تتعلم الفصاحة».

ومازلتُ أَذكرُ - وإن بَعُدَ العهدُ - تلك الدريهماتِ التى كنتَ تَرصُدُها لى مُقابلَ استظهار مـا تشير علىَّ باستظهاره مما يُضاف من شعـر الحماسة إلى «عنترةَ»، ومن شعر الحكمة إلى «علىِّ بن أَبى طالب».

ومازلتُ أَذْكرُ - وإن بَعُدَ العهـد - تلك الدريهمات التى كنتَ تنفحنى بها كلّمـا أَهَلَّ عيد، فحييتُك بتصيـد، قلَّمـا سَلِمَ من اضطـرابٍ فى بُنيانـه، أو تخلخُلٍ فى أَوزانه.

عَلَى أَنَّ أَجلكَ لم يمتدَّ بك حتى تسمعَ منى شعرا سليمَ البُنيان، مستقيمَ الأوزان.

فإلـى روحك الطاهـرة أُهدى هذا الـديوانَ؛ لعلَّ فيـه ما يحقِّقُ أمنيَّـةً من أمنيَّاتك، لم تُتَحْ لك فى حياتك، ولعلَّ فى إهدائه إلى روحك الطاهرة قليلا من البرِّ لم أَستطع أَن أقدِّمَهُ إلى شخصك الكريم.

محمـود غـنيم

تقديم

بقـــلم : حضرة صاحب المعالى

إبراهـيم دسوقى أباظة باشا

يخيّلُ إلىّ أَنه ليس بين دفّتى هذا الديـوانِ الفخمِ للشاعر الكبير الأستاذ : «محمود غنيم» قصيدةٌ أو مقطـوعة لم أُمتع بها سمعى أو عينى من قبلُ ؛ فالأستـاذ «غنيم» شاعر مرموق المكـانة ، يقف فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، وليس فى بلاد العرب من لا يعتـرف له بـذلك ، لهـذا لم أعـانِ عنتا أَو إِرهـاقًـا وأَنا أعبـرُ ديوانه : (صرخة فى واد) ؛ لأقدمه إلى قرائه العديدين المعجَبين فى مصر وسائر أقطار العروبة والضاد .

لمَع نجمُ الأستاذ «غنيم» فى أفق الشعر الحديث ، أَثناء احتدام المعركة بين مدرستَي العقاد وشكرى من جهة ، وشوقى وحافظ من جهة أخرى ؛ أَي : بين مذهَبَى الفكرة والأسلوب ، وقد انجلت هذه المعـركـة عن صَـرعى كثيـرين من الفـريقين على السـواء ، ثم دار الفلك دورته ، وظفر الأستاذ «غنيم» بديوانه هذا بالجائزة الأولى فى مباراة الشعـر ، التى نظمها أَخيرا مجمـع فؤاد الأول للغة العـربية ، وكان مقـرر لجنة الاختيار هـذه الأستاذ العقاد نفسـه ، بغض النظر عن لـون هـذا السبق الـذى انعقد لـواؤه لـلأستـاذ «غنيم» فى رأى

الأستاذ العقـاد؛ إذ جعل طابع الأسلوب والصيـاغة أَبـرز من طابع التجديد والابتكار فى هذا الديوان.

وهنـا: أُريد أَلا أسلم بمـا ذهب إليه الأستـاذ العقاد فى حكمـه على صاحب هذا الديوان؛ فالفكرة والأسلوب فى الجدَّة والطرافة، والمعنى واللفظ فى الإِشراق والدلالة، يتـآخيان فيما بين أَيدينا من هذا الشعر، الذى ينساب فى سهولـة ويُسْر انسيابَ صفحة الغدير المصقول. والأستاذ «غنيم» نسيجُ وحـدِهِ فى وضوح اللفظ المعبِّر عن المعنى الجميل، وسلاسة العبـارة مع إشراق الصورة، واتساق الكلمة مع المعنى اتساقا لا يسمح باحلال غيرها محلَّها.

كل أولئك وسـائلُ تسمو بـالأسلوب والـديبـاجة وتلـوِّنهما بمـا يستكن فيهمـا من معنى، وتلك قـدرة فى المواهـب لا يوفَّقُ إليهـا الكثيرون، وقد رُزِقَها صاحبُ هذا الديوان ووُفِّقَ إليها كلَّ التوفيق.

وبين صفحات هـذا الديوان مـا يصوِّر هذه الميـزاتِ الفنيَّةَ أَدقَّ تصوير، ويرسُم هذه السِّماتِ البيانيةَ آنقَ رسم.

لم يفـرط الشـاعـرُ فى صغيرة ولا كبيـرة من شئـون الحيـاة، أَو الاجتمـاع، أَو السيـاسةِ، أَو الفـنِّ إلا استوعبهـا خيـالُـه الخصبُ وقريحتُه المدركةُ، وأَحالاها إلى شعر عالٍ ونسج فريد، سَرعان ما تتلقَّفُـهُ الصحفُ والمجـلاتُ؛ فإذا بـــه أُنشـودةٌ على كل لسـان، وحـديث فى كل مكـان، وهـذه الشهـرةُ الـواسعـةُ التى يتمتعِ بهـا الأستـاذ «غنيم» فى مصر وجـاراتهـا العربيـة ليست وليدة دواوينـهِ

الكثيرةِ، أو مناسباتِـهِ الخاصَّةِ التى يدبرها للدعـاية لفنه؛ فإن هذا أَول ديوانـه يظهر له، ثم هو مـن الذين لا يستطيعون تدبيـر وسائل الدعاية لأنفسهم؛ لأنه أكبر من أَن يستسيغ فهم الشعوذة والتهريج باسم الفن.

إنـه لا يزيـد عن أَن يـدفع بشعـره إلى صحيفـة سيارة أو مجلـة ممتازة، ثم يدع الحكم للقارىء فى ثقة به وبنفسه هو، وهكذا قدر الناسُ شعرَ «غنيم» وأَحلُّوه من أنفسهم مكانا عليا.

أذكر أننى قرأتُ فى مجلة الرسالـة ـ منذ زمن بعيد ـ كلمة عن: (خليفة حافظ إبـراهيم) فيها دراسة وافية، وتحليل دقيق لشـاعرية «غنيم» وقـد وازن صـاحب الكلمـة بين «غنيم» وحـافظ مـوازنـة، كادت معايير التقدير فيها لفن «غنيم» تفوت حظ شاعر النيل، وما أظن أَن حافظـا ـ على مالـه من فضل السبق فى مضمار الـوطنية، والقـومية، والاجتمـاع ـ قـد لمس كل جـوانب الحياة التى لمسهـا «غنيم» لمسـاً عنيفاً قـوياً يتسرب فـى تلافيفهـا، ويسبر أَغـوارها، ويصور خلجاتِها، ويرقب كل ما حوله من حركة ونشاط وحياة.

وسـأَعـرض ـــ على سبيل المثـال ـــ نمـاذجَ من شعـر هـذا الديوان؛ تؤيد ما قررتُهُ من: أن ريشة شاعرنا العبقرى تلعب باللفظ والمعنى فى قدرة فـائقة واستعداد عظيم، ينبعَان من رصيـد الطاقة الفنية التى تنطوى عليها نفس الشاعر وقلبه الكبير.

ينقسم هذا الديوان إلى تسعة أبواب: الباب الأول (فى الحرب،

والثـانى (فى الاجتمـاع)، والثـالث (فى الـوصف)، والـرابع (فى المرأة)، الخ . . .

ومن هذا التقسيم: تبـرز للقارىء فكـرة استيعاب الشـاعر لكل معانى الحيـاة والأحياء فى إحـاطة نادرة، ويقظـة فاحصـة لكل ما يضطرب فى الكـون من صور الجمـال والطبيعة، وعـواطف الخير والشر .

فى البـاب الأول: يستقبل الشـاعر العـام الهجرى بقصيـدته: (الهلال الأحمر) . . وقد طال نفَسُـهُ فيها حتى جاوز مائة بيت من الشعـر المتـدفق الـرصين، الحَـافل بكل معنى شـريف وخـاطـر طريف:

أهــــلاً بمطلعك السَّعيـــــد ... يـــا غـــرَّة العــام الجـديـــد
عــد بــالسَّـلام على الــورى ... وانشـــره خفـــاقَ البنـــودَ
عَبسَ الــوجــودُ فكـــان نــو (م) رُكَ بسمـــةً بفم الـــوجـــود
قـــد لُحتَ مثل البـــرق فى ... جـــو العــواصف والــرعــود
وطلعـتَ فى حـــذر تطـــ (م) لّ على البـريـــة من بعيــد
يـــا نجم ، ويحكَ ! لا تغـــر ... يـــا أرض ، ويحك ! لا تميـدى
السِّلم طـــال شــرودُه ... لهفى على السلم الشَّـريــد

ثم ينتقل ـ بعد هذه المناجاة ـ إلى الكلام عن الهلال والشاعر، والقطيعـة التى حـدثت بينهمـا من تسخيـر الهلال لأسبـاب الشـر والأذى والدمار:

أنـــا من محـــاقك صغتُ لا ... من نـــورك الـــزاهى نشيـدى
مــا عـــاد نـــورك فتنـــةً ... يغـــرى بإنشـــاد القصيـــد
ويثيـــر أشجـــان الهـــوى ... والشـــوق فى القلب العميـد

ثم يتحدث عن (جبار روما)، وكيف غرَّه طمعه حينما ولى وجهه شطر القاهرة :

جبارَ «روما» ، خاب قبـــــ (م) ـــــلك كلُّ جبَّـــار عنيـــد
يـــا من تحـــدَّى الكـــون حتى (م) خلتُـــه بـــالكـــون يـــودى
أفهـــذه عُقبى النـــذيــــ (م) ـــر وتلك آخـرة الـــوعيـد ؟

ويظل مع الطاغية الصريع، حتى ينتهى إلى سخرية مرة، وتهكم أليم :

يـا شـاهـراً لحمـايـة الْـــ (م) إســلام سيفَ ابن الـــوليـد
جـــدَّدْت فى «لـــوبيـا» سنـــا بغـــدادَ فى عصـــر الـــرشيـد
وظهـــرت فى هـــدى الحُسَيْـــ (م) ـــنِ وأنت أشقـى من يـــزيـد
هـــلا تـــركـت حمـــايـة الْـــ (م) إســـلام لله الحميـــد؟

ويقول فى الباب الثانى والثالث فى قصيدتيه : (تجار العقائد)، و(الكلب هـول). . يقول فى الأولى؛ ناعيًا على الفتنة العمياء، التى كاد يستشرى خطرها باسم العصبية الدينية :

خطـــرٌ تغلغـل فـى الحَمـي بـــاسم المسيح ومـــريَمـــا
إنى أُعيـــذ عُـــرى المـــو (م) ة بيننـــا أنْ تَفصَمـــا
مـن عقَّ مصـــر يعق أحـــ (م) ـــمَدَ والمسيحَ كليهمـــا
الـــدين مثـل العـــرض لا نـــرضى لـــه أن يُثْلمـــا
حَـــرَمـــان لا سلمتْ حيـــا (م) ةُ المـــرء إن لم يسلمـــا

ثم يقول :

عصـــر التعصب قـــد تقـــ (م) لَّـــص ظلـــه وتصـــرمـــا
لا تبعثـــوا من لحـــده هـــذا الـــزمـــان المظلمـــا
الآن قـــد بـــرئت عيـــو (م) ن النـــاس من هـــذا العمى!

والقصيدة كلها تتداولها هذه المعانى الكريمة من : الذود عن حمى العقيدة والإسلام، وتنحية العدوان عن نطاق الدين والشرائع ؛ ليحيا الناس فى أمنٍ وسلام .

ثم يقول ـ فى قصيدته الثانية ـ عن (الكلب هول) :

كلب ينُمّ على الجنـاه ... تمشى العدالة فى خطاه
إن قال أرهفت النيا ... بة سمعها وصغا القضاه
لم يعى أهلَ البحث سر (م) غامض إلا جلاه
يستخرج السر الدفيـ ... ـن كأنه بعضُ الحواه

إلى أَن يقول :

قالوا : أتطرى الكلب؟ قلـ (م) ـت لهم: ومن أطرى سواه ؟
يرعى الوداد، وما رأيـ (م) ـت من الأنام فتى رعاه
سألوا الكلاب الحق إذْ (م) وجدوه بين الناس تاه!

وقد علمت أن هذه القصيدة العصماء أحدثت ضجة أدبية هائلة فى البرازيل، وترجمت، وكانت حديث أدباء المهجر فى مجامع الأدب والشعر هناك، وعقدت بينها الموازنة وبين قصيدة الشاعر الانجليزى «شلى» المشهورة فى وصف القُبَّرة .

ثم له فى الباب الرابع والخامس قصيدتان بعنوان : (راقصة) و(رثاء طيارين) . يقول فى الأولى :

مقبلة مدبرةٌ ... مائلة معتدله
كأن تحت أخمصيـ (م) ـهَا جمرةً مشتعله
باسمة يحسبها ... كلٌّ فتى تبسم له

تـــدور حـــول نفسهـــا كمـــا تـــدور العجلـــه
يـــا حسنهـــا إذ عـــركت أنملـــة بأنملـــه!
مـن تـــرمـــه بلحظهـــا أدنـت إليـــه أجلـــه
كـم ارتقتْ مســـرحهـــا فصيـــرتـــه مقْصَلـــه

هذه البـراعة فى الـوصف، والدقـة البالغة فى تصـوير الحـركة السريعة، إحـدى ميزات فن «غنيم» الشاعر المصـور، الذى يقول فى «رثاء طيارين»:

يـا مصـر، قـد عـزَّ العزاءْ نفنى، وأنـت لـك الْبقـــاء
نَسْـــران ليســا كـــالنســو (م) ر رَمـــاهمـــا سهم القضـــاء
بطـــلان سبـــاقـــان نـــا (م) دت مصرُ فـاستمعـا النـداء
راحـــا فـداءَ المجـد حيـــ (م) ـــنَ تطلَّب المجـدُ الفـداء
وأعـــزُّ مـــا حـــوت العـَرو (م) قُ: دمُ الشبـــاب الأبـريـــاء
إن كـــان طيـــاران قـــد سقطـــا، فمـا سقط اللـــواء
إنّـــا خطبنـــا المجـد فلـــ (م) تَجْـر الأمـور كمـا تشـاء
المجـــد لا يبنيـــه بـــا (م) نيـــه بطين أو بمـــاء
يبنى بأشـــلاء الضحـــا (م) يـــا ثم يُطلى بـالـــدمـــاء

وخشيـةَ أن أَشق على القارىء بعـرض بقية النمـاذج التى كنت حريصاً على التعليق عليها؛ لأكشف عما تشتمل عليه من أسرار الجمـال الفنى وصـور الخلق والإبـداع، سأحيـلُ القـارىء على عناوين مختلفة من الأبواب الباقيـة فى الديوان وكلُّ ما فيه معجب مطرب يستحق العناية والتقدير.

لـه فى الباب السـادس: (مبايعة الفـاروق)، و(تحية العراق)،

و(تحية السودان). وله فى الباب السابع: (كأس تفيض)، و(بين الشعر والمال) وله فى البابين الثامن والتاسع: (بيوت الشعراء)، و(العيد والأزمة)، و(إلى القمر)، و(الراعى والقطيع)، و(بطش الضعيف).

هذه أَسماء - كما قلت - لقصائد أُنبه إليها القارىء؛ ليرى كيف يتسع أفق الشاعر الناضج المواهب والملكات، وليطمئن إلى مواجهة القائلين بأَن الشعر الحديث فقير من حيث المعنى والصورة؛ جاعلا هذا الديوان حجته الدامغة وبرهانه البليغ.. غير عابىء بهذه التسمية التى اختارها الشاعر الكبير لديوانه: (صرخة فى واد).

إنها ليست كذلك؛ فهي صرخة الأَدب الرفيع سيرن؛ صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة والشرق، وسيملأ ترديدها أَسماع عشاقه وسيكون لهذا الديوان فى نهضة الشعر الحديث أَثره النافع إن شاء الله.

إبراهيم دُسُوقى أباظة

خليفة حافظ

نشر هـذا البحث سنة ١٩٤٠م، فـى العدد الممتاز مـن مجلة «العصبـة» التى يصدرهـا أدباء المهجر فى البرازيل، وقد نقلته عنها مجلة الرسالة الغراء فى العدد: ٣٤٧.

وقد آثرنا نشره ـ على بعد العهد به ـ لورود ذكره فى المقدمة التى قدم بها معالى: إبراهيم دسوقى أباظـة باشا هـذا الديوان، فضـلا عن أن هذا البحث كان أول صـوت جرىء برىء انبعث فى تقـدير شاعـرنا الكبير. ولعل ممـا يزيد فى قيمتـه: أنه صدر مـن واد سحيق، على لسان كاتب لا تـربطه بالشاعر مجرد المعرفة، فضلا عن شتى الوشائج والصلات، كما تدل على ذلك مادة المقال.

النـــاشر[1]

لمـا كنتُ من عشاق الشعـر السائغ، السهل المبنى، الـواضح المعنى، المـؤدى صورةً صـادقـة من عـاطفة نـاظمـه وهدفِـه فى الوجـود، ومن كارهى الإغراقِ والتعقيدِ، ومـواراةِ المعنى المقصودِ وراء أكثف الحجب التـى لا تختـرقهــا البصيـرةُ، ولا تُعين على استجلائها كتبُ اللغة ومعاجُمهـا، بحيث يصبح الشعرُ كنايةً عن رموزٍ وطلاسمَ لا يحلُّها إلا الله والراسخون فى العلم، فلا بدعَ أَننى

---

(١) المقصود بالناشر: لجنة البيان العـربى، التى أشرفت على نشر هذا الديوان حين صدر ـ أولاً ـ عن مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٧م، وليس المقصود دار الغد العربى التى تصدر عنها هذه الطبعة؛ لذا حسن التنويه!.

كلما وقعت فى يـدِى جريـدة أو مجلة، رحتُ أقلِّبُ صفحـاتِها، علِّى أعثر على سطـور مشطَّرة، فأقرأ مطلعَها راجيـاً أن يستدرجنى إلى قراءة ما يليه، وإلا اكتفيت به وقلَبْتُ الصفحة آسفاً نادماً على الـوقت الـذى أضعتُـه؛ لأن المطلع عنـدى بمثـابة الـوجـه الـذى تستهويك النظرةُ الأولى إليه فتُقبلُ على صاحبه، أو تنفِّرك فتعرض عنه.

وكـان خيرُ مـا يستهوينى ــ نظراً إلى استيفـائه الشروطَ المقـدَّمَ ذكرُها ــ شعر حافظ إبراهيم، فلما ارتحل عن هذا الـوجود أخذتُ أفتش في صفحات المجلات المصريـة عن خليفة له أُجلسُهُ على عرش إعجابى واحترامى فلا أجد، حتى وقع يوما فى يدى جزء من مجلة الرسالة التى وجـدت فيها ضالتى المنشودةَ من حيث الأدبُ العالـى والثقافةُ الـدقيقةُ، فقلبتُ بعـض صفحاتِهِ، وإذا بـي أعثر على أبيات من الشعر استهوانـى مطلعها، واستدرجنى إلى الإتيان عليها حتى ختامها. وكنا فى «العصبـة»، فرحت أتلو على مسامع الإخوانِ تلك الأبيات التى لمستُ فيهـا روحَ حافظٍ وأسلوبَهُ الطلىَّ الأَخَّاذَ فشـاطرونى رأيى، وطفقتُ ـ منذ ذلك الحين ــ أتلمَّس آثار «محمـود غنيم» الأدبيـة، فى تلك المجلـةِ الغنيـةِ بنتــاج أدمغـة المجلين فى مضمار الأدب فى ذلك العصر السعيد.

وعلمت بعـد ذلـك أن «محمـود غنيم» مـدرسٌ فـى «كـوم حمادة»[1] ـ إحدى قرى الصعيد ـ يُحمِّلُ شعره المجنَّحَ شكواه من

---

(١) الصواب: أنها فى مديرية البحيرة. ومما ينبغى ملاحظته: أن الشاعر ـ الآن ـ يشغل وظيفة مفتش للغة العربية، بالمدارس الأجنبية بمنطقة القاهرة.

سوء حـاله وضيق مجـاله؛ فهـو يحسب نفسه سجينـا فى تلك القريـة يتوق إلى الإفلات منها ولا تـوقَ الطائِر الغرِّيـد إلى الإفلات من قفصـه ولـو كان من ذهب، فكيـف به وهـوَ من معـدن بخس وخشب؟ مجـال ضيق وعيش على وتيـرة واحـدة يُسْئِم النفس، وعشرة لا مطمعَ فيهـا للأديب الذى يُؤثـر تغذيةَ روحه على تغـذية جسده!! وفيم أطيل فى تصوير الحـال التى هو فيها، وقد وصفها هو علـى أدقِّ وأكملِ شكل فى القصيدة التـالية، وعنوانهـا «كأس تفيض»؟ قال:

نعلَّلْتُ دهـــراً بـــالمنى، فإذا بهـــا
قـــواريـــر من مسِّ الصَّبـــا تَتحطمُ

لعمـــرك، لا أدرى: على أَيِّ منطـقٍ
أشـاهـد في مصـرَ الحظـوظَ تُقسَّم؟

فمن يـكُ ذا قُـــربَى وصِهـــرٍ، فإننى
بمصـــرَ وحيـــدٌ لا قـــريـبٌ ولا حمُ

أقمت بمصـرٍ عـاثـر الجدِّ سـاكنا
كمـــا سكنَتْ أَهـــرامهـــا والمقطَّم

وقفت مكـــانـى لا أَريم، وأَخمصـى
على الشَّـوك من طـول السُّرَى تتـورّم

كـــأنـى إطـــارٌ دائرٌ حَـــول نفســـه
يطـــول بـــه المسعى ولا يتقـــدَّم!

***

أَيــذوى شبَــابى بين جــدران قَــريــةٍ
بِبــاب كـأنَّ الصَّمتَ فيهــا مخيِّم؟
أكـادُ مـن الصمَّت الـذى هـو شـاملى
إذا حُسِبَ الأحيــاءُ لـم أكُ منهمــو
وعــاشــرت أَهليهــا سنيـنَ وإننى
غــريبٌ بإحســاسى وروحىَ عنهمــو
يقــولــون: خضــراءُ المــرابع نضْــرةٌ
فقلتُ: هبــوهــا، لستُ شــاةً تُسـوَّم
علـى رِسلكـم؛ إنى أقيـم بقفــــرة
يجــوز علـى الأحيــاء فيهـا التــرحُّم
حيــاة كسطح المــاء، والمــاءُ راكـدٌ
فليس بهــا شــىءٌ يســرٌّ ويــؤلم
ومــا أَبتغى إلا حيــاةً عنيفــةً:
تســرُّ فأرضـى، أو تَســوء فأنقم
حيــاة كلـج البحــر، والبحــرُ زاخــرٌ
تــدوِّى بهـا الأنــواءُ، والــرعـد يهـزم
حيـاة بهــا: جـدٌّ ولهــوٌ، بهـا: رضــاً
وسخط، لهــا طعمـان: شهــدٌ وعلقم

* * *

حنــانيكَ! إنى قــد بــرمتُ بفتيــةٍ
أَروح وأَغــدو كـل يــوم إليهمــو

صغـــار نـــربِّيهـمْ بمثل عقـــولهم
ونبنيهمـــــو، لكنَّنـــــا نتهـــــدَّم

لأوشِكُ أَن أَرتــدَّ طفــلا؛ لطــول مــا
أمثِّل دور الطفل بيـن يـــــديهمـــــو

فصــول بـدأنــاهـا وســوف نعيدُهـا
دواليـكَ، واللحـنُ المكـــــرَّر يُسـأم

فمن كـــان يـــرثى قلبُـــهُ لمعـــذب
فأجــدَرُ شخْـص بـالــرثـاء المعلم!

❊❊❊

ألا فليُســـدْ مـن شـــاء، حسبـيَ أننى
ضننتُ بمـاء الــوجه حيـن تكـرَّمـوا

وإنى لمغبـــونٌ إذا صـــرتُ قيصـــراً
وطـــوَّقَ بـــالنعمـــاء جيـــدىَ منعم

فهل هناك ما هو أَوْهَى من هذه القوارير التى كنى بها عن أمانيه العـاثـرة، وقـد وصفهـا بكـونهـا تتحطَّم مـن مس أخف وألطف النسمات؟ وهل هناك ما هو أدلُّ على حقيقة الواقع مع أنه لا منطق على الاطـلاق فى توزيع الحظـوظ؟ وربما صحَّ هـذا الحكم على الشهـرةِ نفسِهـا؛ إذ لم يقم أديب إلا اختلـف النـاس فى تعيين مقـداره، وطـالما كـانت الشهـرةُ نصيبَ من لا يستحقهـا لعـواملَ وأسباب لا علاقـة لها بالكفاية المجردة، كأن تسخـر الأقدارُ لغير الكفء ما لا تسخـره للكفء من المذيعين والمطبِّلين والمـزمِّرين

لهوى أو غاية فى النفس، وأين نجد صـورة للعزلة التامة لمقيم فى القطـر المصـرى كـالأهـرام والمقطم؟ يلى ذلك: وصفُ الضجـر والسآمةِ ، فحياةُ المعلم والأدوار التى يمثلها ، فالاعتصام ـ بعد كل هذه الشكاوى المؤلمة ـ بالصبر ، والاستمساك بالأنفة والاباء.

ثم عثرت على صورة ثانية ، استوثقت منها أن «محمود غنيم» لا يعدم تعـزية عما هو فيـه ؛ مستمدة من محيًا صُغيريـه ، اللذين لا يسأم مـداعبتهما كلمـا عاد إلى منـزله عودة الطـائر إلى عُشِّـه طلبا للراحـة والدفء والقوت، وهاك مـا يقوله فى وصف هـذا المشهد بعنوان «أنا وابناى» :

وأطيَبُ ســاعِ الحيــاة لــديَّــا — عشيــةَ أَخلــو إلى ولــديَّــا
إذا أنــا أَقبلتُ يهتفُ بـاسِمى الــ (م) — فَطيمُ، ويحبــو الــرضيعُ إليَّــا
فــأُجلسُ هــذا إلى جــانبى — وأجلس ذاك على ركبتيَّــــا
وأغــزو الشتــاء بمــوقــد فحْم — وأبسُطُ مـن فــوقــه راحتيَّــا
وأحسبُنى بيـن طفلىَّ «شــاهــا» — وأَحسَبُ عُشِّيَ قصــراً عليَّــا
فكلُّ طعــام أراه لـــذيـــذا — وكـل شـــراب أراه شهيَّـــا
ومــا حــاجتى لغـــذاءٍ ومــاءٍ؟ — بحسبىَ طفــلاى زاداً ورِيَّــا

***

فيــاليت شعــرى: أتَمْتَــدُّ بى — حيــاتى، فــأَجْنىَ غـرسَ يـدِيَّـا؟
وأَشهــــدَ طِفْلِيَ حيـن يشبّ — فتى عــالىَ النفس، شهمـا، أبيـا؟
أبــوكَ امــرؤ مـن رجــال الكــلام — فكنت أنت ـــ يا ابنى ـــ امرأ عمليا
فمــا احتقــر النــاسُ إلا الأديبَ — ولا احتــرم النـــاسُ إلا الغَنِيَّــا

***

أَيــا ابْنَيَّ، أَحبِبْ بمــا تكســرانِ! — وأَهْــونْ بمــا تُتْلفَــان عليَّــا!

فانظر إلـى العاطفة الأبوبة الصـادقة المتجسمة فى هـذه الأبيات ، وأَكبرْ معى التضحيـةَ إلى أَقصى حـدودها فى الاستهـانـة بكل ما يمكن أَن يكسـره الصغيران المحبوبان أَو يتلفاه استهانةً تبلغ حد استحلاء الأضرار وتشجيعهما عليها ، وما يتخلل ذلك من عظات وتمنيات .

ومما تقدم رأيت كلَّ الجمال فى روح « محمود غنيم». عَلَى أَنىَّ افتقدته فى رسمه القائم فى بعض صفحـات الرسالة شاهداً عَلَى أَلاَّ عـلاقة البتة بين المظهر والمخبر ، ولكن حبذا عدم الوسامة فى الخَلْق إذا كانت ترافقها مثلُ

هذه الـوسامـة في الخُلُق ، عَلَى أَن صورة «غنيم» هذِه تَـزيده شبهـاً بحافظ وتؤكد ترشيحه لخلافتِه .

هذا هو « محمـود غنيم » ، الذى أقدمه الآن لقـراء العصبة ، فخورا بأننى أقدِّم شاعراً مجيدا ؛ إذا لـم يضارع حافظـا فى أَصيله فإنه يجاريه فى ضحاه ، وهذا حـاضِره يبشـر بمستقبل ربما كان أَخصبَ منـه وأَجدى . وممـا يرجح كفته ـ فى نظـرى ـ عقمُ محيطـه بـالنسبة إلى محيط حـافظ أَيام كـان يطلق صيحـاتِـهِ وأَغاريـدَه فى القـاهـرة حيث : المجـالُ الرَّحب ، والمـوحيـاتُ ، والمستثيراتُ على أنـواعها ، وكلها مما يفجِّـرُ الشاعريـة ، ويبعث الكوامن ، ويعين على الإجـادة ، أضف إلى ذلك : أنـه منذ البـدايـة حافظيٌّ فى تأنقـه وتدقيقه ، وبراعته فى تخيـر الألفاظ ، والبحور ، والقوافى ، التى تماشى روحَ القصيـدة وتكسبها خـاصـة الإعـراب عن مرامى نـاظمهـا ، وتـوائمُ حركـاتِ وسكناتِ الحدث الذى تدور عليه ، أو المناسبة التى اقتضتها .

أَما مستندى ؛ فما سبـق ، وما سيَلى ممـا اقتبسته واجتـزأت به مُكـرَها ؛ بـداعى ضيق المجـال من بضع قصـائدَ احتـرت فيمـا اختـرت من أَبيـاتهـا الحسان ، وهـذَا بذاته يـدعو إلى الاعجاب بخصب قـريحة الشاعـر ، وسعة اطلاعه ، وقدرتـه على الإجادة حتى فى أَتْفَه الموضوعات المطـروقة وأَبعدها عن استرعاء الالتفات ؛ إذ يغلب فى الشعر أن يكـون الجيد منه هو الأندر ، فكيف وقـد رأيتُ النـــدرة تصيبَ مـا يمكن الاستغنـاءُ عنـــه على رغبتى فى الاختصار تفادياً للتطويل وخشية الملل ؟

شعرٌ تصويرىٌّ : سداه الدقة ، ولحمته الأمانة فى الأداء ، ونزعةٌ حرة ، وفكر طليق من سيطـرة الأوهـام ، وخيـال واسع ؛ يتغلغل فى الأعمـاق ، ويكشف

الخبايا، ونفس طمُوح لا يكبح جماحها إلا الاباءُ المستحب .

اسمعه يصف راتبه بأبلغ ما يدل على سهولةِ وسرعة التفلت، وقلة الوفاء بالحاجة، ويجيد التخلص إلى نصيحة غالية يسديها إلى أبناء قومه؛ محذرا إياهم من عواقب الوكل، كارها لهم الأَعمال ذات الكسب المحدود :

ولى راتب كالماء تحويه راحتى فيُفلتُ من بين الأصابع هاربا
إذا استأذن الشهر التفتُّ فلم أَجد إلى جانبى إلا غريما مطالبا
فأَمسيت أرجو نعيه يوم وضعه وليس الذى يمضى من العمر آيبا

***

فقل لشباب النيل قالةَ ناصح تعافُ له أخلاقه أن يواربا :
إذا مصر لم ترفع قواعد مجدها بساعدها، لم تقض منه مآربا
وأن نكُ فى كل المرافق عالة على غيرنا عشنا بمصر أجانبا

وهاك مطالب أخرى لم تفته فى أيها الاجادةُ المبتغاةُ ، فمن قوله مخاطبا ملكة الجمال العالمى المصرية بعنوان: «ملكة الجمال»، بيتان ضمنهما نزعته الاستقلالية، وهما :

كم عاهل ذى سطوة لم يفتتح قلباً وإن فتح المدائن والقرى
ما للمها فى مصر تحكم عالماً والليث يعجز أن يعيش محررا ؟

***

وما هى إلا فترة من الزمن حتى يتجلى «غنيم»، فينزع عن نفسه أطمار التذمر والشكوى، ويرتدى وشاح الحكمة والاختبار ،ويتسنّم منصة الوعظ والإرشاد؛ مصوِّراً حقيقة الحياة وانخداع البشر بأنفسهم ،ومبطلاً ما يدعونه عادة من عفة وتقشف، ويرشحون ذواتهم من أجله لسكنى دار الخلود، كما يضرب الرياء والتظاهر ضربة قاصمة؛ إذ يقول بعنوان «المادة» :

فتشتُ بين النــاس عن زاهــدٍ ... فلم تقع عينى على واحــدٍ
مــا أزهــدَ المرء إذا لم يجد ... وأبعــدَ الزهــدَ عن الواجد!
فقيمــة الفــردِ بمــا يملكُ الـ (م) ... فَـرْدُ من الطــارف والتــالد
قــد يُحسَد المــرء على رزقــه ... ولا أرى للخُلْق من حــاسد
لم يختــر النــاسُ ديــانــاتهم ... بل أخــذوا بالمــذهب الســائد
ليس جمــال الطبع في غــادة ... مثلَ جمــال اليــدِ والســاعدِ
يــازاعم العفــة فى حبّــهِ ... مــا تبتغى من كــاعب نــاهد؟
لــم يتق الله امـــرؤ للتقى ... بل لنعيم الجنــة الخــالد
لــولا جمالُ الحــور مــا لامست ... أرضَ المصلى جبهــةُ الســاجد
هل كنت تلقى فى الــورى ساعيا ... لــو كان يسعى الــرزقُ للقاعد؟
سيــان: مــن يسعى إلى قــوتــه ... بــالسلب، أو بــالــورع الــزائد
كم لحيــة أجــدى على ربهــا ... من ألف سهم بيــد الصــائد
صــاح، دع الــروح ودع قدسَهــا ... نحنُ عبيــد الجســد الفــاسد

فإذا وَقَفْته على الشاطىء الرملى فى الاسكندرية، يمتع طرفه بمرأى المستحمات، ويشبع نهمه من محاسنهن، خلع العذار، وأجاد فى وصف ذلك المشهد البديع، وسال رقة بمقطعات غزلية، موشاة، منمقة مطرزة، كأنها بستان، فيه من كل فاكهة زوجان، وهذا بعضها:

أعَــوَارٍ تلك الــدُّمَى أم كــواسٍ ... بلبــاس يفصلُ الأجســامــا؟
لا وقــاهُ الله البلى من لبــاسٍ ... إنــه كــان واشيــاً نمــامــا

***

أيهــا المشتكى من الإقــلالِ ... متع النفسَ بــالجمــال متــاعــا
لم يبيحــوا لنــا شيــوع المــالِ ... وأبــاحــوا لنا الجمــال مشــاعــا

لا تضيقوا بالمعصم المكشوفِ		وتقولوا : خيرُ الجمال المصونُ
ما غناءُ الشذى بغير أنوفِ ؟		قيمة الحسن أن تراه العيون؟

***

وانظر إلى رشاقته فى وصف راقصة ؛ أخذت عقله بخفتها ، ومرونة أعضائها ، وحسن تثنيها ، يقول :

مقبلة مدبرة		مائلة معتدله
كأن تحت أخمصيـ (م)		ـها جمرةً مشتعله
باسمة يحسبها		كلُّ فتى تبسم له
أبدلها خالقها		بكل عظم عضله
جسمٌ كموج عيلمٍ		تسبحُ فيه الأخيله
تحسب فيه كلَّ عضـ (م)		ـوٍ وَحدةً منفصله
فى مرقص لا يعرف الـ (م)		ـهَمَّ فؤادٌ نزله
الهم فيه واقفٌ		خجلان يخفى خجله
دعنى أضلُّ ساعةً		عبء التقى ما أثقله !
ما كنت من أهل المسو (م)		ح والذقون المرسله
كم ورَعٍ مصطنعٍ		وعفةٍ مفتعله

وأخيراً: انظر إليه فى النقد الصائب، واللوم العادل، والتنبيه إلى الواجب؛ إذ يصف بَنِى قومه الذين يترسمون خطا الغرب دون تخير أو استثناء :

يترسمون الغرب حتى يوشكوا		أن يعبدوه عبادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين ؛ وإنما		تبعوا نظامهمو بغير نظام
ما صاغ ربك من نضار خالصٍ		شعباً ، وشعباً من حصى ورغام

هـذا الكثير المختـار من بضع قصائد عـامرة قليلٌ من كثيـر . ولعمـر الحق ، إن شاعـراً تتفق لـه مثل هـذه الإجادة ، وتصـادُ من ساحلـه كل هذه الدرر ، لهـو بحر لا يجـوز أن نطمره أو نضع فى سبيلـه الحـواجــز والسـدود ، بل يجب أن نهيء لـــه الحيـاة التى اختـارهـا ، وأحسن وصفهـا فيمـا سبـق لى نقلـه من أنـات آلامـه وحشرجات شكاويـه ! ولعل هذا الصوت الضعيف يصل إلى آذان القـادرين من إخـواننـا المصريين ، فيجـد صـدى فى نفـوسهم ؛ يستفزهم إلى إنصـاف هذا الشـاعر المجيد المغبـون ، فيعـود إلى مصر حافظهـا متقمصـا فى شخص محمود غنيم .

البرازيل

توفيق ضعون

فـــي الحـــرب

فجر السلام (١)

الثقافة ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٥م

أَدْرك بفجرك عالماً مكروباً ... عوَّدْتُ فجرك أن يكون كذوبا[٢]

يأيها السِّلْمُ المُطلُّ على الورى ... طوبى لعهدك ، إن تحقق ، طوبى[٣]

ما بالُ وجهك بعد طول حجابه ... يحكى وجوه العاشقين شُحوباً ؟

رُحماك طال الليل واتَّصل السُّرى ... حتى تساقطت النفوس لغوبا![٤]

لفحت لظى الحرب الوجوهَ ، فطف بها ... كالزَّهر نفحاً، والنسيم هُبوبا

لم يَبْقَ فى مجرى الدماء بقيةٌ ... شكَت العروقُ من الدماء نُضُوبا

طحنت فريقيها الحروب بضرسِها ... لا غالباً رحَمت ولا مغلوبا

***

لما شدا بالنصر شاديهم؛ بدا ... لحنُ السُّرور على الشفاهِ غريبا

جاءوا بيوم النَّصر يمخُرُ فلكهُ ... سيلاً من الدَّمِ والدموعِ صبيبا[٥]

---

(١) أنشئت عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

(٢) الخطاب للسلم . والفجر فجران : كاذب وصادق ، وبينهما دقائق ، ويكون الأول أسود معترضا ، أما الثانى فناصع يملأ الآفاق .

(٣) طوبى : حسنى، أو خيراً، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٤) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٥) مخرت السفينة : شقت الماء .

مـلأوا الكئـوسَ، فَكُلَّمـا همُّـوا بهـا ذكـروا بحُمـرتهـا الـدمَ المسكـوبـا

فتَّشت بيـن المحتفين، فلم أجـد إلا طعينـاً فى الصميم أصيبـا

كم في غمـارِ المحتفين، خطيبـة بـاتـت تناجى فى التـراب خطيبا!

كم ثـاكلٍ لم تَـدر أين تـرى ابنهـا فتعيـره من دمعها شـؤبـوبـا! [1]

ومشـوَّهٍ تَزوى المـلاحُ وجـوههـا عنـه ،وكـان إلـى المـلاح حبيبـا!

من فـارقتـه يـداه فى سَاحِ الـوغى أنى يصفـِّق للسـلام طـروبـا ؟

قم سـائل النيـران: مـاذا أنضجت أسبـائكـاً أم أكبـداً وقلـوبـا ؟

وسل المحيط الغمـر: كـم نفساً بـه قـرَّت؟ وكم كنـزاً حـواه رغيبـاً ؟

غـولٌ تغـول الطفل من يـد أمـه بسعـارها والكـاعب الرُّعبوبـا [2]

هـوجاءُ؛ تـذرو الدَّوْحَ عنـد هُبوبهـا وتُخَلِّف البُـرجَ الأشـمَّ كثيبـا

لا يـرتـدى الأكفـانَ فـى سـاحـاتهـا ميتٌ نضـا بـرد الشبـاب قشيبـا [3]

***

أعـراسُ يـوم النصـر أيـن نقيمهـا ؟ المُـدْنُ صِـرنَ خـرائبـاً ولهيبـاً!

هيهـات أن تنسـى البـلادُ حـدادهـا أو تستـردَّ جمـالهـا المسلـوبـا!

تعـدو الحضـارة وهْـي داءٌ فـاتكٌ وتسيـرُ فى خَطْو الكسيح طبيباً [4]

وهي الجـراحُ إذا انـدملْنَ، فإنمـا يتركْنَ فى جسـد الجريح نـدوبا [5]

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) البيت فى وصف الحرب . والسعار : القرم . والرعبوب : البيضاء الناعمة .

(٣) نضا الثوب : خلعه .

(٤) يقول : إن الحضارة سريعة التدمير بطيئة التعمير .

(٥) الندوب : جمع ندبة ؛ وهي : ما يتخلف عن الجرح من الأثر .

أَمَمٌ بنت ركن الحضارة عالياً ... ما بالها لم تألُهُ تخريباً ؟[1]
الأوصياءُ القيِّمون على الورى ... تركوا الورى بدمائهم مَخْضُوبا
فَرَض القوى على الضعيف رقابة ... من ذا يكون على الرقيب رقيبا؟
من للرَّعيل؟ ومن لقادته؟ لقدْ ... ضلَّ الجميعُ مسالكاً ودُروبا[2]
خلُّوا مقاليد الشُّعوب لأُمَّةٍ ... عزلاءَ تقنعُ بالكفاف نصيبا
القُوتُ عنوانُ الحياة، فما له ... أمسى يبُيد ممالكاً وشعوبا ؟

* * *

دُوَلٌ يحول نحوسُها وسعودها ... مثلُ الكواكب مشرقا وغروبا
يا رُبَّ جبّارٍ يصول بجنده ... أمسى بأيدى جنده مصلوبا[3]
وطِىءَ النساءُ رفاتَهُ، ولربما ... كان اسمُهُ عند الرجال مهيبا[4]
ملأت محاسنُه العيونَ مظفَّراً ... حتى إذا سَقَطَ استحلْن عيوبا
يا رُبَّ غِيلٍ بعد صيحة أُسْدِه ... قد بات يملؤه الغراب نعيبا
ومؤمَّلٍ مُلْكَ الثرى وَلَّى، فما ... أَجْرَى دموعاً، أو أثار نحيبا[5]
لم يَلقَ قبرا فوق أرضٍ طالما ... فتحتْ له أحضانها ترحيبا[6]

* * *

---

(١) لم يأل الأمر كذا : لم يقصر فيه من هذه الناحية .

(٢) أصل الرعيل : جماعة الخيل ونحوها .

(٣) يشير إلى : موسولينى وكيف صلبه جنوده .

(٤) يشير إلى : المرأة التى وطئت رفات موسولينى بقدمها وهو مصلوب .

(٥) يشير إلى : هتلر وكيف مات فلم ينع أو يقم له مأتم .

(٦) لم يعرف إلى الآن لهتلر قبر .

حتام نَنْعَتُ بالبطولة فاتكاً يحكى الوحوش ضراوة ووثوبا ؟

ينقضُّ من أعلى عُقاباً كاسراً ويدِبّ مثلَ الأُفْعُوان دبيبا؟ (١)

لا تجعلوا سَفكَ الدماء مناقباً للفاتحين، بل اجعلوه ذنوبا

المجد ليس لفاتكٍ ولوَ انه بذَّ النُّسورَ مخالباً ونيوبا

والغارُ يبرأ من رءوسٍ أهلُها ساموا الأنامَ القتلَ والتعذيبا (٢)

ما الباسلُ المغوارُ إلا مصلحٌ ملأ الحياةَ على البرية طيبا

يُضفى على هذا الوجودِ وجودُه ظلاًّ، ويكشفُ عن بنيه خطوبا

جادتْ به الدنيا الضنينةُ عالماً متضلِّعاً، أو شاعراً موهوباً

أقسمتُ، ما قادَ الجيوشَ كقائدٍ حشدَ الْجهود وكافح « المكروبا »

***

نزل السلاحُ عن المنابر، وانبرى صوتُ الضمائرِ والعقولِ خطيبا

ودعا الدعاةُ إلى السلام فصادفوا من كلِّ قلب سامعاً ومجيبا

قل للكماة الظافرين: تأهَّبُوا كم للسلام مواقعاً وحروبا (٣)

والله، ما كسَبَ الْحروبَ معاشرٌ ليس السلامُ لديهمو مكسوبا (٤)

---

(١) الأفعوان : الحية الذكر .

(٢) سامه الأمر : حمله إياه .

(٣) الكماة : جمع كمّى بمعنى الشجاع، والخطاب للحلفاء .

(٤) يريد : أن من كسب الحرب وخسر السلم، أضاع معنى انتصاره .

قــد علَّقـت آمــالَهــا بــوعـــودكم ... أسمٌ تــرى يــومَ الخــلاصِ قــريبــا

إنــا نــريــد من الســلام لُبــابــه ... لا لفظـه، أو صكَّــه المكتــوبــا[1]

عـذراً إذا مــا الشَّكُّ خــامــر معشـراً ... عهـدوا السياسـة بــالكـلام لعـوبـا

كم للســـلام مــواثقــاً عبثـت بهــا ... ريحُ السيــاســة شَمْـأَلاً وجنــوبــاً

سيمتْ بهـا الأممُ المهيضُ جناحُهـا ... رقّــا على أعنــاقهــا مضــروبــا

لـم تطفىء الحربَ الضروسَ نصوصُهـا ... بل زادت الحربَ الضَّروس شُبوبا[2]

إن تكتبـوا للسِّلم عهـدا، فـاجعلـوا ... دمعَ الثكــالى بــالمــداد مشــوبــا

أو فـانقشـوا بـدم الضحـايـا خطَّـهُ ... وتــذكــروا يــومــا قضــوه عصيبــا

صــوغـوه عــدلا للبـريــة شـامــلاً ... لا مــرتعــاً لــلأقــويــاء خصيبــا

واستشهـدوا الـرحمـنَ فيـه عَلَيكُمُـو ... وكفى بــربك شــاهـداً، وحسيبــا!

واستـودِعـوه مسـاجـداً، وكنـائسـاً ... وضعــوا هـــلالا فــوقـــه وصليبــا

اللهُ قــد خلَقَ الشُّعــوبَ ســواسيــاً ... لا رَبَّ بينهــو، ولا مــربــوبــا[3]

لن يستقيـم لكـم ســلامٌ مــاشكــا ... شعبٌ ضعيفٌ حقَّــهُ المغصــوبــا

لـن تبلغ الشـطَّ الأميـنَ سفينـــــةٌ ... تــركتْ بهــا أيـدى البُنـاة ثقــوبــا

هـذا هـو المـاضـى، وتلك عظـاتُـهُ ... لكمـو، وقـد تُجـدى العظـاتُ لبيبـا

---

(١) اللباب من كل شيء: قلبه وصميمه.

(٢) الضروس: الشديدة الفتك، شبهت بالناقة أو الفرس الكثيرة العض.

(٣) رب الأمر: ساسه. والمراد: لاسيد في الناس ولا مسود.

لاح الهلال (١)

أذيعت بمحطة الشرق الأدبى، أول العام
الهجرى ١٣٦٥هـ ـ ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥م

لاح الهـلالُ لنـا بـومض شعـاعِ ... يَحْكى بـريقَ الثَّغر خلفَ قنـاعِ[٢]
أحسَسْتُ خفْقَ القلب حين لمحتـهُ ... يـزدادُ بينَ جـوانب الأضـلاع
تبـدو الأهلَّـةُ في السمـاء وتختفى ... ويسيـرُ ركْبُ العمْـر فى إسـراع
مـا الْحَـوْلُ حيـن يحـولُ إلا بَضعـةٌ ... مـن كلِّ نفْسٍ آذنَتْ بـوداع![٣]
يأيهـا العـامُ المُطِلُّ، تحيـة ... من خيـر سكـان بخيـر بقـاع
أملُ العـروبـة فيك أعـرَضُ جـانبـاً ... من سـؤدُد تبكـى عليـه مُضـاع
أمـلٌ تكـادُ تُحِسُّ وقـعَ دبيبـه ... بين القلـوب منـافـذُ الأسمـاع
مـاذا ادَّخـرتَ لآمليك ؟ سلمتَ من ... صَوْبِ الـدِّماء، وسيلها الـدفَّاع![٤]
ستٌّ سواكَ خَلَتْ، فمـا تركتْ سوى ... مُلتـاعـةٍ فى الكـون أو مُلتـاع!

(١) نشرت هذه القصيدة فى هذا الباب؛ لما عرضت له فى كثرة أبياتها من ذكر الحرب وآثارها، وإن كانت خاصة باستقبال العام الهجرى.

(٢) الومض: اللمعان الخفيف.

(٣) آذن بالشىء: أعلم به.

(٤) الصوب: المطر.

فتِّش بربك: هل تَرى فى الشرق أو … فى الغرب غيرَ مشردين جياع ؟

ركن الحضارة مال فى ساح الوغى … أتقيمُ حائطَ ركنها المتداعى ؟[1]

إن الذى شادتْ يمينُ العلم فى … حقَبٍ، محتْهُ شِماله فى ساع[2]

***

الغرب أُولِعَ بالدماء؛ فما ترى … إلا قراعاً فيه إثْرَ قراع

يبتاع بالعمران نصراً زائفاً … خسرت ـ لعمرك ـ صفقةُ المبتاع[3]

لا حربه أبْقت، ولا بسلامه … شُفيتْ لنا كبِدٌ من الأوجاع

وَيْحَ السلام! جنى القويُّ ثمارَهُ … وكوى الضعيفَ بجمره اللَّذاع

ما بال من أبدى الشجاعة فى الوغى … خاضَ السلامَ فكان غيرَ شجاع ؟

الحرب يفتك بالنفوس صِراعُها … والسلم فاتكةٌ بغير صِراع

خَطُّوا الوثائقَ فى المحيط؛ فحينما … أَمِنُوا العدوَّ رَمَوْا بها فى القاع[4]

مضت الحروب بقدسها؛ فإذا بها … فى السلم بضعةُ أسْطر ورقاع

كُتِب الشقاءُ لأمة مهضومة … تجرى وراءَ سرابها الخَدَّاع

---

(١) ساح جمع ساحة: بمعنى الناحية أو الفضاء

(٢) جمع ساعة.

(٣) يبتاع: يشترى.

(٤) يشير إلى: الميثاق الذى عقده الحلفاء فى الأطلنطى، وكفلوا به الحريات المختلفة للشعوب.

قالوا: السلامُ . فقلتُ: كم هتفوا به ... ودعا له فوقَ المنابر داعِ

فإذا الدعاة إلى السلام عُداتُهُ ... ليس المخالفُ أمرَه بمطاعِ

يا ربَّ سلم أعلنوا ميلادَهُ ... فنعاه من قبل الفطام الناعى

إن التناحُرَ فى النفوس طبيعةٌ ... والناسُ ـ مذْ خُلقوا ـ عبيدُ طباعِ

لا الماء جفَّ من الحياض، ولا الثرى ... ضنت منابتُهُ على الزُّراعِ

لم يفقد الناسُ الحطامَ؛ وإنما ... قَلَّ الحطامُ بكثرة الأطماعِ

أفنَى مواردَ كلِّ شعبٍ ناهضٍ ... جَيْشَا: هجومٍ حولَه، ودفاعِ[1]

* * *

قل للمبشر بالسلاح وحدَّه: ... ليس السلاحُ وسيلةَ الإقناعِ

«الله أكبر» ـ وهْى بضعَةُ أحرفٍ ـ ... دكَّتْ بناء معاقلٍ وقلاعِ[2]

فَتحٌ لوَ ان السيف جرِّد وحدَهُ ... فى مدِّه، ما امتدَّ قيدَ ذراعِ[3]

شقَّ الأذانُ إلى القلوب طريقَهُ ... وكأنه ضَربٌ من الإيقاعِ[4]

---

(١) جيشا: مثنى فاعل أفنى، محذوف النون للإضافة. يندد بما تنفقه الأمم فى سبيل التسليح؛ مما كان يمكن استغلاله لرفاهيتها.

(٢) جملة «الله أكبر»: مبتدأ مقصود لفظها، وجملة «وهى بضعة أحرف»: معترضة، وما بعدها خبر.

(٣) قيد: قدر.

(٤) من معانى الإيقاع: بناء ألحان الغناء.

صوتٌ إذا ما انْسابَ فوقَ منارة أزْرَى بصوت حمامها السَّجَّاع

البِيدُ أهدت للوجود مشرِّعا ماخطَّ فوق صحيفة بيراع

جادت به كصَفاتها فى عزمه وكشمسها فى الدفء ،والإشعاع[1]

من مكَّةَ انبعثَتْ أَشِعَّةُ هديِهِ فتَغلغَلت فى سائر الأصقاع

فَتَحَ القلوبَ محمدٌ بمبادئ كمجُاج نحل ، لا لعابِ أفاع

الناسُ فى الدنيا سواسية ، فما مِن عِلْية فى شرعه ورعاع

والأمرُ أمرُ المسلمين جميعهِم والفَىْءُ يُقسمُ بينهم بالصاع[2]

وأميرُهم منهم وإن كانوا له نِعْمَ الرعيَّةُ وهْو نعم الراعى

ملأ ابنُ آمنةَ الزمانَ حضارةً وبنو الزمان سوائمٌ بمراع

وأجدَّ للتاريخ دينُ محمد عصراً له فى العلم أطولُ باع

تلكَ الحواضرُ، يا رعاة الشاءِ، مَنْ أرسى قواعدَها بكَفِّ صَناع[3] ؟

أمسَتْ ومتعةُ كلِّ عينٍ حُوُرها وجِوارها للروح خيرُ متاع

طفَحتْ بألوان الحياة صِحافُها فمذاقها متعدِّدُ الأنواع[4]

مُدُن يحفُّ بها الجلالُ ، أديمها : أبراجُ أقمارِ، وغِيلُ سباع

***

---

(١) الصفاة : الصخرة .

(٢) الفىء : الغنيمة .

(٣) الحواضر جمع حاضرة ، والرجل الصناع : الصانع الماهر .

(٤) صحاف جمع صحفة : ما يقدم فيه الطعام .

ذكـرى ومـوعظـة أسـوقهمـا إلى ... قـومى ، فهـل للقـوم سمعٌ واع ؟

هل يُجمعون لدى الخطوب أمورهم؟ ... فـالخيـرُ كلُّ الخيـر فى الإجمـاع

أبنـاءَ يعْـربَ ، لا حيـاة لأمـة ... بـالـذكـريـات؛ بل الحيـاةُ مساع

فَثِبُـوا إلى الأهـداف وثْبَ مغـامـر ... لا واجبٍ قلبًـا ، ولا مُـرتـاع[1]

لا تطلبـوا بـالضعف حقًـا ضـائعًـا ... مـا للضعيف الحـولِ من أشيـاع

مَن عـالج البـابَ العصىَّ فلم يلنْ ... ليـديـه ، حطَّم جـانب المصـراع

الشِّـرْك في الأوطـان شِـرْك آخـرٌ ... وطنُ الكـريم الحـرِّ غيـرُ مشـاع[2]

فيم الجمـودُ ودينكـم متصـرِّف ... وزمـانُكُمْ متغيِّـرُ الأوْضَـاع ؟

ولقـد تطـوَّرت الحيـاة ، وفُلْككم ... مـا زال يمخُـرُ مـاءَه بشِـراع

تُـرمى الحنيفـة بـالعيوب؛ وإنمـا ... عيْبُ الحنيفـة : غفـوة الأتْبـاع

الله صـوَّرَ أرضكـم من جنَّتىْ ... عـدْنٍ ، فـأبـدعَ أيَّمـا إبْـدَاع

وَحَبـاكُمـو من عنـده بـرسَـالـةٍ ... قـدْسٍ ، وفضل فى الكتـاب مـذاع

* * *

---

(١) وجب قلبه : دق؛ كناية عن الخوف .

(٢) المراد بالشرك الثاني : الشرك بالله ؛ أى : الكفر .

محنة فرنسا[1]

الرسالة ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٠م

رُحمـاك ربِّ ! إلامَ نصلى نـارَهـا؟ فَنِيَ العبـادُ، ولـم تَضَعْ أوزَارَهـا[2]

غـابت ملائكـةُ السمـاء، وأصبحتْ تَـذْرُو أبـالسـةُ الجحيم غُبـارهـا

قبضَتْ على سُكّـانهـا يـدُ مـاردٍ جَعَلَ الصَّبيبَ من الـدماء بحاره[3]

في كـل وادٍ ثـورةٌ مشبـوبـةٌ لا يطفىءُ البحـرُ الخِضَمُّ شَـرارهـا

حتى كـأنَّ الأرضَ من إعيـائهـا سكنَتْ، وأخطأَت النجـومُ مـدارهـا

كُتب الفنـاءُ على البريـة . ويحهُمْ! مـا بـالهم يستعجلـون دمـارهـا؟

زُمَـرٌ من الأسمـاك نـاطقـة إذا مـا جاعت ازْدرد الكبـار صغارهـا[4]

***

حـربٌ رأيتُ الجـوعَ بعض سهـامها فـرضَتْ على المتـراشقين حِصارهـا

غـدت الجبـال الشامخـاتُ سفينَهـا والـزاحفـات من الحـديـد مهـارهـا

الـزيتُ والبتـرولُ من آلاتهـا والعلْمُ ينفخ إن خَبَتْ أكـوَارهـا[5]

قـد سيَّـرت فـوق الثـرى دبَّـابَهـا وإلى الكـواكب صَعَّـدَتْ طيَّـارهـا

---

(١) أنشئت هذه القصيدة عندما سقطت فرنسا أمام الزحف الألمانى سنة ١٩٤٠م.

(٢) الضمير المؤنث في البيت وما بعده: يعود على الحرب وإن لم يسبق لها ذكر .

(٣) سكان السفينة : دفتها .

(٤) ازدرد : ابتلع .

(٥) الكور : مجمرة الحداد .

ملأت قذائفُها العبَاب؛ فعكَّرتْ زَبَدَ البحار وكدَّرت أغوارها

يا بحرُ، ما فعلتْ مياهُك - ويحَها - بُرفاتِ قوم يسكنون قرارها؟

كم لابن آدمَ فى المحيط عجائبا قلَّتْ أعاجيبُ المحيط جِوارها

ضجّتْ بناتُ الماء منه، وأوشكتْ تجفو الطيورُ لأجله أوكارها[1]

***

يا رُبَّ شعبٍ فى حِماهُ وادعٍ جَرَفَتْهُ لجُتُها فخاض غمارها

ومُحاربينَ لغيرهم أسلابُها لكنهم يتحمَّلونُ خَسارها[2]

وذوى عروشٍ طوَّحتْ بعروشهم وتخطَّفتْ من حولها أمصارها

تتطاير التيجانُ عن أربابها كالقِدر تنفثُ فى الفضاء بُخارها

عِبَرٌ على مرّ القرون تشابهتْ حتى أجاد العالمُ اسْتظهارها

ورواية من عهد ذى القرنين، ما بَرِحَ الزمانُ مردِّداً أدوارها[3]

أو كلما كادت تَتِمَّ فصولها مُنيتْ بشيطان يزيح ستارها؟

***

سائل ضفاف «السِّين»: كيف استهدفت للغزو، واقتحم العدا أسوارها؟

خطٌّ حسِبنا الجنَّ لو مرتْ به ولَّتْ أمامَ حصونه أَدبارها[4]

أترى «فرنسا» أطبقت أجفانَها من خلفه، وتجاهلتْ أخطارها؟

---

(١) بنات الماء: كناية عن الحيتان وما إليها من الأحياء المائية.

(٢) يشير فى هذا البيت - وما قبله - إلى الدويلات التى يجرفها تيار الحروب، والتى يعترف بها عند خوض غمارها ويتجاهل وجودها عند توزيع الأسلاب.

(٣) يريد بهذه الرواية: مطامع هتلر فى أن ينضوى الغرب والشرق تحت لوائه؛ وهو أمل من عهد الاسكندر المقدونى، يداعب خيال عظماء الرجال.

(٤) يشير إلى: خط «مجنو» الذى أقامه الفرنسيون فاصلا بين حدودهم وحدود الألمان، وكيف أنهار أمام مدافع هؤلاء، وكان المظنون أنه لا تعمل فيه النيران.

هيهات! لا الحصنُ المنيعُ أقالها ... كلا، ولا الأدبُ الرفيع أجارها

لا تعدَمُ المرآةُ كسرَ زجاجها ... يوما وإن كان الحديدُ إطارها

إن المعاقلَ لا تُحصِّنُ أهلها ... ما لم تحاكِ قلوبُهم أحجارها

قالوا: مهادنةٌ . فقلنا: حبذا ... لو أن هدنتَها تقيل عِثارها[1]

هيهاتَ! ما أرضت بذاك خصومها ... كلا، ولا اسْتَبْقتْ به أنصارها

ماذا تقولُ إذا الجدودُ تعثَّرت ... وإذا المشيئة أنفذت أقدارها؟[2]

وإذا قضاءُ الله أحدَقَ بالشرى ... لم تلْقَ آسادُ الشرى أظفارها

كالوا الملام لها، فقلت: تريَّثوا ... يا قوم، والتمسوا لها أعذارها

أو ما كفاها أنها ما سلَّمت ... حتى طَلَتْ بدمائها أنهارها؟

إن قيل: عارٌ أن تسلِّم أمةٌ ... نهَضَ الدمُ المسفوحُ يغسل عارها

إني لأشفق أن يكون مصابُها ... أزرى بجوهرها، وشان نضارها

وَمَحَا مَحَاسِنَها فعدن مساوئاً ... وأحال لؤلؤها؛ فصار محارها

من يكبُ لم تعذره عِتْرَتُهُ، ومن ... ينهضْ تقلدْهُ الأعادى غارها[3]

والنفس تعجبُ بالقويّ وإن يكن ... جلادَ تلك النفس أو جزارها

***

أسألت «باريس» المهيضة: مالها؟ ... سَلْ أهلها: هل قوّموا منهارها؟

سلها بربك: كيف ذلَّ عزيزُها ... وتحمَّلتْ أسْدُ العرين إسارها؟

كيف الغوانى والمغاني بعدما ... طمَس المغيرُ بجيشه آثارها؟[4]

---

(١) يشير إلى: الهدنة الذليلة التى عقدها الفرنسيون مع الألمان بعد الهزيمة؛ فأفقدتهم عطف الانكليز، ولم تخفف من وطأة احتلال الألمان.

(٢) الجدود: الحظوظ.

(٣) عترة الرجل: رهطه الأدنَوْن.

(٤) الغوانى: جمع غانية، والمغانى: جمع مغنى، والمراد بالأولى: فاتنات باريس وبالثانية: قصورها.

بـالله، هل عـاث العـدوُّ بأرضهـا ؟ وهل استـرق ببأسـه أحـرارهـا؟[1]

مـاذا أصـاب مـدينـةَ الأزيـاء؟ هل أبلى القتـالُ المستحـرُّ إزارهـا؟[2]

هل أظلمـت آرادُهـا؟ ولطـالمـا حسـد النهـارُ وشمسهُ أسحـارهـا[3]

وهل المخـابئُ أصبحت مأوىً لمن كـانت مقـاصيـر المسـارح دارهـا؟

راعتْ أراملَهـا الحـروبُ وخلَّفت ـ في حسـرة لا تنقضى ـ أبكـارهـا!

من كل نـافـرة يـدُق فـؤادُهـا لم ينفـر الظَّبيُ الغـريـرُ نفـارهـا

نفرت من الحـرب الضَّروس! وطـالما كـان النفـارُ من الـدلال شعـارهـا[4]

مـا للتى ألـفَ المـزاهـرَ سَمعُهـا وزئيـرَ آلات الوغـى، وخُوارهـا[5]

حملت همومَ الحـرب فى « باريسَ » مَن كـانت يـداهـا تشكُوَان سـوارهـا؟

كم غبَّـرت بـدخـانهـا وجهـا، إذا بصـرَتْ بـه شمس السمـاء أغـارهـا

سـائلْ عـن القبـلات أهليهـا: أمـا زالت تحسُّ شفـاهُهم تيـارهـا؟

كيف القلـوبُ الخـافقـاتُ صبـابـةً تُفْشى مـواعيـدُ الـدجى أسـرارهـا؟

شهـدت خمـائلهـا مـواقـعَ للهـوى مـا حـركت من خيفـة أطيـارهـا

شتـان بيـن مَـواقـعٍ ومَـواقـعٍ كلتـاهمـا تشكو الضلـوعُ أوارهـا[6]

***

مـا كنت، يـا بـاريسُ، إلا روضـةً مُنيتْ بسـائمـة رعَت أزهـارهـا

---

(١) عاث : أفسد .

(٢) استحر القتل : اشتد .

(٣) آراد: جمع رأد، ورأد الضحى: ارتفاعه .

(٤) الضروس : الكثيرة العض؛ شبهت الحرب بالناقة العضوض وما إليها .

(٥) المزاهر ـ من آلات الغناء ـ: جمع مزهر، والزئير: معروف، والخوار: صوت البقر.

(٦) الأوار : اللهيب، والمراد بالمواقع الأولى: المواقع الحربية، وبالثانية: المواقع الغرامية، والنار فى الأولى حقيقية، وفى الثانية مجازية .

أَصْمَى الحضارةَ من رماك؛ فإنها منك استُعيرتْ . مَن سواك أعارها؟

وجنت يداه على علومٍ طالما أجريْتِ شرعتها وشدتِ جدارها[1]

ما ضرني أن لم أزرْها طالباً وقد اقتبستُ العلم ممن زارها

باريس، أين دِمَشقُ أو بغدادُ؟ هل قصَّت عليك رواتها أخبارها؟

المُدْن مثلُ الناس فى آجالها تفنى البلاد إذا قضت أعمارها

* * *

(١) الشرعة - فى الأصل -: مورد الماء يستقى منه .

حول غارات الاسكندرية :

فاجعة الثغر !

الأهرام ١٣ من يونية سنة ١٩٤١م

الثغــــــرُ أيـن مَضَـى رُواؤهْ ؟	أوَ لم يفـــارقـــهُ شتـــاؤهْ ؟[1]
كــــانت تمـــوجُ ظبــــاؤهُ	مــا بــالــه نفــرَتْ ظبــاؤه؟
قــد ظلّـل الثغــرَ الــوجــو (م)	مُ، ولـف شـــاطئَـــه رداؤه[2]
رق الهــــواء بــــه فلم	ينفـــذْ إلى رئةٍ هـــواؤه
ويحى عليــه من الــوغى	طــالــتْ، وطــال بهــا اصطــلاؤه
أرأيــتَ إذ هَتَــفَ النـــــذ (م)	يــرُ فعــاد إعــوالا غنــاؤه ؟[3]
وجــلا الشــرارُ ظــلامَـــهُ	حتى غــدا كَــدَراً صفــاؤه
يــرميــه بــالنيـران سـا (م)	حلُــهُ، وتــرجُمُــهُ سمــاؤه[4]
جَمْـــــــر يُشَـبُّ أوارهُ	مـن كـل إنسـيٍّ شـــواؤه[5]
جــانُــوهُ فـى دَعــة وأمْـــ (م)	نٍ، والضحيــة أبــريــاؤه[2]

---

(١) يقول : انقضى فصل الشتـاء ، وحل فصل الصيف ؛ وهو فصل نشـاط الثغر، فأين مظاهر هذا النشاط ؟ وأين جمال الثغر المعهود ؟

(٢) الوجوم : السكوت .

(٣) المراد بالنذير : صوت زمارات الإنذار .

(٤) يشير إلـى : القذائف المتساقطـة من الطائرات ، والقـذائف المنبعثة من المـدافع المضادة للطائرات .

(١) الأوار : اللهيب .

(٢) يريد بالجانين : من تسببوا فى إشعال هذه الحروب ، وإضافتهم إلى ضمير الثغر؛ لمجرد إقامتهم فيه .

كم ميِّت بـــرَدتْ جـــوا | رحـــهُ ولم يبـــرُدْ عشـــاؤه
ربع الـــرجـــالُ بـــه، وعن | أطفـــالهـــا ذُهلتْ نســـاؤه!
هـــامـــوا كمـــا هـــام القطيـــ (م) | ـــعُ تخلفت عنـــه رعـــاؤه
يجـــرى الشـــريـــدُ بـــه، فـــلا | يـــدرى إلى أيـن التجـــاؤه؟
أشقـى بنيـــه مَن نجـــا | فأطـــال لـــوعتَـــه نجـــاؤه
مـــا طـــالَ حبلُ حيـــاتِـــهِ | بل طـــال فى الـــدنيـــا شقـــاؤه
من ضلَّ عنـــه مـــالـــه | وقضى بنـــوه، فمـــا بقـــاؤه؟
أَلِفَ السهـــادَ؛ فـــإن غفـــا | فـــالأرضُ أجْمَعُهـــا وطـــاؤه[1]
تخـــذ السمـــاء غطـــاءهُ | من كـــان من خـــزٍّ غطـــاؤه[2]
وكســـا البِلى بأديمـــه | مَن كـــان لا يبلى كســـاؤه
وطـــوى الحشـــا مَن كـــان مِن | مَنٍّ ومِن سَلْـــوى غـــذاؤه[3]
يَـــرْجـــو العطـــاءَ مِنَ الشحيـــ (م) | ـــح، وكـــان مـــرْجُـــوًّا عطـــاؤه
هيهـــات! يـــومىء بـــالســـؤا (م) | ل، فـــلا يطـــاوعُـــه إبـــاؤه
مـــا مـــد راحتَـــه الطـــوى | إلاَّ ثَنَتهـــا كبـــريـــاؤه
قـــد ضـــاع مـــا ملكت يـــدا (م) | هُ، ولم يضع منـــه حيـــاؤه
مَن كـــان يحييـــه هـــوا (م) | ءُ الثغـــر، صـــار بـــه فنـــاؤه[4]
ويـح الهـــواء غـــداة جُـــ (م) | نَّ جنـــونُـــه وعـــوى عُـــواؤه
لا الـــرعـــدُ يحكيـــه، ولا | كـــالسَّهم منطلقًـــا مَضـــاؤه

---

(١) الوطاء: المهاد.

(٢) الخز: نوع من الحرير.

(٣) المن: طعام يشبه العسل، والسلوى: طائر شهى يشبه الحمام.

(٤) يشير إلى: تخلخل الهواء بفعل القذائف، وما يحدثه من تدمير، بعد أن كان هواء البحر حياة للنفوس.

القصـــرُ ذو الشـــرفـــات كيــــ (م) ــف هــوى بسـاكنــه بنــاؤه ؟[١]
فى الثغــر تحت الصخــر حشـــ (م) ــرجةٌ يــردِّدهـــا فضـــاؤه
يــــا رُبَّ طفل تحتَــــــه نـــادى فلم يُسمـع نـــداؤه
يــــا رُب جسم منحـنٍ لم ينج صــاحبَــه انحنــاؤه[٢]
يــا رُب صخـــر أحمــرٍ من جــرح غــانيــة طـــلاؤه
يــا رُب وجــــهٍ مشـــرق تحتَ الـــرمـــال خبـــا ضيـــاؤه
كــــانت تَغشيـــه العطـــو (م) ر، فصـــار من تُـــرب غشـــاؤه
أثـــوابـــهُ من فـــوقـــه كفـنٌ ومَـــدْفنـــه خبـــاؤه
مــا للشيـــوخ وللـــوغـى ؟ الشيـخ مـأمـــونٌ عِـــداؤه
مــا للــــرضيع بمهــــده يشتـــدُّ بـــالهَيْجـــا بـــلاؤه ؟
لا ثغـــــرَ يفتحُــــهُ ولا عـــرشٌ يتـــاح لـــه اعتـــلاؤه
يكفيــه مُلْكَـــا ثـــديُ أمٍّ (م) زادُه فيــــه ومــــاؤه

❊ ❊ ❊

الثغـــر بـــات يئـنُّ! أهــــ (م) ــلونا وأنفُسنـــا فــــداؤه!
هـــامى الـــدمـــوعِ، وإنمـــا من فيضِ أعيُنِنَـــا بكـــاؤه
دامـى الجــــراح ومـن شَغــا (م) ف قلــوبنـا نــزفت دمــاؤه[٣]
يــا مَنْ إذا مـــا الصيف طـــا (م) رَدكـمْ أظلَّكمـــو لـــواؤه[٤]
أدُّوا إليـــــه دَيْنـــــه والـــدَّينُ محتـــومٌ أداؤه

---

(١) يرجع تداعى المبانى إلى تخلخل الهواء بفعل القذائف، لا إلى القذائف مباشرة.

(٢) جسم منحن: كناية عن الشيخ الهرم.

(٣) شغاف القلب: ما يغطيه من جلد رقيق.

(٤) الضمير فى (لـواؤه) يعـود على الثغـر، وهـذا البيت ومـا بعـده حث على التبـرع لمنكوبى الثغر.

قـل للـــــذيـن أُوَوْا مســـــا (م) جـــد ربهم : هـــذا قضـــاؤه[1]

أنتـم بســـاحتهـــا ضيـــو (م) ف الله يغمـــركم سخـــاؤه

أدُعـــوه لــلإنسـان فَـــالـــ (م) مَظلـــوم مقبـــولٌ دعـــاؤه

ويـح ابـنِ آدم! مَـن لَـــــه بـــالجهـلِ؟ إن العلـمَ داؤه[2]

---

(١) فى تلك الآونـة : ضـاقت المسـاكن بـاللاجئين، ففتحـت الحكومـة لهم أبـواب المساجد العامة .

(٢) يشير إلى : أن تلك الاختراعات السريعة التدمير ، وليدة التبحر فى العلوم .

في استقبال العام الهجرى :

الهلال الأحمر [1]

الأهرام ٣ من مارس ١٩٤١م

أهــــلا بمطلِعكَ السعيـــدِ	يــا غــرَّةَ العــامِ الجــديــد [2]
عُـدْ بــالســلام علـى الــورى	وانشــرْهُ خفّــاقَ البنــود [3]
واعمــر خــراب النفس يــا ابْـــ (م)	نَ الشمس بــالأمل الــوطيــد [4]
أَوْمِضْ علينـــا ومضـــة الْـــ (م)	إيمـــان فى ليـل الجحـــود
عَبَسَ الــوجــودُ؛ فكـــان نــو	رُكَ بسمـــة بفـم الـــوجـــود
قـــد لحتَ مثلَ البـــرق فـى	جــوِّ العــواصف والــرُّعــود [5]
وطلعـت فـى حـــذَر تطلّ (م)	علـى البـــريَّـــة من بعيـــد
لا تستبيـنُ علــى البسيـــــ (م)	ـــطة غيــرَ خُــوذات الجنــود
غيـــرَ الشـــرار تمجُّـــهُ	فى الجــو أفــواهُ الحــديــد [6]
آلــى يمينـــاً، مـــالـــه	غيـــرَ ابـن آدم مـن وَقـــود [7]

---

(١) يريد : أنه هلال مصبوغ بالدمـاء . وقد نشرت هذه القصيدة ، فى هذا الباب ؛ لأن الحديث عن الحرب يستأثر بمعظمها أو بها كلها .

(٢) الخطاب للهلال : والغرة بياض فى جبين الفرس .

(٣) البنود: جمع بند بمعنى الراية .

(٤) القمر : ابن غير مباشر للشمس ؛ فانه ابن الأرض ، والأرض بنت الشمس .

(٥) المراد: العواصف والرعود الحادثة من الحروب ، لا الطبيعة .

(٦) يريد: قذائف المدافع .

(٧) آلى : حلف . والوقود ـ بالفتح : ـ ما تتقد به النار .

لا تستبيـن ســـــــوى دم قـــانِ تفجَّـــر من وريـــد
أو رأسِ إنســـــان يطيــــــ (م) ـــر، كأنـــه كـــرةُ الـــوليـــد
أو بِنيَـــة مـن نـــــاطحـــــا (م) ت السُّحب تـومىء بـالسجـود[1]
هيجـــــاء تلتَهمُ الـــــورى وتقـــول : هل لـى من مـــزيـــد ؟
يـــا نجمُ ، ويحـك ! لا تغُـــرْ يـــا أرض، ويحـك !لا تميـدى[2]
السلـم طـــــالَ شـــــرودُهُ لهفـى على السلـم الشـــريـــد

***

لاح الهـــــلالُ مقـــوَّســـا كقــــلادة الـــدُّرِّ النضيـــد
بيـن النجـــوم كـأنهـــا حَـبٌّ تنـــاثــــر من عقـــود
حيـــــرانَ يبحـث فـى زوا (م) يـــا الأُفْقِ عـن نحـــر وجيـــد
مـــا بـــالنـــا نـــرنـــو إليــــ (م) ـــه، بمقلـة الحـذر الشـديـد ؟[3]
نتنسـم الأخبـــــارَ منـــــ (م) ـــه كـأنـــه ســاعى البــريـــد
كم مـن جــريـح ســوف تَنـْـ (م) ـــركُ يـــا هــــلالُ ومن فقيـــد ؟
نطليك بـــالأصبـــاغ لـــو نجـــ (م) ـــدُ السبيـلَ إلـى الصعــــود
أنـــا مـن محـــاقك صغـتُ ـــ لا من نـــورك الـــزاهى ـــ نشيـدى
مــــا عـــاد نـــورُك فتنـــةً يغـــرى بـــإنشـــاد القصيـــد
ويثيـــــر أشجـــان الهـــوى والشـــوقِ فى القلب العميـــد[4]
طلع الهــــلالُ فأمطـــرى الـــ (م) دمَ، يـــا سمـــاءُ، على الصَّعيـــد

---

(١) كنى بقوله : « تومىء بالسجود » عن الانهيار .
(٢) غار النجم : هوى .
(٣) يشير إلى : كثرة الغارات فى الليالى المقمرة مهتدية بنور القمر .
(٤) القلب العميد : هو الذى هده العشق .

هـــاتى القـــذائفَ واحـــرمى الْـــ (م) أجفـــانَ من طِيبِ الهجُـــود

عيـــدٌ أطلّ وقـــد تعـــوَّ (م) دْنـــا الإغـــارة كـلَّ عيـــد

عبثت بمصـــرَ؛ فـــروَّعتْـــ (م) ـــها كفُّ شيطـــان مـــريـــد[1]

لـم يَـــرْعَ مـــاضَيهـــا، ولـم يحفِل بحـــاضـرهـــا العتيـــد[2]

بلَـــدُ الشـــرائعِ والهـــدى وكنـــانـــةُ الله الـــودود

قـــرَّتْ بمصـــر خـــلافـــةُ الْـــ (م) إســـلام من عهـــد عهيـــد[3]

ومشـى المسيحُ بهـــا، ومـــو (م) سى فـى ثـراهـــا الطُّهْـــر نـــودى

مـــا ضـــاق ذرعـــا بـــالنصـــا (م) رى رُحبهـــا، أو بـــاليهـــود

***

جبـــارَ رومـــا، خـــاب قبـــ (م) ـــلَكَ كـلُّ جبـــار عنيـــد

مـــاذا أفـــدتَ بمـــا حشـــد (م) تَ من الجيوش على الحـدود؟[4]

أحجمـت فـى ضعـف النَّعـــا (م) م، وصُلْتَ فـى عـــزم الأســـود[5]

يـــا من تحـــدَّى الكـــون حتى خلتُـــه بـــالكـــون يُـــودى

أفهـــذه عقبـى النـــذ (م) يـــرِ وتلك آخـــرة الـــوعيـــد؟

أخـــذتْكُمـــو من جـــانب الـــ (م) سَّلـــوم صيحـــة قـــوم هـــود

فـــإذا الحصـــونُ المـــانعـــا (م) ت بهـــا استحلْنَ إلى لحـــود

وإذا العيـــونُ الجـــاريـــا (م) ت بهـــا استحلن إلى صـــديـــد

---

(١) يشير إلى: موسوليني وغارات الطليان على مصر.
(٢) العتيد: بمعنى الحاضر؛ فهي أشبه بتوكيد لفظي.
(٣) يعدد مظاهر قدسية مصر، التي كانت تقتضي أن تكون القاهرة موضع احترام دولي؛ فلا توجه إليها غارات. ويشير في البيت إلى: استقرار الخلافة الإسلامية بمصر من أيام الظاهر بيبرس.
(٤) المراد: الحدود الغربية.
(٥) كان المنتظر تقديم الصيال على الإحجام، ولكن الواو لا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا.

أحسبتهم أخلَــوا لـك الــــ (م) سّلــوم عـن كــرم وجــود؟[١]
صيْـــدٌ ظفــرتَ بـــه، فلـم تظفَـــرْ بـــه أيـدى الفهـــود
كـــانت بنـــانُك حينمـــا قبضَتْ عليــه بنــانَ خُـــود[٢]
مِثْلُ القنـــافـــذ مُـــذْنُ وا (م) دى النيل شَــائِكــةُ الجلـــود

***

منَّيتَ قـــومَك بـــالــوعـــو (م) د، فـأين تحقيـق الــوعـــود؟
قـــد قمت تختطـفُ الحـــرو (م) ب، ففـزْنَ بـالعُمُـر المـديـد
لـم تمحق اليـــونـــانَ حـــر (م) بُك؛ بـل حبتهم بـالخلـــود[٣]
أشبـــالُ «إسبـــاطـــا» حـــذَوْا فى حـــربهـم حَـذْو الجـــدود
القـــاطعـــون طــريقَكـم كـــالمـــرتقى الصعْبِ الكئـــود
التــــاركـــون الأرضَ مـن دمكـم مُـــوردَّةَ الخـــدود
مـــا بـــال جنـــدك أجفلـــوا فى البيـــد كـالسِّرب الطـريـد؟[٤]
وتـــراجعـــوا كـــالسيْل لـم يقـــدر على دَفْـع السُّــــدود؟
كَلَّفْتَ جيشَــك مـــا تـــريــــ (م) دُ، وَليس جيشُك بـالمـريـــد[٥]
فمشـى يجــرُّ إلـى الـــوغـى أقـــدامَـــه مشْىَ القعيـــد
مشىٌ وئيـــــــد لـم يكـن عنـد الهـزيمـة بـالـــوئيـد
يتســـاءلـــون: عـــلام جــرَّ (م) دْنـــا السيـــوفَ مـن الغمـــود؟
لا يبغضـــــون عـــــدوهـم أو يعــرفـون عــلام عُـودى؟[٦]

---

(١) استولى الطليان على تلك المدينة أولا، ثم انتزعت من أيديهم .
(٢) الخود : جمع خود ـ بفتح وسكون ـ وهى : المرأة الناعمة .
(٣) المراد بـالخلود : خلـود الذكـر الحسن؛ لما أبـداه اليونـان من البطولـة فى حرب الطليان .
(٤) أجفلوا : تفرقوا فزعا .
(٥) يشير إلى : إقحام موسولينى نفسه فى الحرب على غير إرادة شعبه .
(٦) عودى : ماض مبنى للمجهول، ضميره يعود على العدو .

نـــار الحـــروب وَقـــودهـــا حَطـب الضغـــائن والحقـــود

والـــروح يـــوم الـــزحف قـــد تغنى عـن العـــدد العـــديـــد

« الـــرَّيخ » يحسـب أنـــه آوى إلى ركـن مشيـــــــد[1]

فليشهـــــدوا بعيـــونهم أيـن السمـــاع مـن الشهـــود؟

حـــاكيت بـــازيَهم بـــلا ظفـــر ولا نـــاب حـــديـــد[2]

وذهبت تقتنـصُ الطيـــــو (م) رَ فكنـتَ مـن حَبِّ الحصيـــد

لستَ العُقـــابَ؛ وإنمـــا قلَّـــدت تقليـــدَ القـــرود

***

مـــا أقبحَ الأحـــرارَ حـــو (م) لَ «السين» تخضـع للعبيـــد! [3]

والسيـــدَ الحـــرَّ الأبـيَّ (م) زمـــامـــهُ بيـــد المسُـــود!

دخلـــوا علـى الأسـد الشَّـرى وقعـدت أنت على الـوصيـد[4]

حتـى إذا ظفـــروا، رأيـــ (م) ـــت الخيـــر فى تـــرك القعـود

فـدلَفْتَ كـالسِّـرحـان تنهـــ (م) ـــلُ من دم الشعب الشهيـــد[5]

ورجَعْـت رجعـــةَ ظـــافـــر تختـــال فـي وشـى البـــرود

حتـــى كـــأنـــك مَـــنْ رمـــى « مجنـو » ، ولاذ « بسجفـريـد »[6]

مـــا كنت بـــالشَّهـم النبيـــ (م) ل، ولا بـــذى الـرأى الشـديـد

---

(١) يريد بالريخ : الألمان .

(٢) يكنى ببازى الريخ عن : هتلر .

(٣) يشير إلى : اشتراك إيطاليا مع ألمانيا فى احتلال فرنسا .

(٤) الوصيد : الباب .

(٥) السرحان : الذئب . يشير بهذا البيت ــ وما قبلـه ـ إلى عـدم دخول موسولينى الحرب، إلا عندما أشرفت باريس على السقوط .

(٦) « مجنو » : حصون الحدود الفرنسية و « سجفريد » : حصون الحدود الألمانية .

ليثٌ تنـــــــاولَ زاده ورمى بفضلتـــــهِ لسِيـــــد[١]

مَن حكّم الطليــــانَ فى شُمّ أبــاةِ الضيم صيــد ؟[٢]

لـــو كنت وحــدك خَصْمهمْ مــا كنت بــالخصم اللــدود

مـــا زال فى أقـــدامكم من أســرهم حــزُّ القيــود[٣]

***

أو مــاشكــا الأسطـــولُ من طـــول التثـاؤب والـــرقـــود ؟

مـــا بـــالـــه أَلِف الثغـــو (م) رَ كـأنهن ثغـــورُ غيـــد ؟[٤]

وكـــأنـــه لا يشتفـى من ريقهـا العـذب البـرود؟

صَبَتِ البحـــارُ إليـــه من شغـفٍ، وأمعنَ فى الصــدود[٥]

المــاءُ أصبحَ تحتــــه مثلَ الحجـارة فى الجمـــود

قــد بــات يُفـزعـه الصـدى ولـوَ انـه من ضـرب عـود[٦]

ويكـــاد يَصهَـــرُهُ الــدخـا (م) نُ ، كأنمـــا هـــو من جليـــد

وكأن أسطـــولَ العـــدوِّ (م) بكـل أمـــواه وبيــــد

يهـــوِى عليـــه من البحــا (م) ر، أو السهـــول، أو النجـــود

***

أو لم تـــزلْ تصبـــو إلى مجــد القيــاصـرة التليــد ؟

هيهــات! أين المجـــد ؟ فـابْـــ كِ ، كمــا بكت بنتُ الشـريـد[٧]

---

(١) السيد : الذئب .

(٢) الصيد : جمع أصيد؛ وهو من يرفع رأسه كبرا .

(٣) يشير إلى : أن الطليان من عهد قريب كانوا خاضعين لفرنسا .

(٤) الثغور الأولى مدن الشواطىء والثانية أفواه الغيد .

(٥) صبت : مالت .

(٦) الصدى : المراد به الصوت الخفيف .

(٧) بنت الشريد: هى الخنساء . وهى بنت عمرو بن الشريد فالشريد جدها .

مـــا فـــات ليس بعـــائد   أيـن اللحـــودُ مـن المهـــود؟

فـــاذهـب صـريعَ المجـد، أو   عـش عيشَ زهّـــاد الهنـــود

يكفيك مـــا أحـــرزت فى الْــ (م) أحبـــاش من نصـــر مجيـــد[1]

مـــاذا تـــريـــد؟ أتقهـــر الـــ (م) جِنْسَيْـنِ مـن بيض وســـود؟

لقـــد انتصـــرت فلم تكلَّـــ (م) ـــلْ بـــالأزاهـــر والـــورود

زعمـــوك بعتَ هنـــالك الْــ (م) أرواحَ بـــالثمن الـــزهيـــد[2]

حســـدٌ مُنيت بـــه، وهـل   يخلـــو عظيم مـن حســـود؟

***

يـــا شـــاهـــرا لحمـــايـــة الْــ (م) إســـلام سيفَ ابن الـــوليـــد[3]

جـــدَّدت فـى «لـــوبيـــا» سنـــا   بغـــداد في عصـــر «الـــرشيـــد»[4]

وظهـــرتَ فى هَـــذْى الحسيـــ (م) ـــن، وأنـت أشقى من «يـــزيـــد»

هـــلا تـــركت حمـــايـــة الْــ (م) إســـلام لله الحميـــــد؟

وبـــــذلـتَ فـى إنقـــاذ «رو (م) مـــا» مـــا لـــديك من الجهـــود؟

أصليتَ «رومـــا» حَـــرَّهـــا   متـأجِّجـــا صعْـب الخمـــود

«نيـــرون» أنت حفيـــده   لله درُّك مـــن حفيـــــد[5]

أعطـــاك عهـــدا لـم تخُنـــ (م) ـــه، فمـــا أبـــرَّك بـــالعهـــود!

***

---

(١) هذا البيت ـ وما بعده ـ: تهكم بانتصار الطليان على الحبشة .

(٢) ذاق موسولينى الأمرين فى فتح الحبشة ، وهى بلاد قليلة الغناء .

(٣) كان موسولينى يلقب نفسه بحامى الإسلام؛ خداعا للعرب . ابن الوليد: هو خالد.

(٤) يشير إلى: فظائع الطليان فى لوبيا وعملهم على إضعاف روح العروبة والإسلام .

(٥) يشير إلى: الخرافة الشائعة عن حرق نيرون لروما .

شبح الحرب (١)

الدستور ٢٤ من مايو ١٩٣٩م

هو الموت إن قامت على ساقها الحربُ
وإلا، فَحَسْبُ الناس: ما يفعلُ الرعبُ

يلوح لهم فى الصحو والنوم طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب (٢)

فزعنا؛ فلا جفنٌ من الخوف مُطبق
ولا مستقرٌّ فى مضاجعه جنب

ولا أنفَ إلا عالق بكمامة
ولا دار إلا شُقَّ فى جوفها جب (٣)

وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا
بجمر كجمر لا يُشَبُّ ولا يخبو

فيأيها الليثُ المكشر للورى
حنانيك! إما الانصراف، أو الوثب

مطامعُ غَرَّ الغرب ومضُ سرابها
فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب

كأنى بها قامت، وشب أُوارها
وقد جفت الأقلام، وانطوت الكتب (٤)

سفين بلجِّ البحر يرميه مثله
وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب

وبينهما تمشى المنايا كأنها
طيور، وأرواح الأنام لها حبُّ

وغىً: لا الدروع السابغات موانعٌ
أذاها، ولا مُجدٍ بها الصارم العضب (٥)

تثلم حدُّ السيف، وانقصف القنا
وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضرب

كأنى بها ترمى مدافعُها؛ فلا
يطيش لها سهم، ولا مضرب ينبو

---

(١) أنشئت هذه القصيدة فى الفترة التى سبقت نشوب الحرب، والحرب - إذ ذاك - بين اليأس والرجاء.

(٢) دون - بمعنى أقل - : خبر مقدم، والمصدر المؤول: مبتدأ مؤخر

(٣) فى تلك الفترة: كان أشد ما يخافه الناس، ويتخذون له أسباب الوقاية؛ حرب الغاز السام، ويريد بالجب: المخابىء المنزلية.

(٤) الأوار: اللهيب.

(٥) السابغات: الدروع الضافيات، والصارم العضب: القاطع.

تُدمر ما تأتى عليه؛ لوَانها ... تُصوَّب نحو الألب، دُكَّ بها الألب

هى البرق خطافا، هى الرعد قاصفا ... هى الشهب إذ تهوى من الفلك الشهب

فمن كان يصطاد الحمام بنبله ... فإن لنا نبلا يصاد به القطب

كأنى بها والطائراتُ بغازها ... تجود كما جادت بوابلها السحب

يمد إلى الأرواح كفيه خلسةً ... فلا الرأس مقطوع، ولا الدم منصب!

رقيقُ الحواشى لا تكاد تحسه ... وألْيَنُ منه الصخر والمعدن الصلب

له قطرات لا يُبَل بها صدى ... ولا يابس تبقى عليه ولا رطب[1]

إذا انتشرت فى الأفق لم ترع حرمة ... لأنثى، ولا شيخٍ علا رأسَه الشيب

إذا انتشرت فى الأفق تصرع كاعبا ... وتخنقُ أمًّا خلفها طفلها يحبو

لقد شِيب بالسم الهواء؛ فهل تُرى ... يُشَابُ من الأنهار سائلها العذب؟[2]

❊ ❊ ❊

أرى الغربَ يدنو كالفَراش من اللظى ... أللقوم فى إحراق أنفسهم إرب؟[3]

ويا رُبَّ حرب منذ عشرين حجة ... بكل فؤاد من جراحتها ندب[4]

أضرت بحِزبيها وإن تم نصرُها ... لحزب، وقاسى ذلَّ خذْلانها حزب[5]

إذا ما ذكرناها اقشعرَّت جلودُنا ... إذِ الناسُ كالأنعام قوتُهم العشب

وإذْ هم بأكناف الخنادق مالهم ... مضاجع غير التُّرب لو نَفَع الترب[6]

---

(١) الصدى : الظمأ.

(٢) شيب ـ من الشوب ـ: بمعنى الخلط.

(٣) الإرب : المأرب والرغبة.

(٤) الندب : ما يتخلف عن الجرح بعد اندماله، والبيت يشير إلى : الحرب العالمية الأولى . وبين انتهاء الأولى وبداية الثانية نحو عشرين عامًا.

(٥) يريد بالحزبين : المنتصر والمخذول.

(٦) الأكناف : جمع كنف بمعنى الجانب.

يقاسون حرا مالضب بحمله ... يدانِ، وبردا ليس يحمله دُب[1]

وحشو أنوف القوم غازٌ مسمَّم ... وللنار فى أبدانهم مرتع خصب

فيالحروبِ لا يجف لها دمٌ! ... ويالشعوب كلما نهضت تكبو !

أجِدَّكمو يا قوم، طال بنا السُّرَى ... ولم يسترح حينًا من السفر الركب[2]

لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا ... ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب؟[3]

ولو أنفقوا فى الخير ما ينفقونه ... على الحرب، عم الخصب وانقطع الجدب

ولم يَبْقَ طاوٍ ليس يملك قوُتَهُ ... ولم يبق عارٍ ليس يسترُهُ ثوب

* * *

شعوبٌ بعصر النور يفتك بعضها ... ببعض كما يعدو على الحمل الذئب

يُمثَّل بالإنسان فيها، وربما ... أقام قرير العين فى ظلها الكَلْبُ

إذا قنص الليث الغزالة ساغبا ... فما عذر شعب بات يقنِصُه شعب؟[4]

ذنوب الضعاف العاجزين كثيرةٌ ... وما لقوى إذ تحاسبه ذنب

كأنْ ليس بين العالمين شرائعٌ ... ولا خلفهم بعث، ولا فوقهم رب

ولا فى قوانين البرية رحمة ... ولا شىءَ فى الدنيا يقال له: الحب!

ولم يبق معبود سوى القوت وحده ... فكل فؤاد مستهام به صب

عزاءً لنا: أن الحضارة أفلست ... فرونقها زَيْف، ومنطقها كِذْب

إذا ما تمثلتُ الحضارة، خلتها ... لباةً لها جوف، وليس لها قلب

سل العلماء الفاخرين بعلمهم: ... أجاءوا بنور العلم أم نارَه شَبوا؟

---

(١) الضب: حيوان يعيش فى الصحارى، ومن أمثالهم: « حر يذيب دماغ الضب » والدب حيوان يعيش فى المناطق الباردة، وليس لى بهذا الأمر يدان، أى: لا أطيقه.

(٢) أجدك: بفتح الجيم أو كسرها؛ فإن كسرت فقد استحلفته بحقيقته، وإن فتحت فقد استحلفته بحظه.

(٣) الإدلاج: سير الليل.

(٤) ساغبا: جائعا.

تقـــدم فن المـــوت أىَّ تقـــدم		وسـار بطيئـا عـاشـرَ القـدم الطب

فظـــائع لم يحلم أوائلنـــا بهـــا		فياليت شعرى: ما الذى يضمر الغيب؟

فسحقًا لعصـر النور، سحقا لأهلـهِ		فكـلُّ بنى حــــواء دأبهم السلـب

كــذلك شأن النـاس من عهـد آدمِ		تبـاينت الأشكـال، واتحـد اللُّب[1]

وحسب بنى حــواء عيبـا حـروبُهم		إذا لم يكن غيـر الحـروب لهم عيب

---

(١) لب الشيء: قلبه وصميمه.

ثغر لا يتبسم[1]

الرسالة فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٩م

الشط داج، والسكون مخيمُ ... ما بالُ ثغر الثغر لا يتبسمُ؟

عهدى به طلقًا صبيحَ الوجه إذْ ... وجهُ الطبيعة عابس، متجهم

غمر الظلامُ البحر، حتى أوشكت ... فى الليل تخشى أن تطلَّ الأنجم

فكأن أرواحا « بوارسو » أزهقت ... فأقيم فى مصرٍ عليها مأتم[2]

البحر يغمره الظلام، فياله ... من عليم يطغى عليه عيلم![3]

لا نورَ فى الآفاق إلا أن ترى ... طيارة قد طاردتها أسهم[4]

أو طيف مصباح بدا وكأنه ... يخشى من الغارات؛ فهو ملثم(٥)

نورٌ كنور النجم خلف الغيم أو ... كهلال يوم الشك خافٍ مبهم

ولقد نظرت إلى المنار فما انثنى ... طرفى. وهل يثنيه جسم معتم؟[6]

قد عُطل المصطاف من سماره ... وانقض من قبل الأوان الموسم

---

(١) يريد بالثغر : مدينة الاسكندرية. وقد أنشئت هذه القصيدة فى مبدأ الحرب، بعدما أطفئت أنوار المدينة.

(٢) وارسو : عاصمة بولندة ومنها انبعثت الشرارة الأولى، التى أوقدت نار الحرب.

(٣) العيلم : البحر.

(٤) يريد بالأسهم : الأنوار الكاشفة التى تطارد الطائرات.

(٥) فى ذلك العهد : طليت المصابيح بالألوان القاتمة.

(٦) يشير إلى : تعطيل منار الإسكندرية.

أقـوت مسـارحـهُ، وأغطش ليلـه! | لا راقص فيـه ، ولا متـرنم[1]
قـد كـان يحيى الليلَ فيـه معشـر | فتثاءبـوا عنـد الغـروب وهـوّمـوا[2]
أين المـلاح على مـلاعب سِيفـه | وكأنهـن بـه طيـور حـوم؟[3]
جيش مـن الآرام كـان مـرابطـا | مـا بـالـه من غيـر حـرب يهـزم؟
هـذى عـروس البحـر أم أنـا حـالم؟ | مـا بـالهـا ليست كمـا أتـوهم؟
مـا ساهمت فـى الحـرب إلا أنهـا | بـالصمت عن هـول الحروب تترجم
لكأن هـذا الصمت بيـن مسـامعى | طلقـات أفـواه المـدافع تهـزِم[4]
البحـر كم أغـرقت فيـه لـواعجى | واليـوم مـا بـالى بـه أتبـرم؟
كم كنـت أغشـاه، فـأنسى عنـده | نفسى، ويسبـح بى الخيـال وأحلم
دنيـا يفيض بهـا السـرور، وعـالم | مـرح، وجـو بـالسعـادة مفعم

---

(١) أقوت: خلت، وأغطش: أظلم.
(٢) التهويم: بدء النوم.
(٣) سيف البحر ـ بكسر السين ـ: ساحله.
(٤) هزيم الوعد ونحوه: دويه.

عصبة الأمم[1]

الرسالة فى ١١ من مارس سنة ١٩٣٥م

ويحى على محكمـــة الســلام

محكمـــةٌ لكن بـــلا أحكـــامِ[2]

للَّهــــو، لا للنقـض والإبـــرام

ســابحـــة فى عـــالم الأحـلام

والسيف يبـرى الهـام كـــالأقـلام

ألـم تــر العصبــة فى المنــام[3]

تحــرّش الــذئاب بــالأغنـام؟

«رومـــا» تهــز صفحــة الحسـام

وشَفَتَـــا «جنيفَ» فـى ابتســـام

إنْ رضىَ القـــاضى عـن الإجـــرام

فـإنـــه أولَى بـــالاتهـــام

ويحٌ لحـــام من أخيـــه ســـام![4]

يـــا ســودُ، مـــا أنتم مـن الأنـــام

***

---

(١) أنشئت هذه الأرجوزة عند تحرش إيطاليا بالحبشة سنة ١٩٣٥م.

(٢) محكمة السلام: هى المحكمة التابعة لعصبة الأمم، التى كانت تتولى الفصل فى المنازعات الدولية.

(٣) الهام: جمع هامة وهى: الرأس.

(٤) ليس المراد: أن الطليان من أبناء سام؛ بل المراد: ويل للأخ من أخيه.

يـــا جيــــرةَ الهضـــاب والآكـــام
وســـــاكنى الـــذروةِ من شِمـــام[١]
لا فضل إلا بـــالحـــديـــد الـــدامى
فـــالحقُّ فـى أسنـــــة السهـــام
لستم تنـــالـــون بـــالاحتكـــام
مـــا نـــالـــه « منليـك » بـــالصمصـــام[٢]
هم يخـــدعـــون النـــاس بـــالأوهـــام
متى استطـــاعـــوا الفصل فى خصـــام؟
أيـــومَ فتـك التـــرك بـــالأروام؟
أم يـــوم رُوِّعـت ربـــوعُ الشـــام؟[٣]
أم يـــومَ دِيسَ الصِّيـن بـــالأقـــدام؟
وهـــدَّدت «طـــوكيـــو» بـــالانقســـام؟[٤]
فـــآثَـــرُوا الصمت على الكـــلام؟
مـــا للضعيف فـى الـــورى من حـــام
لـــولا نيـــوب الأســـد الضـــرغـــام
لكـــان مـن فصيلـــة النَّعـــام
ولاستبيحـت حـــرمـــةُ الآجـــام

(١) شمام : جبل معروف .
(٢) منليك الثانـى : ملك الحبشة الذى انتـزع استقلال بـلاده من أيدى الطليـان بحد السيف .
(٣) يشير إلى : حرب مصطفى كمـال مع اليونان ، وإلى تنكيل الفرنسيين بسـوريا ـ إذ ذاك ـ على مرأى من العصبة .
(٤) يشيـر إلى : حـروب اليابـان مع الصين وتهـديـد الأولى بالخـروج من العصبـة إذا تدخلت فى الأمر.

جنـــازة الســـلام ![1]

الرسالة ٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٥م

أرأيت إذ وُلـــد الســـلامْ فنَـــوْه من قبل الفطـــامْ؟
وضعتـــه « أوربـــا » لنـــا يـــاليت «أوربـــا» عُقـــام!
طفلٌ بـــــرىءٌ ذاق مـــن يـــد أمِّـــه كـأسَ الحِمـــام
لهفى عليـــه ممـــزَّق الْـــ (م) أَوْصـــال منتثـــر العِظـــام!
عَصَفت بـــه ريحُ الـــوغى عصفًـــا وغطّـــاه القتـــام[2]
فمضى شهيـــدًا؛ مـــالـــه قبـــر يُـــزار ولا مَقـــام
ليس السَّـــلام بســـائدٍ مـــا دام فى الـــدنيـــا حُطـــام
مـــا النَّـــاسُ إلا النـــاسُ فى عصـــر الضيـــاء أو الظـــلام
سيّـــان: مَنْ سَكـن القصُـــو (م) ر الشُّـمّ، أو سكن الخيـــام[3]
بســـوى الـــدم المسفـــوح لا يَـــرْوى لظـــامئهم أوام[4]
وأَحَـبُّ مـــا وقعَـتْ عليـــ (م) ـــه عيـــونهُم جُثَثٌ وهـــام[5]
وهـــــو ابـن آدم ينتشـى من حُمـــرة الـــدَّم والمُـــدام
الـــذئبُ كـــالإنســـان لـــو يتعلـم الـــذئبُ النظـــام
فكـــلاهمـــا وحش حـــد (م) يـــد النـــاب يلتمس الطعـــام
سيّـــان عنـــد الفتـك: نـــا (م) بُ اللَّيـث، أو حـــدُّ الحســـام
قـــالـوا: الســـلام. فقلت: مـــا (م) عـيَّ اللســـان عـن الكـــلام

---

(١) أنشئت عند نشوب الحرب بين إيطاليا والحبشة سنة ١٩٣٥م.
(٢) القتام: الغبار.
(٣) سيان: تثنية سواء على غير قياس، والشم: جمع أشم، بمعنى مرتفع.
(٤) الأوام: العطش.
(٥) هام: جمع هامة وهى الرأس.

وتعــــاهـــدوا؛ فسألتهُـمْ: مــا حــدُّ من خَفَـرَ الـذِّمـام؟

أبغصـن زيتــون يجــا (م) زَى أم بصَـارم الانتقــام؟[1]

قــالــوا: السَّــلام. فقلـت: كم قــد حــارب الــرسُـلُ الكـرام

لا «الفــاتكــان» من الحــرو (م) بِ نجــا، ولا البيـت الحــرام

قــد كــانت الخلفــاء تُصْــ (م) لَـبُ بين زمــزمَ والمقــام[2]

كـلٌّ يشيــر إلـى الســلا (م) م بعيــن ذئب لا تنــام

وأمــامَــه أسطــولُــه ووراءه جيـش لهــام[3]

فقــد المهنَّــد عــرشَــهُ والمُـلكُ ليـس لــه دوام

نــار وغــاز فــاتـك بــدلَ الأسنــة والسِّهــام

شبحُ المنيــة جــاثمٌ فــوق الميــاه أو الــرَّغــام[4]

أو فـي السمــاء مــرفـرِفٌ بجنــاحــه مثلَ الحمــام

❊ ❊ ❊

جبَّــارَ «رومــا»، ســوف تلــ (م) ــبس تــاجَ «قيصرَ» فـي المنام[5]

أتــريــد ــ ويحك ــ أن تــؤخــ ــر أهـلَ جيلك ألـفَ عــام؟

ولَّـى زمــانُ القيصــريَّــ (م) ــة والقيــاصــرة العظــام

أو مــا رأيت الحكْـم بــا (م) ت الآن فـي أيــدى الطَّغــام؟[6]

ولقــد مشيت القهقــرَى ومشى الــزمــانُ إلـى الأمــام

أئذا صفــا جــوّ الســلا (م) م زفــرتَ؛ فــانتشــر الغمــام؟

رحمــاك! هل تشكــو إليــ (م) ــك الأرضُ من هَــول الـزحـام؟

---

(١) يشير فى هذا البيت ـ والبيتين السابقين له ـ إلى: أن فكرة السلام لا يمكن تحقيقها بدون الالتجاء إلى الحرب نفسها.

(٢) يشير إلى: حادثة مقتل الخليفة عبد الله بن الزبير وصلبه.

(٣) جيش لهام: أى كثير العدد.

(٤) الرغام: التراب.

(٥) يريد: موسولينى

(٦) طغام الناس: ضد عليتهم.

لم تخبُ نـــارُ الفتنـــة الـــــ (م) ـــكُبرى وجُـــرْحُ الكـــون دام[1]
ولقـــد تحـــدَّيْتَ الأنـــا (م) م ؛فكنت سخـــريَـــة الأنـــام
أســـرفتَ ويحك فـــاتئـــد ماذا جنى أبنـــاء حـــام؟[2]
لا تحْسَبنَّ مـــــرابضَ الآ (م) ســـاد سهلـــة الاقتحـــام[3]
هــــذى معـــاقلهم فمن لك بـــالبـــواذخ من شمـــام؟[4]
هـــا هم خصـــومُك حـــول شـــ (م) طِّ «المنش» إن رمت الخصـــام[5]
القـــابضـــون على « جنيـــ (م) ـــفَ » ورَهْطِهـــا مثلَ الســـوام[6]
قـــالـــوا: الحصـــارُ؛ فـأذعنَتْ « والقـــولُ مـــا قـــالت حـــذام »[7]
أخَـــذوا على «رومـــا» المســـا (م) لـــك فهْـى فى ضيـق المســـام
عجبى على بـــــاغ يقـــو ل لمن بَغـى : هـــذا حـــرام![8]
استعمـــــروا فتلثّمـــــوا وخـــرجت مكشـــوفَ اللِّثـــام
رمْـتَ التنمـــــــر مثلهـم فظهـــرت فـى ريش النعـــام
شـــرٌ «بـــرومـــا» طـــار، يـــو شك أن يكـــون لـــه ضـــرام
الشعـب هُـــدِّد بـــالطـــوَّى والجيشُ بـــالمـــوت الـــزؤام[9]
يتســـاءل الأقـــوام: هـل «نيـــرونُ» بعـد المـوت قـام؟[10]
زعـــزعـت أركـــان الســـلا م، فـــذق مـــرارة الانهـــزام!

---

(١) يريد بالفتنة الكبرى : الحرب العالمية الأولى
(٢) يشير إلى : ما تشير إليه الخرافة من أن الأحباش وغيرهم من السوادن من نسل حام بن نوح .
(٣) مرابض : جمع مربض وهو المأوى أو المبرك .
(٤) البواذخ من شمام : أى القمم المرتفعة من هذا الجبل المعروف .
(٥) يريد : الإنجليز.
(٦) يريد بجنيف ورهطها : عصبة الأمم .
(٧) يشير إلى : حصار الطليان الذى أشارت به انجلترا على العصبة ؛ فنفذته .
(٨) يندد بالانجليز ؛ الذين يعيبون على إيطاليا ما هم واقعون فيه من الاستعمار.
(٩) الموت الزؤام : هو المجهز.
(١٠) يشير إلى : خرافة حرق نيرون لروما .

في الاجتماع

ثورة على الحضارة

الرسالة ٢٥ من فبراير سنة ١٩٤٥م

ذَرَعْتُم الجــوَّ : أشبــارًا وأميـــالاَ　وجُبْتم البحـر : أعمـاقًا وأطـوالاَ [١]

فهل نَقَصْتم همــومَ العيش خـردلــة　أو زدتمــو فى نعيـم العيش مثقــالا؟

صـرعى الهواء وصـرعى المـاء قد كثـروا　وراكب الخيل جـرّ الذيل مختـالا [٢]

العيسُ أَلْيَنُ ظهــرا من مــراكب إنْ　جَنَبْنَ هـولاً، فقـد قـرَّبن أهـوالا [٣]

تسنمَ القــوم غَـرْبَ الجــو وانطلقـوا　كأن للقــوم فى الأفـلاك آمــالا [٤]

أقسمتُ، لـو دنت الأفـلاك طـائعـةً　فنــالهـا المـرءُ، لم يقنعْ بمـا نــالا

❊ ❊ ❊

إنى أرى النــاسَ مــا زادوا رفــاهيــةً　فى العيش ، زادوه تعقيـدًا و إشكـالا

كم هــان أمــرٌ فقلَّــدنـاه طــائفــةً　من الحـواشى وحمَّلْنَــاه أثقـالا [٥]

---

(١) ذرع الشىء : قاسه بالذراع.

(٢) يكنى بالمصراع الأول عن : أخطار الطائرات والسفن.

(٣) العيس : الإبل.

(٤) الغرب : الظهر.

(٥) من ذلك : عملية تناول الطعام مثلا؛ فهى فى ذاتها عملية طبيعية بسيطة، ولكن إذا نظرت إلى «الإتيكيت» المتبع فى المآدب الرسمية وما إليها، وجدت هذه العملية البسيطة قد استحالت مشكلة معقدة غاية التعقيد.

تجـاوَزَ العُـرفُ والعـادات حـدَّهُمَـا ... فأصبحـا فى رقـاب النـاس أغـلالا

يـا طـالمـا حـدَّثتنى النفسُ قـائلـةً: ... أنحن أنْعَـمُ أم أجـدادُنـا بـالا؟

كـانت حيـاتهمـو تُضْفى بسـاطتُهـا ... عليهمـو من هـدوء البـال سربـالا

كم للمحـاكم أحكـامٌ يقـومُ بهـا ... فى البـدو فيصَلُـهُ، والقـول مـا قـالا

لا الحقُّ ضـاع إذا مـا عَىَّ مِـدْرَهُـهُ ... ولا تـرقُّبُ يـوم الفصـل قـد طـالا[1]

قـدَّرتُمُ الـوقت تقـديـرَ الشحيح بـه ... فكـدتمـو تمْـلأُون الليلَ أعمـالا

أتْخَمتُم الوقتَ بـالأعمال، ويحكمو ... هـلا أضفتـم إلى الآجـال آجـالا!

❊ ❊ ❊

تحضـر النَّـاس حتى مـا لمكـرُمـة ... قُـدسٌ لديهم، ولكن قـدسوا المـالا

فى كـل مملكـةٍ حـربٌ منظمـة ... تضم جيشين: مُـلَّاكـا وعمـالا

يـد السيـاسـة بـالأخـلاق قـد عبثت ... وقوَّض العلم صرح الـدين فانهالا[2]

البـدو أكـرمُ أخـلاقـا، وأحسبَهُم ... للَّـه أكثـرَ تقـديسـا وإجـلالا

قـالوا: تألق نُـور العلم. قلت لهم: ... بل نـاره أصبحـت تـزداد إشعـالا!

عهـدُ الحسـام بفضـل العلم قـد دَرَسَت ... آثـارُهُ وزمـانُ الـرمح قـد دالا[3]

يـا رُبَّ حربٍ بغيـر العلم ما اتَّقَـدتْ ... ورُبُّ جيشٍ بغيـر العلم مـا صـالا

فى المـاء والجـو آلات مسخـرَّة ... تصـوِّر المـوت ألـوانـا وأشكـالا

---

(١) المـدره: المحامى. ينعى فى هـذا البيت على القضـاء المتحضر من نـاحيتين: «الأولى»: تعـرض حـق الفقيـر للضيـاع إذا لم يستطـع أن يـوكل محاميـا لسنـا «الثانيـة»: التراخى فى الفصـل بكثرة التأجيل الـذى طالما أضـاع على ذى الحق حقه، بل ربما أضاعه على ورثته أيضًا.

(٢) من المعلـوم: أن رجـال السيـاسـة أبعد مـا يكـون عن الصـدق والصـراحـة، وأن الفلاسفة المتبحرين فى العلوم أقرب الناس إلى الزيغ والالحاد.

(٣) درست: عفت وأنمحت، ودالت الأيام: دارت وانقلبت.

لنـــا جـــرائمُ لم يسبقْ بهـــا زمنٌ بـاتت تُـزلـزل ركنَ الأمن زلـزالا [1]
كم وضَّحَ العلمُ منهـاجًـا لمختلِسٍ وبـات يحمـى من القـانـون مغتـالا

***

ابنُ الحضـارة جسمٌ دون عـاطفـةٍ يكـاد يحسَبُـهُ رائيـهِ تَمثـالا
وبـرقُهـا خُلَّبٌ، يغـريك بـارقُـهُ حتى إذا شِمتَـهُ ، ألفيتَـهُ آلا [2]
رسالةُ الغـرب ــ لا كـانت رسالتـهُ ـ كم سامنا بـاسمها خسفًا و إذلالا [3]
وصـوَّرتْـهُ لعين الشـرق أمثلـةً عليـا، وصـوَّرنـا الـرحمن أمثـالا
تغـزو الحضـارة أقـوامًـا لتُسعـدهُمْ والـزَّنجُ أسعـدُ من أربـابهـا حـالا

***

هى الطبيعـة ، مـا بـرَّ الأنـامُ بهـا أمَّـا ؛ وبـرت بهم مـن قبل أنجـالا
هل تَشْهَرون عليها الحـرب ـ ويحكمو ـ وكم طـوت قبل هـذا الجيل أجيـالا؟
عـودوا إلى حجـرها إن شئتمـوا رغـدًا كمـا نشأتُمْ بهـذا الحجـر أطفـالا
صـوتُ الهـزار وصـوت العـود أيُّهمـا أشجـاهُمـا أثـرًا فى النفس فعـالا؟
أقسمتُ، مـا نظرت عينـى بحاضـرةٍ كالـرَّمل أصفرَ ، أو كالمـاء سلسالا

---

(١) يشير فى هـذا البيت ـ ومـا بعده ــ إلى : الأساليب العلميـة الحديثـة، التى يتبعها اللصوص والسفاكون فى البلاد المتحضرة .
(٢) بـرق خلب أى : خـداع، شـام البرق : راقبـه ليعـرف متى يصـوب، الآل : بمعنى السراب .
(٣) سامـه الذل : حمله إيـاه، يشير فى هـذا البيت إلى استبعاد الشعوب بحجـة نشر الحضارة بين أهلها .

إذا نظـــــرتُ إليكـم من ذرًا جبـل لاحت قصـــوركم الشَّمـــاءُ أطـــلالا

يا ربَّ قصـرٍ له شمس الضحى طنُفٌ بين العيـون وبين الشمس قد حـالا [1]

يَـــودُّ ســـاكنــه لـــو كـــان منطلقًـــا كالـذئب يسكن أَحْراَجًـا وأدغالا [2]

قودوا البخـارَ وسوقوا الكهربـاء؛ فما زلتمْ بأســـرار هـــذا الكـــون جُهَّـــالا

لكم حيـــاةٌ ومـــوتٌ كـــان ســـرُّهمـــا من عهـــد آدَمَ مستـــورًا، ومـــا زالا!

* * *

(١) الطنف : ما أشـرف خارجـا عن البناء والسقيفـة فوق البـاب، والمصراع الأول من البيت : كناية عن رفعة القصر وسموه.

(٢) الأحـراج : جمع حرج ؛ وهـو : المكان الضيق الكثيـر الشجر، والأدغـال: جمع دغل؛ وهو: الشجر الكثير الملتف.

المـــادة

الرسالة ٤ من نوفمبر سنة ١٩٣٥م

فتَّشْتُ بين النـــاس عن زاهـــدِ ... فلم تقعْ عينى على واحـــــد

مـــا أزْهَــدَ المـــرءَ إذا لم يجِـدْ ... وأبعــد الــزهــدَ عن الــواجـد![1]

لا يُـــزْهَ إنســـانٌ بــآدابـــه ... أو يفتخـــر بـــالسلف البـــائد

المجـــد: إمـــا سطـــوةٌ، أو غنًى ... مـــا العـاجـز المعدم بـالمـاجـد

فقيمـــةُ الشعــب ـــ إذا قستَهـــا ـ ... بقيمـــــة الصـــادر والــــوارد

وقيمـــة الفـــرد بمـــا يملك الــــ (م) ... فـــردُ من الطـــارف والتـــالـــد

كـم طفلـــةٍ أودعَ مـن هـــــرةٍ ... حـــوَّلهـــا الجـــوعُ إلـى مـــارد!

قـــد يُحسـدُ المـــرءُ على رزقـــهِ ... ولا أرى للخُلْق مـن حـــاســد[2]

لم يفتَتِـنْ بـــالمكــرمـــاتِ امــرُؤٌ ... والغـــانيـــاتُ فتنـــةُ العـــابـــد

العلمُ والأخـــلاقُ مـــا قُـــدِّســا ... إلا لنفــع منهمـــــا عـــــائد

لا يــردَعُ التـــاجـــرَ عـن غشِّـــه ... مثلُ اتقـــاءِ المتجـــر الكـــاسـد[3]

لم يَختـــر النـــاسُ ديـــانـــاتِهم ... بل أخـــذوا بـــالمـــذاهب الســـائد

ليس جمـــالُ الطبـــع فى غـــادة ... مثلَ جمـــال اليـــد والســـاعـــد

يـــا زاعمَ العفـــة فـى حبِّـــه ... مـــا تبتغى من كـــاعب نـــاهـــد؟

لـم يتـقِ الله امـــــرُؤٌ للتقـى ... بل لنعيـم الجنَّـــة الخـــالـــد

---

(١) ليس المراد : ما أزهد الفقير الذى لا يجد. بل المراد: ما أكثر دعواه الزهد.

(٢) يقابل فى هذا البيت ـ وما بعده ـ بين: الجمال المعنوى والجمال المادى المحسوس، ويبين : أن الناس عبيد الثانى لا الأول.

(٣) يشير فى هذا البيت إلى: أن الفضائل نفسها كثيرًا ما يكون الباعث عليها ماديا.

تيَّمَتِ النـــاسكَ حـــوريــــةٌ ذاتُ قـــــوام أهيفٍ مـــــائد

تسقيــه كـأســا حُلْـــوَة الطعم من خمــــر الجنـــان الشَّبِمِ البـــارد[(١)]

لــولا جمــالُ الحـــور، مــا لامَسَتْ أرضَ المصَّلى جبهـــةُ الســاجـــد

هل كنت تلقى فـى الـورى ســاعيًا لــو كــان يسعى الـرزق للقــاعـد؟[(٢)]

سيَّـــان: مـن يسعى إلى قُـــوتِـــهِ بــالسلب، أو بـــالـــورع الـــزائد

كم لحيـــةٍ أجـــدى على ربِّهـــا من ألـف سهم بيـــد الصـــائد

جُـــرحُ يـــد المــــرء لــــه قـــائدٌ ومـــا لجـــرح العـــرض من قـــائد[(٣)]

كم مجـــرم يقتـل روحـــــا، ولا يُجــزى جزاءَ القـــاتل العــامــد[(٤)]

قــــد يُتــــرك الأولادُ من جهلهم صــرعى ولا حــدّ على الـــوالـــد

صاحِ، دع الـروحَ، ودع قُـدسَهـا نحن عبيـــد الجسـد الفـــاســد!

---

(١) الشبم: بمعنى البارد؛ فما بعدها بمثابة توكيد لفظى.

(٢) يقول: إن المادة هى التى تسير دولاب الحياة، وإليها يرجع ما فى العالم من سعى وحركة.

(٣) قائد ـ من القود ـ: بمعنى القصاص، يشير إلى: أن القوانين نصت على عقوبات الجرائم الحسية، وتركت كثيرًا من الجرائم المعنوية بدون قصاص.

(٤) هذا البيت ــ وما بعده ـ بمثابة شرح البيت السابق، يشير إلى بعض الجرائم المعنوية التى لا يعاقب عليها القانون.

مجد الإسلام:

وقفة على طلل ! (١)

الرسالة ١٥ من إبريل سنة ١٩٣٥م

مـالى وللنجـم يـرعـانى وأرعـاهُ؟ أمسى كلانا يعافُ الغمضَ جفناهُ (٢)

لى فيكَ ـ يـاليـلُ ـ آهـاتٌ أردِّدُهـا أوّاهُ لـو أجْـدت المحـزونَ أواه!

لا تحسبَنِّى محبًّـا يشتكـى وَصبًـا أهْـونْ بما فى سبيل الحب ألقاه! (٣)

إنى تـذكـرتُ ـ والـذكـرى مُـؤَرِّقَـةٌ ـ مجـدًا تليـدا بـأيـدينـا أضعنـاه

أنِّى اتجهت إلـى الإسـلام فى بلـد تجدْهُ ـ كـالطير ـ مقصوصًـا جناحاه

ويحَ العـروبة! كـان الكونُ مسرحها فأصبَحـت تتـــوارى فـى زوايـــاه

كم صـرفَتْنَـا يـدٌ كنّـا نصـرِّفهـا وبـــات يملكنـــا شعـبٌ ملكنـــاه

كم بـالعراق، وكم بالهنـد ذو شجنٍ شكـا؛ فـردَّدَت الأهـرامُ شكـواه !!

بنى العمـومـةِ، إن القُـرحَ مسّكمـو ومسَّنـــا. نحن فـى الآلام أشبـــاه!

يـا أهل «يثـرب»، أدمت مُقْلَتَىَّ يـدٌ بـدريـةٌ تسأل المصـرىَّ جـدواه (٤)

الـديـنُ والضـادُ من مغنـاكـم انبعثا فطبَّقَـا الشـرقَ: أقصـاه، وأدنـاه

لسنـا نمـدّ لكـم أيمـاننـا صلـةً لكنمـــا هـــو دَيْـن مـــا قضينـــاه

***

(١) أنشئت فى استقبال العام الهجرى الموافق للتاريخ المشار إليه.

(٢) عاف الشىء: كرهه.

(٣) الوصب: الوجع.

(٤) يثرب: اسم من أسماء المدينة. وفى ذلك التاريخ كانت تجمع التبرعات من مصر والعالم العـربى لفقراء المدينة. وفى قـوله بدرية: إشارة إلى أن هـؤلاء أحفاد أهل بدر.

هل كـان دِيُن ابنِ عـدنانٍ سـوى فلق ... شق الـوجـود، وليلُ الجهل يغشـاه؟[1]

سل الحضارة ـ ماضيها وحاضرها ـ: ... هل كـان يتصلُ العهـدان لـولاه؟[2]

هى الحنيفـةُ عينُ الله تكلـؤهـا ... فكلمـا حاولـوا تشـويهها شاهـوا[3]

هل تطلبـون من المختـار معجـزةً؟ ... يكفيـه : شعبٌ من الأجـداث أحيـاه

مَنْ وحـد العـرب حتـى كـان واتـرهم ... إذا رأى ولَـدَ المـوتـور آخـاه؟

وكيف كـانوا يـدًا فى الحرب واحـدة ... مَن خـاضهـا بـاع دنياه بأخـراه؟

وكيف سـاس رعـاةُ الإبْل مملكـة ... مـا سـاسَهَا قيصرٌ من قبلُ أو شـاه؟

وكيف كـان لهـم علم وفلسفـة؟ ... وكيف كـانت لهم سُفْن وأمـواه؟

سنُّوا المسـاواة : لاعُـرْبٌ، ولا عجَمٌ ... مـا لا مـرىء شـرفٌ إلا بتقـواه

وقـرَّرتْ مبـدأ الشـورى حكـومتُهم ... فليس للفـرد فيهـا مـا تمنـاه

ورحب النـاسُ بـالإسـلام حين رأوْا ... أنَّ السـلام وأن العـدل مغـزاه

يـا من رأى عُمـرًا : تكسـوه بـردتُـه ... والـزيتُ أدْمٌ لـه، والكـوخُ مأواه؟

يهتـز كسـرى على كـرسيِّه فـرَقًـا ... من بأسـه وملـوكُ الـرومِ تخشـاه؟[4]

* * *

سل المعـالـىَ عنـا، إننـا عَـرَبٌ ... شعـارُنـا : المجـدُ؛ يهـوانـا ونهـواه

هى العـروبـة، لفـظ إن نطقت بـه ... فـالشرق، والضاد، والإسـلام معنـاه

استرشـد الغربُ بالمـاضى، فأرشده ... ونحن كـان لنـا مـاضٍ نسينـاه

إنـا مشَيْنـا وَرَاءَ الغـرب نقبس من ... ضيـائه؛ فـأصـابتنـا شظـايـاه

* * *

---

(١) الفلق : ضوء الصبح.

(٣) تعتبر الحضارة الإسلامية حلقة الاتصال بين الحضارة اليونانية القديمة، وبين الحضارة الأوربية الحديثة.

(٣) الحنيفة : يعنى بها الشريعة الإسلامية ؛ من الحنف بمعنى الاستقامة. تكلؤها : تحفظها.

(٤) فرقا : خوفا.

بالله، سل خلف بحر الروم عن عرَبَ … بالأمس كانوا هنا، واليوم قد تاهوا![1]

فإن تراءتْ لك الحمراء عن كَثَب … فسائل الصرحَ: أين العز والجاه؟[2]

وانزلْ دمشق، وسائل صخر مسجدها … عمن بناه، لعل الصخر ينعاه[3]

وطُف ببغداد، وابحث فى مقابرها … علَّ أمرأً من بنى العباس تلقاه

هذى معالم خرسٌ؛ كلُّ واحدة … منهنَّ قامت خطيبًا فاغرًا فاه[4]

إنى لأَشْعُرُ — إذ أغشى معالِمَهم — … كأننى راهبٌ يغشى مُصلاه[5]

الله يعلم، ما قلّبتُ سيرتَهُمْ … يومًا وأخطأ دمعُ العين مجراه

أين الرشيد وقد طاف الغمام به … فحين جاوز بغدادًا تحداه؟[6]

مُلْكٌ كملك بنى «التاميز»، ما غَرَبت … شمسٌ عليه، ولا برقٌ تخطاه

ماضٍ تعيش على أنقاضه أمَمٌ … وتستمدُّ القوى من وحى ذكراه

لادر درُّ امرىء يُطرى أوائله … فخرًا، ويُطرق إن ساءلته: ما هو؟[7]

***

ما بال شمل شعوبِ الضاد منصدعا؟ … رباهُ، أدركْ شعوب الضاد، رباه!

عهد الخلافة فى البسفور قد درست … آثارُه، طيب الرحمن مثواه! [8]

---

(١) يشير إلى: عرب الأندلس.
(٢) الحمراء: الأثر الأندلسى المعروف. عن كثب: عن قرب. والصرح: البناء العالى، ويريد به: الحمراء.
(٣) يريد بالمسجد المسجد الأموى.
(٤) معالم: آثار جمع معلم، وفغر فاه: فتحه
(٥) غشى المكان: أتاه.
(٦) يشير إلى: ما يؤثر عن الرشيد؛ من أنه رأى سحابة فخاطبها قائلا: أمطرى حيث شئت؛ فسوف يأتينا خراجك.
(٧) لادر در فلان دعاء عليه. والدر اللبن.
(٨) يشير إلى: سقوط الخلافة التركية على يد مصطفى كمال. درست: عفت، وانمحت. المثوى: المقر، ويراد به هنا: القبر.

تـاج أغـرّ على الأتـراك تعـرضـه ... مـا بـالنـا نجـد الأتـراك تـأبـاه؟

ألم يـروْا : كيف فـدّاه معـاويـةٌ ... وكيف راح علـىٌّ من ضحـايـاه؟

غـالَ ابنَ بنت رسـول الله ، ثم عـدا ... علـى ابن بنـتِ أبى بكـر فـأرداه[1]

لمـا ابتغى يـدَهـا السفاحُ ، أمهـرهـا ... نهـرًا من الـدم فـوق الأرض أجـراه

مـا للْخـلافـة ذنبٌ عنـد شـانئهـا ... قـد يظلـم السيفَ من خـانتـه كفـاه[2]

الحكمُ يسلسُ بـاسم الدين جـامحه ... ومن يـرمُـهُ بحـد السيـف أعيـاه

يـا ربَّ مـولى لـه الأعنـاقُ خـاضعـةٌ ... وراهبُ الـدَّيـر بـاسم الـدين مـولاه

إنى لأعتبـرُ الإسـلام جـامعـةً ... للشـرق ، لا محضَ ديـن سنـهُ الله

أرواحنـا تتـلاقى فيـه خـافقـةً ... كـالنحل إذ يتـلاقى فى خـلايـاه

دستـورهُ الـوحى ، والمختـارُ عـاهلـهُ ... والمسلمـون ـ وإن شتـوا ـ رعـايـاه

لا هُمَّ ، قـد أصبحت أهـواؤنا شيعـا ... فـامنُنْ علينـا بـراع أنت تـرضـاه![3]

راع يعيـد إلـى الإسـلام سيـرتَـهُ ... يـرعى بنيـه ؛ وعيـنُ الله تـرعـاه

---

(١) يريد بالأول : الحسين ابن بنت الرسول ، وبـالثانى : عبد الله بن الزبير؛ أمه أسماء بنت أبى بكر. أرداه : أهلكه .

(٢) شانئها : مبغضها .

(٣) أصبح القوم شيعا : تفرقوا .

المهاترات الحزبية:

معترك السباب! (١)

اللواء الجديد ٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٥م

سَكن الحســـامُ إلى القـــرابِ ... وأقيـم معتـــركُ السِّبـــابِ [٢]

تـــرك النسُـــورُ مكـــانهـم ... لطنين أجنحـــة الـــذبـــاب [٣]

وخـــلا المجـــالُ لكل صـــوَّ (م) ال بـــــلا ظفـــر ونـــاب

قـــومى نِعَـــامٌ فـى الحـــرو (م) ب ، وفى التنـابـز أسْد غـاب [٤]

يتـــراشقـــونَ بكـل مُنْـــ (م) دِيـــة كمسمـــوم الحـراب [٥]

الشمـلُ محلـــولُ العـــرَا ... والصُّحْفُ حـاســرة النقـــاب

والشـعــب ينـدُبُ ـ قـائــلا ـ : ... هـــذا النضـالُ على حســـابى !!

* * *

تهـمٌ تُصَـبّ ، كـأنهـــا ... غيـثٌ تـــدفّق من سحـــاب

ليست روائحهـــا كـــريح ... الـــزهـــر أو ريح المـــلاب [٦]

لـــو أُلقيتْ وَسَـط العُبـــا (م) ب ، لعكـرت صفْـــو العبـــاب

اليـــوم تنظـــر مصـــرُ قـــا (م) دتَهـــا بمقلـــة الارتيـــاب

---

(١) أنشئت عندما اشتدت المهـاترات الصحفيـة ، وتفاقم تنـاحـر الأحزاب ، وظهـر الكتابان : الأسود والأبيض .

(٢) قراب السيف : غمده . والمصراع الأول : كناية عن انتهاء الحرب .

(٣) المراد بالنسور: الطيارون .

(٤) التنابز: التعاير ، والتداعى بالألقاب .

(٥) يتراشقون : يترامون .

(٦) الملاب : نوع من الطيب .

عِيبَ المبـــــرأ منهمـــــو ورَمى ســــواه بـألف عـــاب[1]
إنْ يكــــذبــوا فى الاتهـــا (م) م، فحسبهُـم عـــارُ الكِــذاب
أو يصــدقــوا فيـــه فيـــا لله مـن هَـــوْل المصـــاب!
غُضُّـــوا الحــديث، فلستمـــو يـــا قـــومُ فـى أرضٍ يبَـــاب[2]
أســـراركم سَـــربتْ إلى جيـــرانكم من كـل بـــاب
وحـــديثكُم يتلـــوه نَـشءٌ (م) طـــاهـــرٌ غضُّ الإهـــاب[3]
حـــربُ الخَنـــا والفُحْش فـــا رسُهـــا العيىُّ عن الجـــواب[4]

❊ ❊ ❊

الثـــورةُ الكبـــرى التـى جـــدنـــا لهـــا بـــدم الشبـــاب
مـــا بـــالهـــا انقلبت مـــوا (م) ئدَ للطعــــام وللشـــراب؟
أمست مســـارح للظهـــو (م) ر، وأصبحتْ ســـوقَ اكْتســـاب
لا در درُّ الحكــــم؛ كـــم دس المعـــاطس فى التـــراب[5]
الكـلُّ حيـن يَشمُّ رِيـــــ (م) ـحَ الحكـم سيـــالُ اللعَـــاب
حـــزبـــان: ذاك علـى أرا (م) ئكـــه، وذلك فـى ارتقـــاب[6]
قـــالـــوا: أراد الشعــبُ، قلـــ (م) ـتُ: الشعبُ مظلـــوم الجنـــاب
ولقـــد تكشـف بـــارق الــــ (م) ـــدُ ستـور عن ومْضِ السّـراب[7]

---

(١) العاب: العيب.
(٣) غضوا الحديث: أى اخفضوا أصواتكم.
(٣) غض الإهاب: طرى الجلد.
(٤) الخنا: الفحش.
(٥) لادر دره: دعاء عليه. والدر: اللبن. المعاطس: الأنوف.
(٦) الضمير فى أرائكه: ضمير الحكم، والأرائك ـ جمع أريكة ـ وهى: السرير أو كل ما يتكأ عليه.
(٧) ومض السراب: لمعه.

خلت العهـــودُ، فـأيُّ عهــــــ (م) ـــد لم يكن عهــد انقـــلاب؟
أيـن الــــــذي ولـىَ الأمــــو (م) رَ، فلـم ينكـلْ أو يحــــاب؟
إنـــا جعلنـــا الحكم عنـــ (م) وان المثـــوبـــة والعقـــاب

* * *

إنـى أرى حـــــزبيَّـــــةً هـوجـاءَ طـائشـة الصـوابِ[1]
رَمَـت الأقـــارب بِــــالشتــا (م) ت، وفـــرَّقت بيـن الصحـــاب
سَقَـت البــــلاد بكفهـــا كـأسين: مـن سم، وصـــاب[2]
حـــزبيَّـــة قـــامت على أُس مـن الشهَـــوَات نـــاب
حـــارت وحـــار رجـــالهـــا بيـن المـــروق والانتســـاب
ومـن المبـــادىء مـــا يبـــدَّ (م) لُ مثـلَ تبـــديـل الثيـــاب

* * *

القـــوم طـــال سكـــوتهُـم والصخـرُ يـومـىءُ بـالخطـاب[3]
أيقـــال: أبطـــالُ الحمـى وضعـوا المطـالب فى العيـاب؟[4]
وتمخضـتْ عـــزَمـــاتهُـمْ عن قصـــة الملـح المـــذاب؟
وطـــوت مقـــاليـــدُ الأمــو (م) رِحمـــاسَهم طـى الكتـــاب؟[5]
الشـــرقُ يـــركـضُ نحـــو غـــا (م) يتــــه، ووادى النيـل كـــاب[6]
أيـن الـــذى طلـبَ الجـــلا (م) ء وراح يصـــدُقُ فـى الطـــلاب؟
غـــابَ المطـــالب بـــالحقـــو (م) ق، ولـجَّ فى طـــول الغيـــاب
فى وقـت تقـــريـــر المصيــــــ (م) ـرِ، وَوَقتِ تحـــريـــر الـــرقـــاب

(١) الهوج: الحمق. (٢) الصاب: شجر مر.
(٣) يومىء: يشير. كانت تلك الفترة فترة ركود فيما يتعلق بالمطالب القومية.
(٤) العياب: جمع عيبة وهى ما يشبه الحقيبة.
(٥) مقاليد الأمور: مفاتيحها. الفرد: مقلاد بمعنى مفتاح.
(٦) يركض: يجرى بسرعة. وكاب: عاثر.

فـــاروقُ، يـــا زيـنَ الشبـــا (م) ب، وشبـل آســـاد غضـــاب
مهمـــا تفـــرقت الشّعـــا (م) بُ، فـأنت مُجْتَمَـعُ الشعـــاب
أنـت المـــؤمَّل فـى الخطـــو (م) ب، المـــرتَجَى عنـــد الصعـــاب
أدرك بحكمتـك السفيـــــــــ (م) ـــنةَ؛ فـــالسفينـــةُ فـى اضطـــراب
الـــريـح تجـــرى زعـــزعًـــا والمـــوج يعلـــو كـــالقبـــاب
إن الـــــرعـــاة تفـــرقـــوا ويـح القطيـع مـن الـــذئاب !

في المولد النبوي :

ذكرى محمد[1]

الرسالة ١٧ من يونية سنة ١٩٣٥م

هـو عيدُ ميلاد ابن عبدِ منافِ   لا عيـدُ مختـرع ، ولا كشّـافِ

أكبرتُ قدرك - يا بن عبد الله - عن   تـأليف أوزان ، ونحتِ قـوافِ

مـا أنـت إلا عَيْلَمٌ لم يُكتشفْ   يطغى بلجتـه على الـوصّاف[2]

بحـر خضمّ ، غيـرَ أن جُمانَـه   مـا زال سرًا داخل الأصداف[3]

لـولاك لانقطع الـزمـان ؛ فلم تكن   حلقـاتُـه مـوصـولـة الأطـراف

دجت القـرونُ ؛ فقـام دينُك حـارسًا   يحمى ذمـار حضـارة الأسلاف[4]

***

هـزّ الـوجـودَ بكفـه فى مهـده   طفلٌ يتيمٌ من كنـانـةَ عـاف[5]

جـادت بـه الفلـواتُ أصفى طينـةً   وطـويـةً من جـوِّهن الصـافي

وأشـدَّ مـن خضبـاتهن صـلابـة   وأهبَّ من إعصـارهن السـافى[6]

فإذا الأكـاسـر خـاضعـون لحكمـه   وإذا القيـاصـرُ مـرغمـو الآنـاف

---

(١) أنشئت فى مولد الرسول المقارب لهذا التاريخ .   (٢) العيلم : البحر.

(٣) بحر خضم : أى واسع .

(٤) دجت : أظلمت . الذمار: ما تجب حمايته . يشير - فى هذا البيت وما قبله - إلى : أن الحضارة الإسلامية حلقة الاتصال بين الحضارتين : اليونانية القديمة والأوربية الحديثة .

(٥) العافى : الفقير.

(٦) الإعصار السافى : الريح الشديدة الهبوب .

فتحت مبادئُه الحصونَ أمامهُ ... قبل الصوارم والقنا الرعَّاف[1]

غزتِ القلوبَ بسحرها ؛ فكأنها ... قد لامست منهن كل شَغَاف[2]

أين الذى يغزو القلوب من الذى ... يغزو الرقاب بحدَّة الأسياف؟

تلك المبادىء - وهى شتى - جُمِّعتْ ... فى مبدأين : الحقِّ، والإنصاف

* * *

آخى ابنُ عبدِ الله بين معاشر ... يتناحرون تناحُر الأخياف[3]

لانت قناتهمو لدعوته، وما ... لانت قناتهمو لغمز ثقاف[4]

ولقد يروض الأسْدَ رائضُها، ولا ... يتغيرُ الطبعُ الغليظ الجافى

هذا هو الإعجاز، لا بحرٌ، ولا ... قمرٌ قد انشقا إلى أنصاف

آىٌ من الذكر الحكيم أتى بها ... فإذا القلوب تَلِينُ بعد جفاف

ولوَ ان ألفَىْ دوحة سجدا له ... ما كان ذلك بالدليل الكافى

عجبا! أجاء محمد بالسحر فى ... آياته أم شابها بسُلاف؟

أم كان تنويما خضوعهمو له ؟ ... ما ذلك السرُّ العميقُ الخافى؟

أقسمتُ، ما كان النبىُّ محمدٌ ... بمشعوذ، كلا، ولا عرَّاف[5]

لكنه الإيمان من يظفرْ به ... يلق المفاوز سهلة الأكناف[6]

لوْ يرزقُ الإيمانَ طودٌ، لارتقى ... بقوادم من ريشه وخواف[7]

---

(١) الرعاف : أى الذى يقطر دما.
(٢) شغاف القلب : غطاؤه.
(٣) الأخياف : هم الأخوة؛ أمهم واحدة، وآباؤهم شتى
(٤) الثقاف : آلة كانت تستعمل لتقويم الرماح المعوجة.
(٥) المشعوذ : خفيف اليد الذى يأتى أعمالا تشبه السحر.
(٦) المفاوز: جمع مفازة وهى المكان غير المأمون. والأكناف : جمع كنف بمعنى الجانب.
(٧) قوادم الطائر: ما ظهر من ريشه وخوافيه ما إذا ضم جناحيه لم يظهر.

هــذا الــذى جعل النبىَّ ورهطَــهُ إن حاربـوا ، انتصروا علـى الأضعاف
يــزداد فى ســاح الــوغى إيمــانهم فيقــابلـون المـوت بـاستخفـاف
يُستضعَفـــون لقلـــةٍ، لكنهـم بـوثــوقهم فى الله غيــرُ ضعــاف
فإذا دُعـوا للحـرب، هبـوا، أو دعـوا للمــال، عفُّــوا عنـه أىَّ عفــاف

قم ســائل الأعــراب: أيــةُ دولــة نهضـوا بهـا حمــلا على الأكتـاف؟
بــذت « أثينـا » فـى الحضـارة أمــةٌ لم تأوِ غيــرَ مضــارب وفيــاف [1]
شُغلـــوا بفلسفـــة وعلـم بعـــدمــا شغلـوا بــوصف منــازل وأثــاف [2]
تَخـذوا القصـور مساكنًـا وتسـرْبلـوا بـالخـزِّ ، لا الأوبــار والأصـواف [3]
فإذا الجـزيــرةُ بعـد جــدْب جنــةٌ ميَّــاســةٌ مهتــزةُ الأعطـــاف [4]
يــا رب أسطـــول بنـــوهُ كـأنـــه بحــرٌ خضمٌّ فــوق آخـرَ طــاف
السوقـة الأجلاف قـد حكموا الـورى أنعم بحكم السوقــة الأجـلاف! [5]
ما شئـت من: عدل، وتسويـة، ومن شــورى؛ فيــا لثـلاثــة أحـلاف!

* * *

يــا شـرقُ، يا مهـدَ الشـرائع، رحمــةً لك !مـا لأهلك فيـك كـالأضيـاف؟
يــا شــرق، أنت لكـل شمس مطلعٌ ما بــال أفقك حالـكَ الأسداف؟ [6]
أعـــزز علينـــا أن نــراك تئـن من تقييـــد أقــدام وشـــد كتـــاف!
بـدأت من الشـرق الحضارة سيـرهـا أفمــا لــرحلتهــا مـن استئنـاف؟

---

(١) أثينا: المـراد بها: حـاضرة اليـونان القـديمة. والمضـارب: الخيام. والفيـافى: الصحارى.
(٢) الأثافى: جمع أثفية وهى : الحجر توضع عليه القدر ، والمراد : وصف الأطلال، والرسوم، وما إليها فى أشعارهم.
(٣) الخز: نسيج ناعم كالحرير.
(٤) مياسة: متثنية. الأعطاف : جمع عطف ؛ وهو: الجانب.
(٥) السوقة: عامة الناس.
(٦) الأسداف: الظلمات.

أنصاف رجال (1)

الرسالة ٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م

شبابَ النيل، يا زين الشبابَ ... ويا أشبال آسادٍ غضابِ
معي: عتبٌ أوجهُهُ إليكم ... وقد تصفو المودة بالعتاب
أرى منكم فريقًا حين يمشي ... يحكُّ بأنفه ظهر السحاب
كليث الغاب في صلف وتيه ... وما هو في القِرَاعِ بليث غاب (٢)
لزهْر النَّرد قد خلقت يداه ... وليست لليراع، ولا الكتاب (٣)
تفنَّن في محاكاة العذارى ... وخالفَهُنَّ في وضع النقاب
وأرسل شعرهُ المضغوط، يحكي ... وميض البرق، أو لمع الشهاب
تداعبُهُ الصَّبا فيموج موجًا ... كما هب النسيمُ على العباب (٤)
له حلَلٌ تحاكي الطيْف لونًا ... بأزرار من الذهب اللباب (٥)
وفيها جسمه انصبَّ انصبابًا ... فما تدري الثياب من الإهاب (٦)
وليس بمُحْكم عملا شريفا ... ويحكم وضْعَ أربطة الرقاب
ولا يخشى على شيء، ويخشى ... إذا ثار الغبار على الثياب
إذا خاطبتَهُ في غير لِينٍ ... تأوَّه، أو تنهَّد في الخطاب

---

(١) أنشئت هذه القصيدة؛ بمناسبة تغالي بعض الشبان، في التأنق تغاليا يصل إلى الحد الذي ينقلب إلى الضد.
(٢) الصلف: الكبر وهو من صفات الأسد
(٣) ضمير ليست يعهود إلى: «يداه» وهو استعمال مألوف عند العرب؛ قال الشاعر:
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني؛ فعيناي تهمل
(٤) الصبا: ريح الصباح.
(٥) الذهب اللباب: أي الخالص.
(٦) الأهاب: الجلد.

وإن أربى على العشــــرين منهـم فتى، أمس يغـالـط فى الحسـاب[1]

وكم مـن لِمَّــة فى مصــرَ شــابتْ ولم تنفكَّ عن دعــوى التصـابى [2]

وإن يَخْلـل فتــــاهـم قلب أنثـى يحلَّ هنـــاك بـالـــركن الخـــراب

فلن تــرضـاه كـالطـاووس شكــلاً ولكن كـــاســـرًا مثل العقـــاب

وكم ضـــاق الجمـــالُ بطـــالبيـــه وأُوذِىَ بـــالتَّجمـل والخضـــاب!

فقل للغـــاصبيـن الحسنَ : مهْـــلا منى نيل الجمـــالُ بـالاغتصـاب؟

إذا الـــذئبُ استحـال بمصـر ظبيًـا فمن يحمـى البـلاد من الـــذئاب؟

بـــرئتُ من الفتى يبـــدو، فتبـــدو عليـــه نعـومـــةُ البيض الكعـاب!

---

(١) أربى : زاد.

(٢) اللمة : مجتمع الشعر عند الأذن.

تجـــار العقـــائد (1)

الأهرام ٢٣ من يونية سنة ١٩٣٣م

خَطَــــــرٌ تغلغـل فـي الحمـى	بـــاسم المسيح ومـــريمـــا
إنـي أعيـــذُ عُـــرا المــودّ (م)	ةَ بيننـــا أن تُفصمـــا[2]
مَـن عَق مصـــرَ، يعـقُّ أحـــ (م)	ــمَد والمسيحَ كليهمـــا
أكبـــرتُ عيسى أن يكـــو (م)	ن إلـى المطـــامع سلَّمـــا
فلطـــالمـــا نَشَـــر الســلا (م)	مَ، وبـــاسمـــه جَـرَت الـدِّمـــا

❊ ❊ ❊

الــدينُ مثـلُ العـــرض، لا	نـــرضى لـــه أن يُثلمـــا[3]
حَـــرَمـــان، لا سلِمَتْ حيـــا (م)	ةُ المــــرء إن لم يسلمـــا!
أفتجـــرحـــونَ شعـــورَنـــا	فيـــه ولا نتـألمـــا؟
هيهـــات نسمحُ للــدخيـــ (م)	ـــل عليـــه أن يتهجمـــا!
قـــد تخســـرون المسلميـــ (م)	ـــن إذا كَسَبْتم مسلمـــا
لا يخـــدعَنّكم امـــرُؤٌ	فى دينـــه قـــد سُـــووِمـــا
هـــو تـــاجـر بـــالـديـن، يســـ (م)	مَحُ حين يـــربـح درهمـــا
إن ينتفـع بيســـوع، غنـى	بـــاسمـــه، وتـــرنمـــا
أو ينتفـعْ بمحمـــــد	صلَّى عليـــه وسلَّمـــا

❊ ❊ ❊

---

(١) فى سنة ١٩٣٣م : استشرى خطر التبشير فى مصر، حتى كاد يؤدى إلى فتنة عمم؛ فأنشأ الشاعر هذه القصيدة.

(٢) فصم العروة : قطعها.

(٣) ثلم الأناء : كسر من جانبه.

كم ضمّدوا جرح الجريـ (م) ـح إذا الجريح تألمَّا
من بعد ما نفثوا السمو (م) م بعقله فتسمَّما
يُغرونَ بالمال اليتيـ (م) ـمَ، ويفتنون المعدما
ويعلّمون ليجذبوا من شاء أن يتعلما
ما ضرَّ لو لم يمزجوا بالسمُّ هذا البلسما؟
لو يفعلون الخير محـ (م) ـضًا كان ذلك أقْوما (1)

❊ ❊ ❊

خلوا الأنام على عقا (م) ئدهم، وإن عبدوا الدُّمى
الدينُ ما ضمن الهدا (م) ية كان دينا قيِّما
دين المسيح كدين أحـ (م) ـمد لا يؤيِّد مجرما
سيَّان من بالشام قدَّ (م) س أو بمكة أحرما
الكل فى الفردوس يطـ (م) ـمع أو يخاف جهنما
ما حرَّم الإسلام حلاً (م) أو أباح محرَّما
دينٌ محا جهلا على شبه الجزيرة خيَّما
ردَّ الخيامَ مقاصرًا وبنى وشاد ودعَّما (2)
وبنى المدائن حول دَجـ (م) ـلةَ والفرات فأحكما
واجتاز بحر الرُّوم فى قرن وجاب القُلزُما (3)
ونما النا شعبا من الـ (م) ـبدو الجفاة منظّمًا
أقصى ملوكَ الفرس والـ (م) ـر ومان عن عرشَيْهما

---

(1) المحض من كل شيء: الخالص منه
(2) المقاصر: جمع مقصورة وهى الغرفة. البناء: معروف، وبنى: غير شاد وغير دعم، فشاد البناء: أى طلاء بالشيد وهو الجص، ودعم البناء أى: ركز له ما يسنده.
(3) بحر الروم والقلزم: هما البحران الأبيض والأحمر.

وأضـــاف مــــا بيــــديـــه من أدب إلــى أدبيهمــــــــــا
وروَى عـن اليــــونــــان للــــ (م) جيل الحـــديث وتـــرجمــــا

* * *

هل تـــرجعـــون إلى الـــورا (م) ء إذا الـــزَّمـــان تَقــدَّمـــا؟
عصـــر التعصُّب قــد تقلَّ (م) صَ ظلـــه وتصــرَّمـــا[1]
لا تبعثـــوا من لحـــده هـــذا الـــزمـــانَ المظلمـــا
أيـــامَ كـــان المـــرء بـــاســـ (م) ـــم الـــدين ربَّـــا منعمـــا
بـــاسـم الصليب أو الهـــلا (م) ل على الـــرقـــاب تحكمـــا
الله فـــوَّضَـــهُ؛ ليعـــ (م) ـــدل فى الـــورى أو يظلمـــا
وحبــــاه جنَّتـــه؛ ليُعــــ (م) ـــطىَ من يشـــاء، ويحــرمـــا
الآن قـــد بـــرئت عيـــو (م) نُ النـــاس من هـــذا العمى
فليستـــرحْ من بـــالبيـــا (م) ض أو الســـواد تعمَّمـــا
قضت العلـــوم على الخـــرا (م) فـــاتِ القضـــاءَ المبـــرمـــا

---

(١) قلص الظل: انحسر وتلاشى.

قومى بين الشرق والغرب [1]

الرسالة ١٧ من مارس سنة ١٩٣٩م

قــومى، لأنتم عبــرةُ الأقــوامِ — هل تنسبـون ليـافثٍ أو سـامِ؟ [2]

أبنـاءُ عمى من نـزارَ ويعـربٍ — ليســوا بـأعـراب ولا أعجــام

يتـرسَّمون الغـربَ حتى يُـوشكـوا — أن يعبـدوه عبـادة الأصنـام [3]

مـا قلـدوهم مبصـرين؛ وإنمـا — تَبِعُـوا نظـامَهمـو بغيـر نظـام

للغـرب عـاداتٌ مسّممـةٌ، سـرت — فى الشرق مسرى الداء فـى الأجسام

إنى رأيـت جيـوشـه لم تغـزُنـا — فى الحـرب، بل فـى مشـرب وطعـام

لا تأمنـوا المستعمـريـن؛ فكم لهم — حــربٌ تَقنَّـع وجهُهــا بســلام

حـربٌ على لغـة البـلاد وعـادِهـا — ليست تُشَـنُّ بمـدفع وحسـام [4]

والشعب إن سَلمت لـه أخـلاقـه — ولسـانـه، لم يخْشَ قطع الهـام [5]

مـا صـاغَ ربك من نضـار خـالص — شعبًـا، وشعبًا من حصى ورغـام [6]

هى محضُ أوهـام! أعيذ الشـرق من — أمـم تعيش أسيــرة الأوهـــام

إنى أعيــذ الشــرق مـن متَمسِّح — بـالأجنبِّى، لقـومــه هــدَّام!

---

(١) يعنى الشـاعر ـ فى هذه القصيـدة ـ على بعض الشرقيين افتتـانهم بكل ما هـو غربى، وعلى من يتعلمون فى أوربا تنكرهم لأوطانهم بعد عودتهم إليها.

(٢) يشير إلى: ما تشير إليه الخرافة من: أن العرب من نسل سام بن نـوح، والفرنجة من نسل يافث.

(٣) ترسمه: اقتفى أثره.

(٤) العاد: جمع عادة.

(٥) الهام: جمع هامة وهى الرأس.

(٦) النضار: الذهب. الرغام: التراب.

إن لامه الغربيُّ فى أوطانه | أنحى بلائمه مع اللُّوَّام
وإذا رنا نحو الغريب، فإنما | يرنو بمجْهَر راصِد الأجرام(١)
وإذا أعار بنى أبيه نظرة | فبمقلة الأعمى أو المتعامى
والعين تخدَعُ ربَّها، ولربما | خلقت عمالقة من الأقزام(٢)
وإذا تنكَّر للحمى أبناؤه | فهمو أضرُّ له من الأخصام

* * *

ما بالُ بحرِ الروم من يجتازُهُ | يوما تناسى سالفَ الأيام؟
فإذا به خَلقٌ جديد ما مضى | من عمره حُلمٌ من الأحلام
تتغير الدنيا عليه؛ فكلُّها | فى عينه نقصٌ بغير تمام
هل تغرق العاداتُ من أربابها | فى ذلك البحر الخِضَمِّ الطامى؟ (٣)
ما اجتاز شرقىٌّ عجاجة موجه | إلا وَعَاد مزودا « بمدام »
إن التكافؤ فى الدماء فريضةٌ | ولوَ انها لم تأت فى الأحكام
وهو القران إذا تخالف أهلُه | جنسا، فعقدته لغير دوام
كم زيجةٍ ما زال يدمَى جرحها | ومن الجروح: ذوابلٌ ودوامى!

* * *

لا أعرفُ العربىَّ يكشفُ رأسه | نحو المجالس مُومئًا بسلام(٤)
إنْ زِيرَ، تَخْرجُ عِرسُهُ من دُونِهِ | للزائرين بثغرها البسام(٥)
بدوارس الأطلال يُلحقُ أمَّهُ | ويرى أباه رابعَ الأهرام(٦)

---

(١) المجهر: المنظار المكبر، والمراد بالأجرام: الأجرام السماوية.
(٢) العمالقة: جمع عملاق، والأقزام: جمع قزم؛ وهما ضدان؛ الأول: الطويل، والثانى: القصير.
(٣) الخضم؛ الواسع. والطامى: الفياض الممتلىء.
(٤) مومىء: اسم فاعل من أومأ بمعنى أشار.
(٥) زير: ماض بنى للمجهول بمعنى زاره زائر، والعرس ـ بكسر العين ـ: الزوجة.
(٦) دوارس الأطلال: الآثار البالية، ورابع الأهرام: كناية عن العتق والقدم.

يعصى الإلـه، فإن أشـارت عِـرسُـهُ بإشـارة ، فـالقولُ قـولُ « حـذام »[1]
ويكـاد يسلـخ نفسـه من قــومـه لــو تستطــاع قطيعــة الأرحــام
ويكـاد يمسخ خلقـه، لــو كـان فى يمنــاه قَلْبُ معــالم الأجســام

***

لا أعــرف العــربى يلــوى فكّــه إن همَّ يــومـــا فكُّـــه بكـــلام
إن فـاه، تسمعُ لكنـةً ممقــوتـة من فيـه « سكســونيَّـةَ » الأنغـام
لفظـا من الفصحى، وآخـرَ نـابيـا كـالقـار ممـزوجـا بكأس مُـدام
لغـة إذا قــرَعَت بجنــدل لفظهـا أذنَ السميـع ، شكـت مـن الآلام
لهفى على الفصحى! رمـاهـا معشرٌ من أهلِهَـــا . شَلَّت يمينُ الــرامى
لم يهتــدوا لكنــوزهــا ؛ فإذا همــو يــرمــونهــا بــالفقــر، والإعـدام
الـــدر فـى طىِّ البحـــور مخبـأ والتبـرُ ـــ إن تنشـدْهُ ـــ تَحْـت رغـام
لن يستعيـد العُرْبُ سـالف مجـدهم ولسـانهـم غـرضٌ لكل سِهَـــام[2]
إن يــرفعــوا مــا انقضَّ من بنيـانهم فـــالضـــادُ أولُ حـــائطِ ودعـــام

***

أبنى نــزارَ ويعــربٍ، أوصيكمــو بــذخيــرتين : الضـادِ، والإسـلام
المسلمـون ـــ على شتـات ديـارهم ـ فـرضَ الإلـهُ خضــوعهم لإمـام[3]
الله بـــالجمعـــات وحّـــد بينهم وبحجِّ بيـت فى الحجــاز حــرام
دين ابـن عبـــد الله دينٌ بـــاسمـــه قبض الـرشيــدُ على الـورى بـزمـام
هـــو دولــةٌ كبــرى، وملكٌ شـــامخٌ لا محضُ تكبيــرٍ، ومحـضُ صيــام

***

---

(١) « القول ما قالت حذام » : مثل مشهور ، يضرب لمن لا يعارض له قول.
(٢) غرض السهام : هدفها.
(٣) يشير فى هذا البيت وما بعده إلى : ما فرضه الإسلام على أتباعه من مظاهر الوحدة، التى تكون منهم دولة ذات قوة ومنعة، وإلى أن الإسلام ليس دينا لاهوتيا محضا.

إن يُـزهَ شـرقيٌّ بغيـر العُـرْب من — أجـداده الأتـراك ، والأروام

فأنـا الفخـورُ بأننـي : لا ينتمي — للغيـر أخـوالـي ، ولا أعمـامي

إن تسألـوا عني : إلى مـن أنتمي؟ — فإلـى رعـاة النـوق والأغنـام

أبغيـر مجـد بني نـزارَ ويعـربٍ — يُـزهى عـراقيٌّ ، ويفخـر شـامي؟

الديمقـــراطية [1]

مجلة دار العلوم يناير سنة ١٩٤٣م

اليـومَ : لا قيصـرٌ يطغى ، ولا شـاهُ ... لكل شعب رعــاةٌ من رعـايــاهُ (٢)

ليس الـــولاةُ بأربـــابٍ مصغَّـــرةٍ ... يا رب مـولى سوادُ الشعـب مولاه (٣)

القـوُم فى مجلس الشُّورى سـواسَيـة ... وَالعـدلُ يأخذ بيـن القوم مجـراه (٤)

أبصـرتُ عـاملَهم فى صف عـاهِلِهِمْ ... لا حــانيًـا رأســهُ أو مطبقًـا فــاه

إن الحكـومــة فى شتَّى مظـاهـرهـا ... خَلْقٌ تُصَـــوِّرُهُ للشعـب كفــــاه

* * *

الشعب كـالجسم ؛ مــا للجسم من أرب ... فى الرأس إن هو لم تحمله رجلاه (٥)

للناس فـى الفلك والطاووس مـوعظة ... كلاهما خــيرُ ما فيــه ذُنــاباه (٦)

---

(١) هذه إحدى القصـائد الظافرة ، فى المسابقـة التى نظمتها الإذاعة البريطـانية سنة ١٩٤٢م.

(٢) القيصر: لقب ملك الروم قديما والشاه : لقب ملك الفرس ؛ وهما مضربا المثل فى الدكتاتورية والاستئثار بالأمر.

(٣) جملة : « سواد الشعب مولاه » ، فى محل رفع خبر.

(٤) يريد بمجلس الشورى : المجلس النيابى .

(٥) يقول: إن كل عضو فى الجسم ـ كبرت قيمته أم صغرت ـ يؤدى وظيفته ، والشعب كذلك ، والأرب بمعنى : البغية .

(٦) ذنابى : ذنَب . يـدافع الشاعر عن الطبقـة الوضيعة فى المجتمع ، ويشبهـا بذنب السفينة وهو خير ما فيها ، أو بذنب الطاووس وهو أبدع ما فيه .

البحر يثلجُ صدرى عند غفوته ... إذا تساوت بسطح البحر أمواه

كم زُيِّنَ اسمٌ بألقاب مكدَّسة ... وقد تجرَّد من زَيْن مُسمَّاه

شر الورى: عَقِبٌ، أطغاهمو لقبٌ ... إذا سألتهمو، قالوا: ورِثناه!

يتيه بالفضل ذو فضل فأمقته ... ما بال قوم بأسلاف لهم تاهوا؟

***

من قسَّم الناس أجناسا: فذاك له ... مجدٌ، وذلك لا مجد ولا جاه؟

من قسَّم الدَّمَ: هذا آسِن كَدِرٌ ... وذاك من نفحات المسك ريَّاه؟ (١)

أبناءَ آدمَ، ما تلك الفوارقُ؟ هل ... منكم له ابنٌ، ومنكم من تبناه؟

لم يخلق الناسُ من در ومن خزف ... الناس - مهما عَلَوْا - للنَّاس أشباه

لا تُغلِ نفسك أو ترخص أخاك، فقد ... سوَّاك ربك من طين وسواه

ولا تقل: هذه أنثى وإن ضعفت ... أما تدبِّرُ مُلْكَ النحل أنثاه؟

***

خير الحكومات: ما الشورى دعامته ... وما أقيم على الدستور مبناه (٢)

حكم تَنَزَّه؛ لا يرمى إلى غرض ... فى النفس؛ لكنّ محض الخير مرماه

أرسى قواعده شعبٌ له خُلُقٌ ... ذو صولة تتحدَّى من تَحَدَّاه(٣)

إن كان للفرد فيه مأرب، وقفت ... روحُ الجماعة ضدَّ الفرد تنهاه

ضَعُوا مقاليَد أمر الشعب فى يده ... ما صرَّفت أمرَهُ يمنى كيمناه(٤)

يطيبُ نفسا إذا التوفيق حالَفَهُ ... ولا يلوم إذا التوفيق أخطاه

قد يُلحقُ الخيرَ بى غيرى فيُسخطنى ... وتُلحق الشرَّ بى نفسى فأرضاه

***

---

(١) أسن الماء: تغيرت رائحته. والريا: الرائحة الطيبة.

(٢) الدعامة: ما يستند عليه الجدار.

(٣) يشير - فى هذا البيت - إلى: أن صلاحية الدساتير وحدها لا تكفى؛ بل لابد من شعوب ساهرة؛ تقف المعتدى عند حده.

(٤) مقاليد: جمع مقلاد وهو المفتاح.

قـالوا : النيـابة شـرٌّ. قلتُ : ربَّ أذًى نـرضـاه دفعـا لشـرٍّ منـه نخشـاه [1]

مَنْ يطلبِ الخيـر محضًـا عزَّ مطلبُـهُ فإنمـــا فطـرةُ الأشيـــاء تأبـــاه [2]

يـا رُبَّ مُلـك بنتـه كفُّ طـــاغيـــةٍ تحصى النجومُ ، ولا تُحصى ضحاياه

دم الضحـــايـــا طـلاءٌ فى جـوانبــه وهـــامُهمْ لَبِنَـــاتٌ فى زوايـــاه

لا يسلُم الحكـمُ للجبــار فـى وطن إلا إذا بـات مقصـوصًا جنـاحـاه [3]

حكم إذا ســاد، لـم يُسمع لمنتقـدٍ صوت، ولم يفض ذو شكوى بشكواه

الشعب يبقـى ويبقى مجـدُ دولتِـــهِ ودولـــة الفـــرد تُنْعى يـــومَ منعـــاه!

---

(١) لا يسلم الحكم النيابى من المساوىء ، وكثيرًا ما وجهت إليه الانتقادات، ولكنه أخف الضررين. قال بعض الحكماء : ليس الحازم من يعرف الخير من الشر، بل الحازم من يعرف أهون الشرين.

(٢) محضا : خالصا.

(٣) الضمير فى جناحاه : يعود على الوطن.

آمـــال وآلام !! (1)

الدستور ٢٠ من إبريل سنة ١٩٣٦م

شُقَّ الفضـــاءَ بنـــورك المتجـــددِ ... يا ليـت شعرى: ما تخبىءُ فـى غدِ؟

ولقـــد مضى عـامٌ عـــرفتُ صروفـــه ... وعييتُ بـــالغيب الـــذى لم يـوجـد

رصدوا النجوم، ورحت أرصد شيخها ... شيخَ النجوم الـزُّهْر، علَّك مـرشدى!

يَا ابْنَ الظلام، أمـا تعبتَ من السُّرى؟ ... أبـــدا تـــروحُ على الأنـــام وتغتـــدى

شيَّبت نـــاصيـــة القـــرون ولم تـــزل ... طفـــلا، تُطـــالعنـــا بـــوجـــهٍ أمـــرَد

تمضى الحيـــاةُ، فلا تعـودُ إذا مضت ... وأراك تختتم الحيـــاةَ وتبتـــدى (2)

حتَّامَ تضـرب فى الـديـاجى هـائمًـا ... تهدى الأنـام ولا إخالـك تهتدى؟ (3)

رقـــد الأنـــامُ خليُّهم وشجيُّهـم ... وظلِلْتَ وحـــدك ساهـــرا لم تـرقـــد

ولقـــد حسبتـكَ بـــالسـلام مبشـــرًا ... فبـــرزتَ مثل الخِنجِـــر المتجـــرِّد

الشـــرقُ مضطـــرم الجـــوانح ثـــائرٌ ... والغـــربُ يهدر كـــالخضم المزبـــد (4)

إنى أرى نـــارًا أُعِـــدَّ هشيمُهـــا ... وثقـــابهـــا، لكنهـــا لـــم تـــوقـــد (5)

***

---

(١) أنشئت هذه القصيدة في استقبالى العام الهجرى، المقارب للتاريخ المشار إليه.

(٢) المراد: أن الهلال يولد ثم يكتمل ثم يتلاشى، وبعد ذلك يولد من جديد، وهكذا دواليك.

(٣) الدياجى: الظلمات، جمع ديجاة.

(٤) مضطـرم: أى متقـد، والهـدير: صـوت الجمل والبحـر ومـا إليهمـا، والخضم: الواسع.

(٥) الثقاب: الكبريت.

عـــامٌ، وآخـــر: مقبـلٌ، ومـــودعٌ شيعتُ نعشًـــا، واحتفلتُ بمـــولـــد

ولّى القـــديم، فمـا ظفـــرت بطـائلٍ وأتى الجديد، فهل ترى هو مُسعدى؟

ولقـــد تشـــابهت السنـــونَ، كأننى مــا عشت عمرىَ غيـرَ عـامٍ مفــرَد

قـالـوا: عجبنـا! مـا لشعـرك نَـائِحًـا فى العيـد؟ مـا هـذا بشـدو معيِّـد

مـــا حيلـة العصفــور قَصُّوا ريشــهَ ورمَــوْه فى قفص وقـالـــوا: غـرِّد؟

* * *

يـا ليت شعـرى، يـا هـلال، أعـائد للمسلمين بنصـــر ديـن محمـــد؟

أتعيـد للجمعـات سـابق عهـدهـا؟ أتعيـد لـلإسـلام مجـدَ المسجـد؟

أدركتَ عهـد الـراشـدين بيثـربٍ وحسـدتهـا بيـن النجـوم الحسـد[1]

وشهـدت دولـة عبـد شمس حينمـا بلغ الـوليـدُ بهـا عنـان الفـرقـد[2]

ولقـــد طَلَعْتَ علـى بنى العبـــاس إذ جلس الـرشيـد مع السُّهـا فى مقعـد

لهفى عليهـــا دولـــة قـــد أوشكت تمتـدُّ حتـى ســاحل المتجمـــد!

للشرق مـــاض، كلمـا سنحـت لـه ذكـــراه يـــزفـــرُ زفـــرة المتنهـــد

الشــرق يـأمل أن تَحُلَّ وَثَـــاقَـــه جرت الشعـوبُ، وسار سيـر المقعد

لهفى عليــــه منسَّبـــا لـم يُجـــده طيبُ النجـار ولا كريمُ المحتـد![3]

بتنـا نعيش بـذكـريـات جـدودنـا هيهـاتَ! ليس الحر كـالمستعبـدَ

أين الجبـالُ من التـلال أو الـربـا؟ أين القوى مـن الضعيف القعْدد؟[4]

لا القـــومُ منى لا، ولا أنـا منهمـــو إن لم أُفُقْهـم فى العُـلاَ والسـؤدُد

كـان الجـدودُ لهم شـرًى يأوونَـهُ ولنـا وكـورٌ مـن يـردهـا يصطـد

---

(١) يثرب: اسم من أسماء المدينة المنورة.
(٢) دولة عبد شمس: هى دولة بنى أمية بن عبد شمس، والفرقد: نجم معروف.
(٣) النجار والمحتد: الأصل والعنصر.
(٤) القعدد: العاجز الكثير القعود.

كـانـوا مغـاورَ يعتـدون على الـورى | فـإذا بنـوهم عـرضـةٌ للمعتـدى[1]
صــالـــوا بـــرمح ذابـل ومهنـــدٍ | عضْبٍ، ونعجـز أن نصـول بمبـرد
أين الـذى نظم الجيـوشَ من الـذى | نظم الكـلام قلائدًا من عسجـد؟[2]
قـد كـان همُّهم الفتـوحَ، وهمُّنـا: | أن نغتـذى، أو نرتـوى، أو نرتـدى!
إرثٌ على يـدنـا تبـدَّد شملـهُ | يـا ليت هـذا الإرث لم يتبـدد!
يـا من رأى أرضًـا أبيح حـرامُهـا | بـالأمس كـانت فى قـداسـة معبـد؟
أَمَمٌ تبـاع وتشتـرى في السُّوق؛ من | يـد سيِّـد تمضى إلى يـد سيـد
الحـربُ حـولَ الشرق شبَّ أُوارهـا | والشـرقُ يـرقبُ، مـن يقُـدْهُ ينقـد[3]
مـالى أرى الشرقَ المهيضَ جنـاحُـه | رغم اتحـاد الهم غيرَ مـوحَّـد؟[4]
وإذا تفـرقـت الشعـوبُ مـواقعًـا | وتقـاربتْ غـايـاتهـا، لم تبعـد
ولقـد تهـانُ أمـامَنـا جـاراتُنَـا | وشكـاتهن تُـذيب قلبَ الجلمـد[5]
فـنرى ونسمـعُ صـامتين، كـأننـا | لم نستمـع، وكأننـا لـم نشهـد
فـإذا تحمَّسْنَـا، مَـددْنـا نحـوهم | كفَّ الـدعـاء، وغيـرَهـا لم نمـدد
عـذرًا بنى أعمـامنـا. أغـلالنـا | قعـدتْ بنـا عن نجـدة المستنجـد
أَعـزِزْ علينـا أن نـرى جيـراننـا | يُتخطفـونَ، ونحن مكتـوفـو اليـد!

* * *

---

(١) مغاور: جمع مغوار وهو الكثير الغارات. وليس المراد، وصف الجدود بالعدوان، بل وصفهم بالقوة، وهو استعمال مألوف عند العرب، قال الشاعر يصف قوما بالضعف:

قبيلته لا يغدرون بذمة | ولا يظلمون الناس حبة خردل

(٢) العسجد: الذهب.

(٣) شب أوارها: اتقد جمرها.

(٤) جناح مهيض: أى مكسور.

(٥) يشير ـ فى هذا البيت وما بعده ـ إلى: الاعتداء على فلسطين.

مَن لـى بجيل مستجــد لـم يــرث إلا عن الجــد القــديم الأبعــد

يــرث ابن هنــد فى أصــالــة رأيــه[1] أو خـالــدًا فى عـزمـه المتــوقـد

لم يعتــد الضيـم الــذى نعتــاده أهــون بكل أذى علـى المتعــود!

إن قــام يثبتُ حقــه، فــدليلــه قصفُ المــدافـع، أو صليلُ مهنَّــد

لا خيــر فـى حق يقــال، ومنطق عـذبٍ، بحـد السيف غيــرِ مـؤيَّـد

جيلٌ: إذا سِيـمَ الهــوان أبى، وإن يُطلبْ إليــه البــذلُ لم يتــردد[2]

يهـوى الحيـاة طليقــةً، ويعـافهـا ذلا، ويُــدعى للفــداء فيفتــدى

* * *

---

(١) ابن هند: هو معاوية بن أبى سفيان، أمه: هند بنت عتبة

(٢) سيم الهوان: أى حمل عليه.

في الوصف

الكلب هول (١)

الرسالة ٢٩ من أغسطس سنة ١٩٣٨م

كلبٌ ينم علـى الجُنْـــــاةْ	تمشى العـــدالـــة فـى خُطــاهْ
إن قـــال، أرهفـت النيـــا (م)	بــةُ سمعَهــا، وصغـا القضـاه
كـم أفلت الجــانـى، فشمَّـــ (م)	ــر ســاعـديــه، واقتفــاه
لـم يُعْـى أهـلَ البحث ســـرُّ (م)	غــامضٌ إلا جــــلاه
يستخـــرج الســرَّ الــدفيــ (م)	ــنَ، كـأنــه بعـض الحــواه
وكأنمـــا هـــو ــــ إذ تــرا (م)	ه ــــ مشعــوذ يتلــو رُقــاه[٢]
عَىُّ اللســـان وإنمــا	فـى أنفــه جُمعـتْ قــواه[٣]
هـــو لا يحيــد عن الصــوا	ب ،ولا يحـــابى مـن رشــاه
لا يعْــرف القـــربى ولـــو	كـــان الـــذى يجنـى أخــاه
هيهـــات! لا إشكـــالَ فيمـــا	يــــدَّعيــــه ولا اشتبـــاه
كـم نـــاطـق تبـع الهـــوى	فَلـــوى بغيــــر الحـق فــاه
ضـلَّ ابـنُ آدمَ نهجَـــــهُ	حتـى رأى كلبًـــا هـــــداه
مـــا أضعف الإنســانَ مقــــ (م)	ــدرةً، وأكثــرَ مــا ادعـــاه!

❊ ❊ ❊

---

(١) هو: الكلب البوليسى المعروف، الذى يستخدم فى كشف ما غمض من الجرائم، يشم آثار الجريمة ثم يتتبع فاعلها.

(٢) المشعوذ: من يأتى بأفعال غريبة تشبه السحر، والرقى: جمع رقية.

(٣) عىّ: صفة مشبهة بمعنى عيى.

قـد بـات يـرعى الأمنَ « هـو ... لُ »، وغيـرُهُ يـرعى الشيـاه

كلبٌ عصـامـيّ بنـتْ ... أركـانَ دولتـه يـداه[1]

يـا رُبَّ مفتخـر عليـ (م) ـك ببيت مجـد مـا بنـاه

كلـبٌ وضيـعُ الأصـل لا ... ليثٌ ، ولا ليثٌ نمـاه[2]

استقبلـوه مصفقيـ (م) ـن ، كأنـه بعضُ الغـزاه

كـم ودَّ شبل شـرًى بجـد (م) ع الأنف لـو أضحى أبـاه[3]

خـافتـه دونَ الله أفـ (م) ـئدةُ الجبـابـرة الطغـاه

يخشـاه من لا أُذْنَ تسـ (م) ـمعُهُ ، ولا عينٌ تـراه

عجبـا يخـاف الكلبَ قـو (م) مٌ لا يخـافـون الإلـه !

* * *

شيخَ الكـلاب ، أخفت ذئـ (م) ـبَ الأنس ، لا ذئب الفـلاه

لهجت بـذكـرك ألسُنٌ ... وروت حـوادثَكَ الـرواه

وسلبت كلبَ الكهف مـا ... بيـديـه من عـز وجـاه

لـم تقض فـى النـوم الحيـا ... ةَ كمـا قضى فيـه الحيـاه[4]

لكـن سهـرتَ علـى السَّـلا (م) م ، وبـات ينعم فـى كـراه[5]

صـاد الكـلابُ فكـان صيـ (م) ـدُهم الحمـامـةَ والقطـاه

---

(١) العصامى : ضد العظامى ، الأول من يفتخر بنفسه ، والثانى من يفتخر بأسلافه ؛ نسب الثانى إلى : العظام ، والأول إلى : عصام الذى قال فيه الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

(٢) انتمى إليه : انتسب ؛ أى : ليس هو بأسد ولا الأسد من آبائه .

(٣) جدع الأنف : قطعها .

(٤) فاعل قضى : يعود على كلب الكهف ، والضمير فى فيه : ضمير النوم .

(٥) الكرى : النوم .

وأنفت مـن صيـد البـزا (م) ة فصدت صيـاد البُـزاه[1]

إن طـوقـوك، فطالمـا طـوقت أعنـاق العتـاه

أو سلسلـوك، فطالمـا سلسلت أقـدام العصـاه

يـأيهـا الـواشى، رعـا (م) ك الله مـن بين الـوشـاه!

يـا ربَّ مظلـومٍ لـه كُتبت على يـدك النجـاه

بإشـارة منك الحيـا (م) ةُ لمن تشـاء، أو الـوفـاه

* * *

لـلأمن شـرطيٌّ عليـ (م) ـهِ سـاهـر يحمى حمـاه

لا يستقـلُّ بمكتـب بيـن اليـراعـة والـدواه

قبض المـرتبَ غيـرُه والخبْـزُ فى الـدنيـا كفـاه

مـازان معصمَـه شـريـ (م) ـط، أو تـألـق منكبـاه[2]

أدَّى لـوجـه الله وا (م) جبَـهُ بحـزم وانتبـاه

متـواضع بيـن الجنـو (م) د، يليـن إذ يقسـو القسـاه

يـا رُبَّ جنـدىٍّ بـدا لك « بيـدقـا » فى ثـوب «شـاه»[3]

يمشـى فيغضـب حيـن لا تعنـو لطلعتـه الجبـاه[4]

* * *

قـالـوا: أتطـرى الكلب؟ قلـ (م) ـت لهم: ومن أطـرى سـواه؟

يـرعى الـوداد، ومـا رأيـ (م) ـت من الأنـام فتىً رعـاه

---

(١) البزاة: جمع باز؛ وهو الطائر المعروف، وصياد البزاة: كناية عن الإنسان.

(٢) تألق: لمع، والمراد: أنه لم يزين منكبه بنجوم الضباط وما إليها.

(٣) البيدق: العسكرى، الشاه: الملك، وهما فارسيتا الأصل.

(٤) تعنو: أى تخضع وتنحنى.

لا أبتغي صلـــــةَ الأنـــــا (م) م؛ فكلهـم مثلـي عفـــــاه[1]

كـم لـــــذَّ طعـم وعـــودهـم عنـــد المـــرور من الشفـــاه

فتبخـــرت تلك الـــوعـــو (م) دُ؛ كمـــا تبخـــرت الميـــاه

الصلـب بيـن النـــاس إن أنـت استنـــدت إليـــه واه[2]

والليثُ فيهـم سـاعـــة الـــ (م) ـــجُلَّى يفـــرُّ فـــرار شـــاه

لا يـــؤمَنــــون علـى الأذى والكلـب مـأمـــــونٌ أذاه

سـألـــوا الكـــلاب الحـقَّ إذ وجـــدوه بيـن النـــاس تـــاه

❊ ❊ ❊

(١) الصلة: الهدية وما إليه، العفاة: جمع عاف وهو الفقير.
(٢) واه: اسم فاعل من وهى بمعنى ضعف.

الريف [1]

الرسالة ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٣٤م

عشقوا الجمالَ الزائف المجلوبا ... وعشقت فيكَ جمالكَ الموهوبا

قدستُ فيك من الطبيعة سرَّها ... أنعمْ بشمسك مشرقًا وغروبا!

ولقد ذكرتك فادَّكَرْتُ طفولتى ... وتمائمى، طوبى لعهدك طوبى! [2]

زعموك مرعىً للسَّوام، وليتهم ... زعموك مرعى للعقول خصيبًا! [3]

فهى القرائحُ أنتَ مصدر وحيها ... كم بت تلهم شاعرًا وخطيبا

حيَّيْتُ فيك الثابتين عقائدًا ... والطاهرين سرائرًا وقلوبا

والذاهبات إلى الحقول حواسرًا ... يمشى العفاف وراءهن رقيبا

سلبت عذاراك الزهورَ جمالها ... فبكت تريد جمالها المسلوبا [4]

* * *

كست الطبيعةُ وجْهَ أرضك سندسًا ... وحبت نسميك - إذ تضوَّع - طيبا [5]

بُسُطٌ تظللها الغصون، فأينما ... يممت، خلت سرادقًا منصوبا

مالت على الماء الغصون كما انحنت ... أمٌّ تقبل طفلها المحبوبا [6]

---

(١) أنشأ الشاعر هذه القصيدة فى إحدى إجازاته التى يقضيها ببلدته: «مليج منوفية».

(٢) طوبى: بمعنى الخير والحسنى أو هى اسم للجنة.

(٣) السوام: الماشية السائمة.

(٤) المراد ببكاء الزهور: ما يتساقط منها من الندى.

(٥) تضوع: انتشرت منه رائحة ذكية.

(٦) تعوق الرطوبة نمو الزرع، وهذا يجعل الأشجار المزروعة على حواف المياه بطيئة النمو من الناحية المواجهة للماء، فتكون النتيجة: أنْ تميل هذه الأشجار جهة الترع وما إليها.

وبـدا النخيل: غصـونـهُ فيـروزجٌ | يحملن من صـافى العقيق حبوبـا[1]
أرأيت عمـلاقًـا عليـه مِظلَّـةٌ | أو مـاردًا مـلء العيـون مهيبـا؟
يـا رُب سـاقيـةٍ لغيـر صبـابـة | أنَّت وأجـرَت دمعهـا مسكـوبـا
وحمـامـة سمع الفـؤاد هتـافهـا | فسمعتـه بين الضلـوع مجيبـا[2]
والغيـد تغمس فى الغـدير جـرارَهـا | فيظلُّ يضحك ملء فيـه طـروبـا[3]
سِـربَـان من بط وبيضٍ خـرَّدٍ | يتبـاريـان سباحـة ووثـوبـا[4]
وتـرى الجـداول فى الأصيل، كأنهـا | من فضـة فيهـا النضـار أذيبـا
يـا بدر، أنت ابنت القـرى، وأراك فى | ليل الحـواضر ــ إن طلعت ــ غريبـا

❊ ❊ ❊

نشـر السكـونُ على القـرى أعـلامَـه | فتكـاد تسمع للفـؤاد وجيبـا[5]
بـدت الحيـاة هنـاك فى ريعـانهـا | ولـوَ انهـا سـارت تـدب دبيبـا
ولقـد ينـام القـوم مـلء العين فى | زمن يُقضُّ مضـاجعًـا وجنـوبـا
وهى السعادة، كم أوت كـوخًا، وكم | هجـرت أشمَّ مـن القصـور رحيبـا
قالوا: الحضارة، قلت: أسفر وجهها | وبـدت محـاسنهـا، فكنَّ عيـوبـا

❊ ❊ ❊

مـا ضـرَّ أهل الـريف ألا يحفلـوا | بالطب، أولا يعرفوا (الميكروبا)؟[6]
ضمنت سـلامتهم سهـولـةُ عيشهم | وصفـا هـواؤهمـو، فكـان طبيبـا

---

(١) الفيروزج والعقيق: حجران كريمان؛ الأول: أخضر اللون، والثانى: أحمر.
(٢) المراد بإجابة القلب: خفقانه.
(٤) المراد بضحك الغدير: صوت الفقاقيع الناشئة عن حلول الماء محل الهواء.
(٤) الخرد: جمع خريدة؛ وهى البكر، أو الخفرة السكوت.
(٥) أى يكاد يسمع الإنسان دقات قلبه من شدة انتشار السكون.
(٦) خمسة الأبيات التالية لهذا البيت: بمثابة التدليل على مضمونه؛ وهو أن الريفيين أغنياء عن الأطباء.

رضعوا رحيق السائمات، ومادروْا غير النمير وغيره مشروبا[1]
وسرى شعاع الشمس فى أبدانهم فجرى بأوجههم دَمًا مَشْبُوبا[2]
شمس القرى كست الوجوه نضارة أرأيت وجهًا فى القرى مخضوبا؟[3]
سِرْ فى الحقول، تَرَ الرياضة عندهم فنًا، وخطًا عندنا مكتوبا

***

أكبرتُ فى القَرَوِىِّ حدة عزمهِ وحسبتُه فى صبره «أيوبا»
ورأيت طيبَ النفس فيه سجيةً ووداده سهل المنال قريبا
فيه ترى الخلق الصريح، ولا ترى ضحك النواجذ بالخديعة شيبا[4]
أنا لا أقول: تشينه أمِّية كن خيِّرًا، لا كاتِبًا وحسيبا
كم ضلَّ من أهل الحواضر قارىءٌ فاغتال أعراضًا وشقَّ جيوبا
فى الريف فتيان تسيل جباهم عرقًا فيصبح لُؤْلُؤًا مثقوبا
لا فتية مُرْدٌ بأيد بضَّة فى كل يوم يلبسون قشيبا[5]
بذلوا لمصرٍ فوق ما فى وسعهم ورضُوا بما دون الكفاف نصيبا

***

(١) رحيق السائمات: كناية عن اللبن.
(٢) مشبوبا: متقدا.
(٣) المراد: نفى الخضاب الصناعى.
(٤) الصريح: الخالص، والنواجذ: الأنياب، وشيب: ماض مبنى للمجهول؛ بمعنى: خلط.
(٥) المرد: جمع أمرد؛ وهو: من لانبات بوجهه. القشيب: الجديد.

أنا وأبنـاى

الرسالة ١٥ من فبراير سنة ١٩٣٧م

وأطيبُ ســاع الحيــاة لــديَّــا ... عشيــةَ أخلــو إلى ولــديَّــا[١]

إذا أنــا أقبلت، يهتف بـاسمى الـ (م) ـفطيم، ويحبـو الـرضيع إليَّـا

فــأُجلسُ هــذا إلى جــانبى ... وأجلـس ذاك علـى ركبتيّــا

وأغــزو الشتــاء بمــوقــد فحمٍ ... وأبسط مـن فــوقــه راحتيّــا

هنــالك: أنسى متــاعب يــومى ... كأنّـىَ لم ألق فى اليــوم شيّــا

وأحسبنى بيـن طفلىّ «شــاهًــا» ... وأحسبُ كــوخىَ قصــرًا عليّــا

فكـل طعــام أراه لــذيــذًا ... وكـل شــراب أراه شهيّــا

ومــا حــاجتى لغـذاء ومــاء؟ ... بحسبىَ طفــلاى زادًا، ورِيّــا[٢]

وأيــّة نجـوى كنجــواى طفلى ... يقــول: أبى، وأقــول: بنيّــا؟[٣]

ويــارب لغــو يفــوه الصبىُّ ... بـه؛ فيكـون حـديثًـا شجيّـا[٤]

وأفصحُ مـن أفصح النــاس طفـلٌ ... أراد الكــلام فكــان عييّــا

هنــا أستعيــدُ قــديمَ حيــاتى ... وأرجعُ أَطــوى الليــالىَ طيّــا

فأنسى عــذارى، وأنسى وقــارى ... وأحسب أنّـىَ عــدت صبيــا[٥]

---

(١) ساع: جمع ساعة.
(٢) بحسبى طفلاى: أى كافى طفلاى، الباء: زائدة، وحسبى طفلاى: مبتدأ وخبر.
(٣) طفلى: مفعول به لنجواى، والإضافة من إضافة اسم المصدر إلى فاعله.
(٤) لغو القول: أخلاطه.
(٥) العذار: صاحب اللحية.

أيـــا ابنىَّ، أحبُ بمـــا تتلقـــان! وأمـــونُ بمـــا تكســـران عليـــا!

يصـــونكمـــا الله مـن حـــادثـــات (م) الـــزَّمـــان. ويبقيكمـــا لى مليـــا

ويكفيكمـــا الله شـــرَّ البكـــاء ويحفـظ من وقعـــه أذنيـــا

أمن كبـــدى أنتمـــا فلـــذتـــا (م) ن أم أنتمـــا حبتـــا مقلتيـــا؟

❊ ❊ ❊

ألا ليت شعـــرى: أتمتـــدُّ بـى حيـــاتى فأجْنِىَ غـــرسَ يـــديـــا؟

وأشهـــــــد طفلـىَ يَيْفَـعُ، ثـم يَشبُّ، ويصبـح شهمًـــا أبيـــا؟[1]

أبـــوك امـــرؤ مـن رجـــال الكـــلام فكن أنت، يـــا ابنى، امـــرأً عمليـــا

فمـــا احتقـــر النـــاسُ إلا الأديب ولا احتـــرم النـــاسُ إلا الثـــريـــا!

❊ ❊ ❊

---

(١) يفع الغلام: صار بين ا لصبا والشباب.

الحيــــاة

البلاغ الأسبوعى ١٠ من فبراير سنة ١٩٢٨م

حــرَّةٌ لا تـــزور إلا لمـــامًـــا ... تيَّم الشيخ حبُّهـــا والغـــلامَـــا[١]

تيَّم النمل حبُّهـــــا فتـــولى ... يطلب المـــاء مثلنـــا والحطـــامـــا

كشَّــرت عن أنيـابهـــا للبـرايـــا ... فـــرأوا ذلك القطـــوب ابتســـامـــا[٢]

كم سَقتهـم من الشقـــاء زعـــافًـــا ... وسقـــوْهـا من الـــوفـــاء مـدامـــا[٣]

قـد يـراهـا السعيـد حلمًـا لـذيـذًا ... ويـــراهـــا الشقىُّ مـــوتًـــا زؤامـــا[٤]

* * *

صـــاح، إن الحيـــاة لغـــزٌ، إذا مـــا ... زدتُـــهُ بحثًـــا، زادنى إبهـــامـــا

ليت شعـرى! مـــاذا تكـون: أحسًـا ... أم خيـــالا ويقظـــةً، أم منـــامـــا؟

أم طـــريقًـــا إلى الفنـــاء قصيـــرًا ... قـــد ركبنـــا لطيِّـــه الأيـــامـــا؟

كـل حىِّ لـــه كتـــابٌ، ولكـن ... أعجم الله خطـــه إعجـــامـــا![٥]

لـــو عـرفنـــا متى تكـــون المنـايـــا؟ ... لانتظـرنـــاهـا مــذ بلغنـا الفطـامـا

* * *

---

(١) زار لماما: أى زيارات قصيرة متقطعة.

(٢) القطوب: ضد التهلل وانبساط الأسارير.

(٣) الزعاف: السم المهلك.

(٤) الموت الزؤام: السريع.

(٥) المراد بالكتاب: الأجل قال تعالى: ﴿ومـا أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ والمراد بإعجام خطه: إبهامه وخفاء موعده.

أيهـا العلم، كـم هتكت حجـابًـا فأمِطْ عن سـر الحيـاة اللثـامـا[1]

تلك آثـارهـا إذا عـرضَتْ لى ألهمَتْنى وجـودهـا إلهـامـا

فـإذا رمتُ وصفهـا بلسـانى ألْجَمَتْنِى، فـلا أحيـرُ كـلامـا[2]

فهْى كـالكهـربـاء؛ لست أراهـا وأرى ضـوءَهـا يشـقُّ الظـلامـا

هـى من رُوح الله، وهْـو خفىٌّ ذو صفـاتٍ دلت عليـه الأنـامـا

* * *

يـا ابنـة الشمس، وجـهُ أُمِّك بـادٍ فعـلام احتجت أنـتِ عـلامـا؟

عـرف النـاسُ فضلَ أمك قِـدمـا فتلقَّـوْهـا سجَّـدًا وقيـامـا

حَدِّثينا: كيف ابتـدأتِ على الأرْ (م) ض، وحـركت هـذه الأجـرامـا؟

وأرينـا متى ظهـرتِ عليهـا؟ وإلام البقـاءُ فيهـا إلامـا؟

أخـذ النـاسُ فى التكـاثف، حتى بـاتَت الأرض وهْى تشكـو الزحـامـا

* * *

ليت شعـرى: أضلَّ «داروِن» بحثًـا حين آخَى الـوحـوش والأنعـامـا؟[3]

قـال قـوم: هـلا شهـدنـا ذبـابًـا فى الحيـاة ارتقى فصـار حمـامـا؟

وغـلا آخـرون فيـه، فقـالـوا: كـان فى مـذهب النشـوء إمـامـا

قـد عـرفنـا أبـا الأنـام جميعـا فهل الطيـرُ والـوحـوش يتـامى؟[4]

وهل الجـن تنتمى كـالبـرايـا لأبٍ يُـدْعى يـافثـا أو حـامـا؟

* * *

---

(١) أماط اللثام: كشفه.

(٢) لا يحير جوابا: لا يرد.

(٣) هو يزعم: أن الإنسان والوحوش والأنعام من أصل واحد؛ فكأنه آخاهما.

(٤) هذا البيت ـ وما بعده ـ: من مقول القول فى البيت السابق.

سائل البحر: كيف أنبتَ لحمًا من أواذيِّه وسوى عظاما؟[١]

وتأمل بين الحقول نباتًا سوَّت الأرض سوقه، فاستقاما[٢]

علَّ من بارد النمير شرابًا وتغذى من الهواء طعاما[٣]

ولقد يولد النباتُ وَيَفْنَى ويعانى مثل الأنام سقاما

حكمةٌ تملأ النفوس يقينًا بإلٰه يدير هذا النظاما!

* * *

سائل الشمسَ عن بنيها: لماذا كانت الأرض وحدها مِتآما؟[٤]

أترى للكواكب السبع نسلاً يشبه الناس أم تراها عقاما؟[٥]

ليتنى أركب الرياح إلى الأفـ (م) ـلاك أو أمتطى إليها الغماما!

أيُّهذا الأثير، إن كان فى المر (م) يخ حيٌّ، فاحمل إليه السلاما[٦]

حيِّ أهليه إن مررت عليهم إن للجار حرمة وذماما

* * *

صاح، لولا الحياة ما بات يخشى الـ (م) ـموت حيٌّ، أو يحمل الآلاما!

قال بالجن معشرٌ، وأراها وحدها جنا يلبس الأجساما

أوليست تحزُّ لحم البرايا مثل حز المدى وتبرى العظاما؟

قسمًا، لوْ أن الأجنة تدرى كنهها لم تفارق الأرحاما

أيُّهذا الجماد، حسبك: ألا تَصحَب الشيِّب، أو تذوق الحماما

* * *

---

(١) الأواذى: جمع آذى وهو الماء.

(٢) السوق: جمع ساق.

(٣) عل علا أو عللا: أى شرب ثانيا، ونهل: شرب أولا.

(٤) المتآم: المرأة التى تلد أزواجا: توءمين توءمين.

(٥) السبع بدون تاء وإن كان المعدود مذكرًا لأن العدد إذا تأخر عن المعدود جازت فيه المطابقة تقول رجال سبعة أو سبع. وعقام جمع عقيم.

(٦) إنما خص المريخ؛ لأنه أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الأرض.

حمَّلتنى الحيـــاة عـبء التصـــابى وأرى الحبُّ للحيـــاة لـــزامـــا

لو سرت فى الصَّخر الأصم، لراشت نحـــوه أعين المـــلاح سهـــامـــا[1]

ولقـــــد أسمع الطيـــــور تغنى فَـــإخـال الطيـــور تشكـــو الغرامـــا

وإخــــال النبـــات يبكى حنينـــا كلمـــا ســـال الطَّلُّ منـه سجـــامـا[2]

دقـــة الحِسِّ لـم تــدع لى فـــؤادا ملك الحسن من فـــؤادى الـــزمـامـــا

* * *

---

(١) راش السهم : وضع له الريش ؛ استعدادًا لإنفاذه.

(٢) سجاما : متابعا.

الإنسان الآلي[1]

الرسالة ٢٥ من يونية سنة ١٩٣٤م

مـاذا أشـاهـد ؟لا طينًـا ولا مـاءَ ... وليس هـذا الفتى مـن نسل حـواءَ!

لا يشبه الناس: إحساسًا وعاطفة ... ويشبـه النـاسَ: تـركيبًا وأعضـاء

فتى عـريقٌ، بحبل العلم متصلٌ ... إن عـدَّد الصيـد أجـدادًا وآبـاء[2]

وهْيَ الحضـارة أمُّ أنجبتـه، ومـا ... زالت ـ كمريَمَ ذات الطهرَ عـذراء

خَلقٌ جديد؛ إذا شاهدت طلعته ... تكـاد تـومىء بـالتسليم إيمـاء[3]

لا يشتكى مثلما يشكو الورى سقما ... ولا يهـاب رسـول المـوت إن جـاء

يـرى ويسمع، لكن لا يحس، وإن ... هم قطعـوه بحـد السيف أشـلاء[4]

فيـالـه سـاعيـا: يمشى على قـدم ... لا تشتكى إن شكت أقدام وجناء![5]

ويـالـه خـازنـا: لا تستبيـه، ولا ... تغـريـه بـالمـال إن حـاولتَ إغـراء!

ويـالـه حـارسًـا: لم يشك من أرق ... ليـلا، ولا حـاولت عينـاه إغفـاء!

* * *

لن تـرهب العقم بعـد اليـوم والـدةٌ ... أو يعـدم الشيخ بعـد الشيب أبنـاء

للشيخ مـا يشتهيـه الشيخ من عقبٍ ... ولليتيم مـن الآبـاء مـا شـاء

---

(١) أنشئت هـذه القصيـدة، على إثر اطلاع الشاعر على صورة نشرتها الصحف للإنسان الميكانيكى الذى اخترع فى أمريكا، وزاول كثيرًا من الأعمال التجارية التى يزاولها الإنسان.

(٢) الصيد: جمع أصيد، وهو الذى يرفع رأسه كبرا.

(٣) تومىء: تشير.

(٤) أشلاء الجسم: أعضاؤه أو بقاياه؛ جمع شلو.

(٥) الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين.

فلينفخوا الروح فيه، مثلما خلقوا   له يدين، وشقوا العين حوراء[1]

* * *

قم سائل العلم - إذ سوى جوارحه -:   هل رام هدما به أم رام إنشاء؟

يشكو البطالةَ غادينا ورائحنا   فهل نضيف إلى أدوائنا داء؟[2]

أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت   فثارت الحرب حول القوت شعواء؟[3]

حسبُ البرية: أن الطب يكلؤها   وأن سهم الردى يخشى الأطباء[4]

* * *

يأيها الرجل الآلىُّ، هل لك فى   ود أساقيكه ماء وصهباء؟[5]

تشابه الناس عندى فى المذاق، وإن   تعدد الناس ألوانا وأسماء

لأنت أسلم - يا بن الصلب - عاقبة   من أنفس ملئت حقدًا وبغضاء

أقسمت، أنك بين الناس أنزههم   يدًا، وأطهرُهم قلبًا وأحشاء

حيّيت فيك فتى: ما قال فاحشة   يوما، ولا عاب إنسانًا، ولا ساء!

* * *

---

(١) العين الحوراء: هى الواسعة أو الشديدة البياض مع شدة السواد.

(٢) الأدواء: جمع داء. والأدوية: جمع دواء.

(٣) حرب شعوا أى متفرقة.

(٤) يكلؤها: يحفظها.

(٥) الصهباء: الخمر.

زورق فى الفضاء

الثقافة ٢٧ من مايو سنة ١٩٤١م

أسـرَجـوا الجـوَّ، وامتطـوْه ركـابـا ... ثم مَـرُّوا فـوق السحـاب سحـابـا

زاحَمـوا النـون فـى البحـار، وراحـوا ... يتحـدَّوْن فى الهـواء العقـابـا[1]

ضيَّقـوا رقعـة البسيطـة حتى ... لم يعـد يشتكى بنـوهـا اغتـرابـا[2]

❊ ❊ ❊

راكبى الجـوِّ ، قـد ركبتم ذلـولا ... لا وهـادًا خشيتمـو، أو هضـابـا

انطلقتم، وسـار يحبـو فيكبـو ... من حـدا الفلك والمهـار العرابـا

ليت شعـرى: متى أراكم غلـوتم ... فمـددتم إلى السهـا أسبـابـا؟[3]

وركبتم متن الأثيـر سـراعـا ... وكشفتم عن النجـوم الحجـابـا؟

ليس من ينعت الكـواكب رجمـا ... مثل راءٍ رأى فقـال صـوابـا

❊ ❊ ❊

زورقٌ شق فـى الهـواء طـريقًـا ... فكأن الهـواء صـار عبـابـا

طـائر ليس كـالطيـور، صقيلٌ ... مستقيم الجنـاح، صُلب الذُّنـابي[4]

نفخـوا الـرُّوح فيـه، وهْـو جمـاد ... وكسـوهْ من الحـديـد إهـابـا[5]

معـرق؛ أمُّـه الحضـارة، والعلـ (م) ـم أبـوه، إذا أراد انتسـابـا

---

(١) النون : الحوت .

(٢) المعنى : أنهم قـاربوا ما بين أطـراف الأرض بسرعـة المواصلات ؛ فكـأنهم ضيقوا رقعتها .

(٣) السها : نجم معروف . والأسباب : الحبال .

(٤) الذنابى : الذنب .

(٥) الاهاب : الجلد .

تنتحنى الـــريـح إذ تــراه وتمشى   زُمَـرُ الطيــر خلفــه أســرابـا
ملك فـى الســلام حتى إذا مـــا   خـاض نـار الحروب، كـان شهـابا
إن أرادوا السـلام كــان حمـامــا   أو أرادوا الحـروب كـان غــرابــا
كم رمى الغـاز، فـاستحال شجـاعـا   تستعيـر الحيّات منـه اللعابـا[1]
قــذَف الأرضَ بــاللظى، وتــولى   فى حمى الجــو آمنًـا أن يُصـابـا
ربَّ سهم فى الجــو أصمى، وسهم   فى الثرى عىَّ أن يصيد الـذبابـا![2]

* * *

أيهـــا الطـــائرُ المحلق نحسًـــا   أنت أحـدثْتَ فى الـوجـود انقـلابـا
كم مقتنــا لأجلك النــور مقتًـــا   وكـرهنـا المنـاخ إن هــو طـابـا[3]
واستطبنـا الــريــاح إن هى ثــارت   وطلبنـا الـدجى، ورمنـا الضبـابـا
قـد بلــوناك عــاديـا، فــوجـدنـا (م)   ك أحــدَّ الطيــور ظفــرا ونــابـا
لك: عـدوُ الظبـاء سـارت خفـافًا   وزئيــرُ الأسـودِ ثــارت غضــابـا

* * *

هتف الخلقُ للعلــوم زمـــانـــا   وانْجَلى بــرقهـا فكـان ســرابـا
ظنهـا تعمُـرُ الـوجـود؛ فكــانت   معــولا يتــرك الــوجـودَ خـرابـا!

---

(١) الشجاع: الحية الذكر.
(٢) أصمى السهم الضريبة: اخترقها.
(٣) من المعلوم: أن الغارات الجوية لا تكون إلا فى نور القمر؛ حيث يطيب المناخ.

سمر الأدباء (1)

الدستور ... سنة ١٩٣٩م

مِنْ هــؤلاء المعشــرُ السُّمَّــارُ ... بحــديثهم تتعطَّــرُ الأسحــارُ؟

رقـد الورى، وَحَمى عيونَهم الكرى ... جــدلٌ تــردَّدَ بينهم وحــوار (2)

سُهْـدٌ كسهد العـاشقين؛ وإنمـا ... أَصْبَتْهُمُــو ببنــاتهــا الأفكــار

كَلِفُـوا، ولكن بــالبيــان وسحـرِه ... ومن البيــان: عــرائسٌ أبكــار

يتطـارحــون القــولَ فيمــا بينهم ... يحكى كُئُــوس الــرَّاح حين تُــدار

يَسْقُــون مَن وَرَدَ النــديَّ عليهمــو ... خمـرًا مَنَـابتُ كـرمهـا الأسفـار (3)

مِـن كلِّ راويــةٍ، كـأنَّ فــؤادَهُ ... نُقِشَتْ على صفحــاتــه الأخبــار

متحــدِّثٍ لبقٍ، كأن حــديثــه ... زهْــرُ الــرِّيــاض يـزفـه « آذار »

إن قــال، خلتَ الأصمعيَّ أعــارهُ ... شَفَتَيْــهْ، لــوْ أن الشفــاه تُعــار

يتســابقــون إلـى البيــان، كـأنهم ... جُـرْدٌ مـذاكٍ ضمَّهــا مضمــار (4)

لهمـو دعـابـات تُســاقُ، فـلا تـرى ... حُلْمًــا يِنــدُّ، ولا يطيش وقــار (5)

يتنــدرون ولا ابْتِــذَالَ؛ وإنمــا ... تُــرعى الحقــوق، وتُحفظ الأقــدار

---

(1) أنشئت هذه القصيدة على إثر جلسة من الجلسات الأدبية، التى كـانت تعقد فى جريـدة الدسـتور. وكانت ندوة الـدستور تتألف من بعض كبـار رجال الأدب مثل الأساتذة: لطفى جمعة وعلى، طه المهندس، ومحمد خالد، وغيرهم، كما كان الشاعر من أعضائها.

(2) حماه الشىء: منعه إياه؛ يتعدى لاثنين.

(3) الأسفار جمع سفر ـ بكسر السين ـ وهو: الكتاب.

(4) جـرد مـذاك: المـراد الخيل؛ والجـرد؛ أى: القصيـرة الشع؛ر والمــذاكى؛ أى: الناضجة.

(5) تند: تطيش وتخرج عن حدها.

أحيَوْا لنا العظم الرميم: فتارةً … معنا الوليد، وتارة بشار[1]

وتذاكروا أدب الممالك؛ فانطوت … فى حجرة جمعتهم الأقطار

لهجوا بذكر «فرانسَ» حتى خلته … حيا، إليه بالبنان يشار[2]

يتنقلون على ضفاف «السين»، لم … ينقل ركابَهمو إليه قطار

بينا تراهم فى «دمشق»، إذا بهم … نحو العراق ـ بلا جناح ـ طاروا

فكأنما وجه البسيطة روضةٌ … وكأنهم فى دَوحها أطيار

أنا لا أشبه بالجمان حديثهم … إن الجواهر كلها أحجار

حذقوا البيانَ: قديمَه وحديثه … ولكل عصر بينهم أنصار

كلٌّ يهب منافحًا عن رأيه … ضدَّ الخصوم كأنه إعصار[3]

فإذا بهم قلبوا الندىَّ معاركا … حتى كأن النقع فيه مثار[4]

وسلاح كل مدرَّع برهانُه … فهو الحديد بكفه والنار

يا رُب ليل حالك يُحيونه … بروائع الآداب؛ فهْو نهار

قم يا زيادُ، عكاظ جُدِّد عهدها … وتنوشدت فى سوقها الأشعار[5]

ما النَّاسُ إلا: كاتبٌ أو شاعرٌ … أو ناقد، وسواهمو أصفار

---

(١) الوليد: هو البحترى الشاعر المشهور.

(٢) يريد: أناطول فرانس، الكاتب الفرنسى المشهور.

(٣) منافحا: مدافعا.

(٤) النقع: الغبار.

(٥) يريد بزياد: النابغة الذبيانى؛ وقد كانت تنصب له فى عكاظ قبة من أدم ويتولى الفصل والمفاضلة بين الشعراء.

الراديو

الرسالة ٧ من يناير سنة ١٩٣٥م

شــــادٍ تـــرنمَ، لا طيــرٌ ولا بشــرٌ
يــا صَــاحبَ اللحن، أيـن العــود والــوتــرُ؟
إنـى سمعتُ لســـانًـــا قُـــدَّ من خشبٍ
فهـل تُـرى بعــد هــذا ينطقُ الحجـــر؟
لـــو قلتُ بـــالجنِّ، قلتُ: الجن أنطقَـــهُ
أو قلتُ بـالسحـر، قلتُ: القــوم قــد سحـــروا[1]
كـأنمـــا كـلُّ أذنٍ أذْنُ ســـاريـــةٍ
وكـل نـــاء ينـــادى نـــائيـــا عمـــر[2]
هنـــا الخطيبُ الـــذى خـــانَتـــهُ جـــرأتـــهُ
يقـــول مـــا شـــاء لا جُبـنٌ، ولا خَـــوَر
فليس ثَمَّـــةَ مخلـــوقٌ يقـــاطعـــه
وليـس يعنيـــه قلَّ القـــومُ أو كثـــروا
وليـس يخشـى ضجيـج القـــوم إن طـــربـــوا
وليـس يخشـى عجيـجَ القـــوم إن سخـــروا

* * *

(١) يطلق القـول على : الاعتقـاد؛ فقلت الأولى ــ من المصراعين ــ : بهـذا المعنى، والثانية : بالمعنى المألوف.

(٢) يشير إلى : مـا يروى عن سيدنـا عمر بن الخطـاب مع قائده ساريـة ؛ حين نادى الأول الثانى ، وهو فى بعض غزواته ـ على بعد ما بينهما ؛ وقد أحاط به الأعداء من كل جانب ــ قائلا: « يـا سارية الجبل » ، فسمع سـارية نـداء عمر ، والتجأ إلى الجبل، فنجا.

وآلـــــةٍ جَعَلَتْ من حجـــرتى أُفقَـــا

يـــرتــدُّ منحســـرًا عـن حـــدِّه البصـــر

كـأنمـــا الكـــرةُ الأرضيَّـــة انحصـــرتْ

فى جـــوفهـــا ، والـــورى فـى جـــوفهـــا انحصـــروا

تطـــوى الفيـــافىَ طيًّـــا وهْى جـــاثِمَـــةٌ

كـأنهـــا الشمـس إذ تســـرى ، أو القمـــر[1]

قـــد كنتُ أغشـى بيـــوتَ اللَّهْـــو منتقـــلا

فصـــار يسعـى إلىَّ اللهـــوُ والسمـــر

كـأنَّنى ـــــ وأنـــا فـــردٌ بجـــانبهـــا ـــــ

حـــولـى مئـــاتٌ من السُّمَّـــار قـــد حضـــروا

قـــد حكمتنىَ فى الأصـــوات لـــوحتهـــا

فصـــرت أختـــار مـــا آتى ومـــا أذر[2]

وكـلُّ رقْـم عليهـــا حشـــوُهُ طـــربٌ

وفيـــه كنـــزٌ مـن الألحـــان مستتـــر

عـــوراءُ ، لا تخـــرج الأصـــواتُ من فمهـــا

إلا إذا مـــا بـــدا من عينهـــا الشـــرر

صَمَّـــاء ، لكـن تعـى مـــا لا تعـى أذنٌ

بكمـــاءُ ، مـن فمهـــا الأخبـــار تنتشـــر

ثَـــرثـــارَةٌ، إن أردتَ القـــولَ ثـــرثـــرةً

فـإن أردتَ اختصـــارا فهْـــو مختَصـــر

* * *

---

(١) يشبهها بالشمس والقمر ، من حيث طيهما الأرض ، وهما ثابتان فى رأى العين .
(٢) المراد باللوحة : الميناء .

فـى كل يــــوم نــــرى للغـــرب خـــارقـــةً

وليـس للشــــــــرق إلا السمـعُ والنظـــــــــر

القـــوم يبتكـــــرون المعجـــزات لنـــــا

ونحــن نفتــنُّ فــى إطـــــراء مـــــا ابتكــــروا

فهـل تـــرى الشــرق قـــد أدى رســـالتَـــهُ؟

وهل تـــرى أنبيـــاء الغـــرب قـــد ظهـــروا؟

* * *

يوم عابس! (١)

الرسالة ١٩ من أبريل سنة ١٩٣٦م

يـــا لصبـــاحٍ حـــائل الأديم ... قـد طَعَنَ الـربيعَ فـى الصميم!
أمطـــارُه قـــد شـــوَّهت آذارَهْ ... وريحـــهُ قـد صـوَّحت أزهـارَهْ (٢)
قـد يظفُـر البـاحثُ بـالعنقـاء ... فيـه ، ولا يـرى ابنـة السمـاء (٣)
فقلتُ: هـل ضلَّ صبـاحُ اليـوم ... أم أغـرقت شَمْسُ الضحى فى النـوم؟
ويحك، يـأيتهـا الشمس اطلُعِى ... يا أرضُ غيضى، يا سماءُ أقلِعِى! (٤)
وقَفْتُ حيـرانَ على الطـريق ... من غير مـاء صرتُ كـالغـريق! (٥)
الأرضُ تحتـاج إلى عـوام ... فكيف بـالسيـر على الأقـدام؟
من رام أن يسعى يمينا، أيْسَـرا ... ومن مشى قـدَّامَ، عـاد القهقـرىَ
لكننى شحـذْتُ غـربَ عـزمى ... وخضـت لـجَّ ذلـك الخضـمّ (٦)
مشَيْتُ كـالنشـوانِ، كـلُّ همى: ... ألاَّ يخـوننى اتـزانُ جسمِى (٧)
أسألُ فـى الطـريق كـلَّ سـابلِ ... كأننـى أسيـرُ فـى المجـاهل (٨)
دمعُ السمـاء فـوق رأسى هـام ... والأرضُ من تحتىَ بحـرٌ طـام

---

(١) أنشئت على إثر يوم ماطر، عاناه الشاعر فى بلدة كوم حمادة!
(٢) صاح الزهر: جف وذبل.
(٣) العنقاء: طائر وهمى تخيلته العرب ولا وجود له؛ وبه يضرب المثل فى عدم الوجدان. والمراد بابنة السماء: الشمس.
(٤) غيضى: جفى. أقلعى: أى كفى عن المطر.
(٥) المراد بالغرق ـ فى قوله: كالغريق ـ: الحيرة والارتباك.
(٦) الغرب: الحد، وشحذ الغرب: أرهفه.
(٧) يشبه نفسه بالنشوان فى الترنح.
(٨) سابل: قاطع السبيل، والمراد بالسؤال عن حال الطريق.

والمـــاءُ قـــد رانَ على منظـــارى | فصـرتُ أهتـدى بصـوت جـارى[1]
وبعـــد أن كنتُ على « غيـــارى» | أخشى مـن الــرشـــاش والغبــارِ
فــرَّطتُ فيــه غـايــة التفــريطِ | وصــرت لا أخشى سوى السقــوطِ
وعثـــرةُ اللســـان فـى المَقَـــالِ | دون عِثـار الــرِّجْل فى الأوحـــالِ
وبينمـــا نحن نجـــوز حـــارهْ | إذْ دهمتنـــا عنـــدهـــا سيـــاره
تنطلق انطـــلاق سهـم مـــارقِ | ســـابحـــة فى خفـــة الـــزوارقِ
تنضح بـــالميـــاه جـــانبـــاهـــا | على ثيـــابٍ ليس لى ســـواهَـــا
فطـــرَّزتْ إذ ذاك مـن ثيـــابى | مـــا أخطأتـــه ريشـــةُ السحـــابِ
فقلت: ويـلٌ للفقيـــر العـــافى | من الغنِّـى المتـرف المتــلافِ![2]
قـــال صـــديقى: دنت الـــدروسُ | وبعـــد خمس يضـربُ النـاقـوسُ
فقلتُ: مهـــلاً أيهـــا الـــرفيقُ | مـــا يفعـل المـدرسُ الغــريقُ؟
قـــال: أجيمـــا تبتغى وسينـــا؟ | فقلتُ: لست أجهل القـــانـــونَـــا
لا تـــذكـــر القـــانـــونَ فى الأريـــافِ | قـــد وُضع القـــانـــون فى الجفـــافِ
حيـث الشـــــوارعُ التى لا تنضـــحُ | ولا بمـــاء المـــزن فيهـــا تسمحُ[3]
وهكـــذا « نشـــرب » نحن المطـــرا | وســـاكـنُ المـــدْن بــه مـــا شعـــرَا
وكل مـــا فى الـــريف من محـــامـــدِ | يـــذهب فـى أمطـــار يـــوم واحـــدِ!

(١) ران عليه: غطاه بطبقة خفيفة.
(٢) العافى: فى معنى الفقير، والمتلاف: المسرف؛ الكثير إتلاف المال.
(٣) المزن: السحاب؛ الواحدة مزنة.

أنس الطبيعة

جلستُ على بســـاط من رمـــالِ ... خـــلالَ العُشْب والمـــاءِ الـــزُّلالِ

وقـــد رقَّ النسيم ، فكــــانَ أشهى ... إلى قلـب المحب من الـــوصـــالِ

طيـــورُ الأيـك تصـدح عـن يمينى ... ومـــاءُ النهـــر يهمس عن شمـــالى

وجيشُ الليـل من أبنـــاء حـــامٍ ... يُغيـــر على المـــزارع والتِّـــلال[1]

وقـــد وليتُ شطـــرَ النجم وجهى ... وألّف بيننـــا سهـــر الليـــالى

فخلتُ كـأننى أسمـــو بـــروحى ... إلى دنيـــا ســـوى دنيـــا الـــزوال

هنـــا تَتَكشَّـفُ الـــدنيـــا أمـــامى ... ويسبحُ فـى مجـــاهلهـــا خيـــالى

فأنـت تخـــالنى فـــردا ، وحـــولى ... بنـاتُ الفكـر تُسـرف فى الـدلال[2]

سكـــون الليل يُـرهف غـربَ حسى ... فأسمـعُ وقْـعَ أقـــدام النمـــال[3]

ويمـــلأ صمتُـــهُ نفسى خشـــوعـــا ... فتصفـــو صفـــوَ حبَّـــات الـــلآلى

وتُخفى الشمسُ كنـــهَ الكـــون عنى ... وألمحُـــهُ على ضـــوء الهـــلال[4]

ولم أر كـــــالطبيعـــــة ذاتَ حسن ... مبـــاح تشتـــريـــه بغيـــر مـــال

لئن يـك تحت بطـن الأرض كنـــزٌ ... فكم كنـــزٍ على قمم الجبـــال![5]

وإن يكُ فـى قـــرار البحـــر درٌّ ... فكم فـى سطحـــه دُرَرٌ غـــوالى!

ظـــواهـــرُ ذاتُ ألسنـــة فِصـــاحٍ ... تحـــدثنـــا بقـــدرة ذى الجـــلال!

---

(١) يشير إلى ما تشير إليه الخرافة من : أن السودان من نسل حام بن نوح .

(٢) المراد ببنات الفكر : الأفكار التى تخالج كل جالس منفرد.

(٣) الغرب : الحد .

(٤) كنه الشيء : حقيقته .

(٥) يريـد بالكنز الـذى على قمة الجبل : المنظر الطبيعى نفسـه ، ومثل ذلك يقال فى البيت الثانى .

نعي الشتاء!

الرسالة ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٩م

تعـــادَلَ الليلُ والنهـــارُ وأدرك القـــرَّ الاحتضـــارُ(١)
وراح فصلُ الشتـــاء يهـــوى فى هُـــوَّة مـــالهـــا قـــرار
يـــا صفـــرةَ المـــوت، أدركيـــه ليكسُـــوَ الأرضَ الاخضـــرار
كم ارتـــدينـــا؛ فمـــا وقـــانـــا منـــه شعـــارٌ ولا دثـــار(٢)
لا كـــان! هل فيـــه غيـــرُ بـــرقٍ من عينـــه يقـــدحُ الشـــرار؟
وغيـــرُ رعـــد يصُكُّ سمعى كأنمـــا صـــوتُـــهُ خُـــوار؟(٣)
يـــامن رأى قبلـــه صـــريعًـــا غنـــى على رأســـه الهَـــزار
أمـــا تـــرى السُّحبَ يـــومَ ولَّى جفَّـــت لهـــا أدمعٌ غِـــزار؟(٤)
لا يُثلـــجُ الغيـــثُ حيـــن يهمـــى صـــدرى ولـــو جفَّت الثمـــار
وإن تغنَّـــتْ بـــــه تميـــمٌ وسبحـــتْ بـــاسمـــه نـــزار
الـــدِّفءُ والضَّـــوءُ أين راحـــا؟ لِينكشـــفْ عنهمـــا السِّتـــار
الطيـــرُ والأيـــكُ أين غـــابـــا؟ لينتفـــضْ عنهمـــا الغبـــار
كـــم من نهـــار مضـــى. عليـــه ثـــوبٌ مـــن الليـــل مستعـــار!
ريـــاحُـــهُ آذنتْ بحـــرب فـــالنَّقـــع فى جـــوِّه مُثـــار(٥)

---

(١) تعادل الليل والنهار: كناية عن حلول الربيع، ففى بدئه يستوى الليل والنهار.
(٢) الشعار: ما لاصق الجسد من الثياب، والدثار: ما فوق ذلك.
(٣) يصك: يضرب، الخوار: صوت البقر.
(٤) يريد بجفاف الدمع: انقطاع المطر، فالمطر من خصائص الشتاء فى مصر غالبا.
(٥) آذنت: أعلنت، النقع: الغبار.

كـأن شمسَ الشتـــــاء ظبيٌ ... من طبعـــه الـــدلُّ والنِّفـــار

أو وجـــهُ عـــذراءَ ذاتِ خِـــدرٍ ... تظـنُّ أن السفـــــورَ عـــار

لابـــذرُهُ ـــ إن بـــدا ـــ لجيْنٌ ... كـــلا ، ولا شمســـه نضـــار[1]

ولا أواذيُّـــــه مَـــــرايَـــــا ... والنبتُ مـن حـــولهـــا إطـــار[2]

كم أصبح الفحْـم ـ وهْـو فحم ـ ... كـــالـــزاد لـم تَخل منــــه دار

كل امـــرئٍ كـــالمجـوس فيـــه ... أمـــامَـــه مـــوقـــد ونـــار

نجـــومـــه قـــد مشيْنَ حبـــوًا ... وشمســـه جـــرَّهـــا البخـــار[3]

إن جنَّ فيـــه الـــدجى احتجبْنَـــا ... فـــالأرض من أهلهـــا قفـــار[4]

وبـــات كل امـــرئٍ سجينًـــا ... فـى داره حـــولـــه حصـــار

يـــاليت أعمـــارنَـــا ربيعٌ ... صِـرفٌ، ولـــو أنهـــا قصـــار

لهفـى على معشـــرٍ إذا مـــا ... دارت عـــروسُ السمـــاء داروا!

مشَـــوْامع الشمس؛ كلُّ فصْـل ... لهـم بـــه كعبـــة تـــزار

كم ضـــاق مشتىً بهم؛ وجـــادت ... لهـم بشُطـــآنهـــا البحـــار

قـــد لطَّـف المـــالُ كـلَّ جـــو ... فـــلا صقيعٌ ، ولا أُوار[5]

وبـــات فـى الحـــالتين يشقـى ... من خـــانـــه مثلـىَ اليســـار

---

(١) اللجين: الفضة، النضار: الذهب.
(٢) أواذى: جمع آذى وهو: الماء.
(٣) كنى بالمصراع الأول عن: طول الليل، وبالثانى عن: قصر النهار.
(٤) جن الدجى: أقبل.
(٥) الصقيع الجليد. الأوار: حر الشمس.

في سكون الليل

مجلة أبولو فى فبراير سنة ١٩٣٣م

ها هو الليلُ قد طرقْ — في خشوعِ
يبعث الشَّكَّ والقلق — فى الضلوع
نشرَ النجمَ فى الغسق — كالقطيع (١)
وطلى صفحة الشفق — بالنجيع (٢)
ربَّ جفنٍ به انطبق — فى هجوع
وَسِوَاءُ شكا الغرق — بالدموع

* * *

نبِّهونى لدى السحرْ — نبهونى
وضعونى على النَّهَر — ودعونى
أنا والماءَ والشجر — فى سكون
أملأ السمعَ والنظر — بالفنون
ثم أُفضى إلى القمر — بشجونى
ليس سرّى لدى البشر — بمصون

* * *

ها هو الديك قد صدحْ — بالأذانِ
وسنا الفجر قد لمح — للعيان

---

(١) الغسق: ظلمة أول الليل.
(٢) النجيع: نوع من الدم.

في وشـــاح مـن الفـــرح أرجـــــــوانـى
هَـــزَمَ الليـلَ وانجـــرح فـى الطعــــــان
والنـــدى حـــولَـــهُ نضح كـــــالجمـــــان
منظـــر سَـــاحـــرٌ طفح بـــــالمعـــــانى

* * *

الفـــأر

يـــا قـــارضَ الفـــراشِ والثيـــابِ

وفـــاجعَ القـــارىء فـي الكتـــاب

ومـــالىء المنـــزل بـــالأســـراب[1]

ونـــافـــذًا من أحكـم الأبـــواب

بـأىِّ ظِفـــــرٍ أم بـأىِّ نـــــاب

تعْمـلُ فـى الجـــدران والأخشـــاب؟

سنُّـك مـن أسنـــــة الحـــــراب

لا كُنت يـــا أحـــذَرَ من غـــراب!

كـم وُضـعَ الفـخُّ على الأعتـــــاب

والسُّـمُّ فـى الطعـــام والشـــراب

فمـــا نجـــا البيتُ من الخـــراب

رُميـتَ يـــا محلـــوْلـكَ الإهَـــاب[2]

بكـلِّ قـطٍّ مثـلِ ليـث الغـــــاب

---

(١) الأسراب : جمع سرب ـ بفتح السين والراء ـ وهو : طريق فى الأرض.
(٢) محلولك : أى مظلم مسود. الاهاب : الجلد.

المحــــراث

يُخطِّـطُ الأرضَ فى نظْـم وإتقـــانِ ... كأنـــه ريشـــةٌ فـى كفِّ فنّـــانِ

يخطط الأرضَ ، لكـنْ لا يلـــوِّنُهَـــا ... فـإن نمـا زرعُهـا ، ازدانت بألـوان

تلك السطـورُ سطُـورٌ بـات ينقشُهَـا ... فى صفحـة الأرض بالمحـراث ثوران

شاهدتُ فـى الحقل ـ بعد الحرث ـ هندسةً ... ليست تقـوم على دعوى وبـرهان [(١)]

حَسْبُ المُزارع ـ إن لـم يغشَ مدرسةً ـ ... مـا فى المَزارع مـن علم وعرفـان [(٢)]

مـا أجمل الأرضَ والمحراثُ ينظمهـا ... قصيـــــــدةً ذاتَ تقطيـع وأوزان !

يمشى ومن خلفـــه كفٌّ تـــوجِّهُـهُ ... كـالفُلكِ سُكَّانهـا فى كفِّ رُبَّـان [(٣)]

مـــا قلقـل الأرض إلا زاد غَلَّتهـــا ... ضعفين ، فاعجب لهذا الهادم البانى !

لـه سـلاح إذا مـا شقَّهـا انفتحت ... فيهـا كنـوزُ يـواقيـتٍ ومَـرجـان

لـولاه مـا جـاد بـالخيـرات بـاطِنُهـا ... ولا جنى ثمـرًا من ظهـرهـا جـان

---

(١) يشير بقوله : « دعـوى وبرهان » إلى : ما هو معروف من الاصطـلاحات الهندسية فى الهندسة النظرية .

(٢) الأولى « المزارع » بضم الميم ، والثانية « المزارع » : بفتح الميم .

(٣) سكان السفينة : دفتها ، وربانها : قائدها .

في المـــرأة

في استانلي (1)

الرسالة ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٣٧م

كلُّ شيء في الصيف يشكو الركودا ... وأرى الثغر وحده في نشاطِ
قذف البحرُ درَّه المنضودَا ... أرأيتَ الجمان فوق الشاطي؟ (2)

* * *

يا خَلِيليَّ، أين أين الرداءُ؟ ... أنا مالي بكل ذاك يدانِ
ذاك ماءٌ أم هذه كهرباءُ؟ ... أم لهذا الخليج تياران؟ (3)

* * *

أنا أخشى عواريَ الأجسادِ ... لست أخشى العبابَ والإعصارا
يصرع الموجَ ساعدي، وفؤادِي ... خائرٌ واهنٌ أمام العذاريَ!

* * *

رفعوا في الزوابع الأعلامَا ... ينذرون الأنام بالأخطارِ (4)
نكَّسوها ثم ارفعوها إذامَا ... لاح سربٌ من الأوانس عارِ

* * *

أعوارٍ تلك الدُّمى أم كواسِي ... بلباس يفصِّل الأجساما؟ (5)
لاوقاه اللهُ البلى من لباسٍ ... إنه كان واشيا نمامًا؟

* * *

---

(1) من شواطيء الاستحمام في الإسكندرية.
(2) يريد: الدر المجازي «فتيات الشاطيء».
(3) يريد بالتيارين التيار المائي والتيار الكهربائي.
(4) ترفع الأعلام عند هياج البحر إنذارا بخطر الاستحمام.
(5) الدمى - جمع دمية - : التمثال من الرخام ونحوه، ويريد باللباس: «المايوه».

صـاح، مـاذا رأيـتُ حـول المـاءِ؟ أهْــو سـربٌ من الحمـائم ظـامِ؟
طيبَّ اللهُ خـاطـرَ الصحـراءِ أصبح البحـر مـرتـع الآرامِ

* * *

هـاهنـا: لـؤلـؤٌ بغيـر محـارِ سـابح بـاحث عن الغـواصِ
وظبـاءٌ لم تـدر معنى النّفـارِ تضع السهم فى يـد القنـاصِ

* * *

انظـر الشمسَ، والهوى، والهـواءَ كيف راحت تنسـابُ فى الأجسامِ؟
إن للشمس والهـواء شفـاءَ لا يسـاوى مـا للهـوى من سَقـامِ

* * *

رب ثغـر يـداعـب الأمـواجـا ينشـر المـاء كـاللجين المـذابِ
تشتهيـه النفـوس ملحًا أجـاجًـا خـارجا من تلك الثنايا العـذابِ [1]

* * *

رب سـاقَيْن غـاصتـا فى المـاء كلجيـن ينسـاب وسْطَ لجيـنِ
بـدَتـا آيتين فـى الإغـراءِ وهمـا فيـه نصف عـاريتينِ

* * *

إن فـوق الـرمـال غيـدًا نيـامًـا كـالأفـاعى؛ ليـنٌ بغيـر عظـامِ
ليس سمًّـا لعـابهـا؛ بل مـدامًـا هـو: بـرءُ السقيـم، رِىُّ الظـامِى [2]

* * *

قـال جـارى: ألا تكـون رزينـا؟ قلتُ: لا تلحنى عـدمتك جـارا
وتلفـتُّ يَسـرة ويمينًـا قـال: ماذا أضعتَ؟ قلـت: الوقـارا

* * *

---

(١) ثنايا الأسنان: معروفة وعددها أربع، والمفرد: ثنية.
(٢) يريد باللعاب: الرضاب؛ وكأنه يفرق بين الغيد والأفاعى فيما يفرزه الفم، بعد أن شبه الأولى بالثانية فى اللين.

أيهــا المشتكى مـن الإقـــلالِ متّع النفس بالجمال متاعا
لم يبيحوا لنا شيوع المالِ وأباحوا لنا الجمال مشاعا

* * *

صاح، قل لى: ما بال تلك الصدورِ كشفها لا يحل لِلأحداقِ؟
ليتهم حرَّموا ذواتِ الشعورِ فهى عند مثل القذى فى المآقى (١)

* * *

لا تضيقوا بالمعصم المكشوفِ وتقولوا: خيرُ الجمال المصونُ
ما غناء الشذى بغير أنوفِ؟ قيمة الحسن أن تَراه العيونُ

* * *

لا تقولوا: قد غاض ماءُ الحياءِ واقرءوا الآى فى وجوه الحسانِ
رُبَّ عضو من هذه الأعضاءِ نمَّ عن سر قدرة الرحمنِ

* * *

أيها الآسف الحزين الباكى ابْكِ ما شئتَ ضيعة الأخلاقِ
قِف ـ إن اسْطعتَ ـ دورةَ الأفلاكِ أو فكِلْ أمر الخلق للخلاقِ (٢)

* * *

هاهنا أعشق الملاحة صِرفَا ما عليها من الثياب غشاءُ
هاهنا ليس يعرف الكحل طرفا لا، ولا يغمر الخدودَ طلاءُ

* * *

---

(١) يريد بالصدور ذات الشعور: صدور الرجال.
(٢) دورة: مفعول به لقف، والمراد: أنها سنة التطور.

هـــاهنـــا روعـــة الطبيعـــة تبـــدو فتـــراهـــا عـــذراء بين العـــذارى

انظـــر البحـــر وهْـــو جـــزر ومـــدٌّ وانظـــر الشمس فيـــه إذْ تتـــوارى

❊ ❊ ❊

أيهـــا البحـــر، قـــد نـــزلتك ضيفـــا فكأنـــى أغـــرقت فيـــك همـــومى

ليت عمـــرى جميعَـــه كـــان صيفـــا ينقضى فـــوق شط بحـــر الـــرومِ!

❊ ❊ ❊

في الريـف:

على ضفاف الغدير

مجلة أبولو أبريل سنة ١٩٣٣م

جنِّبـاني خليج بحـر الـرومِ وقفـا بي على ضفـاف الغـديـرِ
هـاهنا الغيـد في ائتـلاق النجـومِ حُمْنَ حـولَ الميـاه مثلَ الطيـورِ

* * *

هنَّ أَقبلنَ بـارزاتِ الصـدورِ ثم شمَّـرن كلَّ ذيلٍ عفيفِ
يـالهـا من طهـارة في سفـورِ! جُمعَ الطهـرُ كلـه في الـريفِ

* * *

قـد كشفن الـذيـول عن سيقـانِ أرأيت الـدُّمى وهنَّ عـوارِ؟
وتقـدمنَ فـي خطـا متـوانِ يتمـايلن خيفـةَ التيـارِ

* * *

رفعتْ ذيلَ حـالكٍ في السـوادِ عن حـواشي مـورَّدَ اللـون دامِ
فـإذا طيّ هـذه الأبـرادِ شفـقٌ لاح تحت جنح الظـلامِ

* * *

وإذا مـا رأيـتَ رأى العيـنِ منظـر السوق غصْنَ في الأمـواجِ (١)
قلـتَ: وادٍ أديمُـه مـن لجيـنِ نبتتْ فيـه غـابـةٌ من عـاجِ

* * *

---

(١) السوق: جمع ساق.

ركعتْ كل غـــادة هيفـــاءِ كـركـوع البتـول فـى المحـرابِ (1)

فــرأتْ ظلَّ وجههـــا فـى المـاءِ ورأى المـــاء فيــه ظل العبـــابِ

❊ ❊ ❊

رُمْـنَ غمس الجــــرار فـى الآذىِّ فأبـى غمسَهـــا دلالا وتيهـــا (2)

فإذا مـــا انتصـــرن نصـــر الكميِّ ضحكت كل جـــرة ملءَ فيهـــا (3)

❊ ❊ ❊

ثـم أدبــــرن يحتملـن الجـــرارَا تتثنَّـى من تحتهـــــا الأجيـــــادُ

مـــادلالا تميس تلـك العـــذارَى كـلُّ لــــدنٍ تئـــــوده ينـــآدُ

❊ ❊ ❊

رفعتْ عنـــد سيـــرهـــا بـــاليمينِ ذيلَ ضـــافٍ، مهفهف، معثـــارِ (4)

واتقت بـــالشمـــال فـــوق الجبينِ غـــزواتِ الشعـــاع لـــلأبصـــارِ

❊ ❊ ❊

ســـرْنَ سيـــر المجـدِّ عنـــد الـورودِ فإذا مـــا صـــدرن ســـرن اتئـــادا

أرأيـــت الظليم عنـــــد الشـــرودِ أو رأيت القطـــاةَ إذ تتهـــادى ؟ (5)

❊ ❊ ❊

وعجبنـــا لحـــامـــلات الجـــرارِ لحْنَ فـــوق الـــروءس كـــالأبـــراج

كيف تبـــدو فى عـــزمـــة الجبـــارِ ذاتُ جسم كـــالـــزئبق الـــرجـــراجِ؟

❊ ❊ ❊

---

(1) المراد بالركوع : الانحناء لملء الجرار.

(2) الآذى : الماء، ويريد بإباء الماء : ضغطه على الجرة عند محاولة غمسها فيه.

(3) يريد بضحك الجرة : صوت الفقاقيع الناشىء عن حلول الماء محل الهواء.

(4) يريد : ذيل ثوب ضاف، والضافى : الطويل الشامل.

(5) الظليم : ذكر النعام.

تِلكَ ســوقٌ مصقــولــة في العــراءِ — لم تَمِسْ فى جـوارِبٍ من حريـرِ (١)
ورءوسٌ خُلقـن لـــلأعبـــاءِ — لا رءوسٌ أَلِفْـنَ قصَّ الشعـــورِ

* * *

مـــا تــرهَّلن فـى ظــلام الخـدورِ — أو طلَيْـن الأديم بـــالألـــوانِ
بل جـرت فى الـوجـوه جرىَ النميـرِ — حمـرةُ الشمـس صبغــةُ الــرحمنِ

* * *

ســائلانـي عن أهل تلك المغــاني — إن هـــذا الأديـمَ مسقـطُ راسـيِ
لقَّنَتْنى طيـــورُه ألحـــانى — وسقـــانى هـــواه أولَ كـــاسِ

* * *

مســرح كنت فـوقــه منــذ حينِ — وعليـــه لعبتُ دور الغـــلامِ
لك ــ يـا ريفُ ــ زفـرتى، وحنينى — لك عنـدى تقـديس بيت حـرامِ

* * *

(١) فى البيتين: بعض الموازنة بين القرويات والحضريات.

راقصة (١)

الرسالة ٢٣ من مايو سنة ١٩٣٠م

هنا الغرام والولَهْ	يا منظرًا ما أجملهْ ![٢]
أتلك أنثى خطرتْ	أم فتنة منتقلهْ؟
مقبلةٌ مدبرةٌ	مائلة معتدلهْ
كأن تحت أخمصيـ (م)	ـها جمرةً مشتعلهْ[٣]
باسمةٌ يحسبها	كلُّ فتى تبسم لهْ
تدور حول نفسها	كما تدور العجلهْ
وَتنثنى كأنها	عن نفسها منذهلهْ
أبدلها خالقها	بكل عظم عضلهْ
يا حسنها إذ عركت	أنملة بأنملهْ
أناملٌ من فضةٍ	ليِّنة مُنْفَتِلَهْ
جميعُ ما فى جسمها	يغريك أن تقبلهْ
والسحر كل السحر فى الْـ (م)	أُنوُثة المكتملهْ
من ترمه بلحظها	أدنت إليه أجلهْ
كم ارتقت مسرحها	فصيرته مقصلهْ[٤]

---

(١) أنشئت على إثر سهرة فى مرقص.

(٢) من معانى الوَلَه: ذَهَابُ العقل والحيرة.

(٣) الأخمص ـ من باطن القدم ـ: مالا يمس الأرض.

(٤) القصل: القطع، والمقصلة: كمشنقة وزنا ومعنى.

دقت على أديمـــــه بســـاقهـــا منفعلـــهْ [1]

كأن فـى المسـرح حــر (م) بَـــا هى فيهـــا البطلـــهْ

زلـــزلَـــة قـــد أحــدثت فى كـل قلب زلـــزلـــهْ

تستـــر نصفَ جسمهـــا غـــلالـــةٌ مشكَّلـــهْ

تنم عن أعضـــائهـــا مـن تحتهـــا مفصلـــهْ

جسـم كمـــوجِ عيلم تسبح فيـــه الأخيلـــهْ [2]

تخـــال فيـــه كـلَّ عضـــ (م) وٍ وحـــدةً منفصلـــهْ

فليس بيـن خصـــرهـــا وبين صـــدرهـــا صلـــهْ

فى مـــرقص لا يعـــرف الهـمَّ فـــؤادٌ نـــزلـــهْ

كـأنـــه فـى بقعـــة عن الـــدنى منعـزلـــهْ [3]

بيـن الـــدنـى وبينـــه ستـــائرٌ منســـدلـــهْ

الهـمُّ فيـــــه واقـف خجـــلان يخفـى خجلـــه

دعنى أَضـلَّ ســـاعـــة عبءُ التقـى مـــا أثقلـــهْ!

مـــا كنت مـن أهل المســو (م) ح والـذقـون المـرسلة [4]

كـــم ورعِ مصطنـــع وعفـــةٍ مفتعلـــهْ!

---

(١) يشير إلى: حركة خاصة تأتيها الراقصة فى نهاية الشوط.

(٢) العيلم: البحر.

(٣) الدنى: جمع دنيا، وجمعها باعتبار تعدد أمكنتها أو ألوانها.

(٤) المسوح: جمع مسح ـ بكسر الميم ـ وهو: رداء عليه طابع الزهد.

عصفورة تتحدى النسور ![1]

الأهرام فى ... سنة ١٩٣٣م

شاعرَ النيل، يا نزيل الجنانِ ... هل شهدت الفتاة يوم الرهانِ؟ [2]

لو ترى غادة الكنانة فى الجوِّ (م) لأنستك غادة اليابان [3]

لم يسعها الخباء بل لم يسعها ... فوق ظهر الغبراء أيُّ مكان

فتسامت إلى السماء كأن الْـ (م) أَرض ضاقت عن جسمها النورانى

يالَعصفورة تحدت نسورا ... فشأتهم فى حَلْبة الطيران! [4]

* * *

رفعت أمسِ رأسَ مصر فتاةٌ ... هى والبرق - إن سرى - توءمان [5]

أسرعتْ سرعةَ الأشعة والأصـ (م) ـوات نحوَ العيون والآذان [6]

تعثر الريح حين تقفو خطاها ... عثراتِ الجبان فى الميدان [7]

ويسير السحاب فى ركبها المحـ (م) ـفوف بالنصر آخذا بالعنان

لم يعقها عن التقدم لينٌ ... فى عظام أو رقة فى بنان

أو قوام كأنه الغصنُ لدْنٌ ... أو فتور فى جفنها الوسنان [8]

---

(١) أقيمت - فى ذلك التاريخ - مسابقة عالمية فى الطيران ؛ فكانت الأولى آنسة مصرية.

(٢) يريد بشاعر النيل: « حافظ إبراهيم ».

(٣) يشير إلى: بائية حافظ المشهورة التى تحمل اسم: « غادة اليابان ».

(٤) شأه: سبقه، والحلبة: الميدان.

(٥) التوءمان: المولودان يولدان فى بطن واحد.

(٦) يعتبر الضوء والصوت مضربان للمثل فى السرعة، وإن كان الضوء أسرع. ضوء الشمس يصلنا فى ست دقائق، وبيننا وبينها: ٩٣ مليون ميل.

(٧) تقفو: تتبع.

(٨) الوسن: النوم. الوسنان: الفاتر النعسان.

مـا عهـدنـا بطـولـةَ الغيـد إلا ... فى سبـاق الـوجـوه والسيقـان

فـإذا سهمُهن فـى الجـو أمضـى ... من سهـام العيـون والأجفـان

* * *

كـاعبٌ من بنـات مصـرَ أرتنـا ... جـرأةَ الليث فى وجـوه الحسـان

لم تـر المجـد فـى لبـاس أنيق ... أو طـلاءِ الـوجـوه بـالألـوان

بل رأتـه بين السحـاب، فنـادتـ (م) ـه؛ فلبى نـداءَهـا غيـرَ وان [1]

إنمـا المجـد درةٌ سبحت فى الـ (م) أُفقِ، لا فـى مسـابح الحيتـان [2]

غـادة تمتطى الهـواء وتغضى ... عينهـا عن طـوارق الحـدثـان

كلَّ يـوم تـرى عُقـابـا تـردى ... وهى كـالطـود فى ثبات الجنان [3]

لا لعمـرى، ليست مَـلاكـا؛ ولكن ... هى أنثى قـويـةُ الإيمـان

* * *

إيـه يـا ربـة البسـالـة والعـز (م) م، ويـارمـز نهضـة الأوطـان

مـا يـريـد المحلَّفـون سـوى أن ... تصلى قبـل سـائر الأقـران؟ [4]

أشهـدى الـريح والسحـاب، إذا مـا ... عـزبَ الحق عـن بنى الإنسـان [5]

ليـس يُمحى ثبـوتُ سبقـك إلا ... يـوم تمحى حقـائقُ الأكـوان

---

(١) وان: اسم فاعل من ونى ينى، بمعنى تأخر.

(٢) كنى بمسابح الحيتان عن: البحر. يقـول: إن للطيران الآن المقام الأول فى عالم القوةوالمجد.

(٣) تردى: سقط، ويريد بالعقاب: الطيار، والجنان: القلب.

(٤) يشير إلى: قـرار المحلفين ـ إذ ذاك ـ بأنهـا خالفت بعض الشـروط؛ فلا تستحق الجائزة الأولى.

(٥) عزب: غاب.

أنــت أثبتِّ أن مصـــــر بخيــــر		أمـــةُ السبق من قـــديم الـــزمـــان

حلِّقى كَيْفَ شئت فى الشـرق أو فى الــ (م) ـــغَرْب، تـــرعـاك مقلـــة الـــرحمن

واملئى كـل مُسمـع بـأزيــــــزٍ		هـــو أشجـى من رنـــة الألحـــان

لستِ عنـدى أختَ العصافيـر؛ لكن		أنـتِ أختُ البــــزاة والعقبـــان

قـــد عقـدنـــا لك اللـواء على الجـــ (م) ـــوِّ ؛ ففـوزى بـالتـاج والصـوْلجـان

* * *

شاعرة!

الرسالة فى ... سنة ١٩٣٣م

كاعبٌ جرَّتْ ذيول الأدبِ ... وتغنَّت بقريض العربِ
يأسَنُ الشعرُ، فإن مرَّ على ... فمها، عاد بنفح طيب [١]
تخرج الألفاظ معذوذبةً ... من فم حلو اللمى معذوذب [٢]
دررٌ خارجة من دررٍ ... تلك لم تثقبْ، وذى لم تُثقب
إن خمرًا كأسُها من خزف ... غيرُ خمر كأسها من ذهب

* * *

شدّ ما يأسر لبى قلمٌ ... مرهفٌ فى أنمل مختضب!
يارعى الله قوامًا لينًا ... يَنْحَنِى كالقوس خلفَ المكتب!
ويمينا بضةً ناعمة ... خُلقت للجدِّ، لا للعب
طبعَ النِّقْسُ عليها شامةً ... كالتى فى خدها الملتهب [٣]
أَنَّ فى مِعصمها مِرقمُها ... كأنين العاشق المكتئب [٤]
وحنى بين يديها رأسَهُ ... كانحناء الساجد المقترب

---

(١) أسن الماء: تغير.
(٢) اللمى: سمرة فى الشفة.
(٣) النقس: المداد.
(٤) المرقم: القلم.

غــــادة: مـــرآتهـــا إن نظـــرت
صفحـــــةٌ من صفحـــــات الكتب

يـــا إلــــهَ الشعـــر، بــــاركْهـــا إذا
سبحت فى مـــوجـــه المصطخب!

احفـظ الهيفـــــاء مــن تيــــــاره
ليس بحـــر الشعـــر سهلَ المـــركب

يـــا فتـــاة الخـــدرَ، عـــوَّذتُـك من
سهـــــر الليل، ونجـــوى الشهب

وشـــرود الفكـــر فى جنح الـــدجى
وهـــــروب اللفظ عنـــــد الطلـب

اتـــــركى جفنَـك ينفثْ سحــــــره
فى خيـــــالـى، وقفى عـن كثب (١)

لا تقـولـى الشعـــر، بل أوحـى بـــه
أنت خصـب للخيـــال المجـــدب

إنمـــا الشعـــر محيط، فـــاسلمى
ودعى أمـــــواجــــه تقـــــذف بى

إنــــــه عبء علـى حـــــاملــــه
مـــــا لهـــــذا العبء إلا منكبى

❊ ❊ ❊

---

(١) كثب : قرب.

عـرش الجمـال (١)

الرسالة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٥م

يـا ربّـة المُلك الـذى انتظم الـورى مُلْكُ البسيطـة مـا أتيح لقيصـرا
خضعت لحكمك دولـة عـزت على دارا ، وأعيـا عـرشهـا الإسكنـدرا (٢)
لك دولـة لم تـرهفى مـن أجلهـا حـدّ الحسام، ولـم تقـودى عسكـرا
لتـودِّع الأسـدُ الغضـاب عـروشهـا قـد أصبح المِلكُ المتوَّجُ جـؤذرا (٣)
من كـان يمتلـك الـرِّقـابَ، فـإنمـا عرشُ الجمـال على القلـوب تسيطرا
كم عـاهل ذى سطـوة لـم يفتتحْ قلبـا وإن فتح المـدائن والقـرى
مُلك الفـراعنـة الشـداد أعـدتِـهِ بيـد مخضَّبـة وطـرفٍ أحـورا (٤)
مـا للمهـا فى مصـر تحكم عـالمـا والليث يعجِزُ أن يعيش محـرَّرا؟ (٥)

* * *

ملكت يمينك كـلَّ صـدر نـاهـدٍ وأطـاع أمـرَك كـلُّ خـدٍّ أحمـرا
كم كـاعبٍ ملكـت قلـوبـا أصبحت أمَـةً تبـاع إذا أردتِ وتشتـرى
كم تحت حكمك ذِاتُ لحظ، إن رنا تـرك المهنـد لا يسـاوى خنجـرا
جنـد أغـرُّ من الحسـانِ الحـور لـو لاقيت أسطـولا بـه، لتقهقـرا
أقسمت، مـا بين الملـوك أعـزُّ من مَلِكٍ على عـرش المـلاح تـأمَّـرا

* * *

---

(١) فى ذلك التاريخ: أقيمت مسابقة عالمية للجمال، فازت فيها آنسة مصرية.
(٢) «دارا» : من كبار ملوك الفرس، وكان بينه وبين الاسكندر حروب معروفة.
(٣) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٤) الحور: شدة سواد العين فى شدة بياضها.
(٥) المها: جمع مهاة؛ وهى البقرة الوحشية.

عــرش الجمــال أيضا

مُــرِى بمــا شئت ؛ كلُّ النــاس آذانُ ... مــا نــال قَبلك مُلْكَ الكــون إنسـانُ

من ذا الـذى عنَت الـدنيـا لطلعتـه؟ ... أتلك « بلقِيسُ » أم هــذا سليمـان؟ [1]

فى أى جنــة خلــدٍ أنتِ نــاشئــةٌ؟ ... وكيف أفلت هـذا الــوجهَ رضـوان؟

النيل ســـوّاكِ تمثـــالا ونمّقــــه ... كأنّمــــا أنتِ فـن وهْــــو فنـــان

وجــه أشعّــةُ شمسِ النيل تكسبــه ... لـــونـــا ، وعـــودٌ بمـــاء النيل ريـــان

يا غــادة النيل ، إن الناس قـد جحدوا ... مصـــرًا ، فحين رأوْا آيـــاتهـــا دانـــوا

هم أنكـروا كلَّ معنـى فى تقــدمنـــا ... فهل لمــا تــدرك العينـــان نكــران؟

❊ ❊ ❊

اليـوم تحكم عــرشَ الحسن قيصـرَةٌ ... عـريقـــة ، عنـدهـــا للعـدل ميـزان

مِن معشــر أَلِفـوا السلطـــان من قِــدم ... إن أصدروا أمرهم ، فالدهر مذعان [2]

يا بنت فرعون ، إن سُدتِ الأنام ، فقد ... عــادوا لمصــر رعــايـــا مثلمــا كــانـوا

التــاج ليس غـريبــا فـوق رأسكِ كم ... كــانـت بهـامـــاتنـــا التيجــانُ تـزدان

مــا بـــالهم رشحـوا للكـون عـــاهلــةً ... فى حين ضاقت بحكم الفـرد بُلدن؟

قــد بــوّءوك سـريــرَ المُلْك فى زمن ... تســـاقطت سُـــررٌ فيــه وتيجـــان

تحكمى واستبدِّى كيـف شئت ؛ فمـا ... للحسن ـ مهما طغى فى الحكم ـ طغيان

❊ ❊ ❊

شــادت لمصــر يـدٌ بيضـــاءُ نــاعمــةٌ ... مـــا لم تشــده أسـاطيـلٌ وفرســـان

---

(١) عنت : خضعت ، وبلقيس : زوجة سليمان .

(٢) مذعان : صيغة مبالغة من الإذعان ؛ بمعنى الخضوع .

قد يدرك الظبيُ فى أمن وفى دَعة ... ما يعجز الليثُ عنهُ وهْو غضبان

ما بالكنانَة من أمثالها عِقَمٌ ... حسنُ الكنانة مثلُ الزهر ألوان

فلو أردتم لعرش الحسن حاشيةً ... كنا لها، وجميعُ الناس عُبدان

سحرُ العيون بمصرٍ منذ أن طُرحت ... فيها العصا؛ فهى فوق الأرض ثعبان [1]

قد أنبتت يوسفَ الصديقَ تربتُها ... وكلُّ أرض لها طلع وسكان [2]

أما سبَتْ عاهلَ الرومان فاتنةٌ ... مصريَّة، مهرُها: عرش وإيوان؟ [3]

وكيف يذبل روض الحسن فى بلد ... مخضوضرٍ، جوُّه روْح وريحان؟

للنيل شمس بلا غيم، ولا وهج ... كأنما كلُّ شهر فيه « نيسان » [4]

وكل صُقع بمصر روضة أُنُفٌ ... ماء، وظل، وأطيار، وأغصان [5]

كنانة الله مهد المجد من قدم ... ما طال بنيانَها فى الأرض بنيان [6]

أقسمت، ما أَنبتت آسادَها أجمٌ ... ولا كغزلانها فى القاع غزلان

هى الجحيم إذا ثارت، فإن هدأت ... فجنة ملؤها: حور وولدان

❊ ❊ ❊

يا دميةً خطرت، فى كل جارحة ... منها على قدرة الرحمن برهان

عرشُ الملاحة جل الله واهبُهُ! ... الحب رمز له، والسلم عنوان

لم ينطلق يوم أن أَنْشِئته شررٌ ... ولم تَسِلْ من دماء الناس غدران

---

(١) يشير إلى: عصا موسى. يقول: إن مصر بلد السحر الحقيقى والمجازى من قديم.

(٢) يوسف الصديق: مضرب المثل فى الجمال، وقد طالت إقامته بمصر، وإن لم تكن مسقط رأسه.

(٣) يشير إلى: « كليوباترة »، التى ضحى أنطونيوس قيصر فى سبيلها بعرش روما.

(٤) الوهج: النار تهيج، ونيسان: معروف؛ وهو من أشهر الربيع.

(٥) الروضة الأنف: البكر التى لم ترع.

(٦) طاله: فاقه طولا.

عـرش المـلاحـة عـرش لاسِـلاحَ لـه ... إلا عيـــونٌ كحيـــلات وأجفـــان

فيم الحديد؟ وفيم النار؟ حسبك : من ... عينيك سيف ، ومن خــديك نيـران !

مُلك الملـوك على الأشبـاح سلطتُـهُ ... وللجمـــال على الأرواح سلطـــان

إذا غـــزوتَ حصـون المشــرقين ولم ... تَغز القلـوب ، فمـا للعـرش أركـان

***

قالـوا : الهوى ، قلت : إن الحسن بـاعثه ... فينـا ، ولـولا الهـوى مـا كـان عمـران

الـــورد يفْتـن فــوق الخـــد منظــرُه ... وكيف لا، وهْـو فـوق الغصن فتـان؟

فى الزهر، فى الطير، يسبى الحسنُ ناظرَه ... فى الشرق، فى الغرب، ماللحسن أوطان!

الحسن يملك حبـاتِ القلـوب ، فإن ... لم يملك الحسن قلبا ، فهو صفوان (١)

لولا الجمـال ، لما كـان الخيال ، ولا ... أوحى إلى شـاعــر بـالشعـر شيطـان

الحسن صُنْعُ يـدِ البــارى ؛ عبـادتُـهُ ... دينٌ ، وكفـــرانـــه بـــالله كفـــران

غـــادة البســـفور (٢)

الأهرام ٢٦ من فبراير سنة ١٩٣٣م

أنسيــــةٌ أم تلك بعضُ الحـــورِ ... من عَــذْنٍ انطلقتْ إلى البسفـــورِ؟

يـــا صـــورةً، أحسَسْتُ ســرَّ الله فى ... تكـــوينهـــا ، فجهـــرت بـــالتكبيـــر!

لمـــا تجلى للمقطـم وجهُهـــا ... أشفقت أن ينـــدك مثـل الطـــور (٣)

الحسنُ معنى قـــد جهلنـــا كنهَـــه ... فتحــــدثى عن ســـره المستــــور

***

(١) الصفوان : الحجر.

(٢) أنشئت تحية للآنسة : « كريمان هانم » عند زيارتها مصر، وهى تركية فازت بلقب ملكة الجمال فى مسابقة عالمية .

(٣) يشير إلى : حكاية موسى، حين قال : « رب أرنى أنظر إليك قال : لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ... إلخ ».

إسكنـــدريـةُ ـــ إذ رأتك ـــ تلفَّتَتْ وهفت لسـالـف مجـدهـا المـدثـور

أتظن فـــاتنـــةً القيـــاصـــر أقبلت وتظن هـــذا اليـــومَ يـــوم نشـــور؟ (١)

❋ ❋ ❋

مـا أسهم « الغـازى » وحدُّ حسـامـه بجـــوار حـدَّة جفنك المكســـور؟ (٢)

مـا بـالــه يـرضى بعـرشك بعـدمـا ثلَّ العـروش بحكمه الجمهـورى؟ (٣)

هـدَمَ الأسـرة فـوق هـام ملـوكهـا وظفـــرتِ أنـت بـدولـة وســريــر

الكـــون دان لـــوجنتيك، وطـــالمـــا دانت لقـــومك صفحـــة المعمـــور

مُلكٌ بنـــاه التـــرك فـى جبـــروتهم وبنيتِــــــهِ فـى رقـــــة وفتـــــور

مـا ضـاع من أيـدى الليـوث جمعتِـهِ فى قبْضتَىْ ظبـى أغنَّ، غـريـــر (٤)

❋ ❋ ❋

أحمـــامـــةَ البسفـــور، ألف تحيـــة لك مصـــرُ بيـن خمـــائلٍ ووكـــور

رفِّى علـى النيل السعيــــد وحلِّقـى ثــم اهبطـى فى أعيـن وصـــــدور

أهلـــوك تـــربطهـم بمصـــر أواصـــرٌ من قبـل كل سفـــارة وسفيـــر (٥)

إنَّـــابعيـن الفخـــر نـــرمُقُ نصـــرهم ونعيــذهــم من نشـــوة المغـــرور (٦)

---

(١) يريد بفاتنة القياصر : كليوباترة ، وكانت إقامتها بالإسكندرية العاصمة إذ ذاك .
(٢) يقصد بالغازى: مصطفى كمال.
(٣) ثل العرش: هـدمه. ويشير إلى: إعـلان مصطفى كمال الجمهورية، وإسقـاطه الخلافة.
(٤) الأغن: من فى صوته غنة.
(٥) الأواصر: جمع آصرة بمعنى الرابطة. ويشير ـ فى هذا البيت ـ إلى: حادث جرى لسفير مصر فى تركيا ـ إذ ذاك ـ كدر صفو العلاقات بعض الشىء.
(٦) فى المصراع الثانى ـ من البيت ـ: شبه عتاب على الحادث المشار إليه.

شكر عارفة (١)

الأهرام فى ... ١٩٤١م

رقْم تسجلـه هـدَى   فى الأريحيَّة والندَى
أنثى تفيض مروءة   جُعل الرجالُ لها فدى
من خلَّدته هُدى فأخـ (م) ـلقْ بباسم أن يَخْلدا!
هل رام شكرَ الميْت من   أسدى إلى ميت يدا؟
قم يا فؤادُ مرتِّلا   آيَ الثناء مردِّدًا
أتُراك تومىء بالهتا (م) ف لها فيلجمك الردى؟
ما ضاع شعرُك حين خلَّـ (م) ـف فى مسامعها صدى
كنز رعته بعطفها السّـ (م) ـامى، فلم يذهب سدى
زينَ النساء بقيتِ لِلْـ (م) أدب المصفَّى موردا
الشعر مثل الزهر رف (م) عليه عطفك كالندى
رحماهُ غاب الناهضو (م) ن به، فأصبح مقعدا!
أبصرتُ سيدة تقدَّ (م) ره ولم أر سيدا
ضربت لنا الأمثال غا (م) نية؛ فمن شاء اقتدى

---

(١) أنشئت هذه الأبيات؛ شكرا للسيدة: هدى هانم شعراوى، على ما تفضلت به من استعدادها لطبع ديوان الشاعر المأسوف على شبابه: «فواد بليبل» - وهو صديق الشاعر - على حسابها الخاص. راجع قصيدة: «الربيع الحائل» فى باب «عبرات».

أدب الجمـــال (1)

الأهرام فى ... ١٩٤١

أرأيتَ ربـــاتِ الجمــــالِ ... ينطقن بـــالــدُّرر الغــوالـى
سلبت صحـــائفُهن مـــا ... بنحـــورهـنَّ مـن الــلآلـى
سلس اليـــــراع بكفهـن (م) ... ســلاســـةَ العــذب الــزلال
فخطـــرن فـى بـــردين مـن: ... نسج الفصـــاحـــة ، والـــدلال
حُسْن البيـــان من الحســـا ... ن نهـــايـــة السحـــر الحـــلال
وحـــديثـــه أشهـى إلـى ... قلب الأديب مـن الــوصــــال

❊❊❊

طَلَبَ الغـــوانى فـى الحيـــا ... ة نصيبهـن مـــن النضــــــال
وأثـــرنهـــا شعـــواء من ... خلف الخـدور على الــرجــال
وإرادة الغيـــــد الكـــوا ... عـب مـن إرادة ذى الجــــلال
أنـــا عـن بنى حـــواءَ أعـــ ... لنتُ الفـــرار مـن المجـــال
قلم الفتـــاة كجفنهـــا ... فيمـــا يَـــريش من النبـــال (2)
مـــا كنتُ أولَ ضيغـم ... طلـب الأمـــان مـن الغـــزال
قـم يـــا أمين، تــر الفتـــا (م) ... ةَ تجيــد تـــدبيج المقـــال (3)
وتـــرَ الفتـــاة تســابق الشـــ (م) ... ـــعراء فـى وادى الخيـــال

---

(١) أنشئت هذه القصيدة ، على إثر شهود احتفال أقامته جميعة الاتحاد النسوى .

(٢) راش السهم ونحوه: وضع الريش؛ استعدادا للرمى .

(٣) يريد: المرحوم قاسم أمين ، أول من نادى بتحرير المرأة

قـــــد روَّضتْ متـن الهـــــوا ء، وســـابقت ريـح الشمـــال (١)

حملـت يـــداهـــا مبضعـــا وشفـت من الــــداء العضـــال

شَـــدَتِ الفتـــاة، فقصـــرت بغنـــائهـــا طـــولَ الليـــالى

وتـــوسطـت حــــرم القضـــا (م) ء، فأحكمـت طـــرق الجـــدال

وغَـــدَت إلى التمثيـل مـــر (م) شـــدة إلى كـــرم الخـــلال

وقفت تصيـح خطيبـــــــة وتصـــــدرت كل احتفـــــال

مـــا كنتُ أعهـــد سبقهـــا فى غيـــر ميـــدان الجمـــال

حلـم تحقـق، يـــا أميــــ (م) ـــنُ، ولـم يكن سهـل المنـــال

هـــذا زمـــان المعجـــزا (م) ت، وعصـــر تحقيق المحـــال

❊ ❊ ❊

الأمهـــاتُ بـــريـف مصـــ (م) ـــرَ يهمن فـى وادى الضـــلال

العلـم ألـــــزمُ للفتـــا (م) ة مـن المهنـــد للقتـــال

رَبِّ الفتـــــاةَ وألقهـــا بيـن الـــذئاب ،ولا تبـــال!

---

(١) يريد بترويض متن الهواء : امتطاء الطائرات.

ريـــاء ! (١)

مجلة أبولو مايو سنة ١٩٣٣م

نــامت الأمُّ فـى جـوار الفتــاةِ فإذا الكل غــارقٌ في السبــات
ثم فــاهــا بمــا يكنــان همسًــا يــالنجــوى البنـات والأمهــات!

* * *

قــالت الأم: يــا بنيــةُ، تبًّــا لك! تبــا من حيــة رقطــاءِ! (٢)
أنــا لــولاك مــا اكتهلتُ، ولكن كنتُ فـى عــود كــاعب عــذراء
لك ركـن تبنينــه بــانهــدامى وحيــاة تحيَيْنَهــا بفنــائى
ليتنــى أستطيــع وأدك، حتــى أحتسى مــا احتسيتــهِ من دمــائى

قــالـت البنت: يــا أميمــةُ، تبـا لك شمطـاء، ذاتَ وجـه دميمِ! (٣)
كم تـريـدين أن أعيشَ كمـا كنــ ـــتِ تعيشين فى الــزمــان القــديمِ
أنــت غــلٌّ فـى أخْمصـىَّ ثقيـل وحجــــاب بينى وبيـن النعيم
ليتنى أستطيـع وأدك، يـــا أمَّـــ ــــاه، حتى أشَـمَّ ريح النسيـمِ!
صحَت الأمُّ ــ بعـد ذاك ــ فقـالت : يــا ابنتى، يـا حمــامتى، عــانقينى
عــانقتهــا فتَــاتُهــا، ثـم قــالت: أنــت روحـى، وراحتــى. قبلينـى!

* * *

(١) نظم هذه القطعة بالإنجليزية : « جبران خليـل جبران » وترجمها نثرا : « انطونيوس بشير ».
(٢) التباب : الخسران، والحية الرقطاء : التى فى جلدها خطوط.
(٣) الشمطاء : التى اختلط بياض شعر رأسها بسواده.

القبـــــلة (1)

بين محرم ومحلل

مجلة أبولو مايو سنة ١٩٣٣م

تـلامس كفَّـانـا ، فألقت بنفسهـا علىَّ ، وسلطــان الهـــوى يتحكمُ
فـواللهِ ، مـا دنستُ سـاعـةَ ضعفهـا عَفـافًـا لنـا ، والحبُّ : طهـر ، ومأثم
وحـرمت فـاهــا والخـدود على فمى وكم مـن محب يشتهى مــا أحــرِّم
وكم من أنـاس حللــوا قبلـة الهـوى ليـرُضوا هـواهم ، لا عفا الله عنهمـو!

***

يعـفُّ عـن التقبيل وهْــــوَ متيـمُ فهل هـــو إنس أم مَـلاك مكـــرَّمُ؟
وهل هـــو صبٌّ أم فقيـــهٌ مشـــرع يحلِّلُ فى شـــرع الهـوى ويحـــرِّم؟
متى اعتنق الخـــلان من غيـــر قبلـــة وهــــذا لــــه خـــدٌّ وذاك لــــه فم؟
وكم لثم العشـــاق فى غيـــر ريبـــة وضموا علــى طهرٍ . عفــا الله عنهمو!

***

(1) الأبيات الأربعة الأولى ـ للأستاذ : أحمد عبد المجيد ، والثانية ـ نظمها الشاعر؛ ردا عليه ، وكانا طالبين إذ ذاك .

عـــبرات

ذكرى فريد ! [1]

اللواء المصرى ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٤م

ذكرى يُرَدِّدُها الحمى ترديدا ... فتفوحُ مسكا فى البلاد وَعودا

تجرى على شفة الزمان وسمعه ... نَغما، وتسرى فى الدماء وَقودا [2]

لم يطوها الفَلكُ المدارُ، كأنها ... أخذت على الفلك المدارِ عهودا

أقسمتُ، لم يهتف بمصرٍ هاتفٌ ... إلا ذكرتُ مع الهتاف «فريدا»

اسنم يَمَسُّ من القلوب شَغافها ... فكأن أحرفه انتظمْن نشيدا [3]

ويُعيد للذكرى صحائف كالضحى ... بِيضًا، وأخرى كالذوائب سودا

إنى لمحتُ دم الشهادة فى اسمه ... وقرأتُ فيه النفى والتشريدا

جُمعَ الضحايا كلُّهم فى روضة ... أُنُفٍ فكان على الجميع عميدا [4]

***

بالله فتِّشْ بين أطباق الثرى ... وانظر هنالك صارما مغمودا

صاغته مصرُ فلم تصُغه معدنا ... بل كان من أهرامها مقدودا

وابحث هنالك عن خطيب طالما ... رفع النداء، فأسمع الجلمودا

الهاتف الصدَّاحُ باسم بلاده ... يطوى به بحرًا، ويقطع بيدا

نشر القضية وهْى سر غامض ... حتى أحسَّ لها الوجودُ وجودا

والحربُ قائمةٌ على سيقانها ... يجرى الصعيد بها دما وصديدا

---

(١) ألقيت هذه القطعة فى ذكرى المرحوم: محمد فريد ـ فى ذلك التاريخ ـ بدار «الأوبرا».

(٢) الوقود ـ بفتح القاف ـ : المادة التى يوقد بها.

(٣) شغاف القلب: غشاء رقيق يغطيه.

(٤) الروضة الأنف: البكر التى لم ترع.

مــا كــان جيشُ الظــافـرين بأسـره ... ليُخيفــه بطشًــا ولا تهــديــدا

حَمل الأمـانـةَ بعـد مصرع مصطفى ... مـا نـاءَ ظهـرًا، أو تخـاذل جيـدا [(١)]

وحبــا البــلاد بنفســه وبمــالــه ... ولـو استطــاع حبا البـلاد مـزيـدا

رجلٌ: محبـة مصـرَ سـرُّ شقـائه ... لــولا محبــة مصـر عــاش سعيـدا

مِن أجلهـا هَجَـرَ الأحبـة، والكـرى ... والعيشَ فى ظـل النعيـم رغيــدا

وأوى السجـون كمـا أواهــا يـوسفٌ ... حيًّـا، فلمـا مات مـات طـريـدا [(٢)]

إن لم يكن سبِطَ الـرسـول، فإنــه ... أودى ــ كما أودى (الحسين) ــ شهيدا [(٣)]

أودى صـريعَ الــداء، يـرى جسمـه ... صفـر اليـدين، عن الـديـار بعيـدا

ظمــآنَ، هــام بقطــرة معســولــة ... من نيل مصــر فمــا استطــاع ورودا

مــا ســال خلفَ ســريــره دمعٌ، ولا ... خفَّ السُّعــاةُ إلى الســريــر وفــودا

هيهـات أنْ يُبكى غــريبُ الـدار، أو ... يلقى الحفــاوةَ من يمـوت وحيــدا!

❊ ❊ ❊

قم، يـا فريـدُ، وأَتمِمِ الصرح الـذى ... أسسْتَــه ضخم البنـاء، وَطِيــدَا [(٤)]

إن كـــان فى مصـــرٍ بنـاءٌ قــائمٌ ... تُـزهى به، فعلـى أساسك شِيـدا [(٥)]

الصيحـة الكبرى بصـوتك ـ وحـده ـ ... دوَّتْ طبــولا فى الحمى، ورعـــودا

---

(١) ناء بالحمل: أثقله فسقط.

(٢) سجن المرحـوم محمد فريـد غير مرة؛ بسبـب الحركة الـوطنية التى تزعمهـا. أما موته؛ فكان فى برلين.

(٣) السبط ــ بكسر السين :ــ ولد البنت، كمـا يطلق على ولد الـولد أيضًـا. والمراد بالحسين: الحسين سبط الرسول؛ ولد الزهراء.

(٤) الصرح: البناء الضخم.

(٥) زهى به ـ بالبناء للمجهول ـ : افتخر به.

إن قـام بعـدك من يصيح، فإنما ... قـد كنتَ مبتـدئا، وكـان معيـدا
لم ينقلـوا الأقـدام إلا بعـدما ... مهَّـدت أَنت طـريقهـا تمهيـدا
سـاروا وسـرت، فكنـت أنت طليعـة ... لهمـو، وكـانـوا فى الصفـوف جنـودا
لم تَتَّخِـذْ حبَّ البـلاد تجـارة ... أو سُلَّمـا تبغى عليـه صُعـودا
أو تحشـد الـدهمـاء خلفك مـوكبًا ... ليسيـر بـاسمك هاتِفًا ومشيـدا (١)
مـا قمت تعلن عن جهـادك مـرةً ... أو تبتغـى نظـارةً وشهـودا
بل كنت مثلَ النجـم، يطـوى أفقـه ... والعين تحسبـه يسيـر وئيـدا (٢)

❊ ❊ ❊

حيِّيْتُ ـ في ذكراك ـ ذكرى مصطفى ... وعصـابـةٍ زأروا بمصـرَ أسـودا
سكنـوا القبـور؛ فما حـوتهم أعظما ... وجمـاجمًـا، بل لـؤلـؤًا منضـودا
زينَتْ بهم مصرٌ، فلمـا استُشهـدوا ... لبستهمـو صحـراءُ مصـرَ عقـودا
قـادوا الحمى فى فجـر نهضته؛ فمـا ... عـرفـوا عن النهـج السوىِّ محيـدا
لا صـولـة الحكم استخفَّتهم، ولا ... عـاشـوا لسلطـان الحطـام عبيـدا
لادَرَّ درُّ الحكـم؛ كم أحنـى لنـا ... رأسـا، وعفَّـر بـالتـراب خـدودا! (٣)
قل للـذى جعل المنـاصب والغنى ... ثمنَ الجهـاد: لقـد كسبت زهيـدا

❊ ❊ ❊

قُمْ، يـا فـريـدُ، نجدِّدُ العهـد الـذى ... عـاهـدتنـا ونـزيـده تـوكيـدا
صان الحـواريُّون ـ بعدك ـ عهدهم ... صون الكرام، وواصلوا المجهودا (٤)

---

(١) الدهماء: عامة الناس.
(٢) السير الوئيد: البطىء.
(٣) أصل الدر: اللبن، ولا در دره: دعـاء عليه. من مبادىء الحزب الـوطنى: عدم قبول كراسى الحكم.
(٢) الحواريون: الأنصار، مفرده: حوارى ويقصد بالحواريين: رجال الحزب الوطنى الأحياء.

نهضوا بحِمْلك، يا فريد، وإن يكن فوق الكواهل جندلا، وحديدا
ما صاح صائحهم بملء لهاتِهِ إلا سمعنا صوتك المعهودا
قالوا لهم: « حزب الجلاء »، وإنه لقب يزيد مقامهم تمجيدا
« والله ما دون الجلاء ويومه يومٌ تسميه الكنانة عيدا »[1]
الله يعلم، لستُ أبخس عاملا حقا، ولا أجزى الجميل جحودا
نفرٌ بهم دار النيابة تزدهى لا يقبلون أذىً بمصرَ أُريدا
لا يسمع المفتاتَ صوتَ أكفهم أو يعرفون لمبطل تأييدا[2]
نابوا، فكانوا الناطقين برأيهم والمُنطقين الخائرَ الرِّعديدا[3]
لم يقبلوها قيصريةَ قيصر لا نافذًا فيها، ولا منقودا
شَرْعُ النيابة ليس فيه مؤلَّه آراؤه لا تقبل التفنيدا
الله قد خلق الأنام سواسيًا لا ترْضَ إلا وجهَهُ معبودا
مَنْ لم يعش حُرا على وجه الثرى فليتَّخذْ فى بطنه أخدودا[4]

❊ ❊ ❊

قُمْ، يا فريدُ، تر الرجالَ تفرقوا شِيعا، وبُدِّدَ شملهم تبديدا
سرت العداوة بينهم؛ فتنابزوا ونسُوا عدُوًّا للبلاد لدودا[5]
سل مصر: هل ألقى السلاحَ جنودها أو حَققوا استقلالها المنشودا؟
المطلبُ الأسمى الذى من أجله ذَهبَ الضحايا، لم يزل مفقودا
ماذا أفادت مصر بعد جهادها إلا صحائفَ حُرِّرتْ وبنودا؟

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمرحوم شوقى بك.
(٢) المفتات: اسم فاعل من افتات بمعنى ظلم، وصوت الأكف: كناية عن التصفيق.
(٣) الرعديد: كثير الرعدة؛ الجبان.
(٤) الأخدود: الشق فى باطن الأرض ونحوه.
(٥) التنابز: التعاير والتداعى بالألقاب.

هيهات! لا تمحو الوثائقُ وحدها ... ذلَّ الاسار، ولا تحل قيودا

قل للكماة الظافرين: بذلتمو ... بالأمس فى عُرض المحيط وعودا (١)

وكسبتمو عطف الشعوب، ونلتمو ... من أهل مصرَ العوْن والتعضيدا

وجرت بسعدكمو طوالعُ، لم تزَلْ ... تجرى نحوسا تارة، وسعودا

ماذا ادَّخرتم للكنانة فى غد؟ ... أترى الكنانةُ حقَّها مردودا؟

العهد يقضى أن نعيش: حليفةً ... لحليفة، لاسيدًا، ومسودا

إن تشطروا النيل المباركَ، تقطعوا ... من مِصر خيطَ حياتها الممدودا

سودانُ مصرَ، ومصرُ: مملكة، فلا ... تضَعوا فواصلَ بينها، وحدودا

أخَوانِ من قِدَمَ. أليس كلاهما ... للنيل ذى الحسب العريق وليدا؟

هذى مبادئكم، وتلك حقوقنا ... كالشمس؛ لا لبسًا، ولا تعقيدا

دار الزمان، وجدّ فى دورانه ... عار علينا أن نظلَّ قعودا!

شعبٌ بنى الأهرام عالية الذرا ... لم لا يؤمل فى الحياة خلودا؟

لسنا نضنٌّ على الحمى بدمائنا ... فلنا أوائلُ علَّمونا الجودا

مهما تفرقت المبادىء، تلتقى ... فى حب مصرَ مقاصدًا وجهودا (٢)

حبُّ البلاد ـ لدى الجميع ـ عقيدة ... بين الجُنوب تُجاور التوحيدا

إنا على اسم الله سرنا، نقتفى ... مَلَكًا موفقةً خطاه رشيدا

قد قلبت صفحاتها مصرٌ؛ فما ... وجدت كأسرته ملوكا صيدا

لم تلق مثل محمد جدا، ولا ... كحفيده ــ زين الشباب ــ حفيدا

فاروق، إنك للكنانة كعبةٌ ... أمسى عليك رجاؤها معقودا

---

(١) يريد بالظافرين: الحلفاء، ويريد بالمحيط: الاطلانطى، ويريد بالوعود: ميثاق الاطلانطى المشهور، الذى يكفل للشعوب حرياتها.

(٢) تلتقى ـ بثبوت الياء ـ وإن كان جوابا للشرط، فرفع الجواب إذا كان الشرط ماضيا جائز، بل حسن.

مدفع فوق مدفع ! [1]

الأهرام ٣ من فبراير سنة ١٩٤١م

سارَ بين الدموع والزفراتِ ... خيرُ نعْش يقل خيرَ رفاتِ !

مِدفعٌ خامدٌ على مدفع سا (م) رَ من الوجد وارىَ الجمرات [2]

ولواءٌ طوَته أحزانه حو (م) لَ لواء طوته كفُّ الممات [3]

لودرت أنجم اللواء بمن ضمَّ (م) تْ، لأومتْ إليه بالقُبلات [4]

أخمدت قبضةُ المنية صوتًا ... طالما صاح في وجوه الطغاة

وحنتْ من محمد رأسَ حرٍّ ... ما حناه إلا أمام العفاة [5]

ساهرُ الجفن في دجى الليل، قدبا (م) ت غريقا في لجَّة من سبُات

والكبيرُ الذى تضيق به الأر (م) ضُ أقلتهُ حفرة في فلاة

والخطيبُ البليغُ طال به الصمـ (م) ـتُ، وصمتُ البليغ إحدى العظات

مات في حالك الظلام؛ فكانت ... ظلماتٌ تطغى على ظلمات

طالما ألحف السقام عليه ... فخدعنا النفوس بالتَّرهات [6]

هكذا تخدع الغريق يداه ... حين يطغى عليه حُبُّ النجاة

***

(١) أنشئت يوم وفاة المرحوم: محمد محمود باشا، ونشرت فى اليوم التالى.
(٢) يريد بالمدفع الأول: الرفات، وبالثانى: المدفع الحقيقى الذى أقل الرفات.
(٣) اللواء الأول: مجازى، والثانى: العلم الذى لف فيه الفقيد.
(٤) أومت: أصله أو مأت؛ بمعنى أشارت.
(٥) العفاة: جمع عاف؛ بمعنى فقير.
(٦) السبات: النوم.
(٧) الترهات: الأباطيل، مفردها: ترهة كقبرة.

فُجعتْ مصرُ ـ وهْى أكرم أمٍّ ـ في أبرِّ البنين بالأمّهات

في فتى، طاهر السريرة، عفٍّ برئت نفسه من العِلات

لم تَحُم ريبةٌ حواليه يوما لا، ولا شيبَ حوضُه بقذاة [1]

مَثَلٌ في الخصام أعلى، إذا خا (م) صم لم يرم خصمه بأذاة

ليِّنٌ إن قسا القساةُ، أبيٌّ إذ تشمُّ الثرى أنوفُ الأباة

الصريحُ الذي يقول: « نعم »، أو « لا »، إذا شاءَها بِمِلءِ اللّهات [2]

مستقلٌّ برأيه في زمان كثرت فيه دولة الإمّعات [3]

شدَّةٌ في كياسةٍ، ومراحٌ في وقار، وبسطة في تقاة

كان سمْحا بحقه، أريحيًّا غير سمح بحق مصر الفتاة

لم تدنِّس له السياسة طهرا وهْى حربُ الشمائل الطاهرات

ما عهدنا خبَّ الثعالب فيه لا، ولا لينَ مَلْمسِ الحيات [4]

ما عهدناه ذا دهاء، ولكن لم يغرِّرْ به دهاء الدُّهاة

ظنَّ قوم به الهوادة، حتى عجموه؛ فكان صُلب القناة [5]

قَرويٌّ، لم يغرس الغرب فيه غير عقل مثقف، وحصاة [6]

ورد الغرب، ثم عاد من الغَرْ (م) ب سليم الطباع والعادات

***

يا فتى الريف، إنني فيك أنعى ما حوى الريفُ من نبيل الصفات!

---

(١) شيب ـ بمعنى خلط ـ: مبنى للمجهول، والقذى: ما يقع في العين أو الشراب.

(٢) اللهاة: لحمة في الحلق أسفل الفم.

(٣) الإمعة: التابع الذي لا رأى له.

(٤) الخب: الخداع.

(٥) الهوادة: اللين.

(٦) من معاني الحصاة: الرأى الثاقب.

هبـةُ الـريف أنتَ، وهْـو كـريمٌ   مـا عهـدنـاه يستـردُّ الهبـات
يـا طبيب البـلاد سـاعـة تشكـو   كيف أعيت شكواك طبَّ الأساة؟ [1]
كيف تخبـو، والجـو أسحمُ داج   وتُـولـيّ فى أحـرج الأوقـات؟
نم قـرير الأجْفَـان، حسبك: مـاض   نـاصعُ اللـون، أبيض الصفحـات
قـد بكتك الأخـلاق بيـن البـواكى   ونعتـك الأهـرام بيـن النعـاة
عُمُـرٌ حـافـل بحلـو، ومـرٌّ   ورضـا صحبـة، وسخط عـداة
هكـذا العمـر ــ والحيـاة زوالٌ ــ   سنـواتٌ، تمـرُّ مثلَ سنـات
سنَّـة الله سنهـا فـى البـرايـا   كلُّ جمع مهـدَّدٌ بـالشتـات
غيـر أن العِظَـامَ قـد يتحـدَّوْ (م)   ن البِلى بـالمـآثـر الخـالـدات
والمنـايـا بـرازخٌ فـاصـلات   بين عهـديـن: بين مـاض، وآت
مـا طـوى الموتُ صفحـةً من كتـاب   قـد وعينـا مـا فيـه من آيـات
أنتَ خلفتَ ــ بعـد مـوتك ــ فينـا   بـاقيـاتٍ لا تنقضـى، صـالحـات
خـالـدٌ أنت رغم أنف المنـايـا   إن مـوت العظيم بـدءُ حيـاة

❊ ❊ ❊

---

(١) الأساة: جمع آس، بمعنى طبيب.

(١) هرم يهوى ![1]

الدستور ١ من مارس سنة ١٩٤٥م

في بهوْ فرعونَ، بـل في ساحة الحرمِ ... ترنَّحت، ثم مالت صفحة الهرمِ! [2]

وأمسكت جنبَهـا مصرٌ، فقلت لهـا: ... «ياويح جنبك بـالسهم المصيب رمى» ! [3]

قل للخطيب الـذى مـا اجتـاز منبرَه ... حتى رمتْه سهامُ المـوت بالبكم: [4]

هذى جراحك عند الصمت مفصحةً ... فيهنَّ: ألـفُ لســان نــاطـقٍ، وفم

كأننى بـالـوغـى ــ إذ قمت تعلنهـا ــ ... سجَّلت رأيك فى إعـلانهـا بـدم [5]

يا ساهر الليل، قد طال السهاد، وقد ... قرَّحت جفنك فى حب الحمى، فنم

أقسمت بالنيل، ليس النيل أطهرَ من ... تلك الدمـاء، وما بـالغت فى القسم

هـذا دم ســال من وجـه أغـرَّ، ومن ... قلب يـروع قلوب الأُسْـد فى الأجم

هـذا البـرىء الذى لـم تدرِ مصر لـه ... ذنبـا يخفِّـفُ عنهـا لـوعــة الألم

كــان الصـراحــةَ، والأفـواهُ مطبقـة ... كـان الــوفـاء بعصـر غـادر الـذمم

لا يشتكى خصمــه منــه مــواربــة ... أو تشتكى أذُنــاه فــاحش الكلم [6]

---

(١) أنشئت يوم وفاة المرحوم: أحمد ماهر باشا، ونشرت عقب إنشائها.

(٢) يريد ببهـو: فرعون البهو الفرعـونى من دار النيابة، وهو المكـان الذى أصيب فيه الفقيد بالطلقات النارية التى أودت بحياته.

(٣) المصراع الثانى من البيت للمرحوم شوقى بك.

(٤) مات الفقيد عقب خطبة ألقاها بمجلس النواب، وكان على أهبة إلقائها بمجلس الشيوخ.

(٥) كان من رأى الفقيـد: أن تخوض مصر غمـار الحرب إلى جانب الحلفـاء، وكان هذا مضمون خطبته المشار إليها.

(٦) المواربة: الختل والخداع.

عفٌّ اليـدين، شريـفٌ فى خصومتـه عفٌّ اللسـان، نـزيـهٌ، طـاهـر القَلَم

كـان الشجاعـة فى أسمى مظـاهرهـا يخطـو إلى الموت فـردًا ثابت القـدم

لا تعجبـوا كيف غـالتـهُ منيّتُـه بل اعجبوا كيف لم تصـرعه من قدم!

* * *

يـا آل أحمـدَ، قـد جلت فجيعتُكم أنتم أولو العزم فى اللأواء والهمم![1]

فقيـدكم خطبـه - بين الـورى - عَممٌ قد حل فى أمـة، بل حل فى أمم[2]

حيـاتـه: صفحـاتٌ كلُّهـا عظمٌ ومـوتـه: آيـةُ الآيـات فى العظم

لفـوه فى العلم المصـريِّ تكـرِمـةً أفـديـه مـن علم قـد لـفَّ في علم!

---

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) الخطب العمم: الشامل.

(٢) هـــرم يهـــوى ! [(١)]

أرى هـرمًـا فى بهـو فـرعـون هـاويـا ... ومـا زالت الأهـرام شمًّـا كمـا هيـا

تصـدَّع ركنـاه، وخـرَّ أسـاسـه ... وقـد كـان مثلَ الطـود بـالأمس راسيـا

ألا أيهـا الطـرف الضنين بمَـائه ... دع الـدمع، أو فاسكبـه أحمـرَ قانيـا

تـدفَّقْ؛ فهـذا الحشـد مأتم أحمـدٍ ... ولن تـرجـع الأيـامُ أحمـدَ ثـانيـا

دفينٌ ننـاديـه، ونهتف بـاسمـه ... وهل يسمع الميْتُ الـدفين المناديـا؟

تـوالت عليـه أربعـون عشيـة ... فلم نـدر: أجيـالا مضت أم ليـاليـا؟

أطِلَّ علينـا من سمـائك لحظـة ... لتنقع أكبـادًا بمصـر صـواديـا [(٢)]

رنَتْ نحَـوك الأحداق، والخطبُ محـدقٌ ... ولكنهـا ألفَتْ مكـانـك خـاليـا

أيُـرديك سهم بيـن جنبيك طـائش ... وقد كنت سهمـا فى الملمَّات مـاضيا؟ [(٣)]

ومثلك قـد يرديـه بـالخب ثعلب ... ولكنـه يـروى الأسـود الضـواريـا [(٤)]

عهدناك تغشى الموت فى كل مكمَن ... وتكشف للمغتـال صـدرك عـاريـا

جنـايـة قتل أنت بعض جنـاتهـا ... لك الله مجنيًّـا عليـه، وجـانيـا!

تعجب قـوم أن تمـوت، وإنمـا ... تعجبت أن تبقى إلى اليـوم نـاجيـا!

***

---

(١) أنشئت فى رثاء المرحوم أحمد ماهر أيضًا، لتلقى فى يوم الأربعين.

(٢) تنقع: تروى، وصواد: جمع صادية، والصدى: الظمأ.

(٣) لا يـريـد بطيش السهم: عـدم إصـابته؛ بل يـريـد: إصـابتـه من لا يستحق أن يصاب.

(٤) الخب: الخداع والغش، والأسد الضارى: المتعود الفتك.

مصـــابٌ عـــرا دارَ النيـــابـــة فجأة … فـــروَّع أهليهـــا، وهـــزَّ المبـــانيـــا [1]

رأتْ علمـا يهوى؛ فقـالت: من الفتى؟ … فقيل لهـا: من شادَ رُكنك عـاليا [2]

فضجت مغـانيهـا، وضجت قبـابهـا … ومـــال عليـــه منبـر الـــدار حـــانيـــا

ولا حـيَّ إلا راح يمسك جنبـــــهُ … ولا قلبَ إلا خلتـــه صـــار داميـــا

وقلَّب كفَّيــــه الطبيب بحســـرة … وسهمُ الـردى يعيى الطبيب المداويـا

همـو نضحـوا بـالمـاء دامىَ جـرحـه … ففـاح عبيـر المـاء كـالمسك ذاكيـا

دمٌ أرخصَتْــه كفُّ أحمـقَ، طـــائش … وقـد كـان إلا فى فـدى مصـر غـاليـا

❊ ❊ ❊

أرى مصـر يلهـو بـالسـلاح شبـابُهـا … فيـا لشبـــاب بـات بـالنـار لاهيـــا!

رأوْا بعيـــون يعكس الضـوء لحظهـــا … كأنَّ على تلك العيـــونِ غـواشيـا [3]

شبـابَ الحمى، لا تجعلـو السيف بيننـا … إذا ما اختصمنـا فى السيـاسة قـاضيا

شباب الحمى، هلا ادخـرنا سلاحنـا … لِنَلْقَى بـــه يـوم الكفـــاح الأعـاديـــا؟

ومنَ نكَـــد الأيــام: أن يحسب امـــرؤٌ … أبـــرَّ بنى مصـرٍ على مصـــرَ جـانيـــا

فـــلا بـــارك الله الحـــروب وأهلهـــا … فـإنا لقينـا بـالحـروب الدواهيـا! [4]

❊ ❊ ❊

ألا أيهـا الـرامى، لــك الـويل راميـا! … أتهـــدم بنَّــــاءً وتجــــرح آسيـــا؟

فجعتَ - لعمرى - مصـر فى ليث غابها … وخلفت حيـــات بهـــا وأفـــاعيـــا

غـدرت فتى لا يعـرف الغـدرَ طبعـه … يـلاقى عـداه سـافـرَ الـوجـه باديـا

---

(١) كانت إصابة الفقيد فى دار النيابة.

(٢) العلم: الجبل. وقد تولى الفقيد رياسة مجلس النواب ردحا طويلا من الزمن.

(٣) انعكاس الضوء معروف، والمراد: أنهم يرون الأشياء على غير حقيقتها.

(٤) يعتبر هذا المصاب من ويلات الحرب؛ فقد مات الفقيد فى سبيل الدعوة إلى أن تخوض مصر غمارها.

أصبتَ لـه وجهـا يفيـضُ بشـاشـةً وصـدرا من البغضاء والحقـد صافيـا
فتى لم يكـن فيـه مجـالٌ لـريبـة فلم يتخـذْ من صـولـة الجنـد واقيـا
لقـد لاذ بـالإنصـاف طـول حيـاتـه ومن لاذ بـالإنصاف لـم يخش عاديـا
فتى عاش، لم يغضب ويرضَ لنفسه ولكن لمصـرٍ كـان غضبـان راضيـا
فمن أجلها عـادى، ومن أجلها مشى يمـد إلى الخصم اليمين مصـافيـا
فتى الثـورة الكبـرى، كـوتـه بنـارهـا وما زال حتـى مات بـالنار صـاليا (١)
لقـدّ نهضَتْ مصـرٌ، فما سـار ركبهـا إلى المـوت إلاَّ كـان للـركب حـاديـا
زعيم بلـوْنـاه: خطيبًـا، وكـاتبًـا فمـا خط هجـرا، أو تكلم نـابيـا
إذا قـرَّب النـاس الـوشـاةَ، وجـدتـه كـريم الحـواشـى ؛ لا يقـرب واشيـا
وإن كُمت الأفـواه، صـاح بـرأيـه ولـم يخش جبارا من النـاس عاتيا (٢)
تفـانـى أنـاسٌ فى الحطـام وجمعـهِ وآثـرَ فى حب البـلاد التفـانيـا
يقـولـون: مـاذا فـات بعـد وفـاتـهِ؟ فقلت لهم: فيضـا من الـدمع هاميـا
ودنيـا من الـذكـر الجميل عـريضـة وكنـزًا من المجـد المـؤثَّل بـاقيـا

❊ ❊ ❊

ألا، مـا لسيف الهنـد فلَّ غِـراره؟ ومـا لجـواد السبق أصبـح كـابيـا؟
بكت مصر ُفى جنـح الظلام؛ فأرّقت نجوم الدياجى - إذْ بكتْ - والدياجيا (٣)
فمـا لـوعـة الخنسـاء إذْ هـي ثـاكلٌ تنوح على صخر، وتبكى معاويا؟ (٤)

---

(١) يريد بالثـورة الكبرى: ثورة سنة ١٩١٩م، وقد كان الفقيـد على رأس مجاهديها، وبسببها تعرض للموت غير مرة.
(٢) كمت الأفواه: سدت فلم تتكلم، بالبناء للمجهول فيهما.
(٣) جنح الظلام: طائفة منه، والدياجى: الظلمات مفردة ديجاة.
(٤) صخر ومعاوية: أخوا الخنساء اللذان ضرب ببكائها عليهما المثل.

وما خص هذا الخطبُ مصرَ، وإنما   رأيت بلادَ الشرق فيه سواسيا
طوى كلَّ مصرٍ خطب مصرٍ؛ فما درت: أتقبل فيه أم تسوق التعازيا؟

* * *

ويوم كيوم الحشر هَوْلاً وموقفا   مشى الركب فيه مطرقًا متهاديا!
مشى النعش مثل الستر، والركب حوله   يسير الهوينى، خاشع القلب، خاشيا! (1)
فكم سال جفن كان فى الخطب جامدا   وكم ذاب قلب كان كالصخر قاسيا
كتائب تَتْرَى، خلفهن كتائبٌ   هى الغيث هطالا، هى السيل طاغيا(2)
مشت خلفه مصرٌ، فلم أدر: هل مشت   تشيِّع ميْتًا أم تكرِّم غازيا؟
حُملت على الأعناق حيًّا، وميتًا   وكُللت فى الحالين بالزهر حاليا
طوى العلم المصرىَّ موتُك غيلة   وما كان يلقى غير موتك طاويا(3)
لقد كان مخضرَّ الأسارير، ناضرًا   فأصبح مغبرَّ الأسارير، ذاويا (4)
بدا كهلال الشك وجه هلاله   وأطلع نجما حائل اللون خابيا
لئن نكَّسوه يوم متَّ، فطالما   وقفت له فى ساعة الروع حاميا
تسلمته حينا، فكادت نجومه   تطاول فى الأفق النجوم الدراريا
لقد كنت تفديه، فمالك حينما   دنا الموت لم يقبل لك الموت فاديا؟

* * *

فتى النيل، عاهَدْناك أن نصل الخطا   وما ضل من يختار نهجك هاديا
وإنا، لعمرى، إذ نعاهد أحمدًا   نعاهد حرا، كان بالعهد وافيا
طوى الموت ـ لما أن طواك ـ صحائفا   من المجد فاضت عبرة ومعانيا
صحائِفُ خطتْ بالضياء سطورها   إذا تُلِيتْ، أمسى لها الدهر راويا

---

(1) المراد بالستر: ستر الكعبة حين يطاف به، وسير الهوينى: السير الوئيد.
(2) تترى: متتالية؛ أصله وترى.
(3) المراد بطى العلم: تنكيسه يوم وفاته، وقد أدرج فيه رفات الفقيد.
(4) أسارير الوجه والكف وما إليها: خطوطها.

فقيد الفصحى ! (١)

مجلة الإصلاح الاجتماعى سبتمبر سنة ١٩٤٤م

ضجيعَ التـراب، أطلتَ الـرقـودَا ... عـزيـزٌ على الضـاد ألا تعـودَا!

بكتك، لعمـرى، عيـونٌ شحـاحٌ ... تعـوَّدنَ عنـد المصـاب الجمـودا

بكى النيـل مَنْ كـان فى طهـره ... وكـانت سجـايـاه أشهى ورودا (٢)

فتى شَيَّعتْـه الـوفـود، فسـارت ... منـاقبُـهُ تتحـدَّى الـوفـودا

ولـو لم نُـؤبِّنـهُ نحن، لقـامت ... فـألقت على كل سمع قصيـدا

لـه سيـرة كعبيـر الـزهـورِ ... لـوَ ان الـزهـورَ رُزقنَ الخلـودا

نثـرنـا الـورود على قبـره ... فقطَّـرَ طيبُ ثـراه الـورودا

قضـى، وهْـو للكل خِـلٌّ، ودود ... وكـان لـه الكلُّ خـلا، ودودا

وعـاش؛ فمـا عـاش إلا كـريمًـا ... ومـات؛ فمـا مـات إلا شهيـدا

وأدّى رسـالتـهُ فى الحيـاة ... ولـولا الـردى، لتوخى المـزيـدا

ومـدُّوا لـه فـى زمـان الجهـادِ ... ويأبى لـه المـوتُ عمْرًا مـديـدا (٣)

فتى نـال بـاللين مـالا يُنـالُ ... وللِّيـن بأسٌ يَفـلُّ الحـديـدا

تـراضُ الـوحـوشُ بـألفـاظـه ... وينقلبُ الجمـرُ مـاءً بَـرودا

يسـوس الأمـورَ بمحضِ الأنـاةِ ... فيطوى العـدوَّ، ويُرْضى الحسـودا

ومـا كـان فى الحلـم إلا ابنَ هنـدٍ ... وذو الحلم أخلقُ بـه أن يسـودا! (٤)

* * *

(١) أنشدت فى رثاء المرحوم: محمد جـاد المولى بك، المفتش الأول للغة العربية، وألقيت فى حفل تأبينه الذى أقيم بقاعة الجميعة الجغرافية.

(٢) الهاء فى طهره: تعود على النيل.

(٣) يشير إلى أن الفقيد بعد أن بلغ سن التقاعد، مدت له الوزارة فى سنى خدمته.

(٤) ابن هند: هو معاوية، وبه يضرب المثل فى الحلم.

محمــدُ، لــو تُفتــدَى بــالشبــابِ بــذلنــاه للمــوت فيك زهيــدا
عهـــدتك مبتسمـــا للحيـــاةِ تـــرى كلَّ يـــوم أظلَّك عيـــدا
بــوجــهٍ طليق، كـــوجــه الــربيع إذا طـــاب نفحًـــا، وأورقَ عـــودا
ولم تَشْكُ من حـادث الـدهـر يـومًـا كأنـكَ منـــه أَخـــذتَ العهـــودا
أَلا إن ذلـك ســـــــرُّ اليقيـنِ رُزقـت اليقينَ، فَعِشْـتَ سعيـــــدا
سجـــدتَ لـــربك حين أطـــالتْ جبـــاهٌ لغيـــر الإلـــه السُّجُـــودا
أقـــدِّسُ فيك التقى والصـــلاحَ أقـــدِّسُ فيك الخــلاق الحميـــدا
عهـــدتك تـــدعـــو إلى الخُلْق دينًـــا وتهتفُ بـــالصـــالحـــاتِ نشيـــدا
ورقَّـتْ خِـــــلالك مثـلَ النسيم فكـــانـت على مـــا تقـــول شهيـــدا
عهـــدتك تعمـلُ خَلْفَ الستـــارِ وتَبـــذُلُ إثـــر الجهـــود الجهـــودا
تُهَيِّئُ للضـــاد مجـــدًا طـــريفًـــا وتبعثُ للضـــاد مجـــدا تليـــدا
تُشيـــد بهـــا فى سكـــون وصمت وتـــدفع عنهـــا الأذى إن أريـــدا
جهـــودٌ يحسُّ بهـنَّ الجمـــادُ وتنكـــــــر أن لهـن وجـــــودا

❊ ❊ ❊

أبَـــا جـــابـــر، كـلُّ حى يصيـــرُ إلى حتفـه، كـــارهًـــا، أو مُـــريـــدا [1]
على الأرض ننمـــو نمـــوَّ النبـــاتِ ويلقطنـــا المـــوتُ حَبًّـــا حصيـــدا
سنسلُكُ يـــومـــا سبيلَ الجـــدودِ فلسنـــا بـــأسعـــدَ منهم جـــدودا [2]
سألـتُ عن الأرض: مـــاذا أقلت؟ فقـــالـــوا: مهـــودٌ تغـــذِّى لحـــودا
ولم أرَ كـــالمـــوت داءً قـــديمًـــا تخـــرَّم عـــادًا، وأفنـى ثمـــودا [3]

---

(١) جابر: نجل الفقيد.
(٢) الجدود الأولى: آباء الآباء، والثانية: بمعنى الحظوظ.
(٣) تخرم عادا: أهلكها.

فمـــا بــالنـــا كلمـــا مـــات ميْتٌ ... شَـرْبنـا من الحـزن لـونًـا جـديـدا؟
رأيتُ البكـــاءَ يعــزى الحـــزينَ ... ولكنـــــه لا يــــردّ الفقيـــدا
لعمــرُك، مـــا المــوتُ إلا انطــلاقٌ ... فـإن الحيــــــاةَ تفيـضُ قيـــــودا
عـــلامَ تشكّى الحيـــاةَ زهيْـــرٌ ... وأضجــرَ طـولُ البقــاء لبيــدا؟ [1]
أبــا جــابرٍ، شــاهَ وجـهُ الحيـاةِ ... وصــار الــورى للحُطـــام عبيــدا!
فـــلا العيشُ أمسى يُعَضُّ عليـــه ... ولا المــوتُ أصبح خصمـــا لــدودا
ومـــاذا تـــركت من الطيِّبـــاتِ؟ ... تــركتَ حـــروبًـــا تشيب الــوليــدا
تُـــرَوى أديمَ الثـــرى بـــالنجيعِ ... وتمـــلأ سمعَ الــزمـــان رعـــودا [2]
حـــروب يسعِّـــرهـــا الأشقيــــاءُ ... فتتخــــذُ الأبـــريـــــاءَ وقــــودا
غــدت تَصْهــرُ النــاس مثـلَ الجليـدِ ... ولكنَّ فى مصــر شعبًــا جليـدا [3]
إذا الأرض مـــادتْ بسكــــانهـــــا ... فــــإن لنــــا وطنًـــا لـن يميـــدا

* * *

أبـــا جـــابـــر، مـــا نسينـــا الــوفـــاءَ ... ولا علَّمْتنـــا الحـــروبُ الجحـــودا
أشـــادتْ بــذكـــرك « دارُ العلـــومِ » ... فمـــا كنـتَ إلا فتـاهـــا الـــرشيـدا [4]
وواسطـــة العقـــد فـى نحـــرهـــــا ... وإن كـــان بـــاقيـــه درا نضيـــدا
لعمـــرُك، مـــا زال للـــدار أهلٌ ... ومـــا زالـت الغـابُ تنمى الأســـودا

---

(١) زهير ولبيد : شاعران معروفان، أما الأول؛ فهو القائل :

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعش ... ثمانين عاما - لا أبالك - يسأم

وأما الثانى؛ فهو القائل :

ولقد سئمت من الحياة، وطولها ... وسؤال هذا الناس : كيف لبيد؟

(٢) النجيع : الدم الأسود.

(٣) الجليد الأول : اسم، والثانى : صفة بمعنى صبور.

(٤) كان رجـال دار العلوم هم الذين قـاموا بحفل تأبين الفقيد، الـذى ألقيت فيه تلك القصيدة.

لئن أنجبتك، فكم أنجبت ... لمصر حصاةً، ورأيًا سديدًا [1]

وأنفًا أشمَّ يزيد ارتفاعًا ... إذا شمَّ بعضُ الأنوف الصعيدا [2]

رجال بعصر الجهالة لاحوا ... نجومًا تشقُّ ليالَيِ سودا

همو حملوا راية الضاد حتى ... أعادوا لها جعفرا والرشيدا [3]

إذا لمحت مصر آثارهم ... تثنّت من التيه عِطفًا وجيدا [4]

ولم تَرَ أخلصَ منهم رجالاً ... وأنكر للذات منهم جنودا

إذا شبَّت الحرب، هبوا قيامًا ... وإن قُسِّم الفيء، ظلوا قعودا [5]

ولا يحسب الناس «دار العلوم» ... بناءً على أرض مصر مشيدا

فإن لها بالعراق فصولاً ... وإن لها فى الحجاز حدودا

إذا رفعت فى الكنانة بندًا ... فقد رفعت فى سواها بنودا [6]

مثابة أم اللغى، من بناها ... بنى للعروبة صرحا وطيدا

* * *

---

(١) تطلق الحصاة على: العقل.

(٢) أشم: مرتفع، والمصراع الثانى: كناية عن الذلة والخضوع.

(٣) يريد: جعفرا البرمكى، وهارون الرشيد؛ وكان عصرهما من عصور الفصحى الذهبية.

(٤) العطف ـ بكسر العين ـ: الجانب.

(٥) الفيء: الغنيمة.

(٦) البند: الراية.

الربيع الحائل [1]

الأهرام ٢٢ من مارس سنة ١٩٤١م

أتمــوت بين عشيــة ونهــارِ؟ ... يــا للــدمــارِ ، وقسـوة الأقــدارِ!

حــال الــردى بين الطُّمــوح وربِّــه ... وكبــا جــواد السبق في المضمــار

قــد كـان لى خلٌّ، فــراح فـريسـةً ... للمــوت ذى الأنيــاب والأظفــار

فـاليــوم أخبط فى الحيــاة بمفردى ... وأخــوض وحــدى غمـرة التيــار

ودَّعـتُ طيب العيش إذ ودعتـــــه ... ودفنت فى جــوف الثـرى أوطــارى

شيعتــه ورجعت أقــرع بــابــه ... بيــدى، أقـول: لعلــه فى الــدار

الــوهـم يخــدعنى؛ فأحسـب أنــه ... مــــا زال ملء السمع والأبصـــار

أومى إليـــه بــالحــديث، كـأنمــا ... أنــا جــاره، وكأنمــا هــو جــارى

يــا للبـدورِ تغيب عنــد تمــامهــا! ... أكــذا البــدور قصيــرة الأعمــار؟

يــا للــزهــورِ تصـوح فى ريعــانهــا! ... أكــذا يصوح الــزهــر فى آذار؟ [2]

البلبل الصـــداح ليس مكـــانــه ... بين الصخــور الصم والأحجـــار

لا تــدفنـوه ببــاطن الصحــراء، بل ... فى الــروض بين المــاء والأشجــار

أفــؤادُ ، هــذى دارة الأهــرام، قم ... نسمــرْ؛ فــإنك زينــة السُّمَّــار [3]

قم، فــاتلُ شعـرك أُبــدِ إعجـابى بــه ... واسمَعْ ــ كمـا عـودتنى ــ أشعـارى

---

(١) أنشئت هذه القصيدة رثاء للمرحوم: فؤاد بليبل، صديق الشاعر، وكانت وفاته أول ربيع سنة ١٩٤١م، ونشرت بالأهرام فى اليوم التالى لوفاته.

(٢) صاح الزهر وصوح: ذوى، وآذار: من شهور الربيع.

(٣) كان الفقيد موظفا بجريدة الأهرام.

لا يـذوِ زهـرُك فى الـربيع ؛ فإنمـا هــــذا أوان تفتح الأزهــــار

قم، يـا فـؤاد، وغنِّ فـوق غصـونـه أتنـام سـاعـة صحـوة الأطيـار؟

لا تحسبنِّى بعـد مـوتك جـامـدا الله يعلـم أن صـــدرىَ وار [1]

سيظل طيفك مـاثلا لى: فى الكـرى فى الصحو، فى الآصـال، فى الأسحار

لـولا الـوقـار، أطعـت فيك عـواطفى وخلعت بيـن النـائحين عـذارى

---

(١) وار: متقد.

ذكرى فنان![1]

« داودُ »، يبكيك فنٌّ كنت تبكيه ... كأنما دمعه دين يؤديه

لقد رثيتَ له إذ قلَّ ناصره ... وكنتَ من عَنَت الأيام تحميه[2]

غرسٌ تعهدتَه ـ إذ مات ـ من ظمأ ... فقمتَ بالدم ـ لا بالماء ـ تسقيه

لم ألقَ في مصر فنَّانًا يزاوله ... إلا تلقَّى على « حسني » مباديه

حتى إذا ما شدا طير على فنَنٍ ... خلناه تلميذ « حسني » في أغانيه

غنوا على قبره يوم احتفالكمو ... بذكره. ذاك بعد الموت يشجيه

وجنِّبوا سمعَ « داودَ » « النشازَ » ؛ فما ... زال « النشازُ » بجوف القبر يؤذيه!

ما كنت للفن، يا « داود »، غير أبٍ ... بَرٍّ، وما كان إلا ابنا تربيه

فمن حياتك في الفن الحياة سرت ... ومن معانيك قد رقَّت معانيه

لم ألقَ مثلكما: فنًّا وصاحبَهُ ... يفنى شبابك فنَّاء وتحييه

رحماك! قضَّيت فيه العمر مبتئسًا ... وراح غيرك في اللذات يقضيه!

قد كنت في زمن تشقى الفنون به ... فعشت عيشَ رجال الفن في التِّيه

ماذا أصبت من الدنيا وزينتها؟ ... هات التُّراث الذي خلَّفت أحصيه

* * *

يا رُبَّ ليل بلا فجر، شدوت به ... مضى حثيث الخطا، وابيضَّ داجيه[3]

---

(١) ألقيت هذه القصيدة في دار « الأوبرا » الملكية، في الاحتفال بذكرى المرحوم: داود حسني الموسيقار، سنة ١٩٤١م.

(٢) العنت: المشقة.

(٣) حثيث: سريع.

تغار شمس الضحى من سعد أنجمه ... وتشتهى لو أطلّت فى حواشيه

تكاد أسحاره تصغى إليك؛ فإن ... ناديتَ: « ياليلُ »، لبىَّ من يناديه

يا مرسِلَ اللحن؛ يبكينا، ويضحكنا ... ويشعل القلب نيرانا، ويطفيه

كأنه مِلكٌ تعنو القلوب له ... مُلْكُ القلوب تعالى الله بانيه (1)

❊ ❊ ❊

لم يتخِذْ عودَه « داودُ » من خشبٍ ... بل كان من مُهَج العشاق يبريه

يمس أوتاره مسًّا؛ فينطقها ... كأنما هى أرواح تناجيه

إذا ترنم، أنْسى الناسَ أنفسهُمْ ... حتى يذيع الهوى من كان يخفيه

وبات كل محبٍّ وهْو فى شُغُلٍ ... كأنما هو دون الناس يعنيه

إن الحياة بلا لهو ولا طرب ... داءٌ نقاسيه؛ بل موت نعانيه

الطير يسجع إن هاجت بلابله ... والركب يحدوه فى البيداء حاديه

والوحش يأنس بالأنغام نافره ... والخل إن صدَّ بالألحان تصبيه (2)

❊ ❊ ❊

« داود »، كم لك ألحان مرددة ... يجرحن أحشاء من يخرجن من فيه

لا تطرُقُ السمعَ إلا خلفت أثرا ... كالنقش فى الصخر؛ لا يمحوه ماحيه

تطير في كل آفاق بسامعها ... كأنها وُكّلت بالجو تطويه

تغلغلت فى نفوس الشعب، وامتزجت ... به، فأصبح يَرويها، فتُرويه (3)

أتيت بالنغم الشرقىِّ منسجما ... مبرَّءًا خالصا من كل تشويه

وراح غيرُك يهذى بالجديد، فما ... كان الجديد السوَى زيفٍ وتمويه

ما للفتى وطن يُعزى إليه إذا ... ما لم يحس الفتى إحساس أهليه

قل ما تشاء؛ فإن الدهر ينقده ... تنفى الحصى يدُه، والدرَّ تبقيه

---

(1) تعنو: تخضع.

(2) صبا: مال، وأصباه: أماله.

(3) يرويها: من الرواية، وترويه: من الإرواء.

رثاء طيارين ! (١)

يـا مصـرُ، قـد عـزَّ العـزاءُ نَفْنى، وأنتِ لـك البقـاءُ!
نَسْـران ليسـا كـالنسـو (م) ر ،رمـاهمـا سهـم القضـاء
سقطـا ؛ فأجفلت الـريـا (م) حُ، وضجَّ سكـان السمـاء (٢)
وبكـاهمـا المُـزْن الهتـو (م) نُ ،وحق للجـار البكـاء! (٣)
وتلَفَّتت قمم الجبـا (م) ل بعين مَنْ فقَـد الـرجـاء

❊ ❊ ❊

بطـلان سبّـاقـان، نـا دتْ مصـرُ، فـاستمعـا النـداء
وتقـدَّمـا ، والمـوت ـــ عن كثب ـــ يصيح : إلى الـوراء
شـرَيـا الخلـود، وقـدَّمـا روحَيْهمـا ثَمَنَ الشـراء
راحـا فـداء المجـد حيـ (م) ـن تطلَّب المجـدُ الفـداء
وأعـزُّ مـا حـوت العـرو (م) قُ : دمُ الشبـاب الأبـريـاء

❊ ❊ ❊

رجْعُ أزيـزك أيهـا السِّـ (م) ـرب المحلقُ فى الفضـاء
رجْعُ الأزيـز ألـذُّ لِلْـ (م) أسمـاع من رجع الغنـاء
جمح الهـواء، فـروِّضـوا بثبـاتكم متن الهـواء

---

(١) أنشئت هذه القصيدة فى رثاء طيارين مصريين، سقطت بها طائرتهما أول عهد مصر بالطيران ، وقد نشرت بالأهرام إذ ذاك، غير أننا لم نهتد إلى التاريخ .
(٢) أجفل : نفر.
(٣) المزن الهتون : السحاب المتدفق.

مـن حـيَّ منكـم فـى الجهـا   د، ومـن قضى نحبـا سـواء

أدى رسـالـة مصـرَ كـلٌّ (م) منكمـو حـق الأداء

إن كـان طيـاران قـد   سقطـا فمـا سقط اللـواء

مـا بـارح الأسمـاءَ وقـ (م) ـع فجيعـة « المنطـاد راء »! [1]

ولقـد رأيت أشقَّ خُطـ (م) ـوِ المجـد خطـوة الابتـداء

ولكـل عـاريـة مـدى   ولكـل غـاشيـة جـلاء

والجـو مثـل الـدهـر تلـ (م) ـحقه الكـدورة والصفـاء

وريـاحـه: نكبـاء فـى   يـوم، وفى يـوم رُخـاء [2]

إنـا خطبنـا المجـدَ، فلـ (م) ـتجر الأمـور كمـا تشـاء

لـن ننثنى ولـوَ ان صـر (م) فَ الـدهـر نـاصبنـا العـداء

مـن رام إدراك السعـا (م) دةِ، يمتطى متـن الشقـاء

سبـل العـلا قفـراءُ مـو (م) حشـة كثيـرةُ الالتـواء

فَلْيَجتنِبْهـا مـن يحـبُّ (م) العيش أو يخشـى الفنـاء

المجـد لا يبنيـه بـا (م) نيـه بطيـن أو بمـاء

يُبنـى بـأشـلاء الضحـا (م) يـا، ثم يُطلى بـالـدمـاء [3]

---

(١) يشير إلى فاجعة المنطاد : « ر ١٠١ » ، الذى بناه الانجليز على غرار المنطاد زبلن، فسقط وتحطم فى أول جولة له .

(٢) النكباء : العاصفة، والرخاء : اللينة . ضدان .

(٣) الأشلاء : جمع شلو، وهو عضو الفريسة ونحوها .

سبق القضاء ! (١)

الرسالة فى ١٤ من يوليو سنة ١٩٣٨م

أمرٌ بـه سبقَ القضاء الجارى ... ما حيلة الانسان فى الأقدارِ؟

لا تأخذوا بالذنب غيرَ جناتِهِ ... إن الصواب تلمُّسُ الأعذار (٢)

الرزء يذهب بالعقول جلالُهُ ... فحذَار من شطط المقال، حذار!

إن تسرفوا فى الاتهام، جنيتمو ... أنتم على القطر الشقيق الجار

هى أمة، وَزَرَ امرؤٌ من أهلها ... أفتثقلون الكلَّ بالأوزار؟

الله يعلم، أنهم ما أضمروا ... للنيل غير الحب والكبار

أو لم يُصَبْ « سعد » بأيدى أمة ... تفديه بالأسماع والأبصار؟ (٣)

إن الذين أصاب « سيفًا » سهمُهم ... من دمعهم، غَسَلوه فى أنهار

ولو استطاعوا ، لافتدَوْهُ من الحما (م) م بألف سيف منهمو بتار (٤)

قالوا: العراقُ، ومصُر، قلنا: بل هما ... مصران ، بل مصرٌ من الأمصار

❊ ❊ ❊

هذا أبٌ أودى به نَزَقُ ابنه ... ماذا تقول لفتية أَغرار؟

ماذا تقول لغائب عن رشده ... يجنى جنايته ، وليس بدار؟

---

(١) فى ذلك التاريخ: اعتدى طالب عراقى على الدكتورين: سيف، وعزمى، المصريين المدرسين فى العراق؛ لرسوبه فى الامتحان على يديهما ، فتوفى الأول، وجرح الثانى، ثم انتحر الطالب.

(٢) يوجه الخطاب إلى: بعض الصحف التى شددت النكير على هذا الحادث، ونددت على القطر الشقيق فى كثير من المغالاة.

(٣) يشير إلى: حادثة ضرب المرحوم سعد باشا بالنار من يد مصرية.

(٤) البتار: القطاع، ويريد بألف سيف: ألف رجل من خيارهم.

مـا حـاد عن سَنَن العـدالـة آخـذٌ ... من نفسـه لغـريمـه بـالثـار [1]

عـذر الشبيبـة طيشهـا، والخِطء مـا ... فعلـوه عن عمـد، وعن إصـرار

لا كـان مخترع « الـرصاص »؛ فإنـه ... بـاع المنـون رخيصـة الأسعـار

❊ ❊ ❊

بغـداد، عـذرا للكنـانـة إن قست ... فى عتبهـا ، والعَتْب لـلأحـرار

أو مـا نظـرتِ إلى الكنـانـة أعينـا ... تهمى، وأفئـدةً بغيـر قـرار؟

إنـا لنـرخص فى سبيل الـودِّ، يـا ... بغـداد، مـا يغلـو من الأعمـار

وهـو الـوداد، إذا عـراه تـوثقت ... أضفى على الآثـام كل ستـار

❊ ❊ ❊

هـذا شهيـد العلم، عـزَّزنـا بـه ... من راح من شهـدائنـا الأبـرار

خُلقَ الجهـادُ لنـا، سـواء عنـدنـا ... من بـالحـديـد يمـوت، أو بـالنـار

والعلم مختلف الضحايـا؛ كم طوى ... من سـابح، وقَضى على طيَّـار

يـا رُبَّ مختـرع يـروح ضحيـةً ... للكشف عن سـر من الأسـرار

ومعلم قـد راح يبـذل نفسـه ... بـذْلَ الكـرام لنـا شِئينَ صغـار

تمتص أفـواه الشبيبـة روحـه ... مثل امتصـاص النحل لـلأزهـار

---

(1) السنن: الطريق، ويشير إلى: انتحار الطالب؛ فكأنه ثأر لغريمه من نفسه.

الشـــهيد الأول ! [1]

الأهرام ١١ من مارس سنة ١٩٣٤م

رسم الطـــريق لنـــا وراحْ   واختطهـــا دمـــه المبـــاحْ
هـــذا دم ــ كـــدم الحسَـــيْـ (م) نِ ـ عبيـــرُه كالمســـك فـــاح
القطــــــرة الأولى التـى   ســالت بمعتـــرَك الكفــاح
عنـــد اصطـــدام القـــوة الـــ (م) ـــهوجاء بـــالحق الصُّـــراح [2]
مـــا كـــان هـــذا الســائل الـــ (م) ـــغالى لتـــذروَه الـــريـــاح
هيهـــات يمحـــو رسمَـــهُ   من صفحـــة التـــاريخ مـــاح!
لله جنـــــدىٌّ أغـــــرُّ   جبينُـــه كـــالصبح ضـــاح! [3]
لـم يعتقـل بيـضَ الصفـــا (م) حِ ،ولا انتضى سمـــرْ الـــرمـــاح
لكـنّ فـى يـــده اليـــرا (م) عَـةَ والكتـــاب همـــا الســـلاح
قـــد راح يهتـف للحمى   كـــالطيـر فـــوق الغصن صـــاح
فـــرمـــاه سهـم الصـــائدِيـــ (م) نَ، فخَـــرَّ مخضـــوبَ الجنـــاح
ويـح الســـوائم، كـم رعـت   فى مصـــر مـن زهـــر الأقـــاح [4]
لهفـى علـى هـــذا الشبـــا (م) ب الغضِّ، تثخنُـــه الجـــراح!

---

(١) فى يوم ٩ من مارس سنة ١٩٣٤م، نشرت الصحف ـ لمناسبة ذكرى ٩ من مارس سنة ١٩١٩م ـ صورة شهيد الثورة الأول الطالب : مصطفى ماهر، فأوحت الصورة إلى الشاعر بهذه القطعة.

(٢) الهوجاء : الطائشة الحمقاء.

(٣) ضاح ـ بكسرتين تحت الحاء ـ من الضحى.

(٤) يريد بالسوائم : الجنود المحتلين، وبالزهر: أمثال هذا الطالب.

فكأنما امتدَّتْ لنا ... منهن ألسنةٌ فصاح

أتراه سِيء بما رأى ... بعد الوفاة أم استراح؟ (١)

إنى لألمح وجهه ... وكأنه عنا أشاح (٢)

إنى لأَذْكُرُ إذ تهيَّـ (م) أت الكنانة للنطاح

أيامَ عرَّضنا الجوا (م) نح للرصاص بلا وشاح

لا تنثنى عن غاية ... والموتُ يهتف: لا براح

ونسامُ فى أرواحنا ... فنبيعها بيع السماح (٣)

من خَمْسَ عشْرةَ قد خلت ... وكأنها بنت الصباح

---

(١) سيء: ماض مبنى للمجهول، وفى البيت - وما بعده - ما يشبه العتاب على الاستسلام للمحتل.

(٢) أشاح: أعرض.

(٣) سام وساوم على السلعة - بمعنى واحد - أى: طلب شراءها.

رثـــاء طفـــل ! (١)

الرسالة ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٦م

راح كـأن لم يـــوجـــدِ ... يـــا ليتـــه لم يـــولـــدِ!

مـــا اليتمُ فقـــدُ والـــدٍ ... اليتم فقـــد الـــولـــد!

الخطـب غيـــــر هيِّنٍ ... والصبـــر غيـــر مسعـــد

يـــا غـــرَّةَ الفـــرقـــد ، هـــلا ... عشت عمـــر الفـــرقـــد؟ (٢)

عيـــد الـــربيع قـــد أتى ... مـــالك لم تعيِّـــد؟ (٣)

مـــالـــك لم تبسم لـــــه ... عن لـــؤلـــؤ منضـــد؟

مـــا فَعَلتْ نسمتُـــــه ... بخـــدك المـــورَّد؟

يأيهـــا العصفـــور، قم ... بين الـــريـــاض غـــرد

قم، امـــلأ البيت نشـــا ... طـــا بين لهـــو ودَدِ (٤)

البيـت مـــا لـــم تـأوه ... كالـدَّيْرِ، أو كـالمسجد (٥)

أعـــزِزْ على أبيك أن ... تصمُتَ صمتَ الأبـــد!

مـــا أبعـــد الصبـــرَ على ... فقـــد الصبِّى الأملـــد! (٦)

صـــادٍ أصـــاب منهـــلا ... لكنـــه لم يـــرد (٧)

---

(١) أنشئت هذه القصيـدة فى رثاء الطفل : « رجـاء » ، نجل الأستاذ الكـاتب : أحمد حسن الزيات، صديق الشاعر.

(٢) الفرقد: كوكب معروف . يقول : أشبهته فى غرته ، فهلا أشبهته فى طول عمره ؟ .

(٣) كانت وفاته فى أول الربيع .

(٤) الدد: المرح .

(٥) وجه الشبه: الوحشة والخشوع .

(٦) الأملد: الناعم .

(٧) صـاد: ظـامىء والمنهل: المستسقى، يـريـد: أن الطفل وقـف على شـاطىء الحياة، ولم يرو غلته منها .

وإنمـــا أطفـــال هـــــ (م) ـــذا اليوم، أبطــال الغــد

ويـــح البنيـــن ويحهـــم في المـوت أو في المــولـد!

همْ عـــوّدوا قلبى الأسـى وقبلَهـم لـم أعتـــد

لسُقمِهِمْ ومـــوتهم حـــزازة فى الكبـــد!

تخطفهـم يـــد الـــردى ونحن مكتـــوفـــو اليـــد

ليت الـــذى يسلبهـم يسعـــد بـــالتجلـــد!

ليت لنـــا أفئـــدةً منحـــوتـــة مـن جلمـــد!

كم عـــاقـــر بـــدونهم يعيش عيش المفـــرد [1]

ووالــــد من هَمِّهـم يشيب قبل المـوعـــد!

(٤) العاقر: العقيم.

تعزية صديق ! [1]

تُـرى هل أسـوق إليك العـزَاءَ؟ وكيف يعـزى حـزينٌ حـزينـا؟

إذا مـا ألـمَّ بجبـريلَ خطـبٌ فـإن لجبـريلَ عقـلا ودينـا

وهل كنت تـرجـو خلـودَ أخيكَ ولـوْ أنـه كـان روحـا أمينـا؟ [2]

إذا نحن فـى إثـر كـلِّ عـزيـزٍ بكيْنـا، قضينـا الحيـاة أنينـا

مأتم فى عرس !! [3]

الأهرام ١٢ من سبتمبر سنة ١٩٤٣م

بـالأمس: هنَّـأتُـه بـالعقـد إذ عُقـدَا واليـوم: شيَّعتُـه بـالـدمع إذ فُقِـدا!!

هـذا عروسٌ، طـواه المـوت فى كفنٍ وما طـوتْ عرسُهُ أثوابهـا الجددا! [4]

قالوا: استحـال رمادًا، قلت: لا عجبٌ ألـمْ يكن ذهنـه كـالجمـر متقـدا؟

أستودع الله، يـا «قابيل»، فيك فتىً شـدَّ الـرحـال، ولـم أمـددُ إليـه يـدًا

قد خفَّفَ الحزنَ عنى: أن ذهبتَ وما أعقبت لليتـم لا بنتـا ولا ولـدا

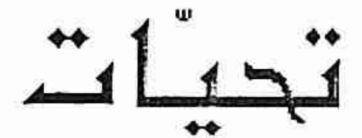
---

(١) احتسب الأستاذ: جبريل، المحرر بالأهرام، شقيقا له؛ فعزاه الشاعر بهذه الأبيات.

(٢) يقول: إن أخاك لم يكن ليخلد، ولو كان جبريل الروح الأمين، لا جبريل البشر.

(٣) قبل هذا التاريخ بأيام توفى المرحوم الشاب الأديب: محمد قابيل، المدرس بالحلمية الثانوية، صديق الشاعر؛ فأنشأ هذه الأبيات فى رثائه.

(٤) يطلق لفظ العروس على كل من الزوج والزوجة.


تحيّات

مبايعة الفاروق [1]

الرسالة ٢٦ من يولية سنة ١٩٣٧م

النيل تحمـلُ سبطَ إسمــاعيــلا — أرأيتَ نيـلا جاء يحمل نيـلاّ؟ [2]

لـو كـانت الأمـلاكُ تحـدو مـركبًا — لـرأيتَ بين حُـداتهـا جبـريـلا

سـارت، فغضَّ البحـر من غُلَـوائه — ومشى كمـا يمشى الجـوادَ ذلـولا [3]

هبَّت عـواصفُـه ؛ فكـنَّ حيـالهـا — رهْـوًا، كمـا هبَّ النسيم عليـلا

مـا لاطمت أمـواجـهُ جنبـاتِهـا — بل أوسعـتْ جنبـاتِهـا تقبيـلا

لــو أنَّ زاحفـة تفُـوهُ، لكبَّـرت — نينـانُـهُ ، ولهللت تهليـلا [4]

يـا بحـرُ، فـوقـك درةٌ، هيهـات أن — تلقى لهـا فيمـا حـويتَ مثيـلا!

أولست تعـرف فيـه مَن أَجـدادُه — قطعـوك عـرضـا بـالسفين وطـولا؟

فلطـالمـا مَـلأُوا الميـاهَ مـراكبًـا — ولطـالمـا مَـلأوا السهـول خيـولا

عـرفتْهـم الأيـام إن هـم حـاربـوا — أسْـدًا وإن سـاسـوا الأمـورَ عـدولا

أشـرقْ بنـورك فى البـلاد، فـإنمـا — صبـرُ البـلاد على فـراقك عيـلا [5]

الشعب ــ يـا فـاروق ــ صـادٍ ، نيلـهُ — من يـوم بعـدك لا يبلُّ غليـلا [6]

مـا كـان يسعـده التجلـد سـاعـةً — لـو لـم يكن بكَ قلبـه مـأهـولا

---

(١) أنشئت تحية لجلالة الملك المعظم، عند تولية العرش.

(٢) النيل : اسم الباخرة التى أقلت جلالته من رحلته إلى أوربا ؛ لمباشرة مهام ملكه.

(٣) غض من غلوائه : خفف من كبريائه.

(٤) نفوه : تنطق. والنينان : جمع نون ؛ وهو الحوت.

(٥) عـال الشىء الشىء : غلبـه، ومنـه : عيل صبـرى ــ بمعنى : غلب ــ بـالبنـاء للمجهول.

(٦) صاد : ظامىء، والغليل : الظمأ.

مـا غبـتَ عن بصـرالبـلاد وسمعهـا ... يــومــا ، ولا بعـدت ركـابُك ميــلا

كــانت تطــالـع مــا تقـول فتنتشى ... طـربـا . وإنَّ مـن الكـلام شَمـولا[1]

وتـرى على القـرطـاس رَسْمَك زاهيـا ... غضًــا ، فيمسى طــرفُهـا مكحــولا

قـد كنت أنت حـديثها ، وسكـوتَهـا ... حتى غـــدا بـك وقتهـــا مشغـــولا

زرتَ الممـالك داعيًـا ، فكشفت عن ... أمجـاد مصـــر حجابَهـــا المسـدولا

أنعم بشعـب أَنت عنــــوان لــــه! ... وكفى بعنـــوان الكتـــاب دليـــلا!

تمشى الممــالكُ فى ركـابـك أينمـا ... تمشى ، وتحنى هــامهــا تبجيـــلا

سمعـوا بمجـد الأقـدمين ، وأبصـروا ... بعيـــونهم لــــلأقـــدمين سليـــلا

كى يعلمـــوا أن الكنــــانـــةَ أمــةٌ ... طـابت فـــروعــا فى الــورى وأصُـولا

إنـــا لفى زمن يفيـض دعـــايـــةً ... كـــادت تــدقّ بــه الشعـوب طبــولا

هم يعلنــون عـن الشعــوب كأنهـــا ... سلع ، ونــرضى بــالسكـوت خمـولا

من راح ينشـــر للبـــلاد دعـــايـــة ... فكأنمـــــا يبنى لهــــا أسطـــولا

***

وَلِىَ الأمــورَ بمصـرَ أصيــدُ ، يــافعٌ ... بــــذَّ الأوائلَ فتيـــةً وكهـــولا[2]

جـاشت بصـدرى يـوم قُلِّـد عـرشَـهُ ... ذكـــرى فـراعنـــة القـرون الأولى[3]

مـــا أبهجَ الأكليل فـــوق جبينـــه! ... هـــذا الجبين يــــزين الإكليـــلا!

هـذا هـــو الفـاروقُ، أشــرقَ وجهـهُ ... فسل الغـزالة : هل تـريد أفـولا؟[4]

أفـــديـــــه من ملـك أغــرّ، وراءه ... شعبٌ يـــرتِّـلُ حمـــده تـــرتيـــلا

---

(١) الشمول : اسم من أسماء الراح .
(٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا .
(٣) جاشت : تجمعت .
(٤) الغزالة : اسم من أسماء الشمس .

يعنو لطلعته، ويهتف باسمه ... ويكاد يتلو قوله إنجيلا [1]

ملِكٌ تواضعهُ يزين جلالَه ... ليس الغشومُ المستبدُّ جليلا

يرنو إليه الطرْف غيرَ منكس ... والبدر يظهر من سناه خجولا

يقضى لبُانته اليتيم ببابه ... ويرى الفقير دعاءَهُ مقبولا [2]

لا تحصِ أعمارَ الملوك؛ فإننى ... أجد الملوك: مداركا، وعقولا

أنا لا أقول: اليومَ أدركَ رشدَه ... فعليه كان بطبعه مجبولا

إنا عهدنا الرشدَ فيه سجيةً ... ما كان فى يوم عليه دخيلا

ما ضر غرسا طاب قَبلَ أوانه ... أن كان حرا فى النبات أصيلا؟

قد كان «ذو القرنين» مثلَك يافعا ... وأراكما تتشابهان ميولا

هيهات! أنت أجل منه حضارةً ... وأعزُّ أوطانا، وأكرم جيلا

***

فاروقُ، تلك عناية الله التى ... قد حقَّقتْ فى عهدك المأمولا [3]

إن الكنانة ظنَّتِ استقلالها ... حُلما، فكنتَ لحلمها تأويلا

وهى المشاكل كلها وجدتْ لها ... فى عهدك الزاهى السعيد حلولا

عهد قصير، غير أن غضونه ... قد صرْنَ فى تاريخ مصرَ حجولا [4]

لو حاكت التيجانُ تاجَك، لم يجد ... يوما إليها الثائرون سبيلا

ليت الذينَ وَلُوا العروشَ جميعهم ... كانوا على حكم الشعوب نزولا

أسَّس على الدستور ملكَك، وابنِهِ ... تبلغْ به الشُّمَّ الرواسىَ طولا

كم ثلَّ الاستبدادُ عرشا بعدما ... أجرى حواليْه الدماءَ سيولا [5]

***

(١) يعنو: يخضع. (٢) اللبانة: الحاجة.

(٣) يشير إلى: استقرار الأمور بمصر - نسبيا - بعد عقد معاهدة سنة ٣٦م.

(٤) الحجول: بياض فى أرجل الفرس.

(٥) ثل العرش: هدمه.

فـاروقُ، يفـديك الحمـى بشبـابـه وكهـولـه ،وأرى الفـداء قليـلا

أصبحت فى مـرح الشبـاب ولهـوِه عن خيـر شعب فـى الـورى مسئـولا

حمل الشبـابُ يـراعَـهُ وكتـابـهُ وحملت عبئـا كـالجبـال ثقيـلا

أوْلَتكَ مصـرُ قيـادهَـا فـأعِـدْ لهـا مجـدا بنـاه الأقـدمـون، أثيـلا[1]

إن الكنـانـة بـايعتـك، فكن لهـا ظـلا ــ كمـا كان الجـدود ــ ظليـلا

وهبَتْ لعـرشك مـا لهـا، ودمـاءهـا إن شئـت تلـق كليهمـا مبـذولا

فـامـلأ بـلادك حكمـةً، ومعـارفًـا واجعل بـلادك فى المنـاعـة غيـلا

لن يستقيـم لشعبٍ استقـلالُـهُ يـومـا إذا حملَ السـلاحَ كليـلا[2]

أين المـدافع كـالـرعـود دويُّهـا والخيلُ تصهل بـالجنـود صهيـلا؟

يـا رُبَّ طـائرة سمعت أزيـزهـا فحسبتـه فى مِسمعىَّ هـديـلا[3]

فانهـض بمصرَ وجيشِها، حتـى يرى شبحُ المنيـة طيفَهـا فيميـلا[4]

واكبح جماحَ الطـامعين، وقل لهم: لا تطمعـوا فى أخت عـرزائيـلا

أنى اتجهت، وجـدت خلفك أمـةً ورأيت ربـك بـالنجـاح كفيـلا

❊ ❊ ❊

---

(١) المجد الأثيل: المتأصل.

(٢) كليل: متثلم.

(٣) الهديل: صوت الحمام.

(٤) فى البيت: كناية عن قوة مصر؛ حتى يخشى الموت نفسه بأسها.

ميلاد الفاروق [1]

المصرى ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٢م

يـومٌ أعَـار الشمسَ بعـض أيـاتِـهِ ... روت النجوم الـزهـرُ عن آيـاتِـه [2]
أحنى لـه التـاريـخ مفـرِق رأسـه ... وأحلّـه فى الصـدر مـن صفحـاتـه
طـافـت بـه الأعيـاد، تقتبس السَّنـا ... من وجهـه، والطيبَ من نفحـاتـه
يـوم تفـرَّد فـى الـزمـان بمجـده ... كتفـرُّد الفـاروق بيـن لِـداتـه [3]
يـا يـوم مـولـده، تعـالَ مبشِّـرا ... ضلَّ السـلام عن الأنـامِ، فهـاتـه
الحـرب قـد لفح البـريـةَ حرُّهـا ... فأظلَّهـا واديك مـن لفَحـاتـه
والكـون قـد شبَّت بـه جمـراتُـهُ ... فنـزلتَ قطرَ نـدى على جمراتـه
والـدهـر إن ثقلتْ عليـه ذنـوبُـه ... يكفيـه أنك أنت مـن حسنـاتـه
يـا يـومَ مـولـده طلعتَ بكـوكب ... مـا انشقت الأبـراجُ عـن هـالاتـه [4]
وجلـوتَ للـدنيـا محيًّـا نـاضـرا ... تتحيَّـر الأحداق فـى قسمـاتـه [5]
مـا رقَّ زهـر الـروض إلا خلتُـهُ ... يحكى عن الفـاروق بعـض صفـاتـه
إن الملـوكَ تحَبُّ خشيـة بطشهـا ... لكنَّ فـاروقًـا يحب لـذاتـه

---

(١) أنشئت فى عيد المليك فى هـذا العام. وأنشدت فى مهرجان أعـد لهذا الغرض، بدار «الأوبرا» الملكية.

(٢) أياة الشمس ـ بفتح الهمزة وكسرها : سطوعها وضياؤها.

(٣) لدات : جمع لدة، ولدة المرء : من ولد معه؛ أى: نده فى السن.

(٤) الهالة : أصلها دارة القمر.

(٥) قسمات : جمع قسمة ـ بفتح السين وكسرها ـ وهى : الحسن.

وافى بـه الـدهـر الضنينُ، كأنـه نبعٌ تفجّـر من أديم صفَـاتـه [1]
فيـه مخَـايلُ مـن أبيـه لمحتهـا هـذى، لعمرى، صورة من هـاتِـه
تعميـرُ إسمـاعيلَ فيـه عـرفتُـه وثبـاتُ إبـراهيمَ فى وثبـاتـه [2]
وتلـوح روح محمـد فى سِبْطِـه كـالوجـه حين يلـوح فى مـرآتـه

❊ ❊ ❊

لله تـاج يَـزدَهـى بجبينـه قـد ضمَّ شمل الشرق بعـد شتاتـه!
مـا مصـر كلُّ جمـانـه، لكنهـا حلَّت محلَّ القلب من خـرزاتـه [3]
أعـلام فـاروق تـرفُّ ظـلالُهـا فى الشـرق أجمعَ نيلِـهِ، وفـراتـه
إن كـان لـم يملك جـوارح أهلـه فقلـوبهـم من بعض ممتَلكـاتـه
أضفى على علـم البـلاد حَمـاسَـةً وسـرى إليـه العزم مـن عـزمـاتـه
وأشـاع فـى عـرش المعـز فتـوَّةً حتى دجـا ما أبيض من شعراتـه [4]
وكأنمـا الهـرمُ استعـاد شبـابَـه رغمَ الألوفِ الخمسِ من سنواته [5]
تَفـديـه أمتُـهُ، وتهتـفُ بـاسمـه وتبـرُّ إن هى أقسمت بحيـاتـه
فى مستهل العمـر صـار لهـا أبًـا يحنـو على أبنـائه، وبنـاتـه
بلغ الـرجـولـة يـافعـا؛ فهـو الفتى فى بـأسـه، والشيخُ فـى نظـراتـه
يهـدى دهـاقينَ السيـاسـة رأيُـه ويَسِيرُ مـدلجُهم على مشكـاتـه [6]

---

(١) الصفاة: الصخرة.
(٢) يشير إلى: تعمير إسماعيل باشا، وحروب إبراهيم باشا.
(٣) تطلق الخرزة على: الدرة نفسها، والضمير فى جمانه: يعود على التاج.
(٤) يريد: المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية.
(٥) الألوف الخمس: بدون تاء وإن كان المعدود مذكرا؛ لأنه إذا تأخر العدد، جازت مطابقته.
(٦) الدهاقين: جمع دهقان ـ بكسر الدال وضمها ـ وهو: الكيس الحسن التصرف، والمدلج: سارى الليل، والمشكاة: الكوة ينبعث منها النور.

تتفــزَّع الآســادُ مـن هبَّـانــه ويغيض مـاء النيل عنـد هِبـاتـه

ويظَلُّ يــدنى أفقَـه مـن شعبـه حتى يكــادَ يُظَنُّ من طبقــاتـه

نسىَ اليتيـمُ أبــاه تحت ظــلالــه ودعـا لــه العافى بملء لهـاتـه [1]

وتعثَّـر الحــافى على وجـه الثـرى فأقــالــه الفــاروق من عثـراتـه

مـا زال يشكــو الـداءَ، حتـى جـاءه عيسى الـذى يشفيـه من عــلاتـه

ما عـاق سيرَ الشعب مثـلُ الداء، إذ ينسلُّ بيـن خُفـاتــه، وغُـراتـه

❊ ❊ ❊

مِلكٌ إذا الإســلام عــدَّ حمــاتَـه كـان الطليعـةَ فى صفـوف حمـاتـه

نــور الصــلاح يشيع فى قسمــاتـه والشعبُ يُسعــده صــلاحُ ولاتــه

إن القســاورَ فى المغــاور تتقى من يتقى الـرحمنَ حقَّ تقـاتـه [2]

من يَـرضَ ربُّ العـرش فـى ملكـوتـه عنـه، تفـانى النـاسُ فـى مـرضـاتـه

الله أكبــر! هل بصُـرت بـركبـه يمشى الهـوينى غـاديـا لصلاتـه؟

والشعب يــدعـو الله خلـفَ ركـابـه حتى يهــزَّ العـرش من دعــواتـه

فكأنــه فــاروقُ يثــربَ نفسُــهُ يسعى بمــوكبـه إلـى جمُعـاتـه [3]

قل للمشيـد بعيـد هجـرة أحمـدٍ: جـددت عهـد الفتح بعـد فـواتـه [4]

هــذا جهــاد فى سبيـل الله مــا نضح الـدم القــانى على رايــاتـه

أين الحـروبُ؟ وأين قصف رعـودهـا من لحنـه الشـاجى ومن نغمـاتـه؟

عيــد حسبنــا أن روح المصطفى طــافت مـرفـرِفَـةً على حفـلاتـه

مــا رنَّ فيــه مــدفـع إلا شــدا بمـآثــر الفــاروق فى طلقــاتـه

❊ ❊ ❊

---

(١) اللهاة: عضلة أسفل الفم عند الحلق.

(٢) القساور: الآساد.

(٣) يثرب: اسم من أسماء المدينة المنورة، وفاروق يثرب: هو عمر بن الخطاب.

(٤) فى ذلك العـام: أبديـت رغبة ملكيـة سـامية بشأن الاحتفـال بعيـد ابتداء العـام الهجرى، احتفالا يتناسب مع جلاله الدينى.

يـا ربُ يـوم مـرَّ مـا ظفـر امـرؤٌ فيـه بطيـف الـزاد أو بفُتـاتـه

ثـارت نفـوس الناس فيـه، ولن تـرى كـالشعب حين يصـاب فى أقـواتـه

نـادى بـه الفـاروقُ: شعبى مـالـه يشكـو الطـوى والتبـرُ من غَـلاتّـه؟

قـاد السفينـة فـى خضم زاخـر يطغى الـدمُ القـانـى على غمـراتـه

وحَـدَا الكِنَـانَـةَ فى طـريق لـوسرى نجم بـه، لـم ينج من عقبـاتـه

بـركـانُ حـرب مسَّ مصرَ دخـانُـهُ وكـوى الشعـوب بنـار مقـذوفـاتـه

لولا هدى الحادى، لضلَّ الركبُ فى وادى الفنـاء، وهـام فـى فلـواتـه

* * *

فـاروق، لـو فَتَشْتْ بين قلـوبنـا لم تلـقَ قلبـا لستَ فـى طيـانـه

لا قلبَ إلا أحـرفُ اسمك لحنُـهُ إن دقَّ، رتَّلهُـنَّ فى دقـاتـه

إن كـان وادى النيل ينبت عسجـدًا فـلأنتَ، يـا فـاروق، خيـرُ نبـاتـه

مـا زلت تـرعـاه بمقلـة سـاهـر يقظٍ، ويغـرق فى لـذيـذ سبُاتـه

فإذا شكـا واديك، كنـتَ مـلاذَه وإذا بكى، كفكفت من عَبَـراتـه

وإذا كبـا، فعلى يـديـك نهـوضُـهُ وإذا تأوَّه، كنت خيـر أُسَـاتِـهِ (١)

فاروق، هـذا لحن شعرى، فـاستمع نبـراتِ صـوتِ الشعب فى نبـراتـه

لا فضل فيـه للخيـال ووحيـه بل أنـت رب الفضل فى أبيـاتـه

خـاضت بحـارُ الشعـر بحـرًا زاخـرًا يطغى عليهـا من جميع جهـاتـه

عطَّـرتُ شعرى بـاسم فـاروق، فكن يـا دهـر ــ إذ أتلـوه ــ بعضَ رواتـه

* * *

---

(١) أساة: جمع آس بمعنى الطبيب.

زفاف الفاروق

الرسالة فى ٢٤ من يناير سنة ١٩٣٨م

طربتْ لعُرْسِك مصرُ، يا ابنَ فؤادِ ... فكأن عرسَك ملتقى الأعيادِ

بالفطر، والأضحى الكنانةُ تحتفى ... فيهِ، وبالنيروز، والميلاد

فى كل قلب مِهرجانٌ قائم ... وبكل أُذْن قامَ يهتف شاد

مَلِك قد اقترن السرورُ بعهده ... فكأنما كانا على ميعاد

أوَ ما ترى قلب الدجى متوهِّجًا ... يحكى فؤادَ الصبِّ يومَ بعاد؟

نُقشت حواشى الليل نقش صحيفة ... بالنور، لا بيراعَةٍ ومداد (١)

لم تبد أنجمُهُ لترسل ضوءَها ... لكن لتشهده من الشهّاد

غَنّوْا لفاروق؛ فألفَيْتُ اسمه ... أشجى صدًى من رنة الأعواد

وزهت ثريّاتٌ حلفت بأنها ... ليست كنور جبينه فى النادى

قذفوا «النيازك» فى الفضاء، فخلتها ... مشبوبةً من عزمه الوقاد (٢)

أغنته عن باق الزهور خلائقٌ ... نفّاحةٌ، مثلُ الزهور نواد

ماذا أقول عن البدور وعُرسها؟ ... عرس البدور يجل عن إنشادى

خلِّ الشباب الغضَّ فى ريْعانه ... وعراقة الآباءِ والأجداد

ودع العلا والمجدَ - ويحك - جانبا ... فى الصمت ما يغنى عن التعداد

نثروا الزهورَ، وقمتُ أنثر بينهم ... شعرى. وشعرى طارفى، وتلادى

إن الزهور قصيرةٌ أعمارُها ... وقصائدى تبقى على الآباد

شعرٌ تودُّ الحورُ عند سماعِهِ ... لو صُغنَ منه قلائد الأجياد

---

(١) يشير إلى: الزينات المكونة من المصابيح.

(٢) يقصد بالنيازك: ما نسميه بالصواريخ.

قل للشباب : أصبتَ أيَّةَ قدوة ... فى شخص فاروقٍ، وأكبرَ هاد؟

لما رأى وَلَع الشباب بكل ما ... فى الغرب ، صاح بهم وقال : بلادى

وبنى بها ريحانةً، مصريةً ... معصومة من هجنة الأولاد

عذراء نضَّرت الكنانة عودَها ... من أهل بيت ناطق بالضاد

رشفت من النيل العتيق رحيقه ... وتَفيَّأَتُ منه ظلال الوادى [(١)]

ولو ابتغى شمس الضحى عِرسا له ... لرأيتها هبطت من الآراد [(٢)]

قل للغريب بقلبه وغرامه : ... ما أقفرت مصر من الأغياد

لا تبن بامرأة، وتهدم منزلا ... خيرُ الزواج تزاوج الأنداد

لستم بمصرِّيين حتى تؤثروا ... مصرًا بكل محبة ووداد

كم فوق شط النيل أهيفُ شادنٌ ... فتن الغصون بقده المياد

من عهد فاتنة القياصر لم تزل ... مصرٌ مراحَ نواعم الأجساد [(٣)]

فاروقُ، كم لك آية شعبيةٌ ... كبرى تمس شَغاف كلِّ فؤاد

أحصنتَ فى شرخ الشباب، وطالما ... ألقى الشباب إلى الهوى بقياد

قالوا: كبحتَ النفسَ، قلنا: فارس ... يعتاد منذ صباه كبح جياد

ومن الشبيبة: حكمةٌ، ورجولة ... لا تُحسبُ الأعمار بالأعداد

هات المسَرةَ، واسق شعبك إنه ... شعبٌ إلى كأس المسرة صاد

لم يستظلَّ بمثل عرشك مذهوَى ... عن عرشه فرعونُ ذو الأوتاد

درجت قرون، وهْو عانٍ مرهقٌ ... يكفيه ما عاناه من إجهاد [(٤)]

وطن عريق من شبيبتك اكتسى ... حللَ الشباب قشيبةَ الأبراد

---

(١) تفيأ الظل : استظل به .

(٢) الآراد : جمع راد، ورأد الضحى : ارتفاعه .

(٣) يعنى بفاتنة القياصر: كليوباترة، ومراح : اسم مكان من راح .

(٤) العانى : الأسير.

حتى سألتُ: أمصر فى شرخ الصبا ... أم مصر أقدم من ثمودَ وعاد؟
طوّقتَ أعناق البلاد بطول ما ... أسديت من مِنَنٍ وبيض أياد
فعجبت: كيف أسرت مصرًا بعدما ... حررتها من رق الاستعباد ؟!

* * *

يا ثالثَ العُمَرين، أنت أريتنا ... بالعين ما يُروى عن الزهّاد [1]
قد جئت فى جيل يُصلِّى جاهدا ... ويصومُ، لا لله، بل للزاد
حرصوا على الدنيا. وكلُّ جديدة ... تبلى، وكلُّ ذخيرة لنفاد
فلعل أنفسهم بِهَدْيك تهتدى ... فتروجَ سوقُ الروح بعد كساد
وهى الحنيفة: دين كلِّ حضارة ... وعدالة، وهداية، ورشاد
شاء المهيمن أن تكون عمادَها ... ما كان يتركها بغير عماد
اختلتَ فى بُرد الزفاف، وفى غد ... تختال فى برد النبيِّ الهادى [2]
إن الخلافة كلما ذكر اسمها ... شخصتْ إليك حواضرٌ، وبواد
يا رب يوم فيه قد وفدتْ على ... مصرٍ، ومصرُ كثيرة الوفاد
إنا أوَيْناها غداةَ تشردت ... وعدت على دار السلام عواد [3]
أو ما استعار «التركُ» منا تاجها ... لجبين «محمود»، ورأس «مراد»؟
مَن ذا سواك يُعيدُ عهد أميّةٍ ... بدمَشقَ والعباسِ في بغداد؟
أصميْتَ بالتقوى صدورَ معاشرٍ ... مسخوا محيّا الدين بالإلحاد
لله إذ تَرِد المُصلى خاشعًا ... تسعى إليه بخطوك المتهادى!
وكأن ركبك لا يسير على الثرى ... وكأن جبريلاً لركبك حاد

---

(١) يعنى بالعمرين: أبا بكر وعمر، وهذا على سبيل التغليب.
(٢) يكنى بذلك عن: أيلولة الخلافة إلى الفاروق.
(٣) يشير إلى: التجاء الخلافة إلى مصر، بعد سقوط دار السلام «بغداد».

ملك يتـــوج مَفْــرقيـــه بـــالتقى ... نـورُ الصـلاح عليـه أبلجُ، بـاد (١)

عجبى لـه يخشى الـزمـانُ نـزالَـه ... وعليـه تبـدو خشيـةُ العُبّـاد!

إنـا عجمنـا عـودَه؛ فـإذا لـه ... وجـهُ البـدور، وهمَّـةُ الآسـاد (٢)

مـا عيـدُه إلا غـداةَ تعـدُّه ... فى شعبـه فـردًا من الأفـراد

عـرشٌ على الـدستـور قـام أساسُـه ... فـإذا بـه أرسى من الأطـواد

❊ ❊ ❊

بُـوِّئتَ، يـا فاروق، عـرشًـا كـان فى ... أيـدى فـراعنـة بمصـرَ شِـداد

هم شـاركـوا الأربـاب فى ملكـوتها ... كم صـاح صائحُهم، وقـال: عبادى

ضمنـوا بقـاء رسـومهم، وجسـومهم ... والحـادثـاتُ: روائحٌ، وغـواد

قُم، سـائل الأهـرام عن تـاريخهم ... مـا فصَّل التـاريخَ مثلُ جمـاد

هنَّ الثقـاتُ من الـرواة، بـرئنَ من ... عصبيَّـة، وسلمن من أحقـاد

فأعـد لنـا عهـد الجدود، وهـات مـا ... تـركـوا لمن تـركـوا من الأحفـاد

هـات الـذخـائرَ ، والسـلاح لأمـة ... عـزلاء، واستكْثِـرْ من الأجنـاد

هـذا الـزمـان مسلحٌ ، لا يحْتفى ... بعهـود سلم، أو صكـوك حيـاد

أو مـا رأيتَ الطـامعين بخيلهم ... حول الحمى، يقفون بالمرصاد (٣)؟

فـاجعلـه ـ إنْ ذَاقوه ـ سُمًّا نـاقعـا ... واجعلـه ـ إن مسُّوه ـ شوكَ قتـاد (٤)

فاروق، دُمْ ، واسلم لشعب مخلص ... بنفيسـه، وبنفسـه لـك فـاد

سل كل قلـب فى الكنانـة نـابضٍ ... عمـا يـريدُ، يجبْك: أنت مـرادى!

---

(١) الأبلج: الواضح المشرق.

(٢) عجم العود: قرعه بسنه؛ ليختبر صلابته.

(٣) فى ذلك الوقت كانت الجنود الطليانية محتشدة حول الحدود المصرية الغربية.

(٤) القتاد شجر معروف مجدة أشواكه.

تحية فريال [1]

الأهرام ١٩ من نوفمبر ١٩٣٨م

فـريـالُ، يـا سليلـة الملـوكِ نُظمتِ نظمَ الـدر فى سلـوكِ

مصبــوبــةٍ من ذهب سبيك الشُّهبُ فى عليـائهـا تحكيك

هـل تنتمـى الشهْـب إلـى ذويـك؟

❊ ❊ ❊

مصـرُ بكـل مـا حـوتْ تفـديك بِصَيِّبٍ من عطفهـا تحبـوك [2]

بين الجفـون أهلُهـا صـانـوك واللهُ مـن ورائهـم راعيـك

❊ ❊ ❊

أشـرقـتِ مثلَ الأمـل الضحـوك في ليلـة القـدْر على واديك

كـالبـدر يجلـو ظلمـةَ الشكـوك أو كَـذُكَـاءَ سـاعـة الـدلـوك [3]

❊ ❊ ❊

الشعب يُهـدى آيـةَ التبـريك وخـالصَ الحب إلى أبيك

مـا نلت عطفَـهُ بـلا شـريك فهْـو أبـو اليتيم، والصُّعلـوك

وخيـرُ جـالس على أريكِ

❊ ❊ ❊

تـرنـو العيـونُ يـا ابنـة المليك مـن عـالَمِ الغيـب إلى أخيك

❊ ❊ ❊

---

(١) أنشئت هذه القصيدة يوم ميلاد الأميرة: فريال.

(٢) الصيب: الوابل من المطر.

(٣) لدلوك الشمس معان؛ منها: استواؤها وسط السماء.

تحيّة العراق (١)

الأهرام فى ... ١٩٤٢م

حَيَّيْتُ فى شخص الجمــــالِى بلـــدا حـــوى شَطــــرَ الجمـــالِ

بلـــدا أحـنُّ لســـاكنيــــــ (م) ــــــه، كـأنهـم صحبى وآلـى

إن كنتُ لـم أَزُرِ العـــــرا (م) ق ولـم أشُـــدَّ لــــه رحـــالـى

فلكـم أَقَلَّتنـى إليــــــــــ (م) ـــه الكتْبُ فى جُنح الليـــالى

بلـــدٌ إلى أحضـــانـــــه آوى الحضـــارةَ من ضـــلال

نظَـمَ المعَـــارِفَ تـــاجُــــهُ نظْمَ الفـــريـــد من الـــلآلى

أدّى إلـى الجيل الجـــديــــ (م) ــد رسـالـــةَ الأمم الخـــوالى

إن يتَّصِـلْ طَـــرَفـــا الثقـــا (م) فـة ،فهْـو حلْقـة الاتصـــال (٢)

أين الـــرُّصـــافـــة، وَهْـىَ كـالْـــ (م) ـــفردوس وارفـــةُ الظـــلال؟

إذ شمسُ دجلـــةَ فـى الـــزوا (م) ل، وكـــلُّ شمـس فـــى زوال (٣)

بغـــدادُ تحكـم فـى الـــورى حكم المـــوالى فى المـــوالى (٤)

والكــــــون ينعَمُ أهلُــــــهُ بـــالعـــدل فـى ظل الهـــلال

***

---

(١) ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تكريم ،أقيمت لـلأستاذ: فاضل الجمالى، وزير المعارف العراقية.

(٢) يعنى بذلك : أن الثقـافة العباسيـة كانت حلقة الاتصـال بين الثقافيتن: اليونـانية القديمة ، والأوربية الحديثة.

(٣) الزوال الأول : بمعنى استواء الشمس فى كبد السماء ، والثانى : بمعنى الامحاء.

(٤) الموالى الأولى: بمعنى الحاكمين، والثانية بمعنى: المحكومين.

كيف العـــــراقُ وأهلُـــــه؟ أتُـــرى العـــراقَ بخيـــر حـــال؟

أتـــرى الأواخــــرَ مـن بنيـــ (م) ـــه قـــد احتـــذَوْا حـــذوَ الأوالى؟

حـــدِّثْ، فقـــد يشفى حـــديـــ (م) ـــثك داءَ ذى الـــداءِ العضـــال

أنـــا إن سمعتُك أسمـعُ الـــ (م) ـــتكبير من شَفَتَيْ « بـــلال »[1]

أنـــا بـــالعـــروبـــة واثـقٌ ثقتى بـــوحـــدة ذى الجـــلال

فـــدع الـــزمـــانَ يـــروغ والْـــ (م) أيـــامَ تمعـن فـى المِطـــال

إن المعـــالَى قـــد تـــدلّ (م) دلال ربـــات الحجـــال

دعهـــا تـــدلّ كمـــا تشـــا (م) ء فســوف تسمح بـــالـــوصـــال

لابـــد مـن نصـــر تحقّـــ (م) ـــقه العـــروبـــة فـي المـآل

❊ ❊ ❊

حييتُ بـــالشعـــر العـــرا (م) ق ، وللعـــراق الفضـلُ ، لآلـيِ

إنـى أديـن لشـطِّ دجلـــ (م) ـــةَ بـــالـــروائع من خيـــالى

إن كـــان يجـــرى فـى ربـــا بغـــدادَ بـــالعـــذب الـــزلال[2]

فلكـم جـــرى فى مصـــر، بـل فى الشـــرق بـــالسحـر الحـــلال

---

(١) بلال : هو مؤذن رسول الله ﷺ.

(٢) فاعل يجرى: ضمير دجلـة ، وذكر باعتبارها نهرا. والأبيـات الأربعة يراد بها : أن الشاعر تأدب بالأدب العباسى.

تحيّة الرسالة (١)

الرسالة أول يناير سنة ١٩٤٠م

مشَتْ مثل « جانْ دَرْكَ » بين العربْ ... تشـدُّ عـراهم بـأقـوى سببْ

تشقُّ الصفـوف بعـزم، وتَهْتِـ (م) ـفُ باسم العـروبة، واسم الأدب

إذا هتفَتْ، قلتَ: طيـرٌ شـدا ... وإن وثبـت، قلـتَ: ليـثٌ وثـب

تبشِّـر بـالضـاد بين بينهـا ... وأكـرِمْ بحـرمـة هـذا النسب!

ومـا وحَّـد الجمعَ مثْلُ اللسـانِ ... ولا اتحـد الجمـعُ إلا غلـب

إذا اتحـد الفكـر فى معشـرٍ ... تجمَّعَ مـن شملـه مـا انشعب

* * *

قـد انتظمـت أمم الضـاد طُـرًّا ... فكـانت كعقـد، وكـانـوا كحَب

بهـا تتـلاقى العقـول، كمـا ... تـلاقى الـروافـدُ عنـد المَصب

فـذا كـاتب مـن أعـالى الفـراتِ ... وذا مـن دمشـقَ، وذا مـن حلـب

بكل يـراع أسـدَّ من السهـ (م) ـمِ، يغـزو القلـوب إذا مـا كتب

فطـورا يَمُجُّ لعـاب الأفـاعى ... وطـورا يَمُجُّ عصيـر العنب

وطـوراً لـه أحـرف من ضيـاءٍ ... وطـورا لـه أحـرف مـن لهب

* * *

تُطل على العـالـم العـربِىِّ ... وتـرقب أحـداثـه عـن كثب

إذا حـرّكت غيـرهـا الشَهـواتُ ... فـلا رغَبٌ عنـدهـا، أو رهَب

---

(١) أنشئت؛ تحية لمجلة الرسالة الغراء، بعد مرور بضع سنوات عليها.

وتعلن عـن نفسهـا بـالسكـو (م) ت، عـالمـةً أنـه من ذهب
ومـا أعلن المـرء عن نفسه بمثل الأنـاة، ومثل الـدأب
ألا مـا أقلَّ الثمـارَ إذا مـا تعـالى الضجيج وزاد الصخب!
بـدت ولهـا يـومُ وضع المسيحِ وعمْرُ المسيح الطـويل الحِقَب [1]
تكلم هـذا صبيًّـا، وتلكَ أتت، وهْى فى مهدها، بـالعجب!
لقـد جاء من خير أمٍّ، وجـاءت سليلـةُ أحمـدَ من خيـر أب
فتـاة كفـاهـا فخـارًا أبـوهـا إذا افتخـرت غـادة بـالحسب
تكـاد تسائل ـ حين تـراهـا ـ: هل الوحى بعد الرسول احتجب؟
وكم للـرسـالـة من نـدمـاءَ هى الكأس عنـدهمـو، والْحبَب
إذا طلعتْ فى سمـاء البيـا (م) نِ، لم يسألـوا: أىُّ نجم غـرب؟

❊ ❊ ❊

وقـالـوا: الرسـالـة، قلت: وهل ثَمَّ (م) أجـدرُ منهـا بهـذا اللقب؟
مشت بـالسفـارة بين البـلادِ تَخطَّى الـوهـاد، وتـرقى الهضَب
فأقسم، مـا قصَّـرت فى الأداء وإن قصَّـر القـوم عمـا وجب [2]
متى يعـرفُ النـاسُ أن الفتى ـ بـلا أدب ـ دميـةٌ من خشب؟
فمـا هـو شعـرٌ ونثـر، ولكن هـو الروح للجسم، وهْـو العصب
يُمِـدُّ الشعـوب بكـل قـواهـا وتـذهبُ شـوكتُهـا إن ذهب

❊ ❊ ❊

---

(١) يشبهها بالمسيح من أربعة أوجه:
(١) يوم الوضع؛ وهو أول يناير. (٢) طول العمر؛ فالمسيح لا يزال حيا.
(٣) تكلم كل منهما فى المهد.
(٤) تناسل كل منهما من طرف واحد؛ فالمسيح: من أم بلا أب، وهى: من أب بلا أم، وأحمد: هو الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات.
(٢) ينعى على القراء تقصيرهم فى ذات: الأدب واقتناء المجلات الأدبية.

تهنئة بوسام [1]

السياسة الأسبوعية فى ... سنة ١٩٤٤م

خطرتْ بغُصْنٍ قوامها الميّادِ ... تختال فى وشْيٍ من الأبراد [2]

حسناءُ من رُتَب العلا والمجد ، لا ... تُهدَى لغير السادة الأمجاد

شقّتْ صفوف المعجبين بحسنها ... وسَعَتْ إليك بخطوها المتهادى

ما كنتَ من خُطّابها ، لكنها ... كانت لإبراهيم بالمرصاد

جادت بها كفّ المليك ، وحسبها ... شرفا : أن انتسبَتْ إلى ابن فؤاد

بشرى ترنمت الشفاه بلحنها ... وتساقطت بردا على الأكباد

أقسمتَ ، لستُ على « السعادة » طارئا ... لكنَّ بينكما قديمَ وداد

لم يُذكر اسمُك دونها يوما ، ولا ... نادى به عند الخطاب مناد

إن نلتَها كهلا ، فإن جلالها ... منذُ الفطام على جبينك باد

لقب رفيع ، قارن اسمك مثلما ... قُرِن الغناء برنة الأعواد

فليهنىءِ اسمك مجدُهُ ، ولوَ انه ... كالبحر مستغنٍ عن الإمداد

اِسم كأن حروفه مقطوعة ... يشدو بها بين الخمائل شاد

بمقامك الألقابُ تزهو ، مثلما ... تزهو العقودُ بنضرة الأجياد

ما أجمل الرتبَ الرفيعةَ موقعا ... فى النفس إذ تُهدى إلى الأنداد!

لا ترفع الرتبُ الرفيعة خاملا ... كم من وسامٍ فوق صدر جماد!

---

(١) ألقيت هذه القصيدة فى حفل تكريم معالى الوزير الأديب : إبراهيم دسوقى باشا أباظة ، الذى أقيم فى دار الأوبرا بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية .

(٢) المياد : صيغة مبالغة من ماد بمعنى تثنى ، والوشى : النقوش ، والأبراد : جمع برد بضم الباء .

قــالــوا: تكــرِّمــه، فقلت: فتًى إذا ... كــرَّمتُــه، كــرَّمتُ فيــه بــلادى

ابنٌ لمصــرَ، تتيــه مصــرُ ببــره ... والأُمَّهــــاتُ يتهــن بــــالأولاد

لم يعتنق إلا هـــواهـــا مبـــدأً ... ولكل فـــرد فـى الحيـــاة مبـــاد

أقسمتُ، مـازان الـوسـامَ كـوجهـه ... وكصـدره الخـالى من الأحقـاد [1]

خُلُق أرقُّ من النسيم، وهمــــةٌ ... عنــد النضـــال كهمــة الآســـاد

لم تُـزْهِـهِ يـومـا عـراقَـةُ بيتـه ... ولــوَ انـــه أرسى من الأطـــواد [2]

مـا سـاد بـالحسب العـريق، وإنمـا ... نـــزع السيـادةَ بعـد طـول جهـاد

هـذا العصـامىُّ، العظـامىُّ، الـذى ... أكبـــرت فيـــه تقـــابلَ الأضـــداد

نجم يقـــربـــه تـــواضع نفســه ... فتخـــالـــه فـــردا من الأفـــراد

مَن راحَ يقـرعُ بـابــه، لم يثنـه ... جيش مـن الحجَّـــاب والأجنـــاد

إنى غَـدوْت ــ بفضـل بسمـة ثغـره ــ ... ألقى الـــوزيـــرَ ولا يـــدقُّ فـؤادى

ولطـالمـا لاح الـوزيـر لنـاظـرى ... وكأنـــه فـــرعـــون ذو الأوتـــاد!

***

يـــا آلَ إبـــراهيمَ، إن المجـــد فى ... أبيـاتكـم كـالمـاء، أو كـالـزاد [3]

قـد كـان يجـرى فى دمـاء أصـولكم ... ولســوف يجــرى فى دم الأحفـــاد

أنا إن أطلتُ القول فى شمس الضحى ... وصفـــاتهـــا، مـا قلت غيـرَ مُعـاد

إنى أرى الأدبَ الـــرفيـع شعـــاركم ... أنتم، لعمـــر الله، فخـــر الضـــاد

كم شـــاعـر فيكم كشـــاعـر كنـدةٍ ... ومفـــوَّه يحكى خطيب إيـــاد [4]

ومحـدِّثٍ تحـوى صحـائفُ صـدره ... مـا غاب عن (خَلَفَ)، وعن (حمَّـاد)

يـــا آلَ إبـــراهيـمَ، إن بيـــوتكم ... للعلـم والأدب الـــرفيـع نـــواد

المجـد إذ تُهــدى لكم ألقــابُــه ... كـــالـــدر إذ يهـدى إلى النقـــاد

(١) الكاف من كوجهه: اسم بمعنى مثل، فاعل زان. (٢) زهاه: غره.

(٣) يقول: إن المجد فى بيوت الأسرة الأباظيـة أمر عادى شامل؛ لا يخلو منه بيت، كما لا يخلو من الزاد والماء.

(٤) يريد بشاعر كندة: «امرأ القيس»، وبخطيب إياد: «قس بن ساعدة».

تحيّة وقضيّة [1]

مجلة دار العلوم ... سنة ١٩٤٢م

أقسمت، ما الرّوْضُ الخصيبُ ... يهفو به الغُصْنُ الرطيبُ
للأنف والعينين من ... أزهاره طيفٌ وطيب [2]
الطيرُ تهتف فيه والْـ (م) ـغدران فى همسٍ تجيب
والبدر لاح كغُرَّة الْـ (م) ـمحبوب أخطأه الرقيب
بأحبَّ من نادٍ يزيِّـ (م) ـنه بطلعته « نجيب »
وافى الندىّ، فكل جا (م) رحةٍ له صدرٌ رحيب
وافى، فما دقَّت لمقـ (م) ـدمه الطبولُ، بل القلوب
نادٍ حللت به، وما ... أنْتَ امرؤ عنه غريب
هو معقِل الضاد الحصيـ (م) ـن، وأنت فارسها المَهيب
هو مهبط الأدب الرفيـ (م) ـع، يزوره العَلَمُ الأديب
إن الأديب – كما علمْـ (م) ـتَ – لكل ذى أدب نسيب

❊ ❊ ❊

تدرى الوزارة عن نجيـ (م) ـب أنه رجلٌ دءوب
سهرانُ، لا يشكو اللغو (م) بَ، ويشتكى منه اللغوب [3]
كم هزَّ عطفيها اسمُه ... فكأنه نَغَمٌ طروب [4]

---

(١) أقامت جماعة دار العلوم فى ناديها احتفالا، دعت إليه معالى : نجيب باشا الهلالى، وزير المعارف إذ ذاك ، وانتدبت الشاعر، لالقاء كلمة التحية، وعرض قضية المعلمين.

(٢) يريد بالطيف : ألوان الطيف المعروفة، وفى البيت : لف ونشر مشوش.

(٣) اللغوب : التعب. وفى إسناد الشكوى إلى اللغوب : مبالغة ظاهرة.

(٤) العطف : الجانب. ووصف النغم بالطرب على سبيل المجاز.

وحنَتْ إليـــه مثلمـــا   يحنـــو إلى الحِبّ الحبيب
إن غـــاب عنهـــا فتـــرةً   فلـــه منـــاهجُ لا تغيب
كـــالشمس تتـــرك خلفهـــا   شفقـــا إذا حـــان الغـــروب
إنـي أرى الآمـــال أخـــ (م) ـــصبَ ربْعُ واديهـــا الجـديب
وأرى العـــزائم كـلَّ عـــز (م) م، كـــالشهـــاب لـــه شُبـــوب
وأرى الـــوزارة كـــالعـــرو (م) س، يـــزينهـــا ثـــوب قشيب
وأرى الحيـــاة بكـل مـــد (م) رســـة يـــدب لهـــا دبيب
روحٌ ســـرى بيـن الجميـــ   ـــع بمثلـــه تحيـــا الشعـــوب

❊ ❊ ❊

لمعلِّـم الـــوادى رجـــا   ء فـــى نجيـــبٍ لا يخيـــب
لـم لا، وأنـت بحقـــه   فـى كـل آونـــة تُهيـب؟
أنت المحـــامى عنـــه، أنْـــ (م) ـــت لجـــرحـــه نعم الطبيب
أو مـــا تـــراه فـى ربيـــ (م) ـــع العمـــر يـــدركـــه المشيب؟
خُلـق السهـــادُ لجفنـــه   ولـــوجهـــه خُلق الشحـــوب
ولقـــد تَمـــدُّ إليـــه فـى   حرم الفصـول يـدًا شعُـوب (١)
فيخـــرُّ فـى ســـاح الجهـــا (م) د، ولا ثـــوا، ب ولا مثيب!

❊ ❊ ❊

هـــو فـى الفصـــول ممثـلٌ   آنًـــا، وآونـــةً خطيب
وإذا ادلَهَـمَّ الليـل، والْـــ (م) ـــتَقَتِ المضـــاجع والجنـــوب
أمضـى ســـواد الليـل، وهْـــ (م) ـــو لكـل شـــاردة طَلَـــوب
وطغـت عليـــه دفـــاتـــرٌ   كـــالسيل ليس لهـــا نضـــوب

---

(١) شعوب: علم يطلق على المنية.

كيف السبيل إلى الكرى | وأمامَه منها كثيب؟
إنَّ المعلمَ خبزُهُ | بمداده القاني مشوب
يحمرُّ فى يده المدا (م) | دُ، كأنه بدم خضيب
إن قدَّروا مجهوده | قالوا: النجاح، أو الرسوب
أو كان عيبٌ فى النظا (م) | م ووضعه، فهو المعيب
أو أذنب الطلاَّب، عُدَّ (م) | تْ فى صحيفته الذنوب
وإذا تولَّى الامتحا (م) | نَ، يحوطه شك مريب
يرقى بنوه إلى العلا | ورقيُّه أمل كذوب
سمحتْ براتبه خُلو (م) | ف، ما لها أبدا ثقوب [(1)]
سيِقَ العجافُ له، وسيـ (م) | ـق لغيره البقرُ الحلوب [(2)]

* * *

اطوُوا مناهجكم، وخلُّـ (م) | ـوا الكُتُبَ تُخطىء أو تصيب
وسلوا المعلم: أهْو را (م) | ضٍ حين يعمل أم غضوب؟
نُظُمٌ تحركها الريا (م) | ح، كما يطيب لها الهبوب
تجرى الشَّمال بهن آ (م) | ونةً، وآونةً جنوب
كيف التقدم والمعلِّـ (م) | ـم من إرادته سليب؟
عانٍ يتوق إلى الوثو (م) | ب، فلا يتاح له الوثوب
إن لم تطب نفس المعلِّـ (م) | ـم، لم تجد شيئا يطيب

* * *

عُذرا، بربِّك، إن أثُرْ | فالقلب من كمدٍ يذوب
لا خيرَ فيمن لا يثو (م) | ر على المظالم إذْ تنوب

---

(١) خلوف: جمع خلف، وهو ـ للناقة ونحوها ـ بمعنى الندى.
(٢) العجاف: ضد السمان.

الثـــورة الكبـــرى نمثْـــــ (م) ـــلك، وأنت أنـت لهـــا ربيب

خلفـى جيــــوشٌ إن شكـــــو (م) تُ، فـإننـى عنهـم أنـــــــوب

مَنْ يَـــدْعُ مثلك، يــــا نجيـــ (م) ـــب، دعــا سميعًــا يستجيب

لا ينثنـى عـــن رفـع مظــــــــ (م) ـــلمة، ولـــو أبَـتِ الحـــروب

أحلـى الأمـــــانـى مـــوقعًــــا   مـــا ســـاقـه الــزمـنُ العصيب

مـــا دمـت أنت نصيـــرَنـــا   فـــالنَّصْـــرُ مـــوعـــدُهُ قـــريب

❊ ❊ ❊

أدب الوزراء (١)

الدستور ١٩ من يناير سنة ١٩٤٢م

هتفوا بَهيكلِ الوزيرِ، وإنما حيَّيْتُه رجلا إلى الأدب انتمى

لو لم تكرمْه الوزارةُ، لا نبرى بلسانه الأدبُ الرفيعُ فكرَّما

تاجان زانا مفرقيه، وإن يكنْ تاج البيان على المفارق أدْوَما

حيَّيْتُ فيه فتى نحيلاً جسمُهُ يبدو؛ فتحسبه مُعَنىً مغرمًا

حتى إذا مارسته، لم تدر: هل مارست طودا شامخا أم عيلما؟

عهدى به فى الشرق، مذ أنا يافعٌ عَلَمًا، إذا ذُكر اسمُهُ ملأ الفما

متوقِّدًا، مثلَ الشهاب ذكاؤهُ متوثِّباً، ما قال إلا أبرما

عفَّ اليراعة، والضمير كليهما سيَّانِ: هاجم خصمَهُ، أو هوجما

رجلُ العقيدة لا يقدِّس غيرَها إن قدَّسَ المتلوِّنون الدرهما

بيعَتْ مبادئُنا، فما أبصرتُه فى السوق ساوم مرةً، أو سُووِما

***

لله درك بالوزارة ناهضا أو فى الثقافة منشئا، ومترجما!

ذكَّرتَنا بابن العميد، وعصبةٍ حوت السياسة، واليراع كليهما

والفكر إن ساس الأمورَ رجالُه كانت بأيديهم أسدَّ وأحكما

سائل بنى العباس فى أجداثهم: كم من أديب فى الرقاب تحكَّما؟

من ذلك التاريخ كان ولم يزل سنَّ اليراع إلى الوزارة سُلَّما

---

(١) ألقيت فى مسرح حديقة الأزبكية، فى حفلة أقامها رجال دار العلوم؛ تكريما لمعالى: هيكل باشا.

أنبَتَّ لـلأدب المهيض جنـاحُـه ... ريشا، وشِـدتَ جداره المتهـدما [1]

زعمتْـهُ رمـزًا للشقـاء عصابـةٌ ... ورمـاه بـالكلم القـوارص مَنْ رمى

حتى أتيت؛ فكنت أبلغَ حجـةٍ ... أدلى بهـا الأدب الـرفيع فـأفحمـا

❋ ❋ ❋

حلَّلتَ لـلإسـلام سيـرة أحمـدٍ ... فحلَلْتَهـا للنـاس لغـزا مبهمـا [2]

الله يشهـد، كنت فى تحليلهـا ... حُـرَّ الضَّمير، وكنـت بـرا مسلمـا

تمشى على شـوك القتـاد بمنهج ... خشىَ العِثار به سـواك؛ فأحجما [3]

عَبَـرَ الـرواةُ على حيـاة محمـد ... وأتيت، فـاستخـرجت منهـا منجمـا

شتان بينك ـ إذ حَجَجْتَ ـ وبين مَن ... زاروا ـ كمـا زرتَ ـ الحطيم وزمـزمـا

عـادوا بمسبحـة، وعـدت بثـروة ... للشرق كـان الشرق منهـا معدمـا [4]

حتى غـدت بطحـاءَ مكـةَ تشتهى ... فى كـل عـام أن تحج وتحـرمـا

هـذى هى التقـوى، وتلك سبيلهـا ... مـا أكثـر المُتَهَجِّـدين الصُّـوَّمـا! [5]

لم أتْلُ من سِفْـريك بضعـةَ أحـرف ... إلا حسبتكُ ـ حين تكتب ـ ملهمـا

حتى كأنـى ـ حين أقـرأ ـ أجتلى ... صُـوَرًا وأستمـع الحـديث منغّمـا

يمضى يـراعك فـى الضـريبـة إن نَبـا ... سيـف بكف مـدرَّع وتثلّمـا

أين المهنـدُ من يـراع مجـاهـدٍ ... فى اللهلم يجـرحْ ولـم يسفك دمـا؟

قَلم يـذود عن الحنيفـة تـارة ... ويـذود تـارةً الهـوانَ عـن الحمى

---

(١) مهيض الجناح: مكسوره.

(٢) يشير إلى كتاب: «حياة محمد»، الذى ألفه معاليه.

(٣) يشيد بمجهود المؤلف فى التوفيق بين: حريـة البحث، وإشباع العاطفة الدينية؛ والتوفيق بينهما من العسر بمكان.

(٤) يريد بتلك الثروة: «كتاب فى منزل الوحى»، الذى ألفه معاليه.

(٥) التهجد: قيام الليل.

نفثاتــه فى الطِّرس تُـدعى أحـرفـا لكنهــا فى القلب تنفــذ أسهمــا
يحكى عصــا مــوسى، إذا ألقيْتَــهُ ألْفيتَــهُ فــوق الصحيفــة أرقمــا [1]
أفعى على البــاغين تنفث سُمَّهَــا وعلى جــراح النيل تقطـر بلسمــا

* * *

أقسمتُ، ما نسيَتْ لك الفصحى يدا بيضاءَ، صانـت حقَّها أن يُهضما [2]
أعلنتَ رأيـك فيــه غيــر مــوارِبٍ ووقفْتَ تـزأر خلـف رأيك، ضيغمـا
كــوَّرتَــهُ، وحصبت أقــوامـا بــه جمَّ الصــراحة بـالــدليل مـدعمـا
مــا كنت فــردًا إذ وقفت منـافحـا بل كنت جيشــا لا يُفَلُّ، عـرمـرمـا
تثنى عليك الضــاد ملءَ لهَــاتهـا إن كــان يجـزيك الثنــاء، وقلَّمـا
أو مــا كفــاهـا معشــرٌ من أهلهـا تـرك العـروبـة جـانبـا واستعجمـا؟
متخــاذلُ الأسلــوب، ليس بمُفهمٍ معنى، ولــو نطق الجمــاد فأفهمـا
حسبَ الــرطــانــةَ حلية لبيــانــه وسـرى إليــه لعــابهــا فتسمَّمـا
إن تــرتَقِ اللغــةُ، ارتقى أبنـاؤهــا وإذا هــوتْ، فأقم عليهـم مأتمــا

(١) الأرقم: الثعبان فى جلده نقوش.
(٢) يشير إلى: موقف لمعالى هيكل باشا، نافح فيه عن اللغة العربية؛ مؤازرا خريجى دار العلوم، إبان توليه وزارة المعارف.

بك تحتفى دارُ العلوم، وكم شَدَت ... باسم ؛ فأنجد فى البلاد، وأتهما

انظر - بربك - حفلها : أفلا ترى ... شبح الوفاء بحفلها متجسما؟

دار أعَدَّت للكنانة معشرًا ... صالوا بها أُسْدًا ، ولا حوا أَنْجما

حملتْ بأول من تسنَّم منبرًا ... وشدا بقافية، وحرَّك مِرقما [1]

دارُ العلوم ، ونيل مصرَ ، كلاهما ... يروى بسَلسلهِ البلاد من الظما

لولاه فى مصرٍ لما غرس نما ... فيهَا ، ولولاها لما عقل نما

من أفْقها شعَّ البيان، وما الورى ... دون البيان سوى هياكلَ، أو دُمى

لو أن مصرًا سوِّيتْ بشرًا ، غدت ... دارُ العلوم لسانَهُ المتكلما

---

(١) المرقم: القلم، ويريد - بهذا البيت - : استيعاب أنواع البيان الثلاثة: الخطابة، والشعر، والكتابة.

تحيّة السودان (1)

يا جيرةَ النيل، حيَّا الله مقدمكمْ ... لسنا نعدُّكمو فى مصرَ ضيفانا

لقد نزلتم برهط من عشيرتكم ... وزرتمو بدلَ الأوطان أوطانا

لما نزلتُم على الفصحى بدارتها ... كادت ترحِّبُ آساسًا وجدرانا

إنا نكرِّم فى أشخاصكم وطنا ... لو صُوِّرتْ مصرُ عينا كان إنسانا

النيل قد وحَّدَ الرحمنُ واديَهُ ... ففيم نقْسِمُهُ: مصرًا وسودانا؟

* * *

حمل القلادة (2)

حمل القلادَة منك صدرُ وزيرِ ... فيه تواضُعُ عالم نحريرِ

وضُعت - لعمرى - فوقَ صدرِ طاهر ... بالصالحات وبالتُّقى معمور

هنأتُ كل معلِّم فى معهد ... إذ خصَّك الفاروقُ بالتقدير

قد كرَّم الفاروقُ كلَّ معلم ... فى شخص «عبد الرازق السنهورى»

---

(1) ألقيت فى نادى دار العلوم، فى حفل أقيم؛ تكريمًا لبعض الوفود السودانيين.

(2) بعث بهذه الأبيات إلى حضرة صاحب المعالى: عبد الرازق السنهورى باشا عندما منح رتبة «الباشوية».

زفـــــرات !

كأس تفيض !

الرسالة ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٥م

لك الله ؛ لا تشكو ، ولا تتبرَّم ... فؤادك فياضٌ، وفكك مُلجمُ!
يفيض لسان المرء إن ضاق صدرُه ... ويطفح زيت الكيل، والكيل مفعم
تعللتُ دهرًا بالمنى، فإذا بها ... قواريرُ من مسِّ الصبَّا تتحطم
حملنا على الأقدار، وهْى بَرِيئةٌ ... وقلنا : هى الأقدار، تعطى، وتَحرم

***

لعمرك، ما أدرى: على أىِّ منطق ... أشاهد فى مصر الحظوظَ تُقسَّم؟
فكم رصد الأفلاكَ فى مصر أكمهٌ ... وزلزل أعوادَ المنابر أبكم [1]
أقمتُ بمصرٍ، عاثر الجدِّ، ساكنًا ... كما سكنت أهرامها، والمقطم
وقفت مكانى لا أريم، وأخمصى ... على الشوك من طول السرُّى تتورم! [2]
كأنِّى إطار دائر حول نفسه ... يطول به المسعى ولا يتقدم!
فمن يك ذا قربى وصهرٍ، فإننى ... بمصرَ وحيدٌ ؛ لا قريبٌ، ولا حمُ
وما أنا ممن تخطىء العين مثله ... ولكنْ تعامى القوم عنىَ، أو عَمُوا

***

---

(١) الأكمه : الأعمى .
(٢) لا يريم : لا يتحرك .

أيــذوى شبــابى بين جـدران قــريــة	بيــاب كأن الصمت فيهــا مخيم؟ (١)
أكــاد من الصمت الــذى هو شــاملى	إذا حُسب الأحيــاءُ، لـم أكُ منهمــو
وعــاشــرتُ أهليهـــا سنين، وإننى	غــريب بـإحســاسى وروحىَ عنهمو
يقـولــون: خضـراء المـرابـع نضـرة	فقلت: هبـوهـا، لسـت شـاةً تسوَّم
علـى رِسْلكم، إنـى أقيم بقفـــــرة	يجــوز على الأحيـاء فيهـا التـرحم
سئمت بهـالـونًـا من العيش واحـدًا	فَدَارى بها دارى، وصحبى همو همو
حيـاة كَسطح المــاء، والمـاءُ راكـد	فـــلا أنـــا مســـرورٌ، ولا متـألم
ومـــا أبتغـى إلا حيـــاة عميقـــةً	تســرُّ، فأرضى، أو تســوء؛ فأنقم
حيــاة كلجِّ البحــر، والبحـر زاخــر	تـدوّى بهـا الأنواء، والـرعـد يهـزم
حيـاة بها: جِـدٌّ، ولهـو؛ بها: رضًـا	وسخط؛ لها طعمان: شهد، وعلقم
فمن مُبلـغٌ «بنتَ المعـــز» بـأنَّ لى	فـؤادًا عليهـا كـالطيـور يحـوِّم؟ (٢)
وأنِّىَ مـن سبع خلـــون محـــافظ	على العهـد، إن خـان العهـود متيم
فــإن أنأَ عن مصـرٍ، فحسبى: أننى	أحج إليهـــا كلَّ عـــام، وأُحـــرم

* * *

لعمـــرك، إنـى قـــد رمت بفتيـــة	أروح وأغـــدو كـلَّ يـــوم إليهمـــو
صغــارٌ، نـــربِّيهم بمثل عقـــولهم	ونبنيهمـــو، لكننـــا نتهـــدَّم
لأوشكُ أن أرتــدَّ طفــلا؛ لطـولمـا	أمثِّل دَوْرَ الطفـل بين يـــديهمـــو
فصـول بـدأنـاها، وسـوف نعيـدهـا	دواليْـكَ، واللحنُ المكـــرَّرُ يُسـأم
فمن كـــان يـرثى قلبـــه لمعـــذَّب	فأجـدرُ شخص بـالـرثـاء المعلم!
ومـــا كنت أُعنى بـالنتيجـة يـافعًـا	فصـرت بهـا فى هـدأة الليل أحلم
وددت لـوَ انى عـدت للدرس نـاشئًـا	أسيـر، وفى يمنـاى: لـوح، ومـرقم

---

(١) يقصد قرية: «كوم حمادة»، وقد طال مكثه بها مدرسا.
(٢) يكنى «ببنت المعز» عن: القاهرة.

وكـائِنْ تـرى الحـرَّ الأبيـةَ نفسـهُ ... يضيع لـــه حقٌ، وآخـــرُ يهْضَم

ينـال المنى من يقطـع السُّبْل ملحفـا ... ويغشى بيـوت النـاس، والناس نـوَّم

ورُبَّ أمـور يخجل الحـرَّ ذكـرهـا ... يضيق بهـا صـدرى الفسيحُ، وأكتم

فيـاليتنى أغضيت جفنى على القـذى ... وعلمت نفسى بعض مـا ليس تعلم!

فلــو أن نفسى طـاوعتنـى قـرضتُّهـا ... على الهـوْن، لم أخسر وغيـرىَ يغنم

ألا فليسُــدْ من شـــاء، حسبىَ أننى ... ضننتُ بمـاء الـوجـه حين تكـرَّمـوا

ولم أتغـــزَّلْ فى الكـــرام وفضلهم ... وغيـرى بهم ـ لا بـالكـواعبِ ـ مغـرم

وإنى لمغبــون إذا صــرت قيصـرًا ... وطــوَّق بــالنعمــاء جيــدىَ مُنعم

* * *

تحية مولود [1]

الرسالة ٢٢ من أبريل سنة ١٩٣٥م

سَـرَّكَ اليـومَ قـولهم أم سـاءَكْ … حينَ قـالـوا: هـذا غـلامٌ جـاءَكْ؟
جـانبُ اللهـو من شبـابك ولَّى … فـدع اللهـوَ ينتظـرْ أبنـاءك
وتحمَّل عـبء الأبـوة ، يـا ويـْـ (م) حَـك ، لَمْ يحمـلِ امـرؤٌ أعبـاءك
أيهـا الطـارقُ الجـديـدُ ، سلامًـا … أَسْـأَلُ الصفح إن أسأتُ لقـاءك
علم الله مـا كـرهتُك ضيفـا … لا ، ولكننى كـرهـتُ شقـاءك
بتُّ أخشى عليك جَـورَ الليـالى … فـالليـالى مـا أنصفت آبـاءك
غيـر أنى أمسيت ـ رغم شعـورى ـ … أتمنى علـى الـزمـان بقـاءك
وأرانـى إذا أصـابـك سـوء … أبـذل النفس والنفيس فـداءك
سـاءنى ، يـا بنّى ، أن كنت نجـلا … لِى ؛ فكـانت أبـوّتـى لك داءك
أىَّ ذنب جنيـتَ فى المهـد حتى … يصبح الهـمُّ فى الحيـاة جـزاءك؟
ليت شعـرى: أقـانعٌ أنت أم لـو … تستطيع الكـلام تبـدى استيـاءك؟
أفتـدرى: كم بـتُّ أرفـو كسـائى … وأوشِّـى بكـل زاهٍ كسـاءك؟
وإذا ضنَّ ثـدى أمِّك يـومـا … بـالحيا [2] ، جعتُ ، والتمستُ غـذاءك
ولقـد أسمع الـرعـود تـدوِّى … فى ثبـات ، ولا أطيق بكـاءك
كم حملتَ البكـاء سيفًـا صقيـلا … إن تلـوِّحْ بـه يُنَلْك رجـاءك
دَمعـةُ الطفل من دمـوع العـذارى … صـاحِ ، صُن من كليهمـا أحشـاءك

---

(١) استقبل الشاعر ـ بهذه القصيدة ـ أول مولود له .
(٢) الحيا : الغيث وأراد به هنا اللبن .

أنت فـى مهــدك الصغيـــر أميـــرٌ ... فـوق عـرش يـرجـو الجميع رضـاءك

فتحكَّمْ، تَــرَ الــذكــور عبيــدا ... لك فـى البيت، والنســاءَ إمــاءك

هـو عــرش أسـاسُــه الحبُّ، لا بُط (م) شَكَ نخشى، ولا نــرومُ عطــاءك

أتُــراهــا جنـايــةً أم تُــراهــا ... مِنَّــةً تستحق منـك ثنــاءك [1]؟

ليتنى عشتُ ـ مثلمـا عشتَ ـ غِرًّا ... تُغمـض المقْلتَيْنِ عمـــا وراءك

إننى، يــا بنَّى، أسكـن أرضًــا ... دائمًـا همُّها، فصف لى سَمـاءَك

قــد تـوارت طفــولتى فى ظـلام الـ (م) غَيْب، فـانْشُر علَى دُجاهَا ضِياءَك

يــا دقيقَ البنـــان واليـــد، جلَّت ... يــدُ مثَّــالٍ صــوَّرت أعضــاءك!

نم هنيئًــا، يـرعــاك من شق عينيــ (م) ــك، وأجرى بيـن العـروق دمـاءك

علَّ مـن وكَّـل البلى بــــردائى ... يجعل الخـــزَّ، يــا بُنَىَّ، رداءك

---

(1) يقول المعرى:

هــذا جــناه أبــى علىَّ (م) وما جنـيت علــى أحــد

ويقول شوقى:

بينى وبين أبى العلاء قضية ... فى البر أسترعى لها الحُكَمَاءَ

هو قد رأى نعمى أبيه إساءة ... وأرى الإسـاءة من أبى نعماء!

بين الشعر والمال [1]

الأهرام ١٦ من يناير سنة ١٩٣٥م

حسبتُ أهلك فى عــزٍّ وإقبــالِ ... فكـــان أهلُك فـى فقــر وإقــلالِ
لم يُــرو أهلَك شعــرٌ كنت تعصــره ... خمـرا ، ولاقـاتهم أسلــوبُك العـالى
ويحى! متى أجـدَتِ الأشعار قـائلها ... حتى تطـوفَ على الأصحـاب والآل؟
كم شـاعـر لبق يكسو الـورى حلـلا ... لم يُصلح الشعـرُ من سربـاله البـالى
كم شــاعـرٍ مُلِئتْ أقــوالُـه حكمــا ... لم تغن أقــوالُـه عـن جيبـه الخــالى
لــو أن أســواق درِّ الشعـر نــافقــةٌ ... أمسيتَ تـربو علـى قارونَ فى المـال
الدر فى الشعـر غيرُ الـدر فى صدف ... هــذا لـــه ثمن بخسٌ، وذا غـــال
لا درُّ شعــرك فى الظلمــاء مـؤتلقٌ ... ولا جبينٌ تحليـــه بـــه حـــال!
لا يبلغ المجـدَ شعبٌ مـات شـاعـرُه ... فبـات يشكـو بنــوه رقـة الحـال
لـو كـان أنصفنـى دهـرى، وأنصفـه ... لم يشْك أمثـالُـه بـؤسًـا، وأمثـالى
يـاليت شعرى: أبعـدى ينقضى أدبى ... وغيـــرُ منتفع أهلى بـأقـــوالى؟
يا شعر، ويحك! لا إن عشت تُنفعنى ... ولا تقــوتُ إذا مـــا مــتُّ أطفـــالى
إن رمتُ قوتـا، فإن الشعـر من خزف ... أورمت رِيًّـا، فـإن الشعـر من آل [2]
من يشتـرى بـرغيف واحـد أدبى؟ ... من يشتـرى الشعر: ديـوانا بمثقـال؟

---

(١) روت الصحف إحصاء عن تـركة المرحـوم: حافظ إبـراهيم بك، فإذا هى تنحصر فى: معاشه الذى يطالب به أبناء أشقائه.
(٢) الآل: السراب.

ويح العيد! (1)

يا عيدُ، عُذْرًا إن نظمتُ نشيدى — لك حافلا بالنوح، لا التغريدِ!

ماذا يخبّئه هلالك فى غد؟ — أتُراه جاء مبشرًا بجديد؟

ويح الخلّى، قضى نهارك هانئا — وقضيتُه متعللا بوعود

والوعتى إن كان برقك خلّبا — ما فيه غيرُ تجهُّم ورعود!

ولقد أردت السير فيك مهنئًا — فوجدتُ رسغىَ مثقلا بحديد [2]

عَزَفَ «الكمان»، فندَّ عنه مسمعى — وبكت مطوّقة، فقلتُ: أعيدى! [3]

أستودعُ الرحمن عمرا ضاع! لى — فى كل يوم منه أجرُ شهيد

أغضيتُ جفنَ العين فيه على القذى — وحملتُ فيه مضاضة التشريد

وسكتُّ دهرًا خوف لومة لائم — أو قولِ لاحٍ: أنت غيرُ جليد

الآن أطلق صيحة محبوسة — فاض الإناء، وكاد صبرىَ يودى!

* * *

يا من أناديه وأنشُدُ جانبا — من عطفه، هل أنت غير بعيد؟

قد طال بى أسرى، فلا شُلَّت يد — تفرى بقبضتها حديد فيودى

* * *

---

(1) قالها سنة ١٩٣٧م، وهو بكوم حمادة.

(2) الرسغ: ما بين الساق والقدم.

(3) ند عنه: نفر منه، ولم يألفه.

لا تخدعوني بالمنى ! [1]

السياسة الأسبوعية ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٩م

أَفَتلَك عـــاقبتى وذاك مـــآلى؟ ... خُطُّوا المضـاجعَ، وادفِنوا آمـالى
لا تخـدعونى بـالمنى وحـديثهـا ... قـد كـان ذلك فى الـزمـان الخـالى
ولقـد بـرِمْتُ بمصـرَ حين وجـدتها ... قبـرَ النبـوغ، ومسـرح الجهَّـال
بلـدٌ تسـربل بـالحريـر جهولُـه ... ومشى الأديب بـه بـلا سـربـال
أبصـرتُ بـاب الـرزق فيـه مفتحًـا ... إلا عَلـىَّ ، فمحكـمُ الأقفـال
إن شئت أن تحيـا بمصـر ، فـلا تكن ... حىَّ الضميـر، تعـشْ خلىَّ البـال
واركع هنـاك أمـام كل ريـاسـة ... وَلَـوَ انهـا خُلعت على تمثـال
واظفَـر بـذى جـاهٍ تعشْ في ظلـه ... أو عش بـلا جـاه ، ولا أمـوال

* * *

خلِّ النعيم لمعشـر خفضـوا لـه ... هـامـاتِهم، مـا للنعيم ومـالى؟
الله يعلـم، لـو أردت بلغتـه ... لكنَّ مـاء الـوجـه عنـدىَ غـال

* * *

(١) قالها عند أول عهده بالوظيفة .

راتب!

الرسالة ١٩ من أغسطس سنة ١٩٣٥م

ولى راتبٌ كالماء، تحويه راحتى ... فيفلتُ من بين الأصابع هاربا

إذا استأذن الشهرُ، التفتُّ فلم أجد ... إلى جانبى إلا غريمًا مطالبا

فأمسيتُ، أرجو نعيَهُ يَوْمَ وضعه ... وليس الذى يمضى من العمر آئبا

لعمرك، ما فوق المكاتب راحةٌ ... ولا تحتها كنزٌ يدرُّ المكاسبا

قضيت حياتى بين دارى ومكتبى ... فألفيت وجه العيش أصفر شَاحبا

تشابهت الأيام عندى، كأنما ... مضى العمر يومًا واحدًا متعاقبا

❊ ❊ ❊

فقل لشباب النيل قالة ناصح ... تعاف له أخلاقه أن يواربا:

إذا مصر لم ترفع قواعد مجدها ... بساعدها، لم تقض منه المآرِبا

وإن نكُ فى كل المرافق عالةً ... على غيرنا، عشنا بمصر أجانبا

أما من سبيل للحياة وغيرُنا ... يرى سبلا شتى لها ومذاهبا؟

❊ ❊ ❊

من للموظف؟

الأهرام في ... سنة ١٩٤٢م

قل للـذين يلُـونَ أمـر الـوادى : مَن للمـوظـف؟ من لـه بـالـزادِ؟

الحـرب إن مسَّتْ سـواه، فإنهـا عضَّتْ بـأنيـاب عليـه حِـداد

فئـةٌ بمصـرَ جنـى عليهـا أنهـا هى ـ وحـدهـا ـ محـدودةُ الإيـراد

صَهـرَ الغـلاء كبيـرهـا، وصغيـرهـا فـالكل غَـرثـانُ الجـوانح، صـاد (١)

ولقـد تـدهـورت النقـود؛ فأصبحت عشـراتُهـا فى رتبـة الآحـاد

النقـد زيَّفـه الغـلاء؛ فمـا لـه قـدْرٌ، فـوالهفى على النقَّـاد!

قـد حـالتِ الأرقـامُ عن مدلـولها حِـوَلا، وضـاعت قيمـة الأعـداد

إنـا لـزمنـا الصمـت، حتى أحدقت مِحَنٌ بنـا يُنطقـن كلَّ جمـاد

لا تجعلـونـا للـوعـود فـريسـة نلْهـو بهنَّ، وهـنَّ ذرُّ رمـاد

هبنى صبرت على الطَّوى، من مسعدى بـالصبـر إن عضَّ الطـوى أولادى؟

فلـذٌ مـن الأكبـاد بـاتت تشتكى الله فـى فلـذ مـن الأكبـاد!

بـاتـوا، وأقصى همِّهم: لـوْ أنهم شَمـوا قتـار اللحم فى الأعيـاد! (٢)

(١) غرثان : جوعان.

(٢) قتار اللحم : رائحته المنبعثة منه عند طبخه.

العـــــلاوة !

الأهرام ٢٤ من أبريل سنة ١٩٣٥م

قـد حل مـايو، فَـاسْمَحِى بـوصـالى ... مُنِّى علـىَّ، ولـــو بطيف خيـــال

يا أختَ « عـرقوب »، وعدت، فـأَنجزى ... يكفى جفـــاؤك من سنيـنَ طـــوال

فى أى نجـم نـــازح حجبـــوك أم ... فـى أىِّ سجن محكـم الأقفـــال؟

هل أنت إلا كـــالغـــوانى، طـــالمـــا ... سقن الـــدلال على رقيق الحـــال؟

هيفـاء، يحَظى المستشـــار بوصلهـا ... وتصـــد كلَّ الصـــد عـن أمثـــالى

لا هُمَّ ، لا أشكـــو لغيـــرك علتى ... أنقصْتَ من رزقـى، وزدت عيـــالى!

يـــا رُبَّ طفـل جـاءنى، أطعمتُـــه ... مـــا فى فمى، وكسـوتُــه سـربـالى

مـــالـى أرى أمـــوال مصـــر كـأنهـــا ... بعضُ الحبـوب تُكـال بـالمكيـال؟

حتى إذال طلب الصغيـر حقـوقـه ... شكت الخـــزانـة قلـــة الأمـــوال؟

فـــاز السعيـــدُ بعمـــه، وبخـــالـــه ... وفقـدتُ عمى فى الحيـاة، وخـالى!

الكادر!

الأهرام فى ... سنة ١٩٣٩م

أيهـــا القـــوم، حسبكـمْ إرهــاقَــا ... كم علينـــا تضيِّقـــون الخنـــاقَـــا!

هل تـــريـــدون أمـــةً يئـد الـــوا (م) لـــد فيهـــا أولاده إمـــلاقـــا؟

ويحكم! لا منـــابع النيـل غـــاصت ... لا ، ولا سطحُ مصرَ بـالناس ضاقـا

ضغطـوا « الكـادِر » الجـديـد إلى أن ... لبستـــهُ أعنـــاقنـــا أطـــواقـــا

اختـــزال يجىء إثـــر اختـــزال ... من قلـــوب لا تَعْـرف الإشفـــاقـــا

قل لمـن يَنشـــد الـــرقـيَّ : عـــزاءً ... إن دون الـــرقيّ سبعًـــا طبـــاقًـــا!

مـــا كفـــاكم أن العـــلاوة، يـــا قـــو (م) م، أطـالـت على الجيـوب الفـراقـا

كم مشينـــا إلى العـــلاوة حبْـــوًا ... وامتطى غيـــرنـــا إليهـــا البـراقـــا

ويح مصـرٍ! أرى المـــوظف فيهـــا ... حُمِّل العـبءَ وحـده، فـأطـاقـا

قتَّـروا جهـدهم عليـه، وقـالــوا: ... لا تكن نـــاهبًـــا ، ولا ســـراقـــا

مـن ينجِّيـــه من بنيـنَ صغـــار ... وبنـــات يسألنـــه الإنفـــاقـــا؟

أيهـــا البـــائس المعـــذب، رحمـــا (م) ك ! دع الخلق ، واسأل الخـــلاقـــا

لا تخِطْ للثيـــاب ـ ويحك ـ جيبـا ... والـــزم البيت ، واهجـــر الأســـواقـــا

وإذا جعت، فـامضغ الصبر! مـا أحـ (م) ـــلاه فى ذلك الـــزمـــان مـــذاقـــا!

مـــا لكـم والثيـــاب؟ إن أبـــاكم (م) آدمًـــا كـــان يلبس الأوراقـــا

عَلِـمَ الله ، لا أضـن ولـــو أنّ (م) بـــلادى كلَّفتنى الأحـــداقَـــا

غيـــر أنى على بـــلادىَ أخشى ... أن أرى الجـــوع دهْـــورَ الأخـــلاقـــا

الأمل الطائح!

مجلة « أبولو » فى ... سنة ١٩٣٢م

أيهـا الهـادى إلى وادى الفنـاءِ أملى المعسـول فى واديك طـاحْ

شدت في وهمىَ صرحا من رجاءِ فـإذا صـرحىَ تـذروه الـريـاحْ

***

لكأنى قمت أجتـاح الجبـالْ أو تعلَّقتُ بأسبـاب القمـرْ

أو طلبت النجم فى وقت الـزوالْ وافتقدت الشمس في وقت السحرْ

***

لا، لعمـرى ، أنـا مـا رمتُ محـالا غيـر أنَّ النـاس فى الـدنيـا طبـاعْ

كلفتنى بسطـة العيش ابتـذالا وأديمُ الـوجـه غـالٍ لا يبـاع

***

ليس أغلى من إبـائى فى يـديَّـا فليمـدَّ الـدهـر للبـاقى يـديـهِ

أنـا لا أطلب غيـر القـوت شيَّـا وإذا مـا عـزَّ لا أبكى عليـهِ

***

مـا ألـذَّ العيشَ فى ظل الأملْ! فاسبحى، يا نفس، فى جوِّ الخيالِ

لا تقولى: « ليس » ، بل قولى: «لعلّ» وتعـالَىْ نئـدُ اليأس، تعـالى

***

الأسد السجين ! [1]

الأهرام ٢١ من يونية سنة ١٩٣٤م

أعــزِزْ علينَـــا أن نــراكَ سجينَـــا !
عِشْ، يا هِـزَبْرُ - كما نعيش ـــ حزينًا

بكَ ، يـا هزبـر ، من الإسـار كما بنا
قـــوْسٌ رُميتَ بسهمهـــا ورُمينـــا

إن تشْك مـن ذلِّ الاسـار، فكلنــا
أُسْـــدٌ تئِنُّ مـن الإســـار أنينـــا

تـركــوك تـزأر، يــا غضنفــر ، كلما
رمتَ الــزئيــر، فليتهم تــركــونـا !

هل طاب عيشك بيننا، يا ابن الشرى
ورضيتَ بـالقفص الحـديد عـرينـا؟

لا طـاب عيشٌ ، يا هـزبرُ ، لنـا ، ولا
لك، إن رضيت بــذلَّـةٍ ورضينـــا

حُلُّــوا عن الأسـد الهصـور وثـاقَــهُ
أو فـــاسلبـــوه إبـــاءَهُ ليهــونـــا

أكــذاك تُـؤويـــه المـلاجىء مثلمــا
تـؤوى اليتيمَ، وتكفـل المسكينـا؟

إن تُطعمـوا الـرئبــال من فضـلاتكم
شهـدا، تجرَّع شهـدكم غِسلينـا [2]

فــدعـــوه يجمـع زادَه، ولَـوَ انــه
يشكـو الطَّـوى حينًـا، ويشبع حينـا

لا يخــدعنكـم الهــزبـــر بصمتــه
فلعلَّ فى صـدر الهـزبـر أتُـونـا [3]

عينى تـرى شبح الحمــام ، ولا تـرى
حـــرًّا أبِيَّ النفس بـــات مهينـــا

أتكلِّفــون الأسْــدَ غَيْــرَ طبــاعهـا
وتــروِّضــون جمـــاحهـــا لتلينـــا؟

أو تحملـون علـى المــذلــة أمَّــةً
عـــزلاءَ تعتبــرُ الكــرامــةَ دينـــا؟

حتـى تكف الأرضُ عـن دورانهـــا
وتحـولَ أجرام الكـواكب جُـونـا [4]

---

(١) أنشأ الشاعـر هذه القطعة ، يناجى بهـا الأسد، فى بعض زوراته لحديقـة الحيوان بالجيزة.

(٢) الغسلين : طعام أهل النار، وهو: ما يسيل من أبدانهم، أو: ثمر شجر فى جهنم .

(٣) الأتون ـ بتشديد التاء وتخفيفهاـ : الأخدود تضرم فيه النار.

(٤) الجون : « بفتح الجيم » الأسـود والأبيض ، والمراد هنا : الأسـود، والجمع : جون بضم الجيم .

أين الصديق ؟

البلاغ الأسبوعى ٣ من يناير سنة ١٩٢٨م

أعـددتُ للخَطْب المُلِمِّ مُـواسيَـا ... فحملتُ فـوق الخطب خطبـا ثـانيا

فـاليـوم أبسمُ للعـوادى وحـدَهـا ... والمرُّ - إن ذُكـر الزُّعافُ - حـلالِيا [1]

ولقـد أمــرُّ على ابـن آدمَ أشتهى ... لـو أنَّ فى بـرديـه ذئبًـا عـاويـا

إنى تمثَّلـتُ الفضـائَل دوحـة ... فبـدا لى الإخـلاصُ غصْنـا ذاويـا

قالـوا: المودةُ. مـا المودة ويحكم؟ ... أنـا ـ مـذ عـرفتُ النـاس ـ أجهلُ:

يـا خـاطبـا وُدَّ الأنـام، ثكلتَهم ... مـاهيـا؟

هـذا زمـانٌ لا وفـاءَ لأهلـه ... إني بـذلـتُ المهـرَ قبلَك غـاليـا

زكاة الفطر

الأهرام فى ... سنة ١٩٤٣م

قـال لى اليـومَ بـائسـون عفـاةُ: ... أعطنـا. قلت: إن أصبتم؛ فهـاتـوا

ثقلَـتْ وطـأةُ الغـلاء؛ فحلَّت ... لكبـار المـوظَّفين الـزكـاةُ

لا تـرومـوا الـزكـاةَ منـا احتسابًـا ... نحن ـ لا أنتمُ ـ الجيـاعُ العـراةُ

---

(١) المراد بالزعاف: السم الزعاف؛ أى: السريع الفتك.

زامر الحي!

كتبت مجلة العصبة التي تصدر في البرازيل، سلسلة مقالات في تحليل شعر الشاعر، تحت عنوان: «خليفة حافظ»، وفيها تقترح تلقيبه بهذا اللقب. ولما اطلع الشاعر على بعض تلك المقالات في مجلة الرسالة ٢٥ من فبراير سنة ١٩٤٠م أنشأ هذه الأبيات.

هزَّ شعري قومًا وراءَ الوادي ... وبه ضاع نفخةً في رمادِ [(١)]

علِمَ الله، ما لِمثْلِيَ ذنبٌ ... إنما الذنب: أنَّ مصرَ بلادي

بلدٌ قد سقيْتُه الودَّ جريا ... لاً، وصدري به إلى الماء صاد [(٢)]

أين حظُّ القريض بين أناس ... زعموا أنهم حماة الضاد؟

كيف تسري الحياةُ في جسم شعبٍ ... روضُهُ عاطلٌ من الإنشاد؟

خرست ألسن البلابل فيه ... وارتقى بومه على الأعواد!

---

(١) يريد بالوادي: وادي النيل.
(٢) الجريال: من أسماء الخمر.

دعابات

فجيعة في ساعة!

الرسالة ١٩ من يوليه سنة ١٩٣٧م

وسـاعـةٍ كـالسُّـوار حِـولَ يـدى ... ضـاعت، فأوهى ضيـاعُهـا جلَـدى!
مـا زال يطـوى الـزمـانَ عقـر بُهـا ... حتى طـواهـا الـزمـانُ لـلأبـد
ضيَّعهـا نجلىَ الصغيـرُ، وكم ... حمَّلنى من خسـارةٍ ولَـدى
قـالـوا: فـداءٌ لـه، فقلت لهم: ... كـلاهمـا فلْـذتـان مـن كبـدى
قـالوا: التمس غيرهـا، فقلت لهم: ... وهل معى مـا يقيم لى أوَدى؟ (١)
مَنْ مسعـدى إن أكـن على سفـر ... ومن يفى لـى بـالـوعـد إن أعِـد؟
التبَسَـت أيـامى علىَّ؛ فـلا ... أفْـرق مـا بين السبت، والأحـد
واختلَّ وقتـى؛ فـإن وعـدتك أن ... أزورَكَ اليـومَ، جئتُ بعـد غـد
كم رمتُ عـدَّ السـاعـات مهتديًـا ... بـالشمس، لكنْ غلِطتُ فى العـدد
روَّضت نفسى على السـؤال، ومـا ... حَمَلْتُ ذلَّ السـؤال من أحـد
جهْل الفتى بـالـزمـان أهـونُ من ... سـؤال غيـر المهيمِن الصمـد
أمسَتْ يـدى ــ بعـدهـا ــ معطلةً ... منظـرُهـا فى العيـون كـالـرمَـد!
فمـن لعينى بحسـن طلعتهـا ... ومن لأُذْنِـى بصـوتهـا الغـرد؟
كـم آنسَتْ وحشتـى بـدقتهـا ... فـالآن أصبحتُ شبـهَ منفـرد
لا غـرو إن أقض حق عشـرتهـا ... عشـرتُهـا لـى طـويلـة الأمـد
قـد لازمتْ معصمى سنينَ، إلى ... أن أصبحتُ قطعـةً من الجسـد
نـاطقـة بـالصـواب، إن سُئِلَتْ ... إن قلتُ: كـم؟ لم تَنْقُصْ ولـم تـزد

---

(١) الأود: العوج. يقيم أوده؛ أى: يعدل قامته.

على الصـــراط الســـوىِّ دائرة إن حـــادتِ الشمسُ عنـه، لم تحـد

أرنـــو إليهـــا إذا مشيْـتُ، وإن جلستُ فى مجلـس، كشفتُ يـدى

ألم تشـــاهـد ذا نعمـــة حـدَثت إذا مشى فـى ثيـــابـــه الجـــدد؟

صبـــرت صبـــرَ الكـــرام، آمل أن تعـــود لى ثـــانيـــا فلم تعـــد

فلـــذتُ بـــالأوليـــاء؛ عـلّ لهم ســـرًّا، وإن كنت غيـــرَ معتقـــد

مَـنْ لىَ بـــالعـــرافيـن أسألهـم عنهـا، وبـالنفاثـات فى العقـد؟ [1]

أسأت بـــالأصـــدقـــاء كلِّهمـــو ظنـى؛ ففَتّشتُهـم، فلـم أجـــد

شتـــان بينـى وبيـنَ لاقطهـــا: بـــات قـريـــرًا، وبتُّ فى كمـد

ليت الـــذى طُـــوِّقتْ بهـــا يـــدهُ فى جِيـدِه حبلٌ شُـدَّ من مسـد! [2]

---

(١) النفث فى العقدة: النفخ فيها، وهو: كناية عن السحر.

(٢) المسد: الليف.

مداعبة صديق (١)

الرسالة ٦ من يونيه سنة ١٩٣٨م

هـوِّنْ عليك، وجفِّفْ دمعك الغـالى ... لا يجمعُ الله بين الشعــر والمـالِ!

إنَّــا لفي زمنٍ فقــدُ النقــود بـــه ... يـدمى العيون كفقـد الصحب والآل

❊ ❊ ❊

من أيـن أصبحتَ ذا مــال فَتُسْلَبَـــه ... يـا أشبـهَ النـاس بى فى رقَّـة الحـال؟

فيــا لهَـا سبعــةً من جيبك انطلقت ... وأنت أحـــوج مخلــوق لمِثْقـــال!

فــريســة من فم السنـوْر ســائغــةٌ ... شتـــان مــا بيـن سنَّـور ورئبـــال!

عـوِّذ نقـودك، واعقـدْ حـولَهـا عُقَـدًا ... وثيقـــةً تتحـــدى كلَّ حــــلاَّل

❊ ❊ ❊

قالـوا: خلتْ يدُه من كل مـا ملكت ... فقلت: بل رأسُــه من عقلــه خــال

لم يبق عنـدك مـا تخشى عليـه، فنمْ ... كمـــا أنـــام، قـريــرًا نــاعم البـال

نفسى فـداؤكَ! ليت اللصَّ صَـادفنى ... قـد يغلب اللصَّ بـالإفلاس أمثالى!

❊ ❊ ❊

يـا ليت شعـرىَ: مـاذا أنت صَـانعـهُ ... أتُـزمع الصـومَ حتى شهـرِك التـالى؟

عشْ من قريضك فى رىّ، وفى شبع ... إن كـــان ينتفع الظمـــآن بـــالآل

أقسمت، مـا سَلَبت تلك النقـودَ يـدٌ ... لكنهـــا أبَقت من جيبك البـــالى (٢)

الـذئبُ لا يشتهى لحم ابـنِ جلـدتِـه ... فكيف أوقـعَ نشَّـــالٌ بنشَّـــال؟

---

(١) داعب بها صديقه الشاعر (...)، وقد سلبه بعض اللصوص سبعة جنيهات.

(٢) أبق: هرب.

بيـــوت الشــعراء !

الرسالة ٢٢ من أبريل سنة ١٩٤٠م

كسـوتُ النـاس خـزًا من ثنـائى ... وبتُّ مـن البلى أرفـــو كســائى

فـــوا لهفى على أبيـــات شعــر ... أشيِّـــدهـــا ولكـنْ فى الهـــواء!

أأنشـىء كـلَّ يـــوم ألـفَ بيت ... وأسكن بعـــد ذلك بـــالكــراء؟

فلـو طـاب المقـام ببيت شعـر ... إذًا لأقمـتُ فـى أعلـى بنـــــاء

إذًا لمـــــلأت شـط النيـل دُورا ... فلم تـــر فيـــه شبـــرا من فضـــاء

وآويْـتُ الأرامـل واليتــــامى ... ولم أتــركْ شــريـــدا بـــالعـــراء

ولم أُوقـع على السكـــان حَجـــزا ... ولـــو عَجَـــزَ الجميع عن الأداء

إذًا لملكـت أحيـــاءً بمصـــرٍ ... تنـــاطح دورُهـــا هـــام السمـــاء

أطـــوف بهنَّ دارًا بعـــد دارٍ ... فصيفى هـــاهنـــا، وهنـــا شتـائى

ولكـن لا مُقـــامَ ببيت شعـــر ... يطيب ، ولـــو بنـــاه أبـــو العـــلاء

ألا، من يشتـــرى أبيـاتَ شعـــرى ... بكـــوخ شِيـــدَ من طيـنٍ ومـــاء؟

فليس الطيـنُ أكـــرم من فـــؤادى ... وليس المـــاء أغلـى من دمـــائى

العيد والأزمة !

الأهرام ٤ من أبريل سنة ١٩٣٣م

ها هو العيد قد أطلّ ... ما توارى من الخجلْ
حلَّ ضيفًا ولا قِرًى ... لا على الرّحب إذْ نَزل
ما لدينا ضَحيَّةٌ ... أو جديدٌ من الحُلل
يا لعيدٍ مسالِمٍ ... لم يخف بطشه حَمَل!
يسرح الطير آمِنًا ... فيه، والناسُ فى وجل!

***

أيها العيد، هل ترى ... كيفَ ضاقت بنا الحيل؟
فتِّش المدْنَ والقرى ... هل ترى الناس فى جذَل؟
هل ترى طفلا احتفى ... هل ترى كهلا احتفل؟
أيها الزائر، اختصر ... زُرْ، وفارق على عجل
أقفرَ البيت، واختفى ... شبح السمْن والعسل
وخلا البيت؛ فالذى ... معه درهم بطل

***

جل شأن « الجنيه »، لو ... لمس الجُرحَ لا نْدمل!
إن شكا الجيب علَّة ... فهو يأسو من العلل
أودع الله لونَه ... حُمرةً تفتن المقل
دونها حمرة اللَّمى ... وهى تغريك بالقبل(١)
« أهيف » صدَّ، ويحه! ... ما الذى ضر لو وصل؟

---

(١) اللمى: سمرة فى الشفة، وحمرة اللمى: أى حمرة الشفة اللمياء.

إيه، يا أزمةُ، اضربي ... لذوي الفطنة المَثَل

أيْقظِي كلَّ من غفا ... نبِّهي كلَّ من غفل

أنتِ أدَّبتِ أنفسا ... خضن في اللهو والغزل

أنت روَّضت أيْدِيًا ... ناعماتِ على العمل

ربَّ شيخ بقرية ... حمل الفأس واشْتغل

كم أبى الكدَّ مترف ... عضه الجوع فامتثل

كم فتًى غره الغنى ... حرَّم الله ما استحل

عرف الآن ربَّه ... فدعا الله، وابتهل

ورأى المال خانه ... مَنْ على ماله اتَّكل

ذاق ذلَّ السؤال مَن ... لو رأى الموتَ لم يَسَل

ضَنَّ بالماء من إذا ... طُلبتْ روحه بذل

ساعةُ الحشر ويحها! ... هل دنت وانقضى الأجل؟

أم سِنُو يوسف التى ... غشيَتْ مصرَ لم تَزَل؟

* * *

جيرةَ الكعبة، اضرعوا ... إن وقفتم على الجبل (1)

واسألوا اللطف في الذي ... قدَّر الله في الأزل

اسألوا الله: هل لما ... حلَّ بالعالمين حلّ؟

اسألوه، لعله ... مستجيبٌ لمن سأل

* * *

(1) كان العيد عيدا أكبر، والمراد بالجبل: عرفات.

صاحب ثقيل

البلاغ الأسبوعى ٢١ من أبريل سنة ١٩٢٨م

لى صـــاحبٌ واف، يـزور مبكّــرا ... وتطــول زورتــه سنيـن، وأشهــرا

مــا زلت أمتــدح الــوفــاء وأهلــهُ ... حتى وفى، فــرجــوتــهُ أن يغـدرا

ويبش فى وجهـى، فأهمس قــائلا: ... سبحــان من خلق الجبـال وصــورا!

حــاولت يــومًا صـرفَـه بتثـاؤبى ... فــرأيتــه فــوق الأريك مسمَّــرا

فهتفت : جد لى بالجلاء، فقال لى: ... حتى تجــود لنــا بــه (انْجِلْتــرا)

ســاءلـت عن دمـه، فقـالــوا: زئبق ... فى كل عـرق مـن نحـاس قـد جـرى

لــو صبَّ منــه قطــرة فى جـدول ... لتجمّــد الآذىُّ، بـل لتحجــرا [(١)]

وإذا أحس الجـــو رقعـــة وجهـــه ... صيفًــا، تلبـد بـــالغيـوم وأمطــرا

وإذا تحـــرك فكـــه متكلمـــا ... أحسست بــركــانًــا عليك تفجــرا

ثقلت عبــارتــه، فأصبح صمتُــه ... نغمـــا أرق من النسيم إذا ســـرى

فنشت عنـــد مسيــره عـن ظلـــه ... فوجدته قد غاص فى جوف الثرى [(٢)]

الأرض تجــذب كل شـىء فــوقهـا ... فإذا رأتــــه، حــــاولـت أن تنفــرا

لـــوْ أن ثقلـــة روحـــه في عقلـــه ... مــا كـــان إلا فيلسـوفًـــا أكبــرا

ولـــوَ ان خفـــة عقلـــه فى روحـــه ... مــا كــان هــذا الـوحش إلا جــؤذرا

عقل أخفّ من الكحـول، أخـاف إن ... مـــر النسيـم عليـــه أن يتبخـــرا

---

(١) الآذى: الماء.

(٢) كناية عن ثقل ظله.

(١) فى المخبأ [١]

الأهرام ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤١م

أرأيتَ صُنع محمدٍ فى مخبأ بالناس حافلْ؟

سمع الصفير مدوِّيا فتفككت منه المفاصل

ما كان أشجعهُ ؛ فقد لاقى « القنابل » « بالقنابل »! [٢]

وَوَهتْ عزيمته فأف(م) لت يابسٌ منه وسائل

ويحى على رفقائه من قاتلٍ هربوا لقاتل

---

(١) أنشئت هذه القطعة ؛ مداعبة لصديق أغمى عليه فى المخبأ، عند أول غارة جوية حدثت بمدينة الاسكندرية، ولما نشرتها بعض الصحف، انتقم هذا الصديق لنفسه من الشاعر، فجمع فيلقا من الأصدقاء وأغار عليه فى بلدته : « مليج »، وعند عودته شيعه الشاعر بالأبيات رقم ٢ .

(٢) أصل القنابل : جماعة الخيل، ثم استعملت حديثا فى المقذوفات النارية المعروفة. والقنابل الأولى فى البيت : حقيقية ، والثانية : كناية لا تخفى.

(٢) فى المخبأ

الأهرام ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤١م

قـل للمغيـــر علـى القـــرى : مـــاذا تـــركت لهتلـــرا؟
لله درك فقــت عمْــــــــــــــ (م) ـــرًا في الفتـــوح، وجـــوهـــرا! [١]
يهنيـكَ! صـــرتَ مـن الكمـــا (م) ة، وكنـــت أجبـــنَ مـــن أرى!
مـــا بـــال قـطٍّ الثغـــر أصــــ (م) ـــبح فى « مليـجَ » غضنفـــرا؟
ليـس الغضنفــــر مـن أغـــا (م) ر علـى الـــدجـــاج محمَّـــرا
أحسبتَ نـــابكَ صـــارمـــا وطيـــورَ بيتـى عسكـــرا؟
أنت ابـنُ عِـــزْيٍس، يـــا محمــــ (م) ـــد فى الـــوغى ، لا ابن الشَّـــرى

(١) يريد: عمر بن العاص، وجوهرا الصقلى؛ فاتحى مصر.

أم على

الأهرام فى ... سنة ١٩٤٢م

اشتهر الأستاذ نجيب بك حتاتة - رئيس جماعة دار العلوم - بصنع الحلوى المعروفة بأم على، فاقترح الأستاذ على السباعى - سكرتير الجماعة - على سعادته إقامة مأدبة من هذا الصنف؛ فضم الشاعر صوته إليه وأنشد هذين البيتين:

قل لنجيبٍ: يا أميرَ الندى ... ويا شبيهَ البدر فى تمِّهِ:
أدرك عليًّا، إنه مغرمٌ ... زاد به الشوقُ إلى أمِّهِ

(١) إكرام الضيف

الأهرام ١١ من يولية ١٩٣٨م

نشر الأستاذ محمد الأسمر الشاعر المعروف - وهو صديق الشاعر - كلمة فى الأهرام، زجر بها الضيوف الذين يقلقون راحة الناس، واقترح على كل ذى بيت أن يكتب على باب بيته قول الأستاذ محمد الهراوى:

إن فى الفندُق مأوا (م) ك وفى السوق غذاءَكْ
ليسَ ذنباً لأناسٍ ... أن يكونوا أقرباءك

وقد داعب الشاعر صديقه الأسمر بالأبيات التالية، ردا عليه :

* * *

صُمْ إذا مــا الضيف جــاءَكْ ... وامنح الضيفَ عشــاءَك

واجعل الصُّــوف غِطــاء الضـ (م) ـيف، والسقفَ غِطــاءك

لا تصُنْ زادك فـى الشِّعــ (م) ـرى، وفى المــريخ مــاءك [1]

لا تكن كــوزًا شحيحًــا ... يكــره الله لقــاءك

رُبَّ جــودٍ جــدتَــهُ كــا (م) ن من الــذمِّ وقــاءَك

أنت إن لـم تسْخُ مثلَ الـ (م) ـعُـزْبِ، أنكــرنــا إخــاءك

وشكَكْنــا فيك، يــا صــا (م) ـحِ، وحلّلْنــا دمــاءك

لا أواكَ البيتُ، والفُنــ (م) ـدُق يأوى أقــربــاءك

فيم يخشى فقــدَكَ النــا (م) سُ ويــرجــون بقــاءك؟

إن يَهُنْ عنــدك ضيفٌ ... يكنِ الهَــوْن جــزاءك

فــدَع الحــرص ، وإلا ... عجِّلَ الحــرص فنــاءك

إنمــا يُفقــركَ الحــر (م) صُ، ويُغنــى ورثــاءك

رُبَّ يــومِ أنتَ فيــه ... تــاركُ المــالِ وراءك

* * *

يــا صــديقى قــد فحصنــا (م) ك، فكــان البخلُ داءك

خــذ نقيع الجــود، واشــر (م) بــه، تجــدْ فيــه دواءك

أنت بــالبخل مــريضٌ ... نسأَلُ الله شفــاءك

كنتَ بــالأمس سخيًّــا ... رحــم الله سخــاءك

ابكِ مــا شئتَ عليــه ... أجملَ الله عــزاءك

---

(١) الشعرى والمريخ : كوكبان معروفان.

(٢) إكرام الضيف

الأهرام فى ٢٠ من يولية ١٩٣٨م

قرأ الأستاذ الأسمر أبيات الشاعر ، فرد عليه فى الأهرام بتاريخ ١٧/ ٧/ ١٩٣٨م بأبيات منها :

يـــا صـــديقى أنـتَ فى شعـــ	ـــــرك لـم تلبَسْ رداءَكْ
يـا كـــريم العصـــر، مـــا أجمـــ (م)	ـــمَلَ في الجـــود ادعـــاءك!
شَـــدَّ مـــا أتعبت شيطـــا (م)	نَ قـــــوافيـك وراءك!
قـــد عـــرفنـــاك صغيـــرا	وتبينَّـــا سخـــاءك
فـــاحمـــد الله على السَّتْـــ (م)	ـــر ،ولا تكشف غطـــاءك
لا أطيل القـــول أنت الـــ (م)	ـــيوم أصبحت ســـواءك
صـــرت محمـــودًا جـــديـــدًا	بعـــد مـــا داويت داءك
فـأطـــــال الله للجـــــو (م)	د الكـــــلامىِّ بقـــاءك

فأجابه الشاعر بتلك الأبيات :

* * *

أيُّهـــا المنكـــرُ جـــودى	رحـــم الله حيـــــاءَكْ
أنـــا ،لـــولا أن يقـــولـــوا:	مَـنَّ، أظهـــرتُ افتـــراءك
هـل تنـــاسَيْتَ سخـــائى	وتنـــاسيت ثنـــاءك؟
كـم نظمتَ الشعـــر فى مـــد (م)	حى، فأجـــزلتُ عطـــاءك
وعلى جـــودىَ ـــ بعـــد اللـــ (م)	ـــه ـــ علَّقتَ رجـــاءك
أنـت مـن يـــوم بعـــادى	عنـك لم تمـــلأ وعـــاءك

عـــرف الـــرفَـــاءُ، يـــا أســـ (م) ـــمُر، من بعـــدى كســـاءك

وعجيـب منـك أن تهــــــــ (م) ــــــدمَ مَنْ أعلى بنـــاءك

رُبَّ شخـص أنـت أحســــــ (م) ـــــت إليــــه فأســـاءك

* * *

صـــاح تُبْ، أمنَحْـك عفـــوى وادعُنـى، أقْبـلْ دعـــــاءك

وإذَا شئـت، فكـن ضيـــــــ (م) ـــفى، وقُـدْ جيشًــا وراءك

تجـــد المنَّ شـــرابًـــا (م) لك، والسلـــوى غـــذاءك (1)

فتعلَّــم مِنِّـىَ الجـــــو دَ، وعلِّـم أقـــربـــاءك

لستَ بـــالمصـــرىِّ، أو تُعـــ (م) ـــلنَ للنـــاس سخـــاءك

---

(1) المن: من معانيه العسل. والسلوى: طائر شهى.

هجاء واستغفار!!

مجلة مسامرات الجيب ٩/ ١٢/ ١٩٤٥م

أقام معالى: إبراهيم دسوقى أباظة باشا مأدبة، فاته أن يدعو إليها الشاعر ـ على ما بينهما من صلة ـ فكتب إليه يداعبه:

أأَمنحُ إبـــراهيمَ أشهى قصـــائدى ... وغيـــرى إلى أشهى مـوائده يُـدعَى؟
لَعَمْـــرِىَ، مـا تلك الإهـــانـةُ بـــالتى ... يكفِّــرهـــا عنـــدى قطيعٌ ولا مـــرعى
ومـا حيلتـى فى هجـو أروعَ مـاجـدٍ ... إذا عبتُـــهُ لـم ألق قـــولا ولا سمعـــا
سأنعـت إبـــراهيمَ بـــالبخل مـــرَّةً ... وأستغفـر الـرحمنَ من بعدهـا سبعـا

ولما اطلع معالـى الوزير على تلك الأبيات، بـادر بإقامة مأدبة كـان الشاعر فى مقدمة المدعوينم إليها، وبعد الانصراف كتب إليه:

قل للـوزيـر: بـــدأتُ فى استغفـارى ... ممـــا جنَيتُ، ومـــا جنَتْ أشعـــارى
إنى قـــد استغفـــرتُ ربِّى مـــرةً ... فـــإذا سمحتَ، سمحتُ بـالتَّكـرار
عجِّلْ ـ فـديتُك ـــ بـالبقيَّـة، إن بى ... شـــوقًـــا إلى التكفيـــر عن أوزارى
سَبعٌ بسبعٍ ، لا أحيفُ وإنمـــــا ... خلقى العـدالـةُ، والـــوفـاء شِعـارى

الردنجوت

مسامرات الجيب ... سنة ١٩٤٥م

دُعِى الشاعر فى حفلة رسمية ، فذهب إليها بملابسه العادية ، فلما رآه معالى دسوقى باشا ـ وهى الداعى ـ سأله عن « الردنجوت » فقال :

« الردنجوتُ » ، يا جناب الوزير ... ليس يقوى عليه جيبُ الفقيرِ
رمتُ أن أستعيره مثل « ناجى » ... ثم أحجمتُ خوفَ منِّ المعيرِ
كم رأيتُ القصيرَ فوق طويل ... ورأيتُ الطويلَ فوق قصير
لستُ أرضى بثوبِ غيرى ، وإن هُم ... نسجوه من سُندُسٍ وحرير

ولما اطلع الأستاذ الشاعر : إبراهيم ناجى على تلك الأبيات ، أجابه مداعبًا بقصيدة طويلة جاء فيها :

❊ ❊ ❊

وأقسم ، لو أن « الردنجوتَ » نِلتَهُ ... وجاد له من جاد قهرًا وسلَّفا
لقلَّبتَهُ ظهرًا لبطن ، تحيُّرًا ... به ، تحسَبنَّ الوجهَ ـ من عَبَطٍ ـ قفا

فأجابه الشاعر بقوله :

لنا طبيبٌ يداوى الناس إن مرضوا ... بالفصل ما بين أرواح ، وأبدانِ
ومن تجرَّع كأس الموت من يده ... فلن يمرَّ على جنات رضوان
ردَّ « الردنجوتَ » موبوءًا لصاحبه ... فلم يطهِّره محلول السليمانى

بديهة وزير

أقام معالى : دسوقى باشا أباظة بمناسبة نجاة جلالة الملك فاروق ـ حفظه الله ـ من حادث القصاصين ، حفلة تبارى فيها الشعراء فى الاشادة بمآثر جلالته، بقرية القصاصين سنة ١٩٤٥م، وبعد الانتهاء من الحفلة تناول الأستاذ العوضى الوكيل الشاعر ورقة، وكتب فيها مداعبا :

* * *

ألا قل للدسوقىّ المفدّى	ومن تحيا لديه الأمنيَاتُ :
تبارزنا مباراةً عُجابًا	وأبدعنا. فأين الجائزات؟

ثم دفع بالورقة إلى الدكتور إبراهيم ناجى، فكتب ما يلى :

بنوك ، أيتركون بلا هباتٍ؟	جزيلُ الشعر أجدرُ بالتفاتِ
أجزهُم، واجز خيرهمو بخيرٍ	فإنكَ ـ فى الحمى ـ خير الحُمَاة

ثم دفع بالورقة إلى الشاعر فكتب ما يلى :

رضا الفاروق من دنياىَ حسبى	وعطفُ وزيره خير الصِّلاتِ
قناعة بائسٍ، وعفافُ عافٍ	وما أحلى العفافَ من العُفاة

ثم رفعت الورقة إلى معاليه فكتب ما يلى :

يا رعى الله « غنيما »	فهو خيرُ الحاكمينْ
قد عهدناه عفيفًا	مخلصا فى كل حين

فلما أعيدت الورقة إلى الشاعر كتب ما يلى :

شعــــراءُ مصـــرَ رعيَّـــةٌ   وأنـــا لـــدولتهم أميـــرْ
مـــدحــوا الـــوزيـــرَ، وإنمــا   بـــالِ شعـــر يمــدحنى الـــوزيــرْ
أقسمـت، مـــا بلـغ الفـــرز (م) دق مـــا بلغتُ ولا جـــريـــرْ

« جحا » وقريبه

استمع الشاعر إلى محاضرة ممتعة ، ألقاها صديقه الأديب الكبير: كامل الكيلانى ، عن فلسفة جحا ؛ فعقب على تلك المحاضرة بالأبيات التالية :

إنى حسبتُ « جحـا » مجـانة مـاجنٍ   فـإذا بـــه رجـلٌ جليل الشـــانِ
هــو فيلسـوفٌ، قـام ينشـر فضلـه   بين البـــريـــة فيلســـوفٌ ثـــان
مــا زال يطـــريـــه، ويُعلـى قـدرَه   متحــــدِّثـــا عنـــه بكل لســـان
حتى حسبتُ جحـا ابنَ سينا عصـرِه   أو من أقـــارب « كـامل الكيـــلانى »

أشـــتات

إلى القمر

يقولون: إن ترويض الذرة سيمكن من ارتياد الكواكب.

مجلة الكتاب، أول مارس سنة ١٩٤٦م

لنـا فى الجـوِّ أجنحـةٌ تطيـرُ ... فتفـزع عنـد رؤيتهـا النسـورُ

قـد اجتَـزْنـا الهـواءَ، فليتَ شعرى: ... أيحملنـا إلى الفَلَـك الأثيـر؟ (١)

كأنى بـالـزمـان وقـد دنـا مِن ... يـد المتنـاوِلِ القمـرُ المنيـر

وصـار الكـوكبـان على اتصـالٍ ... لكُلٍّ عنـد صـاحبـه سفيـر

***

تُـرى: هل فيـه سكَّـان؟ وهل هم ... أُنـاسٌ أم مـلائكـة وحـور؟

وهل ينمـو بـه زرعٌ، وضـرع ... وتسجع فـى خمـائلـه الطيـور؟

وهل يجـرى بـه مِلحٌ أجـاجٌ ... من الآذىِّ أم عـذب نميـر؟ (٢)

وهل فـى جـوه غيـم، وصحـو ... وحـرٌّ لافح، أو زمهـريـر؟

وهل فـى أهلـه شـرهٌ، وشـرٌّ ... كأهل الأرض أم كـرم، وخِيـر؟ (٣)

وهـل لحيـاتهم أجـلٌ مُسَمَّـى ... ومـوت بعـد ذلك أو نشـور؟

***

سليلَ الأرض، مـالك غيـرَ بَـرٍّ ... بأمِّـك لا تُـزار، ولا تـزور؟ (٤)

---

(١) الأثير: الطبقة التى افترضها العلماء فاصلة بين الطبقة الهوائية والأجرام السماوية.

(٢) الآذى: الماء. والنمير: الزاكى.

(٣) الخير «بكسر الخاء»: له معان: منها: الشرف والجود.

(٤) القمر: منفصل عن الأرض، ويدور حولها؛ فهو سلسيلها.

أيكفى الأرضَ نَــورُكَ مـن بعيــدٍ ... وأنَّك حــولهــا أبــدًا تــدور؟

وهل فـى شـرعــة الأنصــاف ألا ... تُلِمَّ، وبيننـــا أمَــدٌ قصيــر؟

أتأنـس بــالضيـــوف إذا ألمُّـــوا ... بساحِكَ أم يـزيـد بك النفـور؟

ألاَ خفَّفتَ عـبء الأرض هَـــونًـــا ... فأمُّـك آدَهــا النسـل الكثيـر؟ (١)

* * *

أرى أرضًـــا تضيق بســاكينهـــا ... وبحـــرًا كلُّـــه سفُنٌ تمــور (٢)

فقـل للفـــاتحيـن إذا أغـــاروا ... على الأفـــلاك: إن شئتم أغيــروا

وخلـوا النـار نــاحيـــةً وصــولـوا ... بنـــور العلـم، إنَّ العلـم نـــور

لكم فـى رقعـــة القمــــر اتســاعٌ ... وفي استئنــاســـه مُلْك كبيـــر

منـــاجمُ لـم تصل أيـــدٍ إليهـــا ... ومـــاء لم تَنـلْ منـــه الثغـــور

وأرض لم تطـأ قـــدمٌ حصـــاهـــا ... وجـــوٌّ لـم يــدنِّســه الـــزفيــر

هنـالك يكتسى العـارى، ويَـرْوى ... بـــه الصــادى، ويستغنى الفقيـــر

* * *

أمــــانٍ كنَّ أحـــلامَ الأوالــى ... فهل يـأتى بهـــا الـــزمنُ الأخيــر؟

تعـــــالـى الله! إن العلـم أمسى ... وليس أمـــامَـــه أمــرٌ عسيـــر

---

(١) هونا: قليلا. وآدها: أثقلها.

(٢) من معانى المور: الاضطراب.

العلم والتاج (١)

الأهرام ٨ من فبراير سنة ١٩٣٤م

فَـاروقُ، يـا ربَّ اليـد البيضـاءِ ... يـا خيـرَ بنّـاءٍ لخيـر بنـاءِ

حيَّتْك جـامعةٌ وضعـتَ أساسهـا ... ومنَحتهـا اسمَك زينـةَ الأسمـاء

العلم قـد أهـدى قـلادتـه إلى ... مَن ذاتُـه جلَّـتْ عن الإهـداء

يـزهـو بنـور العلم تـاجُك، مثلمَا ... يـزهـو بنـور جبينك الـوضّـاء

من ذا الـذى رَفَعِ العلـوم مكـانـةً ... حتى تُتـوِّج هـامـة الجـوزاء؟

إنـا عهـدنـا المُلكَ يبسـط كفـه ... للعلم قبـل اليـوم بـالاعطـاء

مِن معجزاتك ــ يا زمانَ النور ــ: أنْ ... نـال الملـوكُ جـوائز العلمـاء

طموح

الرسالة ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٥م

خليليَّ، هل للمجد حـدٌّ، فأنتهى ... إليـه؟ لقـد طـال العُبـورُ، ولم أُرسِ

مـآربُ تتـرى، كلمـا نلت مأربًـا ... تنـازُعنى عنـه إلى غيـره نفسى (٢)

فـلا النفسُ إن أبلغُ تقف عند غـايـةٍ ... ولا هَى إن أُخفقْ تُـرخِنِىَ بـاليأس

كـذلك أشقَى مـا حييتُ ، فـإن أمتْ ... فياليت شعرى: ما ورائىَ فى رمسى؟

---

(١) أهدت جامعة فاورق إلى جلالة الملك: الدكتوراه الفخرية.

(٢) تترى: متوالية، أصلها: وترى.

رحلات عزام [1]

الأهرام ١٨ من مارس سنة ١٩٤٠م

نظمتَ البـلاد، فكـانـت كتـابـا ... فسـافـرَ من لا يُحثُّ الرِّكـابـا [2]

نجـوبُ البسيطـة ركنًـا، فـركنًـا ... إذا مـا تلـونـاه بـابًـا، فبـابـا

كـأنى غـــداةَ أطـــالع فيـــه ... أشُقُّ الـوِهـاد، وأعلـو الهضـابـا [3]

فأمسحُ مـــاءَ الجبين، وأنفـــ (م) ــض من فضلات الغبار الثيابا

ربـــوعٌ تلـــوح وراءَ حـــروفٍ ... تـــريك مـــآذنهـــا والقبـــابـا

تكـــاد تظن الحـــروف رســـومـا ... وتَحْسَبُ حسن البيـــان خضـــابـا

❊❊❊

لك الله من « سِنْـــدِبَـادٍ » حـــديثٍ ... يسوق إلينـا الحـديث العُجـابـا [4]

أرى السِّنـــدبـــادَ بـوادى الخيـــالِ ... يهيمُ، وتنقـلُ أنتَ الصـــوابـــا

تســـوق الحقيقـــة فى روعـــةٍ ... وتـرمى القشـورَ، وتَـروى اللبـــابـا

❊❊❊

لَكَ اللهُ رحَّـــالـــةً يـــذرع الأر (م) ضَ أمضى من النيِّرات شهـابـا! [5]

يـــدور بهـــا دَورانَ النجـــومِ ... كأن لـــه فـى النجـــوم انتســـابـــا

هُمَـــام يَعـــدُّ جميع البـــلادِ ... ديـــارًا، وكلَّ الأنـــام صِحـــابـــا

---

(١) أهـدى الدكتـور : عبـد الـوهـاب عـزام نسخـة من كتـاب : « رحـلات عـزام » إلى الشاعر؛ فكتب إليه هذه الأبيات.

(٢) أحث : أسرع.

(٣) الوهاد : المنخفضات. والهضبات : المرتفعات.

(٤) السندباد : رحالة « ألف ليلة وليلة » المشهور.

(٥) يذرع الأرض : يقيسها بالذراع.

لــه كـلَّ يــوم حيــاةٌ تمـرُّ ... وعُمـرٌ طـويـل يفـوق الحسـابـا

ويلبس بُــردَ الشبــاب قشيبًــا ... إذا خلع الجـامـدون الشبـابـا

ألا رافقتك السـلامـة أنَّـى ... ذهبت ، وأنـى نـويت الإيـابـا

لقد كنت فى الشـرق عنوان مصرٍ ... فطـابت بـذلك نفسًا وطـابـا ! [1]

قيس ولبنى [2]

الأهرام ١٧ من مايو سنة ١٩٤٤م

جلــوتَ للضـاد فى زاهٍ من الحُللِ ... خريـدةً من بنات الأعصر الأولِ [3]

بعثت قيسًـا ولبنـى ، يخطـران على ... أرض الجـزيـرة بيـن الشـاء والابل

كـانـا أحـاديثَ لـلأسمـاع فـاتِنـةً ... فأصبحـا فتنـةَ الأسمـاع والمقل [4]

روايــة لم ينل قيسٌ بطــولتهـا ... بل أظهـرتْكَ لنـا فى صـورة البطل

لـو لم تنُصَّ على المأثور عنه ، لمـا ... فـرَّقتُ بينكمـا فـى رقـة الغـزل [5]

عبـارةٌ كـرضـاب الغيـد سـائغـة ... فى منطق كقـوام الغيـد معتـدل

مـا لا تُصـوِّره الألـوان زاهيـةً ... صوَّرتـه أنت فى : « مستفعلنْ فَعل » [6]

علَّمتَ مَن جحـدوا بـالضـاد أن لهـا ... فنًّـا دعـائمُـه أرسى مـن الجبل

---

(١) فاعل « طابت » : ضمير الشرق ، على طريق اللف والنشر المشوش .

(٢) أهدى الشاعـر : عزيز باشـا أباظة نسخة من رواية : « قيـس و لبنى » إلى الشاعر؛ فأنشأ هذه الأبيات .

(٣) الخريدة : البكر : أو ذات الخفر .

(٤) المقل : العيون . يريد أننا بعد مجرد السماع ، صرنا نسمع ونرى على المسرح .

(٥) فى الرواية بعض أبيات لقيس ، منصوص عليها .

(٦) كنى بقوله : « مستفعلن فعل » عن الشعر .

يَهنيك مجدُك! ظلُّ الحكم منتقلٌ	لكنَّ للشعر ظلًا غيرَ منتقل
أساورُ الغيدِمن ماسٍ، ولستُ أرى	مثلَ اليراع سوارًا فى يد الرجل

الملاح التائه ! (1)

بعثتَ بملَّاحك التائهِ	وطوَّقْتَ جيدى بإهْدَائه
ولكنَّه تاهَ فى ظلماتِ الـ (م)	محيط، وضَلَّ بِأحَشائه
ألا ما لشعرك فى البحر تاهَ	وشعرُك أعمقُ من مائه؟
كأنى به ضلَّ بين اللآلى	فلألاؤها مثلُ لألائه
له الله! كيف اهتدى للجميعِ	وأخطأ أشوقَ قُرّائه؟
تُرى: هل ألحَّ عليه الحياءُ	فأعرض خشيةَ إطرائه؟
لعمرُك، ما تاه تيهَ الضلالِ	متى ضلَّ نجم بعليائه؟
ولكنه تاهَ تيه الدلالِ	وقام الجمالُ بإغرائه

(1) أهدى الشاعر : على محمود طه نسختين من ديوانه : « الملاح التائه » ، واحدة بعد الأخرى إلى الشاعر ؛ فضاعت كلتاهما بالبريد ، فكتب إليه هذه الأبيات .

منصب زائف (١)

وما ســرّنى التفتيشُ حيـنَ وَلِيتُــه ولا أنــا ــ إن ولّى ــ عليـه بـآسف

لقـد خلتُـهُ يغنى عيــالى من الطـوى فكــان كمضـروبٍ من النقــد زائف

وَزارةُ مهضـــومين، ليس بقــابضٍ فتًى يــرتقى فيهــا، وليس بصــارف

إذا قيل: منسيُّــون، فتشتُ عنهمـو فلم ألقهـم إلا رجــال المعـــارف

(١) أنشأها عندما عين مفتشا، سنة ١٩٤٣م.

دواوين (١)

دواوينُ شِيدتْ للكرى والتّثاؤُبِ ... لحا الله أصنامًا وراءَ المكاتب

إذا أمَّهم ذو حاجةٍ لقضائها ... فأقربُ منها نيلُ بعض الكواكب (٢)

هنا الوقت يمضى بين: لهو، وغفلةٍ ... وتسويف مطلوبٍ، وإلحاح طالب

وكم سلِمتْ أجسامهم، فتمارضوا ... وراغوا من الأعمال روْغَ الثعالب (٣)

وكم رُمِىَ الحرُّ الكريم لديهمو ... بغلظة ساعٍ، أو فظاظة حاجب

نعامٌ إذا هم أبصروا رؤساءهم ... سباعٌ على الجمهور حُمْرُ المخالب

وما حلموا فى النوم إلا برتبةٍ ... تُساقُ إليهم، أو زيادةِ راتب

ومن زار منهم كاتبًا، خال أنه ... بحضرة « شاه »، لا بحضرة كاتب

إذا خاطب الزُّوَّار، صعَّر خدَّه ... وأوما برأس، أو أشار بحاجب (٤)

ولو فتشوا عما حوته جيوبُهُ ... لما اغترَّ مغترٌّ بتلك المناصب

---

(١) قطعة مستقلة من رواية: « الجاه المستعار »؛ وهى رواية شعرية ألفها الشاعر، واشترت وزارة المعارف حق تأليفها منه.

(٢) أمهم: قصدهم.

(٣) راغ: مال وحاد.

(٤) صعر خده: أماله كبرا.

حفل المولد

شـــاهـــدتُ حفل المـــولـــدِ ... وهتفت بـــاسم السيـــد [1]

ولثمت تـــربتَـــهُ كمـــا ... لثمـــوا، وإن لم أعتـــد

ومـــلأت من بـــركـــاتـــه ... رحلى، وإنْ صِفـــرت يـــدى

هـــل كنتُ إلا قطـــرةً ... فى لـجّ بحـــر مـــزبـــد؟ [2]

مـــا بين أقـــوام، إذا ... نفـــدِ الحصى لم تنفَـــد

إن حـــاد قـــومى حـــدتُ أو ... رُزقـــوا الهـــدايـــة، أهتـــد

***

لهْفى على بلـــدٍ بعـــا ... دات الجـــدود مقيَّـــد!

جـــرت الشعـــوبُ، ولم يـــزل ... بمكـــانـــه كـــالمقعـــد

إن قـــاد بعضُ المصلحيـــ (م) ـــن زمـــامـــه، لم ينقـــد

وإذا دعتْـــه عمـــامـــة ... خضـــراءُ، لم يتـــردَّد

بـــاسم الصـــلاح يشـــوِّهـــو (م) ن جمـــال ديـن محمـــد

مـــا كـل سيِّـــال اللعـــا (م) ب من الثقـــاة الـــزهـــد

هم قـــدَّســـوا البـــدوىَّ تقـــ (م) ـــديس المسيح وأحمـــد

كـم لائذ عنـــد الخطـــو (م) ب بـــه، وكـم مستنجـــد!

هـبْ أحمـــدًا قطبًـــا يغـــو (م) ص بـــرجلـــه فى الجلمـــد

---

(١) يقصد: السيد البدوى

(٢) أزبد البحر: علاء الزبد، كناية عن فيضانه.

أو آيـــــةً فـى علمـــــــه وذكـــــائه المتـــــوقـــــد

أو غـــــازيًـــا فتح الممـــــا لـك عنـــــوةً بمهنـــــد

أو ثـــالثَ الحسَنيْنِ فى الــــ (م) ـــقُربَى وطيب المحتِـــد

أنكـــرَّم الأبطـــال بـــالـــ (م) تَّهــريج حــولَ المسجـــد؟

إن المـــوالـــدَ مـــرتعٌ خصبٌ لكلِّ معـــربـــد

بين شاعرين

المصرى ٢٩ من فبراير سنة ١٩٤٢م

قرأ الأستاذ الشاعر : محمد مصطفى الماحى قصيدة : « آيات الـولاء » التائية، التى نشرت بالمصرى فـى : ١٣/ ٢/ ١٩٤٢م، فبعث إلى الشاعـر بأبيات تقـدير منها :

لله شعـرك، يـــا « غنيم » ، غنيمـــةً للضـــاد. أنـت رفعت من رايـــاتـــه

أكـــرم بـــه شعـــرًا تألق نـــوره ألَقًا وبات الدهر بعضَ رُواته! ... إلخ

فأجابه الشاعر بقوله :

أمسى، يفيـضُ علىّ من نفثـــاتـــهِ قلمٌ بحـــورُ الشعـــر من قَطَـــراتِـــهِ

أقسمتُ ، مـــا أطريتَ إلا شـــاعـــرًا إعجـــابُـــهُ بك من أخصِّ صفـــاتـــه

مـــا أنت « بـــالمـــاحى » وشعـــرُكَ ثـــروة درُّ البحـــار يغـــار مـــن أبيـــاتـــه

مـــا ضـــاع شعرىَ؛ حسبُ شعـــرىَ أنه أمسى يـــوثّـــق بيننـــا بصِـــلاتـــه

فى الحجاب (١)

قل لطَــهَ: يــا كــوكبَ الآدابِ ... طال رِضْـدى، وأنت خلفَ السحابِ
مـا حـوى الأفْقُ مثل بـرجك بـرجًـا ... شـائك السُّــور ، محكمَ الأبــواب
إن زواك الحجــابُ عنى، فكـم فى ... جنْح ليل شــافهتَنى بــالخطــاب
أنــا ألقــاك من قــديـم على ضــو (م) ء سـراجـى، وفى سطـور كتــابى
احتجبْ كيف شئت، يـأيهـا الكــو (م) كـب ،إلا عن أعيـن الطـــلاب

بياض الرغيف

خلَعَ الــرغيفُ اليــوم ثـوبَ حــدادِهِ ... فليهنأ الشعــبُ الكـــريـم بـــزاده
عجبى عليـــه كأن مــوسى دسَّـــهُ ... فى جيبــه؛ فــابيـضَّ بعـد ســواده!

---

(١) أراد الشاعـر مقابلة سعادة الـدكتور: طه حسين بك ، فطال انتظـاره، فبعث إليه بهذه الأبيات.

الفـــلاح

الاهرام ٢٣ من يناير سنة ١٩٤٢م

شـــاهــدتُ لـــؤلـــؤةً كـــالبـــرقَ تَـأتَلِقُ
على جبينِ أميـــرٍ ســـار مُخْتـــالا !
فقلت: مـــا أنت؟ قـــالت: إننـى عـــرقٌ
من جبهـــة الـــزارع المسكين قَـــدْسـالا !
النـــاسُ تَنْعمُ، والفـــلاّح يَحْتـــرِقُ
وليس يحـــرز: لا جـــاهـــا ولا مـــالا !
امتصَّـــهُ النـــاس حتى مـــا بـــه رمَقُ
كـأنَّـــهُ صب لـــلإيثـــار تمثـــالا

رجـــولة

الأهرام فى ... سنة ١٩٤١م

عجبتُ لمن تَنصَّل من مقـــالٍ — وكـــان بـــوسعـــه ألا يقـــولَـــهْ!
وقـــالـــوا: كيف قـــال بمـلء فيـــه — وأنكـر؟ قلت: نقصٌ فـى الـرجـولهْ
أرى فى مصـــرَ أبطـــالا تـــولىَّ — إذا قيل: ادفعـــوا ثمن البطـــولـــهْ

المطـــر

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

بـــدت الأرضُ مـــرة فى الشتـــاءِ ثَـــرَّةً مثل صفحـــة الـــدأمـــاء [1]
فسألـت الغمـــام: هل بـك خطبٌ مثلُ خطبى حتى بكيتَ بكـــائى؟
قـال: لا ، بل دنستم الأرض بـالإثـ (م) مِ، فطهـــرّتُ وجههـــا بـــالمـــاء

الغـــرب

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

قلت للشمس: يـا عـــروسَ السمـاءِ إنمـــا تغـرُبيـن فى عين مـــاءِ [2]
فلمـــاذا لمحت وجهَك إذ أشـــ (م) ـــرق مثلَ العقيقـــة الحمـــراءِ؟
قالت الشمس: إننى طفتُ حـولَ الـ (م) غـرْبِ، والغـربُ سـابحٌ في الـدمـاء

---

(١) العين الثرة: السيالة، والدأماء: البحر.
(٢) يشيـر إلى قـوله تعـالى: ﴿حتى إذا بلـغ مغرب الشمس وجـدهـا تغـرب في عين حمئة﴾.

السعادة

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

لم أدرِ مـا كنْـهُ السعـادة فـى الصبـا ... فإذا بهـا مـوفـورةٌ أسبـابُهـا
حتـى إذا أصبحتُ أُدْرك كنههـا ... سَلَبَ السعـادةَ من يـدى سـلاَّبهـا

ديك الصباح

قلتُ، يومـا، للديك ساعةَ صـاحـا: ... هل تغنِّى لنـا نشيـد الصبـاحِ؟
قـال: لا، بل نَعيْـتُ يـومـا راحـا ... ومحـاه مِن صفحـة العمـر مـاحِ

الذئب

قلت للـذئب: أنت وحشٌ ضـارِ ... قـال: أظفـارُكم شَـأَتْ أظفـارى (١)
أفعـارٌ أن يقنصَ الـذئبُ سخَـلا ... واقتنـاصُ البعيـر ليس بعـار؟ (٢)
أفـزَعَ المـرءُ كـلَّ شـاءٍ وإبْل ... وأخـافَ الطيـور فى الأوكـار
استغـاث العُقـابُ فى الجـوِّ منـه ... واتَّقى النـونُ شـرَّه فى البحـار (٣)
ولخيـرٌ للشـاة: مِخلَبُ ذئبٍ ... من شفـار المُـدَى، وشَىِّ النـار

---

(١) شآه: سبقه. (٢) السخل: ولد الشاة.
(٣) النون: الحوت.

المصور الشمسى

شاهدتُ حاكية تأتى على الصورِ ... كأنما يتحدَّى رسُمها القَدَرا

فقلتُ : خَلْقٌ بلا سمع ولا بصرِ ... لينفُخ المرءُ فيها الرُّوح إن قَدَرا

الضفدعة المغرورة

من أقاصيص لافونتين

ثورٌ من الثيران كان يَرتَعُ ... حولَ غدير نقَّ فيه الضِّفدعُ

فأكبَرَ الضفدعُ منه شكلَهُ ... وقال: ليتنى أكونُ مثلَهُ!

فانطلقت صفدَعةٌ تقولُ: ... هل دون ذاك حائلٌ يحولُ؟

قالت لها ثانيةٌ: يا للعجبْ! ... أين مضى عقلك أين؟ هل ذهبْ؟

إنك، يا أختى، جهلت قدرَكِ ... لن تستطيعى أن تكونى غيرَكِ

فقالت الأولى: غدًا ترانى ... عيناك من فصيلة الثيرانِ

وتُبصريننى أجرُّ النَّورجَا ... وتسمعين لى خُوارًا مُزعجًا

وانطلقت تجرى إلى الغديرِ ... تفُرغُهُ فى جوفها الصغيرِ

لعلَّها تبلغ ما تريدُ ... حجمًا كحجم الثَّور أو يزيدُ

فما احتست كوبًا ولا إبريقا ... بل مزَّقت أحشاءَها تمزيقا

فأنشدت ضفادعُ الغديرِ: ... هذا جزاءُ الجاهل المغرورِ!

كم طالبٍ بجهله ما ليس لَهْ ... أضاع وقتَهُ وأدنى أجلَهْ

ســـــباق

جيـــادٌ خطْــوُهـــا خطْـــوٌ فسيحُ تبـارت فى السِّبـــاق، فقلتُ: ريحُ
ولكنّى أطلـتُ الضّحْـكَ لمـــــا تـــولّى الحكـمَ بـــرْذَوْنٌ كسيحُ

الراعى والقطيع

الأهرام ... سنة ١٩٤٤م

مــرَّ القطيعُ بـأرض طـاب منهلُهـــا وعُشبها، فاستقى مـن مائها ، ورَعَى
فصـاح راعيـهِ: هيَّـا، يـا قطيع، بنـا نفلتْ من اللصِّ، إن اللصَّ قـد طلعا
فقـالَ كبشٌ لـه: مـا الفـرق بينكمـا؟ كـلاكما يبتغى مـن لحمنا شِبَعـا
دعنـا له، وانج ـ إن أحببتَ ـ منفـردًا فلستَ أكثـرَ زهـدًا منـه أو ورعـا
نِعْم الفِــرارُ الـذى أقبلتَ تَنْشُـدُه لـو كـان ينقـذِنـا منـه ومنك معـا!

الكبش والذئب

الأهرام ٦ من أبريل سنة ١٩٤٢م

الكبشُ قــام خطيبًــا فــوقَ رابيـةٍ ينعَى على الذئب فتك الـذئب بالغنمِ
فتمتَم الـذئب فى أذْنيـه: أنتَ على رأس القطيع أميـرٌ نــافــذ الكَلِم
فقبَّل الكبش نــاب الـذئب معتـذرًا عمــا رمـاه بــه من ســالف التُّهم
وقال للشـاءِ، خوضـوا ، وارتعوا مَعَـهُ من لاذ بـالذئب منكـم ، لاذ بالحـرم
فإن تصِبْ أحـدًا منكم مخـالبُـه فـإنهـــا بلسمٌ يشفـى من السَّقـم

قطان

قِطّـان أَلَّفَ سلب الـزاد بينهمـا | حتى إذا اختصما فى القسمة افتضحا
لكلِّ قطٍّ مخـازٍ لـو قـذفتَ بهـا | فى البحر ما راق، أو فى الروض ما نفخا
كلٌّ تحـدَّى أخـاه، غيـر أنهمـا | لم يأمنا بطش ربِّ البيت، فاصطلحا
صلحٌ مـريبٌ، وجُـرح جفَّ ظاهـرُه | فكلمـا داعبتْـه نَسمـة نضحـا
كأننـى بهمـا فضَّـا نـزاعَهمـا | يـومًـا، وفـرَّا أمـام الكلـب إذ نبحـا

الكبش شق العصا

الكبش شقَّ العصـا يومًا على الـراعى | وقـال للشـاءِ: أنتم بعض أتبـاعى
حتى أحسَّ عصـا الـراعى تـؤدبُـه | كمـا يـؤدَّب عبـدٌ غيـر مِطـواع
فـلاذ بـالـذئب، يـدعـوه لنجـدتـه | ومَنْ سـواه يُلبى دعـوة الـداعى؟
تنـاوَل الـذئبُ قـرنيـه، وقـال لـه: | أقْبل على الرُّحب، ياريمًا على القاع
وسخَّـر الكبشَ فى صيْـد الشياهِ لـه | فجدَّفى السعى. ضلَّ السعى والساعى!
وظلَّ يـرتعُ حينـا تحـتَ رايتِـه | ويأكل الحبَّ بـالقنطار لا الصـاع
حتى إذا الصَّيـدُ أعيا الكبـشَ، مزَّقـه | بمخلبٍ مثـل حـدِّ السيف قطَّـاع
فـلا القطيعُ بكـاه يـوم مصـرعـه | ولا الـذئَابُ نعـاه منهمـو نـاع
وهكـذا راح ذو القـرنين مـوعظـةً | وعبـرةً مـا وعـى أمثـالَهـا واع
لن ينفـىَ الكبشَ راعيـه فتُنـزلَـهُ | منهـا الـذئاب بـأبصـارٍ وأسمـاع

ليثان يقتنصان

غـــابٌ مـــررتُ بـــه، بـــه ليثـــانِ ... ســـارا على نهْجين يقتنصـــان
هـــذا يغيـــر على النُّمـــور ، وذاك لا ... يُلـــوى على صيـــدٍ سوى الغـــزلان
فأخـــو النمـــور يكـــدُّ خلف نمـــوره ... كـــدّا، وليس لـــــه بهنَّ يـــدان
فـإذا أصاب ، أصـــاب مـالا يُشتهى ... طعمًـــا ، وعـــاد مضعضَعَ الأركـــان
وأخـــو الظِّبـــاء إذا أحسَّت بأســـه ... لاقتـــه بـــالتسليم والأذعـــان
فيصيبُ منهـــا الليـــثُ لحمًـــا طيّبًـــا ... ودمًـــا يُـــرَوّى غُلَّـــة الظمـــآن
هيهـــات! ما بَـــرَدَىَ كنهـــر السين، أو ... إيـــرانُ مثْلُ الـــرُّوس فى الميـــزان (١)

الحدأة والعصفور

مجلة رابطة الشباب ... سنة ١٩٤٥م

مـــررتُ بحـــدْأةٍ خـــارت قـــواهـــا ... وهـــاضَ جناحَهـــا بعضُ النســـورِ
تصيح بمـلء شِـــدقيهـــا ، وتبكى ... على حـــرِّيـــة الطيـــر الأسيـــرِ
فلمـــا أن بكتْ أبصـــرْتُ فـــاهـــا ... يَلـــوكُ عظـــام عُصفـــور صغيـــر
فقلت لهـــا : سلمتِ لكـلِّ طيـــرٍ ... سجينٍ، يـــا محـــرِّرَةَ الطيـــورا!

---

(١) بردى : نهر فى سوريا .

الكبش والقصاب

مجلة رابطة الشباب ... سنة ١٩٤٥م

بصرت بالكبش والقصاب يسحبُهُ ... إذا ونى خُطوَةً، بالسوط يُلهبُه

فشاهدت مقلتاه وهْو منطلقٌ ... قطًّا، بجانبه طفلٌ يعذِّبُه

فحرَّكَ الرأس ذو القرنين من أسفٍ ... وصاح بالطفل - فى عُنفٍ - يؤنِّبه

فقال فى نفسه القصَّابُ مبتسما: ... يا كبش أنت رقيقُ القلب، طيبٌّه

أئن بدا لك لونُ المرِّ تمقُتُه ... وأنت بالكأس تلوَ الكَأس تشربه؟

بطش الضعيف

كأسٌ تدور على ثغورٍ ظماءٍ ... مُلئتْ بذوب الفضَّة البيضاءِ

أقبلْتُ فى ظمإٍ أُقَبِّل ثغرها ... فإذا خيالى سابح فى الماء

ألفيتُهُ يحكى أديم إنائه ... متلوِّنا كتلوُّن الحرباء

فذكرت هذا الماءَ إذ هو دافقٌ ... من ثَدْى كلِّ سحابة وطفاء (١)

فإذا به جيشٌ يغير جحافلاً ... حتى يضرِّج صفحة الغبراء

وذكرت هذا الماء إذْ ينساب فى ... جوف الصخور بباطن الصحراء

---

(١) السحابة الوطفاء: الدائمة الانهمار.

فـإذا تجمَّـد، زاد قـدرًا حجمُـه فأذاب قلبَ الصخـرة الصمـاء [1]

وذكـرتُ أنَّ المـاء سلطَ غـازه فغـزا زمانَ النـاقـة الـوجنـاء [2]

فإذا القطـار بـبأسـه متحـرِّكٌ ينسـاب مثلَ الحيَّـة الـرقطـاء [3]

وذكـرت مـوجَ البحـر إذ هـو ثـائرٌ يـرغى ويُـزبـد سـاعـةَ الأنـواء [4]

فإذا البـوارج يضطـرْبنَ حيـالَـه مثل اضطـراب الفكـر فى الأحشـاء

وذكـرت هـوْلَ اليمِّ، إذ هـو فـاغـرٌ أفـواهَـه لتلقُّـف الأحيـاء

وهنـا رأيت الكأس تسقط من يـدى فظمئت، والمـاء القَـراح إزائى!

ورأيت أنَّ المـاء يستـر بطشـه بستـارتين : سـلاسـةٍ وصفـاء

---

(١) كل جسم ينكمش بالبرودة إلا الماء، فإنه يتمـدد فى درجة: « ٤ » فوق الصفر، وما دونها.

(٢) الوجناء: البارزة الوجنيتن.

(٣) الرقطاء: المخططة الجلد.

(٤) الأنواء: الأمطار.

اللفتة الملكية

الأهرام أول أبريل سنة ١٩٤٧م

أبدى جلالـة المليك ـ حفظه الله ـ عطفه على المعلمين فى حـديث له ، مشيدًا بفضلهم ، مشيرا بإنصافهم ؛ فناب الشاعـر عن المعلمين فى شكر جلالته بالأبيات التـاليـة ، وقـد نقشتها جميعـة المعلمين على لـوح من الـرخـام فى مـدخل نـادى المعملين الجديد بالجزيرة .

فـاروقُ ، يـا أملَ الـوادى ، ونجـواهُ ... زدتَ المعلَّـمَ مجـدًا ، زادك اللهُ!

لمـا أشـدتَ بـه ، زالت متـاعبُـه ... مـا دمتَ تـرعـاه ، فـالرحمنُ يـرعـاه

يـا رُبَّ نشء غـذاه مـن حشـاشتـه ... ومن عصـارة مـاءِ الفكـر روَّاه

لم يبغ من كـدّه جـاهًـا ، ولا نشبًـا ... لكنْ رضـاؤُك أقصـى مـا تمنَّـاه

يا مصـر ، جنديُّك المجهـول من زمن ... قـد جـاء قـائدك الأعلى فسمَّـاه

أكـرمْ بهـا لفتـةً جـاد المليك بهـا ... من غيـر منٍّ علَى أوفَى رعـايـاه

فاروق ، عـرشك فوق النجم مـوضعه ... إن المعلّمَ ، والتلميـذَ : ركنـاه

الديوان الثاني

في ظلال الثورة

صدرت الطبعة الأولى - من هذا الديوان - عن دار المعارف ،
سنة ١٩٦١ م، بإسهام من وزارة الثقافة والإرشاد



تقديم

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ : عزيز أباظة

صاحب هذا الديوان ليس بحاجة إلى تعريف القراء به أو التنويه بشعره ؛ فهو صاحب مدرسة شعرية تزودت من معينها الصافى عقولُ المثقفين قرابة ربع قرن أو يزيد ، ولكن ما أحوجنا وأحوج الحياة الأدبية إلى هذا الشعر الرصين الذى يحويه هذا الديوان بين دفتيه ! فمن لمحاته الشائقة المتناسقة ، نستطيع أن نتبين طلاوة البيان عند السلف ، وشفافية الإبداع عند الخلف ، ومن بين ثنايا تعبيراته الرقيقة الدقيقة ، يتسنى لنا أن نتنشق عبير الأصالة الذاتية ، ونستاف أريج الموهبة الخلاقة التى أينع ثمرها ، فكأن الشاعر يعنى نفسه حين قال :

الشاعر الموهوب تقرأ شعره   فترى جمال الله فى أكوانه

نعم ! إنك تحس ـ وأنت تطالع هذا الديوان ـ أنك فى مُتحف رائع للطبيعة تعرض فيه كل ما يخلب اللب ، ويأسر المشاعر من صور ؛ فكل قصيدة من قصائده أشبه بلوحة رائعة أبدعتها يَدُ صَناع ، وهيهات أن تجد فى بيانه المحكم السبك ما يتجافى عنه الذوق العربى السليم ، أو تنبو عنه النفس الشاعرة! ومردُّ ذلك إلى مكوِّنات الشاعر من : ثقافة واسعة متنوعة ، وموهبة فطرية تفاعلت معها أسرار الحياة ؛

فلا عجب - وقد تكاملت له عناصر الشاعرية المبدعة - أن يهيم فى كل واد من أودية الشعر ، وأن يصبح - بحق - دعامة راسخة من الدعائم التى ارتفع عليها صرح النهضة الأدبية المعاصرة .

ومن أهم خصائص هذا الشاعر: أنه امتداد للخالدين من عمالقة الشعر العربى ؛ فليس شعره ذاتيًّا يدور فى فلك حياته الخاصة ، أو محليًّا يتغنى بالأرض التى درج عليها ، واختال بين خمائلها وأنهارها ، وإنما هو شعر ينتظم آفاق الوطن العربى الكبير ؛ يترسَّل بالعروة الوثقى التى تجمع بين قلوب أهله ، ويترنَّم بالوحدة التى تربط بين مشاعر العرب برباط من الأخوة ، يزداد إحكاماً على مر الأيام :

أمم العروبة وحدت أهدافها	*توحيدها للبارىء القهار*
حلف نماء العلم ، ما أوحى به	*نزق الهوى ، أو حب الاستعمار*
لا تسأل العربى عن وطن؛ فقد	*محت الصلات فواصل الأقطار*
عدنان جدى، والعروبة كلها	*لى عترة ، والشرق أجمع دارى*

وتتركز نظراته الثاقبة على هذه الوحدة العربية فيقول :

إن العروبة قد باتت موحدة :	*حسًّا وعاطفة ، أرضًا وسكانا*
ما عاد يجرح أذن الضاد جارحة	*من ذكر لبنان ، أو من ذكر عمانا*

ومع استغراقه فى حب الوطن العربى الكبير ، تجده يتلفت إلى ماضى بلده ، ويتألم من النزعة الفردية التى كانت تستبد بالحكم والسلطان :

الفرد ليس على حكم بمؤتمن فليحكم الفرد لكن غير منفرد

وكما أن الطبيعة منحته حساسية مرهفة ووجداناً عميقاً ، كذلك لم تضن عليه بعزيمة ثابتة وإيمان لا يتزعزع ، فهو يشعر بأن الهموم التى تصهر غيره ، تزيده هو صقلاً ولمعاناً :

من كان حر الهموم يصهره فإن حر الهموم يصقلنى
والهم يجلو النفوس إن صدئت والهم فيه رياضة البدن !

وتلازمه ابتسامته فى أشد الخطوب حلكة ، ولا يأبه بالمحن :

إذا ضن دهرى بما أبتغيه وباتت علىّ الليالى شحاحا
فإنى أرى فى جمال السماء وطيب الهواء نعيماً مباحا
إذا شرب الناس مر الحياة عصرت من المر شهداً وراحا
وإن حاربتنى صروف الزمان شهرت عليها احتقارى سلاحا

ويتطلع حوله فيرى مواكب المنافقين وقد اتخذوا من النفاق حرفة يرتزقون منها :

سوق النفاق قد اصطفت موائدها
وَراح يسعى إليها كل مرتزق
كفكف دموعاً على الأموات تذرفها
يا صاح ، وابك معى فى مأتم الخلق !!

***

هذه نماذج من شعر هذا الديـوان ، ليست بأحسن ما فيه ، آثرت أن أقدمها بين يدى القارىء؛ ليرى كيـف اجتمعت للشاعر عناصر الجدة والابتداع ، وكيف تأتى له أن يكتب فـى مناحٍ مختلفة وأن يبدع فى كل ما يكتب ؛ فشعره يتسم بالجزالة دون تكلف ، وبالسلاسة دون هبوط ، يحس بهاتين الميزتين من يتذوق مـوسيقى الشعر العربى ، ولا ينكرهما من تنكب هذه السبيل .

ولشاعرنا الأستاذ محمود غنيـم ميزة أود أن أشير إليها ؛ لأنها إحدى ملامحه الفنيـة ، فهو ذو نزعة مرحة سـاخرة ، تماثل تماماً تلـك النزعة التى عرف بها الشعراء المصريون قديماً ، إنه يداعب إخوانه فى أسلوب رصين ، ويرسم لهم صوراً هزلية ضـاحكة ، قل أن يأتى بمثلها كثير من الشعراء ، وأروع مثل على ذلك ما قالـه فى قصيدة «من وحى الكأس» : يداعب شيخاً لا تفارق الكأس شفتيه برغم تقدمه فى السن :

إن الشيوخ تقوم الليل فى حرم ... لكن علىٌّ يقوم الليل فـى «بار»
حمراء سحنته ، بيضـاء لحيته ... لكـن صفحته سـوداء كالقـار

ومع أنه تناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظل محتفظاً بطابعه ، وتلك سمة الأصالة فى كل شاعر كبير ؛ لأن الأصالة تأبى أن تأتى مخلوقاتها مشابهة أو مماثلة ، حتى لما عُرف عند أولى الألباب بالجودة والابتكار .

تحيتى وتقديـرى لصديقى الشاعـر الكبير ، وأبلغ شكرى علـى أنه آثرنى بتقديم ديوانه الخطير .

عزيز أبـاظـة



بيـــان

بقلم : صاحب الديـوان

هذا هو ديواننا الثانى ، قسمناه إلى تسعة أبواب - إن صح أن للشعر أبواباً دقيقة الحـدود ؛ لا يتداخل بعضهـا فى بعض - وسميناه بـاسم الباب الأول منها : « فى ظلال الثورة » ، وقد أصدرنا قبل ذلك ديواننا الأول : «صـرخة فـى واد » وهو الـديوان الذى نـال الجائزة الأولـى من المجمع اللغوى ، فى أول مسابقة عقدها لشعراء العربية سنة ١٩٤٧م ، وعلى ذلك : فما بيـن دفتى هذا الديوان «فى ظـلال الثورة» أنشىء بعد هذا التاريخ ، على أن هناك طائفة مـن قصائده يرجع العهد بها إلى ما قبل ذلك ، وربما أَوغل بعضها فى القدم حتى رجع إلى عهدنا بالتلمذة ، والسر فى ذلك أن يد الضياع كانت قـد عبثت به عند إصدار الديوان الأول ، ثم عثرنـا عليه بعد ذلك ، ومـا زال هناك قدر ليس بـاليسير فى طـى الفقدان يتطلـب منـا الرجـوع إلـى ملفـات الصحف والمجـلات القديمة ، وفى النية أن نفعل إن شاء الله .

وكان بودنا أن نشفع كل قصيدة بـرقم عدد الصحيفة الذى نشرت به وتاريخـه ؛ فلذلـك مغزاه عند نـاقد الشعـر ومؤرخ الأدب ، ولكـن عز علينا تحقيق هذه الأمنية ، وإن كنا لم نغفـل ذكر التاريخ التقريبى لكل قطعة ، وذكر مـا أحاط بها من الظـروف والملابسات ما وسعنـا ذلك ،

وإنما كان حرصنا على ذلك شديداً ؛ لأننا ندين بأن الشاعر جزء لا يتجزأ من زمنه وبيئته وما يحيط به من المؤثرات ، وبأن إنتاجه وليد هذه العوامل مجتمعة ، وبأن دراسة شاعر ما بعيداً عن إدخال هذه العوامل فى الحسبان لغو لا غناء فيه ، بل نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنقول : إن خير تفسير - فى نظرنا - يوضع للقرآن الكريم هو التفسير الذى يوضع فى ظلال السيرة النبوية ، ويربط بين آياته الكريمة ومختلف الوقائع والأحداث .

ربما وجد القارىء فى هذا الديوان شعراً نابعاً من صميم نفس الشاعر ، ولا نستثنى من ذلك ما ورد منه فى حوادث معينة ؛ فإن هذه الحوادث قد انفعلت بها نفس الشاعر ، ثم أخرجتها على طريقته الخاصة ، فهى لا تعدو أن تكون شعراً نفسيًّا . وكم كان بودنا أن نتعقب هذه الأحداث - كما فعل المرحوم : أحمد شوقى فى شوقياته - فنسجلها تسجيلا أدبيًّا هو أَبقى لها ، وأبرز لمعالمها من التسجيل التاريخى الذى تقوم به طائفة المؤرخين ! كان بودنا ذلك ، لولا ما حال دونه من قيود الوظيفة وطبيعتها التى تنفر منها شياطين الشعر : تلك الوظيفة التى لو اضطلع بها الفحول من أمثال المتنبى قديماً ، وشوقى حديثاً لأثرت على إنتاجهما أيما تأثير ، على أننا - مع ذلك - نزعم أن ما قرضناه من شعر يمثل العصر الذى شاءت لنا المقادير أن نعيش فيه تمثيلا فيه كثير من الصدق ، وفيه كثير من إبراز سمات هذا العصر ومشخصاته ، وحسبنا ذلك . وإن كان هذا القدر من التمثيل دون ما كنا نصبو إليه !

ومذهبنا فى الشعر : أن يكون هادفاً ، يضرب فى صميم الحياة ، ويفرض نفسه عليها فرضاً ، ويخب ويضع فى أحداثها ، وربما لم يعدم هذا المذهب ناقداً متحذلقاً يطلق على بعض ما نظمناه : «**شعر المناسبات**» ! وكثيراً ما وقع نظرى على هذه العبارة ، ولا أدرى ماذا يريد بها قائلوها؟ أيريدون أن يكون الشعر كله تشبيباً بالحسان ، وشكوى من تبريح الهجران ، ووصفاً لأمواج البحار ، ورمال الصحراء ، والنجوم المتلألئة فى السماء ؟ إن كان الأمر كذلك فقد باعد هؤلاء بين الشعر والحياة ، أو ربطوا بينه وبينها بخيوط أوهى من نسيج العنكبوت . ويكفى فى الرد على هؤلاء : أن أخلد ما فى الشعر العربى قديمه وحديثه ما ارتبط منه بأحداث معينة ؛ كمعلقة عمرو بن كلثوم ، وبائية أبى تمام فى فتح عمورية ، ونونية شوقى فى توت عنخ آمون ، بل نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنقول : إن شعر المتنبى شاعر العربية الأول قيل كله ــ تقريباً ـ فى مناسبات خاصة ، وفى أتفه أبواب الشعر ـ وهو المدح ـ ومع هذا وذاك ؛ فقد استطاع أن يفرغ فلسفته فى مدائحه ، وأن يضمنها حكمه الخالدة حتى فرضها على الناطقين بكل لسان فى مختلف العصور والأزمان . بل نذهب إلى أبعد مما تقدم ، فنزعم أن أكبر أثر أدبى عرفه العالم ـ وهو القرآن الكريم ــ نزل منجماً على حسب الوقائع ، مرتبطًا أوثق الارتباط بالأحداث التاريخية ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ ولعل من نافلة القول بعد هذا : الإشارة إلى أن أقدم ما عرف فى عالم الشعر وأخلده بصفة عامة ـ وهو الإلياذة والأوديسية ــ إنما أوحت بنظمه حوادث معينة . فما أجدرهما أن يسلكهما هؤلاء الناقدون المتحذلقون فى سلك : «**شعر المناسبات**»!

نخلص من هذا القـول كله إلى أن الشاعر لا يسأل : فيـم نظم ؟ بل يسأل : كيف نظم ؟ وعلى أى نحو تناول ما عالجه من الموضوعات؟

ومذهبنـا فى الشعـر ـ كذلـك ـ : أن يجمع بيـن القوة والسـلاسة ، ومقياس جودته عندنا : سيرورتـه ، وخفته على ألسنة الرواة ، ولقد كان أكبر عـزاء لنا على ما لقينـا فى صناعـة الشعر من عنت واضطهـاد ، ما رأيناه مـن تداول أشعـارنا بصفة عـامة ، وبيـن طلاب المـدارس بصفة خاصة ، وفـى مختلف الأقطار العربيـة بصفة أخص ، ولم تكـن هذه السيرورة وليدة مـا ينسج حول الشعر عـادة من دعايات ، ومـا يحاط به مـن هالات ، فنحـن ــ بحمد الله ــ أعجـز مـا يكون عـن تـدبير هـذه الوسـائل ، ولو لـم نتركهـا عجزاً لتركنـاها أنفة واستكباراً . إننـا نعتقد أن الشعر ما لم يحمل فى طيه عناصر خلـوده فلن تخلده الدعايات الزائفة ، أو ما يلتمس له من الأسماء البراقـة ، كاسم الشعر الحر ، والتجديد فى الشعر ، إلى غيـر ذلك مما هو أشبه بالتهريج منـه بأى شىء آخر . وعلى ذكـر الشعر الحر لا أرانى فـى حاجة إلـى إطالة الوقـوف عنده ؛ لأسباب أقلها : أنه لا رواة له ، وأنه يوءد يـوم يولد ، وشتان بين هرم من صخر يصـارع الزمن ، وكـوخ من قش لا يلبـث أن تذروه الريـاح ، ولو سلمنا بـأن هذا الضـرب من الكلام يسمـى شعراً ، ما كـان فى العـربية ناطق غير شاعر .

وبعد فقبل أن أَختم هذا الحديث أقدم خالص الشكر .

أولا : إلى وزارة الثقافـة والإرشاد ، على ما أسهمت فـى إخراج هذا الديوان .

ثـانيـا : إلى الشاعر الكبير الأستاذ: *عزيز أباظة* على ما تفضل به من تقـديم هذا الـديوان ، ولعل ألطـف ما ورد فى مقـدمته البارعـة أنه يشكرنى على أننى آثرته بهـا بدل أن يتقبل منى الشكر عليها ، وإن هذا ليذكرنى بقول الشاعر العربى الرقيق :

إذا مرضنـــا ، أتينـاكم نعودكمـو

وتذنبــون ؛ فنــأتيكم ، ونعتـذر !

والســـلام .

فى ظلال الثورة

النشيد الوطنى (١)

للجمهورية العربية المتحدة

إرفعى يـا أمَّـة العُـرْب اللـواءْ صـاعـدًا فـى عـزة نحـوَ السمـاءْ
إرفعيــه رمــزَ يُمْــنٍ ورخــاءْ حــامـلا منــا إلـى الله الـدعــاءْ

***

أنــا العــربــىُّ الأبــىُّ بــربــى وشعبــى أَديــنْ
شعــارى : ســلامٌ يــرفُّ ظـلالا علــى العــالميــنْ
وجــوِّى : حمــىً لا يبــاحُ وأرضــىَ : حصــنٌ حصيــنْ
بــلادى إذا مــا انتسبــتُ إليهــا ، رفعــتُ الجبيــنْ

حــاضرى مستبشــرٌ يبسِمُ لــى مشــرقُ الــوجــه بنــور الأمــلِ
وبعــزمــى أبتنــى مستقبلــى لستُ مــن يَعْرُبَ إن لــم أفعـلِ

ارفعى . . . . إلخ

إنَّــا بَنِــى العُــرْب لنــا فــى كـل إصـلاحٍ يَـدُ
نَجْمَــــعُ لا نُبَــــدِّدُ نَــدْفَــعُ لا نهــدِّدُ

---

(١) وضع هذا النشيد ؛ بناء على طلب إدارة رعاية الشبـاب ـ قسم البنات ـ وقد تولت تلحينه وأداءه .

فـــى الأرض نحـــنُ رحمـــةٌ
بهـــا الجميـــعُ يَسْعَـــدُ

قــد شهــد المــاضــى لنــا
وســـوف يَشْهَـــدُ الغَـــدُ

وطـنٌ يبعَـثُ فـى الأرض الحيـاهْ
يجـدُ الخـائفُ أمْنًـا فـى حمـاهْ

ظلُّـهُ الممـدودُ مـن ظـلِّ الإلٰـهْ
مـاؤه العـذبُ علـى كـل الشِّفـاهْ

اِرفعـى . . . إلـخ

حـــىٍّ جُمهـــوريَّـــةً
تَمْـــلأُ الـــدنيـــا سَنَـــا

هَتَـــفَ الكـــونُ بهـــا
ولهـــا الـــدهـــرُ انحنَـــى

هـــا هنـــا المجـــدُ حَبَـــا
وتـــربَّـــى . . هـــا هنَـــا

لِمَـــن السبـــقُ لَمـــنْ
فضلُـــــهُ إلا لَنَـــــا؟

بَيْـنَ مـاضِينـا وبيـنَ الشُّهُـبِ
نَسَـبٌ، أَكْـرمْ بـه مـن نَسَـبِ!

مـا سَنَـا العلـم ونـورُ الأدبِ ؟
مـا هُمَـا لـولا سَمَـاءُ العَـرَبِ ؟

اِرفعـى . . . إلـخ

تأميم القناة (١)

ما زالت قناة السويس شوكة تخز جنب الوطن
حتى أعلن الرئيس تأميمها فى يولية سنة ١٩٥٦ م

رَبَضَ الجيش على خطِّ القناهْ ... وعلى شُطآنها أَلْقَى عصاهْ
أيها الجيشُ، أعِدْها للحِمى ... فِلذَةً قد نزعوها من حشاهْ
هى قلبُ النيل، إلا أنهمْ ... وضعوها بين أضلاعٍ سِواهْ
ساقت الموتَ إلى مصرَ، وإنْ ... بعثَتْ فى الشرق والغرب الحياهْ(٢)
هذه الحفْرَةُ مَنْ عمَّقَها؟ ... ذلك الجسرُ المَعلَّى مَنْ بناهْ؟(٣)
سائلوها يُنْبِكُمْ ساحلُها ... مَنْ أبوهُ؟ يَعرفُ الطفلُ أباهْ
رُبَّ فلاّحٍ شَكَتْ فى كفِّه ... فأسُهُ الخَرْساءُ إذْ خارَتْ قُواهْ
لم يَزَلْ يَحْفِرُها حتى جرى ... ماؤُها وهْوَ مشُوبٌ بدماهْ

***

أمَّةَ «الدولار»، مُدِّى غيرَنا ... مِنْ عبيد المال واستَجْدِى رضاهْ
أَسعفى بالمال شعْباً آبقاً ... لفظتْهُ أرضُهُ لفظَ النواهْ(٤)

(١) اختيرت هذه القطعة بين النصوص المختارة لطلبة الثانوية العامة .

(٢) يقصد بالموت : ما جرته القناة على مصر من احتلال وخسائر فى الأرواح والأموال .

(٣) يقصد بالجسر : القناة نفسها ؛ لأنها بمثابة جسر يصل بين البحرين : الأحمر والأبيض .

(٤) أمة الدولار : أمريكا، والشعب الآبق : اليهود الذين تقوم دولتهم على المساعدات الأمريكية . وقد كان السبب المباشر للتأميم : رفض أمريكا مساعدة مصر على بناء السد العالى بمعونة مالية .

كيف يستَجْديكِ شعبٌ ماؤُهُ		من لُجَيْنٍ ومن التِّبْرِ ثَرَاهُ ؟[1]
إنَّ فى مصرَ قناةً قد جرى		ذائبُ الماس بها مَجرى المياهْ
سائلى التاريخَ عن سائِلها		ـ وهْوَ أرضٌ ـ كم جَبَى منه الجُبَاةْ ؟ [2]
سائلى عهدَ المماليكِ وما		شادَهُ فى مصرَ عن سرِّ غناهْ
مَرَجَ البحرين فى مصرَ الذى		شقَّت النيلَ وأجرَتْهُ يداهْ [3]
مُلْتَقَى البحرين نيلٌ آخرٌ		فى الحمى أحْلَى من الشهد جَناهْ
منجمٌ لا ينضُبُ الزيتُ به		وغنًى لا يبلغُ الحصْرُ مداهْ

***

أمةُ «الدولار» غلَّتْ يدَها		عن بنى مصر به . شاهَتْ وشاهْ[4]
فادَّ كرْنا حين ضَنَّتْ موردًا		قد تركناه مُباحًا للسُّقاهْ
شربَ الناسُ به بل سَبَحُوا		فيه والمصرىُّ ما بَلَّ صَداهْ [5]

***

حينما قال جمالٌ : «أُمِّمَتْ»		رقصَ الوادى ، وغنَّتْ ضفتاهْ !
وسَرتْ فى كلِّ عِطْفٍ هِزَّةٌ		وتمشَّتْ بَسْمةٌ فوق الشفاهْ !
وأَظَلَّ النيلَ عيدٌ شاملٌ		فيه حَيَّا كلُّ مصرىٍّ أخاهْ
ما بنى التأميمُ سَدًّا عاليًا		بل بنى للنيل جاهًا أىَّ جاهْ

---

(١) اللجين : الفضة ، والتبر : الذهب .

(٢) حينما كانت قناة السويس برزخاً ، كانت البضائع تنقل من الشرق إلى الغرب وبالعكس بطريق البر فى هذا البرزخ ، وتؤخذ عليها المكوس والضرائب الفادحة ، وقد كانت هذه الضرائب سر ثروة دولتى المماليك .

(٣) مرج : خلط ، والمراد أن الذى من على مصر بنهر النيل ، من أيضاً عليها بهذا الموقع الجغرافى الممتاز .

(٤) أى : شاهت الدولة وشاه دولارها .

(٥) الصدى : الظمأ .

هنَّأَ الثـورةَ مَـنْ خـاصَمها — وعلـى قـائدِها أثنـى عـداهْ
وأقـرَّتْ بسَنـاها أعيُـنٌ — تُنكـرُ الصبـحَ إذا لاحَ سنـاهْ

***

لجمـالٍ كـلَّ يـوم خَبَـرٌ — من حديث المجد يَرويه الرُّواهْ
يُـرهِـفُ الغـربُ لـه مِسْمَعَـهُ — سـائلاً: هـل كَـذَبَتْـهُ أذُنـاهْ ؟
هـل شَجَـاهم أنَّنـا شعبٌ صحـا — مـن كَـرَاهُ بعـد أن طـال كـراهْ ؟
أيهـا الشَّـرقُ، أذِعْـهُ نَبَـأً — يَقْـرَعُ الآذانَ فـى الغـرب صـداهْ
أن مصـرًا حـرّةٌ فـى أرضهـا — شعبُهـا يُبْـرِمُ فيهـا مـا يـراهْ
لـم تَعُـدْ مصرُ طعـامًا سـائغًا — لجيـاع الغرب مـن شاء طَهـاهْ
لـم تُعـدْ تحكُـمُ مصـرًا أسـرةٌ — تشتـرى العـرش بإحنـاء الجباهْ[1]
دولـةٌ حـاكمُهـا مـن أهلهـا — شعبُهـا الحرُّ من الشعب اصطفـاهْ
كـادحٌ، مـا أتـرَفَتْـهُ نعمـةٌ — عَـرَكَ الـدهـرَ طـويـلاً وَبـلاهْ
مـا رأى فـى مهـده مِلْعَقَـةً — من نُضـارٍ خـالـص تملأُ فـاهْ[2]
لا علـى سُلطـانـه يخشـى، ولا — يَـرْهَـبُ الفقـرَ إذا الفقـرُ اعتـراهْ
رُبَّ ميْـدانٍ بـه هَجَّـرَ، أو — خنـدَقٍ فـى ظلمة الليـل احتـواهْ[3]
واجَـهَ المـوتَ؛ فلم يحفِـلْ: ومـن — واجَـهَ المـوتَ يـواجـهْ مـا عـداهْ[4]
يُحكِـمُ التـدبيـرَ إحكـام الـذى — يقـرأُ الغيـبَ ويـدرى مـا طـواهْ

المحتل فى تثبيت عروشهم، على أن يدفعوا ثمن ذلك خضوعاً وتسليماً بمطالبه .

(٢) النضار : الذهب ، والبيت كله كناية عن أن الرئيس لم يكن ارستقراطى النشأة .

(٣) هجر : قضى وقت الهجير أى وقت القيلولة واشتداد الحر .

(٤) واجه الرئيس الموت فى عدة مواقع ، منها : موقعة الفالوجة المعروفة بين العرب وإسرائيل .

(١) ألقيت هذه القطعة فى احتفال أقيم لوفد من الإقليم الشمالى بفندق الكونتنتال عقب

ويُسِـــرُّ الأمـــرَ إســـرارًا ؛ فـــلا يعـــرفُ الكهَّـــانُ سرًّا قـــد نـــواهْ
يـــؤثـــرُالبغَتـــةَ فـــى تصـــريفِـــهِ ومـــع البغتـــةِ تـــوفيـــقُ الإلـــهْ
هـــو والنصـــرُ حليفـــان ؛ فمـــا ســـار ، إلا وهْوَ يمشـــى فى خُطـاهْ
يُطلـقُ السهْـمَ فـلا يـدمى بـه جســدًا لكنَّـهُ يُعيـى الرُّقَـاهْ (١)
وهـوْ يـدرى مَـنْ سَيُـردِى سهمُـهُ ومتـى يـرمى وفـى أىِّ اتجـاهْ ؟

***

أيهـا الغـربُ ، اتَّئِـدْ ؛ إن هنـا ضيغَمًا قـام يحامى عـن شَراهْ (٢)
لا يبـالـى حيـن يحمـى حقَّـهُ لـو عـدا الـدهـرُ عليـه لـرمـاهْ
يطلُـبُ الحـق بجيـش بـاسـلٍ يحسنُ الـزَّحفَ على ظهر الفـلاهْ
جنـدُهُ فى البحـر : حيتانٌ؛ وفـى حـالِـقِ الجـو : نسـورٌ ، وبُـزاهْ
لا يُحـــقُّ الحـــقَّ إلا قـــوَّةٌ تفعـلُ القـوةُ مـا يُعيـى القُضَـاهْ

---

(١) الرقاة : جمع راق وهو من يرقى من السم ونحوه ، والمراد بالبيت كله : أنه يصل إلى ما يريد بدون إراقة دماء ، ومن هنا قيل عن الثورة : إنها ثورة بيضاء .

(٢) اتئد : ترووتريث ، والشرى : غابة الأسود، والشاعر هنا ينصح للغرب الثائر على التأميم بأن يقتصد فى تهديده لمصر ، ويحذره مغبة العدوان عليها .

مصر وسوريا (١)

تمت الوحدة بين مصر وسورية
فـى فبـرايـر سنــة ١٩٥٨م

عُرسانِ : فى بنْتِ المعزِّ ، وجلَّقَا ... هَزًّا بلحنهمـا الشجىِّ المشـرقَا (٢)
المـاءُ فـى بَـرَدَى جـرى مترنِّمًـا ... وعلـى حُـداء النيـل قـام مصفِّقَـا
نهـرانِ مـا سـالا نميـراً سـائغًـا ... بـل منهمـا المجدُ الأثيـلُ تـدفَّقـا
خُرَّانِ ؛ لا يـدنُو فـم المحتلِّ مـن ... مـاءَيْهمـا حتـى يغَـصَّ وَيشـرَقَـا
تـدرى الحضـارةُ أنَّ منبعَهـا هنـا ... وهنـاك فـاض معينُهـا وتـرقـرَقَـا
الشرقُ مـن هذا المعين قـد ارتَوى ... والغربُ من تلك الحيـاض قد استَقَى
قـل للعرُوبـة : يا عـروبةُ كبِّـرى ! ... مجدُ المعزِّ بمجـد مَرْوانَ التقَى (٣)
أخَـوَان بينهمـا المشـاعـرُ ألَّفَـتْ ... مـا كـان لـلأَخَـوَيْـن أن يتفـرَّقـا
الضَّـادُ أُمُّهُمـا ؛ ويَعْـرُبُ والـدٌ ... أرأَيـتَ أَنْجَـبَ منهمـا أو أعـرَقـا؟
ماضٍ يَـزينُ ، وحـاضرٌ يُـزْهَى بـه ... كالكَرْم طابَ جَنًـى ، وطاب معتَّقًا (٤)
أَخَـوانِ فى حلـو الحيـاةِ ، ومُرِّهـا ... يتقـاسمانِ بهـا السعادةَ ، والشَّقَـا

إعلان الوحدة ، وقد قررت الوزارة دراستها بين النصوص المقررة على طلبة الثانوية العامة .

(٢) بنت المعز : كناية عن القاهرة . وجلق : دمشق .

(٣) المعز لدين الله : مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ، ومروان : هو مروان بن الحكم يعتبر المؤسس الثانى للدولة الأموية بعد معاوية .

(٤) الكرم : العنب ، يؤكل فاكهة ويعتق خمراً .

(١) البيت يشير إلى بلاء صلاح الدين الأيـوبى بجيوشه فى الحروب الصليبية ، وكيف وقى الشرق عدوان الغرب باسم الدين .

لَبَسَا الزمانَ : مطرَّزًا، ومُرقَّعًا وتجرّعَاهُ : صافيًا، ومُرنَّقَا[١]
خاضا إلى الحريةِ الحمراءِ ما خاضاهُ من هول يُشيبُ المَفْرِقا
اللهُ يعلمُ كم سَقَيْناها دمًا لو صادَفَ الصَّخر الأصمَّ لأورقا
لم يفصل التاريخُ يومًا بيننا لكنه عَقَدَ الصِّلاتِ ووثَّقَا
من عهدِ فرعَونٍ ونحن وأنتمو بَلَدٌ، وعِندَ الرَّوْعِ نبدو فيلَقَا[٢]
قد كان ماضينا لماضيكم صَدًى ومصيرُكُم بمصيرنا مُتعلِّقَا
إنْ أرَّقَتْ أجفانَ مصرَ مُلمَّةٌ تَرَ كلَّ جفن فى دمَشْقَ مؤرَّقَا
وإذا أصابَ دَمشْقَ مكروهٌ ترى أحشاءَ مصرَ تكادُ أن تتمزَّقا
شَعْبانِ ضاقا بالقيود، ومَنْ له ماضيهما لم يَحْيَ إلاَّ مُطلَقا
واللهِ ما أزْرَتْ بنا أطواقُنا اللَّيْثُ ليثٌ ، مطلقًا ومُطوَّقَا
قَيْدٌ لبسناهُ فلم تُرْهَقْ به سيقانُنا، بل عاد منها مُرْهَقَا
إن ضاق فى أقدامنا، فلعلَّه قد كان فى قَدَمىْ «لُويس» أضيَقَا[٣]
أيامَ أقبلَ نحو مصرٍ فاتحًا مصرًا ؛ فغادرها أسيرًا مُعْتَقَا
يا رُبَّ يوم فيه مصرُ وسُوريَا رَدَّا «التَّتارَ» ؛ فكان يومًا أبْلَقَا[٤]
لما هوَتْ بغدادُ تحت خيولهم وجرى الفراتُ دمًا صبيبًا مُهْرَقَا
فى «عين جالوتٍ» غضِبْنا غَضْبَةً كشفَتْ عن الشرق البلاءَ المُحْدِقا[٥]

---

(١) مرنقًا : مكدراً مشوباً .

(٢) يشير التاريخ القديم إلى : أن الصلات بين القطرين كانت وثيقة من عهد الفراعنة .

(٣) فى البيت إشارة تاريخية إلى : حملة القديس لويس على مصر وأسره فى دار ابن لقمان.

(٤) أبلق : أبيض مشهوراً ، وفى البيت : إشارة تاريخية إلى هزيمة التتار فى موقعة عين جالوت المشهورة ، بعد أن اجتاحت جيوشهم الدولة العباسية فى بغداد .

(٥) المحدق : المحيط . وفى البيت إشارة إلى : أن المغول كانوا خطراً يتهددالشرق، بل العالم لو قدر لهم النصر على مصر والشام .

يـا رُبَّ يوم جيشُ مصـرَ وسوريـا صـدًّا الصَّليبيِّيـن فيـه فـوفِّقـا[1]

أبْلَـى صلاحُ الـديـن فيه بجحفـلٍ يجدُ الشَّهـادَةَ بالمجـاهد أليَقـا[2]

«حِطِّيـنُ» تَشهـدُ أننـا عَـرَبٌ؛ إذا فَرِقَ الأسـودُ من الردى، لَنْ نَفْـرَقَا[3]

فلتشْهَـدْ الـدنيـا صـلاحًـا ثـانيًـا بخلائق السَّلف العظيـم تخلَّقا[4]

يـا رُبَّ يـومٍ مصـرُ فيـه قـاومَـتْ جيشًا مـن الدُّول الثـلاثِ ملفَّقًا[5]

لمـا رمـى الثـالوثُ كـانـت دِرْعَنَـا سُورْيـا؛ فأخفقت السهـامُ وأخفَقَا

حَلَمَ العِـدَافى «بور سعيدَ» بنـزهة فـراَوْا بهـا فـى كل شبـر مـزلَقـا[6]

***

قُمْ سائلِ المحتلَّ فى البلَدَيْن: كم حَصَدَتْ مـدافعُهُ شبـابًا ريِّقـا[7]؟

اليـومَ لا دمـعٌ يسيـلُ، ولا دمٌ نجـمُ العـروبـة فى السمـاء تـألَّقـا

ولَّـى زمـانُ القول يُسْبِـك عسجـدًا مـا المجـدُ فـى قـول يُقـالُ منمَّقـا

مـن لـم يشقَّ طـريقـه بـذراعِـهِ لـم يُغْنِه نَسَبٌ إلـى النجم ارتقـى

---

(٢) الشهادة: الاستشهاد أى الموت فى سبيل الوطن.

(٣) (حطين): أشهـر المواقـع التى انتصـر فيها صـلاح الديـن، فرق يفـرق: خاف يخاف.

(٤) المراد بصلاح الثانى: الرئيس جمال؛ فوجوه الشبه بينهما متعددة.

(٥) ملفق: عديم الانسجام، ألفت بين عناصره المطامع الاستعمارية، والبيت يشير إلى: العدوان الثلاثى على بور سعيد.

(٦) كانت الحرب غيـر متكافئة، وكان المعتدون يعتقدون أنهم لـن يجدوا مقاومة، فأخلف الله ظنهم.

(٧) يشيـر البيت إلـى: كفـاح المصـريين ضـد الاستعمـار الإنجليـزى وإلى كفـاح السوريين ضد الاستعمار الفرنسى.

(١) فاعل سرى: مفهوم من المقام، والمراد به: خبر عقد المعاهدة.

(٢) خدر الأسد: عرينه.

المــاردُ الجبَّـارُ هَــبَّ مـن الكَـرَى ... وعلــى عــداهُ بقبضتَيْــه أطْبَقــا[1]

المــارد الجبــار أقســم جــاهــداً ... ألاَّ يـرى فـى الشـرق شعبًا مُـوثَقـا

لا والـذى خلـق الأنــامَ سـواسيًا ... مـا عــاد ــ بعـد الله ـــ ربٌّ يُتَّقـى

إنـى أرى رُوحَ المجـاهِـدِ خـالـدٍ ... بـالعيـن فـى أُفُـق العـروبـة حَلَّقـا

وأرى بنــى مَــرْوانَ رؤيــا يقظــةٍ ... أخْلِـقْ برؤيـا يقظتـى أن تَصْدُقَـا !

وَأَرَى لِيَعْــرُبَ رايــةً خفَّــاقــةً ... تأبـى علـى غيـر السُّها أن تَخْفُقَـا[2]

لا يـرفــعُ العـادى إليهــا طـرفَــهُ ... إلاَّ وردَّ الطــرف عنهــا مطــرقــا

وأرى لنـا جيشًـا ؛ إذا ذكـر اسمُـهُ ... مَنَــعَ الشفـاهَ جــلالُـه أن تنطقَــا

إن شـقَّ جـوفَ البحر، راعَ عُبـابَـهُ ... أو طـارَ ، أرعـد فى السمـاء وأبـرَقـا

جيشًـا يصـونُ السِّلْمَ روضًـا وارفًـا ... وعلـى العـدا ينصـبُّ جمـراً مُحـرِقـا[3]

***

يــا وارثيــن بنـى أُمَيَّــةَ ، زنتمــو ... مجـدَ الجـدود ، وزدتمـوه رَوْنَقــا[4]

إن الــذى جـدَّدْتُمـو مـن إرثهــم ... بــاقٍ بقـاءَ حديثهـم لـن يَخْلَقَـا[5]

مهَّـدتُمُـو نهـجَ العـلا ، وفتحتمـو ... للمجـد مـن أبـوابـه مـا استغْلَقَـا

الـوحـدة الكبرى سعيْتُـمْ نحـوهـا ... وثْبًـا ، وقصَّـرَ غيـرُكـم أن يلحقـا

بالفضـل كنتم سـابقين ، ومَـنْ لَهُ ... تـاريخكُـمْ أجْـدرْ بـه أن يَسْبِقَـا !

وغـدًا نرى التـوحيـدَ صار عقيـدةً ... ونـراهُ أنجـدَ فـى البـلاد وأعـرقَـا[6]

قـالوا : اتحـادٌ بيـن مصـرَ وسورِيـا ... فأجبـتُ : بل حُلْـمُ القُرون تحقَّقَـا

---

(١) المراد بالمارد الجبار : القومية العربية التى تتمثل فى شخص جمال عبد الناصر .

(٢) الرؤيا فى البيت ـ وما بعده ـ : تعبير عن الأمل فى مستقبل العروبة الزاهر .

(٣) الروض الوارف : أى الظليل المتشابك الأغصان .

(٤) الخطاب : موجه لأهل الإقليم الشمالى ، ممثلين فى وفدهم .

(٥) لن يخلق : لن يتطرق إليه البلى .

(٦) أنجد وأعرق : أى دخل نجدا والعراق ، والمراد : أنه سيشمل ويعم .

صدى الجلاء

بعد طول النضال فى سبيل الحرية ، عقد جمال معاهدة الاستقلال بيننا وبين جيش الاحتلال .

سَرَى فى الكنانة مَسْرَى النَّغَمْ فأصغَتْ له لِبَنَاتُ الهَرَمْ[1]
وهزَّ أبا الهول فى خِدْرِهِ فأرهَفَ أُذْنَيْه ، ثم ابْتَسَمْ[2]
ودَبَّ إلى أعْظُم الشُّهَداءِ فكادَتْ تَهُشُّ بوادى العَدَمْ
ورَفَّت تسائلُ أرواحُهم : أحانَ الجلاءُ ؟ فقلنا : نَعَمْ !
لهُ اللهُ من موثقٍ مبرم على صَفَحَاتِ القلوب ارتَسَمْ !
أعادَ حقوق البلادِ وردًّ لها من كرامتها ما انْثَلَمْ[3]
مُنًى أرَّقَتْ مصرَ سبعين عامًا ومَنْ رام درْكَ المنى لم يَنَمْ[4]
حصدْنَا سنابلَها من حقولٍ رَوينَ بدمعٍ صَبيب ودَمْ[5]
ورُبَّ شبابٍ أغرِّ الجبينِ كبَدر السماءِ إذا البدرُ تَمْ
مضى للكفاحِ ، كليل السلاحِ بغيرِ عزيمته ما التَأمْ[6]

(٣) ما انثلم : ما انصدع وتشقق .

(٤) منى : جمع منية ، والمراد بسبعين عامًا : المدة التى مضت من عهد الاحتلال البريطانى عقب الثورة العرابية .

(٥) المراد بالدم : ما سال من أجساد الشهداء ، وبالدمع : ما سال على فقدهم من عبرات الآباء والأمهات .

(٦) التأم : لبس اللأمة ؛ وهى : غطاء يقى الرأس عند الحرب .

رأى المَـوْتَ يفْغَـرُ فـاهُ لـهُ ... فلـم يتقَهْقَـرْ ، ولكـن هَجَـمْ[1]

فخـرَّ شهيـدَ الحمـى هـاتفًـا ... لمصـرَ بقلـبٍ جـريـح وفَـمْ

فهـذا الـذى خَـطَّ سِفْـرَ الجـلاءِ ... وبـالـدَّم فـى صَكِّـهِ قَـد خَتَـمْ[2]

مضـى الاحتـلالُ ، ومـا الاحتـلالُ ... سـوى وصمـةِ العـار بيـن الأمَـمْ !

بقيـةُ إرثِ قـرون خلَـتْ ... علـى الظُّلْـمِ قـد طُبِعَـتْ والظُّلَـمْ

حملنـاهُ جـرحًـا بكـلِّ فـؤادٍ ... وهمًّـا علـى كـلِّ صـدر جَثَـمْ

ومـا كـان فـى العيـن إلا القَـذَى ... وما كـان فى الجسـم إلا السَّقَمْ[3]

إذا مـا استكـانـت لـه أُمَّـةٌ ... فمـا أهلُهـا بشَـرٌ ؛ بـل نَعَـمْ

ومَـنْ قَبِـلَ الظُّلْـمَ فهْـوَ الملـومُ ... وليـس المَـلامُ علـى مـن ظَلَـمْ

ولـن يَحمِـلَ القيـدَ حـرٌّ أبـيٌّ ... ولـن يلبسَ الطَّـوقَ شَعـبٌ أشَـم

لـه فـى الكـرامـة مـاضٍ مجيـدٌ ... وسـابقـةٌ فـى العـلا والكَـرَمْ

ومـا مصـرُ إلا مهـادُ العلـوم ... ورمـزُ الحضـارةِ منـذُ القِـدَمْ

ولـو أقسمَـتْ أنهـا هـىَ أمُّ الـ ... ـوجـودِ لمـا حنِثَـتْ فـى القَسَـمْ !

***

دَعُـونَـا نحسُّ جمـالَ البـلادِ ... ومـا استُودِعَـتْ من جـزيلِ النِّعَـمْ

فبئـسَ النعيـمُ نعيـمُ الجِنـانِ ... إذا ضمَّـهُ وَطَـنٌ مُهْتَضَـمْ ![4]

وهـل للبـلاد المُبَـاحَـةِ مـاءٌ ... بـه يُـرْتَـوَى أو هـواءٌ يُشَـم؟

ومـا أقبَـحَ الأرضَ أرضَ الحمَـى ... إذا داسهـا غـاصـبٌ بـالقَـدَمْ !

ومـا أقْبَـحَ الجـوَّ إن شَـمَّ منـه ... عـدوُّ البـلاد رقيـقَ النَّسَـمْ !

---

(١) يفغر فاه : يفتح فمه ، وهنا تشبيه الموت بحيوان مفترس .

(٢) السفر : الكتاب ، والصك : الوثيقة .

(٣) القذى : ما يصيب العين من الأجسام الغريبة .

(٤) المهتضم : المعتدى على حقوقه المسلوبة حريته .

ولـن تسلَـم الأرضُ حتـى تصيـر جحيمًـا علـى الغـاصبيـن اضْطَـرَمْ
ويحصِبَهُـمْ بحـرُهـا بـالشُّـواظِ ويقـذِفَهُـمْ جـوُّهـا بـالحُمَـمْ[1]

***

أُسـاةُ البـلادِ قـد استـأصَلُـوا بِمبضِعِهم داءَها ؛ فـانحسَمْ[2]
فمـا عـاد ينْغـرُ جـرحُ البـلادِ ولا يشتكـى جسمُهـا مـن ألَـمْ[3]
وليــس لمتعمــرٍ معقِــلٌ بمصـرَ إذا عـرشُ مصـرَ انهـدَمْ[4]
همــو حطَّمــوا صنمًـا قـائمًـا وثنَّــوْا بعُبَّــاد هــذا الصَّنَــمْ
هَوَى المَلِـكُ الضخمُ عـن عرشـه فمــا ذلــك الشَّحْــمُ إلا وَرَمْ
ولـم تبـقَ منـه سوى ذكـريـاتٍ تلــوحُ كطَيْــف خيــالٍ ألَــمّ
لقــد مكَّــنَ الله للظــالميـــ (م)ـــن حينًـا مـن الـدهـر ثـم انتقَـمْ
ألا إن للمستبــدِّيــن يــومًــا يَعضُّــون فيـه بنَـانَ النـدَمْ !
هـو الجيـش طهَّـرَ أرضَ البـلادِ وجمَّـعَ شمـلَ الحمـى فـانتظَمْ
وصيَّـــرَ أقــواتَهـــا قسمــةً ومـا كـان أعـدَ لَـهُ إذ قَسَمْ :[5]
فمـا عـاد يشكـو الفقيـرُ الطَّـوَى ولا عـاد يشكو الغنـيُّ البَشَـمْ ![6]

***

(١) المراد بالشواظ والحمم : قذائف المدافع من الأسطول تارة ، ومن الطائرات أخرى .

(٢) أساة : جمع آسٍ وهو الطبيب ، والمراد : بهم رجال الجيش ، ومبضع الطبيب : سلاحه .

(٣) نغر الجرح : أى تجددت آلامه .

(٤) يشير الشاعر إلى أن حماية العرش ـ دائمًا ـ حجة يتذرع بها المحتل إلى توطيد أقدامه فى البلاد .

(٥) يشير الشاعر إلى الإصلاح الزراعى وما استتبعه من تقسيم أراضى الإقطاعيين على الفلاحين الكادحين .

(٦) الطوى : الجوع ، والبشم : التخمة .

بنى مصرَ ، هذا زمانُ القوىِّ ... فكونوا السباعَ ، ومصرُ الأَجَمْ

إذا عاثَ فى أرضكم عائثٌ ... فقولوا له : تلك أرضُ الحَرَمْ !

يقولون : عهدُ الضياءِ ، وكم من ... ظلام بعَهْدِ الضياء ادْلَهَمّ ![1]

وأقسمُ ، لن يتساوى الأنام ... فما هُم سوى سادةٍ أو خَدَمْ

وما برِحَ الناسُ شَطرَيْن: منهم ... ذئابٌ جياعٌ، ومنهم غَنَمْ

فلا تأمَنوا جانب الأقوياءِ ... فكم وضَعُوا سُمَّهم فى الدَّسَمْ !

وكم أخْلَفَ الأقوياء لنا مِنْ ... وعُودٍ ، وكم خَفَرُوا من ذِمَمْ ![2]

وكم أبهَمُوا عند وضع النُّصوصِ ... فكانَ لصالحهم ما انبهَمْ[3]

كذلك شَرْعُ القوىِّ إذا ما ... تَقَاضَى : هو الخَصْم، وهْوَ الحَكَمْ

إذا شاء ، أعْطَى الحقوقَ احتسابًا ... وإن شاءَ من كل حقٍّ حرَمْ[4]

وكم غَفَرَ الناسُ ذنبَ القوىِّ ... وكم ألصَقُوا بالضعيف التُّهَمْ

***

بنى مصرَ ، هذا زمانُ المُجِدِّ ... فأينَ الجُهُودُ وأينَ الهِمَمْ ؟

وأين الذى يقطعُ الأرض وثْبًا ... ولا ينثنى عزمُهُ إن عَزَمْ ؟

ألا ، فارفعوا صوْتَ مصرَ إلى أنْ ... يرِنَّ صداهُ بأذْن الأصَم

وخَلُّوا السُّفوحَ لكل ضعيفٍ ... وحُطُّوا الرِّحَالَ بأعلى القِمَمْ[5]

أقيموا الصِّناعاتِ فى أرضِكُمْ ... وسَوُّوا الهِضَابَ ، وروُّوا الأكَمْ[6]

---

(١) ادلهم : احتدم ، ويشير الشاعر إلى أن شريعة الغابة ما زالت سائدة فيما يسمونه بعهد النور .

(٢) خفر الذمة : عدم الوفاء بالعهد .

(٣) يشير إلى : أن تأويل نصوص المعاهدات يكون دائماً فى صف الأقوياء .

(٤) احتساباً : تبرعاً وطواعية .

(٥) كنى بالسفوح عن المطالب الدنيا ، وبالقمم عن المطالب السامية .

(٦) يريد بتسوية الهضاب وتروية الآكام : استصلاح الأراضى للزراعة .

ولا تُسرفُوا في الأمانيِ . يَموتُ ... مِنَ الجوعِ مَنْ بالأماني ائْتَدَم![1]
أرى الأرضَ جاشَتْ بسُكانِها ... فلا تقفُوا خَشْيةَ المُزْدَحَمْ[2]
فإنَّ الشُجاعَ شجاعُ السّلام ... إذا صادَفَ العَقَباتِ اقتَحَمْ
وإنَّ الحياةَ مجالُ كفاحٍ ... فويلٌ لمن في المجال انهَزَمْ

***

بني العُرْبِ ، سُودُوا كأسلافكم ... وخَلُّوا الفَخَارَ ببالي الرِّمَمْ
فليس الذي هَدَّ إرثَ الجُدودِ ... كَمَنْ شَادَ ما أسَّسُوا أو دَعَمْ
وبالوَحْدةِ اعتصمُوا والوِئامِ ... فما خابَ مَنْ بالوئام اعتَصَمْ
وخلُّوا الخِصامَ على التُّرَّهاتِ ... فما ساد شعبٌ عليها اختَصَمْ[3]
وما فكَّكَ الشَّعبَ مثلُ النزاعِ ... إذا هُوَ بينَ بنيه احتَدَمْ
سحَبْنَا ذيولَ الخلافِ قديمًا : ... فذلك سَبٌّ ، وهذا شَتَمْ[4]
فلم نكتسبْ من وراءِ الخلافِ ... سوى أنَّ عِقْدَ البلادِ انفصَمْ

***

بَني العُرْب ، هذي نجومُ السماءِ ... فأينَ حفرْتُمْ مكانَ العَلَمْ ؟
عُيونُ الممالِكِ قد أحدَقَتْ ... بكم ، والمُؤَرِّخُ سَلَّ القَلَمْ !

***

---

(١) الأدم : ما يؤكل مع الخبز ليسيغه .

(٢) جاشت : ازدحمت وتضخم عدد سكانها ، والمزدحم : الازدحام .

(٣) الترهات : الأباطيل والأوهام .

(٤) في البيت إشارة إلى : ما كانت عليه مصر من الخلافات الحزبية قبل الثورة .

بطل الجلاء (١)

تحقق الاستقلال على يدى «جمال» ، ومن مفارقات القدر العجيبة : أن يعتدى على حياته الغالية فى الوقت الذى يستحق فيه إكليل الغار ؛ على ما أحرز من انتصار .

أَمَلٌ تحقَّقَ بعدَ طُول مِطالِهِ ... بُشْرَى الحمى بوثيقة استقلالِهِ

عيدَ الجلاءِ ، لأنْتَ يومُ النحر فى ... إحرامِهِ ، والفطرِ فى إحلالِهِ (٢)

حقَّقْتَ للوادى أعزَّ رجائِهِ ... وأتيْتَ بالمنشودِ من آمالِهِ

يومٌ حَنَى التاريخُ هامَتَهُ له ... واصطفَّت الأحقابُ لاستقبالِهِ

الثورةُ البيضاءُ شَعَّ بياضُها ... فى ظلمة الوادى شُعاع هلالِهِ (٣)

شبَّتْ ؛ فما احترقَتْ بها دارٌ ، ولا ... شِيبَتْ بَطْيف دم ، ولا بخيالِهِ

والعهْدُ بالثَّوْرَاتِ ناضحةً دمًا ... يحمرُّ وجه الأرض من سيَّالِهِ

العاهِلُ الْجبَّارُ ولَّى طائعًا ... متعثِّرَ القَدَمَيْن فى أَوْحالِهِ (٤)

والغاصِبُ المحتَلُّ سلَّم سيفَهُ ... ومضى لِطِيَّتِه بدون قتالِهِ (٥)

أقسمتُ ، ما كان الجلاءُ تبرُّعًا ... منه ، ولا التسليم من أفْضَالِهِ

---

(١) ألقيت هذه القطعة فى احتفال أقامه المعلمون بناديهم فى الجزيرة ، ابتهاجًا بعقد معاهدة الجلاء ونجاة الرئيس من الاعتداء على حياته الغالية .

(٢) المراد بالإحرام : لبس ملابس الإحرام للحج ، والمراد بالإحلال : إحلال الفطر بعد الصيام .

(٣) ثورة بيضاء : أى لم يصبغها الدم بلونه الأحمر .

(٤) العاهل الجبار : يراد به الملك الراحل .

(٥) الغاصب المحتل : يراد به الجيش الإنجليزى ، مضى لطيته : مضى لشأنه .

ليس العرينُ إلى الدماءِ بحاجةٍ ... حَسْبُ العرينِ الخوفُ من رئبالِهِ (١)

***

سَلِمَ الرئيسُ لمصرَ ! ماذا يبتغى ... مُغتالُهُ ؟ شلَّتْ يَدَا مُغْتالِهِ !

لُطْفُ الإلهِ ، وجيشُ مصرَ، وشعبُها ... مِن عن يمينِ رئيسِها ، وشِمالِهِ

أَفْنُوا الكنانَةَ ــ لا جمالاً وحدَهُ ــ ... إن شئتمو ؛ فالكلُّ من أمثالِهِ

قل للذى غَدَرَ الرئيسَ : غَدَرْتَ مَنْ ... ليس ارتكابُ الغدر بعضَ خصالِهِ

مَنْ صاوَلَ الجبَّارَ فوق سريره ... لا يغدِر الأحرارُ عندَ صيالِهِ (٢)

هذا فتًى حرٌّ ، يواجهُ خَصْمَهُ ... لم يَرْمِ خَصْمًا من وراء قَذَالِهِ (٣)

لم يدْعُ « آلَ محمدٍ » لوليمةٍ ... يومًا ، ويبرىَ هامَهُمْ بنصالِهِ (٤)

***

بطَلَ الجلاء ، رماك غرٌّ غافلٌ ... فتلَفَّتَتْ مصرٌ بقلبٍ والِهِ (٥)

وحسبتُ ماء النيل كاد يكفُّ عَنْ ... جَرَيَانه ، ويثورُ عذْبُ زُلالِهِ

لما نجوتَ، نجا الحمى من نكسةٍ ... تبقى بقاءَ الدهر فى أجيالِهِ

أيقالُ : شعبٌ عضَّ كفًّا حرَّرَتْ ... بالأمس هذا الشَّعْبَ من أغلالِهِ؟

أيقالُ: أردى النيلُ مُنقذَهُ الذى ... بَعَثَ الحياةَ تدِبُّ فى أوصالِهِ؟

---

(١) حسب العرين : كافيه، والمعنى : أن مجرد الخوف من بأس الأسد يمنع التعرض له ، ويكفيه شر الصراع ، وكذلك حدث عندما استولى الجيش على مقاليد الأمور .

(٢) الجبار : المراد به الملك الراحل .

(٣) قذاله : قفاه .

(٤) يشير إلى : قصة غدر محمد على باشا بالمماليك، وإلى : أن الرئيس لم يصنع بأسرته هذا الصنيع .

٢(٥) واله : حزين حزناً شديداً .

أيقـالُ: غــالَ النيـلَ ليثًـا صــانـه ... وحمى حمـاه ، وذادَ عن أشبـالِهِ؟
قالـوا: الرئيسُ نجا؛ فهلَّـل معشرٌ ... يَفْـديـه بـالمكتـوب مـن آجـالـهِ
قالوا: الرئيسُ نجـا؛ فكان لقولهمْ ... وقْعُ الأذان، وحُسْنُ صوت بلاَلِهِ (١)
أتعُـودُ مصرُ إلـى الـوراءِ بأهلِهـا ؟ ... ويسـودُ عهـدُ الـذُّلِ بعـد زوالِـهِ ؟
أيَّـامَ كـان الحُكْـمُ هَــمَّ عِصـابـةٍ ... بالروح تسمحُ فـى سبيل وصالِهِ (٢)
لا يحكمـون الشَّعبَ إلا بـالعَصَـا ... والسَّـوْط مُعْتـزِّيـن بـاستِـذْلالِـهِ
والغـاصـبُ المحتَـلُّ شِبُـهُ مُـؤَلَّـه ... فى مصرَ يرجُو الكـلُّ وصْلَ حبالِهِ (٣)
يتنـافسُـونَ علـى رضَــاهُ ، كـأنَّـه ... رَشَــأٌ يتيـهُ عليهمــو بـدلالِـه (٤)
والعــرْشُ بيــن خُمــارِهِ وقِمــارِهِ ... لاهٍ ، تَحُـفُّ به ذواتُ حِجـالِـهِ (٥)
أتعُـودُ مصــرُ ومـا حَـوَتْـهُ طُعْمَـةً ... للنـائب الحــرِّ الجـرىءِ وآلِـهِ ؟
لا وَزْنَ فيهــا للنُّبــوغَ ؛ وإنَّمــا ... يَـرْقَـى السعيدُ بعمِّـهِ وبخـالِـهِ ؟!
كـم نائبٍ حـرٍّ سُقينـا الشَّهْدَ من ... أقــوالِـهِ والسَّــمَّ مــن أفعـالِـهِ !
كـم هـاتـفٍ بحيـاة مصـرَ وإنمـا ... هــو تـاجــرٌ يَغْنيـهِ وفْـرَةُ مـالِـهِ
مـا كـان الاستقــلالُ مطلـبَ أمَّـةٍ ... بـل مَتْجَرٌ عكَفُـوا علـى استغلالِـهِ

***

أمعلِّمـى الــوادى، إذا حـدَّثْتُمُــو ... نَـشْءَ البـلاد الغَضَّ عـن أبطـالِـهِ
فلتــأخُـذُوا لهمــو جمـالاً قُــدْوَةً ... ولْتَضـربــوا الأمثـالَ بـاستِبْسَـالِـهِ
رجُـلٌ تحـدَّى مــن رمـاه بِصَـدْرِهِ ... مستهــزئًا بسهــامِــهِ ونبــالِــهِ

---

(١) بلال: هو مؤذن الرسول ﷺ .

(٢) يشير فى هذا البيت ــ وما بعده ـ إلى: تنافس الأحزاب فى العهـد البائد على تولى مقاليد الحكم .

(٣) كانت الوزارة تسقط أو تتولى بإشارة من السفير البريطانى .

(٤) الرشأ : الغزال .

(٥) الخمار : أثر الخمر فى رأس شاربها ، وذوات الحجال: كناية عن النساء .

رجلٌ تناثرتِ القذائفُ حولَهُ … مطَرًا ، فلم يقطَعْ سِيَاقَ مقالِهِ [1]

قولوا لنشْءِ النيل : هذا خادمٌ … لبلادِهِ، فانسِجْ على مِنْوالِهِ

***

بَطَلَ الجلاء، لأنْتَ فى هذا الحمى … عيسى الذى يقضى على دَجَّالِهِ [2]

علَّمتَنَا أنَّ الثباتَ تميمةٌ … فى الرَّوْعِ تُنجى المرْءَ من أغوالِهِ [3]

ما كان راميكَ الأثيمُ بطائشٍ … لكنْ ثباتُكَ كان سرَّ خَبالِهِ

ما أنتَ فى الوادى ؟ أبعضُ رجالِهِ … أم أنتَ بعض تلالِهِ وجبالِهِ ؟

***

أمعلمى الوادى، عليكُمْ واجبٌ … لم يَضْطَلعْ أسلافُكم بمثاله [4]

الجيشُ حرَّرَ مصرَ أجمعَها ، فمن … للعلم فى مصرٍ بِحَلِّ عِقَالِهِ؟

إنِّى لألْمَحُ الاحتلال مقنَّعًا … يتقَمَّصُ التعليمَ فى أشكالِهِ

فاستأصلوا من مصرَ ما غرسَتْ يَدَا … « دَنْلُوبَ » . حانتْ ساعةُ استئصاله [5]

العلمُ كان بمصرَ باباً مقفَلاً … فلْتنزِعُوا الأختامَ عن أقفالِهِ [6]

---

(١) حين اعتدى على الرئيس ، كان يخطب فى ميدان المنشية ، فلم يقطع حبل الكلام .

(٢) المراد بالدجل هنا : الدجل السياسى والاتجار باسم الوطنية ، والبيت يشير إلى : ما هو معروف من أن المسيخ الدجال يظهر فى آخر الزمان ، ثم يهبط المسيح عيسى ، فيقضى عليه .

(٣) التميمة : ما يعلق فى عنق الصبى من الرقى والتعاويذ لتحفظه ، والأغوال : جمع غول بمعنى الهلاك .

(٤) يعنى الشاعر ـ فى الأبيات المقبلة ـ أسلوب التعليم فى مصر ، وما كان عليه فى عهد الاحتلال .

(٥) « دنلوب » : هو المستشار الإنجليزى، الذى وضع أسس التعليم فى مصر على النحو الذى يتطلبه الاستعمار .

(٦) يشير الشاعر إلى : ضرر الحد من التعليم، وضرورة فتح بابه على مصراعيه .

العلـمُ أدركَــهُ الهُــزَالُ ، فنقِّبــوا — عـن سـرِّ شكـواه ، وسـرِّ هُـزالِـهِ

حـوكـوا لـه ثـوبًـا قشيبًـا ضـافيًـا — لا تـرفئُـوا ما رثَّ مـن أَسْمَـالِـهِ (١)

يـا راسميـنَ بكـلِّ يـومٍ خُطَّــةً — هـل آنَ للتعليـم حط رحـالِـهِ؟ (٢)

فـي كـل يـومٍ منهَـجٌ متخــاذلٌ — واهى الأساس يموتُ قبـلَ فِصَالِهِ (٣)

النـاشـئُ العـربـيُّ يجهـلُ دينَـهُ — ويحـارُ بيـن حـرامِـهِ وحـلالِـهِ

النـاشـئُ العـربـيُّ يجهـلُ أَصلَـهُ — بيـن الشعـوب ، فبصِّـروهُ بحـالِـهِ

لا يعـرفُ الشـرقَ الـذى يحيـا بـه — ومضـاربَ الأمثـال من أقْيَـالِـهِ (٤)

يشـدُو « بنا بُلْيـونَ » فـى زَهْوٍ ومـا — خَطَرَتْ حروبُ « ابنِ الـوليدِ » ببالِهِ

إنَّ الكنــانَــةَ يشتكــى أبنــاؤهــا — إذ يطلبون العيش ضِيقَ مَجالِهِ (٥)

صُوغُـوا لواديكم رجالاً ، واغـرِسُوا — حـبَّ الكِفـاح الحـرِّ فـى أطفـالِـهِ

رَبُّوا علـى الخُلُق الشَّبيبَـةَ واصقُلُوا — نَـزَعـاتِهـا ومُيـولَهـا بصِقـالِـهِ (٦)

ليـس المثَّقـفُ مـن تثقَّـفَ ذهْنُـهُ — وحجـاهُ دون طبـاعِـهِ وخـلالِـهِ

العالِـمُ الغاوى أشـدُّ على الحمـى — خطـراً ــ لعمـرُ الله ـ مـن جُهَّـالِـهِ

يـا طابعيـن النشء ، هـذا يومُكـمْ — عيـدُ الخـلاصِ أظلكـم بظـلالِـهِ

---

(١) لا ترفئوا : لا ترقعوا ، رث : بلى ، « أسمـال » : يراد بهـا ما بلـى من الثيـاب . والبيت يدعو إلى : التغيير الشامل بدل الترميم المستمر .

(٢) يعنى الشاعر كثرة وضع المناهج التى يتلو بعضها بعضاً دون أن تختمر .

(٣) الفصال : الرضاع .

(٤) الأقيال : جمع قيل وهو السيد العظيم .

(٥) يشير فى هذا البيت إلى : كساد سـوق المتعلمين ؛ لأن تعليمهم كان نظرياً أكثر منه عمليًا .

(٦) صقل السيف ونحوه : جلاه وأحسن إعداده .

أنتـمْ رجـاءُ النِّيـل فـى نَهَضـاتِـهِ — أنتم جـوابُ النِّيل عنـد سؤالِـهِ [1]

وشُعـاعُـهُ الفِضِّـىُّ فـى ظُلمـاتِـهِ — وشعـاعُهُ الـذهبـىُّ فـى آصالِـهِ [2]

أنتـم بنـوه النـاهضـون بكـلِّ مـا — يُعْيـى الجبالَ الشُّـمَّ مـن أحمالِـهِ

حسـبُ المعَّلـم : أنَّ كـلَّ مظفَّـرٍ — فـى جيشِ مصـرَ يُعَدُّ مـن أنجالِـهِ

---

(١) المراد: أن المعلمين ـ حين يدعو الوطن ـ رجاله يكونون فى المقدمة .

(٢) فـى البيت : تشبيـه المعلمين بنـور البدر تـارة وبنـور الشمـس تـارة أخـرى ، والآصال : جمع أصيل وهو الوقت قبيل الغروب .

صدى الجمهورية

عندما أعلنت الجمهورية فحلت محل الملكية المتعفنة .

يا بْيعـةَ الحقِّ والرِّضوانِ، تلـك يدى — الحُكْمُ للشَّعبِ بعدَ الواحد الصَّمدِ

قالـوا : غَدَتْ مصرُ جُمهوريَّةً ؛ فَسَرَى — مقالُهـم سَرَيـانَ البُرْءِ فـى الجسدِ

وقلـتُ : حقٌّ قـديـمٌ كان مُهْتَضَمًـا — الثَّـوْرَةُ انتـزَعَتْه مـن فـم الأسـد[1]

لا أعـرِفُ الفـردَ تَفْنَـى فيـه أمَّتُـهُ — طُرًّا فـإنْ يَهْوِ يَهْوِ الكُلُّ مـن صَعَدِ[2]

الفـردُ لَيس علـى شعـبٍ بمـؤتَمَـنٍ — فليحكُمْ الفردُ لكـنْ غيرَ منفرِدِ[3]

مـا كـلُّ والٍ تـولَّـى أُمَّـةً عُمَـرٌ — فتَّشْتُ عـن عمرٍ ثـانٍ ، فلم أَجِـدِ

لا يحسـب العرشُ أنَّ الشعـبَ خادمُـهُ — العرشُ ـ لولا سَوادُ الشعـب ـ لم يَسُدِ

ليـس الـولاةُ تمـاثيـلاً يُطـافُ بهـا — ولا القُنُـوتُ لغيـر الـواحِـد الأحـدِ

ولا الشعــوبُ بـآلاتٍ مُسخَّــرةٍ — لمـا يـريـدُ مـواليهـا ولـم تُـرِدِ

ولا العروشُ ـ عروشُ المُلْك ـ إن شَغَرَتْ — إرثًـا يـؤولُ إلـى بنـتٍ ولا ولـدِ[4]

كـم سَيْطَرَ الحُمْـقُ والنَّوْكَـى على بلـدٍ — إذا تُوُورِثَ عرشُ الحُكْمُ فى البلدِ[5]

---

(١) ليس المراد تشبيه الملك الراحل فى ذاته بالأسد ، بل شبهه الشاعر به لما يحيط به من مظاهر القوة والجبروت .

(٢) من صعد : أى أعلى .

(٣) يريـد : أن الفرد حين يحكم فـى الحكومة الجمهوريـة ليس منفردًا بالحكـم ؛ بل يشاركه فيه كل من انتخبه .

(٤) شغرت : خلت .

(٥) النوكى : جمع أنوك ؛ وهو : الأخرق الغبى .

للـرِّق قومٌ تمشَّـى الـرقُّ فى دمهِـمْ ... لا يصلُحُون لغير الطَّوْقِ والصَّفَدِ [(1)]

إنِّـى لأعجـبُ للأحـرار فـى وطـنٍ ... حرٍّ يـذِلُّونَ ذُلَّ العَيْـر والوَتِـدِ ! [(2)]

يَسْتـأجرون غـريبًـا عـن ديارهُمـو ... ليُعمِـلَ السَّـوْطَ فيهـم غيـرَ متَّئِـدِ

الأمـرُ مـا شاءَ أو شـاءتْ بطـانَتُـهُ ... وليـس للشَّعبِ غيـرُ الهَمِّ والكَمَـدِ

العيـبُ فـى ذاتـه كُفْـرٌ وكـل دَمٍ ... أراقَـهُ فَهْـوَ مطلُـولٌ بـلا قَـوَدِ [(3)]

هيهـاتَ تَسْمَـعُ أُذْنٌ أو يَـرَى بَصَـرٌ ... إيماءَ معتـرِضٍ أو همْسَ مُنتَقِـدِ !

الكـلُّ يثنـى علـى آلائِهِ كـذِبًـا ... ويُنشِىءُ المدحَ فيـه غيرَ مُعتقِدِ [(4)]

كم كنتُ أضحَكُ مـن نفسى وأُضحِكُها ... إذ أُلبسُ البُومَ ريشَ الطائرِ الغـرِدِ

كم قلـتُ للَّيل : أنتَ الصُّبحُ مـؤتلقًا ... وقلتُ للـذِّبِّ : أنت اللَّيـثُ ذو اللِّبدِ

أستغفرُ اللهَ ! ليس المَيْنُ من شِيَمى ... وليس شعرى سوى ما دار فى خَلَدِى [(5)]

لكنْ مـن المدح نُصْحٌ خـفَّ مَسمعُهُ ... علـى الطُّغاةِ وتـوجيـهٌ إلـى الرَّشَـدِ

كم مِنْ شحيحٍ تساخَتْ أوسَخَتْ يَدُهُ ... إن أنتَ شبَّهْتَـهُ بالبحـر ذى الزَّبَـدِ

***

(١) الصفد : القيد .

(٢) العير : الحمار ، والوتد معروف ، وبهما يضرب المثل فى الذل؛ قال الشاعر :

ولا يقيـم علـى ضيـم يـراد بـه ... إلا الأذلان: عيـر الحـى ، والـوتـد

هذا ـ على الخسف ـــ مربوط برمته ... وذا يشـج ، فـلا يـرثـى لـه أحـد !

(٣) الـدم المطول : هـو الذى لا ديـة له ، وقـولـه : بـلا قود بعـد ذلك تفسيـر لذلـك المعنى، والبيت ـ وما بعده ـ إشارة إلى : تقديس شخص الملك، ووضعـه فوق القـانون .

(٤) الآلاء : النعم .

(٥) يعتذر الشاعر ـــ فى هذه الأبيات ـ عن إطرائه للملك الـراحل ، وملخص عذره : أنه لم يكن يصفه بما هو فيه ، بل يصفه بما ينبغى أن يتصف به ؛ أى : أنه ينصحه ويلفت نظره إلى الجادة عن طريق حب مستساغ .

قالوا: اختفى المُلْكُ من مصرٍ، فقلتُ لهم:

بل اختفى الذُّلُّ من مصرٍ إلى الأبدِ

طال المَدَى، وهْيَ في الأغلال غَارِقَةٌ ... وعرشُها غارقٌ في نَشْوةٍ وَدَدِ (١)

وقام في مصرَ دُستورٌ؛ فما نَشِطَتْ ... مصرٌ، ولا أصلَحَ الدستور من أَوَدِ (٢)

إنَّ الأسيرَ أسيرٌ، حوْلَ أَخْمَصِهِ ... حبلٌ من الخزِّ، أو حبلٌ من المَسَدِ (٣)

أين الأُلَى بَشِموا والشَّعْبُ في سَغَبٍ

وأَتْرَعُوا الكأسَ تِلْوَ الكأسِ وهْوَ صَدِ؟ (٤)

ما للسماءِ وقد زالتْ عروشُهُمُو ... لم تبكِ حزنًا؟ وما للأرضِ لم تَمِدِ؟

العرشُ لو لاذ بالأفلاكِ تُسْنِدُهُ ... لم يَلْقَ مثلَ قلوب الشعبِ من سَنَدِ

***

قُلْ للبواسلِ من جيش الحمى: سَلِمَتْ ... أَيْدٍ أصبتُمْ بها الطُّغيانَ في الكَبِدِ

مَنْ ينخُرُ السوسُ نخرًا في نواجِذِه ... فلا دواءَ له أشْفَى من الدَّرَدِ (٥)

أصمَتْ سهامُكمو، لكنها سَقَطَتْ ... على فؤاد الحِمى أنْدَى من البَرَدِ (٦)

أثبتُّموا أنَّ في الوادي أُسودَ شرًى ... تقولُ في جُرْأةٍ للمستبدِّ: قَدِ (٧)

خُطُّوا على العدل والإنصاف دولتَكُم ... وشيِّدُوها من الشورى على عَمَدِ

---

(١) الدد: اللهو والطرب.

(٢) الأود: العوج.

(٣) الأخمص: القدم، الخز: الحرير، المسد: الليف. والمعنى: أن الدستور كان اسمًا يستتر خلفه الاستبداد، فكأن الشعب كان قبله مقيداً بحبل خشن، فأصبح بعده مقيداً بحبل ناعم الملمس.

(٤) بشموا: أتخموا من الشبع، سغب: جوع، أترعوا: ملئوا، صد: ظمآن.

(٥) النواجذ: الأسنان، والدرد: تساقط الأسنان.

(٦) أصمى السهم الفريسة: أى اخترقها، والبرد: ما يتساقط من السماء من المطر على شكل حبيبات صغيرة.

(٧) «قد»: اسم بمعنى كاف، والمعنى: حسبك ما فعلت؛ فقف عند هذا الحد.

وجنّبوا مصرَ أخطاءً لها سَلَفَتْ ... فإنما خطأُ الماضى صوابُ غدِ

***

جمالُ، حُمِّلتَ ما تعيا الجبالُ به ... فكنتَ أثبتَ من رضْوَى، ومن أُحُدِ [1]

نهضْتَ بالحكم فى عزم، وفى ثقةٍ ... حكمٌ أفاد الحمى منه، ولم تُفِدِ

لله درُّكَ من حرٍّ يزيِّنُه ... إيمانُ عبدٍ على الرحمن معتمِدِ !

هذا الذى صاول الجبّار فى نَفَرٍ ... من صحْبِه، لم تَضِرْهُمْ قلَّةُ العَدَدِ

هو الجوادُ بما فى كفّه، فإذا ... سألتَهُ درهمًا للشعب لم يَجُدِ [2]

قالوا: التقشُّفُ، والحرمان طَابَعُهُ ... فقلتُ: مَنْ يُرِد الإصلاحَ يقتصدِ

قالوا: تنكَّر للدُّستور، وانفردَتْ ... بالأمر شيعَتُهُ، قلنا: إلى أمَدِ

عذرًا؛ فلا مبضَعٌ إلاَّ لَهُ أَلَمٌ ... ولا دواءٌ حَلاَ فى حلْق مُزْدَرِدِ [3]

جمالُ، أدمى الطريقُ الحَزْنُ أرجلَنا ... فسرْ بنا فى الطريق اللاحِبِ الجدَدِ [4]

سُلَّ السخائمَ من بعض النفوس، فلا ... أضرَّ من خَصلتين: الحقدِ، والحسدِ [5]

وارفُقْ بجيلٍ قضى أيّامه شَظَفًا ... فبات يحلم بعد الضيق بالرَّغَدِ

ووحِّدِ الرأيَ، كم أزرى الخلافُ بنا ... لا يدركُ المجدَ شعبٌ غيرُ متَّحدِ !

ودرِّع الشعبَ إن خطبٌ ألم به ... درعًا من الخُلْق، لا درعًا من الزَّرَدِ

الدِّينُ أقوَمُ ما سُسْتَ الأمورَ به ... والعلمُ أفضلُ ما أعدَدْتَ من عُدَدِ

---

(١) رضوى وأحد: اسما جبلين ببلاد الحجاز.

(٢) درهما للشعب: أى درهما مملوكاً للشعب.

(٣) المبضع: سلاح الطبيب، وازدرد الشىء: ابتلعه. وهنا يلتمس الشاعر للثورة العذر فيما قد يبدو فى أعمالها من عنف، فيقول: إن العمليات الجراحية شاقة ولكنها محمودة العقبى.

(٤) الطريق الحزن: غير المعبد، والطريق اللاحب الجدد: عكسه.

(٥) السخائم: جمع سخيمة وهى الضغينة.

اليــومَ لا العِـرضُ فــى مصـرٍ بمنتهَــكٍ كلا ، ولا الحـرُّ فى مصـرٍ بمضطهَدِ

هذى حيـاضُ المنى ، يـا مصرُ ، متـرعةٌ[1] لا طَاب موردُها إن أنـتِ لم تردى

هيـا ؛ فقــد أرهَـفَ التــاريـخُ مِـرقَمـهُ[2] وراحَ يكتُـبُ عـن أيامِـكِ الجُـدُدِ

*****

(١) مترعة : ممتلئة .

(٢) المرقم : القلم .

عرش هوى

فى ٢٣ من يولية سنة ١٩٥٢م أحاط الجيش بالقصر ، وأرغم الملك على الاستقالة ثم الرحيل ؛ فبدأ فى مصر عهد جديد.

تكلَّمْ أيُّها القَدَرُ المُتَاحُ ... ولِلأَقْدَارِ أَلْسِنَةٌ فِصَاحُ

وحَدِّثْ عن نهاية كل باغٍ ... فإنَّ حديثك الحقُّ الصُّراحُ

بربِّك ، عِظْ جبابرةً إذا ما ... تراءى الواعظون لهم أشاحُوا[1]

ففى أحداثك الجُلَّى عظات ... لو اعتبر الطغاةُ بها استراحوا !

أحقًّا بات « رأس التين » حِلاً ... تطوِّقه الكتائبُ والسلاحُ ؟[2]

ومِنْ دون الوصول إليه كانتْ ... رُءُوسٌ فى الهواء بها يُطاحُ ؟

مغانِى المُلْكِ بات على ذُراها ... يَرِفُّ لكلِّ ناعبةٍ جناحُ[3]

وهامَ المالِكُونَ بكل أرضٍ ... وتلك قصورهم بقِيَتْ وراحوا

قصورٌ أوحَشَتْ من بعد أنسٍ ... فما لِسَنًا بساحتها لِيَاحُ[4]

وقد كانت يبارى النجمَ منها ... إذا جنَّ الدُّجى غُرَفٌ وسَاحُ

وكانت كعبةً يغدَى إليها ... بأفواجِ الرعيةِ ، أو يُراحُ[5]

---

(١) أشاحوا : أعرضوا .

(٢) حاصر الجيش أول ما حاصر قصر رأس التين ، وكان الملك الراحل يقيم به إذ ذاك .

(٣) مغانى : جمع مغنى بمعنى مسكن ، والطيور النواعب : نذر الخراب كالغراب والبوم .

(٤) السنا : الضوء ، ولياح : مصدر لاح .

(٥) فى قوله : « يغدى ويراح » إشارة إلى : أن الوفود كانت تساق سوقاً .

وكـان حجيجُهـا وفـدًا ، فـوفـدًا تضيقُ بهم ـ على سَعةٍ ـ « صَلاحُ »[1]

علـى عَتَبـاتهـا الهـامـاتُ تُحنَـى كمـا تُحنَـى من الطَّعـن الرمـاحُ

كـأن تـرابَهـا مسـكٌ ذكـيٌّ لـه فـي أنـف لاثمـه نُفَـاحُ[2]

سَلوا طيرَ الغُصُون « بعابـدين » : أطـال بـه على القصـر النُّـواح ؟

أم الأعـراس فـي الـوادى شجَتْـه فكـان لـه مـع الـوادى صُـداحُ؟

***

سـريـرُ المُلـكِ قـد أمسى خَـلاءً وقـد ذهَبـتْ بعـاهلـه الـريـاحُ

لئـنْ جزع السـريـرُ ، فَربَّ شَعْـبٍ بمصـرَ قـد استخـفَّ بـه المِـراحُ

سيـاجُ الْمُلـك تـدبيـرٌ ، وعـدلٌ ـ لعمـرك ـ لا مُقـامَـرَةٌ ، وراحُ

وحـاشيـةٌ تحُـفُّ بـهِ ثِقـاتٌ لهـم بـالعلـم والخُلُـق اتّشـاحُ

لهـم حـزمٌ ، وتجـربـةٌ ، ونُصْـحٌ وأعـراضٌ نقيَّـاتٌ صِحَـاحُ

وليس العـرشُ للحشراتِ ظـلاًّ ولا مِـنْ جنـدهِ الغيـد المِـلاحُ[3]

ولـنْ يَبقَـى علـى الأيـام مُلْـكٌ دمُ الأحْـرارِ فيـه يُستبـاحُ

ولا مَلـكٌ تعبَّـدَهُ هـواهُ ولـم يُكْبَـحْ لشهـوتِـهِ جِمـاحُ[4]

تظَـاهَـرَ بـالصلاح لنـاظريـه ومـن أخـلاقـه بَـرِيءَ الصَّـلاحُ

تُسـاقُ إليـه أمـوالُ الـرعـايـا وتُسْلَبُ بـاسمـه الأرْضُ البـراحُ[5]

---

(١) صلاح : اسم من أسماء مكة .

(٢) نفاح : أى رائحة ذكية .

(٣) يشير البيت إلى : الزعانف الذين كانوا يحفون بالعرش ، وإلى ما عرف عنه من نزوات طائشة .

(٤) تعبده : اتخذه عبداً .

(٥) البراح : الواسعة ، يشير إلى : ما اتجه إليه الملك الراحل من تنمية ثروته ؛ بالطرق المشروعة وغير المشروعة .

أَيَخْشَى الفقـرَ ذو عـرشٍ وتـاجٍ ... تَـدِيـنُ لـه الـروابـى والبطـاحُ ؟
وأقبحُ مـا ترى : عـرشٌ حـريضٌ ... وتـاجٌ لا يـزيِّنـه السَّمـاحُ
ولـن يُـرجَى لشعبٍ بـات فيه ... ولاةُ الأمـر تُجَّـاراً فـلاحُ[1]
إذا مـا فـاز بـالـدُّستور شَعـبٌ ... فَسَـل عنـه : أجـدٌّ أم مُـزاحُ؟
فمـا الـدستـور إلا عنـد قـومٍ ... إذا جـار الملوك عليـه صـاحـوا[2]
مضى الـزَّمـنُ الذى مـا كـان فيه ... علـى الأمـلاك إن ظلمـوا جُناحُ[3]
فـلا مِلـكٌ تنـاسـلَ مـن « أمـونٍ » ... ولا عـرشٌ يبـاركُـهُ « فِتـاحُ »[4]

***

حُمـاةَ النيـل ، أحـرزتُـم لمصر ... نجـاحـاً لا يضـارعُـه نجـاحُ
قـد اجتحتـم بثـورتكـم شـروراً ... ومـا للشَّـرِّ إلا الاجتيـاحُ
تَهلَّلَـت العُـروبـةُ يـوم ثُـرتُـمْ ... كـأنَّ العُـرْبَ أدركهـمْ « صَـلاَحُ »[5]
ومـا كـالظُّلـمُ للثَّـورَاتِ زادٌ ... ولا مثـلُ الفسـاد لهـا لِقـاحُ[6]
وكيـف يكـافـحُ الأعـداءَ شعـبٌ ... وبيـن الشعب والعـرش الكفـاحُ؟[7]

---

(١) « فلاح » : نائب فاعل « يرجى » .

(٢) يريد أن الدستور لا تقوم له قائمة ما لم يكن له سند من وعى الشعب .

(٣) جناح : أى إثم .

(٤) « أمون وفتـاح » : من آلهـة قدمـاء المصريـين ، وكان الملـوك ينسبون أنفسهـم إليهم ؛ لتتسم كل أفعالهم بالقدسية .

(٥) « صلاح » : هو صلاح الدين الأيوبى .

(٦) لقاح : أى إخصـاب وتوالـد كناية عـن الكثرة ، يريـد : أن الظلم يخلـق الثورة ، ويمد نارها بالوقود .

(٧) يريد : أن الشعـب الذى يشتغل بحرب حكـامه لا يستطيـع أن يدفـع مغيراً على أرضـه .

معــاركُ بــالثبـات كسبتمــوهــا ... ولــم تُطْلَـقْ بسـاحتهـا قـدَاحُ[1]

ولا ســالــتْ علــى أرضٍ دِمــاءٌ ... ولا احمـرَّت مـن العَلَـقِ الصِّفـاحُ[2]

بـدأتـمْ أمـرَها همسًـا ؛ فـأمسَـتْ ... علــى شَفَـةِ الـزمــان بهـا يُبـاحُ

شفْيتـمْ مصـرَ مـن قُـرح قـديـم ... يُعـافُ لأجلـهِ المـاءُ القَـراح[3]

ألاَ ، فـاليـومَ كـلُّ عسيـرِ أمـر ... يَهــونُ ، وكــلُّ إصــلاحٍ يُتــاحُ

إذا السرطـانُ فـارقَ قلـب شـاكٍ ... فليـس يَضيـر نــاجـذَهُ القُـلاَحُ ؟[4]

حُمـاة النيـل ، مـن لِعثـار شعـب ... إذا هــو قـام أقعــدهُ الكُســاحُ ؟

بـــه مُستـــوزرون إذا وَلُـــوه ... فمـا للشعـب بـل لهـم الـرَّبـاح[5]

تِجَـارُ سيـاسـةٍ ، وهُـواةُ حكـم ... بـأحشـاءِ الحمِـى منهـم جِـرَاحُ[6]

تَـولَّـوا أمـرَهُ حِـزبًـا فحـزبًـا ... فــأُطلِـقَ للفســادِ بـهِ السـرَاحُ

إذا استلمـوا زمـام الأمـر ، عـاثـوا ... وإن حُـرمُـوا زمامَ الأمـر ، نـاحـوا[7]

يفـرِّقهـمْ علـى الحُكـم اختصَـامٌ ... ويَجْمَعُهم على الحكـم اصطلاحُ[8]

دَعُــوا أمــرَ البــلاد يليــه قــومٌ ... لهـــم ذمـــمٌ مطهَّـــرة ، وراحُ[9]

---

(١) القداح : جمع قدح وهو السهم ، يشير إلى : أن الثورة كانت بيضاء لم ترق فيها دماء .

(٢) العلق : الدم المتجمد ، والصفاح : السيوف .

(٣) الماء القراح : أى الصافى العذب .

(٤) القلاح : صدأ يعترى الأسنان ، يريد : أن الداء الأعظم قد انحسم ؛ فكل داء بعده هين .

(٥) مستوزرون : أى طلاب وزارة ، والرباح : الربح .

(٦) تجار : جمع تجر وتجر جمع تاجر .

(٧) عاثوا : أفسدوا .

(٨) يشير إلى : ما كانت تسلكه الأحزاب قديماً من التناحر على ولاية الحكم أحياناً ، وتقسيم المقاعد الوزارية بينهم أحياناً أخرى .

(٩) أى : راح مطهرة أيضاً ، والراح : جمع راحة وهى الكف .

جيـادٌ إن دُعُـوا للبـذل ، لكـن ... بـأمـوال البـلاد همـو شِحـاحُ
إذا فـاض الثـراء بمصـرَ ، غـابـوا ... وإن نـزل البـلاءُ بمصـرَ ، لاحـوا
خطَـوْنـا الخُطْـوَةَ الأولـى بمصـر ... وتتلـوهـا بمصـر خُطًـا فِسَـاحُ
وأُلغَيـتِ الفـروقُ ؛ فـلا وِسـامٌ ... تُـزَانُ بـه الصـدورُ ، ولا وِشـاحُ[1]
تعـالـى الله ! صـار لمصـرَ وعـيٌ ... وآذنَ ليلُهـا ، وبـدا الصبـاحُ ![2]

---

(١) يشير إلـى : ما شـرعته الثـورة ـ عقـب القبض علـى نواصـى الأمور ـ من إلغـاء الألقاب .

(٢) آذن الليل : أى أوشك أن ينجلى .

إلى القائد المظفر

قامت الثورة ، فتحرك الوصوليون تحرك الأفاعى من أوكارها ؛ ليستغلوا العهد الجديد ، كما استغلوا العهد القديم .

أَقدِمْ ؛ فإنِّى أرى الإقدامَ قد وَجَبَا ... لا يحسِبُ الليثُ حُسبانًا إذا وَثَبَا

أَجهزْ على الداء ، أجهزْ غيرَ متَّئِدٍ ... إنَّا صبرْنا على آلامه حِقَبَا[1]

لا يُنْضِجُ الجمرُ إلا وهْوَ ملتهبٌ ... فإنْ صبرتَ على هذا اللهيبِ خَبَا

ما كلَّ يوم نرى عَرْشًا يُطاحُ به ... أو ثورةً نشِبَتْ ، أو عهداً انقلَبَا

جمالُ ، سيفُكَ يُرضى الحقَّ جوهرُهُ ... فى الحقِّ ما قرَّ فى الأغْماد ، أو ضَرَبَا

جرِّدْه ، جرِّدْ ؛ فإنَّ المَشْرَفىَّ إذا ... طالَ الزمانُ عليه فى القراب ، نَبَا[2]

أغمدْتَ سيفَكَ حينًا ؛ فانبرى نَفَرٌ ... يدبِّرُ الفتنَ الهوجاءَ والشَّغَبَا

إنِّى أرى معشراً بالنار قد لعبوا ... فلْيحترقْ بلظاها مَنْ بها لعِبَا

قَلِّمْ أظافرَ أيدٍ غيرِ طاهرةٍ ... بعد انتصارك مُدَّتْ تَجْمعُ السَّلَبا

تفاقَمَ الشرُّ؛ فابحثْ عن منابتِهِ ... لا تبقِيَنَّ له رأسًا ولا ذَنَبا[3]

مَنْ قام يُنشِىءُ شعبًا ، لا يُصيخُ إلى ... كلِّ امرىءٍ قال ، أو كلِّ امرىءٍ كَتَبَا

ما أفْلَتَ الرُّسْلُ من نقدٍ ، ولا سلِموا ... من لائمٍ لامَ ، أو من عاتبٍ عَتَبَا

لا تَأخذنَّكَ فى الإصلاحِ تَنْشُدُهُ ... هَوَادةٌ ، رُبَّ ريْثٍ يُورثُ العَطَبَا[4]

إذا حسبْتَ ، فلا تُرْخِ العِنانَ ؛ فقدْ ... يُضَيِّعُ الأمرَ من يُمناهُ من حَسِبَا[5]

---

(١) أجهز على الجريح ونحوه : عجل بموته ، والمتئد : المتأنى .

(٢) المشرفى : السيف .

(٣) تفاقم : تزايد واستفحل .

(٤) تنشده : تطلبه ، هوادة : أى تراخ ، والريث : التأنى .

(٥) إرخاء العنان : كناية عن التساهل .

واستَفْتِ قلبَكَ فيما أنتَ فاعلُهُ … ما دُمتَ تَرْعَى الحمى، والحقَّ، والحَسَبَا

متى ضمِنْتَ رضاءَ الله عنك، فلا … تُبالِ بعد رضاءِ الله مَن غَضِبا

لا تستشِرْ ساسةً فى بحثهم غرِقُوا … وشاور السَّيفَ، أو قُوَّادَكَ النُّجُبا[1]

لو ناقَشَ القومُ ضوءَ الشمس، لاختلفوا … حتى تشتَّت فيه الرأىُ وانشعبا

قل للذين أطالوا البحْثَ: حسبُكُمو … مساجلاتٍ، ضَعُو الأقْلاَمَ والكُتُبَا[2]

لاتُسْهبوا القولَ؛ إن الوقتَ من ذهبٍ … كم استمعْنا بدار الندوة الخُطَبَا[3]

لا تبكينَّ على الدُّستور شِرذِمَةٌ … جرى على وجنتيها دمعُها كَذِبا[4]

لا باركَ اللهُ فى الدُّستور إن سُبكتْ … بُنودُه فى جيوب المُرتَشِى ذَهَبا[5]

فليبْكِ فى مأتمِ الدُّستور من سمحَتْ … بالدمع عيناه، وليندُبْه مَن نَدَبا!

يا طالما عَبَرُوا الفلاَّحَ قنطرةً … وصيَّروه إلى أطماعهم سَبَبَا

كم أحْرَزُوا باسمه جاهًا، وليس له … جاهٌ، وكم كَسَبُوا مالا، وما كسَبَا!

كم رصَّعَ الأرضَ ياقوتًا لمالِكِها … فراحَ يأبَى عليه القوتَ إن طَلَبَا

يا حاملَ الفأسِ، إن الشمسَ قد طَلَعَتْ … أمَا ترى ضوءَها من كوخك اقتربا؟

ما عاد ليْلكَ يشكو السُّهْدَ دامسُهُ … ولا نهارُك يشكو الكَدَّ والنَّصَبَا[6]

لقد دَعوْتَ؛ فما ضاعَ الدعاءُ سدًى … لكنه اخترَقَ الأستارَ والحُجُبَا

---

(١) يشير هذا البيت ـ وما بعده ـ إلى ما ثار من جدل عقيم حول مشروعات الثورة، كقانون الإصلاح الزراعى وغيره.

(٢) المساجلات: المناقشات وما فيها من أخذ ورد.

(٣) يريد: ما كان يلقى تحت قبة البرلمان فى العهد البائد من خطب جوفاء.

(٤) شرذمة: طائفة. ليس الشاعر عدو الدستور، ولكنه ينعى على العهد البائد اتخاذه مقاعد الحكم مغنما ومتجراً، فهو يريد دستوراً سليما، ولو بعد حين.

(٥) يريد: أن الدستور اتخذ متجراً، فكأن مواده استحالت فى بعض الأيدى المنتفعة ذهباً.

(٦) الليل الدامس: هو الحالك الظلمة.

قـد حقَّـقَ الجيــشُ للفـلاَّح أُمْنيَـةً ... بـل ردَّ مــن حقِّـه مـا كــان مغْتَصَبَـا

أيشــربُ الـراحَ أقــوامٌ مشَعْشعَــةً ... وغيرُهُم يشربُ المِكروبَ إن شَرِبَا؟[1]

لو أنصفَ الناسُ، ما مات امرؤٌ بشَمًا ... من الطعـام ، ولا مات امـرؤٌ سَغَبَا[2]

---

(١) مشعشعة : مخلـوطة بالماء ونحـوه ، والمراد بشرب « الميكروب » : شـرب الماء المحتوى عليه .

(٢) البشم : التخمة ، والسغب : الجوع .

صورة جمال

كتبها الشاعر على إحدى صور الرئيس .

جمالُ ، رسُمك فى لوح نقشْناهُ لكنَّ صاحبَه فى الصدر مأواهُ
للحقِّ نور تجلَّى حولَ جبهتِهِ وللذكاءِ شُعاعٌ فى مُحَيَّاهُ
إنْ لاح للنيل ، حيَّتْهُ الشواطئُ ، أو للصخر من جانب الأهرامِ ، حيَّاهُ
إنَّ العروبةَ تدرى أنَّ صاحبَهُ يَرْعَى حِماها وعينُ اللهِ ترعاهُ
رسمٌ ترى الشَّرقَ طرًّا فى ملامحه : الشرقُ لفظٌ ، وهذا الرسمُ معناهُ !

الملك الرضيع

نودى بالطفل أحمد فؤاد ملكاً ، ثم خلع الطفل أحمد فؤاد !

لنا مَلِكٌ سامى المقامِ رفيعُ تبوَّأَ دَسْتَ المُلْكِ وهْوَ رضِيعُ[1]
أُقيمَ له عرشٌ ، وزُلْزِلَ عرشُهُ ولم يمْضِ فى الدنيا عليه ربيعُ ![2]
فما طابَ بالسُّلطان نفسًا ، ولا بكى عليه بدمع العين وهْوَ يضيعُ
ولم يدْرِ يومًا أنَّه صار عاهلاً ولا أنَّه قد بات وهْوَ خليعُ
عفا الله عن شَعْب وديعٍ مسالمٍ يلى أمرَه أطفالُه فيطيعُ ![3]
توارثَنا الأطفالُ ، حتى كأننا - لعمرى - بسوق السائمات قطيعُ ![4]

---

(١) الدست : العرش ، وسياق البيت يتضح منه التهكم .
(٢) يطلق الربيع ويراد به العام كله .
(٣) يعنى الشاعر - فى هذا البيت - على الشعوب التى تخضع لقوانين وراثة العرش .
(٤) السائمات : الماشية .

حرب القناة

بعد الانسحاب المزرى من مدينة بورسعيد الباسلة ، وفشل العدوان الثلاثى .

وَقَى اللهُ البسيطةَ من دمارِ ... وصانَ المشرقين من انفجارِ

وَقَى اللهُ الحضارةَ من زوالٍ ... وصان الآدميَّةَ من بَوارِ

وقى الله الرواسىَ شرَّ حربٍ ... تُحَوِّلُها رُكامًا من غبار[1]

وقى اللهُ الزواخرَ شرّ حربٍ ... تُحولُها سحابًا من بُخار[2]

تطلَّعت النجومُ بعين ولْهَى ... إلى أختٍ وشيكةَ الانهيار[3]

تعالى الله ! كان العلُم نوراً ... فصار لظًى شديدةَ الاستعار[4]

وصار الناسُ فى الدنيا فَراشًا ... يُحوِّمُ سربُه حولَ الشَّرارِ

***

تناسى الناس « نيرونًا » ورُومًا ... بمن قَذَفَ الورى بشُواظِ نار[5]

بمَنْ أمسى يجدِّف وهو لاهٍ ... بنهر من دم الأحرارِ جارِ

وتُطربُهُ الدماءُ إذا أُريقَتْ ... كما طَرِبَ الندامى بالعُقَارِ[6]

---

(١) الرواسى : الجبال ، ركاما : طبقات بعضها فوق بعض .

(٢) الزواخر : البحار . لاحظ الشاعر فى الأبيات السابقة أن هذه الحرب كادت تكون عالمية تستخدم فيها القنابل الذرية والهيدروجينية .

(٣) ولهى : شديدة الحسرة ، والأخت المراد بها : الأرض على اعتبار أنها أحد الكواكب .

(٤) لاحظ الشاعر أن هذه المدمرات الحديثة الفتاكة من صنع العلماء .

(٥) يشير الشاعر إلى : أسطورة حرق نيرون لمدينة روما ، ويشبه « إيدن » مشعل هذه الحرب بنيرون .

(٦) العقار : الخمر .

لَهَا بالحرب « إِيدنُ » ؛ فاستطارَتْ فصفَّــقَ للَّهيــب المُستَطــارِ
وكــادَ أُوارُهــا يمتــدُّ حتــى يُهــدِّدَ قبّــةَ الفَلَــكِ المُــدارِ (١)
فلولا صيْحةٌ من غـاب «موسكو » ولــولا وقفَــةٌ لبنــى نــزارِ (٢)
ولـولا نخْـوةٌ مـن « بـور سعيـدٍ » لـزيَّنَ رأسَ « إيـدنَ » تاجُ غـارِ (٣)
ودكَّ الأرضَ إســرافيــلُ دكّــا ومات النـاس من غيـر احتضارِ (٤)

***

ألم تَـرَ « بور سعيـد » غداةَ قـامتْ تَصُـدُّ هجـومَ سيِّـدة البحـارِ؟ (٥)
وجيشُ « السين » يزحَفُ عن يمينٍ وإسـرائيل تحجِلُ عن يسـارِ؟ (٦)
وقــال القــومُ : يــومٌ أو نهــارٌ فكـان الـدهر فـى هـذا النَّهَـارِ (٧)
وقالـوا : نزهـةٌ فى البحـر ، قلنا : نعــمْ ، لكـنْ تقـودُ إلـى القـرارِ

***

فكـم جسـدٍ غـدا قـوتًـا لحـوتٍ وكــم رأسٍ تــدحــرَجَ فــى مَطَـارِ
ومـا أغنـى عـن الثـالـوثِ جيشٌ كــأنَّ جنودَهُ رمــلُ الصَّحــارِى (٨)

---

(١) الأوار : الشرار .
(٢) المراد بالصيحة : الإنذار الروسى الموجه إلى الدول المعتدية ، والمراد ببنى نزار: العرب .
(٣) المصراع الثانى : كناية عن انتصار « إيدن » .
(٤) فى البيت : إشارة إلـى ما ورد فى الكتب السماوية من أن القيامـة تقوم حين ينفخ إسرافيل فى الصور .
(٥) سيدة البحار : كناية عن إنجلترة .
(٦) جيش السين : كناية عن فرنسا ، والتعبير « بتحجل » : يتضمن تشبيهاً لإسرائيل بالغراب .
(٧) كان الغازون لا يشكّون فى النصر السريع ؛ لعدم تكافؤ القوتين .
(٨) المراد بالثالوث : الأعداء الثلاثة : إنجلترة ، وفرنسا ، وإسرائيل .

ولا أغناه أسطولٌ عريضٌ ... يصابُ البحرُ منه بالدُّوارِ
ولا أغناه سربٌ بعد سرب ... يصُكُّ أزيزُه سمْعَ الدرارى[1]
أَتَوْا كالأُسْد إقدامًا، وفرُّوا ... وهم مثلُ النَّعامة فى الفِرار
دَمُ الذُّؤْبان دنَّسَ أرضَ مصرٍ ... وعطَّرها دمُ الأُسْدِ الضَّوارى
تَلاَقى الأحمرانِ : دمٌ خبيثٌ ... وآخَرُ نفحُهُ نفحُ العَمَارِ[2]
فهذا سالَ ممزوجًا بمسكٍ ... وذلِكَ سال ممزوجًا بقارِ![3]
وذاكَ مِدادُ أَمجادٍ، وهذا ... مدادُ صحيفَتَىْ : خزيٍ، وعارِ!

***

لعمرُكَ، لم تَعُدْ مصرٌ تباهى ... بطيب الأصلِ، أو كرمِ النِّجارِ[4]
سَنكْسُو كلَّ فرعونٍ قديم ... بحاضرنا ثيابًا من فخارِ
لقد صار السلاحُ بمصرَ لهواً ... وتسليةً لأطفالٍ صغارِ
فلا يرْمى بها كُرَةً وليدٌ ... ولكنْ لعبُهُ رمىُ الجمارِ
وصار المدفَعُ الرَّشَّاشُ أشْهَى ... إلى أيدى الحِسَانِ من السِّوارِ
وزانَ الخِنْجَرُ الماضى بنَانًا ... تزيَّنَ بالعقيق وبالنُّضَارِ[5]
فكم كفٍّ مخضَّبةٍ كساها ... دمُ الأعْداءِ صبغةَ الاحمرارِ
وكم قرويَّةٍ حملتْ سلاحًا ... وما اعتادَتْ سوى حملِ الجِرارِ

***

---

(١) الدرارى : النجوم . والمصراع الثانى كناية عن : كثرة الطائرات المغيرة ؛ أى : أنها بلغت من كثرتها أن أزيزها أزعج النجوم .
(٢) العمار : نبت طيب الرائحة .
(٣) القار : « الزفت » .
(٤) النجار : الأصل والحسب .
(٥) النضار : الذهب .

إذا ما السلمُ رَفَّ ندًى وظلاً … فليس لنا سِواه مِنْ شِعارِ

فإن جارَتْ علينا الشُّهْبُ يومًا … فنحنُ الذَّائدون عن الذِّمَارِ [1]

أخا « التَّاميزِ »، فيمَ قدِمْتَ مصرًا ؟ … وما سرُّ الخِداع والائْتِمارِ ؟[2]

وفيمَ ذهبْتَ تَسْتَعْدِى عليها ؟ … أتلك شهامةُ الدُّوَل الكِبارِ ؟[3]

أخفتُمْ بأسَ مصرَ وقد رميتُمْ … « بنابليون » فى ذلِّ الإسَارِ ؟[4]

أخفتُمْ بأْسَ مصرَ وقد كسَرْتُم … « لهتلر » جيشَهُ أىَّ انكسارِ ؟ [5]

كذبتم ! ما كسَبْتُم أىَّ حربٍ … ولا أحرزتُمُو طيف انتصارِ

ولكنْ خَلْفَ غيركم اسْتَتَرْتُمْ … وقاتلتم بجاهٍ مُستعارِ [6]

كشفنا الدولةَ العظمى ؛ فبانَتْ … وبانَ الضَّعْفُ من خلفِ الستارِ

هجمتَ كأنَّ أهلَك من قديم … لهم عند الكنانة ألفُ ثارِ

فما لبثت حُشُودُك أن تولَّتْ … مشيَّعَةً بلعنةِ الاحتقارِ

فسبحانَ الذى أجلاك عنها … وأنزلَكَ الجزيرة فى صَغارِ ![7]

ولم ترحَلْ للاستجمام، لكن … هو الممسوسُ يوضعُ فى حِصارِ[8]

---

(١) الذمار : ما يجب الدفاع عنه كالوطن والعرض وما إلى ذلك .

(٢) أخو التاميز : هو إيدن ، والمراد بالخداع والائتمار : تدبير هذه الحملة سراً مع الدولتين الأخريين .

(٣) استعدى فلان فلاناً على فلان أى استعان به عليه .

(٤) كانت هزيمة نابليون على يد إنجلترا فى موقعة «واترلو» .

(٥) كانت هزيمة الألمان فى الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء ومنهم إنجلترا .

(٦) المعروف عن الإنجليز أنهم لا يدخلون الحرب إلا فى اللحظة الأخيرة .

(٧) الجزيرة : هى جزيرة « جامايكا » وقد رحل إليها « إيدن » بحجة الاستجمام بعد أن استقال .

(٨) الممسوس : من أصابه مس من الجن .

أمِـنْ أجـل القنـاة تثـورُ طفْـلاً؟ لحـاك اللهُ مــن طفــلٍ مُثـارِ ! [1]

عجبنـا : كيـف ثُرْتَ وأنـت تُنْمَـى إلـى شعـب لـه صبرُ الحمـارِ؟ ! [2]

ومـا لـك والقنـاةَ تـذُودُ عنهـا ؟ متــى ذاد الغــرابُ عــن الثِّمــارِ؟

عــلامَ يلــومُ « هتْلــر » لائمـوه وأنــت أحــقُّ منــهُ بـالانتحـارِ؟ [3]

بسيِّـدةِ البحـار نَـزلْـتَ تهـوِى إلـى أن أصبحـتْ إحـدى الجـوارى

بــلادٌ لا تغيــبُ الشمــسُ عنهـا تنــاثَــرَ عِقــدُهــا أيَّ انتشــارِ

ومــا الـدُّولاتُ غيــرَ نجـومِ أفْـقٍ تحلَّــق ثــم تـأخُـذُ فــى انحـدارِ

رشيــدٌ أسلَمتْــكَ «لبُــرْسَعِيــد » فسرْتَ مـن انـدحـارٍ لانـدحـارِ [4]

حلفْــتُ ، لتُنْقِـذَنَّ الشـرقَ منكـم بـــلاد أنْقَــذَتْــهُ مـــن التَّتــارِ [5]

---

(١) كانت هذه الحرب كلها من جراء تأميم قناة السويس .

(٢) تنمى : تنسب . والبرود السكسونى مضرب المثل .

(٣) مات « هتلر » منتحراً عقب هزيمته ، فالشاعر يقول له : لم لا يكون مصيرك كمصيره والهزيمة واحدة ؟

(٤) يشير الشاعر إلى : موقعة رشيد فى القرن التاسع عشر التى انهزم فيها الأسطول الإنجليزى أمام المصريين فى موقعة رشيد .

(٥) يريد بهذه البلاد : مصر التى أنقذت الشرق كله من غارة التتار فى موقعة « عين جالوت » ، بعد أن اجتاحوا بغداد وأتوا على الدولة العباسية .

مصر تناجي المعلمين

طلبت وازارة التربية هذه القطعة ؛ لتغنيها إحدى المطربات ، فى مهرجان أقامه المعلمون ؛ احتفالا بعيد الجلاء

يا مُنبتين رياضَ العلم فى الوادى ... وحاملين لـواءَ الـدِّين والضـادِ
يا مُطلعيـنَ شُموسى من مَشَـارِقِها ... وبـاعثيـنَ القُـوَى فـى عَـزْمِ آسـادِى
اللهُ يعلُـم هـذا العيـدُ عيـدُكمـو ... مـن لحنِكـم نَغمـى فيـه وإنشـادى
اللهُ يعلُـم كـم كـانـت مبـادئُكُـم ... مثْلَ المعـاولِ فى تحطيم أصفادى! (١)
سبعونَ عـامًا وأنتُـم تطبعون علـى ... حـبِّ الحمـى وإبـاء الضَّيْـم أولادى
إن قمتُ أشكُر أجنـادى ، فإنكمو ... فى كـل حربٍ وسلمٍ بعـضُ أجنادى
وإن هتفـتُ لقوادى الإبـاةِ ، فلـنْ ... أنسـى الألـى نفخوا فـى روح قـوَّادى

***

ردُّوا علـىّ ثقـافـاتـى ، ومعـرفتـى ... كما أَعـادَ كُماةُ الجيش أمجادى (٢)
هيهات ماعينُ شمسٍ ، ما معاهُدها؟ ... مـا عهـدُ هـرونَ وابنْيـه ببغـدادِ ؟ (٣)
أريُـدها ثـورةً فـى العلـم ، جارفـةً ... يشِـعُّ فى كـل شـرقٍ نـورُها الهـادى
تحمى السَّلامَ إذا سادَ السلامُ ، فإنْ ... ريـع الحمـى ، زلزلَـتْ أَركـانَ أَطـوادِ

***

---

(١) المعول : آلة الهدم ، والصفد : القيد .

(٢) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع .

(٣) الاستفهام ـ هنـا ـ للتقليل ؛ أى : لا أرضى بـأن تعيدوا لى جامعـة عين شمس ، وعصور : الرشيد ، والأمين ، والمأمون الذهبية . والبقية فى البيت التالى .

اليومَ : يَفتتِحَ التاريخ لى ولكُمْ سِفْرًا جديدًا ؛ فهذا يومُ ميلادى
اليومَ : يدركُ سحرَ النيل ساكنُهُ ويرتوى من حُمَيَّا مائه الصَّادى [1]
وهل يُحسُّ بدار الخُلْدِ مهتَضَمٌ طعْمًا لماءٍ بدار الخُلْدِ أو زادِ ؟
واللهِ، ما فى الحمى المغصوب من رَغَدٍ حتى يردَّ بنوه صوْلَةَ العادى
جمال ، مازلتَ تحدُو الركب خلفك من نصر لآخر ، عاش الركبُ والحادى!
عيدُ الجلاءِ يحيِّى فيك فارسَهُ لله عيدٌ به توَّجْتَ أعيادِى!

من وحى السد

أنشأها الشاعر عندما بدأ العمل فى السد العالى ،
وقد منحها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب
« الميدالية » الذهبية !

على أساسين من : عزمٍ وإيمانِ نَبْنيهِ ، لا من : جَرانيتٍ وصَوَّانِ
مَا كالْيقينِ ولا كالعزْمِ إنْ صَدَقَا مُخَطِّطٌ فوقَ ظهر الأرض أو بَانِ
إن الأُلى رفعوا الأهرامَ شامخةً هيهاتَ يُعجزُهم إنشاءُ خَزَّانِ! [2]
أَطَلَّ من قبره فرعَوْنُ مبتسمًا وقال : إنَّ جمالاً تَوْءَمى الثانى [3]
فقلتُ : شتَّانَ يومَ الفخرِ بينهما فما هما فى مجال الفخرِ سِيَّانِ

---

(١) الحميا : الخمر ، الصادى : الظامىء .
(٢) يشير هذا البيت ـ كما تشير أبيات أخرى فى القصيدة ـ إلى ضن أمريكا بالقرض المالى مساعدة على إنشائه .
(٣) يقال : هما توءمان ؛ أى مولودان معاً .

بنى الحياةَ جمالٌ والرخاءَ معًا ... لكنَّ « خوفو » بنى قبرًا لجُثمانِ

مَنْ أَطلقَ النِّيلَ أَمْسى وهْوَ يحبِسهُ ... جمالُ، يثنى عليكَ المُطلَقُ العانى[1]

يا بانىَ السَّدِّ، قد فنَّدتَ ما زعموا ... بالأمس عن مصرَ من إفكٍ وبهْتانِ[2]

أَقسمتُ، لم تَبْتَنِ الخزَّانَ منفردًا ... بل الكرامةَ والخزَّانَ فى آنِ[3]

هيهاتَ يُعجزُكَ البنيانُ من حَجَرٍ ... وأنت بنَّاءُ دَوْلَاتٍ وأَوطانِ!

أَسسْتَ سدًّا به كانت معلَّقةً ... كرامةُ العُرْب من أَبناءِ عدنانِ

خلْنا جنادَله الصَّمَّاءَ أَلْسنَةً ... تَشْدُو بذكرك فى سِرٍّ وإعلانِ

لأنتَ فى كلِّ حرْب سيفُ معركةٍ ... وأَنتَ فى كلِّ سِلمٍ كفُّ عُمْرانِ

فلْيسمع الغربُ إن كانت له أُذُنٌ ... وليُبصر الغربُ. هل للغرب عينانِ ؟

أقسمتُ، أَنَّ البراكينَ التى انفجَرَتْ ... فى الصخر كانت لها رنَّاتُ أَلْحانِ[4]

ما أَعْوَلَ الصخرُ، لكنْ قد شدا طَرَبًا ... كما شدا الطيرُ فوقَ الأيك والبانِ

***

قد كان يشكوك صادِينا وغارقُنَا ... يا نيلُ. حلاك فى واديك ضِدَّانِ ![5]

ما عدتَ، يا نيلُ، بعد اليوم تُظمئُنا ... أو عدتَ تطْغَى علينا أىَّ طُغيانِ

إن صانَ ماءَكَ فى حرزٍ بنوك، فكم ... فدَّوْهُ من قبلِ هذا بالدم القانى[6]

كأَنَّه من فُتَاتِ المسك سمرتُه ... فلا نجود به إلَّا بميزانِ

---

(١) العانى : الأسير . يريد بإطلاق النيل الإطلاق من رق الاحتلال وبالحبس مائه فى الخزان وكلا العملين مشكور وإن تناقضا .

(٢) المراد ما زعموه من أن مصر لا تستطيع النهوض ماليًا بهذا المشروع الضخم .

(٣) كانت الناحية المعنوية فى بناء السد أجل من الناحية المادية ؛ لما سبقت الإشارة إليه .

(٤) يريد بالبراكين : نسف الأحجار « بالديناميت » عند بدء العمل .

(٥) يريد : أن الأرض تظمأ فى أيام التحاريق وتغرق فى أيام الفيضان .

(٦) المراد بالتفدية : ما أريق فى سبيل تحرير النيل من دماء .

يـأَيُّها السَّـدُّ ، بشِّرْ بـالـرخاء؛ فمـا حويـتَ ماءً، ولكـنْ ذوبَ عِقْيانِ [1]

مـا أنـتَ حـرزُ مياهٍ فـاضَ زاخـرُهـا بـل أنـت كنـزُ يـواقيـتٍ ومـرَجـانِ

قالـو:ا العجائب سبـعٌ ، قلتُ : ويحكمـو

مـا هـذه السَّبـعُ إلاَّسَـدُّ أُسْـوانِ! [2]

---

(١) العقيان : الذهب .

(٢) يقول : إن العجائب السبع قد اندمجت فى هذا السد؛ فتنوسيت هى، وبقى ذكره هو وحده .

من وحي العروبة

رائد العروبة

في ذكرى المرحوم: عبد الرحمن الكواكبي (١)

في ديسمبر سنة ١٩٥٩ م أقام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمدينة حلب مهرجاناً جامعاً لإحياء ذكرى الكواكبي، وانتدب الشاعر لهذا الغرض؛ فألقى هذه القصيدة.

حرّكْتِ في النفس، يا شهباءُ، أشجانَا ... يا وَكْرَ أحْمَدَ، يا غيلَ ابنِ حَمْدَانا! (٢)

ساءلتُ نفسي: أحقًّا هذه حلبٌ؟ ... ورُحتُ أَلْثُمُهَا أرضًا وجُدرانا

يا بلدةً كدَّتِ التاريخَ سيرتُها ... وقرّحت من رُواة الشعر أجفانا (٣)

وأخلَقَتْ جِدَّةَ الأيام قلعتُها ... ولم تمَسَّ لها الأيامُ صَفْوانا (٤)

كم عنكِ من خبر أصغى الزمانُ له ... وأرهَفَ الفَلَكُ الدَّوَّارُ آذانا

حَسِبتُ تُرْبَكِ من مسكٍ، وغاليةٍ ... وخلتُ حصباءَهُ دراً، ومَرجانا (٥)

هذا أديمٌ على مِرآتِهِ انعكسَتْ ... مناظرُ المجدِ تحكي الطَّيفَ ألوانا (٦)

---

(١) عبد الرحمن الكواكبي: ولد بحلب وتوفي بمصر، وطاف بمعظم بلاد العرب مبشراً بالقومية العربية. عاصر الإمامين: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ويعتبر ثالثهما في الإصلاح، وبعث الأمة العربية من مرقدها.

(٢) الشهباء: اسم يطلق على حلب، وأحمد: هو أحمد بن الحسين «المتنبي»، وابن حمدان: هو سيف الدولة، والتعبير بوكر وغيل فيه: تشبيه للأول بالبلبل، وللثاني: بالأسد.

(٣) أرهقت حلب المؤرخين بكثرة ما شنت على الروم من الحروب، وأرهقت رواة الشعر بكثرة من أنبتت من الشعراء.

(٤) أخلقت: أذابت وأبلت، والصفوان: الحجارة.

(٥) الغالية: نوع من الطيب.

(٦) يريد بالأديم: ظهر الأرض، وبالطيف: ما يظهر في السماء غب المطر ذا ألوان مختلفة «قوس قزح».

فـى كـلِّ زوايـةٍ مـن أرضـه خبـرٌ عن بنتِ عَدنانَ، أو عن مجدِ عَدْنانا[١]

إن العـروبـة لـو خُطَّـتْ مفـاخـرُهـا سِفْرًا، لكنـتِ لهـذا السفـرِ عُنـوانـا

هنا: بمـوكب سيـفِ الدولـةِ ائتلَقَتْ تلـك البقاعُ، وسـار الـركـبُ مزدانـا

كـم شـعَّ مـن أُفْقها علـمٌ، ومعـرفـةٌ وأنبتَـتْ أرضُهـا خيـلاً، وفُـرسـانـا

كـم قبَّلَـتْ تُـربَها مـن فـارسٍ شَفَـةٌ وسـار فيـه سَراةُ الـروم عُبـدَانـا[٢]

يـا رُبَّ جـاريـةٍ مـن فـوقِـه خطَـرَتْ تُنْمَى إلـى عاهلٍ مـن آلِ سَاسَـانا[٣]

أَبنـاءَ حَمدانَ ، لَسْنَـا فـى ضيافتكـم إنّـا نـزلْنـا علـى التـاريـخ ضِيفَـانـا

***

إنَّا ضُيـوفٌ على ذكـرَى تَفُوحُ شـذًى يسْتافُها الدهرُ نَسرِينًا ، وريْحانا[٤]

ذكرى ابنِ أحمدَ يَروِى الشرقُ سيرتَها أُنشـودةً؛ فيهُـزُّ العِطْـفَ نشـوانـا[٥]

ذكـرى التقـىِّ الـذى يعنُـو لخـالقِـهِ ولا يقـدِّسُ غيـرَ الله إنسـانـا

ذكـرى الكمـىِّ الذى قـد ثـار منفـردًا على الطَّـواغيتِ مـن أبناء عُثمـانَا[٦]

ذكـرى الشهيدِ الـذى ضحَّـى براحتـه وقـدَّم الـروحَ لـلأوطـان قُـربـانـا

جئنـا نمجِّـدُ شمسًـا ضمَّهـا جَـدَثٌ قـد أيقظَتْ كـلَّ طَـرْفٍ غيـرِ يقظانـا

وبـدَّدَتْ بخيـوطٍ مـن أشعتهـا غيماً علـى الأفُقُ الشـرقىِّ قـد رانا[٧]

---

(١) بنت عدنان: كناية عن اللغة العربية .

(٢) سراة الروم : سادتهم .

(٣) آل ساسان : طائفة من ملوك الفرس القدماء .

(٤) يستافها : يتنسمها .

(٥) ابن أحمد : هو المحتفل به ، وأحمد اسم أبيه .

(٦) الطواغيت : جمع طاغوت، ويريد بـه هنا: الطاغية الجبار ، وعثمان : سلطان معروف من سلاطين تركيا وكان بين المحتفـل به وأولى الأمر فى الدولـة العثمانية نزاع مستمر .

(٧) ران عليه : غشاه .

شمسٌ ولكنَّها فى الشَّرق قد غَرَبَتْ كأنَّ موعدَ يوم الحشر قد حانا[1]

جئنا نمجِّد فى إبَّان وَحْدتِنا موحِّدًا بسوى التوحيد ما دانا[2]

أَينَ اليراعُ الذى قد كان يَشْهَرُهُ كالسيف ، إن لان حدُّ السيف مالانا؟

يراعةٌ كعصا موسى إذا نَفَشَتْ رأيتَها فوقَ ظهر الطِّرس ثُعبانا[3]

كم من يراع إذا نارُ الوغى احتدَمَتْ صبَّ المِدادَ على القِرطاس نيرانا

وكم أديبٍ إذا ثارَتْ صحيفته يومًا ، أثارَتْ على المحتلِّ بركانا

والشِّعْرُ من زَهَرٍ تلقاهُ، أو شَرَرٍ لا تحسبوا الشعرَ تقطيعًا وأوزانا

***

أَخا الكواكِب فى وَمْضٍ ومنزلةٍ هل بتَّ فى العالم العُلوىِّ جذلانا؟

إن الذى كنتَ فى دنياك تغرسُهُ قد صار، روضًا ورَيفَ الظِّلِّ ، فيْنَانا[4]

فى مِهْرجانِكَ : يبدو صرحُ وَحْدتِنا أرسَى وأَرسخَ من أركان ثَهْلَانا[5]

أخا الكواكِب، قم وانْفضْ ثراك ؛ كان الثرى للنجوم الزُّهْر أَوطانا

قم من ثراك ، وغرِّدْ فى محافِلِنا فما وهات ما غاب عن قُسّ وسَحبانا

قم من ثراك ، وبارِكْ صرحَ وَحْدَتِنا إنَّا بنيناه كالأهرام بنيانا

صرحٌ تعانَقَ روحَانَا به شَغَفًا من قبل أن تتلاقى فيه كفَّانا

قد كنتَ فى مشرِق الدنيا ومغربها مثلَ الكواكب ؛ لا يأوينَ بُلْدَانا

ما كنتَ تعرفُ دارًا للإقامة ، بل كانت لسعيك كلُّ الأرضِ ميْدانا

---

(١) يشير إلى ما هو مشاع من : أن من علامات الساعة أن تغرب الشمس فى المشرق .

(٢) كان الاحتفال عقب إعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، وقد كان هذا مذهبه ـ كما سبق ـ .

(٣) يريد : أن قلمه يأتى بالسحر والمعجزات .

(٤) الظل الوريف : هو الظليل الكاسى ، والفينان : المشتبك الغصون .

حتى تـرحَّلتَ : لا جـاهٌ، ولا نَشَبٌ … بل كـان حظُّك مـن دنياك حِرمانـا[١]

وآثَرَتْ نفسُكَ الأخرى، ولو خَضَعَتْ … يـومًـا، لكـان لها دنيـا سُلَيْمـانـا[٢]

مَـا حـطَّ قـدرَكَ سجـنٌ أَنـزلـوك بـه … هيهات! بـل كنْتَ للسَّجَّان سجَّـانا[٣]

قد يـرفَعُ السجـنُ مَنْ يَغشـاه منزلـةً … ويعصِفُ السَّجـنُ بالسَّجَّـان أَحيانـا

صاولتَ فـي مصرَ لمَّا أن نزلـت بها … من عـرشها ومـن المحتلِّ ذؤبـانا[٤]

والله ، مـا نسيـتْ مسعاك فـي زمـنٍ … سهـرتَ فيـه، وكـان الكـل وسنـانـا

حتى إذا غبـتَ عنها ، ودَّعَـتْ رجلاً … قـد كـان أَرفـعَ مـن أَهـرامهـا شـانـا

وغسَّلتـك بصَـوبٍ مـن مـدامعهـا … مصرُ البريئةُ ترجـو منك غُفْرانا!![٥]

يـا شـاربَ السُّـمِّ مـن كـفٍّ ملـوَّثـةٍ … هل تشـربُ الآنَ من إبريقِ رضْـوانا؟[٦]

لقد تحـدَّيْتَ في القبر الفَنـاءَ، فهل … خلـتَ الفناءَ على البُسْفور سُلطانـا؟[٧]

والحـرُّ يُنصفُـهُ تــاريخـهُ ، وكفـى … بالـذِّكْر خُلـدًا، وبالتـاريخ مِيزَانا!

***

أَبنـاءَ يَعْـرُبَ ، لا كـانـتْ عـرُوبتُنـا … إن لـم تُثِر عـزمَنـا ذكـرى ضحايـانـا

---

(١) النشب : المال ونحوه .

(٢) سليمان : هو سليمان بن داود ، صاحب الملك العريض .

(٣) حكم على الكواكبى بالسجن فى بعض الجرائم الصحفية ، والمراد: بأنه سجان للسجان ؛ أي : أنه وهو فـى سجنه كان آمن على حياته ممـن سجنوه وهم على عروشهم .

(٤) الذؤبان : جمع ذئب ، وفـى البيت إشارة إلى: أن الكواكبى كـان يحارب بقلمه خصمين لدودين من خصوم الحرية والنهوض ، وهما : العرش ، والاستعمار .

(٥) الصـوب : المطر ، وفـى البيـت إشارة إلى: الاعتـداء الغـادر الـذى وقع علـى الكواكبى فى ـ مصر ـ على نحو ما سيرد فى البيت التالى .

(٦) الرأى السائد: أن القصر دس للكواكبى السم فى فنجان من القهوة .

(٧) يريـد بتحدى الفنـاء : أنه خلـد بعد المـوت ، فكأنـه تحداه كمـا كان يتحـدى سلاطين آل عثمان .

يا قوم، تاهتْ لنا فى النجم مملكَةٌ — قوموا نطالبْ بها الشِّعرَى وكيوانا(1)
مُلْكٌ بنَتْهُ بحدِّ السيفِ مُنْصلتًا — أيدى الأوائلِ من أبناءِ مَرْوَانا(2)
بَنَى بنوهُ بأيدى العُرب دولتَهم — فاشتدَّ بنيانُها أُسًّا وأَركانا
ما هجَّنوا بموالى الروم نسبتَها — أو أيَّدُوها بجنُد من خُراسانا(3)
لم يرفعْ الصّوتَ بُومًا فى جوانبها — مستعجمٌ، أو يَمُدَّ الكفَّ قُرصانا(4)

***

أَبناءَ يعربَ، هذا اليومُ يومُكمو — هيا بنا نستعيدُ الماضيَ الآنا(5)
نُقيمُها دولةً شمَّاءَ باذخةً — يعنو لها الدهرُ تسليماً وإذعانا
تَبْنى الحضارةَ بُنيانًا على أُسُسٍ — وتَزْرَعُ السِّلمَ فوق الأرض بستانا
وتَحفظُ الشَّرقَ إنْ شرٌّ أُريدَ به — ممَّنْ يظُنُّون أَهلَ الشرقِ قُطْعانا
تُزلزلُ البرَّ فُرسانًا وأَسلحةً — وتَزْحَمُ البحرَ - بعد البر - حِيتانا(6)
وتملأ الجوَّ أَسرابًا محلِّقةً — تبثُّ فى الأرض تدميرًا وعُمرانا
إذا صَحَا الجوُّ، طارت فى جوانبِهِ — وُرْقًا، وإنْ غامَ طارتْ فيه عِقْبَانا(7)
إنِّى أَظنُّ - وظنى ليس يكذِبُنى - — أنّ الزمانَ الذى نرجوه وافانا

(ه) ثهلان : اسم جبل معروف ببلاد العرب .
(1) الشعرى وكيوان : نجمان معروفان .
(2) منصلتا : مصقولاً ماضياً ، وأبناء مروان : هم بنو أمية .
(3) هجنوا : شوهوا : يريد أن دولة بنى أمية كانت عربية خالصة لم تستخدم الروم أو الفرس ، كما استخدمتهما الدولة العباسية .
(4) البوم : طائر ؛ معروف بأنه نذير بالخراب ، والقرصان : اللص .
(5) « نستعيد » : بالرفع ؛ لأن الأمر فى جواب الشرط يجوز رفعه وجزمه ، قال بشار :
أورق بخير ترجى للثمار : فما — ترجى الثمار إذا لم يورق العود
(6) المراد بالحيتان : الغواصات كما هو واضح .
(7) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة التى تعتبر بشير سلام ، والعقبان : جمع عقاب وهو الطائر الجارح المعروف ، والمراد بالصحو والغيم : السلم والحرب .

اليومَ ما عاد يشكو النيلُ من رَنَقٍ — أو يشتكي بَرَدَى المعسولُ أدْرانا[1]

يا طَالما جَرَيا شُهْدًا لمغتصِبٍ — وابنُ الحمى بهما قد بات غصّانا[2]

لا يعرفُ الضيمُ شعبًا كان مغفرُهُ — وسيفُه في الوغى: صبرًا، وإيمانا[3]

إن الألى غَصَبوا سُورْيا ومصرَ معًا — زاروا القناةَ، فكانوا بعضَ صرعانا[4]

أَبناءَ يعرُبَ، لا كنَّا إذا دَلِفَتْ — بنا خُطانا إلى العلياء وُحْدانا[5]

بَغْدَادُ، كم لك في قلب العروبة من — قَدْرٍ، إذا هانت الأقدارُ ما هانا[6]

إخوانَنا في ظلال الكَرْخ، ويحكمو — لقد أَصبتُم لنا في الكَرخ إخوانا![7]

يا أهلَ بغدانَ، راعوا الله في رحِمٍ — موصولةٍ قُطِعَتْ، يا أَهل بغدانا

ماذا نقولُ؟ أَمَنْ صِحْنا به مَلَكًا — بالأمس ندعُوهُ هذا اليومَ شيطانا؟[8]

هيهاتَ تَقطعُ ما الرحمنُ واصلُهُ — يدُ المفرِّق! لا كانت ولا كانا!

إن العروبةَ قد باتَتْ موحَّدَةً: — حسًّا، وعاطفةً؛ أرضًا، وسكّانا

---

(١) الرنق: الكدر: والأدران: الأوساخ، والمراد بكليهما: الاحتلال الأجنبي.

(٢) الغصان: من أصيب بالغصة في حلقه.

(٣) المغفر: أداة تقي صاحبها الضرب في الحرب.

(٤) غاصبو سوريا: يعني بهم الفرنسيين، وغاصبو مصر: يعني بهم الإنجليز، وكلاهما أصيب بالهزيمة في حرب القنال سنة ١٩٥٦م، مضافاً إليهما إسرائيل.

(٥) دلف: مشى ببطء، والبيت ينعى على أمم العروبة أن تجاهد كل منها على انفراد.

(٦) كان العراق إذ ذاك بمعزل، وكانت فيه ثورة محلية لا تكاد تجف فيها الدماء.

(٧) الكرخ: حي ببغداد، وكانت الفتنة فيه بالغة أشدها.

(٨) يريد: أننا هتفنا بقائد الثورة عندما حرر العراق من رق الملكية، ولكنه أخلف الظن فيه.

ما عـاد يجرَحُ أُذْنَ الضـاد جارحـةٌ من ذكر لُبنانَ، أو من ذكر عَمَّانا[1]
اللهُ أكبرُ ! ساد الوعىُ، واندمَجَتْ تلـك الحدود وصـار الكلُّ عُـربانـا

***

قد سارت الفُلْكُ، عين الله تكلَؤُها فهلَّـلَ البحـر أمـواجًـا وشُطـآنـا
سِرْ ، يا جمالُ، إلـى شطِّ السلامِ قـد اصطفاك لهـا الرحمـنُ رُبّانـا !

أجـاديـر

فى سـنة ١٩٥٩م أصيبت مدينة أجـادير
بـزالزال قوض البنيـان ، وروع السكـان
وبلغـت ضحـايـاه حـدًا يفـوق الحصر !

وقفـتُ أسـائلهـا : مـا لَهـا ؟ وأبكـى علـى البُعد أطـلالَهـا ![2]
سـألـتُ الـرُّسـومَ ، كـأن الـرُّسـومَ تجيـبُ علـى البعـد سُـؤَالَهَـا
ودونَ « أجـاديَـر » خطـبٌ يُصِـمُّ وَيشْغَـلُ طـارقُـهُ بـالَهـا
« أجاديرُ »، هل حـان يومُ النُّشورِ وزُلْـزِلَـت الأَرضُ زِلـزالَهـا؟[3]
وهـل بعـثَ اللهُ مَـنْ فـى القبـورِ وأخـرجـت الأَرضُ أثقـالَهـا ؟

---

(١) الضاد يراد بها : اللغة العربية ، والمراد : أن ذكر البلاد الناطقة بها بلدًا بلدًا يؤذى سمعها ، فهى لا تريد إلا دولة موحدة تضم شتات أبنائها .
(٢) أطلال : جمع طلل وهو ما تبقى من الديار .
(٣) يوم النشور : يوم القيامة .

عـروسُ المـدائنِ مـاذا دهـاهـا | بليـلٍ فمـزَّق أوصـالهـا ؟
وأرَّق بـالهـمِّ أسْحـارهـا | وجلَّـلَ بـالغيـم آصـالَهـا [١]؟
تفـزَّعَت الشُّهْـبُ فـى الأفق حيـنَ | رأتْ فـى « أجـاديـر » مـا هـالَها
تهـاوَتْ منـازلُهـا مُعـولاتٍ | فـرَدَّدتْ البيـدُ إعـوالَهـا
ولـم يُفلـتِ المـوتُ شُبَّـانَهـا | ولـم يُعتـق المـوتُ كُهَّـالَهـا
ولـم يـرْهبُ المـوْتُ أسْدَ الشَّرَى | فغـال الأسـودَ وأشبـالَهـا
ولـم يـرحـم المـوتُ ذاتَ سُوارٍ | قضتْ وهْـىَ تحضـنُ أطفـالَها
تَـوَدُّ لـوَ انَّ رسـولَ المنـايـا | تـرفَّـقَ بـالطفـل واغتـالَهـا
تبـاركـتَ ربِّـى ! بَـرأتَ النفوسَ | وقـدَّرتَ فـى الغيـبَ آجـالَهـا
وكـم لك فـى الكـون من حكمـةٍ | عـن العقـل أحكمْـتَ أقفـالَها
حنـانيـكَ ربِّـى ! تفَشَّـى الـدَّمـارُ | علـى الأرض واجتـاحَ نُـزَّالَهـا !
تشقَّقَـتْ الأرضُ عـن جِنِّهـا | وسـاقـتْ إلـى الإنـس أغـوالَها
وصبَّتْ عليهـا السَّمـاءُ شـواظًا | مـن النَّـار تطلُـبَ إشعـالَهـا
« أجـاديـرُ » راع الـوجـودَ أسـاهـا | ونـالَ العـروبـةَ مـا نـالَهـا ! [٢]
ألاَ فـى سبيـل العـروبـةِ بـانٍ | يُقـوِّمُ بـالفـنِّ ميَّـالَهـا ! [٣]
وكـفٌّ طبيـبٍ تكُـفُّ دمـاءَ | بنيهـا ، وتحقِـنُ سيَّـالَهـا !
ومـالٌ يجـودُ بـه أريَحـىٌّ | علـى أسـرة فقَـدَتْ مـالَهـا ! [٤]
فـآلُ « أجـاديـر » إخـوانُنـا | بـأرواحِنـا نفتـدِى آلهـا

---

(١) أسحار : جمـع سحر وهو منتصف الليل ، وآصال : جمـع أصيل وهو الوقت قبيـل المغـرب ، والمراد : أن الـزلزال أرق أهلها ليـلا ، وحجب الشمس عنهم نهارًا .

(٢) الضمير فى نالها : يعود على أجادير ، لا على العروبة .

(٣) هنا يحث الشاعر على مساعدة منكوبى المدينة .

(٤) الأريحى : السمح الكريم .

يقيــنُ بنيهــا علــى حــالِــهِ ... وإنْ غيَّــر الـدهــرُ أحـوالهــا[1]

لنـا كـاهلٌ حيـنَ تُلقـى الخطـوبُ ... عليــه تــرَى فيــه حمَّــالَهــا

إذا الشــرقُ طــافَـتْ بــه محنــةٌ ... فكــم غَــرَكَ الشــرقُ أمثــالَهــا

شعـوبٌ صحَت بعـد طول الكرى ... تُعبِّــىءُ للمجــد أبطــالهــا

وتَنــزِعُ عــن جيـدِهـا طـوقَهـا ... وتقــذِفُ فــى البحــرِ أغْــلالَهـا

ومِــنْ مقْتِهــا للقيـود تكـاد الــ (م) ــفتاةُ تحطِّــمُ خَلخَــالَهــا[2]

لقــد أقسَمَــتْ أمَــمُ الشـرق ألاَّ ... تهــادِنَ مــن رام إذلالَهــا

فصــار الســلاحُ ســوارَ الفتــاةِ ... ولَهــوَ الصَّبــىِّ إذا مــا لَهــا

وكـم أمَّــةٍ ظَنَّـتْ الشرقَ مَـرْعًـى ... خصيبًــا فخيَّــبَ آمــالَهــا

حَـدتْهــا إليــه أمــانٍ عــراضٌ ... فعــادتْ تُلَمْلِــمُ أذيَــالَهــا[3]

نشيد الكشاف العربى

بُـورِكْـتِ يـا أرضَ العروبـةِ موطِنًـا ... اللهُ أكبــرُ ! إنَّ فجــرَكِ أذَّنــا

وأطَـلَّ فــى الآفـاق لمَّــاحَ السَّنـا ... أمجـادُكَ الأولـى سـأحييهـا أنـا

أنَا نَسْلُ مَنْ خَطَّ الحضارةَ وابتَنَى

***

---

(١) اليقين : الإيمان ، يقول : إن الزلزال لم يزلزل إيمان المنكوبين .

(٢) لما بين الخلخال والقيد من الشبه .

(٣) لملمة الأذيال : كناية عن التصميم على الرحيل .

أَنَا بَلْسَمُ الشاكى، ومِنهالُ الظَّمِى   وأبُو اليتِيم، وكنْزُ مالِ المُعْدِمِ
تَجْرِى المُروءَةُ من قديمٍ فى دمى   لِمَ لا ؟ أَلَسْتُ إلى العروبة أنتَمِى ؟

مَنْ مثلُ أسلافى ومثلى مَعْدِنا ؟

***

قلبى كماءِ المُزْنِ، أو هُوَ أطْهَرُ   ماءُ الحَنان يكادُ مِنهُ يَقْطُرُ[1]
أهْوَى السَّلامَ ،وبالسلامِ أبَشِّرُ   لكنَّنى فى الرَّوْعِ لا أَتَقَهْقَرُ

لا يَنْثَنى عَزْمى إذا السَّيفُ انْثَنَى

***

الضَّادُ لى أمٌّ ، ويَعرُبُ والدُ   يَفْنَى الزمان ، ومجدُ يعرُبَ خالدُ[2]
أبدًا يظلِّلُنا لواءٌ واحدُ   ضُمُّوا الصُّفوفَ إلى الصفوف وجاهدُوا

تبًّا لكلِّ يدٍ تُفَرِّق بيننا

***

لا كان منَّا من يَنِى عن سُؤْدُدِ   أو يَنْثَنِى عن ردِّ كيدِ المعْتدِى[3]
أو لا يلبِّى دعوةَ المستَنْجِدِ   إنا بنو عَرَبٍ كرامِ المحْتِدِ[4]

حفِظُوا الجِوارَ وأمَّنُوا المستأمِنا

---

(١) المزن : المطر .

(٢) يعرب بن قحطان : جد قديم من أجداد العرب .

(٣) ينى : يتباطأ .

(٤) المحتد : الأصل .

تحية طرابلس (١)

زار الشاعر مدينة طرابلس الغرب فى مهمة ثقافية ، فاحتفت به الأوساط الأدبية هناك ، فأنشد هذه القصيدة :

قالوا: الجمالُ هنا والمجدُ، فاقْتَبِسِ ... فقلتُ : كلُّ المعالى فى « طَرَابُلُسِ »

لمَّا نزلْتُ بها باتَتْ تذكِّرُنى ... أمجادَ مصرٍ ، وبغدادٍ، وأندلُسِ (٢)

فحرَّكَتْ شَجَنِى رغْمَ السرورِ بها ... فاعجَبْ لمبتهجٍ فى ثوبِ مُبْتَئِسِ!

يا أمَّةً ورثتْ مجدَ العرُوبة ، لو ... قسْتَ النُّجومَ بها فى المجد لم تُقَسِ

لاَ ضَيفَ أكرمُ من ضيفٍ يجاورُكُمْ ... بالدارِ، والأهلِ، والأحبابِ مؤتنِسِ

ماذا لقِينَا لديكم من مؤانسةٍ ... دلَّتْ على كرم فى النفس منغرِسِ ؟

فيكم من البدو أخلاقٌ مبرَّأةٌ ... من كلِّ ما حوتِ الأمْصارُ من دَنَسِ

هبَّ النسيمُ على أحيائكم سحرًا ... من جانب البحر رطْبًا، عاطرَ النَّفَسِ

---

(١) قد يكون من الخير : أن نثبت هنا نص الديباجة التى قدمت بها جريدة « طرابلس الغرب » هذه القصيدة فى أغسطس سنة ١٩٥٤م ؛ لما تنم عنه هذه الديباجة من مبلغ تتبع الأقطار العربية لحركة الأدب فى مصر ، وما يلقاه أدباؤنا هناك من التقدير .
قالت الصحيفة : « الأستاذ محمود غنيم شخصية لامعة ، ذات مركز مرموق ممتاز بين أعلام الأدب فى العالم العربى ، وشاعر له شهرته ومكانته ، ولعل قصيدته : (مالى وللنجم يرعانى وأرعاه) أصبحت أعلق بأذهان الناطقين بالضاد من قصيدة : (قفا نبك) التى ضرب بشهرتها المثل ، وقد تفضل؛ فأنشأ هذه القصيدة العصماء التى ننشرها اليوم ، والتى سجل فيها الانطباعات والمشاعر التى جاشت بها نفسه عند زيارته لمدينة طرابلس الغرب ؛ فإلى الأستاذ الكبير أسمى آيات الشكر وأبلغ التحيات » .

(٢) لا ينكسر البيت إذا ضبطت مصر بالفتح، أي: منعت من الصرف؛ ولعل تنوين مصر مرده إلى : الترنم الموسيقى العذب فيها وفى بغداد، أو التوافق الجميل فى حركة الكسرة فى الكلمات الثلاث، وهى لفتة بفطن إليها من يدركون جمال الموسيقا في الشعر .

ماسَتْ غصونُكُمو من تِيهها بكمو بين الرياض ، ولولا التِّيهُ لم تَمِسِ

إنْ لم تكن جنَّةَ المأوى ديارُكُمُو فما دياركمو منها سوى قَبَسِ

أنتم بنو العَرَبِ الأمجادِ، زانكمو : حُسْنُ المحَيَّا، وسحرُ المنطق السَّلِسِ

المُتْرِعون كؤوسًا غير آثمة من كل نبعٍ من الصحراءِ منبجِسِ (١)

الثائرون على الطُّغيان من قِدَمٍ بكلِّ حرٍّ يبيع الروح بالبَخَسِ (٢)

***

أشبالَ « لِيبْيا » ، كأنِّى - إذ أنزلت بكم - نزلتُ بالقبلتين : الحجرِ ، والقُدُسِ (٣)

كأنَّ عاهلَكم فى عدله عمرٌ وقاكم اللهُ شرَّ الحاكم الشَّرِسِ

ساس « السنوسىُّ » أطراف البلادِ أبًا فى رفقه ، وبغير الرفق لم يَسُسِ

يحمى البلاد من الباغِى، ويكلؤها بعين راعٍ ، قليلِ النوم ، محترِسِ

كم كربةٍ بالحمى اشتدَّت ففرّجها وكم على يده الداءُ العضالُ أُسِى (٤)

لله درُّك من والٍ ولايتُهُ كادت من الأمن تستغنى عن العسس! (٥)

***

أبناءَ يعرُبَ، هبُّوا من سُباتكمو دوَّى الأذانُ ، ورنَّت صيحةُ الجَرسِ (٦)

خُطُّوا على العلم والأخلاقِ دولتَكم وشيِّدوها من الشُّورى على أُسُسِ

وحصِّنُوا أرضَكم من كلِّ مغتصبٍ بكلِّ مدَّرعٍ فى الحرب متَّرِسِ (٧)

---

(١) المترعون : المالئون .

(٢) يشير إلى كفاح ليبيا من قديم ضد الطليان .

(٣) المراد بالحجر : حجر إسماعيل، وكنى به عن الكعبة .

(٤) « أسى » - بالبناء للمجهول - : بمعنى شفى .

(٥) العسس : هم حرس الليل .

(٦) السبات : النوم .

(٧) المدرع : لابس الدرع ، والمترس : حامل الترس .

بـاتــتْ تنــازعُنــا أوطــانَنــا أمَــمٌ ... مَــدَّتْ إلينا قــديمًــا كــفَّ مُلْتَمَــسِ

جاسَــتْ خِلالَ مغانينا ، ولــو لَمحَت ... طيـفَ الحديـد وطيـفَ النار لم تَجُسِ

بـاسم الحضـارةِ والتعميرِ قد دَخَلوا ... ومــا هُمــوَ غيــرُ سفَّــاكٍ ومُخْتَلِــسِ

طال السكوتُ على شعبٍ يضامُ بلا ... ذنـب ، وحُـرٍّ رهيـن القيـد محتبِسِ [1]

والله ، مـا نسيَـتْ مصــرٌ جـراحهمُـو ... وإن تكـنْ من جَـلاءِ الظلـم فى عُـرُسِ [2]

أين الـذين علـى حقِّ الشُّعُـوب بكَـتْ ... عيُونُهـم؟ هل أصيبَ القومُ بـالخَرَسِ؟ [3]

قالـوا : السلامُ ، وصـالوا فـى مُخاتَلَـةٍ ... صيـالَ وحْـشٍ حـديـدِ النـابِ مفتـرِسِ [4]

***

قـل لـلألى بسـلاح الـذَّرَّة افْتَخَرُوا : ... العُـرْبُ سادُوا الـورى بـالسيف والفَـرَسِ [5]

الفــاتحـون بجُنْـدٍ مــن مبـادئِهــم ... والعــاصفـونَ بمُلْـكِ الـروم والفُـرُسِ

جابـتْ مواخرُهـم ظهر العبـاب ، ولم ... تـتـرُكْ خيولُهُمُـو شبـرًا من اليَبَـسِ [6]

أبنـاءَ يعـرُبَ ، طال الليـل فـانتظـروا ... شعـاع فجـرٍ يُجَلِّـى ظلمـةَ الغَلَـسِ [7]

إن العــروبَـة لا تفنَــى ، ولــو فَنِيَــتْ ... شُـمّ الجبـال فنــاءَ الأربُـع الـدُّرُسِ [8]

محــروســةٌ بجنـــود الله ، ظــافــرةٌ ... أمــا كفــى بجنـود الله مــن حَـرَسِ ؟

بنـى أميَّـة ، قَـرُّوا فــى مضـاجِعِكُـمْ ... فَما نُسِيتُمْ ، ولا المجدُ القديمُ نُسِى! [9]

---

(١) المراد : شعب الجزائر وغيره من الشعوب العربية المضيمة .

(٢) المراد بالعرس : قيام الثورة فى مصر وتخلصها من أدران الماضى .

(٢) يريد : مجلس الأمن ، وهيئة الأمم المتحدة التى تحدث كل هذه المظالم تحت سمعها وبصرها .

(٤) المخاتلة : الغدر .

(٥) المراد : أنهم لم يحتاجوا إلى أسلحة شديدة الفتك ؛ لأن لديهم أسلحة معنوية كما يشير إلى ذلك البيت التالى .

(٦) المواخر : السفن .

(٧) الغلس : الظلام .

(٨) الدرس : جمع دروس بمعنى بال .

(٩) إنما خص بنى أمية ؛ لأنهم أول من فتح هذه الديار ، وعربها .

جمال طرابلس

ألقاها الشاعر فى حفلة توديع ، أقيمت
بفندق المهارى بطرابلس الغرب سنة ١٩٥٦م

هذى « طرابُلُسٌ » أم هذه « نَبُلى »؟ البرُّ مبتسمٌ، والبحر فى جَذَلِ (١)
والشمسُ ضاحكةٌ، تُرخِى أشعَّتَها شَعْرًا من التبْر لكنْ غيرَ مُنْجَدِلِ
هنا الحياةُ ، هنا سرُّ الجمالِ، هنا موجُ الخلود على شطٍّ من الأزَلِ
مدينةٌ أنتِ، يا « أُويَا » - فديْتُكِ - أمْ هيفاءُ ترفُلُ فى زاءٍ من الحُلَلِ ؟(٢)
تصحو وترقدُ ملءَ العين، آمنةً فى يقْظة الحارسين : البحرِ، والجبلِ
حِصْنانِ : هذا يقيها كلَّ لافحةٍ هبَّتْ ، وذلكَ يحميها من البَلَلِ (٣)
هبّ النسيم عليها عاطرًا أرِجًا رِخْوَ العزيمة؛ يشكو كثْرَةَ العِلَلِ
القيظُ يخشى بفصل الصيفِ جَانبَها فإنْ يزُرْها، علتْهُ حمرةُ الخَجَلِ
والماءُ يطغى، وتستَشْرِى عَجَاجَتُهُ حتى إذا جاءها، يمشى على مَهَلِ
ما لاطم البحرُ شطًّا من شواطئِها لكنَّهُ أوسَعَ الشطْآنَ بالقُبَلِ
نهارُها من وجوه الغيد منتَزَعٌ والليلُ ما بعيون الغيد من كَحَلِ (٤)
كم فى حدائقها الفيحاءِ من فَنَنٍ كذيل ثوبٍ على الحسناء منسدلِ

---

(١) « نبلى » : مدينة إيطالية مشهورة بجمالها ، وفيها يقال: « انظر نبلى ومت » وخص نبلى ؛ بالذات لأن بين جمال طرابلس - وجمال المدن الطليانية على وجه العموم - شبهًا كبيرًا .

(٢) « أويا » اسم طرابلس القديم .

(٣) المراد: أن البحر يقيها الحر ، والجبل يقيها السيول .

(٤) الكحل : السواد الطبيعى بعين المرأة .

وكـم كــروم بهــا ســوداءَ فــاحمــةٍ ... سوادُها من سواد الأعين النُّجُل(١)

ما أنـسَ ، لا أنس « إجَّاصًا » نعمتُ به ... كالقلب فى شكله ، أحلى من العسل(٢)

أمـا بنوهـا ؛ فَحَدِّث عـن سمـاحتهـم ... هم فى السماحة صاروا مضرب المثل

بيـن المكـانِ ومَـنْ حَلُّـوا بـه شَبَـهٌ ... خيـرُ البـلاد أقَلَّتْ خِيـرَةَ الـدُّوَلِ

سِرْ فـى طَرَابُلْسَ أنَّى شئـتَ تَمْشِ بهـا ... علـى طريـقٍ مـن البِلَّوْرِ منصقـلِ(٣)

إن عـاش فيهـا ذبابٌ ، عـاش مغتـربًا ... فمـا يطيـرُ بهـا إلا علـى وَجَـلِ

قالوا حضارةُ « روما » : قلت : « قرطُبَةٌ » ... للغربِ أجمعَ كانـت مفرقَ السُّبُـلِ(٤)

دَيْـنٌ على الغـرب للإسـلام من قِـدَمٍ ... قـد رُدَّ ، والـدَّيْـنُ ممـدودٌ إلـى أجَـلِ

بطل الريف

ألقيت فى حفل تكريم أقيم للبطل المجاهد الأمير : عبد الكريم ، وقـد صـادف إقـامة الحفل زمن الحرب فى فلسطين سنـة ١٩٤٨م

قسمًــا بــزمـزمَ والحطيــمِ ... وبمجـدِ عـدنـانَ القـديـمِ

وببيــتِ إبــراهيــمَ ، وهُــ (م) ــوَ من العـروبـة فى الصميـم(٥)

مـــا ضيفُ إبـراهيـمَ حـــ (م) ــينَ بـدَا سوى مَلَـكٍ كـريـم

---

(١) تشتهر طرابلس بعنبها الأسود اللون .

(٢) الأجاص : الكمثرى .

(٣) تشتهر مدينة طرابلس بنظافة شوارعها .

(٤) أى أن حضارة الأندلس هى المعين الذى استقت منه بلاد الغرب على اختلافها .

(٥) هو المرحوم : إبراهيم دسوقى أباظة ، وقد كان الحفل فى منزله .

هـذا زعيـمُ الـرِّيـفِ أكـ (م) ـرمْ بـالبلاد وبـالـزعيـم
هـذا هـو الخصـم الـذى يـدرى أسـاليـبَ الخُصُـومِ
لا يعـرفُ التعبيـرَ بالـ (م) ـقوْلِ النثيـر أو النظيـم
لغـةُ التفـاهُـم عنـده قَصْفُ المـدافـع والرجـومِ
يـأيُّهـا الضيـفُ الكريـ (م) ـمُ، نـزلتَ دار أخٍ حميـم
لمَّـا أقمـتَ بمصـر شـرَّ فَ قـدرَهـا شـرفٌ المُقيـم
مـا أنتَ فـى مصرٍ سـوى رضـوانَ فـى دار النعيـم
لـو يستطيعُ النيـلُ، لاَعـ (م) ـتَصَر الميـاه مـن الكـروم
وسقـاك أشهـى مـا يقـدِّ (م) مُـهُ النـديمُ إلـى النديـم[1]
إن لـم يسعْكَ السِّـينُ ، ضَمَّـ (م) ـكَ منه صدرُ أب رحيـم[2]
وحنـا عليـك حنـوَّ مـرْ ضِعةِ الفطيم علـى الفطيم
مصـرٌ تَحُـوطُ نـزيلَهـا بـرعـايـة الأمِّ الـرَّءُومْ[3]
ورجـالهـا الأحـرارُ نعـ (م) ـمَ الجارُ للحر المَضيـم[4]
عشـرون عـامًـا حِيـلَ فيـ (م) ـها بيـن صدرك والنسيـم[5]
فصبـرْتَهـا صبـر العظِـ (م) ـيم أصيبَ بالخطـب العظيم
بـالله مـا فعـل المحجَّـ (م) ـل بالسلاسِـلِ والشكيم ؟[6]

---

(١) يريد أن النيل فى حفاوته بك يود لو اعتصر ماءه من العنب ليسقيك خمرًا .

(٢) كان الأمير أسيرًا فى فرنسا ، ثم هرب من سجنه إلى مصر .

(٣) الرءوم : الشفوق .

(٤) المضيم : من نزل به الضيم ، اسم مفعول من ضام .

(٥) يشير إلى المدة التى أقامها سجينًا فى فرنسا .

(٦) المحجل : هو الجواد الكريم الذى فى قوائمه بياض ، والشكيم : ما يوضع فى أفواه الخيل من الحديد .

دعنـــى أرى حـــزَّ القيـــو (م) دِ بـأخْمَـصِ الأسَـدِ الشَّتيـمِ[1]
مـاذَا جنيـتَ مـن الـذُّنُـو (م) بِ سِوى الدِّفاع عن الحـريم ؟[2]
عبـدَ الكـريـم ، وإنَّ لاسْـــ (م) ــمِكَ رَنَّةَ الصـوتِ الـرخيـمِ
كـلا ، لعمـرىَ ، بـل لَـهُ ما للـرُّعـودِ مـن الهـزيـمِ[3]
دعنـــى أكـــرِّرُه مئـــا (م) تٍ ؛ فهْـوَ عـافيـةُ السَّقيـمِ
ذكـرى جهـادِكَ تبعـثُ الْـــ (م) ــعَزَمَاتِ فـى العظـمِ الرميـمِ[4]
بشـــراك ! إنَّ القـــومَ صـا (م) حـوا بعـدَ صَمتِهِـم العقيـمِ[5]
إنَّ العـــروبـــةَ قـــد صَحَـــتْ مـن نـوم أصحـاب الـرقيـمِ[6]
مــن بعـد مـا نفِـدَ التَّجَلُّـــ (م) ــدُ وانقضَـى حِلْـمُ الحليـمِ
لقَّنْـــتَ قـــادتَهـــا درو (م) س المنطِـقِ الحـقِّ السليـمِ
لا مجـــدَ للـــدُّولاتِ إلا (م) بـالـدفـاعِ وبـالهجـومِ
واللهِ مـــا عـــادتْ تـــذو (م) قُ بـــأرضهـــا ذلَّ اليتيـمِ
هـذِى خيـولُهُمـو تهُـبُّ (م) كـأنَّهـا ريـحُ السَّمُـومِ[7]
وكـــأنَّ كـــلَّ مـــدرَّعٍ مـن فـوقهـا عبـدُ الكـريـمِ
مـــا للكليـــم ومعشـــرًا مسخُـوا تعـاليـم الكليـم ؟[8]

---

(١) الأخمص : القدم ، والشتيم : المخيف الكريه المنظر .

(٢) الحريم : كل ما ينبغى الدفاع عنه من عرض ووطن وغيرهما .

(٣) الهزيم : قصف الرعد .

(٤) الرميم : البالى .

(٥) العقيم : أى الذى لا نتيجة له .

(٦) أصحاب الرقيم : هم أهل الكهف ، وبهم يضرب المثل فى طول النوم .

(٧) ريح السموم : هى الريح اللافحة ، وواضح من البيت وما بعده أن الحرب كانت إذ ذاك قائمة بين العرب واليهود .

(٨) يقصد : اليهود ، وأن موسى الكليم يبرأ من انتسابهم إليه .

لمَّـا نبَـتْ بهــم البــلا (م) دُ ومجَّهُــم ظهــرُ الأديــمِ[1]
لــم يطمَحُــوا فــى غيــر إر (م) ثِ بنــى كنانــةَ أو تميــم[2]
إنَّ الــذيــن قَضَــوْا لهــم أصلوْهمـو نــار الجحيـمِ[3]
قــولــوا لهــم : دونَ المعــا (م) دِ وأرضِــهِ نيــلُ النجــومِ[4]
هَيهــاتَ أن يُسْقَــوا بهــا إلا شــرابًا مــن حميـم![5]
مـا بـالُ عصـرِ النُّـورِ يخبِــ (م) ــطُ فى دجـى ليلٍ بهيـم؟[6]
تَــرَكَ المُبَشِّــرُ بــالسـلا (م) مِ الأرْض داميــةَ الكُلُــومِ[7]
مــا للســلام ســوى الــذ (م) يــن تعهَّــدُوهُ مــن غــريــم
فليَقْــضِ قــاضيهــم، فلــن نَنْصَــاعَ للحُكــمِ الظلــومِ
لا قــدْسَ لــلأحكــام إلاَّ (م) حيــن تصــدُرُ عــن حكيــم

---

(١) المراد بالأديم : ظهر الأرض .

(٢) المراد بـإرث بنى كنانة أو تميـم : أرض العرب أيًا كـانوا ؛ وإنما كنى عـن العرب بأشهر بطونها .

(٣) يقصد بمن قضوا لهم : هيئة الأمم المتحدة التى أقرت هذا الوضع .

(٤) أرض المعاد : هى الـدولة العريضة التـى يمنى اليهـود أنفسهـم بهــا من عهـد مـوسى .

(٥) شراب الحميم : هو شراب أهل جهنم .

(٦) الليل البهيم : أى الحالك الظلمة .

(٧) الكلـوم : الجراح ، والمـراد : أن الذيـن أثاروا هـذه الحرب هـم رجال مجلـس الأمن، الذين رسالتهم تنحصر فى إقرار السلام .

فلسطين:

يا أخت عمورية ! (١)

عندما أعلن قيام دولة إسرائيل، فنشبت
الحرب بين العرب وبينها، سنة ١٩٤٨م

قُلْنَا، وأَصْغَى السامعون طويلا ... خلُّوا المنابر للسيوف قليلاَ
سُقْنَا الأدلَّةَ كالصباح لهم؛ فما ... أَغنَتْ عن الحق الصُّراحِ فَتيلا (٢)
مَنْ يستدِلّ على الحقوق، فلن يَرَى ... مثلَ الحسامِ على الحقوق دليلا
إن صَمَّت الآذانُ، لم تَسمعْ سوى ... قَصْفِ المدافع منطِقًا معقولا
لغةُ الخصوم من الرجوم حروفها ... فلْيَقْرَءُوا منها الغداةَ فصولا
لما أَبَوْا أَنْ يفهمُوا إلاَّ بها ... رُحْنَا نرتِّلُها لهم ترتيلا
أَدَّتْ رسالتها المنابرُ، وانبرى ... حدُّ السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثْتُ عن السلام، فلم أجد ... كإراقةِ الدَّمِ بالسلام كفيلا (٣)

***

(١) يشبه فلسطين المغصوبة بعمورية التى اغتصبتها الروم من العرب أيام الدولة العباسية، وسيم أهلها الذل، فصاحت إحدى نسائها: وامعتصماه!! فلما بلغ ذلك الخليفة المعتصم فتحها بغزوته التاريخية المشهورة، التى قال فيها أبو تمام قصيدته التى مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

(٢) الفتيل: ما يكون فى شق النواة، ويكنى به عن القدر القليل.

(٣) يريد: أن السلام لا يسود حتى تسنده قوة، وتراق الدماء فى سبيل إقراره «القتل أنفى للقتل».

يـا آلَ إسـرائيلَ ، أيـن المُلْـكُ ؟ هـل … مضَـت الـريـاحُ بمُلْـك إسـرائيـلا ؟

أَتحقَّقَـتْ آمـالُكـم فـى دولـةٍ … تمتَـدُّ عَـرْضًـا فـى البـلاد وطـولا ؟

خَـدَعَتْكـم الأحلامُ فـى سِنَـة الكرى … مـا أكـذبَ الأحـلامَ والتـأويـلا !

يـا بـانيًـا بـالـرمـل حـائطَ مُلكِـهِ … فـوقَ العُبـابِ ، أرى البنـاء مهيـلا

هـى بِنْيَـةٌ قـامـتْ بغيـر دعـامـةٍ … هـى دولـة قـد أنْشِئَـتْ لتـزولا

لمَّـا استهلَّـتْ راح يطلـب أهلُهـا … مهـدًا فكـان النَّعْـشُ منـه بـديـلا

طلَبُـوا القـوابـل إذ دنـا مـيـلادهـا … فتلقَّفَتْهـا كـفُّ عِـزْرائيـلا[1]

قـل للأُلَـى نفخوا بهـا من روحِهِـم : … هيهـاتَ قـد وُلدَ الجنينُ قتيـلا ![2]

لـو أنَّ عيسـى جـاء يُحييـه لمـا … وَجَـدَ الجنينُ إلـى الحيـاةِ سبيـلا

ليس الثَّـرَى للشـاردين بمسكـنٍ … رحْـبٍ ولا للمُتْعَبيـنَ مَقِيـلا[3]

ولقـد يَصِيـرُ لنـاب ليـثٍ طُعْمَـةً … مَنْ بـاتَ فـى غاب الليوثِ نـزيـلا

***

« حَيْفَا » ، فديتُك ! ما لجفنِك ساهدًا … ولِلَحْنكِ الشـادى استحال عـويلا ؟[4]

مـا بـالُ أهلـك شُـرِّدُوا ، وشـرَاكِ قـد … أمسـى بغيـر لُيُـوثِـهِ مـأهـولا ؟

أعـزِزْ علـى أبنـاءِ يعـرُبَ أن يَـرَوْا … عَلَمًـا يـرفُّ علـى حمـاك دخيـلا !

الْجَـوُّ يـرقُـبُ خَفْقَـهُ مستنكـرًا … والطيـرُ ينظـر نحـوه مـذهـولا

لاجـاده الغيـثُ الهتـونُ ، ولا هفـا … ليـلاً بـرقعتـه النسيـمُ عليـلا[5]

---

(١) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتولى عملية التوليد « الداية » .

(٢) يقصد بهؤلاء النافخين : الدول التى مهدت لقيام إسرائيل وآزرتها كإنجلترا وأمريكا .

(٣) المقيل : المكان الذى يقضى فيه المسافر وقت القيلولة . وفى البيت تشبيه اليهود بالهائمين لأنهم لا وطن لهم .

(٤) كانت مدينة « حيفا » إحدى المدن التى استولى عليها اليهود .

(٥) الهتون : المتدفق .

يـا أخـتَ « عمُوريَّـةٍ »، لبَّيـكِ ! قـد		دقَّـتْ خُمـاتُـك للحـروبِ طبـولا
نـاديـتِ «مُعتصمًا » ؛ فكـان غيـاثُـهُ		جيشًـا شَـرُوبًـا للـدمـاء ، أكـولا
مـا كـان بـالألفـاظ جـرسُ جـوابـهِ		بـل كـان قَعْقَعـةً ، وكـان صليـلا[1]
وأزيـزَ أسـرابٍ تَصبُّ شُـواظَهـا		فوق الحصون ، فتستحيلُ طلُولا[2]
لـن يغفـرَ العـربُ الأُبـاةُ لغـادر		هتـك الحـرائرَ والـدَّمَ المطلـولا[3]
غَضِـبَ الأبـاةُ لعـرضهـم فتخضَّبـى		يـا أرضُ ، واجـرى يـا دمـاءُ سُيُـولا
إنَّـا لَقـوم ليسَ يُمْحَـى عـارهُـم		حتـى يُـرَى بـدمـائهـم مغسـولا
إنَّـا جعلنـا أرضنـا للمعتـدى		قبـرًا ، وظِـلاًّ للنـزيـل ظليـلا
فَلْتَطْلُـبِ الأوطـانُ مـا شـاءتـه مـن		دمنـا ، تجـدْهُ مُـرْخَصًـا مبـذولا
وليشهَـد التـاريـخُ « لليَـرْمُـوك » ، أو		« ذى قارَ » فى العصر الحديث مثيلا[4]
وليعلَـمِ الثَّقـلانِ : أنَّـا لـم نَـزَل		نَحْمِى ، كما حَمَتِ الجدودُ الغِيلا[5]
الصـارمُ العَضْـبُ الذى فتـحَ الـورى		مـا زال فـى يـدِ أهلـه مسلـولا[6]

---

(١) القعقعة والصليل : أصوات الأسلحة عند احتكاك بعضها ببعض .

(٢) أزيز الطائرة : صوتها ، والشواظ : النيران ، والطلول : بقايا المنازل بعد دثورها .

(٣) يشير إلى : ما ارتكبته إسرائيل فى فلسطين ، والدم المطلول : هو الذى لم تدفع ديته .

(٤) اليرموك : يراد بها موقعة اليرموك التى انتصر فيها العرب على الروم فى عهد الفتوحات الإسلامية ، « وذى قار » يراد بها موقعة ذى قار التى هزم العرب فيها الفرس قبل الإسلام .

(٥) الغيل : الغابات .

(٦) العضب : القاطع .

النيــل لا يـرضــى هَـوَانَ أخ ، ولــو أجـرى الـدمـاءَ بكـلِّ قطـر نيـلا [1]

لمــا رأيـــتُ النيــل عبَّـــأَ جيشَــهُ أَتْبَعْتُـــه التكبيـــرَ والتهليـــلا

وذكـرتُ « ركنَ الـدين » فـى حَمَلاَتِـه إذْ كان يحـدو الجيش والأسطـولا[2]

فلطـــالمـــا دكَّ القـــلاع بعـــزمـــه ولطـــالمـــا ردَّ الجيـــوش فُلـــولا[3]

جيشُ الصـلاحيِّيـن سـار ، كـأننـى أبصـرت بيـن صفـوفـه جبـريـلا[4]

وكأننـى « بابـن الوليـد » ، « وطارقٍ » « وأبـى عبيـدة » يـركبـون خيـولا[5]

قلبت طـرفى فـى الجنود ؛ فلـم أجد إلا فـــروعًـــا يتْبعـــون أصـــولا

يتســابقـون إلــى اللقــاء ، كـأنمــا هُـوَ نـزهـةٌ بيـن الـريـاض أصيـلا

ويُسـارعـون إلـى الحِمـامِ ، كـأنهـم يجـــدون مُـــرَّ مـــذاقِـــهِ معســـولا

الطعنــة النجـلاءُ تحكــى عنـدهــم طَـرْفًــا غضيضًـــا جفنُـهُ مكحـولا[6]

ويكــادُ يحسبُهــا الجـريـحُ بجسمـه ثَغـرًا ؛ فيـومـىءُ نحـوَهـا تقبيـلا[7]

يا مصرُ ، جيشُكِ جال فى ساح الوغى لا واهنًـــا عـــزمًـــا ، ولا مخـــذولا

داوَى جـراحَ الشـرق حـدُّ سـلاحِـهِ وحمـى الـذِّمـارَ ، وحقَّـقَ المـأمـولا

لا زلـتِ حصنًــا للعـروبـة شــامخًــا يـرتـدُّ طـرْفُ الـدهـر عنـه كليـلاَ[8]

---

(١) أخ هنا يراد بها قطر الشقيق .

(٢) ركن الدين : يراد به ركن الدين بيبـرس (الظاهر) ، صاحب الوقائع المشهورة مع الصليبيين والتتار .

(٣) فلول الجيش : ما تبقى منه بعد الهزائم .

(٤) جيش الصلاحيين : أى المنسوب إلى صلاح الدين الأيوبى .

(٥) المراد بالقواد الثلاثة ـ على التعاقب ـ : خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، ولكل منهم بلاء مشهور فى الفتوح الإسلامية .

(٦) النجلاء : الواسعة ، والطرف الغضيض : المغضى .

(٧) يلاحظ ما بين الجرح والفم من الشبه .

(٨) كليلا : مجهدًا مكدودًا .

تحيّة لبنان

وفد ثقافى من لبنان حضر إلى مصر ، فأقامت جماعة دار العلوم له فى ناديها حفلة تكريم، ألقى الشاعر فيها هذه القصيدة سنة ١٩٤٩م

للخلد صِنوٌ ، وصنو الخلد لُبنَانُ
قم سائل القوم: مَنْ فى القوم رِضوانُ؟ (١)

الله صوَّرَ لبنانًا فأبدعه — كما تأنَّقَ فى التمثال فنَّان
يا جيرةَ الأرز ، إنَّ الأرز يَبلغُ ما — لا يبلغُ الطلحُ من نفسى ، ولا البان (٢)
هى العروبةُ أنتم فى ذُؤابتها — مُذْ قام حول تُخوم الروم غسَّان (٣)
مُلْكٌ بناه أواليكم ، ودعَّمَهُ — بالوحى أبناءُ مَرْوانٍ ، ومرْوان (٤)
يا جيرةَ الأرز ، ما أنتم لعمرىَ فى — مصرٍ ، ولا نحنُ فى لُبنانَ ضيفان
فى شاطىء النيل: أهلوكم، وموطِنُكم — وفى الشآم لنا : أهلٌ ، وأوطان
مَحَت تخومَ بنيها الضادُ فاتَّحَدَتْ — أقطارُهم ؛ فهمو فى الضاد إخوان
إنْ تسألِ العربىَّ الحرَّ عن وطنٍ — أو ملَّةٍ قال: إنَّ الجَدَّ عدنان (٥)
يا جيرةَ الأرز ، لن ننسى أياديَكم — وليس للفضل عند الحر نسيان

---

(١) صنو الشىء : نده وشبيهه ، ورضوان : خازن الجنة .

(٢) يريد : أن لبنان الذى يعتبر شجر الأرز رمزًا له يحرك مشاعره ، أكثر مما تحركها البلاد العربية التى يعتبر شجر الطلح والبان رمزًا لها .

(٣) يشير إلى : إمارة الغساسنة القديمة التى قامت على تخوم الشام .

(٤) يشير إلى : الدولة الأموية ، ويرمز بالوحى إلى الإسلام .

(٥) يريد أن اختلاف البلاد والديانات لم يعد ذا أثر فى التفرقة بين الشعوب العربية .

إن الصحافَةَ أنتم أسُّ نَهضتها ... لولاكمو، لم تقم للصُّحْف عمدان[1]

لكم على النيل أَهرامٌ دِعامتُها ... سحرُ البلاغة ، لا صخرٌ وصَوَّان[2]

إن كان للضاد آدابٌ تتيه بها ... فإن فارسَها السبَّاق زِيدان[3]

للضاد شاد اليسوعيُّون مكتبةً ... لم تحوها زمن المأمون بغْدان؟[4]

هذى معاجمُهم . هل فى معاجمهم ... إلا عقيقٌ من الفصحى ومرَجانُ ؟

اليازجيُّون راض الشعرَ رائضهُم ... من بعد ما جمحَتْ للشعر أوزان[5]

بفضلهم عاد للشَّهباء أحمدُها ... بل أحمداها ، وزارَ الشام حَسانُ[6]

لولا غطارفُ فى الدنيا الجديدة ، ما ... أصْغت إلى لغة الأعراب آذان[7]

هم فاتحون وإن لم يشهَرُوا قُضُبًا ... أو تحترق بلهيب النار أبدان

لما تبَلَّجَ عصرُ النور ، كان لكم ... سبقٌ إلى خدمة الفصحى وإمعان

جريتمو ، وجَرَتْ مصرُ ؛ كأنكما ... طِرفان ضمَّهُما للسبق ميدان[8]

وحسبُ مصرَ ـ إذا عُدَّتْ مفاخرُها ـ: ... روضٌ من العلم والآداب فَيْنان[9]

---

(١) بدأت الصحافة العربية ـ ولاسيما فى مصر ـ على أكتاف الأدباء الشآميين .

(٢) يشير إلى : صحيفة الأهرام .

(٣) يشير إلى : جورجى زيدان ، صاحب الفضل الأول فى تأريخ الأدب العربى .

(٤) يشير إلى : نهضة الآباء اليسوعيين فى إحياء التراث العربى القديم .

(٥) يشير إلى : الشيخ ناصيف اليازجى وابنيه ؛ وقد كانوا فى الطليعة من الشعراء المعاصرين .

(٦) الشهباء : حلب ، والشاعر لا يعترف بالفواصل السياسية التى تفصل لبنان عن سورية . الأحمدان هما : المتنبى والمعرى .

(٧) الدنيا الجديدة : أمريكا ، ويريد بهؤلاء الغطارف أدباء المهجر النازحين من بلاد الشام .

(٨) الطرف : الجواد .

(٩) فينان : كثير الأفنان .

دارُ العلوم ، وما دارُ العلوم سوى ... عقدٍ تتيهُ به الفصحى وتزدان

للضاد فى مصرَ بل فى الشرق أجمعِهِ ... حصْنٌ بَنُوها له : أسٌّ ، وأركان

إن أعقبَتْ وائلٌ سحبانَ ، كان لَها ... من بينهم ألفُ سحبانٍ وسحبانُ(1)

تغلغلوا فى ربوع الشرق ، وانتشروا ... كأنهم صَيِّبٌ فى الشرق هتَّان(2)

كأنما الضادُ دينٌ ينشرون له ... دَعْوَى . وبعضُ اللُّغَى للناس أديان(3)

***

رُسْلَ الثقافة ، مرحَى . نحن فى زمنٍ ... أمضى سلاحٍ به : علمٌ ، وعرفان

إن وحَّدَتْ بين أقوام ثقافتُهم ... فلن تُفرِّقَ ذاتَ البَيْن بُلدان

ليس التكانُفُ بالأكتاف مظهرُهُ ... لكنما هو إحساسٌ ووِجدان

إنى أُحُسُّ - وحسِّى ليس يكذِبُنى - ... مستقبلاً ملؤُهُ عِزٌّ وسلطان

ماضى العروبة يخطو نحوَ حاضرها ... لى بالعروبةِ والرحمنِ إيمان

أبناءُ يعرُبَ إن سادوا الأنام ، فقد ... عاد الأنامُ رعاياهم كما كانوا(4)

أطلَّ فى الأفْقِ نجمٌ كُنتُ أرقُبُهُ ... كرَّتْ عليه الليالى وهْوَ وَسْنَان(5)

هذى خيولُ الصلاحيين قد زَحفَتْ ... كأنها - وهْىَ تطوى الأرض - عِقْبان(6)

مهلاً فِلسطينُ ، قد ناديتِ معتصمًا ... جوابُهُ : مَشْرفيَّاتٌ وخُرصَان(7)

---

(1) يشير إلى سحبان وائل الذى يضرب بفصاحته المثل .

(2) الصيب الهتان : الغيث المتدفق .

(3) ترتبط اللغات بالديانات أحيانًا ، ومن أبرز ذلك : ما بين الإسلام واللغة العربية من وشائج .

(4) يريد : أن سيادة الجنس العربى للبشر ليست بدعة ؛ فإن لها سندًا من التاريخ .

(5) وسنان : نائم ، ويشير بهذا البيت إلى تكتل الدول العربية للدفاع عن فلسطين .

(6) العقبان : جمع عقاب ، والصلاحيين : نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى .

(7) ينظر : ما كتبناه عن عنوان القطعة السابقة « يا أخت عمودية » . المشرفيات والخرصان : السيوف والرماح .

الله يعلــم أنَّ السِّلــمَ غــايُتنــا ونحن ـ من دَوْحِـه ـ : ظلٌّ ، وأغْصان

مــا أبعـدَ البغـىَ عنــا ! إننــا نفـرٌ إلى العلا ـ لا الـدمِ الموَّارِ ـ ظمآن[1]

لكنـه الحـقُّ لـم تنَهـضْ بـه حُجَـجٌ فمـا لــه غيـرَ حـدِّ السيـف بـرهـان

الحــق لـؤلـؤةٌ غــاصـت ببحـر دمٍ لهـا شِراكـان : أسطـولٌ وفُرسـان[2]

لا هُـمَّ ، إن حماةَ الأمـنِ قد جَحَـدوا مصـرًا ، ولـو أيَّـدتْهـا قـوةٌ دانـوا[3]

تـرنَّحَ النيـلُ لمـا صـاح مـن بَرَدَى صـوتٌ يعـاونُـه والحـرُّ مِعـوان[4]

صوتٌ مـن الخلد عُلويُّ الصَّـدَى، غرِدٌ مستعـذَبٌ ، كـأذان الفجـر رنَّـان

مقـالـة سمعتهـا مصـرُ خـاشعـةً كــأنمــا هــى إنجيــلٌ وقــرآن

أَدْلَـى بهـا « فـارسٌ » بلقــاءَ سـافـرةً فاهتزَّ من حصْـن الاستعمار بنيان[5]

إن الأُلَـى بشَّروا بـالسلـم قد نُسِجَـتْ من صُنـع أيديهمو للسِّلـم أكفان[6]

عهدُ المحيط هَوَى بعـد الحروب إلى قـاعِ المحيـط ، وللأمـواج طُغيـان[7]

ليـس الأنامُ ــ كمـا قالـوا ــ سواسيَـةً بل فـى الأنام سَراحيـنٌ : وقُطْعَان[8]

ليــس السـلامُ بخفَّــاقٍ لــه عَلَــمٌ مـا دام بيـن الـورى شَـاءٌ وذُؤْبَـان !

---

(١) الموار : كالفوار لفظًا ومعنى .

(٢) يريد : أن الحق لا يحق نفسه ، بل تحقه القوة .

(٣) كان مجلس الأمن ـ فى ذلك الوقت ـ قد خذل مصر فى قضيتها .

(٤) يشير إلى كلمة فارس الخورى التى أيد بها قضية مصر إذ ذاك فى مجلس الأمن كما سيلى .

(٥) بلقاء : واضحة بيضاء .

(٦) يشير إلى مجلس الأمن الذى لم يؤيد قضية مصر فعرض الأمن للخطر .

(٧) يريد بعهد المحيط : ميثاق الإطلانطى المعروف ، ويريد بقاع المحيط : سطح قراره الذى يشبه القاع .

(٨) سراحين : جمع سرحان بمعنى الذئب .

رسل الثقافة

وفد عربى ثقافى آخر هبط مصر ؛ فكرمه المعلمون فى ناديهم بالجزيرة ، وألقى الشاعر هذه القصيدة، سنة ١٩٤٩م

نَسَبٌ أُدلُّ بـه علـى الأقمـار ... أَنَا مـن سُلالـة يعرُبٍ ونـزارِ (١)

وأولئـك الشُّـمُّ الأُبـاةُ أُخَـوتـى ... والمكرُمـاتُ شعارُهـم وشِعـارى (٢)

أرضَ الجزيرةِ ، مَنْ حَوَيْتِ من الورى؟ ... أشَرَى أسـودٍ أم سمـاء درارى ؟ (٣)

ناديـكِ أم عـرفـاتُ مـاجَ حجيجهُ؟ ... أم فيـك قـام البيـتُ ذو الأستـار ؟

أم بيـن دَوحِكِ ـ ليت شعرى ـ دوحـةٌ ... أخرى تشاهـدُ بيعـةَ الأنْصـار ؟ (٤)

حـيِّ الـوفـودَ تحيَّـةً ممـزوجـةً ... بعَبيـر غـاليـةٍ ، ونَفْـح عمَـار (٥)

واخشَـعْ إذا حـدَّثْـتَ عـن أَسـلافهم ... أو زرتَ مـا تـركـوا مـن الآثـار

كـانـوا إذا رفعـوا قـواعـد دولـةٍ ... وضَعُـوا العلـومَ مـواضـع الأحجـار

كـانـوا إذا نشـروا السـلام علـى الـورى ... رُسُلاً ، وإن خاضوا الحروب ضوارى

حَـاطـوا ممـالكهـم بعـدْل ملـوكهـم ... كحيـاطـة البُستـان بـالأسـوار

---

(١) يعرب ونزار : من أجداد العرب القدامى ـ كما هو معروف ـ.

(٢) الشم : جمع أشم ، والأباة : جمع أبى ، وكلاهما بمعنى : من لا يقبل الضيم .

(٣) يريد : جزيرة الروضة وهى مقر نادى المعلمين الذى أقيم بـه الحفـل ، وقولـه : «أشرى أسود ؟» خبر وأصله : « أأنت شرى أسود » ؟

(٤) يشيـر إلى : الشجـرة المبـاركة التـى بـايع الأنصـار تحتهـا رسول الله ﷺ، ومـن المعروف : أن هذا الوفد إنما قدم مصر لعقد اتفاقات ثقافية .

(٥) الغالية : نوع من الطيب ، والعمار : نبت ذكى الرائحة .

مِنْ جَنْدل الفلوات قَدُّوا عزمَهُم أو سيلهنَّ الجارف التَّيَّار[1]

ومن الحيا المِدْرارِ صِيغَ سخاؤُهُم فسخاؤُهم صِنْوُ الحيا المدرار[2]

وتنفَّسوا ريح البوادى حرَّةً فتحرَّروا من رقِّ كلِّ إسار

المجدُ ينبُتُ فى الصحارى والعلا بدلَ المروج الخُضْر والأشجار

إن كان للبارى شعوبٌ خصَّها برعايةٍ ، فالعُرْبُ شعبُ البارى[3]

أو قيل : إنَّ العالمين عناصرٌ فهمو همو حسبًا ، وطيبَ نِجار

خُلِقَ البرايا من ترابٍ خالصٍ والعُربُ شِيبَ ترابُهم بنُضَار

***

أُممُ العروبة وحَّدَتْ أَهدافَها توحيدَها للبارىء القهار

حِلْف نمَاء العلم؛ ما أَوحى به نَزَقُ الهوى ، أو حبُّ الاستعمار[4]

قُلْ للثقافة : أنتِ دينٌ آخرٌ دينُ المساجد أنتِ ، والأديار[5]

بالضادِ نحن وبالدماءِ قبيلةٌ وبوَحدةِ الأهدافِ والأفكار

لا تسأَل العربىَّ عن وطَن؛ فقد محت الصلاتُ فواصلَ الأقطار

عدنانُ جَدِّى، والعروبةُ كلُّها لى عترة ، والشرقُ أَجمعُ دارى

***

---

(١) فى هذا البيت : يربط الشاعر بين بيئة العرب وأخلاقهم .

(٢) الحيا المدرار : الغيث المتدفق .

(٣) يشير بذلك إلى : ما يعتقده بعض الشعوب ـ كاليهود والألمان والصينيين وغيرهم ـ من أنهم شعب الله المختار .

(٤) نماه : نسبه ، والنزق : الطيش . يشير إلى : الميثاق الثقافى التى حضرت الوفود العربية من أجله، مقارنا بينه وبين بعض المواثيق السياسية .

(٥) قد يطلق الدين على : ما يعتقده المرء من الآراء ؛ فيقال ـ مثلا ـ : فلان يدين بمبدأ التعاون .

رسلَ الثقافة ، مرحبًا بوفودكم ... مصرٌ تتيهُ بكم على الأمصار

ما زال نهرُ النيل يحسَبُ نفسَه ... فوق البسيطة عاهل الأنهار

حتى رأى علماءَكم فى شطِّه ... فإذا به يجرى أمام بحار

مصرٌ تدينُ بدينها ولسانها ... لكمو ، وما تَرْوى من الأشعار [1]

هى أُمَّةٌ ترعى الجميلَ لأهله ... حفظُ الجميل سجيَّةُ الأحرار

دعَّمتمو صرحَ الإخاء ، وليس ما ... تبنى يمينُ العلم بالمنهار [2]

العلمُ لا تبنى الممالكُ نفسها ... إلاَّ به فى عهد الاستقرار

العلمُ ألزمُ للشعوب — إذا دعا ... داعى الحروب - من النمير الجارى

هو ساعدُ السبّاح فوق الماءِ إن ... خاض الوغى، وقوادمُ الطيّار [3]

العلم أمضَى فى الضريبة حدُّه ... من حدِّ كلِّ مهنَّدٍ بتَّار [4]

قلْ للكماة الذائدِين عن الحمى ... والمرْخصين غواليَ الأعمار

من نَسْل كلِّ أَبٍ أَبيٍّ ، بالردى ... يَرْضَى ، ولا يَرْضَى هوانَ الجار :

عبثَ الثعالبُ بالحمى ، فأروهمو ... يومًا تجلَّل وجهُهُ بالقار [5]

يومًا كيوم الروم فى « اليرموك » ، أو ... يومًا كيوم الفُرْس فى « ذى قار » [6]

---

(١) يشير إلى : ما لبلاد الشام والعراق والحجاز من فضل على الإسلام والفصحى .

(٢) دعم البناء :- بالتشديد كدعمه بالتخفيف — : اتخذ له الدعائم التى تشده وتسنده .

(٣) يشير إلى : فضل العلم على اختراع الأساطيل والطائرات .

(٤) الضريبة : الهدف المضروب ، والمهند البتار : السيف القاطع .

(٥) يريد بالثعالب : اليهود مغتصبى فلسطين .

(٦) « اليرموك » : يريد بها الموقعة المشهورة التى انتصر فيها العرب على الروم فى عهد عمر ، « ذى قار » يريد بها الموقعة اتلتى انتصر فيها العرب على الفرس قبل الإسلام .

لا تُبْتَنَى الـدُّولاتُ حـولَ مـوائدٍ كمـوائد النَّـدمـانِ حـولَ عُقَـار (١)

الحـقُّ عند قُضـاتهـا يُقْضَـى بـه للـدرهـم المضـروب والـدينـار (٢)

إنَّ الحقـوقَ تـوائمٌ يصطـادُهـا مَـنْ شـاء من بحـر الـدَّم المـوَّار (٣)

لـم ألـقَ أعـدلَ مـن قـذيفـة مِـدفـعٍ حُكمًـا، وأخْطَـبَ مـن لسـان النـارِ

نشيد

الشباب الآسيوى الأفريقى

أنشىء تلبية لطلب بعض الجهات ؛ ليتغنى به

شباب اتحاد آسيا وإفريقيا، سنة ١٩٦٠م

اسْلَمِـى يـا أُمَمَ الشـرقِ، وسُـودِى وابلُغِـى الأَوْجَ بتـوحيـد الجُهُـودِ (٤)

لا عـداكِ النصـرُ خفَّـاقَ البُنـودِ أنـتِ ظـلُّ الله فـى هـذا الـوجـودِ (٥)

وبشـيرُ الأَمْـنِ فيـهِ والسـلامْ

يا شباب الشرقِ ، سـودوا مثلما ساد الجُدودُ صُحُفُ الماضى شهودُ: أَنَّنا سُدْنا الأنامْ

***

(١) العقار : الخمر ، ويريد بهذه الموائد : موائد هيئات الأمم على اختلاف ألوانها .

(٢) يشير إلى : ما يبذله اليهود من الرشا فى سبيل اكتساب تأييد الأمم .

(٣) التوائم : اللآلىء .

(٤) الأوج : الغاية .

(٥) لا عداك : لا تجاوزك ، البنود : الرايات .

هــا هُنَــا فجْــرٌ جــديــدٌ طَلَعَــا وشبــابٌ لــلأذانِ استَمَعَــا[1]
بيــنَ إفــريقيــا وأسْيَــا جَمَعَــا أَلّــفَ الأحْــرارَ فــى الشــرق مَعَــا
أُلفــةً بــين كــرامٍ وكــرامْ

يــا شبــاب الشــرق ، ســودوا مثلمــا ســاد الجــدودُ
صحــف الماضــى شهود : أنّنــا سُــدْنَا الأنــامْ

***

نحــن شعــبٌ واحــدٌ يبغــى الخُلــودْ لــم تُفــرِّقْ بيــن أرضَيْنَــا الحــدودْ
ليــس فــى شِــرعتنــا بيضٌ وســودْ كلُّنــا شــرقٌ ، عــن الشــرق نــذودْ[2]
نَقبلُ الموتَ ، ونأبى أن نُضامْ
يــا شبــاب الشــرق ، ســودوا مثلمــا ســاد الجــدودُ
صحــف الماضــى شهودُ : أنّنــا سُــدْنَا الأنــامْ

***

أيُّهــا الشَّــرقُ ، ارفــع الصــوتَ جِهــارا نــادِ بــالسِّلــم على الأرض شِعــارَا
كنــتَ بــالأمْــس لــرُسْــل الله دارا وستبقــى للهــدى فيهــا مَنَــارا[3]
تَنْشــرُ الألفــةَ فيهــا والوئــامْ

يــا شبــاب الشــرق ، ســودوا مثلمــا ســاد الجــدودُ
صحــف الماضــى شهودُ : أنّنــا سُــدْنَا الأنــامْ

---

(١) يريد بالأذان : صوت الرئيس الذى نادى بتوحيد الجهود فى القارتين .
(٢) يعرض بما فى بعض البلاد المتحضرة من التفرقة فى المعاملة بين السود والبيض .
(٣) كل أنبياء الله من الشرق ؛ ولم يختر الله رسولا واحداً من أوربا أو أمريكا ، هذه حقيقة تاريخية .

حى اللاجئين

القصيدة التى ألقاها الشاعر فى غزة ، حين سافر إليها فى وفد الأدباء لزيارة حى اللاجئين ، فى فبراير سنة ١٩٦١م

قُمْ حَيِّ حَيَّ اللاجئينْ   وأذْرِفْ به الدمعَ السخينْ! (١)

حيٌّ به شَبَحُ الرَّدَى   فى كلِّ زاوِيَةٍ كمينْ

يَتَصارعُ الداءُ العُضَا (م)   لُ به مع الطبِّ الحَنُون

لم أَلْقَ حيًّا مثلَهُ   أحياؤه لا يُرْزَقُون

قَرَّحْتِ منّا ، يا فِلَسْ (م)   طينُ الحَشَا قبلَ الجُفُون

قد كنتِ مبكًى لليهو (م)   دِ فصرتِ مَبْكَى المسلمين (٢)

لَهفِى على الشُّمِّ الأبا (م)   ةِ عن الديار مشرَّدين (٣)

سكنُوا العَرَاء ، ودورُهم   منهم على مرأى العُيون (٤)

قد أَوْشَكَتْ شُرُفاتُها   تُومى إليهم باليمين

يَرنُو إليهم صخرُها   فيذوبُ من فَرْطِ الحنين !

ويظَلُّ يدعوهم بصو (م)   تٍ فى القلوبِ له رنين

---

(١) « حى » الأولى : فعل أمر ، والثانية : بمعنى جهة أو مدينة .

(٢) مبكى اليهود فى فلسطين معروف .

(٣) يقصد : العرب الذين أجلوا عن ديارهم .

(٤) أخبرنى بعضهم أنه يجمع أولاده ، ويقف على الحدود ، ويشير لهم إلى منزل ابيهم .

الهـــائمـــون بكـــلّ أفْـــ (م) ـــقٍ دنَّسُوا البلـدَ الأميـن[1]

لا الطيـرُ يعـرِفُ ذلـك الـــو (م) جْـهَ الغـريـبَ ، ولا الغُصـون

الأرضُ تنكـرُهـم بهـا والـريـحُ ، والغيـثُ الهَتـون[2]

لا جـادَهُـم غيـثٌ ، ولا ساغـوا بهـا العـذبَ المَعين ![3]

مَـنْ أسكَـن الـذِّئْبَ الشَّـرَى ؟ أيـن الـوِجَارُ مـن العريـن ؟[4]

مَـنْ صـادَ فـى الآجـامِ فهْـ (م) ـو لأسْـدهـا صَيـدٌ سمين

***

قسمًـا بمـن أجْلَـى قُـرَيْـ (م) ـظَةَ والنَّضيـرَ عـن الحصـون[5]

وبمـنْ أتـاحَ لجُنْـدِهِ فـى خيْبَـرَ النصـرَ المبيـن[6]

لنُـرتِّلـنَّ لهـم غـدًا : « كـونـوا قـرُودًا خـاسئيـن »[7]

ولنَـدْخُلُـنَّ محلِّقـ (م) ـينَ رءوسَنـا ، ومُقصِّـريـن[8]

ولنُنْقـذَنَّ تُـراثَنَـا مـن قبضـة الشَّعـب اللعيـن

ولـو استعـانَ علـى البقـا (م) ءِ بـألـفِ « تـاميـزٍ ، وسيـن »[9]

---

(١) يقصد : اليهود ، وهم مضرب المثل فى التشرد .

(٢) الهتون : المتدفق .

(٣) البيت دعاء عليهم .

(٤) الوجار : مسكن الذئب ، والعرين : بيت الأسد .

(٥) قريظة والنضير قبيلتان يهوديتان أجلاهما المسلمون عن المدينة فى بدء الإسلام .

(٦) خيبر : قبيلة يهودية أخرى أجليت عن حصونها أيضًا .

(٧) فى القرآن الكريم «كونوا قردة خاسئين » أى مطرودين .

(٨) التحليق والتقصير من مشاعر الحج : شبه الشاعر دخول فلسطين بدخول مكة .

(٩) يشير « بالتاميز والسين » إلى : إنجلترا وفرنسا .

أو حـــاربَـــتْ معـــه أبـــا (م) لِسَـــةُ الجحيـــم مـــدجَّجيـــن

ولنحْمِلَـــنَّ لكـــلِّ مـــن واســـاهـــم الحقـــد الـــدَّفيـــن

حقـــدٌ تعيـــشُ بـــه ، فـــإن مِنّنَـــا نُـــورِّثُـــه البنيـــن

أبنـــاءَ يعـــرُبَ ، لستمـــو نســـلَ الكُمـــاةِ الفـــاتحيـــن

لسْنَـــا إلـــى « المـــأمـــون » يـــو (م) مَ الفخـــر نُنْسَـــبُ ، « والأميـــن »[(١)]

إن لـــم نخضِّـــبْ أرضَ يَعْـــ (م) ـــرُبَ مـــن دمـــاءِ الغـــاصبيـــن

زُجُّـــوا بهـــم فـــى البحـــر زا (م) دًا ، منـــه يشبَـــعُ كـــلُّ نُـــون[(٢)]

البحـــرُ يفْغَـــرُ ، فـــاه والـــ (م) ـــحيتانُ خـــاويـــةُ البطـــون

لا تُـــذهِـــبُ الأحـــزانَ آ (م) هـــاتُ التـــوجُّـــع والأنيـــن !

لكـــنَّ دركَ الثَّـــأر يَشْـــ (م) ـــفِى علَّـــةَ القلـــب الحـــزيـــن

العُـــرْبُ لا ينْسَـــوْن ثـــا (م) رهمـــو علـــى مـــرِّ السنيـــن

فلْتَثْـــأَروا يـــا قـــومُ للشَّـــ (م) ـــيخِ المحطَّـــم والجنيـــن[(٣)]

ولمـــن طـــواهـــا المـــوتُ وهْـــ (م) ـــىَ تـــذودُ عـــن عـــرضٍ مَصُـــون[(٤)]

فـــى ذمـــة الـــرحمـــن حُـــو (م) رٌ قـــاصـــراتُ الطـــرف عِيـــن ![(٥)]

---

(١) الأمين والمأمون: هما الخليفتان العباسيان المعروفان ، وكان عهدهما من أزهى العهود الإسلامية .

(٢) النون : الحوت .

(٣) يشير إلى: عدوان اليهود على العرب وما ارتكبوا من الفظائع فى حرب فلسطين ، والعدوان الثلاثى وغيرهما .

(٤) سمع الشاعر بأذنيه أثناء الرحلة قصصًا متعددة تدور حول هذا الموضوع .

(٥) حور : جمع حوراء وهى شديدة بياض العين شديدة سوادها ، عين : جمع عيناء : وهى واسعة العين ، قاصرة الطرف : غضيضة الطرف من الخفر والحياء.

ذهبَــتْ ضحيَّــةَ عــرضِهــا　　والعــرضُ عنــد الحــرِّ ديــن

***

لــن يعــرفَ العــربــيُّ بعــ (م) ـــدَ اليــوم إحنــاءَ الجبيــن

بطــنُ الضــريــح أحــبُّ مــن　　عيــشِ الــذليــلِ المستكيــن

لا لاجئيـــــنَ اليـــومَ بـــل　　قــولــوا لهــم : يــا عــائديــن

واستبشـــروا بـــالنصـــرِ ؛ إنَّ (م) النصـــرَ أقــربُ مــا يكــون

هــذا صــلاحُ الــديــن عــا (م) د يقــودُ ألــفَ صــلاح ديــن[1]

معـــه جنـــودٌ مـــن مـــلا (م) ئكــة السمـــاءِ مســوَّميــن[2]

قـــالـــوا : لـــدينـــا ذرَّةٌ　　فتَّــاكــةٌ مــن « هــدرجيــن »[3]

قلنـــا : لـــدينـــا ذرتَـــا (م) ن : الحـــقُّ أبْلـــجَ ، واليقيــن

سـرْ ، يــا جمــالُ ، نَسِــرْ علــى　　آثـــارِ خَطْـــوك مقتفيـــن

وخُـــضِ المحيـــطَ ـ إذا أرد (م) تَ بنـــا ـ نخُضْـــهُ بـــلا سفيـــن

يـــدعـــو لـــك الأطهـــارُ مـــن　　أبنـــاءِ يعـــرُبَ أجمعيـــن

فتجيـــبُ دعـــوتَهـــم مـــلا (م) ئكـــةُ السَّمـــاءِ مـــؤمِّنيـــن !!

---

(١) يقصد : الرئيس جمال عبد الناصر وجنوده الذين لا يقل أحدهم عن السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) مسومين : معلمين .

(٣) يشير إلى ما أذاعه اليهود من : أنهم اخترعوا القنبلة الذرية .

إسلاميّات

تسبيح وابتهال !! (١)

سبحَانكَ اللَّهُمَّ ! مـا أعْـدَلَـكْ ! — نحـنُ العبيـدُ نحـنُ ، والمُلْـكَ لَـكْ
تَغْنُـو لـك الحيتَـانُ فـى لُجِّهَـا — وكـلُّ نجـمٍ سـابـحٍ فـى الفَلَـكْ(٢)

***

الـذئبُ إذْ يَعْـوى بصحـرائِهِ — يُثْنـى علـى الله وآلائِهِ(٣)
والطيـرُ إذْ يَشْـدُو علـى غُصْنِـهِ — يُقـرُّ لله بنَعْمـائِهِ
والحَجَـرُ الجَلْمَـدُ فـى صَمْتِـهِ — يهتـفُ بـالله وأسمـائِهِ
فـى ألِـفِ اللهِ ، وفـى لامِـهِ — قـد فَنِـىَ الكـلُّ ، وفـى هـائِهِ !

***

سبحـانـك اللهـم ! مـا أعـدلـك ! — نحـن العبيـد نحـن ، والملـك لـك
تعنـو لـك الحيتـان فـى لجهـا — وكـل نجـم سـابـح فـى الفلـك

***

مَـنْ عَلَّـمَ النَّمْلَـةَ معنى العَمَـلْ ؟ — مَـنْ أَلْهَـمَ النَّحْلَـةَ صُنْـعَ العَسَـل ؟
مَـنْ سيَّـرَ الأفـلاكَ فـى دقَّـةٍ ؟ — مَنْ سخَّرَ البحرَ ، وأرسى الجبَلْ ؟(٤)

---

(١) الابتهال : التضرع .

(٢) تعنو : تخضع .

(٣) الآلاء : النعم .

(٤) سخر : ذلل ، أرسى الجبل : ثبته .

مَـنْ مَـلأَ الـدنيـا بـأسـرارِهِ ؟ مـن كـوَّنَ الأكـوانَ منـذُ الأزلْ ؟

تبـاركَـتْ أسمـاؤُهُ ! كـلُّ مـا فـى ذلـك الكَـوْنِ علـى اللهِ دَلّ

***

سبحـانـك اللهـم! مـا أعـدلـك ! نحـن العبيـد نحـن ، والملـك لـك

تعنـو لـك الحيتـان فـى لجهـا وكـل نجـم سابـح فـى الفلـك

***

النَّـازِحُ الأهْـلِ الشـريـدُ الغـريـبْ أنـتَ له الأهـلُ ، وأنتَ الحبيبْ [1]

والسـاهـرُ المُضْنَـى الـذى يشتكـى أنـتَ لهُ الآسـى، وأنتَ الطبيبْ [2]

والغــارمُ الغــارقُ فــى دَينِـهِ أنـتَ لـه فى الضِّيـق كنـزٌ رغيـبْ [3]

والسـائلُ المـردودُ عـن سُـؤْلِـهِ أنـتَ لـه ، يـا ربِّ ، نعْـمَ المجيـبْ

***

سبحـانـك اللهـم ! مـا أعـدلـك ! نحـن العبيـد نحـن، والملـك لـك

تعنـو لـك الحيتـان فـى لجهـا وكـل نجـم سابـح فـى الفلـك

***

ربِّ إليـكَ المُنتهَـى والمَـآبْ وقولُكَ الصِّدْقُ ، وفصلُ الخطابْ [4]

ودينُـكَ الحـقُّ المبيـنُ الـذى يَهدِى إلى نهْـج الهدى والصَّوابْ [5]

---

(١) النازح : البعيد .

(٢) المضنى : من أصابه الضنى وهو المرض .

(٣) الغارم : المدين .

(٤) المآب : المرجع .

(٥) النهج : الطريق .

لاَ هُـمَّ ، ثبِّـتْ بــــكَ إيمـــانَنَـا
واكتُـبْ لنـا عفْـوَكَ يــومَ الحسـابْ

وتـــوِّجِ اللَّهُــــمَّ أعمــــالَنــــا
فـى الـديـن والدنيـا بحُسْـنِ الثَّوابْ

***

سبحانــك اللهـم! مـا أعــدلــك !
نحـن العبيـد نحــن، والملـك لـك

تعنـــو لــك الحيتـــان فـــى لجهــا
وكــل نجــم سابــح فـــى الفلــك

مولد الهادى الآمين

سـائل الكَوْنَ : هـل عـرفـتَ الوليـدَا
هَـزَّ فى مهـدِه الصغيـرِ الوجـودَا؟[1]

الــوليــدُ الــذى استهَــلَّ فــأمْسَــى
يـومُـهُ فى السمـاءِ والأرضِ عيـدا[2]

أىُّ بشْــرَى إلــى السَّمَـــواتِ زُفَّــتْ
رَدَّدَتْهـــا أمـــلاكُهـــا تَــرديـــدا ؟

غَرِّدى فـى الجِنان، يا حُـورُ، نشْوَى
واسر ، يـا نجمُ ، فى السَّمـاء سُعُودا

يـا لواءَ التـوحيـدِ فـى الأُفقِ ، رفـرِفْ
لَقِــىَ الشِّــرْكُ يــومَــه المــوعُــودا

وُلِــدَ المصطَفـــى ! سَــلامٌ عليْـــهِ
مَـا حَبَا، أو مَشَـى، أو اشتَدَّ عُـودَا !

هَتَفَــتْ بــاسِمِــهِ حليمَــة طفــلاً
فغـدَا فــى فـمِ الــزمـانِ نشيـدا[3]

---

(١) لم يرد : أن ذلك حدث بالفعل وإنما أراد : أن بوادره حدثت فكأنه وقع ، على حد قوله تعالى «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» تنزيلا للمحتم وقوعه مستقبلا منزلة ما وقع فعلا .

(٢) استهل : ولد .

(٣) حليمة : مرضعة الرسول .

لــم تَلِـدْ أمُّــهُ ســواهُ غُــلامًــا ... قيمــةُ الــدرِّ أن يكــونَ فــريــدا

هـل دَرَتْ يـومَ وضْعـه بنتُ وهْـبٍ : ... أنهـا أطلعَـتْ صباحًـا جـديـدا؟[1]

هــل دَرَتْ : أيُّ دولــةٍ وســريــرٍ ... آذَنَــا يــومَ وضعِــهِ أن يَمِيــدَا؟[2]

هـل درَتْ : أنهــا علـى هَـامـةِ التَّـا (م) ريـخ شـادَتْ للعُرْبِ مُلْكًـا وطيـدا؟

صـاح فـى مهـده الـوليـدُ ! أكَـانـت ... نغمـاتٍ صيحـاتُـهُ أم رُعُـوْدا؟[3]

صَيحَــةٌ زلْــزَلَ الضـلالَ صَـداهـا ... وَوَعَتْهـا أُذْنُ الهــدى تغــريــدا

وُلِــدَ الصـادقُ الأميــنُ ؛ فيـا شَمْـ (م) ـسُ أطِلِّــى ، وبـاركـى المـولـودا

واقــرئى فــى جَبينِـهِ سُـورة الخلـ (م) ـدِ ، إذا كنـتِ تبغيـن الخلــودا[4]

وخـذى عنـه : كيف تُحييـنَ فـى الأر (م) ضِ مَـواتًــا ، وتُـوقظيـن رُقُـودا[5]

واسلُكـى إنْ ضَللْت فـى الأُفْـق يومًا ... نَهْجَــهُ تسلُكيـن نهجًــا رشيــدا[6]

اقبِســى النــورَ والهــدايــةَ منــه ... إنَّ مَــن يهتــدى بــه لــن يَحِيــدا

نــورُ طَـهَ مــن وجْــه ربِّ البــرايــا ... وحْـــدَهُ جـــلَّ وجهُـــهُ معبـــودا

الــوليــدُ الــذى تــربَّــى يتيمًــا ... علَّــمَ العُــرْبُ كلَّهــا أن تســودا

---

(١) بنت وهب : هى آمنة بنت وهب أم الرسول .

(٢) آذنا أن يميدا : تهيأ كلاهما للانهدام .

(٣) يريد : أن هتاف الرسول طفلا كان مزيجًا من الشدو وهزيم الرعد ، والتفصيل فى البيت التالى .

(٤) إنما خص الخلد لأنه من صفات الشمس : تفنى الأحياء وهى هى فى مدارها .

(٥) يقول الشاعر للشمس - فى هذين البيتين - : إن خلودك دون خلود ذكر الرسول وشريعته ، وإنك دونه فى إحياء الموات وإيقاظ الرقود ، وهاتان الصفتان بالنسبة للشمس حقيقتان ، وبالنسبة للرسول مجازيتان .

(٦) يقول للشمس إذا كان شأنك الهداية فإن الرسول أهدى منك .

شـاحـذًا عـزمَهـم، وكـان كَهَـامًـا ... جـامعًـا شمْلَهـم، وكـان بَـديـدا[1]

لابسًـا لـلأذى مـن الصبْـر درعًـا ... ومـن الصبـر مـا يفُـلُّ الحـديـدا[2]

ســاحــرًا لا بحبلِـهِ وعصـــاهُ ... بـل بِخُلْـقٍ سَمْحٍ يَـروضُ الأسـودا[3]

وبيـــانٍ مَـــنْ ذاقَ حُلْـوَ جنَــاهُ ... عـافَ بنـتَ العُنقـودِ والعنقـودا[4]

النبـيُّ الأمـيُّ جـاء بـآيٍ ... تـركَـتْ سـادةَ البيـان جُمُـودا

أخرسَتْ كـلَّ نـاطق، تركَـتْ كـلَّ (م) لســانٍ مـن عيِّـهِ معقـودا

حـرَّكَ الصُّمَّ إذ تـلاهـا عليهـم ... وَتغـالـى فحـرَّكَ الجُلمـودا[5]

وألانَ القلـوبَ وهْـيَ غِـلاظٌ ... يُشْبِـهُ الصخـرَ طبعُهـا والبيـدا

فـإذا عـابـدُو التمـاثيـلِ للـ (م) ـه يخِـرُّون ركَّعًـا وسجـودا

النبـيُّ الأمـيُّ لـم يـدركْ العِلـ (م) ـمُ قـرارًا لـدينـه أو حـدودا[6]

كـم تحـدَّتْ عقـلاً تعـاليمُـهُ السمـ (م) ـحَةُ فـارتَـدَّ حـائرًا مكـدودا[7]

شـرعـةٌ ظلَّلَـتْ بـأدواحهـا مَـنْ ... حـلَّ بيدًا ، أو حـلَّ قصرًا مَشيـدا[8]

---

(١) شحذ عزمه : أرهفه وقواه ، الكهام : المنثلم .

(٢) فله : خدده وثلمه .

(٣) يفرق الشاعر ـ فى هذا البيت ـ بين معجزة موسى ومعجزة محمد .

(٤) جناه : ثمر ، بنت العنقود: كناية عن الخمر .

(٥) تحريك الجلمود من باب المبالغة : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا» .

(٦) يشير فى هذا البيت ـ وما بعده ـ إلى أكبر معجزات الرسول وهى أنه ـ على أميته ـ جاء بشرعة دقيقة كفيلة بحاجات الناس فى الحياتين .

(٧) مكدودا : متعبًا .

(٨) يريد أنها ـ وهى بنت البادية ـ صلحت لحياة الحضر .

كلَّما مرَّتْ العهودُ عليها أثبتَتْ أنها تُجارى العهودا

الحضاراتُ ـ منذُ قامت على الأر (م) ض ـ تفيَّأْنَ ظلَّها الممدودا

كان فى الشرق روْضها يانعَ الزهـ (م) ـر وفى الغرب حوضُها موروداً

سائل الغربَ عن كنوزٍ من الفكـ (م) ـرِ بجيدِ الزمان كانت عقودا[1]

قدَّمتْها غرناطةٌ وهْىَ تبكى بَدَلَ الفحْم للحريق وَقُودا

شرعةٌ تكفُلُ الحياتَيْنِ فى كلِّ (م) زمانٍ جديدةٌ لن تَبيدا

باسمِها صار قائدًا كلُّ مَنْ يَحْلُـ (م) ـبُ شاةً ، وصار كسرى مقُودا[2]

باسمها ثلَّتِ العروشَ قريشٌ وغدا أهلُها ملوكًا صِيدا[3]

قَسَمَ العالَمَ الرشيدُ : فنصفٌ فى يديه ، والنصف يخشى الرشيدا[4]

دينُ طَهَ كانت مبادئهُ السَّمْـ (م) ـحَةُ فى الحرب شِكَّةً وجنودا[5]

إنّ مَنْ يَفتحِ القلوبَ ابتداءً لم يُصادفْ حواجزًا وسُدودا

لن تَرَى فى الحروب كالمُثُل العُليـ (م) ـا جيوشًا ، وعدةً ، وبُنُودا[6]

فتقلَّدْ إنْ رُمتَ فى الحرب نصرًا (م) مَبدأً ساميًا ، ورأيًا سَديدا

أيُّها الشرقُ ، قد ركدْتَ طويلاً يأسَنُ الماءُ إنْ أَطال الرُّكودا[7]

---

(١) يريد ـ بهذا البيت وما بعده ـ: المكتبة العربية الأندلسية التى أحرقها الغازون عند سقوط الأندلس .

(٢) خلق الإسلام من رعاة الأغنام قوادًا فتحوا بلاد الفرس .

(٣) ثل العرش : أسقطه ، والصيد : جمع أصيد وهو من يشمخ بأنفه كبرًا .

(٤) يريد : أن الرشيد كان ملكًا على رقعة كبيرة من الأرض مرهوب الجانب فى بقيتها .

(٥) الشكة : آلة الحرب .

(٦) البنود : الرايات .

(٧) أسن الماء : تعفن من طول الركود .

لَـك عنـد النجـوم إرثٌ مُضـاعٌ لا تقـل : كيـف أستطيـعُ الصُّعُـودا ؟

لـك مَاضٍ زاهٍ ، فمـا ضـرَّ لـو نلــ (م) ــتَ طـريفًـا مـن العـلا وتليـدا ؟[1]

يـا سليـلَ الصِّيـدِ البهاليـلِ مـن نَسْـ (م) ـل « نِزارٍ » ، هلا خَلَفْتَ الجدودا ؟[2]

لستَ بـالحرِّ إن تعـشْ خامـلَ الذكـ (م) ــر ، وإن كنـتَ للملـوك حفيـدا

لــك فــى سيــرةِ النبــىِّ عِظــاتٌ بـالغــاتٌ ؛ فهـل تـريـدُ مـزيـدا ؟

قـل لأبناءِ « يعـرُبٍ » : وحِّدوا الشَّمـ (م) ــلَ ، كمـا وحَّـدَ النبــىُّ الجُهـودا

إنَّ أولــى الــورى بتـوحيـد شمــلٍ أمــةٌ كـان دينهـا التـوحيـدا

إنَّ شعبًـا مفـرَّقَ الشَّمـل لا يقْهَـ (م) ـرُ خصمًـا ، ولا يكيـدُ حسـودا

أَيُّهـا الشعـرُ ، ذكِّـر الشـرقَ ذكـ (م) ـرهُ بمـاضيـه ، عَلَّـه أنْ يَعـودا

عَلَّ بغـدادَ - فى غـدٍ - تَبْعَثُ المنصـ (م) ـورَ ، أو جِلَّقًـا تُعيـدُ الـوَليـدا[3]

(١) الطريف : الجديد ، والتليد : القديم .

(٢) البهاليل : جمع بهلول (بضم الباء) وهو السيد الجامع لكل خير ، ونزار : جد قديم من أجداد العرب إليه تنسب .

(٣) المنصور : هو أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، والوليد : هو الوليد بن عبد الملك ، أحد خلفاء بنى أمية المشهورين .

قصة البعث

قطعة فى ميلاد الرسول أيضًا ، معدة للتحلين والغناء .

أىُّ نجم فى سماءِ العَرَبِ صار فى الأُفْق حديثَ الشُّهُبِ ؟
أيُّها التَّاريخُ ، بالنُّورِ اكْتُبِ قصَّةَ البعث لشَعْبٍ ونَبِى(1)
وُلِدَ المختارُ وضَّاءَ الجبينْ

يا لَهُ فجرًا جديدًا ظَهَرَا رَوَتِ التَّوْراةُ عنهُ خَبَرًا!(2)
سائل الإنجيل : ماذا سَطَّرَا عن نبىٍّ عربىِّ النَّسَبِ
يَغْمُرُ الأرضَ سناهُ بعد حينْ ؟

وَلَدَتْه مَولِدَ العافى الفقيرْ حرَّةٌ تبكى على فَقْدِ العَشيرْ(3)
فتولَّتْهُ يَدُ المولى القديرْ واحتَفَى الرُّسْلُ به فى موكِبِ(4)
بين حُور قاصراتِ الطَّرْفِ عِينْ(5)

(1) يعتبر بعث النبى بعثًا للأمة العربية أجمع ، فقد خلقها خلقًا جديدًا .
(2) بشرت التوراة - كما بشر الإنجيل - بمحمد ، وفى القرآن نصوص صريحة تثبت ذلك .
(3) العافى : الفقير ، والعشير : الزوج . يشير إلى : أن السيدة آمنة ولدتة الرسول وهى فى حداد على زوجها عبد الله .
(4) المراد باحتفاء الرسل به : أن النبى أحيا سننهم ، فكان جديرًا أن يحتفوا بميلاده .
(5) الحور : جمع حوراء وهى شديدة سواد العين مع شدة البياض ، وقاصرات الطرف معناها : أنهن يقصرن العيون على النظر إليهن ، ويمنعنه النظر إلى سواهن ؛ لشدة جمالهن ، والعين : جمع عيناء ، وهى : الواسعة العين .

قُلِّـدَتْـهُ الأرضُ كـالـدُّرِّ الكريـمْ وكـريـمُ الـدُّرِّ أغـلاهُ اليتيـمْ(١)

يـا لَطفـلٍ فَقَـدَ القلـبَ الـرحيـمْ مـا احتـواهُ فـى الصِّبـا صـدرُ أبِ(٢)

هزَّ فى المهـدِ عروشَ المـالكينْ !

نـاشـئٌ لـم يَقْضِ فـى اللَّهْـو صِباهْ عَـرَفَ اللهَ؛ ولـم يعـرْف سـواهْ(٣)

مـا انحنـى لـلاّتِ يـومًـا، أو منـاهْ دانـت الحكمـةُ طـرًّا لصبـى(٤)

من « قريش » لقَّبوهُ بالأمـينْ(٥)

هـل رأت « مكَّـةُ » فـى يـوم الحجَـرْ وعيـونُ القَـوم تَـرمـى بـالشَّـرَرْ(٦)

كيـف ثـارَتْ فتنـةٌ بيـن الأُسَـرْ ثـم سـادَ الحِلـمُ بعـد الغَضَـبِ

حين مَدَّ الثوب « طه » باليمينْ ؟

***

أيُّهـا النـاسـكُ فـى غـار حِـراءْ أرْهِـفِ السمعَ رويْـدًا للنـداءْ(٧)

---

(١) الدرة اليتيمة : هى التى لا نظير لها ؛ تشبيهًا لهـا باليتيم الذى مات أبوه فلن يعقب مثله .

(٢) لمراد : أن عروش الأكاسرة والقياصرة أصبحت منـذ ميلاد الرسول مهددة بالزوال .
كان الرسول يتعبد ـ قبل البعثة ـ على مذهب الخليل إبراهيم .

(٣) اللات ومناة : صنمان كانا يعبدان فى الجاهلية .

(٤) « الأمين » : كان هذا لقب الرسول فى قريش قبل البعثة .

(٥) يشير إلى : حادثـة الحجر الأسود، عندما اختصمت قبائل قريـش بشأن من يضعه

(٦) فى مكـانه ، وهم يجددون بنـاء الكعبة ، وكيف أن الـرسول حسم النزاع ؛ فـوضع الحجر فى ثوب، وأخذت كل قبيلة بطرف .

(٧) الناسك : العابد ، وغار حراء : معروف فى مكة .

هـاتـفٌ مـن عنـدِ ربِّ العـرش جـاءْ   يَـالَصَـوْتٍ مـن وراءِ السُّحُـب[1]

هتَفَ : « اقرأ » باسم ربِّ العالمينْ !

حـدِّث الفـانيـنَ عـن دارِ البقـاءِ   وانشُـر العطْـفَ ، وبشِّرْ بـالإخـاءِ

واتـلُ فـوقَ الأرض آيـاتِ السَّمـاءِ   مـن كتـابٍ ليـس مثـلَ الكُتُـبِ

فيـه نـورٌ وهـدًى للمتَّقيـنْ

ويْـحَ أهـل الشِّـركِ عُبَّـادِ الصَّنَـمْ   إنْ دُعُـوا للحقِّ ، لاذوا بـالصَّمَـمْ

سـاوَمُـوا المختـار فـى الله ؛ فلَـمْ   يَـرْضَ بـالجـاهِ ، ولا بـالنَّشَـبِ[2]

إنمـا الزُّهْـدُ شِعـارُ المصلحيـنْ

رُبَّ عبـدٍ فـى سبيـل الله قَـدْ   فَقَـدَ المـالَ ، وضحَّـى بـالـولَـدْ

كلمـا سِيـمَ الأذى، قـال: « أحـدْ »   صَهَـرُوا جُثْمـانَـهُ فـى اللَّهَـبِ[3]

فـوَقـى جُثمـانَـهُ بَـرْدُ اليقيـنْ !

خـابَ جمـعٌ بـالـرسـول ائْتَمَـرا   ولِمَـنْ أَرْسَلَـهُ عيـنٌ تَـرَى[4]

نَثَـرَ التُّـرْبَ عليهـم ، وانبـرَى   فـإذا أبصـارُهـم فـى حُجُـبِ

ما الذى أعْشَى عُيون المشركين ؟[5]

---

(١) أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

(٢) عرضت قريش على الرسول أن يكف عن الدعوة ؛ وأن تملكه عليها، وتمنحه من المال ما شاء ؛ فأبى .

(٣) « أحد » : كان هذا هتاف بعض أتباع الرسول ، كلما كووه بالحجارة الملتهبة ، وسامه الأذى : ألحقه به .

(٤) يشير إلى : مؤامرة قريش على الرسول ، وكيف تسوروا داره ليلا، فحثا فى وجوههم التراب ، وخرج ؛ فلم يره أحد .

(٥) أعشاها : جعلها لا تبصر .

سائلِ « الصِّدِّيقَ » : ماذا روَّعَهْ   وإلٰهُ العرش فى الغار مَعَهْ ؟[1]

فضْلُهُ — سبحانه — ما أوسَعَهْ !   حلَّ ركبُ المصطفى فى « يثربِ »[2]

فتلقَّوْهُ لقاءَ الفاتحينْ

لـحْ علينَا من ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ   وادعُنَا للحقِّ ، يا أكرمَ داعْ[3]

أيها المبعوثُ بالأمر المطاعْ   ثِبْ بنا فوقَ الرواسى ، ثِبِ

وخضِ البحرَ ، نخضْهُ أجمعينْ

هتَفَ « الخزرجُ والأوسُ » معَا   وعلى حبِّ الرسول اجتَمَعَا[4]

ما لهم صفًّا وكانوا شِيَعَا؟   أَذْهَبَ الإسلامُ ما لم يُذْهِبِ

قِدَمُ العهد من الحقد الدفينْ

والتَقَى الجمعان فى بدرٍ ؛ فما   ثبَّتَ اللهُ لباغٍ قَدَمَا[5]

أَرأَيتَ الشِّرْكَ كيف انهَزَمَا؟   مَنْ بسيفِ الله يَضربْ ، يَغلبِ

ولمن ينصرُهُ النصرُ المبينْ

---

(١) يشير إلى : حادثة اختفاء الرسول وأبى بكر فى الغار ، التى نزل فيها قوله تعالى : «ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

(٢) يثرب : اسم المدينة .

(٣) ضمن الشاعر هذه المقطوعة بعض نشيد الأنصار المشهور :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

(٤) الأوس والخزرج : قبيلتان بالمدينة استحكم العداء بينهما فى الجاهلية ، ولم يحسمه إلا دخولهما فى الإسلام .

(٥) إشارة إلى : غزوة بدر المشهورة .

حدثـى ، يا « بدر » ، عن صِيـدٍ كُماةِ طلبـوا المـوتَ ؛ ففازوا بـالحيـاةِ [1]

لـم تـزَلْ سيـرتُهـم بعـد الممـاتِ قَصَـصَ الـدهـر ، ونجـوى الحِقَـبِ

ولهـا فـى مِسمَـعِ الـدنيـا رنيـنْ

***

قَلَّـم الإسـلام أظفـارَ الطغـاهْ فـابتَنَـى للعُـرْب جـاهًـا أىَّ جـاهْ [2]

ومضـى يبعـثُ فـى الأرض الحيـاهْ فـأَظَـلَّ الأرضَ عصـرٌ ذَهَبِـى

سائل « المأمونَ » عنه ، و « الأمينْ »

مَـنْ رأَى شعبًـا شتيتًـا مـن رُعـاهْ أصبحَـتْ تَحنِـى لـه الـدنيـا الجبـاهْ

أَمَّ فـى المشـرق « كسـرى » فغـزاهْ وتحـدَّى « قيصـرًا» فـى المغـربِ [3]

نـاشرًا أعلامـه فـوق السـفينْ

بَـدَوىٌّ علَّـمَ الـدنيـا الحضـارَهْ تَخِـذَ الإنصـاف والشُّورى شِعـارَهْ

فـإذا الـدنيـا : ابتسـامٌ ، ونضـارهْ يَتَسَـاوَى أَهلُهـا فـى الحَسَـبِ

لِـمَ لاَ ، والكـلُّ مـن مـاءٍ وطيـن ؟

فـى سبيـل اللهِ أسـلافٌ كـرامْ عَـرَفُـوا صَـرْحَ العـلا كيـف يُقَـامْ

شَيَّـدُوا المجـدَ بـأَشـلاءٍ وهـامْ وطَلَـوْهُ بـالـدّم الحـرِّ الأبِـى [4]

لا ينَـالُ المجـدَ بـالـروح ضنيـنْ

---

(1) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع .

(2) تقليم الأظفار : كناية عن كسر الشوكة .

(3) أم : قصد . وانتصار الإسلام على الدولتين معروف مفصل فى كتب السيرة والتاريخ .

(4) الأشلاء : جمع شلو ؛ وهو : بقية الجسم ، والهام : جمع هامة ؛ وهى : الرأس .

يـا بنـى العُــرْب وأشبـالَ الألَـى فَسِّـروا معنـى التـآخـى للمَـلا
اِجعلـوا سيــرةَ « طــه » مَثــلاً تَـزْحَمُـوا نجمَ السَّمَـا بـالمنكِـبِ
إنّنَـا شعــبٌ لـه التــوحيــدُ ديــنْ

نحنُ بـالحـبِّ وبـالخير نَـدِينْ لا نُثيـرُ الـرُّعْـبَ بيــن الآمنيــنْ
أرضُنَـا الفيحَــاءُ روضٌ وعــريــنْ مَـذْهَـبٌ أَكْـرِمْ بـه مـن مَـذْهَـبِ (١)
سَنَّــةُ طَــهَ إمــامُ المُرْسَـلينْ !

أغنيـة الإسراء (٢)

أنشأها الشاعر ؛ تلبية لطلب بعض المغنين فى قطر شقيق .

رَكْبٌ سـرى نحو بيتِ القُـدْسِ مَسْرَاهُ شَـقَّ الفضاءَ ــ بلا ريـشٍ ــ جَنَاحَـاهُ
مِـنْ حـولِـهِ سـارتْ الأفـلاكُ هَـاتفـةً جبـريل يَحـدوهُ ، والـرحمـنُ يرعـاهُ
مَنْ صاحبُ الركب قد حَفَّ الجلال به ؟ هـذا هـو المصطفـى أسـرى بـه اللهُ
أطـاعـهُ مـن بساط الـريـح جـامِحُـهُ كمـــا دعــاه سليمـــانٌ فلبَّـــاهُ (٣)
سبــعٌ طبـاقٌ لــه الــرحمـن ذلَّلَهــا وكيف لا ، وهْـو طاويهـا بيمناه؟ (٤)

---

(١) الفيحاء : الواسعة .
(٢) لم يقتصر الشاعر فى هذه القطعة على الإسراء ؛ بل تناول المعراج أيضًا ، والمراد بالإسراء : الـذهاب بالرسول ليلا إلـى بيت القدس ، وبالمعراج : الصعـود به إلى السموات العلا ، ومعظم ما ورد فى القصيدة يستند إلى ما ورد فى القرآن الكريم .
(٣) الجامح : النافر ، وفى القرآن ما يشير إلى أن الـريح كانت تأتمر بأمر سليمان بن داود .
(٤) ذللها : أخضعها ، طاويها : بانيها .

تبـــارك اللهَ ! لا عقــلٌ بقـــدرتـــه … يُحيط كنهَا ، ولا يدرى الورى ما هو؟[1]

***

القُـدْسُ رحّبَ بـالهـادى ، وهشَّ لـه … إذ لامسَـتْ جبهــةَ الهـادى مُصَـلاَّهُ

جابَ السمـاءَ ؛ فراح النجم يَـرْصُدُهُ … ويقبِـسُ النـورَ مــن زاهـى مُحَيّـاهُ

وودّتِ الشمـــسُ لـو تبـدو أشعتُهـا … ليـلاً ؛ لتنعَـمَ عــن قــربٍ بمـرآهُ

وَسِـدْرَةُ المنتهـى مـاسَـتْ لمقـدَمِـهِ … أفنانُهـــا ، وانثَنَـتْ تِيهًـا بُلقيـاهُ[2]

مِنْ سدرةِ المنتهَى أصْغَى الحبيبُ إلى … صوتٍ ــ يَجِلُّ عن التشبيه ــ ناداهُ[3]

فى مـوطن قُـدُسٍ ، تعشو العيـون بِهِ … تكحّلـــتْ بجمـــال الله عينـــاهُ[4]

***

يـا ساريًـا فى السمـوات العلا سَحَـرًا … يُـزْجى إلـى المَلَأ الأعلـى مطايـاهُ[5]

اللهُ أعطـــاك مـــا لـــم يُعطِـهِ أحَـــدًا … طُوبَى لمن خصّـهُ بالقُرب مولاهُ ![6]

اللهُ أعطـــاكَ دونَ الــرُّسْـلِ منـزلــةً … والرُّسْـلُ ـ بعدك ــ فى الأقـدار أشباهُ

ناجيْتَـه تَحت ظـلِّ العرش عـن كَثَـبٍ … وصاحبُ الطُّور فـوق الطُّور ناجاهُ[7]

أنـتَ الحبيبُ الـذى تُرْجَـى شفاعتُـهُ … لــك الــوسيلـــةُ عنـد الله والجـاهُ

---

(١) كنه الشىء : حقيقته .

(٢) السدر : شجر النبق ، وسدرة المنتهى : ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

(٣) تقول الروايات الدينية ـ التى تناولت هذا الموضوع ـ : إن الرسول رأى ربه ، وشافهه بالخطاب .

(٤) قدس : بالغ الطهر ، تعشو : يحتجب بصرها .

(٥) يزجى : يسوق .

(٦) طوبى : معناها الخير العظيم ، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٧) كثب : قرب . وصاحب الطور : هو النبى موسى .

أنت المشفَّعُ يومَ الحشر إن شَغَلَتْ ... كلَّ أمرىءٍ عن ذوى القُرْبَى خطاياهُ

لا أبتغى غيرَ قربِى منك منزلةً ... إن باتَ يبغى مُحبٌّ قُرْبَ ليلاهُ(١)

الكائناتُ كتابٌ أنتَ من قِدَمٍ ... عنوانُهُ ، وهْىَ لفظٌ أنت معناهُ

محمَّدٌ فى فم الدنيا اسمُهُ نَغَمٌ ... اللهُ فى لوحِهِ المحفوظِ سمَّاهُ

عمر الزاهد

راغبٌ فى الله ، عفٌّ عن سواهْ ... ما سَبَتْ عَيْنَيْهِ زيناتُ الحياهْ

لا ، ولا اعتزَّ بسلطانٍ وجاهْ ... عُمَرُ الفاروقُ ! حدِّثْ عن عُمَرْ

موئلِ العدل، إمامِ الزاهدينْ(٢)

فاتحُ الأمْصار ، ذُو المُلْك الكبيرْ ... لم يكنْ صاحبَ تاجٍ أو سريرْ

حَزَّ فى جَنْبَيْه فرشٌ من حصيرْ ... وكسا عِطْفَيْه ثوبٌ من وبَرْ (٣)

وأواهُ الكوخُ من ماءٍ وطينْ

قيْصَرٌ ، لكنَّهُ بالى الثيابْ ... لم يكن يسكُنُ قصرًا ذا قِبابْ

ليس يدرى بابُهُ معنى الحجابْ ... وهْوَ ملءُ السمع قدرًا والبصَرْ

يَعْظُم الليثُ وإن هان العرينْ

عاهلٌ ؛ تعنو له فُرْسٌ ، وروم ... يُطعمُ الناسَ ، ومن جوعٍ يَصُومْ (٤)

---

(١) كنى باسم ليلى عن : الحبيبة أية كانت .

(٢) موئل : ملجأ .

(٣) عطفيه : جانبيه .

(٤) تعنو : تخضع ، واجتوى : أبغض .

وَجَـدَ الـدُّنيـا متـاعًـا لا يـدومْ فـاجتَـوَى الـدنيا فِرارًا مـن سَقَـرْ

وابتغـى الفـردَوْسَ مـأوى الخـالـديـنْ

مِلـكُ الشَّـرْقِ ببـاب المسجـدِ مُطْبَـقُ الجفنيـن ممـدود اليـدِ[1]

آمـنٌ شـرَّ اعتـداءَ المعتـدِى نـائمٌ تحـرسُـهُ عيـنُ القَـدَرْ

وعليـه يسهَـرُ الـرُّوحُ الأمـينْ

خـافَ مـولاه ؛ فخـافَتْـهُ العُصَـاهْ وتمشَّـى الـزُّهـدُ فـى روحِ الـولاهْ[2]

فكفـاهـم مـن حُطـامٍ مـا كفـاهْ مـا لهـا والٍ بكـأسٍ أو وتَـرْ

لا ، ولا عـاثَ بمـال المسلمـينْ

واصـلُ العـافِـى ، رحيـمٌ باليتيـمْ وبنـوهُ حِلْـفُ حِرمـانٍ مقيـمْ[3]

ربَّ عيـدٍ أوردَ النـاسَ النعيـمْ غيـرَ طفـلٍ بصـداهُ مـا شعَـرْ

هُـوَ مِـن نَسْـلِ أَمِيـرِ المؤمنـين

قـاهِـرُ الـرومِ بـأطـرافِ الـرمـاحْ قَهَـرَ النفـسَ ، وللنفـسِ جِمـاحْ[4]

سَامهـا الضيقَ ، وفـى العيش بـراحْ كـم شُجـاعٍ خـاض حربًـا فـانتصـرْ

وهْـوَ للنفـس ذليـلٌ مستـكينْ

وَلِـىَ الأمـرَ نـزيهًـا عـن نـزيـهْ وهْـوَ لا يبغيـه بـل يـزْهَـدُ فيـهْ[5]

---

(١) مما يؤثر عن عمر : أن أحد ولاة الفرس رآه نائمًا فى المسجد فقال له : «عدلت فأمنت فنمت » . المراد بالروح : لأمين جبريل .

(٢) المراد بالحطام : ما خشن وشظف من متاع الدنيا ، ولها : ماضى يلهو .

(٣) العافى : الفقير ، وهنا إشارة إلى حكاية مأثورة عن عمر وبعض أبنائه .

(٤) جماح : نفار ، سامها : كلفها .

(٥) النزيه الأول : عمر ، والثانى : أبو بكر .

ثــمَّ ولَّـى، لــم يُــوَرِّثْـهُ بنيــه إنَّمــا الحُكْــمُ عنــاءٌ وسَهَــرْ
لا متـــاعٌ وغِنَـــى للحــاكمــينْ !

راغــبٌ فـى اللهِ، عَـفٌّ عـن سـواهْ مـا سبَـتْ عينيـه زينـاتُ الحيـاهْ
لا ، ولا اعتَــزَّ بسلطــانٍ وجــاهْ عُمَـرُ الفـاروقُ ! حــدِّث عـن عُمَـرْ
مــوئلِ العــدلِ ، إمــام الزاهــديــنْ

القائد خالد

خالدٌ فى كلِّ عصر خالدُ ... ذِكرُهُ لحنٌ على كلِّ لسانْ[1]

قائدٌ لم يَدْنُ منهُ قائدُ ... سابَقَ النجم اسمُهُ فى الدَّوَرَانْ

هُوَ سيفُ الله ، فخرُ العَرَبِ

قائِدٌ أرخَص فى الله الحياهْ ... وتحدَّى الموْتَ مرفوعَ الجبين

كلَّمَا سَارَ إلى غَزْوِ عداهْ ... حالفَتْ رايتُهُ النَّصر المبينْ

وَأتى فى غزوِه بالعَجَبِ

سائلُوا كسرى به والموبِذَانْ ... سائلوا التاريخَ ، يَصْدُقْ فى الخَبَرْ:[2]

أىُّ عرشٍ تحتَ سيفِ اللهِ لانْ ... كان كالطَّوْدِ ثباتًا فاندَثَرْ

وغَدَا أقْصُوصَةً فى الكُتُبِ ؟

عَرَفَ القَيصرُ سيفَ ابنِ الوليدْ ... وهْوَ ربُّ التاج ربُّ الصَّولجانْ

سائلوا « اليَرْمُوك » : كم شابَ وليد ... مِن بنِى الرومِ وكم فرَّ جبانْ[3]

فزعًا مِنْ سَيْفِهِ المُخْتَضِبِ ؟

صاغَهُ اللهُ كما صاغ البشَرْ ... خالدٌ كُوِّنَ من ماءٍ وطينْ

---

(١) خالدل الأولى : اسم ، والثانية : صفة . لم يدن : لم يقرب .

(٢) الموبذان : قائد جيوش الفرس ، اندثر : انمحى ، يشير الشاعر ـ بهذا ـ إلى : أن الفضل فى الانتصار على الفرس يرجع ـ أولا ـ إلى شجاعة خالد .

(٣) يشير إلى : موقعة اليرموك المشهورة ، وإلى بلاء خالد فيها .

لم يكنْ يحمِلُ قلبًا من حَجَرْ ... بل بإيمانٍ تحلَّى ويقينْ

قوةُ الإيمانِ سرُّ الغَلَبِ

فارسٌ لم يدْر معنى الانهزامْ ... معَهُ سيفان : هندىٌّ ، ودينْ [(١)]

شاهرٌ إحدى يديه بِالحسامْ ... وكتابٌ فى اليد الأخرى مبينْ

وكِلاَ السيفين ماضى المضْرِبِ

نصَرَ اللهَ بعزم لا يلينْ ... وتحدَّى الشِّركَ سيفُ ابنِ الوليدْ [(٢)]

إنْ يفُزْ فى الحرب، فالنصرُ المبينْ ... أو يُمتْ ، فهْو لدى الله شهيدْ

فاز فى جنته بالأرَبِ

بطلٌ ما رامَ أسبابَ النجاهْ ... فى وغًى، أو خافَ من وقْع حُسامْ [(٣)]

طَلَبَ الموتَ، فَوَاتَتْهُ الحياهْ ... كلَّما خَاض الوغى يبغى الحِمامْ

فر منه ، ممعنًا فى الهربِ

مات فى مضْجَعه الليثُ، فقالْ : ... كيف أقضِى بسوى حدِّ السِّلاحْ؟ [(٤)]

أَخطأ الموتُ بميدان القتالْ ... ذلك الجسمَ الذى أعيا الجراحْ

بعد أن جدَّ له فى الطَّلب

خالدٌ فى كلِّ عصرٍ خالدُ ... ذكره لحنٌ على كلِّ لسانْ

قائد لم يَدْنُ منه قائدُ ... سابَقَ النجمَ اسمُهُ فى الدَّوَرَانْ

---

(١) يشير إلى : أن الإسلام لم ينتصر بالسيف فقط ، بل بالسيف والمبادىء معًا .

(٢) يشير إلى : العقيدة التى انتصر بها المسلمون فى الحرب ، وهى أن لهم عند القتال إحدى الحسنيين : إما النصر ، وإما الاستشهاد وجنة الخلد .

(٣) فاعل « فر » : ضمير الحمام ، وأمعن فى الشىء : بالغ فيه .

(٤) يشير إلى مقالة خالد عندما أدركه الموت : « ليس فى جسدى موضع لم تصبه ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت العير ، ألا لا نامت أعين الجبناء! » .

صحا الشرق

أوحى بهذه القصيدة صحوة بلاد الشرق، فى آسيا وإفريقيا .

سلِ الشَّرْقَ: هل صبحُهُ أسفَرَا ؟ ... وهل ذادَ عن مقلتيه الكَرَى ؟
وهل صار للشرق أُذْنٌ تعى ؟ ... وهل صار للشرق عينٌ ترى ؟
أرى فى سماءِ العُروبة برقًا ... إذا صحَّ ظنِّى به ، أمطَرا
فعمّ الحواضرَ طوفانُهُ ... وفاضَتْ شآبيبُه بالقرى[1]
ويا رُبَّ غيثٍ يَبُلُّ الصدى ... وغيثٍ، إذا ما هَمَى، دمَّرا[2]
وكم نقمةٍ أعقبَتْ نعمةً ... وكم مِعْوَلٍ هادمٍ عَمَّرَا[3]

***

تنبَّهَ بعد الرُّقاد أُناسٌ ... تقلَّدَهم دهرُهم مدْبرَا[4]
تقدّمَ كلُّ بطىءِ الخُطَا ... وهُمْ - وحدَهم - رَجَعُوا القهقرى
تعبَّدَهُم كلُّ شعبٍ ذليلٍ ... وكان لهم - أمسِ - مُلْكُ الثَّرى

***

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب، وهو الدفقة من المطر .

(٢) يريد: أن النهضة التى يلمح برقها فى الشرق ليست رخاء محضًا ؛ بل هى فى الوقت نفسه نهضة عارمة ، تعصف بالمستعمرين .

(٣) يريد : أن ويلات الاستعمار علمت الشعوب الشرقية كيف تتحد وتقوى من شكيمتها .

(٤) يشير إلى معنى قول الشاعر :

تقلدتنى الليالى وهْى مدبرة ... كأننى صارم فى كف منهزم

صحا الشرقُ بعد عميق السُّبَاتِ أهابَ الأذانُ به ، فانبرى

وجرّدَ للنصر إيمانَهُ وما خاب شعبٌ به استنصرا

ولم أرَ كالدِّين سيفًا لمنْ أراد النضالَ ، ولا مِغْفَرا

إذا سادَ فى الأرض، جَبَّ الفسادَ من الأرض، واستأصَلَ المُنكَرا[1]

وما خاب شعبٌ بهَذي السماءِ قويُّ الصِّلاتِ، وثيقُ العُرَا

***

أوائلُكُم ـ أيُّها المسلمونَ ـ بشرعةِ أحمدَ ساسوا الورى

وباسم الحنيفةِ سادوا ؛ فكانَ سواهم سُفوحًا ، وكانوا الذُّرا[2]

رأى منهم الناسُ ما لم يَرَوْ هُ من عدلِ كسرى ، ولا قيصرا

***

كتابكُمو ـ أيُّها المسلمونَ ـ بمشكاتِهِ يهتدى مَنْ سَرى

به استمسك الأولون ؛ فكانوا أُسودًا ، وكان حماهُمْ شَرى

فسيروا على نهجه مؤمنينَ تَردُّوا من المجدِ ما أدبَرا

ومن تَمَّ بالله إيمانُهُ رأى الصخْرَ فى يده عِثْيَرا[3]

إذا ما مشى فوقَ شوكِ القَتاد غدا تحته سندُسًا أخضرا

ولنْ ينفَعَ القومَ إيمانُهُم إذا كان إيمانُهُم أبْتَرا[4]

ومن خطَبَ المجدَ ، شدّ الرِّحال إليه ، وخاضَ الدّمَ الأحمرَا

---

(١) جب : قطع .

(٢) الحنيفة : الشريعة الإسلامية .

(٣) العثير : الغبار .

(٤) الأبتر : الناقص .

مهبط الوحى[1]

مهْـدَ الهـدى ، ومثَـابـةَ الأقمـارِ ... نـورُ البصـائرِ أنـتَ والأبصـارِ[2]

فيـك الشـرائعُ والشمـوسُ تـلاقَتـا ... فتـلاقَـتِ الأنـوارُ بـالأنـوار

لله سـرٌّ فـى اختيـارك مِهبِطًـا ... للـوحـى ، يا مستـودَع الأسـرار ![3]

لمُسـوح عيسـى فوقَ أرضِـكَ خطـرَةٌ ... وعصـا الكليـم ، وبـردةِ المختـار

وضعَتْ شـرائعَك السماءُ ، وأَيـن مِنْ ... وَضْـع السّمَـاءِ نتـائجُ الأفكـار؟[4]

أبصـرتُ غيـرَكَ مستعـارًا مجـدُهُ ... لكـنّ مجـدَك أنـت غيـرُ مُعَـار

مجـدٌ بـأَسبـاب السمـاءِ تعلَّقَـتْ ... أسبابُـهُ ، صَنعَتْـه كـفُّ البارى !

قالوا : الحضارةُ . قلتُ : أزهَرَ نبتُها ... فـى الشَّـرْق قبـل منـابـت الأشجـارِ

أرضٌ ينـابيـعُ البيـان تفجّـرتْ ... مـن جـوفهـا قبـلَ النميـر الجـارى

سحْـرُ الطبيعـة والبيـانِ تسـابَقَـا ... فيهـا سِبـاق الخيـلِ فـى المضْمَـار

تَتَطَـامَـنُ الأيـام إن مـرّتْ بمـا ... ضَمّـتْ جـوانبُهـا مـن الآثـار[5]

هـذا أديـمُ الله خُـصّ بـرسْلِـهِ ... وبيُـوتِـهِ القُـدْسِيَّـةِ الأحجـار[6]

---

(١) المراد به : الشرق .

(٢) المهد والمثابة : الموطن ، ويريد : أنه من الشرق تشرق الشموس ؛ كما أنه منه نبعت الشرائع السماوية .

(٣) لم يرسل الله رسولا إلا من الشرق .

(٤) يريد : أن قوانين الشرق سماوية ، وقوانين غيره من وضع البشر.

(٥) تتطامن : تنحنى .

(٦) الأديم : يراد به الأرض ، ويشير ـ هنا ـ إلى : أن الشرق موطن البقاع المقدسة .

فـى كـل عـامٍ للحجيـج تَمَسُّـحٌ ... بـالقُـدْس ، أو بـالبيـتِ ذى الأستـار

الشرق مهْـوَى كـلِّ وجـهٍ سـاجـدٍ ... لله ، لا للقـــوتِ والـــدينـــار

وإذا النفـوسُ عَـرينَ مـن دِيـنٍ ومـن ... خُلُـــقٍ ، فليـس لهـنّ أىُّ قـرار

ليـس السـلام بـرائجٍ فـى عـالَـم ... بـــارت بـــه الأرواح أىَّ بـــوار

وتقطَّعَـتْ بيـن السمــاء وبينـه ... شتـى الصَّـلاتِ تقطُّـعَ الأوتـار

الغـربُ سـار علـى هُـدَى أطمـاعِـهِ ... فتعثَّـرَتْ قَـدَمَـاهُ أىَّ عِثـار[1]

أَمَـمٌ سـرَتْ فـى جُنْـح ليـلٍ مظلـمٍ ... قـد ضَـلّ فيـه النجـم قبـلَ السـارى

تبكـى حضـارتَهـا بمـلءِ جُفـونهـا ... وتئـنُّ تحـتَ جـدارهـا المنهـار

قـل لـلألَى ضلُّـوا ، وضلَّـتْ فُلْكُهـم ... فـى اليَـمِّ : شـرعُ الله خيـرُ منـار

طلعة العيد[2]

فـــرحـــةُ المسلميـــن والإسـلام ... طلعـةُ العيـد إثـرَ شهـر الصيـامِ

يُفطـرُ الصـائمـون فيـه علـى أجـ (م) ـرٍ مـن الله ، وهْـو خيـرُ طعـامِ

كلمـــا لاح فجـرُه ، استقْبَلَتْـه ... أنفـسٌ طُهِّـرَتْ مـن الآثـام

إنمـا تطْهـرُ السـرائرُ بـالصـو (م) م ، وتصفـو صفـاءَ مـاءِ الغمـام

لـك يـا ربِّ فـى الصيـام وفـى الفطـ (م) ـر معـانٍ دقَّـتْ عـن الأفهـام

***

(١) أنشئت هذه القصيـدة إبان الحرب العالمية الثـانية ، ومن هنا : يشير الشـاعر إلى سيول الدماء التى أريقت ؛ بسبب النزاع على القوت ، والتجرد من الروحانية .

(٢) أنشئت فى عيد الفطر .

أيهـا العيـدُ قـد تجهَّـم وجـهُ الأ (م) رض، فـاطلَـعْ بثغـرك البسَّـام[1]

قبـسٌ أنـت فـى ظـلام الليـالـى وظِـلالٌ فـى مهمَـهِ الأيـام[2]

كبّـر المسلمـون ـ حيـن تجلَّيْـ (م) ـتَ عليهـم ـ تكبيـرةَ الإحـرام[3]

وأهَلُّـوا كـأنمـا جَمَعَتْهـم مكَّـةٌ بيـن زمـزم والمقَـام[4]

فسـرى لحْنُهـم إلـى كـلِّ نفـسٍ سـريـان الشفـاءِ فـى الأجسـام

مـا أحـبَّ التكبيـرَ فـى بُكـرةِ العيـ (م) ـد نشيـدًا مـرتَّـلَ الأنغـام !

***

أيهـا العيـدُ، لقِّـنِ النـاسَ درسَ الـ (م) ـحبِّ، واعـزِفْ لهـم نشيـدَ الـوِئام

أُسْكُبِ الأُنْس فى النفوس، وكَفْكِفْ مـن دمـوع العُفَـاةِ والأيتـام[5]

وامـلأ البَـرَّ ، واملأ البحـرَ ، يـا عيـ (م) ـد سـلامًـا ؛ فـأنـتَ رمزُ السـلام

البـرايـا أودى الحُطـامُ بهـم . شـا (م) ه البـرايـا ، وشـاهَ وجـهُ الحُطـام !

كلمـا أخْلَـدُوا إلـى الأمْـن ، عـادُوا مـن جديـد إلـى امتشَاق الحسـام[6]

لكـأنِّـى بـالنَّـاس قـد سَئِمُـوا العيـ (م) ـش، وراموا الحِمـامَ قبل الحِمـام !

---

(١) تجهم : اربد وكلح .

(٢) قبس : ضوء ، مهمه : بيداء .

(٣) يشير إلى : التكبير المأثور فى أيام الأعياد ، ويشبهه بتكبيرة الإحرام فى القداسة ؛ لأنها هى التى تدخل الإنسان فى الصلاة .

(٤) أهلوا : رفعوا أصواتهم بالتكبير ونحوه .

(٥) كفكف الدمع : منع سيله ، العفاة : الفقراء .

(٦) أخلد إلى الشىء : سكن إليه ، امتشق الحسام : انتضاه ؛ كناية عن الحرب ، والشاعر ـ هنا ـ يندد بكثرة الحروب .

آه لـو فـاءت الشعـوب إلـى مـا شَـرَعَتْـه السَمـاءُ مـن أحكـام ![1]

كـان مـوسى رمـز السَّـلام علـى الأر (م) ض، وكان المسيـحُ خَصْمَ الخِصـام

ثـم جـاء المختـارُ بـالحب والعطـ (م) ـف ، وسـاوى القـرآن بيـن الأَنـام

أُنشـر الأمنَ ـ أيهـا العيـدُ ـ فـى كـلِّ (م) مكـانٍ مُـرَفْـرفَ الأَعـلام

علِّـم النـاسَ أن يـومـكَ يـومٌ يتصـافـى فيـه ذوو الأَرْحَـام

قـل لهـم : إنَّمـا الخـلائقُ ـ مهمـا نَـزَحَـتْ دورهُـم ـ بنـو أعمـام

---

(١) فاءت : رجعت .

أذان الفجر

أنشــــــــودةُ الأذانِ　　تســـرى إلـــــى الآذانِ
قُـــدْسِيَّـــةَ الألحـــانِ　　مـــن هـــاتِـــفِ ربـــانـــى
الصبــــــحُ أسفـــرْ　　والكــــونُ كـــرّر :
الله أكــــــــبرْ !　　الله أكــــــــبر !

***

صـــوتٌ مـــع الفجـــرِ　　حلـــوُ الصّـــدى، يســـرى[1]
ينســـابُ كـــالطُّهْـــرِ　　أصفـــى مـــن القَطْـــر[2]
يـــدعـــو إلـــى الـــذِّكْـــرِ　　والفَـــوْزِ والأجْـــرِ

***

أنشــــــــودة الأذانِ　　تســـرى إلـــــى الآذان
قُـــدْسِيَّـــة الألحـــانِ　　مـــن هـــاتـــفِ ربَّـــانـــى
الصبــــــحُ أسفـــرْ　　والكــــونُ كـــرَّرْ :
الله أكــــــــبر !　　الله أكــــــــبر !

***

لحـــنٌ بـــلا أوتـــارْ　　أصغَـــتْ لـــه الأطيـــارْ

---

(١) الصدى : رجع الصوت .

(٢) ينساب : يسيل .

فـــى الـــروضـــة المعطـــارْ نَـــادَى مـــع الأسحـــارْ[1]

أن وحِّـــدى القَهَّـــارْ يـــا أمَّـــةَ المختـــارْ

***

أنشـــــــــودة الأذان تســـــرى إلـــــى الآذان

قُـــدْسِيَّـــة الألحـــان مـــن هـــاتـــفٍ ربَّـــانـــى

الصبـــــح أسفـــــرْ والكـــــون كـــــرَّرْ :

الله أكـــــــــبر ! الله أكـــــــــبر !

***

يـــدعـــو إلـــى الصـــلاةْ ووحـــدةِ الإلـــٰـــهْ

يـــدعـــو إلـــى النَّجـــاهْ طـــوبَـــى لمَـــن لبَّـــاهْ [2]

وقـــال: يـــا ربَّـــاهْ تعنـــو لـــك الجِبَـــاهْ [3]

***

أنشـــــــــودةُ الأذانِ تســـــرى إلـــــى الآذان

قـــدسيَّـــةَ الألحـــانِ مـــن هـــاتـــفٍ ربـــانـــى

الصبـــــح أسفـــــرْ والكـــــون كـــــرَّر :

الله أكـــــــــبر ! الله أكـــــــــبر !

***

يـــا نُـــوَّمًـــا ، هُبُّـــوا نـــاداكُـــم الـــرَّبُّ

---

(١) الروضة المعطار : أى التى يفوح العطر من أزهارها .

(٢) طوبى : خير عظيم ، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٣) تعنو : تخضع .

لبُّــوا النِّــدا، لبُّــوا | مَــنْ شــاقَــهُ القُــرْبُ
مِــنْ ربِّـــهِ ، ينبُـــو | عــن فــرشِــهِ الجنْــبُ[1]

***

أنشـــــودةُ الأذان | تســرى إلـــى الآذان
قُـــدسيَّـــةَ الألحـــانِ | مــن هــاتــفٍ ربــانـــى
الصبـــــح أسفـــــرْ | والكـــون كـــــرَّرْ :
الله أكـــــــبر ! | الله أكـــــــبر !

نشيد الأنصار
عند استقبال الرسول

طَلَـــعَ البـــدرُ علينـــا | مـــن ثنِيَّـــاتِ الـــوداعْ[2]
وجَـــبَ الشكـــرُ علينـــا | مـــا دَعَـــا للهِ داعْ
أيُّهـــا المبعـــوثُ فينـــا | جئـــتَ بـــالأمـــرِ المطـــاعْ

***

طلَـــع النـــورُ المبيـــنْ | نـــورُ خيـــرِ المـــرسليـــنْ
نـــور أمْـــنٍ وســـلامٍ | نـــور حـــقٍّ ويقيـــنْ
ســـاقَـــهُ الله ـــ تعـــالى ـ | رحمـــةً للعـــالميـــنْ

(1) ينبو : يتجافى .
(2) الثنيات : منعطفات الطريق والجبل، ونحو ذلك .

فعلـــى البَـــرّ شعَــاعٌ ‏ وعلـــى البحـــر شُعـــاعْ
طلـــع البـــدر علينـــا ‏ مـــن ثَنِيَّـــاتِ الَـــودَاعْ

***

مـــرسَـــلٌ بـــالحـــقّ جـــاءْ ‏ نطقُـــهُ وحْـــىُ السَّمَـــاءْ
قـــولُـــهُ قـــولٌ فصيـــحٌ ‏ يتحـــدَّى البُلَغَـــاءْ
فيـــه للجســـم شفـــاءٌ ‏ فيـــه للـــرُّوح دَوَاءْ
أيهـــا الهـــادى ، ســـلامًـــا ‏ مـــا وعـــى القـــرآن واعْ
طلـــع البـــدر علينـــا ‏ مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

***

جـــاءنـــا الهـــادى البشيـــرْ ‏ مُطلِـــقُ العـــانـــى الأسيـــرْ (١)
مـــرشِـــدُ الســـاعـــى إذا مـــا ‏ أخطَـــأَ الســـاعـــى المَسِيـــرْ
دينُـــهُ حـــقٌّ صُـــراحٌ ‏ دينُـــه مُلْـــكٌ كبيـــرْ
هـــو فـــى الـــدنيـــا نعيـــمٌ ‏ وهْـــو فـــى الأخـــرى متـــاعْ
طلـــع البـــدر علينـــا ‏ مـــن ثنيـــات الـــوداع

***

هـــات هَـــذِىَ الله ، هـــاتْ ‏ يـــا نبـــىَّ المُعْجِـــزاتْ
ليـــس لـــلاَّتِ مكـــانٌ ‏ ليـــس للعـــزَّى ثبـــاتْ(٢)
وحِّـــدِ اللهَ، ووحِّـــدْ ‏ شملَنـــا بعـــد الشَّتـــاتْ

---

(١) العانى : يفسره الأسير بعده .
(٢) اللات والعزى : من آلهة العرب فى الجاهلية .

أَنـــت أَلفَّـــتَ قلـــوبًـــا شفَّهَـــا طـــولُ الصِّـــراعْ(١)

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

***

نحـــن أَعطَيْنـــا العهـــودْ نحـــنُ لله جنـــودْ

خـــضْ بنَـــا البحـــرَ ، نخضْـــهُ واقتحـــم غـــابَ الأســـودْ(٢)

ولنـــا نصـــرٌ مبيـــنٌ أو لنـــا دارُ الخلـــودْ

أنفُـــسُ الأنصـــار طـــرًّا فـــى حمـــى الله تُبـــاعْ

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

---

(١) شفها : أضناها . وهنا : إشارة إلى ما كان بين الأوس والخزرج من صراع فى الجاهلية ، وكيف ألف الإسلام بين قلوب الحيين .

(٢) إشارة إلى قالة الأنصار فى بدر للرسول : «والله لو خضت بنا هذا البحر ، لخضناه معك» .

أسطول معاوية [1]

لِمَنِ السفينُ يَلُحْنَ كالأعلامِ ... فوق العُبابِ نواشِرَ الأعلامِ ؟[2]

يمخُرْنَ باسم الله موجَ خُضارةٍ ... واسمِ الهدى ومبادىءِ الإسلام[3]

يهتِفْنَ بالتكبيرِ لحنًا شاجيًا ... فتجيبُ أمواجُ الخِضَمِّ الطامى

ويثِبْنَ ـ آونَةً ـ أسودَ عَرينةٍ ... ويطِرْنَ ـ آونَةً ـ حَمامَ سلام

يُمطِرْنَ بالجُزُرِ الدماءَ ، وربَّما ... كان الدَّمُ المَوَّار صَوْبَ غمام[4]

بعض الدَّمِ المَوَّارِ ليس بمأثَمٍ ... لكنَّهُ طُهْرٌ من الآثام[5]

***

هذى سفينُ اللهِ سارَتْ عيلمًا ... مترامِيًا فى عيلمٍ مُتَرامِ[6]

لم تدفَعِ الريحُ الهَبُوبُ قِلاعَها ... بل أقلَعَتْ بالوحى والإلهام[7]

---

(١) بنى معاوية أسطولا ضخما امتلك به جزر البحر الأبيض حتى صار بحيرة عربية ، وحاصر به أسوار القسطنطينية فترة من الزمان .

(٢) الأعلام الأولى : الجبال ، والثانية : الرايات .

(٣) مخر البحر : شقه ، وخضارة : علم على البحر .

(٤) الموار : المتحرك . يريد : أن الدم المسفوك قد يكون أخصب من الأمطار ؛ لحسن نتائجه .

(٥) يريد : أن دماء الشهداء التى يريقونها أو تراق من أجسادهم طهر من الذنوب .

(٦) العيلم : البحر .

(٧) يريد : أن الحمساس للنزعة الدينية ، كان أبلغ من الريح فى تسيير هذه السفن .

وحــرارةِ الإيمــان ــــ وهْــىَ حــرارةٌ ـ مــا زادهــا الآذِىُّ غيــرَ ضــرام[١]

إنْ تسْـرِ ، فـالجُـزُرُ الحـرامُ مُبَـاحَـةٌ أو تُـرْسِ ، فـالشُّطْـآنُ فـى استسـلام

***

أزْجَـى معاويـةُ السفينَ ، تسير ، أو تَـرْسُـو بكـلِّ غضنفـرٍ ضِـرْغـامِ

فكــأنَّ بحـرَ الـروم أصبَـحَ منبِتًـا بعـد الفـلا للغـاب والآجـام[٢]

بـدم الشَّهـادة خضَّبـوهُ ؛ فضـاع مـن أرجـائه أرَجُ العُبـاب الـدامـى

جَمـحَ العُبَابُ ؛ فـأسْلَسُـوه ، كأنمـا قَبَضــتْ عليــه أكُفُّهُـم بــزمـام

جـالـت سنـابِـكُ خيلهـم فـى لُجِّـهِ جَـولانَهـا فـى مهمـهٍ ورجـام[٣]

ولهـم نفـوسٌ صـافيـاتٌ صفْـوَ مـا بقــرارِه مــن لُــؤْلُــؤٍ وتُــؤَام[٤]

لله بحــرُ الــروم وهْــوَ بحيــرَةٌ عــربيَّــةُ اللَّهَــوَاتِ وَالْأَرحـامِ ![٥]

ومعـاقِـلُ اليـونـانِ وهْـىَ محـاربٌ مكتظَّــةٌ بــالصُّــوَّم القُــوَّام[٦]

لله «رودِسُ» إذ تُصيخُ ، «وقُبْرُصٌ» لصَـدَى الأذانِ مُـرَتَّـلَ الأنغــام

خـاضَ الميـاهَ كـأنمـا هـو حُـوتُهـا مـن كـان يَطْـوِى البِيـدَ بـالأقـدامِ

وَرَعَـى البحارَ ، ومَـن يقيـم بهنَّ مـن أمَــمٍ رعــاةُ النُّــوق والأغنــام

---

(١) الآذى : الماء .

(٢) يريد : أن أسد العرب انتقلوا من البر إلى البحر .

(٣) السنابك : أطراف الحوافر ، المهمة والرجام : البوادى وما إليها .

(٤) التؤام : الدر .

(٥) عربية اللهوات : يريد بها ناطقة بـاللغة العربية ، واللهوات : جمـع لهاة ، وهى عضلة تعترض الحلق .

(٦) يريد بمعاقل اليونان : ما خلف اليونان من آثار استولى عليها العرب .

حَكَـمَ البحارَ ؛ فمـا طغـى طُغْيانَهـا   نَفَـرٌ يجيـدُ العـدلَ فـى الأحكـام

حَسَـرُوا ظـلالَ الـروم عـن أمـواجهـا   فتحـرّرتْ مـن رِبْقَـةِ الأعجـام[1]

نَفَـذُوا إلـى أسوار « قُسْطَنْطِيـنَ » فـى   عـزمٍ كحـدِّ السيـف غيـرِ كَهَـام[2]

وَرَمَـوْا مَعـاقِلَـهُ وإنْ لـم تَسْتَجِـبْ   لسهامهـم . سَلِمَتْ يميـن الرامـى !

أُطُـمٌ عَـزَزْنَ علـى الحنيفـةِ حقبَـةً   ثـم استجَبْـنَ علـى مَـدَى الأيـام[3]

---

(١) حسروا : كشفوا ، ربقة الأعجام : أسرهم .

(٢) السيف الكهام : النابى .

(٣) الأطم : الحصون ، والمراد : أن حصون القسطنطينيـة استعصت على الفتح فترة من الزمان ، ثم استجابت له على يد محمد الفاتح .

وطنيــــات

نشيد
حيُّوا العَلَم

ارفعوا الصوتَ، وحيُّوا العَلَمَا هو رمزُ المجد، عنوانُ الحمى
مجِّدوه، كرِّموه كلما
رفَّ كالطير على متْن الهواءْ وتحدَّى نجمُه نجمَ السماءْ
يا لواءَ العُرْبِ، يا نعمَ اللِّواءْ نحن من حولكَ جُندٌ أوفياءْ

***

أيها الخافقُ منذ الأَزَلِ أنت تاريخُ الجُدودِ الأُوَلِ
وبشيرُ الخير فى المستقبَلِ
قد قَبسنا من دَراريك الضياءْ ونسجْنا من حواشيك الرجاءْ
يا لواءَ العُرْب، يا نعمَ اللواءْ نحن من حولكَ جُندٌ أوفياءْ

***

أنتَ منَّا بين طيَّاتِ الجنوبْ صاغَك الرحمنُ من نَبْض القلوبْ
خافقًا بين شَمالٍ وجَنوبْ
أنت يومَ السِّلْم يُمنٌ ورخاءْ وشعارُ النصر فى يوم اللقاءْ
يا لواءَ العُرْب، يا نعم اللواءْ نحن من حولك جند أوفياءْ

***

رايةَ العُرْبِ، اسلمى، ثم اسلمى توِّجى بالفخر رأسَ الهَرَمِ
رفْرِفِى فوقَ بروج الأنْجُمِ
رفرفى فوقَ قبورِ الشُّهداءْ بين أرواح الضحايا الأبرياءْ
يا لواءَ العُرْب، يا نعمَ اللواءْ نحن من حولكَ جندٌ أوفياءْ

على الأعراف [1]

ألقيت فى حفل أقامه الحزب الوطنى سنة ١٩٤٧ م لذكرى مصطفى كامل بدار الأوبرا ، فى وقت التجأت مصر فيه إلى مجلس الأمن، فلم تظفر لديه بالإنصاف .

مـا للكنـانـةِ بعـد طـول مَطـافِ ... وقفَتْ سفينتُها على الأعرافِ؟ [2]

ولقـد تكشَّفت الأمـورُ ، وأمرُهـا ... داجى الغياهبِ، حالكُ الأسْدافِ [3]

قالـوا : السلامُ ، فقلت: دونَ سلامِكم ... وقـعُ الصوارمُ والقَنـا الرَّعَّـافِ [4]

والله مـا سـادَ السـلامُ بعـالَـمٍ ... حُرِمَ الضعيفُ بـه مـن الإنصافِ

إنَّ الـذيـن وَلُـوا السـلامَ، قَضَـوْا بمـا ... يـدعُ السـلامَ مـزعـزَعَ الأكنَـاف [5]

حَكَموا، ففـاحت من بـوادر حُكمهم ... ريـحُ الـدَّم الفـوَّار للمسْتـاف [6]

طَرَحُوا القضيَّةَ فى السِّلال ؛ فهل تُرَى ... يـومَ القيـامـة يـومَ الاستئنـاف ؟

قـل لـلأُلـى طـالَ التـداوُلُ بينهـم: ... ليس الصباحُ على البصيرِ بخـاف

فيـم التداولُ ؟ إن قُـرْصَ الشمـس لا ... يحتـاج نـاظُـرُهُ إلـى كشَّـاف

خُـدعَتْ بمعسول الـوعـود ممالِـكٌ ... لـم تجـن غيـرَ مـرارة الإخـلاف

---

(١) يقصد بالأعراف : المكان الذى بين بين .

(٢) يشير إلى : إهمال قضية مصر ضد المستعمرين فى مجلس الأمن .

(٣) الغياهب : جمع غيهب ، والأسداف : جمع سدفة ، وكلاهما بمعنى الظلمة .

(٤) الرعاف : الذى يقطر دمًا .

(٥) الأكناف : الجوانب ، والمقصود بالبيت : أعضاء مجلس الأمن .

(٦) المستاف : المستنشق .

هـل كـان ميثاقُ المحيـط روايـةً وهميَّـةً محبـوكـةَ الأطـراف؟ [1]

كشفَـتْ قضيـةُ مصرَ ثـوبَ ريـائهـم يـا للـريـاء وثـوبِـهِ الشَّفَّـاف !

حلفـاؤنـا الأحـرارُ لمـا نكَّلُـوا بخصومهـم ؛ مالوا علـى الأحْلاف [2]

سبعـون عـامًا فـى احتـلالٍ دائمٍ يـا لَلْكنـانةِ مـن سنيـنَ عِجَـاف ! [3]

ضيـفٌ ألـمَّ بهـا ؛ فـأصبـح ربَّهـا ثـم استبـاحَ كـرامـةَ المِضْيـاف

قالـوا : استقلَّ النيـل، والمحتلُّ فـى واديـه محمـولٌ علـى الأكتـاف

إن الإسـارَ لــه مـذاقٌ واحـدٌ ولـوَ انَّـه متعـدِّدُ الأوصـاف [4]

لسنـا بـأحـرارٍ ــ لعمـرى ــ مـا بـدا لـوجـوههـم طيـفٌ مـن الأطيـاف

***

أبنـى أبينـا فـى الجنـوبِ، تحيـةٌ كـالـزهـر كُلِّلَ بـالنـدى الـرفَّـاف [5]

فـى مصرَ عتْـرتكُم، ومـا فـى غيرهـا مـن عتـرةٍ لكمـو ، ولا أسـلاف

النيـل ألَّـفَ بيننـا بنميـره كتـألـف النُّـدَمَـاءِ حَـولَ سُـلاف

أَخَـوَا رَضَـاع ؛ ليـس يفصـل بيننـا فـى الوضـع غيـرُ شـريعة الإجحـاف

لا يخـدعنَّكـم الـدُّهـاةُ بـزائفٍ من قولهم، عذبِ المذاق، زُعاف [6]

الأجنبـى بـأرضنـا وبـأرضكـم كـالغيم فـى الجـوِّ الطليـقِ الصافـى

---

(١) يقصد : ميثاق الإطلنطى ، الذى اتفقت فيه دول الغرب على إطلاق الحريات .

(٢) يريد : أن الإنجليز بعد انتصارهم على الألمان فـى الحرب العالمية الثانية ، مالوا على حلفائهم المصريين .

(٣) عجاف : مجدبة .

(٤) يريـد : أن الاستعمار ، والحمـاية ، والاستقـلال الزائف، كلهـا أسماء لمسمى واحد .

(٥) الخطاب : لسكان السودان ، وقد كان بين الشقيقتين ـ إذ ذاك ـ شبه جفوة .

(٦) زعاف : سم .

إنَّ الـذى تبـع الـدخيـل منـوَّمٌ ... فى الصحو، مسلوبُ الإرادة، غاف[1]

إنْ غـرَّهُ كـرمُ الـدخيـل، فطـالمـا ... ذُبـحَ الفصيـلُ بمـديـة العـلاَّف[2]

***

ضُمُّوا الصفوفَ إلى الصفوف، وأرهِفوا ... بيـضَ العـزائم أيَّمـا إرهـاف

إن الأمـانِـىَ كـالغـوانـى؛ دأبُهـا ... ألاَّ تليـنَ لخـامليـنَ ضِعـاف

لا ينفُـذُ الحـقُّ الصريـحُ بنفسـه ... كـلاَّ، ولا عـدلُ القُضـاة بكـاف

الحـقُّ يُعـوِزُهُ مُحـقٌّ سـاهـرٌ ... كـالسيف تُعْـوِزُهُ يـدُ السَّيَّـاف[3]

ولقد تـألبَت الخطوبُ على الحمى ... وبنـوه رهـنُ تنـاحـرٍ وخِـلاف[4]

مـا ضرَّ لـو نسىَ الجميعُ نفوسَهم ... فيعـودَ صفـوُ الودِّ بعـدَ تجـاف!

شتَّـى فئـاتٍ يهـدفُـون لغـايـةٍ ... فكـأنهـم سِفْـرٌ بـألفِ غِـلاف[5]

هتفـوا لـزيـد بـالحيـاة وخـالـدٍ ... لكـنْ وقفـتُ على الجـلاء هُتـافى!

***

بطلَ الجلاء، سَقَتْ ضريحَك ديمةٌ ... تسقـى الـرياض بهـاطلٍ وكَّـاف![6]

---

(١) يشير إلى: بعض زعماء السودان، ممن كان هواهم مع المستعمر.

(٢) يريـد: أن المستعمر يغرّر بهـؤلاء الزعماء، ويغـدق عليهم؛ كما يسمـن الجزار الماشية ليذبحها.

(٣) يريد: أن الحـق يحتاج إلى سعى صاحبـه فى إحقاقه، كما أن السيـف الماضى يحتاج إلى اليد القوية.

(٤) يندد الشاعر ـ فى هذا البيت ـ بتناحر الأحزاب المصرية وقتئذ.

(٥) يقول: إن هدف الجميع واحد، ولكنهم يختلفون باختلاف الأشخاص، فكأنهم كتاب واحد متعدد الأغلفة.

(٦) بطل الجلاء: مصطفى كامل، ديمة: سحابة، هاطل وكاف: غزير متدفق.

درجتْ عليك الأربعونَ ، ولم تزلْ ... من كل قلب عالقًا بشَغاف[١]

لك سيرةٌ يتلو الشبابُ فصولَها ... كالآى من « ياسينَ »، و « الأحقاف » [٢]

سُوَرٌ نُرَتِّلها فتشعلُ فى الدما ... ما تُشعل النيرانُ فى الألياف

قفْ بالفلاة ، وقل : هنا الكنز الذى ... دفنوه بين جنادلٍ وفياف[٣]

قفْ بالفلاة، وقل : هنا فردٌ إذا ... قِيسَ الرجالُ ، يُقاسُ بالآلاف

حملَ الأمانةَ وحدَهُ ، فكأنه ... من نفسه فى فيْلقٍ زحّاف

ما ضر أعظُمَهُ تواضعُ قبره ... فالدرُّ درٌّ ، وهْو فى الأصْداف

يا سيدَ الشهداءِ ، غرسُك لم نَزَلْ ... نَسقيه من دمنا ليوم قِطاف

وتُراثُك الوطنيُّ فى يد معشرٍ ... لا واهنٍ عزمًا ، ولا وقّاف[٤]

نفرٌ من الأشرافِ إن جدَّ الحمى ... فى البحث عن نفرٍ من الأشراف

رجَعُوا إلى أعراقهم؛ فتجمعوا ... بعد الخلاف تجمُّعَ الأُلاّف[٥]

من كلِّ باذلِ نفسِه ، أو مالِه ... للنيل، مقتنعٍ بعيشٍ كَفَاف[٦]

ما أنكروا حقًّا، ولا إن جادلوا ... فى باطل لجئوا إلى الإسفاف[٧]

---

(١) يريد : أربعين عامًا مضت على وفاة مصطفى كامل ، شغاف القلب : غشاؤه .

(٢) ياسين ، والأحقاف : سورتان من سور القرآن الكريم .

(٣) الجنادل : الصخور ، الفيافى : الصحارى .

(٤) يقصد بهؤلاء المعشر : رجال الحزب الوطنى الذين توارثوا مبادىء الزعيم مصطفى كامل .

(٥) يشير إلى : انشقاق كان فى الحزب ، عمل المصلحون منهم على تلافيه .

(٦) العيش الكفاف : ما لا يفيض عن الحاجة .

(٧) الإسفاف : الهبوط ، والمراد به : المهاترة والسباب اللذين انحدرت إليهما الأحزاب فى ذلك الوقت .

لا الحكمُ طأْطَأَ من رءوسهمو ، ولا   لانت قناتُهمو لغمز ثِقاف[1]

لا تستخفُّ الحادثاتُ حلومَهم   ويقابلون الموتَ باستخفاف

قالوا : معاهدةُ الفَخارِ، وقلتمو :   داءٌ عضالٌ ، لا دواءٌ شاف[2]

حتى إذا لاح الصباحُ لناظرٍ   شَهِدُوا لكم بإصابة الأَهداف

أدركتمو غيبَ الأمور ؛ كأنكم   تتلونها من صفحة العَرّاف

وَوَفَيْتُمُو لبلادكم بالعهد في   زمنٍ يقلُّ به الأمينُ الوافي

---

(١) الثقاف : آلة تعدل بها الرماح ، والمعنى : أن المستعمر لم يخدعهم بولاية المناصب ، وكان من مبادىء الحزب الوطنى : ألا يتولى الوزارة أحد من أعضائه .

(٢) يشير إلى : معارضة الحزب الوطنى للمعاهدة ، التى أطلق عليها بعض الأحزاب : «معاهدة الفخار» .

تكلمي يا كتائب

وجه الشاعر هذه القصيدة إلى كتائب الفدائيين، عندما قاموا بحرب العصابات ضد المستعمر سنة ١٩٥٤م

غَضَّ المفاوِضُ صوتَه، فتكلَّمي ... بلسانِ نارٍ، يا كتائبُ، أو دمِ[١]

لم يفهم المحتلُّ من خُطَبائنا ... فلتُفْهموا المحتلَّ ما لم يَفْهَم

ما أيَّدَ الحقَّ المُضاعَ كمنطقٍ ... تُدلي به شَفَةُ السلاح الأبكم

تتحرَّرُ الأوطانُ بالدم وحدَهُ ... إن الخطابةَ رأسُ مال المُعْدم

اليومَ قد وضَحَ النهارُ لمُدلجٍ ... ومَشَى الدليلُ على السبيل الأقوم[٢]

قل للشبيبة: أنتِ مصباحُ الحِمى ... وصباحُهُ في كلِّ داجٍ مظلِم

قد دقَّ ناقوسُ الجهاد، فأنصِتي ... ودعا الحمى أبطالَه، فتقدَّمي

مَنْ قال: إنّيَ أعزلٌ – وبكفه ... حَجَرٌ – فليس إلى الكنانة ينتمي[٣]

صِدْقُ العزيمة دِرعُ كلِّ مدرَّعٍ ... عند اللقاء، ولأمةُ المستَلْئِم[٤]

وأحَدُّ من سيف الجبان ورمحِهِ ... يومَ الوغَى، سوطُ الشُّجاع المُعْلَمِ[٥]

سَيفُ الكميِّ إذا تثلَّم أرهفتْ ... يمناه غاربَ سيفه المتثَلِّمِ[٦]

---

(١) غض: خفض، يعني: أن المفاوضات فشلت، فالكلمة الآن للفدائيين.

(٢) المدلج: السارى ليلا.

(٣) يحث على حرب المستعمر بأى سلاح، ولو كان هذا السلاح حجرًا، ينتمى: ينتسب.

(٤) اللأمة: نوع من الدروع.

(٥) المعلم: الذى له علامة يعرف بها.

(٦) غارب السيف: حده، يريد: أن السيف المنثلم فى كف الشجاع خير من السيف الماضى فى يد الجبان.

مـن قـاوم الأُسْـدَ الغِضَـابَ مسلَّحًـا بيقينـــه وبحقِّـــــه، لـــم يُهْــــزَم

مـا الضعــفُ إلاَّ مـا تـوهَّمَــهُ الفتـى ضعفًـا، وبئـس تـوهُّـمُ المتـوهِّـم !

ما أضعَـفَ « المكروبَ » فى تكـوينه لكنَّــه يفــرى أديــمَ الضَّيغَــم ![1]

لا يَنعَـــمُ المحتــلُّ بيـــن ظهـوركـم بـالاً . وكيـف يقيــمُ إن لـم يَنْعَـم؟

بثُّـوا لـه الأشـواك إذ يمشــى، وإنْ يشـرَبْ، فشُـوبوا مـاءه بـالعلْقَـم[2]

ودعوه ــ إنْ يَيْقَظْ ـ يعشْ فَـزِعًا ، وإنْ يــرقُــدْ بغـــارات الكتـــائب يَحْلُـــم

حتــى يظــنَّ النــار حشْــوَ رغيفــه فــإذا تنـاولـه، تفجَّــرَ فــى الفـم

ماضِرَّ مصـرَ ـ ومصرُ دارُ الخلد ــ لو صـارت علـى المحتـلِّ نـارَ جهنَّـم؟

المستبـــدُّ بمصـــرَ يَلقـــى حتْفَـــه والضيـفُ إنْ يَنـزلْ بِمِصِـــرٍ يُكْـرم[3]

يا مصرُ ، قد طـال الإسارُ ، فحطِّمى بيمينــك الأغــــلالَ، أو فتحطَّمــى

لا تحتمـــى مـــن غـــاصبيك بهيئـــةٍ دوليَّـــةٍ ، لكــنْ بنفسـكِ فـاحتمـى[4]

الـذئب ليس على القطيـع بحـارسٍ والفأْرُ لـيس علـى القِـرَى بمُحكَّـم[5]

سبعــون عامًـا ، كـان مـن أهوالهـا : أن يهـرَمَ الهَــرَمُ الـذى لـــم يَهْـرَم[6]

قالـوا : القناةُ فقلـتُ : إنْ تَكُ حُجَّـةً لخلـودهـم فــى مصـرَ ، فلتَتَهَــدَّم

هــم دنَّســوا بشهِيقهِـم وزفيـرِهِــم جـوَّ الكنـانـة ، وهْــو مثلُ البَلْسَـم

---

(١) أديم : جلد ، الضيغم : الأسد .

(٢) شوبوا : اخلطوا ، العلقم : نبات مر المذاق .

(٣) الحتف : الهلاك .

(٤) يندد الشاعر بالمنظمات الدولية ، التى تزعم الحفاظ على الأمن .

(٥) القرى : الزاد .

(٦) المعنـى : أن هذه المـدة ـ علـى قلتها ــ كادت أن تشيـب الهرم الـذى لم تشيبه القرون .

هـم سمَّمُـوا نيـلَ الحمـى بثغـورهـم ... فمتـى نـذوقُ النيـلَ غيـرَ مسمَّـم ؟

يا مصـرُ ، وجُهك ـ أين كنَّـا ـ قبلـةٌ ... فيهـا المسيحـىُّ التقـى بـالمسلـم

الكـلُّ ـ بعـد الله ـ حُبُّـكِ دينُـهُ ... مَنْ كـان حُبُّك دينَـه ، لـم يـأثـم

لا تنـدُبـى شهـداءَكِ الأبـرارَ ، بـل ... غنِّى علـى أجداثِهِـم، وتـرنَّمـى!

لا تعصِبـى جُـرحَ الجـريـح ؛ فـإنـه ... فـى جسمـه مثـلُ الفـم المتبسـم

مـا صـال فـى المَيْدان منَّـا صـائلٌ ... وأصيبَ ، إلا قال : يا مصرُ ، اسلمى!

فى مهرجان الشباب

ألقيت هـذه القصيـدة فى نـدوة الشبـاب التى نظمهـا مكتب حمايـة الشباب، يـوم ٩ مـن أغسطس سنة ١٩٥٨م بمدينة الإسكندرية ، برئاسة السيد : كمال الدين حسين .

عهـدَ الشبـابِ، أعِـدْ إلـىَّ مِـراحـى ... واردُدْ علـىَّ صَبـابتـى ، ومِـلاحـى[1]

فـإذا أبيْـتَ، فجُـد علـىَّ بنَسمـةٍ ... ممـزوجـةٍ بعَبيـرِك الفـوَّاح

كـم فيـك من أمـلٍ بعيـد الغـوْر ، أو ... حُلـم يـداعـبُ كـلَّ جَفْـنٍ صـاح[2]

مـا شبَّ نـارَ الحب غيـرُك . لا ، ولا ... أوحـى بعـذب الشعـر مثلَـك واح

حسبى عـزاءً : أنْ مضَيْتَ ولـم تَشُب ... بنقيصـة صُحُفـى ، ولا ألـواحـى

وأنِ انقضيْتَ، ومـا انقضَتْ لى عـزمةٌ ... كـلا ، ولا فَـلَّ المشيبُ سلاحـى[3]

---

(١) المراح : الطرب واللهو .

(٢) أمل بعيد الغور : أى أمل عريض واسع .

(٣) فله : ثلمه .

إنِّـى احتفظـتُ لكـلِّ يـوم حفيظـةٍ ... ببقيـة مـن عـزمـك القـدَّاح[1]

فـإذا دعـا داعـى العـروبـة فـى غـدٍ ... حاربتُ جنديًّـا بجيش « صلاح »[2]

اللهُ يعلـمُ ، مـا قضَيْتُـك عـابثًـا ... يهـوى المـلاح ، أو احتسـاءِ الـراح

لم أقـضِ فى التشبيـبِ شرخَ شبيبتـى ... لكـن وقَفتُ علـى الحمـى أمداحـى

أنـا باليـراع ـ ولا أمـنُّ على الحمـى ـ ... كـافحـتُ الاستعمـارَ أىَّ كِفـاح

ولكـم مشيْـت مـع اللِّـداتِ مناديًـا ... بحياة مصـر ، أو سقوطِ سجـاح[3]

مستقبليـن رصـاصَهـا ، ورصـاصُهـا ... ينصـبُّ مثـل الـوابـل السّحّـاح[4]

لا ننثنـى فـزعًـا أمـامَ أزيـزِه ... بـل نحمـل الأرواحَ فـوق الـراحِ[5]

***

قـل للشبـاب مقـالـةً مـن نـاصـحٍ ... ـ إنّ الشبـاب أحـقُّ بـالنُّصّـاحِ ـ :

هـذا زمـانٌ ، لا مجـالَ لمنطِـقٍ ... فيـه ، ولا خُطَـبٍ تقـال فِصـاحِ

الحـقُّ فيـه للقـوىِّ بجيشـه ... ولمـن يطيـرُ إلـى السُّهـا بجَنـاحِ[6]

ويـدِبُّ فـى الصحـراء ليثًـا كـاسرًا ... ويغـوصُ تحـتَ المـاء كـالتمسـاحِ

الحـقُّ للصـاروخ يعصِـفُ بـالـورى ... عصْـفَ الريـاحِ الهُـوج بـالأدواحِ[7]

***

---

(١) يوم الحفيظة : يوم المعركة ، القداح : المتوقد الذى ينقدح منه الشرر .

(٢) يعنى بصلاح : الرئيس جمالا .

(٣) اللدات : الأتراب الـذين يتقاربون فى الأعمـار ، سجاح : هى المتنبئة الكاذبـة ، شبه بها الدولة الإنجليزية ؛ لكثرة ما تكذب فى الوعود .

(٤) السحاح : المتدفق .

(٥) الراح : جمع راحة ، بمعنى الكف .

(٦) السها : نجم فى السماء .

(٧) الأدواح : الأشجار الضخمة .

قـل للشباب : زمـامُكم قـد بات فـى يـدكـم ، ونيلكمـو طليـقُ سَـراحِ
قـد كـان سلسَلـهُ مبـاحًـا للـورى لكنــه لــلأهــل غيــرُ مُبــاحِ
فـاليـومَ : ليـس يسوسُـهُ مستعمـرٌ بـاغٍ ، ولا مَلِـكٌ مـن الأشبـاحِ[1]
لـم يـأتـه استقـلالُـهُ عفـوًا ، ولا جـادتْ بـه يـدُ محسـنٍ مسْمـاحِ
لكننـا اصطـدنـاه صيدِ الـدُّرِّ مـن بحـرٍ تـلاطَـمَ بـالـدم السفـاحِ[2]
ضُمـوا علـى استقلالكـم أجفـانكـم وافــدُوه بــالمُهجَــات والأرواحِ
هوت العـروشُ الواهناتُ ، كمـا هَوى ورقُ الخـريـف أمامَ عصـف ريـاحِ
النيــل طـوَّحَ فــى الهــواء بـواحـدٍ ومحـا أخـاه بشـطِّ دِجْلـةَ مـاحِ[3]
وانهـار فـى بغــدادَ حلـف زائف قالوا : ابنها . قلنا : بل ابنُ سفاحِ[4]
وتوحدت « سوريـا » ومصرُ ؛ فصَارتا كالمـاءِ ، والصهباءِ فى الأقداحِ[5]
فـاسترجعـوا مجـدَ العـروبة بـالقـوَى والقَسْــر ، لا بتـــوجُّـعٍ ، ونَـــواح
ردُّوا علـى الإســلام عصـرَ أُميَّـةٍ ولَيــالـىَ المصنـور ، والسفَّـاحِ[6]

***

لا تبـذلـوا للعلـم كـل جهـودكـم العلــم نــاحيــةٌ ، وَثَــمَّ نـــواحِ
كـم نـاجـح متفـوِّقٌ فــى درسـه دخــل الحيـاةَ ، فلـم يَفُـز بنجـاحِ

---

(١) يريد بالأشباح : من يحملون لحما وشحمًا دون تصرف وتفكير .

(٢) الدم السفاح : أى المسفوح ؛ وهو تعبير سائغ فى العربية .

(٣) يشير إلى : ثورة العراق وما حققته من إزالة العرش .

(٤) يشير إلى : حلف بغداد الذى كان موجهًا إلى خدمة الأعراض الاستعمارية .

(٥) الصهباء : الخمر .

(٦) المنصور ، والسفاح : هما مؤسسا الدولة العباسية .

شُدُّوا الجوارحَ بالرياضة، وابتنُوا لجسومكم عضَلاً من الصُّفَّاحِ[1]

فبساقِي العَدَّاء يفتخرُ الحمى كفَخَاره بذراعَى السَّبَّاحِ[2]

كونوا شِحاحًا بالكرامة، وابذلوا أقواتكم للضيف غيرَ شِحاح

وتعلموا الأدبَ الرفيعَ؛ فإنه لا خيرَ فى نُطق بلا إفصاح

وإذا نزلتُمْ بالقُرى، فعليكم دَينٌ ثقيلُ العبء للفلَّاح

صدوا أعاديَه الثلاثَةَ، تَضَمنُوا للريف كلَّ تقدُّمٍ وفلاح[3]

واستمسكوا بالدين؛ فهْو دريئَةٌ للنشء، كَبَاحٌ لكلِّ جِماح[4]

والله، ما عاقَ النهوضَ بأُمَّةٍ تَبغى النهوض كملحدٍ وإباحى[5]

شُقُّوا بمعتَرَك الحياة طَريقكم ليس النجاح لخامل بمتاحِ

ودَعوا دواوين الحكومة؛ إنها عند الحساب قليلةُ الأرباحِ

لا تفتننَّكم المظاهر؛ إنها مثلُ السراب الخادع اللمَّاحِ

كم صانعٍ بالقارِ خُضِّبَ ثوبُه فعددتُ هذا القارَ خيرَ وشاحِ[6]

سيَّانِ - يومَ الفخر فى نظر الحمى -: فأس الأجير، ومبضَعُ الجَرَّاحِ

***

---

(١) الصفاح: الصخور الصلبة.

(٢) العداء: سريع العدو.

(٣) المراد بالأعادى الثلاثة: المرض، والفقر، والجهل.

(٤) دريئة: وقاية وحماية، كبح جماحه: روضه.

(٥) الإباحى: الذى ديدنه إباحة المحرمات.

(٦) القار: القطران.

نشىءُ الكنانة خيرُ عهدٍ عهدكم — لا عهد « رمسيس » ، وعهدِ « فتاحِ »[1]

لا تُقلقوا فرعون فى تابوته — قد راح هذا الجيل أىّ رَواحِ

تيهوا بحاضركم، وشِيدوا مجدكم — بعزائم لا ينثنينَ صِحاحِ

وخذوا « جمالا » ، أو «كمالاً » قدوة — فى الجِدِّ ، والتعمير ، والإصلاحِ

الطفل الموءود ![2]

منذ بضعة وعشرين عامًا قام الشباب بمشروع وطنى جليل . هو مشروع القرش ، ثم دب الخلاف بين أعضائه . فتعطل المشروع ، وهى أرجوزة قديمة ؛ لم نعثر عليها عند إصدار ديواننا الأول : « صرخة فى واد » .

قومى انظرى، يا مصرُ ، فى ابتسامِ

ونبِّهى ثلاثةَ الأهرامِ

وأيقظى « سعدًا » من المنامِ[3]

قومى؛ فتلك ساعةُ القيامِ

تراشَقَ الشبابُ بالسهامِ[4]

وأسرَفَ الشيوخُ فى الخصامِ

---

(١) رمسيس وفتاح : من ملوك المصريين القدماء .

(٢) الموءود : المقتول ، ويريد بالطفل الموءود : المشروع المعطل .

(٣) يريد سعد زغلول : باعث النهضة الحديثة .

(٤) تراشقوا : تقاذفوا .

واحتـــدمـتْ معــركـةُ الكـــلامِ

وشُــــرعـــتْ أسنَّــــةُ الأقـــلامِ

ووُطــىءَ المشــروعُ بـــالأقـــدامِ[1]

فخــــرَّ ميْتـــا ليلــــةَ الفطــــامِ

وعمــــرُهُ عـــامٌ ، وبعـــضُ عـــامِ

ضـاع ــ لعمرى ــ ضيْعةَ الأيتـامِ

إذا غَشُـــــوا مـــوائدَ اللئــــامِ

هـــم نَحَــرُوه عقـــبَ الصيـــامِ[2]

فـــى العيـد نحـرَ الشـاءِ والأَغْنـامِ

وارحمتـــــاهُ مـــــن فــــؤادٍ دامِ !

للطفـــل بيـــن فكَّـــيِ الحِمـــامِ !

مُمـــزَّقَ الأوصـــالِ والعظـــامِ !

راح مُبَــــرَّأً مــــن الآثـــامِ

ضحيَّـــةَ الخُلـــفِ والانقســـامِ

فـــرحمـــةُ الله علــــى غـــلامِ !

مـــاتـــتْ بمـوتـه مُنَـــى أقـوامِ !

لا تَـرْتَـدُوا « طـربـوشـه » أمـامـى[3]

---

(١) يريد بالمشروع : مشروع القرش .

(٢) كان ذلك الانقسام عقب عيد الفطر .

(٣) كان أقيم ـ بحصيلة ما تجمع من المشروع ـ مصنع طرابيش .

وإنْ يكـنْ كـالتـاج فـوقَ الهـامِ

قـد كـان رمـزَ الجـد والإقـدامِ

واليـومَ صـار مَبْعـث الآلامِ

قـوَّضـت الشهـوة فـى أيـامِ[1]

مـا شـادت الهمَّـة فـى أعـوامِ

الآن قـد صحـوتُ مـن أحـلامـى

أدركـتُ أنِّـى هـاهنـا . مُقَامـى

بمصـرَ ، لا بـالهنـدِ ، أو بـالشـامِ

مصرُ لبـابُ العـالَـم الإسـلامـى[2]

تقـدَّمـتْ فـى همَّـة الضِّـرْغـام[3]

وأحجمـتْ فـى خفَّـة النَّعـامِ

إليـكِ ، يـا شَبِيبَـةُ ، احتـرامـى[4]

أسـرفـتِ فـى السَّـبِّ والاتهـامِ

فـأخْلـدى حينًـا إلـى السـلامِ[5]

ألصقْـتِ أنـفَ مصـرَ بـالـرَّغـام[6]

إلـى الـوراءِ ، لا إلـى الأمـامِ ![7]

---

(١) قوضت : هدمت .

(٢) لباب كل شىء : خلاصته .

(٣) الضرغام : الأسد .

(٤) الكلام مسوق سياق التهكم .

(٥) أخلد إلى الشىء : جنح إليه .

(٦) الرغام : التراب .

(٧) يعنى : تقهقروا ولا تتقدموا !

تراشق القادة

عندما تفاقمت الخلافات الحزبية فى العهد البائد ،
وفاضت أنهار الجرائد بالسباب والمهاترات سنة ١٩٥٠ م

تـراشَــقَ القــادةُ بــالأحجــارِ [(١)]
وأمْعَنــوا فــى الكيــد والشِّجــارِ
والفُلــكُ تحــت رحمــة الأقْــدارِ
بيــن الــريــاح الهُــوج والتيَّــارِ
اطـوُوا ثيــابكــم علــى الأقْـذارِ
لا تطلعــوا النــاسَ علــى الأسـرارِ
بغسلهــا فــى وَضَــح النهــار
يــا ســاسـةَ أشبــهَ بــالتَّجَّــارِ
النيــلُ صــار كعبــةَ الأنظــارِ
يــرمقُــهُ العــالــم بــاحتقــارِ
ألهاهمـو هـذا الحـديثُ السارى
عــن الــوغــى ونقعِهــا المُثَــارِ [(٢)]
فتِّشْ عـن المعصــم ذى السُّوارِ [(٣)]

---

(١) تراشقوا : تراموا .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) كان لبعض النساء ـ فى ذلك العصر ـ سيطرة ونفوذ .

فتِّشْ عن الأرحام والأصهارِ[1]

فتش عن الدرهم والدينارِ

فى مصر ؛ تعرفْ علَّةَ الدَّمارِ

يا نيلُ ، جُدْ بدمعك المْدرَارِ[2]

على بناءِ سعدٍ، المُنهارِ

أتى عليه عبَثُ الصِّغارِ

وكثرةُ الأعْراض والأَوطارِ

---

(١) الأرحام : الأقارب .

(٢) المدرار : الغزير .

حول الامتيازات

أنشئت عندما كانت الامتيازات الأجنبية قائمة ، وفكر المصلحون فى إلغائها سنة ١٩٣٥م .

قد أرهَفَ التاريخُ من أسماعِهِ ... وتقلَّدَتْ يمناه غَرْبَ يراعِهِ (١)

فلتُطلقوها كالقذيفة ؛ جملةً ... تَشْفى فؤاد النيل من أوجاعِهِ

من قالها منكم ، فنحنُ جنودُهُ ... والنيلُ والهرمان من أشيَاعِهِ

هى فرصةٌ سنحت ، وهذا وقتُها ... فتداركوه الآن قَبل ضياعِهِ

لن تقنعوا خصمًا بِطول جدالكم ... طول الجدال يَزيدُ فى أطماعِهِ

فخذوا عن « الغازى » إذا فاوضتمو ... أُسْلُوبَهُ الفعَّال فى إقناعِهِ (٢)

ولتَجمعوا عند الشدائد أمركم ... فالخيرُ كلُّ الخير فى إجماعِهِ

ولتُظْهروا وثباتِكم وثباتكم ... ليس الجبانُ القلب مثلَ شجاعِهِ (٣)

قالوا : السماحة فى ابن مصر جِبِلَّةٌ ... فهل احتمال الضيم بعضُ طباعِهِ؟

النيل يسبحُ غيرنا فى خيرِهِ ... ونعيشُ نحن رواسبًا فى قاعِهِ

***

(٢) غرب اليراع : سن القلم .

(٢) يريد بالغازى : مصطفى كمال .

(٣) الواو فى : « وثباتكم » الأولى من بنية الكلمة ، والواو فى : « وثباتكم » الثانية واو العطف .

حرب الرذيلة

ليتَ الممالكَ بعد طولِ كفاحِ ... وقفتْ جحافلَها على الإصلاح[1]

وأسَتْ عميقَ جراحِها . إنى أرى ... أكبادَها تشكو عميقَ جراح !

ورمَتْ مدافعها المُبيدةَ جانبًا ... وتسلَّحتْ من خُلقها بسلاح

ما بالُ عصر النور أمسى أهلُهُ ... يُسْرون فى ليلٍ بغير صباح ؟[2]

لو سادت الأخلاقُ ، ما انقلب الورى ... ذؤبانَ فتكٍ ، أو كِباشَ نطاح

أو غرَّرت بالعالمين مبادىءٌ ... تُزرى بإفكِ مُسَيلمٍ وسَجَاج[3]

من يَبْنِ مُلكًا شامخًا ، لم يبْنه ... بشُواظ نيرانٍ ، وَبيض صِفاح[4]

يا رُبَّ مُلْكٍ أسَّسْته قوةٌ ... عَصَفَت به فى الجو هُوجُ رياح

المُلْكُ بالأخلاق يُبْنَى أسُّه ... لا بالمجازر والدَّمِ السفاح

قل للطبيب : دع الجسوم إذا شكت ... مَنْ للنُّفوسِ ودائها المِلْحاح ؟[5]

إنَّ الرذيلةَ شرُّ ما نعيا به ... وأشدُّه خطرًا على الأرواح

---

(١) الجحافل : الجيوش . وقد كان إنشاء هذه القصيدة عقب الحرب العالمية الثانية .

(٢) السرى : السير ليلا ، والمراد به : التخبط ، وكثرة الحروب ، وإراقة الدماء .

(٣) يشير إلى : مبادىء الإنطلنطى التى زعموها كفيلة بإطلاق الحريات ، ثم كانت مجرد خداع ، (مسيلمة وسجاح) : المتنبئان الكاذبان ؛ وقصتهما معروفة .

(٤) الصفاح : السيوف .

(٥) الملحاح : العضال .

قل للكماة ـ إذا محَوْا أعداءَهم ـ : هـل للـرذيلة بينكم من ماح ؟[1]

حُلُّوا الجيوشَ ؛ فما بنا من حاجةٍ إلا إلى جيشٍ من النُّصّاح

قل للذى يشكو تباريحَ الهوى فى الليل ، أو يبكى صُدودَ ملاح :[2]

نُحْ كيف شئتَ على الملاح صبابةً إنِّى على الأخلاق طال نُواحى !

---

(١) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع .

(٢) الذى يشكو . . . إلخ : كناية عن العاشق الولهان .

صوت الشباب

نَشْءَ الكنانةِ ، أنتَ نعمَ الداعى ... فاقرَعْ بصوتك كلَّ سَمعٍ واعِ

اجهَرْ بصوت الحقِّ . ضلَّ الحقُّ فى ... هذا الزمان منافذَ الأسماع

أطلْقهُ آونةً بآذان الحمى ... كهزيم رعدٍ ، أو زئير سباعِ[1]

واصدَحْ به حينًا على أدواحه ... لحنًا كلحن حمامه السَّجّاع[2]

صوتُ الشباب مبرَّأ كضميره ... من كلِّ شائبةٍ وكلِّ خِداع[3]

نشءَ الكنانة ، أَنت أنت ذراعُها ... لا خيرَ فى جسد بغير ذراع

وعلى يديك إذا شكا شاكى الحمى ... برءُ السقيم به من الأوجاع

الريفُ — ويحَ الريف - يدعوكم إلى ... إنقاذِ مرضى جاهلين جِياع

إنّ الشبابَ تحضُّرٌ وتوثُّبٌ ... ليس الشبابُ بلذَّةٍ ومَتاع

إنْ لم يُعدَّ المرءُ فيه نفسَه ... لغَدٍ، أضاع العُمْرَ أىَّ ضَياع

لا يخدعنّكم الشبابُ ؛ فإنه ... ليَمُرُّ مثلَ البرق فى الإسراع

أنتم جنودٌ للحمى فتشجَّعوا ... فالنصر لم يُكتَبْ لغير شُجاع

أقسمتُ ، ما اعتدَّ الشبابُ بعُدَّةٍ ... كصحيفةٍ فى كفِّه ويراع

والعلم زادٌليس منه قناعةٌ ... بل فيه تُحمدُ كثرةُ الأطماع

---

(١) هزيم الرعد : صوته المزعج .

(٢) الدوح : الشجر العظيم .

(٣) الشائبة : ما يخالط الشىء فيعكر صفوه .

ابنُوا على أسُسِ الفضيلة مجدكم ... تبنون مجدًا ليس بالمتداعى[1]
ما خيرُ علم لم يُزَوِّدْ ربَّه ... بكريم أخلاقٍ ، وحُسْنِ طِباع؟
أو ما رأيتَ العلمَ ينقُضُ ما بنى ... ويُهدِّدُ العُمران بالإشعاع؟[2]
إنى لأبرأُ من شباب عابثٍ ... رِخو إلى غير المكارم ساع
إن يدعُهُ داعى الهوى لبَّى، وإن ... نصح النصوح له فغيرُ مُطاع
الشعبُ بالأخلاق ينهض . إنَّها ... جَيْشا : هجومٍ - للحمى - ودِفاع

حرب الأعداء الثلاثة

ليست الحربُ فى امتشاق السلاحِ ... بين سُمْرِ القَنا وبيضِ الصِّفاحِ[3]
ونسورٍ فى الجوِّ تعصف بالنا (م) ... سِ وبالأرض عصفَ هُوجِ الرياح
إنما الحربُ: حربُ جهلٍ ، وفقرٍ ... وسقامٍ . هذا مجالُ الكفاح
تلك حربٌ توطِّدُ السِّلمَ بين النا (م) ... سِ فيها صيانةُ الأرواح
يا جنود الحمى ، لقد أزف الوقـ (م) ... ـت ؛ فهيَّا بنا إلى الإصلاح
كافحوا الجهل فى ثبات وعزم ... قهْرُ هذا العدوِّ نصفُ النجاح
واحملوا مِشعلَ الثقافة حتى ... يَشعُرَ الريف بانبلاج الصباح[4]

---

(١) المتداعى : المتهدم . ويلاحظ - هنا - : أن الفعل لم يجزم فى جواب الأمر ؛ لأن الجزم جائز لا واجب .

(٢) ينقض : يهدم ، والمراد بالإشعاع : الإشعاع الذرى .

(٣) امتشق السيف : تقلد به .

(٤) انبلاج : ظهور .

إن أمضى السلاح فى ساحة الحر (م) ب سلاحُ الأقْلام والألْواح

يا رجال البلادِ، مصرُ تنادى : أين أهلُ النـدَى وأهلُ السَّماح ؟

كافحوا الفقر فى الكنانة ؛ حتى تطردوه من منزل الفلاح

كافحوا الداءَ ؛ فهْو ضيفٌ ثقيلٌ حلَّ بالزاد والنميرِ القَرَاح[1]

وامنحوا الشَّعبَ صحةَ الجسم حتى يظفرَ الشعبُ بالعقولِ الصحاح

تلك أعداؤنا الثلاثةُ ـ لا كا (م) نت ـ غزَتْ مصرَ من جميع النواحى

فخُذوا حِذْرَكم، وشُنُّوا عليها (م)

الحرب؛ فى المدنِ ، فى القرى، فى الضواحى

فإذا ما جَلَتْ ، فقولوا: انتصرنا وأَقيموا معالمَ الأفراح

---

(١) النمير القراح : الماء العذب الصافى .

سُحقًا لها

عندما سقطت بعض وزارات العسف فى العهد البائد .

تـــولَّـــتْ دولَـــةُ الحُمقَـــى ألا سُحقًّـــا لهـــا سُحْقـــا ![1]

ألا خُلُّـــوا عـــن الـــوادى قتلتــــم أهلَـــه خَنْقـــا

لقـــد دنَّسْتُمُـــو مصـــرًا بحكمكُمـــو ، بـــل الشَّـــرْقـــا

ومـــا خلفتمـــو بيـــن الـــزُّ (م) نُـــوج وبيننـــا فـــرقـــا

فكـــم بـــالطُّـــور مـــن شـــاكٍ إلـــى الـــرحمـــن مـــا يَلقـــى[2]

وكـــم بـــالسجـــن مظلـــومٌ لـــه سَجَّـــانُـــه رَقَّـــا

غـــدا استقـــلالنـــا المنشـــو (م) دُ فـــى أيـــامكـــم رِقَّـــا

عصَفْتـــم بـــالحمـــى عصفًـــا فـــرفقًـــا بـــالحمـــى رفقـــا

فلـــو ســـابقتمـــو نِيـــرو (م) نَ نلتُـــمْ دونـــه السبقـــا[3]

كـــذبتـــم إذْ تـــوهَّمْتـــم مظـــالـــمَ عهـــدكـــم تَبْقَـــى

فمصـــرُ كنَـــانـــةُ الـــرحمـــ (م) ـــنِ؛ لا تشْقَـــى، ولـــن تشقـــى !

---

(١) تولت : زالت .

(٢) كان الطور منفى الأبرياء فى ذلك العهد .

(٣) نيرون : هو قيصر روما الذى تروى عنه الأساطير أنه أحرقها ، وظل يغنى على منظر النيران .

شرع الاستعمار

ضل جندى من جنود الاحتلال البريطانى فى مصر ؛ فوجهت إنجلترا بسببه إنذاراً إلى الحكومة المصرية ، وذلك فى أيام الاحتلال .

لصٌّ تسلَّلَ من وراءِ جِدارِ مُتنقِّلاً من شُرفةٍ لِجِدارِ
لكنَّ دينارًا هوَى من جيبه فبكَى ، وصاح : هنا هَوَى دينارى !
ومضى إلى قاضى المدينةِ ، منذرًا متهدِّدًا بالويل أهلَ الدار
هذا هو الذَّنبُ الذى أُخذَتْ به مصرٌ ، وذلك شرْعُ الاستعمار
يا جيرةَ المنشِ ، الحياءُ فَضيلةٌ أنتم أحقُّ بذلك الإنذار
فيمَ الإقامةُ ؟ ليت تائِهكُمْ هوَى فى لجَّةٍ ليست بذاتِ قرار ![1]

(١) وجه الشبه بين قصة اللص فى القصيدة وقصة المستعمرين فى مصر واضح ، فكلاهما دخل على رب الدار معتديًا ، فلما لحقه إيذاء لا دخل لرب الدار فيه حمله تبعته ، وهذا منتهى العسف والافتيات .

زمـــزم
طليعة الأسطول المصرى

أنشئت هذه القطعة منذ نيف وعشرين عامًا ؛ تحية للباخرة زمـزم عند أول رحل قـامت بها ، ولم نعثر عليها عند طبع ديواننا الأول : « صرخة فى واد» .

أرأيـتَ زمـزمَ وهْـىَ فـى البحـرِ ... تختـالُ مثـلَ الكـاعـب البِكـرِ ؟[1]

وَصَفيـرُهـا يُشجـى الفـؤاد، كمـا ... يُشجِيـه نَـوْحُ حمـائم السِّـدْر[2]

أرأيـتَ إذْ حلَّـتْ مـراسِيَهـا ... والثَّغـرُ ينظـرُ بـاسـمَ الثَّغـرِ ؟[3]

وتحـرَّكـتْ ، فكـأنهـا عَلَـمٌ ... متحـرِّكٌ فـوق الثـرى يجـرى[4]

سـارت، وعيـنُ الله تَتْبَعهـا ... فـى البحـر مـن عِبَـرٍ إلـى عِبـر

لله رايـةُ مصـرَ عـاطـرةً ... بشـذَا نسيـم البحـرِ إذ يسـرى !

إنْ داعبَتْهـا ريُحـه، خَفَقَـتْ ... خفقـانَ قلـب الصَّـبِّ فـى الصَّدر

ظُلُمَـاتُ بحـر القُلـزم انقشعَـتْ ... بضيـاءِ ذاتِ الأنجُـم الـزُّهـر[5]

---

(١) تختال : تتبختر .

(٢) يشير إلى قول الشاعر :

أشجـاك نـوح حمـائم السـدر ... فـأثـار منك بـلابـل الصـدر ؟

(٣) الثغر الأولى : البلد على الشاطىء ، والثانية : الفم .

(٤) العلم : الجبل .

(٥) بحر القلزم : هو البحر الأحمر .

مـا بيـنَ حُمْـرتِـه وخُضـرتِهـا نَسَبٌ قـديـمُ العَهْـد لـو يـدرى[1]

مـا كـان مـن مجـدٍ، فمقتَبسٌ مـن مصـرَ ، مـردودٌ إلـى مصـر

خضـع العُبَـابُ لأهـل مصـرَ كمـا سَلُسَ الهـواءُ سلاسَـة المُهـر[2]

يَهْنـى الكنـانـةَ أنّهـا ظَفِـرَتْ بالعـاهليـن : النُّـونِ ، والنَّسـر[3]

***

يـا دُرَّةً فـى البحـر ، لـو وزِنَـتْ رجحَـتْ علـى مـا فيـه مـن در

تمشـى الريـاحُ علـى مشيئتهـا مـأمـورةً تنصـاعُ لـلأمـر

تنسـابُ فـوقَ المـاء جـاريـةً مـدفـوعـةً بـالمـاءِ والجَمْـر[4]

وكـأنمـا زفـراتُ مـرْجلهـا زفـراتُ قلـبٍ ذابَ مـن هَجْـر

وهـو البخـارُ أرقُّ حـاشيـةً فـى مسِّـه مـن نَسمـةِ الفجـر

جـرَّ الحـديـدَ وراءَه ذَنَبًـا ومشـى بـه فـى خفَّـةِ الطيـر

سلـب الخيـولَ الغُـرَّ دولتَهـا وأذالَ مُلـكَ العِيـس فـى القفـر[5]

وغـزا الشِّـراعَ ؛ ففـرَّ منهـمـزمًـا وكفـاه شـرَّ الطـيِّ والنشـر[6]

***

فـى مصـرَ قـومٌ صـامتـون إذا كـان الكـلام بـأهلـه يـزرى[7]

---

(١) يشير إلى : أساطيل العرب والمصريين، التى كانت تمخر عباب البحار .

(٢) يريد بسلاسة الهواء : نجاح مصر فى عالم الطيران .

(٣) النون : الحوت .

(٤) يريد بالماء والجمر : البخار .

(٥) العيس : الجمال .

(٦) يريد بالشراع : السفن الشراعية .

(٧) يريد بهؤلاء القوم : طلعت حرب ورفاقه .

فـــى كـــلِّ آونَـــةٍ لهـم عَمَـــلٌ ... لا يبتغـــون عليـــه مـــن أجـــر

تـــركـــوا المقـــالَ لمـــن يُنمِّقُـــه ... ويصـــوغُـــهُ كـــالـــدُّرِّ فـــى النَحْـــر

صِنفـــان تلقـــى الفـــرقَ بينهمـــا ... كـــالفـــرق بيـــن التُّـــرب والتِّبـــر[1]

أقسمـتُ، مـا « حـرب » وعِتـرتـهُ ... إلا النجـــومُ أحَطْـــنَ بـــالبـــدر

الـــرافعـــون لمصـــرَ هـــامتَهـــا ... والملبســـوهـــا حُلَّـــةَ الفخـــر[2]

والنـــاشـــرون بكـــلِّ نـــاحيـــةٍ ... ذِكـــرَ الكنـــانـــة طيِّـــبَ النشـــر

« حـرب » يَـدٌ فـى مصـرَ عـامِلـةٌ ... والآخـــرون قُـــلامـــةُ الظِّفـــر[3]

فـــى كـــلِّ عصْـــرٍ آيَـــةٌ ظهـــرَتْ ... وأراهُ آيَـــــةَ ذلـــــك العصــــر

***

هـــذى طـــلائعُ نهضـــةٍ بـــدأتْ ... هـــذى نَـــوَى أسطـــولِنـــا المصـــرى

أَنِـــــى أراه بمقلتَـــــىْ أمَلـــــى ... يمتَـــدُّ فـــوقَ المـــاء كـــالجسْـــر

والغـربُ ـ قبـلَ الشـرقِ ـ مُلتفـتٌ ... يـــرنـــو إلـــى أعـــلامـــه الخُضْـــر

إنْ ســـار وقـــتَ السِّلـــم مُتَّجِـــرًا ... ضَمِـــنَ الـــرَّخـــاءَ وعـــادَ بـــاليُســـر

أو ســار وقـتَ الحرب، صـبَّ علـى ... أعـــدائه سيـــلاً مـــن الـــذُّعْـــر

هـــذى حقـــائقُ كـــذْتُ ألمِسُهـــا ... لَيسَـــتْ بـــوحْـــيِ خَيـــالـــى الشِّعـــرى

***

قـــل للحجيـــجِ : إذا بلغـــتَ منـــىً ... ومسحْـــتَ بـــالأركـــان والسِّتـــر[4]

---

(١) التبر : الذهب .

(٢) الهامة : الرأس .

(٣) قلامة الظفر : ما يأخذه المقص منه .

(٤) الحجيج : الحجاج ، وكانت أولى رحلات الباخرة زمزم إلى جدة ؛ لنقل الحجاج .

فسَلُوا إلٰهَ العرش فى وطنٍ — أخنَت عليه حوادثُ الدهر

مصرٌ ـ وقاها الله ـ قد مُنِيت — بمصيبتين : الفقرِ ، والأسر(١)

مصرٌ تفرَّقَ أهلها شِيَعًا — وتخاذلوا فى ساعة النصر

أحرى الورى بالهم والدةٌ — تلقى العقوقَ من ابنها البَر !

لمَّا رأى العادى تفرُّقها — قَلَبَ المِجَنَّ لها على الظهر(٢)

أو ما رأيتَ القوم قد نظروا — بمحاجرٍ كوجوههم حُمرِ ؟(٣)

نشيد
شباب الجامعة

هلُمُّوا ، يا شبابَ الجامعاتِ — نشقُّ طريقَ يعرُبَ فى الحياةِ(٤)

ونُحيى مجدَ آباءٍ أُباةِ — لنا سنُّوا طريقَ المكرُماتِ(٥)

هلمو ، يا شباب الجامعات

***

(١) تصادف ـ إذ ذاك ـ استحكام الضائقة المالية فى مصر .

(٢) تصادف ـ إذ ذاك ـ أن تفرق المصريون شيعا . فاستغل المحتل هذا الظرف ؛ ووجه إلى مصر إنذارًا .

(٣) يريد بالقوم : الإنجليز .

(٤) هلموا : اسم فعل بمعنى أقبلوا ، ويعرب : جد قديم من أجداد العرب .

(٥) أباة : جمع أبى بمعنى شديد الإباء للضيم .

نعيشُ بهــذه الــدنيــا كــرامَــا ونَنْشــر فــى جـوانبهــا السَّــلامــا
فــآونــةً نطيــر بهــا حَمَــامَــا وآونــة نســورًا جــارحــاتِ[1]
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

لنــا فــى العلــم مــاضٍ لا يُبــارى تَخِـذنـا العلـمَ ـ أمسِ ـ لنـا شعـارًا
ونحــن ــ اليــومَ ــ نــرفُعـهُ منــارًا بــه نهــدى النفــوسَ الحــائراتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

لنــا كَــرمُ الشَّمــائلِ مــن قــديــمِ ورثنــاه كــريمًــا عــن كــريــمِ[2]
نصـونُ العلـمَ بـالخُلـقِ القـويـمِ ونسمــو بــالخـلال الصــالحــاتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

بنــو عــدنــانَ أُمَّــةُ ذى الجــلالِ فِـداهــا : كـلُّ مـرتخـصٍ ، وغـالِ
تسيــرُ وراء قــائدهــا جمــالِ ونجعــل أرضهــا قبــرَ الغــزاةِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

هلمــوا ، يـا شبــاب الجـامعــاتِ نشقُّ طـريـق يعـربَ فـى الحيـاةِ
ونحيــى مجــدًا آبــاء أُبــاةِ لنــا سَنُّــوا طـريـقَ المكـرمــاتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

---

(١) الحمام رمز السلم ، والنسور رمز الحرب .
(٢) الشمائل : الخصال .

نشيد الدعاية الصحية

يـا شبـاب العلم فـى الـوادى الأمينْ　　أشـرَقَ الصبحُ ، فهـزوا النـائميـن
إنَّ هـذا العهـدَ عهـدُ الثـائريـن　　ليـس فيـه مقعـدٌ للعـاجـزيـن

***

مصـرُ تـرجـو منكمـو جيلاً فتيًّـا　　سـالـم البنيـةِ، مقـدامًـا ، قـويًّـا
لا ضيعفًـا ، خـائر العـزم ، عييًّـا　　كتـب الـذلُّ علـى المستضعفيـن

***

أرهفُـوا العـزم وهُبُّـوا للعمـلْ　　واملئـوا أرجـاءَ مصـرٍ بـالأمـل
حـاربـوا الأمـراض فيهـا ، والعِلل　　كـم شكـا الشـاكـون مـن داءٍ دفيـن

***

أعلنـوا الحـربَ علـى جيـشِ السّقـام　　وانحتـوا من معـدن العلم السِّهـام(١)
إنمـا العلـم بـأيـديكـم حسـام　　مـرهـفٌ ، فى حـده النصـر المبيـن

***

إنمـا الصحَّـةُ عُنـوان الحيـاه　　فـانشـروهـا نُضـرَةً فـوقَ الجبـاه
وارسـومهـا بسمـةً فـوقَ الشِّفـاه　　وابعثـوهـا رحمـةً للعـالميـن

***

---

(١) يريد : حاربوا الخرافات الشائعة ــ فى العلاج ـ بطرق العلاج السليمة المبنية على علوم الطب .

نحـن أقسمنـا بمصـرٍ، والعلـم ... وبمـاءِ النيـل. أعظـم بـالقَسـم !
أَننـا نمحـو مـن الشعـبِ الألـم ... نُشهـدُ الله علـى هـذا اليميـن

***

يـا شبـاب العلم فـى الـوادى الأميـن ... أشرقَ الصبـحُ ، فهـزوا النـائميـن
إنّ هـذا العهـد عهـد الثـائريـن ... ليـس فيـه مقعـدٌ للعـاجـزيـن

نشيد الطيران

اسلمـى للشـرق، يـا أُمّ النُّسـور ... أنـتِ للعقبـانِ ـ يـا مصرُ ـ وكـور
أنبِتِـى الـرِّيـشَ بـأجسـام الصُّقـور ... وأعـدِّى للحمـى أجنحـةً
تَخلف النَّسرَ على عرش الطيور

***

أنـتِ ـ يـا مصرُ ـ لنـا برجٌ ، وغـاب ... تُنبتين الشهـب ، والأُسد الغضاب(١)
نحـنُ أبنـاؤك ، ركـابُ السحَـاب ... كـم قهـرنـا البحـرَ فيـاضَ العُبـاب
واقتحمنـا للمعـالـى كـلَّ بـاب ... وإذا السِّلـمُ دعـا كنَّـا الجـواب
نحن فى السِّلم غصون
نحن فى السِّلم زهور

***

اسـلمى ....

---

(١) يحمل البرج معنى تشبيههم بالنجوم ، ويحمل الغاب معنى تشبيههم بالأسود .

أنــا فــى الآفــاق خفّــاقُ الجنــاح كـلُّ مـا فـى الجـوِّ لـى مِلـكٌ مبـاح

تخضَعُ السُّحـب لحكمى، والـرياح وإذا نــادى المنــادى للكفــاح

كنتُ فـى كفٍّ الحمى أمضـى سلاح بعـثُ روحـى للحمـى بيـعَ السَّمـاح

كـم سقـانى كـم غـذانى

مــاؤه العــذبُ الطَّهـور

***

اسلمـى . . . .

حلِّقــوا فــوقَ سمــاءِ الهــرَمِ وارفعــو بيــن بــروج الأنجــمِ

قــدرَ مصــرٍ، ومكــانُ العلــم نحــن شعــبٌ للمعــالــى ينتمــى

نشــر الأضــواءَ بيــن الأمــم وغَــزَا الأجــواءَ منــذُ القِــدَمِ (١)

كانت الدنيــا ظلامــا

وهــو نورٌ فــوق نــور

***

اسلمـى . . . .

---

(١) يريد بغزو الجو قديمًا: قصة فرعون وهامان: «يا هامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى».

على أطلال الكفر المنقض :

إلى الغزاة الهادمين

في عهد الاحتلال : أحاطت القوات الإنجليزية بكفر أحمد عبد، ونسفوه ؛ بحجة أن الفدائيين يختبئون فيه .

يا أُمة المنش، يهنى جيشك الظفر ... أبطال « دَنكِركَ » فى مصرٍ قد انتصروا[1]

أبطال « دَنكِركَ » خاضوا الحرب طاحنةً ... فى « كفر أحمدَ » : لا جُبنٌ، ولا خَورُ

سَلُّوا السلاحَ على مَن لا سلاح له ... وحاصروا بلدًا لم يَأوِهِ بَشرُ[2]

ودمَّروه فخرَّت ـ وهى مُعْوِلَةٌ ـ ... عروشُهُ ، وتداعتْ خلفها الجُدرُ[3]

كادَتْ تَضِجُّ بأيديهم معاولُهم ... وكَاد يلعنُهُم ـ إذْ يسقُطُ ـ الحجر

فيمَ المدافع كالأبراج جاثيةً ... يطيرُ كالبرق من أفواهها الشرر؟[4]

فيم القذائفُ فوق الحىّ هاميةً ... من حالِق الجّو ؛ لا تُبقى ، ولا تَذَر؟

فيم الحديدُ ؟وفيمَ النارُ حاميةً ... كأنما فَتَحتْ أبوابَها سَقَر؟

ما جرَّدَ الخَصْمُ غيرَ الحقِّ فى يده ... والحقُّ يمضى، وينبو الصارم الذَّكر[5]

لم تحجُبُوا الشمسَ بالأسرابِ طائرةً ... لكنْ من الخزى وجهُ الشمس مُسْتَتِر

(١) دنكرك : اسم موقعة نكل فيها الألمان بالإنجليز ، فى الحرب العالمية الثانية .

(٢) كانت البلدة قد أخليت من السكان .

(٣) معولة : صائحة ، العروش : السقوف .

(٤) جاثية : منحنية .

(٥) الصارم الذكر : السيف القاطع .

مـا كلَّلَ النـاسُ يوم النصـر هامَكُمـو بالغـارِ، لكنّهم مـن نصركـم سَخِروا

***

لهفِـى علـى بلـدٍ ضـاعـت معـالُمـهُ أطفاله كـالدبى فى البيـد تَنتَشر ![1]

بـاتــت حيـارى بـلا مــأوىً حـرائرهُ لاسقـفَ إلاَّ الريـاحُ الهوجُ، والمطَـر

من كـلِّ هيفاءَ كـان الخدرُ يحجبهـا إن أسفـرَ النجمُ فـى الظلماءِ والقمـر

ربـعٌ تسـاوى بسطح الأرض شـاهقـه قد صوَّح النبتُ فيه، واختفى الشجر[2]

كـأنمــا القـومُ لــم يَغشـوا مغــانيـه يـومًا، ولا حَـرَثُـوا، فيه، ولا بـذروا

كـــأنـه مــا رأَى وجـه الصبــاح، ولا أحيــا ليــاليَــهُ أنــسٌ، ولا سمــر

ولا أوت دوره أهـــلاً، ولا عمـــرت يـومًــا مسـاجـدَه الآيـاتُ والسُّــور

***

إن الأُلى فـى حروب «الرِّيخ» مـا كسبوا حربًا، بمصرَ استردُّوا بعض ما خسروا[3]

شعـبٌ يسـوق شعوبَ الأرض قـاطبـةً إلى الوغى، وهْـو خلف الباب ينتظر

تخفى عسـاكره فى الحـرب إن نشبت حتـى إذا قُسِّمـت أسـلابهـا، ظهـروا

أقسمتُ، ما كسبوا فى «كفر أحمدَ» من نصر، ولا العزل من سكَّـانه اندحَروا

لكنهــم حَفَــروا قبــرًا لـــدولتهــم فى مصرَ، فليسكنوا القبرَ الذى حفروا

لـم يهدمـوا قريـةً عزلاء؛ بـل هدمـوا ركنَ السـلام بأيـديهم، ومـا شعروا!

***

سل الحماةَ حُمَاةَ الأمن: هل سمعوا بمصر، أو عندهم عـن أهلها خبر؟

---

(١) الدبى: صغار الجراد.

(٢) صوح: ذوى وجف.

(٣) «الريخ»: كناية عن الألمان.

الأمـنُ : شـاكٍ ، جريـحٌ ، سـائلٌ دُمـه ... ومجلس الأمن : لا سمـعٌ ، ولا بصر

يا قومُ، طال « بلِك سِكسِيسَ » نومكمو ... وفـى الكنانـة نـارُ الحرب تستعـر[1]

صـونـوا الحضـارة مـن أيـدٍ تعيـثُ بهـا ... وأدركـوا الأمـن ، إن الأمــن يحتضَـر

لا تلـزَمـوا الصَّمـتَ ، والذؤبـانُ عـابثـةٌ ... بالشاء ؛ فالصّمت فيه يكمُن الخطر

عـاش ابـن آدمَ عيشَ الغـاب ؛ تحكمُـه ... شـريعةٌ قـاضِياهـا : الناب، والظُّفُـر

(١) « لك سكسيس » : البلد الذى كان يجتمع فيه مجلس الأمن ـ إذ ذاك ـ.

زفرات وأشجان !!

صاحب آويته

اعتل على الشاعر ضرس ، فنزعه ، وقال يرثيه سنة ١٩٦٠م

صاحبٌ آويتُهُ خمسين عامًا ... ما لَهُ في كَنَفي ملَّ المُقاما؟[١]

بين فكِّي ولساني صُنتُه ... لم يَلُك إثمًا ، ولم يَمضغُ حراما[٢]

كم وكم ذُقت وإيَّاهُ الطَّوَى ... حين لم نلق سوى الغثِّ طعاما ![٣]

كم نوينا الصومَ ، لا عن حِسبَةٍ ... أتُرى ، يا صاحِ ، قد عِفتَ الصياما؟[٤]

قسمًا بالمجد ، لم أُلحِق به ... مذ تعاهدنا على الصحبة ذامًا[٥]

لا ، ولا جاوَرَ إلا طاهرًا ... ينظمُ الياقوتَ والدرَّ كلاما

منه يجني الشَّهدَ من يَشتارُهُ ... وإن انسلَّ على الباغي حساما[٦]

***

أيها الخِلُّ الذي خاصمني ... غيرَ مُبقٍ ، لستُ آلوكَ خصاما[٧]

لم تكن أولَ خلٍّ عقَّني ... بعد ما ساقيتُهُ الوُدَّ مُداما

---

(١) الكنف : الجانب .

(٢) لم يلك : لم يمضغ .

(٣) الطوى : الجوع ، الغث : الرديء .

(٤) حسبة : تطوعًا وقربة .

(٥) الذام : العيب .

(٦) اشتار الشهد : استخرجه .

(٧) ألا يألو : قصر يقصر .

أنــا لا تــذهــبُ نفســى حسـرةً ... إثـرَ مــن لـم يَـرعَ للـود الـذِّمـامـا
غيـرَ بُقيَـا لـم تـزَل تعتـادُنـى ... مـن حنيـنٍ نحـو إخوانـى القـدامـى

***

أيُّهـا الضـرس الــذى أرَّقنـى ... بعـد مـا اعتـادت جفـونـى أن تنـامـا
إنْ تكـن أرَّقتَنـى اليـومَ، فكـم ... بـتُّ أرعـى النجـمَ بـالأمـس غـرامـا
سهـدتنى ـ فـى مشيبى ـ عللى ... ليتَ سُهـدى فى شباب العُمـر داما !
ليس مـن يجفـو الكـرى مـن علةٍ ... مثـلَ مــن يجفـوه صبـًّا مُستهـامـا

***

أيهـا المُنبَـتُّ عـن أقـرانـه ... كـلُّ أقـرانـك يُقـريـك السـلامـا[1]
ربَّ سِـنٍ أعـولـت أو نـاجـذٍ ... بـات مـن بعـدك فـى ذُلِّ اليتـامـى
لاح فـى المـرآة لـى نـاصعـهُ ... حـالِكَ اللـون مـن الحـزن ظلامـا[2]
كنـتُ أبـدو ضـاحـكَ السنِّ ، فمـا ... بـالُ سنِّـى اليـومَ تـأبـى الابتسـامـا؟
أوهمتنـى فجـوةٌ واحـدةٌ ... أنَّ فـى فـىَّ تضـاريـسَ عِظـامـا

***

بضعـةٌ غـاليـةٌ مـن جسـدى ... بيدى وسَّـدتُها ـ أمسِ ـ الرَّغـاما[3]
دُفِنَـت دون احتفـالٍ ، ومضـت ... لـم يُـرَق فى إثرِهـا الدمعُ سِجـاما[4]

---

(١) المنبت : المنقطع .
(٢) يقال : أبيض ناصع ؛ أى : شديد البياض .
(٣) وسده الرغام أى جعل التراب وسادًا له : كناية عن الدفن .
(٤) دمع سجام : أى متسلسل يسيل بعضه فى إثر بعض .

لســتُ أدرى : أنــا فــى مــأتمهــا ... ثــاكــلٌ أم أنا مَـن ذاق الحِمـامـا؟[1]

قُــل لمـن ينــدُبُ عضـوًا راحــلاً : ... عـن قـريـبٍ يبلُـغُ المـوتُ التمـامـا

والمنـــايـــا منهـــلٌ مـــن مـــائه ... دفعـةً نَشـربُ، أو جامًـا فجـامـا[2]

***

يـــا غـــريبًـا أنكـــرتـــهُ لِثتـــى ... لـم يصـاحبنـى رضيعًـا وغـلامـا[3]

علـــم اللهُ ، لقـــد جـــاورتَنـــى ... كـارهًـا ، لكـنَّ جـارى لـن يُضـامـا

إن تكـــن غيـــرَ كـــريـــمٍ ، فلقـــد ... زُرتَ مضيـافًا ، وعـاشـرت كرامـا[4]

لـــم أكـــن أَرضـــى بسنِّـــى بـــدلاً ... لا، ولـو صـــاغـوه تِبـرًا أو تُـؤامـا[5]

غيـــرَ أنِّـــى بشـــرٌ ؛ لا حـــولَ لـــى ... إنَّ فـى كَـفِّ المقـاديـر الـزِّمـامـا

أيـنَ صُنـعُ الطِّـبِّ مـن صنـع الـذى ... بَـرَأَ الأنفس : لحمًـا ، وعظامـا ؟[6]

---

(١) يريد : أنه دفن بعض جسمه ؛ فهو دافن مدفون معًا .

(٢) المنهل : المستقى ، يريد : أن الموت يأتى دفعة ، أو شيئًا فشيئًا .

(٣) الخطاب موجه إلى الضرس الصناعى ، الذى حل محل الضرس الطبيعى .

(٤) يقصد : أن عنصره غير كريم ، بخلاف ما يجاوره من الأسنان .

(٥) التؤام : اللؤلؤ .

(٦) يريد : أنه لا مجال للموازنة بين ما صنعه الله وما صنعه الطبيب .

آهة طفلة!

أنشأها الشاعر، عندما مرضت طفلته البالغة من العمر ثلاثة أعوام سنة ١٩٤٩ م.

أُصيبت، ولم تَدر كيف تُبين — إذا سُئِلَت، فالجواب الأنين!!

وحينَ يُلِحُّ عليها السُّعالُ — تشيرُ إلى صدرها باليمين

تُسامُ الدواءَ؛ فتطبقُ فاهًا — ـ على ضعفها ـ فهْو حصنٌ حصين (١)

وتنفذ آهاتها في الفؤادِ — فتفعلُ فعلَ المُدى بالوتين (٢)

تكادُ الحرارةُ تصهرُ قلبي — إذا ناهزت عندها أربعين (٣)

نجا من سهام الكِعاب فؤادي — وأصمَته بنتُ ثلاثِ سنين (٤)

وأُقسِمُ، لو أصبحَت مثلَ «جندر (م) كَ» تحمي بعزم اللَّباة العرين (٥)

وبذَّت سُكَينَةَ بنتَ الحسينِ — وعائشةً في بيانٍ ودين (٦)

لما كان هذا كِفاءَ الذي — أُعانيه من سُقمها كلَّ حين

***

---

(١) تسام الدواء: تكلف شربه كرهًا.

(٢) الوتين: عرق في العنق.

(٣) ناهزت: قاربت.

(٤) الكعاب: جمع كاعب؛ وهي الفتاة التي برز ثديها، أصماه السهم: اخترقه، يقول: نجوت من غرام الفتيات الحسان، فلم يجرح فؤادي، ولكن جرحته ابنتي الطفلة بسبب مرضها.

(٥) «جادندارك»: الزعيمة الفرنسية المعروفة في التاريخ.

(٦) سكينة بنت الحسين: الأديبة المعروفة، وعائشة: زوجة الرسول التي قال فيها: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء».

مُحَيَّـا كسـاهُ الشُّحـوبُ جمـالاً   وبعضُ الشُّحوب جمالٌ يَـزيـن
فمـا أذبَـلَ الـداءُ وردَ الخـدودِ   ولا أطفـأَ السُّقـم نـورَ الجبيـن
ســوى أنَّ ذاك جمـالٌ طـروبٌ   وهـذا الجمـالُ جمـالٌ حـزيـن
أُسـائلُهـا : أيـنَ راحَ المِـرَاحُ ؟   ومـن أينَ هـذا المُحيَّـا الرزيـن ؟(١)
ومـا زال صـوتُـكِ مـلءَ الفضـاءِ   وفـى أُذن الجـار منـه رنيـن(٢)

***

لئـن صـدَّت اليـومَ عنـى ، فكـم قـا   بلَتنـى مقـابلـةَ الفـاتحيـن !
وكـم هلَّلـت إذ رأتنـى ، وكـانـت   لبُشـرى قُـدومِى الـرسُـولَ الأميـن(٣)
ومـا بـالُهـا اليـومَ عنـى تُشيـحُ   وفـى مقلتيهـا عتـابٌ كميـن؟(٤)
كـأنَّ بكفـى زمـامَ الشفـاءِ   ولكنَّنـى بـالشفـاءِ ضنِيـن
لهـا اللهُ ! هـل حسبَـت أَننـى   بكـلِّ الـذى تشتهيـه ضميـن ؟
بُنيَّـةُ ، ليـس الشفـاءُ رداءً   كهـذا الـرداءِ الـذى تَلبَسيـن(٥)
ولا هُـو للجيـد عقـدٌ فـريـدٌ   ولا هـو لـلأُذْن قُـرطٌ ثميـن
ولا هـو فـى السـوق حلوى تُبـاعُ   ولا دُميـةٌ تُشتَـرَى بـالمئيـن
ولكنَّـه مـن شُئـونِ السمـاءِ   وربِّ السمـاءِ . فهـل تعـذريـن؟

***

---

(١) المراح : الخفة والطرب .

(٢) يقصد : أنها كانت تملأ البيت صياحًا ، وتزعج الجيران .

(٣) الأطفال ـ عادة ـ أول من يبشر بقدوم الآباء إلى المنازل .

(٤) تشيح : تعرض .

(٥) يريد : أن ثوب العافية لا يباع عند البزازين ، كما تباع الثياب الحريرية وغيرها .

بنيَّــةُ ، رفقًــا بقلــبِ أبيــكِ فمـا أنا ــ كـالنـاس ـ مـاءٌ وطيـن[1]

يسيــلُ مــع المـاءِ قلبـى حنـانًـا ويلهــم عــودَ المغنِّــى الحنيــن

تُخــدِّدُه عَبَـراتُ الــرضيــعِ ويحنـو علـى الطِّفل وهْـوَ جنيـن[2]

يكـادُ يـذوبُ لشكـوى الغـريـبِ فكيــف بـه عنـد شكـوى البنيـن؟

***

لقـد حـارَبت شخصِى الحـادثـاتُ فصــادفـنَ ذا مِــرَّةٍ لا يليــن[3]

وحــاربننـى فــى بنيـن صغــارٍ فــأدرَكــنَ منِّــىَ مــا يشتهيــن

عصــافيـر زغــبٌ تَــوَزَّعـنَ ريشـى وخلفننــى مثــلَ طيــرٍ سجيــن[4]

حيــاتهمــو شُغُــلٌ شــاغــلٌ وفقــدهمــو لــوعــةٌ لا تبيــن[5]

ومــا أرخصــت قـدرهــم كثـرةٌ ولا هــان غــثٌّ ، وعــزَّ سَميــن[6]

أفكِّــر فــى غـدهــم فــأُحــسُّ بــداءٍ يخــامـرُ صـدرى دفيـن[7]

إذا أنَــا مـــتُّ وخلفتهــم فلــن يــرثــوا غيــر شعــرٍ رصيــن

بنِّــى مـــدينـون لــى بـــالشقــاءِ وإنـى لهـم بـالشقـاءِ مـديـن !![8]

---

(١) يكنى ـ بالمصراع الثانى ـ عن رقة شعوره .

(٢) تخدده : تشققه .

(٣) ذو مرة : ذو قوة . يريد : أنه تحمل ما يصيب شخصه من كوارث الدهر ، وعجز عن تحمل ما يصيب أبناءه .

(٤) زغب : جمع أزغب؛ وهو الطائر الصغير ، الرخو الجناح .

(٥) لا تبين : لا تنقطع .

(٦) الغث والسمين متقابلان ، ومعناهما : الردىء والطيب .

(٧) يخامر : يخالط .

(٨) يريد أنه ــ على مذهب أبى العلاء ــ جنى على أولاده بما سببه لهم من شقاء فى الحياة ، فجازوه مثلا بمثل ؛ بما سببوه له من متاعب .

فلسفة الآلم

أوحت بهذه القصيدة ثورة نفسية ، على إثر ما عاناه الشاعر من بعض الأزمات .

وقائلٍ :كيف أنتَ فى المحَنِ؟ ... فقلتُ : إلفان نحن من زمن

قد خُلقتَ لى، وقد خُلقتُ لها ... من قبلِ أن لم تكن ولم أكن

إذا بدت بسمةٌ على شَفَتى ... تشكو إلى الله غُربَةَ الوطن [1]

تألَّبى يا خطوبُ ، واحتَدِمى ... عُودى ـ كما تعهدينَ ـ لم يَلِن [2]

ما عاد فى الأرض حادثٌ جَلَلٌ ... يحولُ بين الجفونِ والوسن [3]

من طولِ إلفِ الأسى؛ أنِستُ به ... فإن أطالَ الجفاءَ ، أوحشنى

أكادُ ألاَّ أعُدَّ من عُمُرى ... يومى ، إذا ما خلا من الحزن

مَن كانَ حرُّ الهمومِ يَصهَرُهُ ... فإن حرَّ الهموم يصقلنى [4]

كم عَمَرتْ باليقين نفسى إن ... زادت همومى، وفاضَ بى شَجَنى

والهمُّ يجلو النفوسَ إن صَدِئت ... والهمُّ فيه رياضة البدن

واللهِ ، ما نَقمةٌ بلا عوَضٍ ... كلاَّ ، ولا نَعمةٌ بلا ثمن

كم مِنَّةٍ أعقبت أذى ، وأذى ... فى طيِّه مِنَّةٌ من المِنَنِ

---

(١) يريد : أن الابتسامة متكلفة فهى أشبه بمن ينزل فى غير وطنه .

(٢) تألبى : تجمعى ، احتدمى : اشتدى .

(٣) الوسن : النوم : يريد : أنه ما عادت تؤرقه الحوادث لكثرة ما ألفها .

(٤) النار تصهر الحديد أى تذيبه ، وهى فى الوقت نفسه تصقل السيف بمعنى تكسبه ملاسة ولمعانًا .

فَلْيُمْعِـنِ الــدهــرُ فــى مكــايــده ... إن أنـا لـم أَضطلـع بهـا ، فمَـن؟[١]

لا يــرنــى النــاس شــاكيًــا أبــدًا ... فـإنمــا يشتكــى أخــو الــوهــن[٢]

أعــددتُ للحــادثــاتِ إن نــزلــت ... صبـر كــريــمٍ ، بحَملهــا قمـن[٣]

لا تــذهــب الحــادثــاتُ فِطنتــهُ ... إن هــى طــاشـت بفطنَــةِ الفَطِـنِ

يسيــرُ وســطَ الــرُّعــودِ متَّئِــدًا ... كــأنــه ســائرٌ بــلا أُذُنِ[٤]

تــزينــه عــزَّةُ الملــوك ، علــى ... جَفَــافِ زادٍ ، وملبَــسٍ خَشِــنِ

يشكــو البِلى ثــوبـه العتيــق ، ولا ... تشــوبُــهُ ذرَّةٌ مــن الــدَّرن[٥]

مــا أهــون النفــسَ والنفيــس إذا ... مــا بقــى العرضُ غيــرَ ممتهــن !

كفكف دموعك

دعــونــى أُقضِّــى الحيــاةَ مُــزاحــا ... ووأقطعُهــا بهجــةً وانشــراحًــا

لقــد قــرَّحــت جفنــى العَبَــراتُ ... وأثخــن قلبــى الأنيــنُ جــراحــا[٦]

أأقطــع عُمــرى أنينًــا وشكــوى ... وألبــسُ فيــه الحــداد وشَــاحــا؟[٧]

---

(١) أمعن : توغل ، وفى البيت حذف ؛ أى : فمن يضطلع بها ؟

(٢) الوهن : الضعف .

(٣) قمن : جدير .

(٤) كناية عن : عدم المبالاة بالضجيج ، حتى لكأن به صممًا .

(٥) الدرن : الوسخ : كنى بالبلى عن الفقر ، وبالنظافة عن النزاهة .

(٦) أثخنه جراحًا : ملأه جراحًا .

(٧) الوشاح : لباس خاص من ملابس الزينة .

وما أنا والهمَّ ما دمتُ ألقى ... بدنيايَ خُبزًا، وماءً قراحا ؟[1]

ومن ضاق ذرعًا بدنياهُ ، ضاقت ... عليه، وإن هى كانت براحا

إذا ضَنَّ دهرى بما أبتغيه ... وباتَت علىَّ الليالى شِحاحا

فإنى أرى فى جمالِ السَّماءِ ... وطيب الهواء نعيمًا مُباحا

إذا شرب الناسُ مرَّ الحياةِ ... عصرتُ من المرِّ شَهدًا وراحا[2]

وإن حاربتنى صروفُ الزمان ... شَهَرتُ عليها احتقارى سلاحا

فما عاشَ حىٌّ أطالَ الهمومَ ... ولا ماتَ حىٌّ أطالَ المِراحا[3]

لقد جهلَ الغِرُّ فنَّ الحياةِ ... وأدركتُهُ ؛ فابتسمتُ ، ونَاحا

---

(١) الماء القراح : الصافى .

(٢) الراح : الخمر .

(٣) المراح : الخفة والطرب .

مأتم الخلق !

أنشئت على إثر تبدل بعض الوزارات واختلاف نظرات الناس إلى الحكام؛ تبعًا لتبوئهم كراسى الحكم، أو إقصائهم عنها سنة ١٩٥٠ م .

مَنْ كان بالأمس يحكى بسمَةَ الفَلَقِ ... ما بالُه اليومَ يحكى ظُلمة الغَسَقِ ؟(١)

راقَ العيونَ على الكرسىِّ منظرُهُ ... حتى إذا خانه الكرسُّى، لم يَرُقِ

وما تغيَّرت الأشكالُ مذ خُلِقَت ... إنّ التغَيُّر فى الآماقِ والحَدَق (٢)

دَورٌ على مسرح الأخلاق يلعبه ... قومى، وأَرنُو إليه بادىَ القَلَق

وربَّما بات صدرى ضيِّقًا حَرِجًا ... مما أرى، ولسانى غيرَ مُنطَلِق

لا درَّ درُّ أناسٍ لا وفاءَ لهم ... يَلقَونَ كلَّ جديدٍ جاء بالمَلَق !(٣)

سُوقُ النفاق قد اصطفَّت موائدهُا ... وراحَ يسعى إليها كلُّ مُرتزِق

كَفكِف دموعًا على الأمواتِ تَذرفُها ... يا صاح، وابكِ معى فى مأتم الخلق (٤)

---

(١) الفلق : النور ، والغسق : الليل .

(٢) الآماق جمع موق ، والحدق جمع حدقة ، ويريد بهما : العيون . أى : أن الأشخاص لم تتغير : لكن النظرات هى التى تغيرت .

(٣) لادر دره : جملة دعائية ، در : فاض ، والدر : اللبن .

(٤) كفكف الدمع : حبسه وكف عن البكاء .

سفينة الموت !

لم تبرح الأذهان بعد فجيعة الباخرة دندرة ، التى ابتلعها نهر النيل بمن أقلته من الركاب ، الذين يمموا القناطر الخيرية ؛ للاحتفال بعيد شم النسم .

فَغَرَ اليمُّ فاه للرُّكبانِ ... وطغى الماءُ ، واختفى الشاطئان[1]

وبدا الموتُ سافرًا كالحَ الوجـ (م) ـهِ ، ولم تُجدِ حيلةُ الرُّبان

وتهاوى السفينُ تحتَ جبالٍ ... شاهقات الذُّرا غِلاظِ الرِّعَان[2]

الجبالُ التى على الفُلك ماءٌ ... ربَّ ماء أقسى من الصَّفوان[3]

رُبَّ زيتٍ يفرى البُطون ، وماءٍ ... عبَّ منه مَن ليس بالظمآن[4]

دَخَلَ الموتُ ، يسرقُ الخطوَ ؛ لصًا ... بين رقص الدُّمى ، وعزفِ الكَمان[5]

سائل الرَّكبَ : كيف صارت أغانيـ (م) ـهِ أنينًا يصُكُّ سمع الزمان ؟[6]

واستحالتْ ألحانهُ حشرجاتٍ ... من حلوق النساء والولدان ؟

لهْفَ نفسى على صبى غريرٍ ... غافلٍ عن طوارق الحِدثان

مات فى حِضن أمِّه ! يا لأمٍ ... أدركتها فى لحظة موتتان ![7]

(١) فغر فاه : فتح فمه .

(٢) الرعن : أنف الجبل .

(٣) الصفوان : الصخر .

(٤) يريد : الزيت الذى طفا من خزان السفينة على سطح الماء .

(٥) الدمى : التماثيل الجميلة ، يقصد : الغوانى الحسان .

(٦) الصك : الضرب .

(٧) يريد : أن موت ابنها أمامها وموتها هى ، كلاهما موت لها .

لهف نفسى على فتًى أطبقَ المو (م) جُ عليه فخانه الساعدان !

وفتاةٍ زفت إلى النيل بكرًا ومضى عرسُها بلا مهرجان ![1]

ربَّ ناج أصابَ عمرًا جديدًا فقضاهُ فريسةَ الأحزان !

صرخاتُ الغرقى يصُكُّ صداها أُذنيه صكًّا بكلِّ مكان[2]

أيُّها النيلُ، كم عمرت يبابًا وبعثتَ الحياة فى الأبدان[3]

فعلام استحلتَ موتًا زُؤامًا وأشعتَ الخراب فى العمران؟[4]

أعصيرَ الكروم يا نيلُ تحوى أم لعاب الحياتِ والأُفعوان؟[5]

نلتَ ما لم تنلهُ – يا نيلُ – منا ضاريات الأُسود والذُّؤبان[6]

ليتَ شعرى أبتَّ تستكثرُ المنَّـ (م) ـة ؟ ليس الكريمُ بالمنَّان

أم تُراك ادَّكَرتَ مالك من ما ضٍ قديمٍ مع الغوانى الحِسَان؟[7]

كنتَ تغتالُ جؤذرًا كلَّ عامٍ فلم اغتلتَ ربربًا فى ثوان؟[8]

صف لنا الحرب: كيف دارت رحاها بين جيش الأطفال والطُّوفان؟

كيف كانت تغالبُ الموتَ غيدٌ بأكفٍ مخضَّبات البَنَان؟[9]

---

(١) يشير إلى: أن النيل حينما كانت تزف إليه الأبكار – فى غابر الأزمان – كان يقترن الزفاف بمهرجان حافل، بخلاف ما حدث فى حادث الباخرة .

(٢) يريد : أن شبح الحادث سيلاحق الناجى منه مدى الحياة .

(٣) اليباب : الخراب .

(٤) الموت الزؤام : الموت السريع .

(٥) عصير الكروم : الخمر ، والأفعوان : الحية الخبيثة الذكر .

(٦) الضارى من الأسود والذئاب : هو المتعود الفتك .

(٧) يشير – مرة أخرى – إلى عروس النيل، فى عهد قدماء المصريين .

(٨) الجؤذر : ولد البقرة المتوحشة ، والربرب : القطيع .

(٩) الغيد : جمع غيداء ، وهى الناعمة البدن .

ربَّ عبلِ الذراعِ أنحت عليه لُجَجٌ ما له بهنَّ يدان[1]

حدِّث الناس ـ أيها النيل ـ عن فطـ (م) ـرةِ حبِّ البقاء فى الإنسان[2]

صف لنا: كيف يخطفىء الماءُ نورَ الـ (م) عَين بعدَ البريق واللمعان؟

كيف كان الآذيُّ فى القتل أمضى من شبا صارم، وحدِّ سنان؟[3]

صف لنا: كيف صعّدت آخر الأنفا (م) سِ فيه، وزمَّت الشَّفتان؟[4]

يا عدوّ النيران إن هى شبَّت كيف أصبحت مشعل النيران؟[5]

كم فؤادٍ تركتهُ يتلَظَّى فى جحيمٍ، وأنتَ نبعُ الجنان؟[6]

***

ذهب القوم يستجمُّون حينًا فاستجَمُّوا لكن مدى الأزمان[7]

أزمعوا رحلةً؛ فكانت من الدنـ (م) ـيا إلى العالم البعيد الثانى

مادروا إذ تأنقوا فى كساهم أَنهم يكتسون بالأكفان

كان للموت ما تحلت به الغيـ (م) ـدُ، وما خضَّبته بالألوان

لكأنى بالماء سال نُضارًا أصفرَ اللونِ من شعور الغوانى

---

(١) عبل الذراع: غليظ الذراع، قوى العضلات، و: «ما له بالأمر يدان»؛ أى: هو فوق طاقته.

(٢) يريد: أن ماء النيل شاهد فنونًا من صراع الغرقى فى سبيل النجاة.

(٣) الآذى: الماء، شبا صارم: حد سيف.

(٤) زمت الشفة: أطبقت، وأصله من زمام البعير ونحوه.

(٥) يريد بالنيران الأولى: النيران الحقيقية، وبالنيران الثانية: المجازية؛ أى: نيران الأحزان.

(٦) يشير إلى: الخرافة القديمة القائلة: بأن النيل كان أحد أنهار أربعة تنبع من الجنة.

(٧) الاستجمام: هو الراحة حينًا؛ لاستعادة القوة، واستئناف العمل.

وكأنـى بالماءِ سال على الغر (م) قى دموعًا من أعين الخزّان[1]

***

ربِّ لا أظلمُ المقاديرَ ؛ إنِّى إن بدا الشَّكُّ ، لذتُ بالإيمان

إن نقل : أذنب الكبارُ فماذا قد جناه طفلٌ رضيعُ لبان؟

عبرٌ كلما تأملت فيها عُدتُ منها مُشَتَّتَ الوجدان

أيّها الهاربون من تعب الأر (م) ضِ ، استريحوا بجنّة الرّضوان

إنَّ فى الكوثر الأمانَ لمن عزَّ (م) عليه فى النيل شَطُّ الأمان[2]

شُهداء السَّلامِ أنتم، ويا ربَّ (م) شهيدٍ مَن مات فى الميدان ![3]

---

(١) يريد بالخزان : خزان القناطر الخيرية ، الذى وقع الحادث على مقربة منه .

(٢) يشير إلى : أن هؤلاء كانوا يودون ـ بجدع الأنف ـ بلوغ شط النيل عند الغرق، فعز عليهم ذلك .

(٣) يشير إلى : أن من مات غريقًا مات شهيدًا .

من عبث المشيب :

مضيفة الطائرة

عاد الشاعر من رحلة طويلة بطريق الجو ؛
فأوحت إليه مضيفة الطائرة بهذه الأبيات :

سائلوا الرَّكب ركب أخت العقاب ... يقطعُ الجوَّ فوقَ متن السَّحاب : (١)

ما شعورى وقد أضاءت شعورى ... بدَبيب الهوى، وطيشِ الشَّباب؟ (٢)

سحرتْنى مُضيفةٌ ذاتُ وجهٍ ... باسمِ الثغر ، حالمٍ ، جَذاب

لم يدقَّ الفؤاد فى الجو خَوفًا ... أو سرورًا بقرب يوم الإياب

لا ، ولكنْ دقَّ الفؤاد التياعًا ... عند مرأى تلك الثنايا العذاب (٣)

غادةٌ تبعثُ السَّلامَ إلى النفـ(م)ـس، وتُنسى الغريبَ طولَ الغياب

ليت شعرى مُضيفةٌ هذه أم ... بسناها كشَّافةٌ للضباب؟ (٤)

قال جارى : أتلك فى الجوِّ تقضى ... عمرها بين جَيئةٍ وذهاب؟

قلتُ : هل تحسب العصافير يومًا ... لركوب الهواءِ أىَّ حساب؟

---

(١) يكنى ـ بأخت العقاب ـ عن الطائرة .

(٢) شعورى الأولى بمعنى إحساس ، وشعورى الثانية جمع شعر ، ويريد بإضاءة الشعور الشيب .

(٣) الالتياع : اللوعة ، والثنايا العذاب : الأسنان العذبة الرضاب .

(٤) يزعم الشاعر أن هذا الجبين الوضاء يستخدم ككشاف عندما يتكاثف الضباب ؛ حتى ينير للطائرة السبيل .

قـد بلغنا عـدنًا، وتلـك ــ لَعَمْرى ــ هـى إحـدى الكـواعـبِ الأتـراب[1]

قَــدْ بلَغْنــا السمــاءَ حقًــا، وهــذا كــوكـبٌ جـاءَ حـامـلَ الأكـواب

أقبلـت تحمـلُ الشـرابَ بكـفٍ رَخصةٍ ،ضاعفت جمالَ الشراب[2]

قهــوةٌ أَغــدقــت عليهــا قليــلاً مــن ســواد العُيــون والأهــداب

وشـرابٌ معصفـر اللـون ، يحكـى خــدَّهــا أو بنــانَهــا العُنَّــابــى

يـا فتـاتـى، مـا للشَّـراب ومـالـى؟ أنــا أشتـاق رَشفــةً مـن رضــاب !

خيال فى يقظة

من شعر الصبا ، أنشدها الشاعر عندما
أهديت إليه صورة حبيبة إلى نفسه .

ثَغـر الحبيـب مــن الإطـار تَبَسَّمــا فحسبتــه أومــا إلــىَّ ، وسلَّمــا

نـاجيـتُ صـورتـه ، فعـىَّ لسـانهـا وأشـار نحـوى لحظهــا متكلمــا

ولــربَّ عيــنٍ فـوق خـدٍّ نـاعـمٍ خطبت ؛ فأسمعت الأصمَّ الأعجما

حمـل البـريـدُ إلـىَّ طيفًـا طـارقًـا قـد زار فـى وضـح النهـار متيَّمـا[3]

مَـن صـادهُ ضـوءُ النَّهــار ، فمـا لَـهُ يغشـى إذا حـالَ النهـارُ وأظلمـا؟[4]

---

(١) يريـد بعدن : جنـة الخلد ، والكواعـب الأتراب : الفتيات النـواهد المتقـاربات السن، وهن بعض ما وعد الله عباده به فى الجنة .

(٢) الكف الرخصة : الناعمة اللينة .

(٣) يريد : أن طيف الحبيب لا يزور إلا ليلا ، ولكن هذا الطيف زار نهارًا .

(٤) يريد : أن التصوير يكون عادة فى ضوء النهار فكيف تطرق الصورة ليلا كما يطرق الطيف ؟

نقشٌ على القرطاس غير مُجَسَّمٍ ... برز الجمالُ ؛ فكان فيه مجسَّما
أَفديك، يا رسم الحبيب ؛ فإننى ... طالعت معنى الحُسن فيك مُترجما
أَفديك من رسم إذا شاهدتِه ... أوحى إلىّ بأن أضُمّ وأَلثَما
عجبى عليه خمسةٌ فى مثلها ! ... وأراه ملء الأرض عندىَ والسَّما[1]
أودعته قلبى بجانب ربِّه ... وخشيتُ من حرِّ الغرام عليهما
وحفظته فى العين ، إلا أننى ... أشفقتُ من دمعى عليه إذا همى
وخدعت نفسى؛ فاشتكيت له الجـ ... ـوى وكأنَّنى مترقِّبٌ أن يَفهما
أوحشتنَى يا رسمُ أم آنستنى؟ ... وأقمتَ عُرسًا فى الحشا أم مأتما؟
آلمتَ قلبى بادِّكار أَحبَّتى ... لكنَّنى أشتاقُ أن يتألَّما

***

قدَّست صورته ـ ولستُ بصابىءٍ ـ ... تقديس عبَّاد الهياكل ، والدُّمى[2]
وعرفتُ أنّ الحسنَ معنى مدرَكٌ ... بالحسِّ ، لا لحمًا يكونُ ، ولا دما
ورَدَ القلوب حقيقةً ملموسةً ... وأتى العقولَ ؛ فكان سرًّا مُبهما

***

يا جُوْذُرًا أدمى فؤادى لحظه ... هب لى بربِّك من شفاهِك بلسما[3]
أسلمتَ جسمى للشحوب وللضَّنا ... حتى أراهُ غدا لرسمك تَوْءَما[4]
حَسبى خيالُكَ ، إن غضبتَ، يهشُّ لى ... وإذا ضَننْتَ بوجنتيك، تكرَّما

---

(١) يريد : خمسة سنتيمترات .

(٢) الصابىء : الراجع عن دينه ، والهياكل، والدمى يريد بهما : التماثيل .

(٣) الخطاب للحبيب ، لا ا لصورته .

(٤) التوءم : من ولد مع آخر فى بطن واحد .

خلَّفتنى أبكى الرُّسوم، وإن يَكن عصرُ البكاءِ على الرُّسوم تصرّما[1]

ومصوِّرٍ فوق الطُّروس تخاله فى الفنِّ وقّادَ القريحةِ مُلهما[2]

لم يتخذ إلا الطبيعةَ مُرشدًا وعلى مسائلها الدِّقاق تعلَّما[3]

قد بات ينقشُ فى الزُّجاج، وما لهُ كفٌّ تحرِّكُ ريشةً أو مِرقَما[4]

عَجبى عليها آلةً سحريةً تصفُ الوجوهَ طلاقةً وتجهُّما ![5]

لا تَقتَضيك سوى تحرُّكِ إصبعٍ حتى تصورَ ما تشاءُ وترسُما

صُورٌ إذا وضعت بجانب أَصلها لم تعرف الأصلَ المحاكى منهما

لم يَبقَ من شىءٍ سوى أن يخلقوا لحمًا لهاتيك الرُّسوم وأعظما !

---

(١) واضح أن الرسوم الأولى يراد بها : الصور ، وأن الرسوم الثانية يراد بها : الأطلال .

(٢) يصف آلة التصوير .

(٣) يريد : أن هذه الآلة تعتمد على الطبيعة ، والطبيعة هى الموحية باختراعها .

(٤) المرقم : القلم .

(٥) التجهم : ضد الطلاقة .

زعانف إبراهيم

كان المرحوم دسوقى إباظة أديبًا يقرب الأدباء ، وكان يتسمح به باسم الأدب بعض الوصوليين ؛ فيكدرون صفو مجالسه الأدبية الممتعة .

زعانفُ إبراهيمَ كدَّرنَ صفوهُ ... ومَن مثلُ إبراهيم لولا زعانفُه؟[1]

هو الروضةُ الغنَّاءُ ، طنَّ ذبابُها ... ففارقَ مغناها من الطير هاتفُه

إذا اكتنَفَ الزهر الذباب، فإننى ... ـ وإن أنبتَتهُ جنَّةُ الخلد ـ عائِفُه

عذرنا أناسًا ينفق الزيفُ عندهم

فكيف ارتَضَت زيفَ القريض صَيَارفُه؟[2]

---

(١) يريد بالزعانف : هؤلاء الوصوليين ، الذين يتمسحون به باسم الأدب .

(٢) ينفق : يروج ، يقول : يعذر غيرك إذا اشتبه عليه الشاعر بالمتشاعر ، أما أنت ؛ فإنك تنقد الكلام كما ينقد الصيرفى الدراهم ، فلا عذر لك .

عـود إلى مصـر

أرجوزة قديمة العهد، استقبل بها الشاعر القاهرة يوم نقل إليها، بعد أن طال مكثه فى الريف، وذلك سنة ١٩٣٨م.

حطَّم قيدَ الأسد السَّجينِ

مُحَطِّمُ الفولاذِ باليمين (١)

فليَعُد الليثُ إلى العرينِ

أهلاً بمصرَ البلدِ الأمينِ

من بعدِ تسعةٍ خلت تؤوينى (٢)

لانت عروسُ الشرق بعد حينِ

أيَّةُ عذراءَ بغير لينِ؟

يا فتنةَ الدنيا، وركنَ الدينِ

ومهبطَ الحكمةِ، والفنون

كونى مقرِّى، أو فلا تكونى

سيَّان ـ إن هم عنك أبعدونى :

---

(١) يقصد به : المرحوم أنطون الجميل (باشا)، وقد كان صاحب فضل فى هذا النقل، على إثر مقالة كتبها بعض أدباء المهجر فى مجلة العصبة البرازيلية، يحلل فيها بعض شعر الشاعر، وينعى على وزارة المعارف ـ إذ ذاك ـ تركه بعيدًا عن القاهرة ؛ مقر الحركات الأدبية .

(٢) يقصد : تسعة أعوام قضاها ببلدة كوم حمادة، مدرسًا بمدرستها الابتدائية .

بـالهنـد قـد نـزلـتُ ، أو بـالصيـنَ

كـم حــزَّ مثـلَ النَّصـلِ فـى وتينـى

أن تشــدُوَ الطيـورُ فيــك دونــى

الطيــرُ للــريــاض، والغُصــونِ

لا لليبـــابِ القفـــرِ ، والسجــونِ

***

إليــك شــدوى مطـــربَ الــرنيــنَ

مــا أبعــدَ الشـــدوَ مــن الأنيــنِ !

لبيـكِ ، يـا مهـدَ الظبـاءِ العيـنِ (١)

ويـــا مثـــار الشَّجـــو والشُّجـــونِ

كـــم فيـكِ ذاتُ حـــاجـب مقـــرون

أطلعـــت البـــدرَ مـــن الجبيـــنَ

وانتضَـــت السيـــفَ مـــن الجفـــونِ

تـــوحـــى إلـــى الجمـــاد بـــالفُتـــونِ

يبحــثُ حسنُهـــا عـــن العيـــونِ

لا بمُخَـــدَّر ، ولا مصُـــونِ (٢)

يسمـــو علـــى الـــريبـــةِ والظُّنـــونِ

تحيـــةَ الـــوداع والحنيـــنِ (٣)

---

(١) العين : جمع عيناء وهى الواسعة العين .

(٢) يقصد : مجرد السفور والتكشف .

(٣) الكلام موجه إلى البلد الذى غادره .

يـا جـارة الصحـراءِ مــن ظعيـنِ [1]

فيــه التقـى المســرورُ بــالحـزيــنَ

كـم فيـك مـن هُـدءٍ ، ومـن سكـونِ

ومــــن نخيــلٍ وارفِ الغصـــونِ

وخضـــرةٍ ، وسلســـلٍ مَعيـــنِ

ومعشــرٍ بـــالفضـلِ طــوقــونـى

مَحَّضتُهُـمْ ودِّى ، ومحَّضــونـى [2]

لســتُ علــى العهــود بـــالأميــنِ

إن أنسَهـــا تسعًـــا مــن السنيــنِ

***

شكــرى أزفُّــه إلــى « أنطــونِ » [3]

ربِّ البيــانِ المحكَــم الــرصيـــنِ

والقلــم المــؤدَّبِ الــــرَّزيـــنِ

بعـضُ الـورى مـن جـوهـرٍ مكنـونِ

وبعضهُــم مــن حمــأٍ مسنــونِ [4]

---

(١) الظعين : الراحل .

(٢) محضه الود : منحه إياه خالصًا .

(٣) هو المرحوم : أنطون الجميل ـ كما سبقت الإشارة ـ.

(٤) الحمأ المسنون : الطين .

عبرات!

طوى الموت إبراهيم !

ألقيت فى حفل رثاء المرحوم : إبراهيم دسوقى أباظة ، بقاعة يورت التذكارية سنة ١٩٥٣م .

ألا ، ما لهذا الروض صوَّحَ زاهرهُ ... وذابت أغانيه وأجفَلَ طائره ؟[1]

ألا ، ما لهذا البحر غِيضَ عبابهُ ... وعُطِّلَ مُرساه وأُسكت هادره ؟[2]

ألا ، ما لهذا الطودِ خرَّ أساسُهُ ؟ ... ألا ، ما لهذا الغيثِ أخلف ماطره؟

ألا أيُّها الوفَّادُ، حُلُّوا رِحالكم ... طوى الموتُ إبراهيمَ وانفضَّ سامره !

***

سلوا القصرَ : ما للقصر غشَّى سماءَهُ ... قَتامٌ ، وقُدَّت من حِدادٍ ستائره ؟[3]

وماذا به من وحشةٍ وتجهُّمٍ ... وكان به فيضٌ من البشر غامره؟

سلام على القصر الذى رِيعَ أهلُه ... فريعت له من كل قصرٍ حرائره

أطوفُ به فى صمته ، وكأنه ... مُصَلى عتيقٌ لا تُقام شعائره

وكنتُ أغنيه ، فيطربُ ربُّه ... فما بالُهُ قد أعولَ اليومَ شاعره ؟

***

سلام على وجهٍ أغرَّ ، كأنه ... سراجٌ وضيءٌ ، ساطعُ الضوء، باهره

---

(١) صوح : جف ، أجفل : نفر .

(٢) غيض عبابه : نضب ماؤه ، الهادر : الصاخب .

(٣) القتام : الغبار .

سلام على ثاوٍ ثوت معه العلا ... وضمّت عتاق المكرمات مقابره

على من تداعى حائط المجد بعدهُ ... وأقفر من ربع المروءة عامره

على من لوَ ان الأرض عدت همومها ... وعدّ حصاها ، لا تُعدُّ مآثره

سلام على من كنتُ أسطو ببأسه ... على الدهر إن دارت عليّ دوائره

ولم أَنس عهدًا، عهدُ (نيرون) دونه ... إذا أحصيت يوم الحساب كبائره[1]

أوى السجن فيه كلُّ شيخٍ مهدَّمٍ ... وكلُّ صبيٍّ ناعماتٌ أظافره

قضى حقبةً فى أسره لىَ ناشىءٌ ... غريرُ الصِّبا ، لم يتَّق اللهَ آسره

ولم يقترف ذنبًا ، ولم يجن مأثمًا ... سوى أنه بالدين شُدّت أواصره[2]

فناديتُ إبراهيم ، والأمرُ حازبٌ ... وصدرىَ بالآلام يزخرُ زاخره[3]

فردَّ على يعقوبَ يوسفَ بعدما ... تيقَّنَ أنّ الذئبَ فى الغاب عاقره

***

رماك زمانٌ كنتَ تدفع شرَّهُ ... كأنك بالإحسان للناس واتره[4]

توخَّاك لما كان مثلُك نادرًا ... بهذا الورى ، والدُّرُّ أغلاه نادره

أتبعد والآمالُ دانٍ قطوفها ... ولا تحصُد الحبّ الذى أنت باذره؟[5]

رويدك ؛ فالأوطان يعصف جيشها ... بأغلالها ، والنصرُ تبدو بوادره[6]

---

(١) يشير إلى : بعض العهود الغابرة ، وإلى اعتقال أحد أنجاله ظلمًا فى ذلك العهد .

(٢) الأواصر : الروابط ، جمع آصرة .

(٣) حزبه الأمر : أهمه وأكربه .

(٤) وتره : اتخذ عنده ثأرًا .

(٥) يريد : أنه قضى حياته فى السعى إلى الاستقلال ، ثم ودع بعد أن لاحت بوادر النجاح .

(٦) كانت وفاته فى مستهل قيام الثورة المباركة .

عهدناك سبّاقًا إلى نُصرة الحمى | إذا قلّ في وقت الشدائد ناصره
وتحملُ ألوان الأذى في سبيله | فما كان من ذنبٍ ، فحلمك غافره
إذا ذرفت عيناه ، كَفكَفت دمعه | وإن مسّهُ كسرٌ ، فعطفك جابره
وإن آده عبءٌ ، نهضتَ بحمَله | وإن نالهُ خصمٌ ، فعزمك قاهره[1]
لقد كنت تحبوه بمالكَ حسبةً | إذا راح يجبى باسمه المال تاجره[2]
لك الله حرًا ما ابتغى الحُكم متجرًا | ولا جرَّ نفعًا أهله ومعاشره !
ولا جار في عهد المظالم حينما | تولّى زمام الحكم في مصرَ جائره[3]
أميرٌ مُطاع ؛ غير أن ضميره | أميرٌ عليه ، نافذاتٌ أوامره
عيوفٌ ، عفيفٌ يجرحُ الفحشُ سمعه | وفيٌّ ، أمينٌ ، يأمنُ الغدرَ غادره
صريحٌ إذا صافى ، صريح إذا قلى | على وجهه الوضّاحِ تبدو سرائره[4]
إذا ودّ إنسانًا فليس لوده | حدودٌ ، وإن عاداه فهْو مجاهره
طليق المحيا ؛ ما تجهم مرّةً | ولا ثار إلاّ للكرامة ثائره
قريب الرضا ؛ يبقى على الدهر ودُّه | ولا يلبث الهجر الذى هو هاجره
كريمٌ ؛ إذا ما الضّيف حلّ بداره | تَهشُّ له أرجاؤُها وتسامره[5]
شجاعٌ إذا ضنّ الشُّجاع بنفسه | ولم يبقَ في الميدان فردٌ يؤازره

---

(١) آده : أثقله .

(٢) حسبة : ابتغاء وجه الله والوطن .

(٣) يعنى : أنه كان وزيرًا صالحًا فى عهد فاسد ، على حد قول المتنبى : « كأنك مستقيم فى محال» .

(٤) قلى : كره وأبغض .

(٥) تهش : تتهلل ، أرجاؤها : أنحاؤها .

فتـى صـاول الجبّـار فـوق سـريـره ... وإيمـانـه : قـوّاده ، وعسـاكـره[(١)]

***

ولما نعى الناعى الدُّسوقىَّ ؛ أمسكت ... سماءُ الحمى حزنًا ، وسالت محاجره

وقلت لقلبى : جلّ خطبـك ، فانفطر ... فهذا الذى ـ يا قلب ـ كنت تحاذره !

بقلبـى جـراحٌ غـائرات ، ومثلهـا ... بقلب الحمى ، والجُرح أرداه غائره[(٢)]

وكيـف يعـزّى فـى خسـائره الحمـى ... إذا هـو كانـت فى الـرجال خسـائره؟

هـمُ الثـروةُ الكبـرى إذا سـادَ أَرضـهُ ... سـلامٌ ، وهـمْ يـومَ اللقـاءِ ذخـائره

***

ولمـا أُقيـم المهـرجـان ؛ تَهـامَسَـت ... بنعيـكَ أفـواهٌ ، فـأَعـولَ زامـره[(٣)]

مشى الركبُ يحدوه الأسى ، فتعثرت ... ميـامنـهُ فـى سيـرهـا وميـاسـره[(٤)]

فـلا عيـنَ فيـه لـم تُقـرَّح جفـونُهـا ... ولا صـدرَ إلا والهمـومُ تخـامـره[(٥)]

كـأَن صدورَ النـاس حيـن توهَّجـت ... أَضـاءت بهـا أنـوارُه ومنـائره[(٦)]

***

---

(١) يشير إلى : حادث العريضة التاريخية ، التى تقدم بها الفقيد العظيم مع رهط من رجالات مصر ، طـالبين فيها إلى الملك السـابق تنحية غير المسئولين ، والكف عن بعض ما كان يأتيه من التصرفات .

(٢) أرداه : أشده فتكًا ، والغائر : العميق .

(٣) أعول زامره : انقلب مغنيه نائحًا ، ويريد بـالمهرجان : احتفالاً قوميًا أقيم بمصر لبعض المناسبات الوطنية ، وكانت وفاة الفقيد إبان قيام ذلك المهرجان .

(٤) يريد : أن المهرجان من شدة أسفه على الفقيد ، كأنما كان الحزن حاديًا له .

(٥) تخامره : تخالطه .

(٦) يقول : إن هذه الأضواء التـى تبدو فوق المنائر وفى الميادين نتيجة التسعر الذى أججه الحزن .

سلوا عن عُكاظٍ : هل تعطَّل سوقه ؟ ... وهل حُطِّمت أعوادهُ ومزاهره؟[1]

سلوا الأدبَ الفياضَ : هل غاض نبعه ؟ ... وهل طُويت أقلامُه ومحابره؟

أَمن بعد إبراهيمَ للشعب موكبٌ ... يُقام بمصرٍ أو تُدقُّ بشائره ؟

وهل بعد إبراهيمَ من مُتكلمٍ ... يُحاضرنا ، أو من سميعٍ نحاضره ؟

لقد كان حصنًا للأديب ؛ فإن يمت ... فكلُّ أديبٍ تاعسُ الجدِّ عاثره[2]

مضى ناظمُ الشعر الرصين قلائدًا ... وناقدُه نقدَ البصير ، وناشره !

وما الشعرُ إلا الروحُ ، لو أنها سرت ... إلى هيكلٍ بالٍ ، تحرَّكَ ناخره[3]

به يقدم الهيَّابُ فى ساحة الوغى ... ويأنسُ من وحش المفاوزِ نافره[4]

وما عالَمٌ لم يصقل الشعر ذوقه ؟ ... وما أُمَّةٌ لم تعلُ فيها منابره ؟

إذا لم تَقُم للشعر فى الشعب دولةٌ ... تيقنت أنّ الشعبَ ماتَتْ مشاعره

***

وقفتُ على قبر الدسوقىِّ وقفةً ... يُساورنى فيها الأسى وأُساوره[5]

عرفتُ بها الأفلاكَ كيف وقوفُها ... وأدركت هذا الخلقَ كيف مصايره

وآمنتُ أنّ المجدَ ، والجاهَ ، والعلا ... سرابٌ كذوبٌ ، يخدعُ الناسَ ظاهره

---

(١) عكاظ : موضع معروف فى بلاد العرب ، كانت تقام فيه سوق أدبية فى موسم معين كل عام، وقد أحيا الفقيد فى مصر ـ فى العصر الحديث ـ هذه السوق بتوفره على خدمة الأدب وتشجيع الأدباء .

(٢) الجد : الحظ .

(٣) الناخر : البالى المتآكل .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ؛ وهى المغارة .

(٥) ساوره : هاجمه .

كـأنَّـىَ مـا أبصـرت جـامَ منيَّـةٍ ... يـدور ، ولا أيقنـت أنِّـى معـاقـره[(١)]

فيـا لَكَ قبـرًا يخطـب الناس صخـره ... ويُـدرك أسـرارَ العـوالـم زائره !

ويا لـك قبرًا خُـطَّ فى الأرض معهـدًا ... وبزَّ ابن سينا فى الحقائق حافره ![(٢)]

***

ألا أيهـا البيـتُ الكريـم نِجَـارُهُ ... مصابك يـؤتى الأجر ضعفين صابره[(٣)]

تشـاطرك الأحـزان مصـر ، ولم يهـن ... حزيـنٌ ، غداةَ الحـزن مصرُ تشـاطره

ومـا مـات إبـراهيـمُ ، لكنَّـه علـى ... ممرِّ الليـالى خـالدُ الـذكر ، عـاطره

سـلامٌ عليـه كلمـا ذُكـر اسمُـه ... فعطَّـرَ أرجـاءَ الكنـانـة ذاكـره

سـلام عليـه راحَ وهْـو مُبـرَّأٌ ... تقىٌّ ، نقـىٌّ ، أبيض الثوب ، طـاهره

مضـى ، وبيمنـاه سجـلُّ حيـاتـه : ... يشـرِّفُ مـاضيه ، ويُشـرق حـاضـره

إذا كـان لـلأطهـار سفـرٌ يضمُّهـم ... فـأوَّلُ هـذا السِّفـرِ أنـتَ وآخـره[(٤)]

***

---

(١) الجام : الكأس الكبيرة ، وعاقر الكأس : شرب ما فيها من العقار أى الخمر . .
يقول : لقد أبرز مـوتك عظات الموت إبرازًا ، أوهمنى أننـى أرى الموت لأول مرة على كثرة ما رأيت من الأموات .

(٢) ابن سينا : هو الفيلسوف المعروف ، يقول : إن حافر قبرك قدم للناس من فلسفة الحياة وحقائق الأشياء ، ما لم يقدمه هذا الفيلسوف العظيم .

(٣) النجار : الأصل ، والمراد : أن أجر الصبر يزيد بفداحة الخطب .

(٤) السفر : الكتاب .

أبـو الشـعـراء ! (١)

أبيات ارتجلها الشاعر ، وهو سائر خلف نعش الفقيد إبـراهيم دسوقى أباظة ، ونشـرت مع نعيه .

يا مصرُ ، شُقِّى ثياب العرسُ ، وانتحبى !! — مَن فى الحمى بعـد إبراهيم للأدب ؟[٢]

يــا رائدَ الأدب العـــالـــى وراعيَـــهُ — فى الشرق ، رُزْؤُك رُزءُ الضـاد والعرب

إن يـذرفِ الشعـراءُ الـدمـعَ فيـك دمًا — مـلء العيـون ، فما يَبكـون غيـرَ أب

أقسمـت ، مـا فقـدوا إلا أبًـا حَـدبًـا — بل كنتَ أحنى عليهم من أبٍ حَدب[٣]

يـا طـاهـرَ الثـوب لـم يعلَـقْ بـه وضرٌ — مذ كان لو شِيب مـاءُ المُزن لم يُشب[٤]

يـا مُسديَ اليـد ، لا يـرمـى إلى غـرضٍ — وكاشـفَ الضُّرِّ ، لا يسعـى إلى أرَب

كنـتَ البقيَّـةَ مـن قـوم عـرفتُهُمـو — عونًـا على الدهـر ، دفَّاعيـن للكُرَب

اصعَـد إلــى المـلأ الأعلى ؛ فـإنَّ بـه — مثـواكَ ، وانعـم بُلقيـا اللهِ ، واقتـرب

قـد عشتَ فـى العالـم الأرضىِّ مغتربًـا — فـانـزل بجنَّـاتِ عــدنٍ غَيـرَ مُغتَـرب

ما أنصفـوكَ ـ لعمرى ـ فى الوفـاة ، ولو — خَطُّوا ضـريَحكُ بين السبعـة الشُّهُب

---

(١) كان هذا هو لقب الفقيد العظيم .

(٢) يعنى بالعرس : المهرجان القومى الذى توفى الفقيد إبان قيامه .

(٣) الحدب : العطوف .

(٤) الوضر : الدنس ، ماء المزن : ماء السحاب ، وبه يضرب المثل فى الصفاء .

الطبيب الشاعر!

في ذكرى الأربعين لوفاة الدكتور : إبراهيم ناجى .

فيمَ البقاءُ وهؤلاء رفاقى ... يتساقطون تساقط الأوراق ؟[1]

سبق الرفاقُ ، وسوف ألحقُ راضيًا ... أو كارهًا . مرحى بيوم لحاقى! [2]

سبق الرفاقُ وخلَّفونى ، بعدما ... سَلَبوا صَباحى بهجةَ الإشراق

سلبوا سَوادَ العين ، ثم طَلَوا به ... وجْهَ النهار ؛ فصار ليلَ مَحاق[3]

لم يُبق إبراهيمُ لى سَلوى ، سوى ... جلدى ، وراح سَميُّه بالباقى[4]

كم راحلٍ أبْكى عليه ، وإنَّنى ... لأَحَقُّ منه بدمْعىَ المُهْراق !

إن الذين كَوَى حشاىَ فراقُهم ... لم يَشْعُروا تحتَ الثرى بفراقى

***

ناجى ، ببطن الأرض نَاجِ أحبَّتى ... وانقُلْ إليهم - فى الثرى - أشواقى[5]

صفْ للأحبَّة ما لقينا بعدَهُم ... واذكُر لهم أنَّا على الميثاق

ولقد فقدتُكَ ؛ فافتقدتُ مدامعى ... فوجدتُها نَزَحتْ من الآماق

أنفقتُ دمعى فى وداع أحبَّتى ... يفنى كثيرُ المال بالإنفاق

فلْتَبْكِ أحداقى بذَوْبِ حبوبها ... إن لم تَجُدْ بدموعها أحداقى

---

(١) تصادف فى عام وفاة الفقيد أن فجع الشاعر بعدة أصدقاء أعزاء .

(٢) مرحى : كلمة يقصد بها الترحيب .

(٣) ليلة المحاق : الليلة التى يختفى فيها القمر .

(٤) يقصد : المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة ، وسميه : إبراهيم ناجى .

(٥) « ناجى » الأولى منادى ، و « ناج » الثانى فعل أمر من ناجى يناجى .

يا راقيَ المرضى، وكاشفَ ضُرّهم ... هل للحِمام وسهمِه من راق ؟[1]

مَن كان ترياقَ العليل قضى، ولم ... يُعثَر لعلّته على ترياق

ماذا أصابَ الطّبَّ فى أُسطونه ؟ ... ماذا كبا بجواده السبّاق ؟[2]

مات الذى يأسو الجراح بطِبّه ... وبِبِشْره . والبِشْرُ طِبٌّ واق

يستقبل المَرضَى بوجه باسمٍ ... صافٍ صفاءَ مدامع العشاق

ودعابةٍ تقضى على الأشجان ؛ ما ... جرحت ، ولا ندَّت عن الأذواق[3]

رفَّاءُ أجسامٍ يرمُّ قديمَها ... بأناملٍ مثلِ الخيوط دقاق

يا حاملاً كأسَ الشفاء بكفّه ... أتموتُ من ظمإٍ وأنت الساقى ؟

قد كنتَ – إن أَرِقٌ عرانى – مفزعى ... فغدوت أنت السِّرَّ فى إيراقى[4]

الهمُّ بعدك فوق صدرى جاثمٌ ... والغمُّ بعدك آخذٌ بخناقى

والقلبُ بعدك لجَّ فى خفقانه ... فمن الطَّبيبُ لقلبيَ الخفّاق ؟

يا واصلَ الآجال – بعد اللهِ – فى ... دنيا الفناء ، وواصل الأرزاق

كم بائسٍ يبكيك كنتَ طبيبه ... من علتين : السُّقم ، والإملاق[5]

ويتيمةٍ خلّفتَها وكأنها ... « ليلى » تُردِّد: « ليت للبرّاق » ![6]

---

(١) رقاه : عالجه بالرقى ، والمراد ـ هنا ـ : مطلق العلاج .

(٢) الأسطون : العمود ونحوه .

(٣) ندت عن الذوق : خرجت عنه .

(٤) إيراق : مصدر آرق مزيد أرق الثلاثى .

(٥) الإملاق : الفقر .

(٦) يشير إلى : ليلى العفيفة ، وقصتها مع البراق ، وقصيدتها التى مطلعها :

ليت للبراق عينا ، فترى ... ما أقاسى من شقاء وعنا !

قتلتـك نفـسٌ حـرَّةٌ عمـلاقـةٌ   حلَّت بجسـمٍ ليس بـالعمـلاق[1]

مـاذا خُلقـتَ ؟ أكتلـةً مـن أكبـدٍ   أم مـن عـواطـفَ كـالنسيـمِ رقـاق؟

مـاذا خُلقـت ؟ دمًـا ولحمًـا أم سنًـا   وأشعـةً ؟ آمنـتُ بـالخَـلاق

لـم تَعـرُ قلبَـكَ سكتـةٌ ، لكنـه   قـد ذاب من عطـفٍ ومن إشفـاق[2]

للطِّبِّ كنـتَ ، وللقريـض، وللنَّدى   يـا كـوكبًـا متعـدد الآفـاق

قالوا : شفى الأبـدان . قلت : وشعره   طـبُّ النفـوس ، وصحَّـةُ الأخـلاق

يـا كـاسِـيَ الأدبِ الـرفيـعِ مطـارفًـا   يبلـى الـزمـانُ بلًـى ، وهـنَّ بـواق[3]

ومقلـدَ الشعـر الحـديـث قـوافيًـا   تسـرى مـن الأعمـاق لـلأعمـاق[4]

خفَّت ، وخفَّ على المسـامع وقعُها   فشـدا شـآمـيٌّ بهـا ، وعـراقـى

أبقـى مـن الهـرمَيْـن ، إلا أنَّهـا   منحـوتـةٌ مـن سـائلٍ رقـراق[5]

***

نَـم آمنًـا ! يكفيـكَ مـا عـانيـتَ فـى   دنيـاك مـن عَنَـتٍ ومـن إرهـاق !

لا تـرهبَـنَّ مـن المقـابـر وحشـةً   يـا صـاح ؛ فهـى كثيـرةُ الطُّـرَّاق[6]

لا تحسَبـنَّ المـوتَ بينًـا ، إنَّـهُ   بيـنَ الأحبـةِ مـوعـدٌ وتـلاقـى[7]

---

(١) كان الفقيد ضئيل الجسم كبير النفس ، وكبر النفس يحمل الجسم ــ ولا سيما الضئيل ـ ما لا يحتمل .

(٢) مات الفقيد بالسكتة القلبية .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، وهو نوع خاص من الثياب .

(٤) يقصد : أنها تخرج من أعماق قلبه ، وتنفذ إلى أعماق قلب سامعه .

(٥) يقصد بالسائل الرقراق : الماء ونحوه .

(٦) يقصد بكثرة الطراق : أن من يفد على المقابر من أحبائنا أكثر ممن لنا منهم فى الدنيا .

(٧) بينا : فراقًا وانقطاعًا .

لا تـأسَفَــنَّ على الحيـاة ؛ فــإنهـا ... كـانـتْ ــ وما زالـتْ ــ مجـالَ نفـاق

بيــن الحيـــاة وبيــن كــلِّ فضيلــةٍ ... حــربٌ علــى قـــدمٍ تقــومُ وســاق

يهنيــكَ أنـت حللــتَ دارَ مثـوبــةٍ ... وحللـــتُ دارَ تنـــاحــرٍ وشقـــاق

إنَّ الحيـاةَ ـ كمـا علمتَ ـــ سلاسـلٌ ... مـــن فضـــةٍ دارت علـــى الأعنـــاق

حلِّــق بـروحــكَ فــى سمـاءٍ حُـرةٍ ... لــم تُخلَـــقِ الأطيــارُ لـــلأطـــواق

مــا أنـتَ إلا صـــادحٌ قـــد فـرَّ مـــن ... قفـــص الحيـاة ، وفـــاز بـالإطـــلاق

فقيد القناة

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم : حلمى بهجت بدوى ، رئيس هيئة القناة بعد تأميمها سنة ١٩٥٧م .

أطالَ الرُّقادَ حليفُ السَّهر ... وألقى العصا بعدَ طول السَّفر [١]

وكَفَّ عن النَّبض قلبٌ كبيرٌ ... بأضلاعهِ ليلةً ما استقَر

تُردِّدُ دقَّاتُهُ اسمَ الحمى ... كما ردَّدَ النَّغماتِ الوتر

ويخفُقُ خفقًا بحبِّ السلام ... كما يخفقُ الطيرُ فوقَ الشَّجرَ

عرَتْهُ على غرةٍ سكتةٌ ... فلا قلبَ إلا عليه انفطر [٢]

قضى فجأةً ! ما شكا علَّةً ... ولا عزمُهُ بفُتور شعر

ولا عادهُ عائدٌ فى الفراشِ ... ولا ناله فى الفراش الضَّجر

ولا جُرِّعَ المرَّ مرَّ الدواءِ ... ولا وخَزتْ مَنكبيهِ الإبر [٣]

ولكن شكت بعده مصرُ داءً ... عُضالاً وجُرحًا عميقَ الأثر [٤]

كذلك كانَ لطيفًا به ... وكان عنيفًا علينا القدر [٥]

مضت بعدَكَ الأربعون، فأينَ ... جمالُ الأصيلِ وسحرُ السّحر ؟

---

(١) كان الفقيد فى منصبه الأخير ـ رئيس هيئة القناة ـ كثير الإجهاد ، كثير الأسفار .

(٢) كان موت الفقيد بالسكتة القلبية .

(٣) يريد : ما يعطاه المريض عادة من مختلف الأمصال .

(٤) يقول : لم تشك أنت داء ، ولكن الذى شكا هو الوطن ؛ شكا فقدك .

(٥) يقول : إن القدر رحمك من آلام العلل ومقدمات الموت ، وقسا علينا ؛ إذ نعيت لنا فجأة دون سابقة إنذار .

وحَـلَّ الـــربيـــعُ وأنــتَ بعيـدٌ فهــل للـــربيــع بهـــاءٌ بَهَـــر ؟

يـذكِّـرنـا بـك نفـحُ الـرِّيـاضِ ومــرُّ النّسِيـمِ ، وضَـوءُ القَمَـر

كـأنـك صُـوِّرتَ مـن كـلِّ هـذا أو انتُــزعَــتْ منـك تلـك الصُّـور

لعمــرُك ، مـــا نسِيْتُــك بــلادٌ وهبــتَ لهـا النفسَ منـذُ الصِّغـر

تـرى مصرُ روحَـك فـى كـلِّ نجمٍ يغيـبُ ، وفـى كـلِّ نجـمٍ ظهـر

إذا حـدَّثَـتْ ، كنت أنـتَ الحـديثَ وإن سَمَـرت ، كنـتَ أنـت السَّمَـر

وقــد تُفصِـحُ العَبَـرَاتُ الغِـزارُ إذا أدركَ النـاطقيـن الحَصَـر[1]

وليــتَ بمصــرَ زمـــامَ القضــاءِ فمـا كنـت فـى العـدل إلا عُمر[2]

ومــا كنــتَ إلا كيــوسُـفَ حيـنَ أصيبـت بسبـعٍ عجـافٍ أُخَـر[3]

وهــل نسيــتَ مصــرُ يــومَ القنـاةِ ومــا يـومُهـا غيـرُ يـومٍ أغَـرّ ؟[4]

دعـــاكَ جمـــالٌ لإنقـــاذِهـــا فكنــتَ لهــا المُنقــذَ المنتَظَـر

رويــدك ! لـم تُلْـق مصرُ السـلاحَ ولا انجـاب عنهـا ضبابُ الخطـر[5]

فقَـدنـــاك فقـدَ الغـريـب الـدليـلَ فقَـدنـــاك فقـد الفـلاةِ المطـر

ومــن ذا يجيــبُ القنــاةَ إذا مــا أهـابـت بفارسهـا المـدَّخَـر ؟

ليهنِــكَ : أنّــك مـــامــتَّ إلا وغـــرسُ يمينِــكَ دانــى الثَّمــر

---

(١) الحصر : العى عن النطق .

(٢) كان من بين المناصب التى وليها الفقيد : مناصب القضاء .

(٣) كان الفقيد وزيرًا للتموين قبل منصبه الأخير ، ويقصد بالسبع العجاف : سنوات الأزمة ، ويقصد بيوسف : يوسف الصديق الذى ولاه العزيز خزائن مصر فى أيام الجدب .

(٤) يقصد بيوم القناة : يوم إعلان تأميمها .

(٥) يقول : تمهل قليلا ، ولا تعتقد أن رسالتك قد انتهت ، فإن الخطر ما زال مخيما .

بفضلِـكَ صينَـتْ حقـوقُ البـلاد ... وردَّ (القنـالُ) إلـى مـن حفـر
أدرتَ الأمـورَ بعـزمـة ليـثٍ ... ومُقلـةِ صقْـرٍ شـديـد الحـذر
إلـى أن أقـرَّ لمصـرَ العـدوُّ ... وآمـنَ كـرهًـا بهـا من كَفَـر[1]
عصَفـتَ (بإيـدنَ) عصـفَ الريـاحِ ... وقالـوا : استقالَ ، فقلنـا : انتحر[2]
غِنَـى الشَّرق أنـت إذا الشـرق يـومًا ... إلـى السـاعِـد الأجنبـيِّ افتَقَـر
ومثلُـكَ يمـلأُ كـلَّ فـراغٍ ... ويقطـعُ حجَّـةَ « أَيْـزِنْهَـوَر »[3]
وليـس الفـراغُ بشـرقٍ وغـربٍ ... ولكنَّـه فـى رءوس البشـر[4]
لعمـرىَ ، مـا كنـتَ إلا شهيـدًا ... على الخصم - قبلَ المماتِ - انتصر[5]
قـد اقتَـرَنَ اسمُـك بـاسم القنـاةِ ... وخلَّـدَ ذكـرَك هـذا المَمَـرّ
وصُـوِّرَ شخصُـك فـوقَ الضفـافِ ... هنـالـك ، لا هيكـلاً مـن حَجَـر
ولكنهـا صـورةٌ مـن شُعـاعٍ ... وروحٍ يَـراهـا الحِجـا ، لا البصـر
إذا كـانَ رمـزَ الخَنـا « دِيلِسِبْـسُ » ... فـإنـك رمـزُ العُـلا والظَّفَـر[6]
فيـا آلَ حلمـى ، ومـا آلُ حلمـى ... سـوى أسـرةٍ مـن كِـرام الأُسَـر

---

(١) كانت الدول المعادية - بسبب تأميم القناة - تعتقد أن مصر ستفشل فى إدارتها ، وقد بذلت كل ما استطاعت فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، ولكن خاب فألهم .

(٢) يريد أن الفقيد صفع « إيدن » بحنكته فى إدارة القناة ، فكان هذا من أسباب استقالته ، التى تعتبر موتًا أدبيًا .

(٣) تصادف فى ذلك الوقت : أن طلع علينا رئيس الولايات المتحدة (أيزنهاور) بنظرية ملء الفراغ الذى حدث فى الشرق .

(٤) يقصد : أن الفراغ إنما هو فى رءوس أصحاب هذه النظرية .

(٥) يقصد بالانتصار : نجاح مصر فى تأميم القناة وإدارتها .

(٦) « ديليسبس » : هو المهندس الفرنسى الذى صمم القناة ، ولعب دورًا لا ينساه التاريخ فى تمليكها للأجانب .

عــزاءً ! فــإنَّ الكــريــم إذا مــا أصيـبَ بفَقـدِ عـزيـزٍ صبر !

مصـابٌ كبيـرٌ ! ولكـنْ لكُـم قلـوبٌ تضـارعُـهُ فـى الكِبـر

كفى أنَّـه : مات عفًّـا ، نـزيهًـا لـه سيـرةٌ كَـأَريـج الـزَّهـر[(١)]

لـه سيـرةٌ يتَحَـدَّى الـورودَ شـذاهـا ، ومـا النـاسُ إلا سِيـرَ

تشـاطـرُكُـم رزءَهُ مصـرُ طـرًّا بـل النيـلُ أجمعه ، بـل مُضـر[(٢)]

مشى خلفهُ الشَّعب سيلاً ، وسيلٌ سـواه علـى الـوَجَنَـات انحـدر[(٣)]

إلـى ستـره تشـرئبّ العيـونُ فيحجُـبُ دمعُ العيـون النظـر[(٤)]

وقـد خيَّـم الحـزنُ فـوقَ الجميـعِ وأجَّـجَ بيـن الضلـوع الشَّـرَر

يُسَـائل كـلٌّ أخـاه : متـى ؟ وكيـف ؟ وعنـد القضـاء الخبر[(٥)]

وكـم سـائرٍ سارهـا خُطـوةً فلمَّـا تخطَّـى سـواهـا عثـر

فِـروا وعظكـم ، أيهـا الـواعظـونَ فكـم فـى المنـايـا لنـا مـن عِبَـر[(٦)]

ألاعيـبُ نحـن بكـفِّ القضـاءِ هـو الصـولجـانُ ، ونحـنُ الأُكـر

---

(١) الأريج : العبير .

(٢) يقصد بمصر : العرب أجمع ، ومضر : جد قديم تنسب إليه العرب .

(٣) يقصد بالسيل الأول : جموع الناس ، وبالسيل الثانى : الدموع المتدفقة .

(٤) تشرئب : تتطاول .

(٥) أى متى مات ؟ وكيف مات ؟ .

(٦) فروا فعل أمر من وفر يفر ؛ أى : وفروا وعظكم على أنفسكم ، فكفى بمثل هذا الحادث واعظًا !

شيخ القضاة

ألقيت في حفل تأبين المرحوم : عبد العزيز (باشا) فهمي

نِضْوُ السُّهاد أطال من إغفائه — وشفاه شافي المَوْتِ من بُرحائِهِ[1]

ألقى عصاهُ ، واستراح بمرفأٍ — يلقَى المجاهد فيه حسن جزائه[2]

مات الذي لم ينس مصرًا ، والرَّدى — يمشي بطيءَ الخطو في أعضائه

ما زال في الميدان يحملُ سيفهُ — ويصولُ حتى خرَّ من إعيائِهِ[3]

كان الهُتافُ لمصرَ كلَّ أنينه — فوق الفراش ، وكان بعضَ دوائه

***

عبدُ العزيز خلا بمصرَ مكانهُ — في طول ساحته ، وعرض فضائه

كَونٌ برَمَّته خلا من أهله — يا من لهذا الكون بعد خلائه ؟

هبةُ الهباتِ سخا الزمان بها على — هذا الوجودِ ، وضنَّ بعد سخائه

لهفي عليه وألفُ لهفيَ ما خبتْ — شمسُ الضحى ، وخبا شعاعُ ذكائه !!

الموتُ أطفأ ذلك الذهن الذي — عجز الضنا والشَّيبُ عن إطفائه

جسمٌ نحيلٌ ، غيرَ أنَّ وراءَهُ — أفُقًا يتيه الظنُّ في أرجائه[4]

---

(١) النضو : المتعب المكدود ، وشافي الموت : من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والبرحاء : العلة .

(٢) المرفأ : المرسى .

(٣) ظل الفقيد - على الرغم من شيخوخته وطول علته - يعمل حتى لفظ النفس الأخير .

(٤) الأرجاء : الأنحاء .

وقــريحـــةً نفَّــاذةً ، لـــو وكَّلـت | بالغيب ، ما عيَّت بكشف غطائه[1]
قالوا : السياسةُ ، قلتُ : كان إمامَها | أما القضـاءُ ؛ فكـان بـدرَ سمـائه
كـم جولـةٍ فـى مجمـع الفصحى لـه | بيـن النجـوم الـزُّهـرِ مـن علمـائه[2]
والعبقــريّـــةُ أينمـــا وجَّهتهـــا | تسمـــو بصــاحبهــا علــى نظـرائه

***

لمَّـــا نعـــى شيخَ القُضـــاةِ نعـاتُـــه | قلنـا : قضــاءُ الله فـوقَ قضـائه[3]
حُكْـمٌ مضى كـالسَّهـم فيمن حكمـهُ | قـد كـان مثـلَ السهـم عنـد مَضَـائه
بكـتِ العـدالـة يـومَ مـات ، كـأنـهُ | صخـرٌ بكتـه مُقلَتَــا خنســائه[4]
عـرفتـهُ يفنـى فـى سبيـل حيـاتهـا | ويقيـمُ حـائطهـا علـى أَشـلائه[5]
دُستُـورهـا مـا خَـطَّ مـن أحكـامـه | وتنـــاقـلَ الفُقهـــاءُ مـــن آرائه[6]

***

مــات الــذى اشتـرك الأحبـةُ والعـدا | بقلـــوبهـم فـــى نَعْيـه وبُكـــائه
لا تَنثُــروا الأزهـارَ حـولَ ضـريحـه | فخـــلالـــه ينفَحْـنَ فـــى أنحـائه

---

(١) يصفه بصدق الفراسة ، وإصابة النظر .

(٢) عمـل الفقيـد فـى أخريات أيامـه ، عضوًا بـالمجمع اللغـوى فكان لـه فيه نشاط ملحوظ .

(٣) الضمير فى : « قضائه » يعود على شيخ القضاة .

(٤) ذهبت الخنساء الشاعـر الجاهلية مثلا ، يضرب فى شدة الحـزن ؛ لكثرة ما بكت أخاها صخرًا .

(٥) الأشلاء : بقايا جسم الإنسان .

(٦) كانت أحكـام الفقيد تعتبر مبادىء يسيـر عليها القضاة ، وتفسيرًا لمـا غمض من مواد القوانين .

هَتفَتْ شمائلُهُ بملءِ لَهاتِها | تَرثيه قبل هُتافنا برثائه[١]
والله ما نظمَ الرثاءَ لراحلٍ | كَلِسانِ ما أسداه من آلائه[٢]
ومن الثناءِ: مُمحّضٌ، ومموّهٌ | لكنّ صدقَ القول غيرُ ريائه
هذا الذى ولّى نقيَّ الثوب؛ ما | من شبهةٍ علقت بذيل ردائه
قد كان أرفعَ قيمةً من دهره | وأجلَّ من حِرمانهِ وعطائه
النّفىُ لم يقدر على إخضاعهِ | والحُكمُ لم يقدر على إغرائه[٣]
من أجل مصرٍ ما يجيشُ بصدره | من حُبِّه للناس أو بغضائه
وإذا أحبَّ، فلن تراهُ محابيًا | شتّان بين: حبيبه، وحبائه
يهوى ويَقلِى، وهْو فى كلتيهما | بالعقل مغلوبٌ على أهوائه[٤]
وينالُ بالإسفاف منه غريمُهُ | وبغير ذاكَ ينالُ من غُرمائه[٥]
خصمٌ شريفٌ إذ يصول، وربما | أغضى؛ فكان القتلُ فى إغضائه
حُرٌّ، حمىُّ الأنف، إن سيمَ الأذى | فالموتُ - كلُّ الموت - دون رضائه[٦]
أنفٌ، لو أن الخُلدَ شيبَ هواؤهُ | بغبار ضَيمٍ، عاف شَمَّ هوائه
وصراحةٌ فى الرأى يبديه وإن | لم يَرضَ ذو الجبروتِ عن إبدائه

---

(١) الشمائل: الخصال، اللهاة: عضلة تعترض الحلق، والهتاف بملء اللهاة: كناية عن الجهر.

(٢) الآلاء: النعم.

(٣) نفى الفقيد فى حركة سنة ١٩١٩، ثم ولى الوزارة، فلم يغير ذلك من مبادئه شيئًا

(٤) يقلى: يكره ويبغض.

(٥) الإسفاف: الانحطاط، والمراد به - هنا - : لغو القول ونابيه.

(٦) سيم الأذى: كلف احتماله.

عجَبى له ؛ كيف استطاعَ الصدقَ فى لغة السياسة وهْى من أعدائه ؟![1]

قد كانَ فى هذا الزمان وأهلِه معنى جميلا فى كتابٍ شائه[2]

لو كان صادفَ مثلَه (دوجينُ) ، لم يبحث عن الرجل الشريف التائه[3]

***

هذا الرُّفاتُ سجلُّ أكبرِ ثورةٍ بالله ، لا تطووهُ عن قرَّائه[4]

خُطُّوا على مرأى العيون ضريحهُ ثم اكتُبوا التاريخَ من إملائه

وخذوا الحقائق عنه بعدَ مماته والميْتُ مؤتَمَنٌ على أنبائه

هذا بقيَّةُ معشرٍ قد خطَّ فى صُحُف الجهاد كتابَه بدمائه

اليومَ نفقدُ صاحبيه بفقده فَنِىَ الثلاثةُ جملةً بفنائه[5]

لما أهابَ النيلُ ـ فى الجُلَّى ـ بهم لبَّوْه أطهرَ أنفسًا من مائه[6]

فتَحوا على المحتلِّ بابَ عرينِهِ ولَقوهُ وهْو يتيهُ فى غُلوائه[7]

---

(١) الضمير « هى » : يعود على « لغة السياسة » ، وضمير « أعدائه » : يعود على الصدق . وقد قرأت أن تشرشل مر على قبر كتب عليه : « هنا يرقد السياسى الصريح فلان » فقال : « عجبًا !كيف يرقد اثنان فى تابوت واحد ؟! » .

(٢) شائه : اسم فاعل من شاه بمعنى قبح .

(٣) يشير إلى قصة « ديوجين » المشهورة ، وكيف كان يسير بالمصباح نهارًا ، وهو يقول : « إننى أفتش عن الرجل » .

(٤) يشير ـ فى هذا البيت ـ وما بعده إلى : دفن الفقيد فى مكان بارز حتى يذكر بتاريخ حافل بالجهاد .

(٥) يقصد بصاحبيه : سعد زغلول ، وعلى شعراوى .

(٦) يشير إلى : أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا أول من دق ناقوس الحركة الوطنية فى سنة ١٩١٩ ،عقب أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ؛ بذهابهم إلى دار المندوب السامى الإنجليزى ، مطالبين بالجلاء .

(٧) الغلواء : العجب والاختيال ، والمراد : أنهم طالبوه بالجلاء وهو فى نشوة النصر

وسلاحُهُ بدم العدوِّ مخضَّبٌ ... والنصرُ معقودٌ بظلِّ لوائه

كي يَنْزِعوا من بين فكَّيهِ لهم ... حقًّا صُراحًا حان يوم قضائه

ما كافئُوه قوَّة ، لكنهم ... بالحق والإيمان من أكفائه

رُحماكَ يا عبدَ العزيز ! أفَلتَ في ... ليل يضلُّ النجمُ في ظلمائه[1]

رحماك! مازال الدخيلُ يجوسُ في ... أرض الحمى ، ويطيرُ في أجوائه

ليتَ المنيَّةَ أمهلتْكَ هُنيهةً ... حتى تَرى عيناك يومَ جلائه !

هيهاتَ ! لا طاحت به حربٌ ، ولا ... نَجَحَت عُهُودُ السلم في إقصائه[2]

في كلِّ يوم : علَّةٌ لبقائهم ... تبدو بوجهٍ غاضَ ماءُ حيائه[3]

أدّيتَ للأوطان كاملَ حقِّها ... لكنّ حقَّك لم تَقُم بأدائه

لو كان أنصفَك الحمى حيًّا ، لمَا ... قاسيتَ ما قاسيت من إيذائه[4]

أو كان أنصفك الحمى ميْتًا ، غَدَا ... مثواك فيه يُطافُ حول بنائه

لكنَّه وطنٌ يحُطُّ الشوك في ... طُرقات من يسعى إلى إعلائه

يا رُبَّ دستورٍ نظمتَ بنودَه ... نظمَ الجمان ، وكنتَ كبشَ فدائه[5]

يا كابرَ الأحرار ، حزُبك رِيعَ في ... حرٍّ أبيِّ النفس من خلفائه

جدَّدتَ أحزانَ الحمى في معشر ... إن يَشْكُ داءً ، كان بلسمَ دائه

---

(١) كانت الحالة السياسية ـ إذ ذاك ـ على أسوأ ما يكون .

(٢) يريد أن يقول : لم نستطع التخلص من المحتل بحرب ولا سلم .

(٣) المصراع الثاني : وصف بالقحة للعلل التي يتعلل بها المحتل لبقائه .

(٤) تعرض الفقيد في حياته لألوان من الإيذاء ، بعد انشقاقه على سعد زغلول .

(٥) كان الفقيد على رأس اللجنة التي وضعت دستور سنة ١٩٢٣ م ، ثم وصفها سعد ـ بعد ذلك ـ بلجنة الأشقياء .

« عدلى » ، ومَن عدلى ، « وثروتُ » ، وهْو مَـن هو فـى أصالـة رأيه ودهـائه[1]

ومحمـــدٌ ولَّـى ، ومـــن كمحمـــدٍ ؟ مَـن مثلُـه فـى نُبلِـه وإبـائه ؟[2]

نفــر إذا الـدستــور فــى مصرَ انتمــى فَهُـم الكرام الصِّيـدُ مـن آبـائه[3]

حَكَمُـوا ، فمـا عبثـوا بـأمـوال الحمـى وشَـرَوا سعـادتهم بطـول شقـائه

أو خـاصمـوا المحتـلَّ خـارجَ حكمهـم فـإذا تـولَّـوا بـادروا بـوَلائه[4]

***

يـــا وافيًـــا بعهـــوده لبـــلادِهِ ولكـلِّ مَـن عـرفـوه مـن خُلَطَـائه

ولـوردةٍ عـاشــت حيـاةَ الـورد ، مـا راعَ ابنهـا ، أو راعَهـا ببنـائه[5]

لله درُّك ؛ تُنصِـــفُ الأمـــواتَ فـــى زمـن تفشَّـى الجَـورُ فـى أحيـائه !

أقسمــتُ ، أنـك فـى وفـائك منَّـةٌ لـرجـال عصـرك فـى رقـابِ نسـائه

---

(١) يشير إلى : عدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ، وكلاهما كان رئيسًا لحزب الأحرار الدستوريين .

(٢) يشير إلى : محمد محمود رئيس حزب الأحرار أيضًا .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع أنفه كبرًا .

(٤) يعرض ببعض الأحزاب السياسية التى كان ديدنها ذلك .

(٥) ببنائه : بزواجه . وهو يشير فى هذا البيت إلى أن الفقيد بعد وفاة زوجته أضرب عن الزواج ، وكتب على قبرها الأبيات التالية :

يـا وردة عـاشـت حياة الـورد
عمرًا قصيـرًا وهَـوت فى لحد
لـولا بـرىء غـافـل فـى المهـد
يـرضيك أن أحيـا ليحيا بعدى
لبـرَّحـت بـى زفـرات الـوجـد !

قالوا: « السّموءَل »، قلتُ: لو أدركته ... لـم يضـربـوا أمثالهـم بـوفـائه[1]

عبـدَ العـزيـز، ولا أزيـدُكَ خبـرةً ... بـالمـوت، كـلٌّ شـاربٌ بـإنـائه

قـد كنـتَ تبقـى لـو تكفَّلـت العـلا ... والمكـرمـاتُ لـربِّهـا ببقـائه

لكـنَّ عـدْوىَ المـوت عـدوى لـم تـزل ... مـن آدمٍ تسـرى إلـى أبنـائه

يَهنـى سمـاءَ الله أنَّـكَ جـارهـا ... والخُلْـدَ أنـك نـازلٌ بفنـائه

أقسمتُ، لو جَزِعَ الصباحُ على امرِئٍ ... مـا لاحَ بعـدك مُشـرقًـا بضيـائه!

عرش ينوح!

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم: على الجارم (بك) سنة ١٩٥٠ م.

عـرشٌ ينـوح أسًـى علـى سلطانـه ... قد غـاب كِسرى الشعر عـن إيوانِهِ![2]

طَـوَتِ المنُـونُ من الفصـاحـة دولـةً ... مـا شـادهـا هـارونُ فـى بغـدانـه[3]

فـى ذمـةِ الفـنِّ المقـدّسِ عـازفٌ ... لِقِىَ الحِمـام على صـدى ألحانـه[4]

---

(١) السمـوءل بـن عادياء: مـن يهود العرب فـى الجاهليـة، وبه يضرب المثـل فى الوفـاء، وتنسب إليه - فى ذلك - حوادث خارقة.

(٢) كسرى: لقب ملك الفرس قديمًا كما هو مشهور.

(٣) هارون: هو هارون الرشيد، وقد كان عصره عصرًا ذهبيًا فى العلوم والآداب.

(٤) لبيان معنى هذا البيت - وأبيات أخرى تالية -: ينبغى ذكر الظرف الذى أحاط بوفاة الفقيـد، وذلك أنـه مـات فجأة فـى حفل تـأبيـن أقيم للمـرحـوم محمود فهمـى النقراشـى، إذ كانت قصيـدته فى رثـاء النقراشى تلقـى على المنبر، وكـان الذى يتولى إلقاءها نجلـه بدر الدين الجارم. ومن هنا شبهه الشـاعر بعازف مات على صدى ألحانه.

لمـا تهـامسـت الصفـوف بنعيـه كـاد الفـؤاد يكـفُّ عـن خفقانـه
ساءلتُ ــ حين قضى عليٌّ فجأةً ــ: هـل حـلّ يـومُ الحشـر قبـل أوانـه ؟

***

سقـط المـؤبِّنُ وهْـو يَسمـعُ شعـرَه مـن ذا يـؤبِّنـهُ بمثـل بيـانـه ؟
وصـف الـزمـانَ لنـا ، وجـادَ بنفسـه لتكـونَ بُـرهـانًـا علـى حـدثانـه[1]
قـال: احـذروا غدر الحِمـام، معـزِّزًا بحيـاتـه مـا قـالـه بلسـانـه
لا تعجبـوا مـن مـوتـه فـى حفلـه إنّ الشجـاعَ يمـوتُ فـى ميـدانـه
بطـلُ المنـابـر مـالـه مـن فـوقهـا يهوى ، وكـم عَرفـتْ ثباتَ جنـانه ؟
إن خانـه ضعفُ المشيـبِ ، فطالمـا قهـرَ المنـابـرَ وهْـوَ فـى ريعـانـه
كـلا لعمـرى، لـم يخُنـه مشيبـه لكـنّ حِسَّ المَـرْءِ مـن خـوّانـه[2]
لـم يجنهـا إلا رقيـقُ شعـوره والمـرهـف الحسّـاس مـن وجـدانـه
حـرٌّ قضـى متـأثِّـرًا ببيـانـه ولكـم جنـى فـنٌّ علـى فنَّـانـه !

***

يـا شـاعـرًا طـار اسمـه بقـوادِمٍ مـن عبقـريَّتـه ، ومـن إتقـانـه[3]
مـا دانَ يـومًـا للصّغـار بصِيتـهِ أو دان للـزُّلفـى بـرفعـةِ شَـانـه[4]
والمجـدُ منـه : زائفٌ ، وممحَّـضٌ لا تَخْلطـوا بِلَّـورَه بجُمـانـهِ[5]

---

(١) كانت قصيدة التأبين ـ بطبيعة الحال ـ تشتمل على ذكر حوادث الدهر وغيره ، ثم كان موته فجأة دليلا على تلك الحوادث والغير .

(٢) يقول : إنه لم يمت إلا متأثرًا بما يقول من دقة إحساسه وإرهاف شعوره .

(٣) القوادم : ما ظهر من ريش الطائر .

(٤) يريد : أنه لم يشتهر بسبب انضوائه تحت لواء ملك ، أو أمير يأخذ بساعده .

(٥) الممحض : الخالص ، الجمان : الدر .

مـــا كـــلُّ لمَّـــاعٍ ببـــرقٍ ممطـــرٍ ... البـــرقُ غيـــرُ الآل فـى لَمَعـــانــه[1]

عـرشُ القوافـى بعـد مـوتك شـاغـرٌ ... يـا طـولَ مـا يلقـاه مـن أشجـانـه !

قـل للـذى يـومـى إليـه بلحظـهِ : ... هـذا مجـالٌ لسـتَ مـن فُـرسـانـه

لا هُمَّ ، حكمك فى الورى جارٍ ، وما ... مـن حيلـة للعبـد فـى جـريـانـه[2]

الطَير مـلءُ الـروض أشكـالاً ، فمـا ... للسَّهـم لا يُصْمِـى سوى كـروانـه ؟

يمضى العظيـمُ من الرجـال، فينبرى ... لمكـانـــه خُلفـاءُ مـن أقـــرانـه

والشـاعــرُ المـوهـوبُ فلتـةُ دهــره ... إن مـات، أعيَـا الـدهَر سـدُّ مكـانـه

***

قـلْ للـرِّيـاض: قضـى علـىٌّ نحبـهُ ... ولطيــرهـا الشـادى علــى أفنـانــه

الشـاعـرُ الغَـردُ المحلّـقُ فـى السُّهـا ... بجنـاحـه ، قـد كـفَّ عـن طيـرانه

بكـــت الـــلآلـــىءُ بعـــد لآلَهـــا ... وتسـاءَل اليـاقـوتُ عـن دهقـانـه[3]

وتســاءل التـاريــخ عمَّـــن شعـــرُه ... كـان السجـلَّ لحـادثـات زمـانـه

بكـت الكنـانـة فى « علـيٍ » شـاعـرًا ... جعـل اسمهـا كـالنجـم فـى دورانـه

عـفَّ اللسان ، مـؤدَّبَ الأوزان ؛ لـم ... يتلـقّ وحـى الشعر مـن شيطـانـه[4]

بـل كـــان نفـح الخلـد أمتعنـا بـه ... حينًـــا ، وعـــاد بـه إلـى رِضـوانـه

للنيــل شـادَ بشعــره مــا لـم يَشِـد ... فــرعـونُ والهــرمــان مــن بُنيـانـه

مـن كـلِّ بيتٍ فـى السُّهـا شُـرفـاتـه ... تتــلألأُ الأضــواءُ فـــى أركـــانــه

---

(١) الآل : برق كاذب ؛ لا يعقبه مطر .

(٢) لاهم : اختزال كلمة اللهم .

(٣) اللآل : تاجر اللؤلؤ : وكذلك الدهقان .

(٤) يشير إلى : خرافة العرب القائلة بأن لكل شاعر شيطانًا يلهم الشعر .

يُعيى الفـراعنـةَ الشّـدادَ أساسُـه ... ويحارُ ذو القرنين فى جُدرانـه[1]

شعرٌ إذا غنَّـى بـه، لـم يبق مَـن ... لـم يَـروهِ كـالبرق فـى سريـانـه

غنَّـى الطـروبُ بـه علـى قِيثـارهِ ... وتـرنَّـم المحـزونُ فـى أحـزانـه

بهـر العـذارى حسنُـه ؛ فوددن لـو ... صِيغَت قـلائدُهُـنَّ مـن عِقيـانـه[2]

ويكـادُ سـامعـه يفسِّـرُ لفظـه ... مـن قبـلِ أن يَسـرى إلـى آذانـه

تُغرى سـلاستُـهُ الغـريـرَ فيَقْتفـى ... آثـارهُ سيـرًا علـى قُضبـانـه

حتـى إذا هَـدَّ المسيـرُ كيـانَـه ... حَصَب الورى بالصّلـدِ من صَوّانه[3]

يـا رُبَّ ديـوانٍ تـأنَّـقَ ربُّـهُ ... فـى طَبعـه وافتـنَّ فـى عُنـوانـه

لا يسمَـعُ اليقظـانُ وقعَ قـريضـه ... حتـى يـدِبَّ النومُ فـى أجفـانـه

والشعـر : إمـا خـالـدٌ ، أو مـدرَجٌ ... مـن ليلـةِ الميلادِ فـى أكفـانـه

***

قالـوا : علىٌّ شـاعرٌ ، فـأجبت : بـل ... سـاقٍ ؛عصيرُ الكـرم مـلءُ دِنانـه[4]

قم ، سائل الفقهاءَ: هل فى شرعهم ... حَـرَجٌ علـى ثمِـلٍ بخمـرةِ حـانـه ؟

كـم خـطَّ مـن صـور الحياة مـدادُه ... مـا لـم يخُـطَّ مصـوِّرٌ بـدهـانـه

ببـراعـةٍ لـو أدركـت مـوسـى ، رأى ... من سحـرها مـا غاب عـن ثعبانـه[5]

---

(١) خص الفـراعنة وذا القرنيـن بالذكر ، لشهـرتهما بالبنـاء : فالأولون بنـو الأهرام ، والثانى بنى السد المشار إليه فى القرآن الكريـم .

(٢) العقيان : الذهب .

(٣) حصب : قذف بالحصباء .

(٤) كنى بعصير الكرم عن : الخمر .

(٥) يشبه يراعة الفقيد بعصا موسى ؛ كلتاهما ساحرة .

أيـن القصـائد كـالخـرائد ، كلُّهـا بكـرٌ ؟ وبكرُ الشعـر غيـرُ عَوانـه[1]

أحيـا لنـا ابـنَ ربيعـةٍ تَشبيبُهـا وأعـادَ لـلأذهـان عهـدَ حِسَانـه[2]

شيـخٌ يُحسُّ الشيـخُ عنـد نسيبـه بـدم الشبـاب يَسيـلُ فـى شِـريانـه

وإذا تحمَّس ، قلـت : حيدرة انبـرى تحتَ العجاجة فـوق ظهر حصانه[3]

وإذا تبـدَّى ، قلـتَ : لابـس بُـردةٍ قـد جاء مـن وادى العقيـق وبانـه[4]

وإذا تحضَّـر ، قلتَ : نسمـةُ روضـةٍ مـن فـرط رقَّتـهِ ، وفـرط حنـانـه

يـا طـالمـا حمـل الأثيـر نشيـده وكـأنمـا هـو عـازفٌ بكمـانـه[5]

بغـدادُ مُصْغِيَـةٌ إلـى أنغـامـه ودمشـق راقصـةٌ علـى عيـدانـه

وكـأنمـا الحَـرَمـان عنـد هُتـافـه سمعـا بـلالاً هـاتفًـا بـأذانـه

والشعـر مـرآةُ النفـوس ، يُـذيـع مـا طُـوِيَـت قـرارتُهـا علـى كتمـانـه

مـن أحـرفٍ سـوداءَ ، إلاَّ أنـهُ نقـشٌ يـريـك الطَّيـفَ فـى ألـوانـه

والشـاعـرُ الموهـوبُ تقـرأُ شعـرهُ فتـرى جمـالَ الله فـى أكـوانـه

يـا ويحَ قـومـى ! كـم أشاهـدُ بينهـم مـن شاعـرٍ هـو شـاعـرٌ بهـوانـه !

يـا رائـىَ الموتـى ومُخلـدَ ذكـرهـم بـالخـالـد السيَّـار مـن أوزانـه

أرثيـكَ حفظًـا للجميـل ، وإنـهُ ديـنٌ أعيـذُ النَّفـسَ مـن نُكـرانـه[6]

---

(١) العوان : الثيب من النساء ، ومن الشعر ما سبق الشاعر إلى معانيه .

(٢) التشبيب : الغزل وما إليه ، وكان عمر بن أبى ربيعة فارس هذا الميدان .

(٣) حيدرة : اسم للأسد ، وهو لقب على بن أبى طالب .

(٤) وادى العقيـق : مشهور فـى بـلاد العرب وفـى الشعر العـربـى ، والبان : شجـر معروف .

(٥) يشير إلى : إذاعات الفقيد .

(٦) كان الفقيد أستاذًا للشاعر فى دار العلوم .

ماذا يؤمِّلُ شاعرٌ من راحلٍ ؟ أتراهُ يطمعُ منه فى إحسانه ؟

وأنا الذى ما سمتُ شعرى ذِلَّةً أو بعتهُ بالبَخس من أثمانه[1]

يا رُبَّ بيتٍ قد ضَننْتُ ببذله ضنًّا على من ليس من سُكَّانه

أقسمتُ ، ما جاوزت فيك عقيدتى قسم الأمين البَرِّ فى أيمانه[2]

دارُ العلوم بَنَتْكَ حصنًا شامخًا للضاد ، تلقى الأمنَ فى أحضانه[3]

رُزِئت - لعمرى - فيك رُزءَ الدَّوح فى كَرَوانِه ، والفُلكِ فى رُبَّانه

دارٌ قد انتظمت أَيادِيها الحمى أشياخَهُ ، والنَّشءَ من ولدانه

دارُ العلوم ونيلُ مصرَ كلاهما بنميره يروى صدى ظمآنه

فاضا على الوادى ؛ فكان العلمُ من فَيَضانها ، والماءُ من فَيَضانه

يا خادم الفصحى ، وكم من خادمٍ تعتزُّ سادات بلَثم بَنانِه

أفنَيتَ عُمرَك ، ذائدًا عن حوضها ذودَ الكريم الحرِّ عن أوطانه

أنصفتَها من معشرٍ مُستعجمٍ الغربُ أصبح آخذًا بعنانه[4]

والضادُ ، حسبُ الضادِ فخرًا أنها كانت لسانَ الله فى فُرقانه !

هى سؤدُدُ العربِّى يومَ فخارِه وقِوامُ نهضته ، وسرُّ كِيانه

من ذاد عنها ، ذاد عن أحسابه بل عن عقيدته ، وعن إيمانه

نم ، يا علىُّ ، جوارَ ربِّك آمنًا لك عنده ما شئتَ من غفرانه

---

(١) سامه الذل : عرضه له وحمله عليه .

(٢) الأيمان : جمع يمين بمعنى قسم .

(٣) كانت كلية دار العلوم هى التى أقامت حفل الرثاء .

(٣) يقصد بهؤلاء : معشرًا يدين بالغرب ويزدرى كل ما هو عربى ، ومعظمهم ممن لم يحصلوا ثقافة غربية أو ثقافة عربية .

لـك عنـد ربِّ العرش أجـرُ مجـاهـدٍ ... فـانعــم بـرحمتـه ، وعـدن جنــانـه

كـم مـن شهيـدٍ مــاتَ فـوقَ فـراشـه ... جمـد الـدَّمُ السَّيال فـى جُثمـانـه[1]

إنَّ المجـاهـد مــن أغــارَ بفكــره ... لا مَــن أغــارَ بسيفــه وسنــانــه

سيظـلُّ شعـرك ـ يـا علـىُّ ـ مـردَّدًا ... مــا غــرَّدَ القُمــرىُّ فــى بستــانــه

أقسمـتُ ، ما نـال البِلى مـن شاعـرٍ ... يحيـا حيـاةَ الخُلـد فـى ديـوانـه

(١) يقصد : أن من الشهـداء من لم يمت فى ميـدان القتال ، وإنما مات فـى ميادين جهاد أخرى .

في ربا الخلد [1]

ألقيت في حفلة تأبين المرحوم : كمال اللبان ، التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين ، في ٣/ ٥/ ١٩٤٧ م .

في رُبا الخُلد ، يا ابنَ عبدِ المجيدِ ... يا شهيدَ العلا ، وأيَّ شهيدِ [2]

يا شبابًا لو يُفتدى ، لافتداهُ ... كلُّ طيرٍ بغصنه الأُملودِ [3]

يا غريبًا ، لاقى الحمام ولم يَنقَـ (م) ـعِ صَداهُ من نيلِ مصرَ البَرود [4]

أنتَ في عُمر مصطفى قد تولَّيـ (م) ـتَ - لعمري - وفي اغتراب فريد [5]

صوَّح الزَّهرُ في الربيع ؛ فصاح الطـ (م) ـيرُ فيهِ بالنوح لا التغريد [6]

وطوَى الموتُ رايةً من نبوغٍ ... وسِجلاً من الخَلاق الحميد

أيها الموتُ ، ما فعلتَ بوجْهٍ ... كان مثلَ الصباحِ في يوم عيد ؟

أيها البرقُ ، ما حملتَ إلى مصـ (م) ـرَ سلامًا من الحبيبِ البعيد

بل حملتَ النَّعيَ الذي يَفطرُ القلـ (م) ـب ، ويَرمي بالشيب رأسَ الوليد

---

(١) كان المرحوم كمال اللبان موظفًا في سفارة مصر بأمريكا ، وقد احتضر في ميعة الشباب ، بعيدًا عن أرض الوطن الحبيب .

(٢) والده : الشيخ عبد المجيد اللبان ، أحد أساطين علماء الأزهر في العصر الحديث .

(٣) الأملود : الناعم .

(٤) يشير إلى موته في أمريكا ، لم ينقع صداه : لم يرو ظمأه .

(٥) يشبه الفقيد بمصطفى كامل في موته شابًا ، وبمحمد فريد في موته غريبًا .

(٦) كان موت الفقيد في بدء الربيع . صوح الزهر : جف وذبل .

يا نزيل الدُّنيا الجديدةِ ، هل عا (م) تَ البلى فى بُردِ الزّفاف الجديد ؟ (١)

أيها البحرُ ، قد حمَلتَ رفاتًا ... هُو أغلَى من درِّكَ المنضود (٢)

تركَ الموجَ فى حَشاكَ لموجٍ ... من دموعٍ تسيلُ فوق خدود

حَمَلتهُ الأعناقُ ، بل لبَسْته ... جوهرًا ليس مثلُه فى العقود

نَثرُوا فَوْقَهُ الوُرُودَ ، فغطَّى ... من شذاهُ على أريج الورود

راحلٌ شيَّعته سيرتُه قبـ (م) ـلَ وفودٍ تسيرُ إثرَ وفود

ولوَ انا لم نَرثهِ ، لرثاه ... طِيبُ أخلاقهِ بألفِ قصيد

***

فُجعت مصرُ يوم ماتَ كمالٌ ... بفتًى ماجدٍ ؛ كريمِ الجدود

بكَّرت نحوه الرجولةُ ، فى مَيـ (م) ـعة عُمرٍ ، وفى طراوَةِ عود

شاخِصٌ طرفه إلى المُثل العليـ (م) ـا ، عزوفٌ عن المَتَاع الزهيد (٣)

وثباتُ الشبابِ فى حكمة الشّيـ (م) ـب ، ورأيِ المجرِّبين السديد

حُسنُ سمت يزينه حسنُ صمتٍ ... ليس عندَ الشبابِ بالمعهود

فى هوى مصرَ آثر البعد عن مصـ (م) ـرَ ، وَلَبَّى نداءَها حين نودى

ما أذلَّ الطيرَ الغريبَ عن الدَّو (م) ح وإن عاش فى جنان الخلود! (٤)

***

---

(١) عاث : أفسد . وكان الفقيد حديث عهد بالزواج .

(٢) يشير : إلى مجىء رفات الفقيد بطريق البحر .

(٣) عزف : نفر وأعرض .

(٤) من أمثال العرب : «أربعة عزهن ذل : الغربة ولو يومًا ، والدين ولو درهمًا ، والبنت ولو مريم ، والسؤال ولو أين الطريق ؟» .

يـا طِـرازًا مــن الشبــاب فــريــدًا فــى طــراز مــن الشعــوب مجيــد
يَبْتَنِـــى للبــلاد مثْلَــك مــالاً تبتنيــه فيــالــقٌ مــن جنــود
قــد بعثنــاك للكنــانــةِ بنــدًا فــى سمــاءٍ مملــوءةٍ بــالبنــود[1]
ومثـالاً مــن نهضـة الشـرق ؛ حتـى يُـؤمنَ الغـرب بعـد طـول الجحـود
ويـــرى كــلُّ منصــفٍ أنَّ مصــرًا وطـــنٌ لــلأحـــرار لا للعبيـــد
يـا تقيًـا ، لـم يُنسِـه الغـربُ ذكـر الله (م) يـــومًـــا ، ولا انحنـــاءَ السُّجـــود
عـــاش فيـــه فمـــا تَنكَّـــرَ أو أســـ (م) ـــرفَ ، كـــالببَّغـاء فــى التقليــد[2]
حــافظًـا عهــدَ قــومــه بيـن قــومٍ لا يــراعــون حُــرمــةً للعهــود[3]
كنــتَ فــى الغـرب للحنيفــةِ ركنًــا يــا لــرُكــن الحنيفــةِ المهــدود !
ربَّ غــازٍ فــى الله مــاســلَّ سيفًــا وهْو أمضـى من صـارم ابنِ الـوليد[4]

***

إنْ قضــى نحبَــهُ كمــالٌ وحيــدًا فكمــالٌ فــى مصـر غيــرُ وحيـد[5]
إنْ فــى غــابــه المنيــع أسـودًا لــو يــرُدُّ الحِمـامَ عــزمُ الأسـود
قـل لسعــدٍ ، وقـل لإخـوة سعـدٍ : لا يعيــدُ الأســى حيــاةَ فقيــد[6]

---

(١) البند : الراية . يريد : أننا بعثناك رمزًا لمصر فى بلاد يكثر ممثلو الدول فيها ، حتى تحفظ مكانة مصر فى هذا الزحام .

(٢) ينعى على من يذهب فى بعثة علمية أو نحوها إلى الغرب ، ثم يعود متنكرًا لوطنه .

(٣) يعرض بأمريكا وما أخلفته من وعود قطعتها على نفسها فى ميثاق الإطلانطى .

(٤) ابن الوليد : هو خالد الفاتح العربى المشهور .

(٥) يقول : إنه مات فى أمريكا وحيدًا ، وله فى مصر عترة ذات عزة وجاه .

(٦) يقصد الأستاذ الكبير : سعد اللبان ، الذى كان وزيرًا للمعارف وللأوقاف ، فى بعض العهود .

ولعمرى، لو يبعثُ الدمعُ ميْتًا لبكينا بدمع بنتِ الشريد[1]

ليتَ شعرى! ماذا نقولُ وأنتم أهلُ بيتٍ على العلوم مَشِيد ؟

إنما يَقهرُ الخطوبَ حكيمٌ ذو فؤادٍ على الخطوب جليد

إنَّ فى العيشِ والمماتِ لسرًّا ضلَّهُ النَّاسُ منذُ بدء الوجود

قلِّب الطرف : هل ترى فى البرايا غيرَ حيّ أودى، وآخرَ يودى ؟

اهزلى ؛ فالحياةُ ، يا نفسُ ، هزلٌ إنَّ من جدَّ عاش غيرَ سعيد

يسبحُ المرءُ فى محيطِ الأمانى والمنايا منه كحبل الوريد[2]

ضلَّ من يكفيه قليلٌ من الزا دِ ، ولا يكتفى بمُلكِ الرشيد

كلُّ وجهٍ له الترابُ نقابٌ غيرَ وجه المهيمِنِ المعبود

---

(١) يقصد : الخنساء ، وبحزنها على أخيها صخر يضرب المثل ، وهى الخنساء بنت الشريد (بضم الشين مشددة وفتح الراء) وإنما جعلها الشاعر على وزن (جريح) ؛ لإقامة القافية .

(٢) الوريد : عرق فى العنق .

فقيدُ الإسلام !

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم الشيخ : مصطفى عبد الرازق ، شيخ الجامع الأزهر ، الذى أقيم له فى قاعة الاحتفالات بالجامعة .

طَوى موتُكَ اثنين : المروءةَ ، والنَّدى ... وأبكى فريقين : الأحبَّةَ ، والعِدَا ! !

وعَطَّلَ للفصحى يراعا ، ومنبرًا ... وقوَّضَ للإسلام صرحًا مُمرَّدَا[1]

تباركت ربِّى ! من لدين محمدٍ ؟ ... أيصبحُ فى الدنيا غريبًا كما بدا ؟

سرى فى حواشِى الليل نعيُك جمرةً ... فأوشَكَ فحمُ الليل أن يَتَوقَّدا[2]

تساقط همسًا من شفاه رُواته ... فأبرَقَ ما بين الضلوع وأرعَدا

وهزَّ ربُوعَ الشَّرق ، حتى تساءلَت ... مِن الهول : هل يومُ الإمام تجدَّدَا ؟[3]

لقد كنتَ من هدى الإمام بقيَّةً ... فلما فقدناها ، فقدنا محمدا

***

هل الأزهرُ المعمورُ يعرفُ من نعى ... وأىَّ سيوفِ اللهِ فى التُّربِ أَغمَدا ؟

لقد كنتَ سيفًا لا يُفلُّ بكفِّه ... وقد تظِلمُ الكَفُّ الحسامَ المَهنَّدا[4]

وكنتَ حريًّا أن تشُقَّ لأهله ... سبيلَ العُلاَ ، لو كان أَمهلَكَ الردى

---

(١) صرح ممرد : بناء عال .

(٢) كان موت الفقيد ليلا .

(٣) هو الإمام : محمد عبده .

(٤) يشير المصراع الثانى ـ من طرف خفى ـ إلى تمرد بعض الأزهريين على الفقيد .

أتيــتَ طبيبًــا آسيًــا لجــراحــه فوالله ، مـا قصَّرتَ ، بل قَصُـرَ المَدى

تَــولَّيْتَـهُ حينًــا ، فلــم تجـن مغنمًــا ـ معاذَ العُلاَ ـ بل كنت تَشقَى ليَسعدا

رأَى عهـدك الميمــون رؤيـا سعيــدةً ولكنها فى الصَّحْوِ ما ذهبت سُدى[1]

لئِـن كان فـى الحُسبـان عهدُكَ لمحـةً لقد كـان فى الإصلاح عهدُك سـرمدا[2]

تــركــت مكــانًـا لا يُســدُّ فــراغُــه وخلَّفتَ مَن يَسعـى وراءَكُ مُجهَدا[3]

طَهُرتَ فـأعرى طهرُكَ المحـضُ معشرًا وولَّـدَ فـى بعض النفـوس التمـرُّدَا[4]

وكنـتَ مثالَ الـزُّهـد لا عـن خصاصةٍ إذا خرَّ بعضُ الناس للمال سُجَّدا[5]

إذا عَصَــم اللــؤمُ اللئيــمَ مــن الأذى فقد كنـتَ من هذا السـلاح مجردًا[6]

رفعتَ لواءَ الشَّرقِ فى الغرب ، واكتسى بك المظهـرُ الشَّرقِّـى عزًا وسُـؤدُدا[7]

وزَانَــكَ ثــوبٌ زانــهُ النُّبـلُ ، والتُّقــى فلُحمَتـهُ هــذا ، وذاكَ لـه ســدى[8]

---

(١) يقول : كان عهدك كالحلم فى قصر الوقت ، ولكنه لم يكن من أضغـاث الأحـلام ، بل كان له أثره فى رفع شأن الأزهر .

(٢) سرمدًا : ممتدًا إلى ما لا نهاية .

(٣) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول عمـر حين ولى الخلافة : « لقد أتعب أبو بكر من بعده» يعنى أنه حتم على من بعده السهر والعمل المتواصل حتى يسد فراغه .

(٤) فى هذا البيت يصرح الشاعر بانتقاض بعض الأزهريين على الفقيد .

(٥) الخصاصة : الفقر .

(٦) نظر الشاعر ـ فى هذا البيت ـ إلى قول العقاد :

هـو اللــؤم حـرز للئيــم وجنــة من النـاس والدنيا مجـال كفاح

قواها لنفسى فى المجال مجردا أضعـت مجنى بينهـم ورماحـى

(٧) تلقن الفقيد بعض علومه فى أوربا .

(٨) سدى الثوب : خيوطه الطولية ، ولحمته : خيوطه العرضية .

لقـد غَّض مـن شـأن العمـامةِ معشـرٌ	فَشِدتَ لهـا بين السماكيـن مقعدا[١]
بكـى النيلُ نيـلاً كـان فـى مثل طهـره	ولكنـه أصفـى وأنقـعَ للصَّــدى[٢]
خضـمٌ مـن العـرفـان غـاض مَعينُـهُ	وكنـزٌ بـأيـدى المُعـوزيـن تبـدَّدَا[٣]
لئـن أسـرَ الأحـرارَ حُسـنُ صنيعـه	فكـم أطلقَ الـرأىَ الأسيرَ المَقَّيـدا[٤]
فتًـى حـرَّرَ الإسـلامَ مــن رِقِّ معشـرٍ	يَرون الجـرىءَ الحرَّ ليس مُـوحِّدا[٥]
قضى واجـب الأوطان والـدين كـاملاً	وأصـدر فــى كـلِّ الأمــور وأورَدَا[٦]
ولـم يقض فـى ظـلِّ الصـوامع عيشـهُ	قعيدًا ، وليس المسلمُ الحقُّ قُعددا[٧]
رَأى العلـمُ فيـه فيلسـوفًـا ، ومـا رَأَى	بـه الــديـنُ إلا قـانتًــا مُتعبِّـدا
فقُـل للتُّقاةِ الجـامـديـن : رويدَكـم	متى كانت التَّقـوى صلاةً ومسجدا ؟
ومـا كلُّ مـن يغشـى المعـابد مـؤمنًـا	ولا كـلُّ من يستَخـدمُ العقلَ مُلحـدا

***

حملنَـا على الأعنـاق بـالأمس نعشـهُ	وقـد كـاد يُـزجيـه زفيـرٌ تصعَّـدا ![٨]
فكـم ثَمَّ عيـنٌ سـال كـالعين مـاؤهـا	وكـم ثَمَّ خـد بـالـدموع تَخـدَّدا ![٩]

---

(١) غض من شأنه : خفض منه ، والسماكان : نجمان معروفان .
(٢) أنقع للصدى : أذهب للظمأ .
(٣) الخضم : البحر المتلاطم الأمواج ، غاض : نضب ، المعوزون : المحتاجون .
(٤) يشير إلى آرائه التحررية فى مسائل الدين وغيرها .
(٥) ينعى على طـائفة من رجال الـدين ما هم عليـه من الجمود ، ورميهم المجـددين بالإحاد .
(٦) أصـدر وأورد فى كـل الأمور : تـدخـل فى كـل شـىء ؛ ولم يقتصـر على بعـض النواحى .
(٧) القعدد : الكثير القعود .
(٨) يزجيه : يسوقه .
(٩) ثم : هناك ، العين الأولى : الباصرة ، والعين الثانية : الجارية ، تخدد : تشقق .

وسار بـه ركـبُ الفنـاءِ ، ومـن يسـر به الـرَّكبُ فى تلـك المجاهـل أبعدا
وحَطُّـوا علـى جسـر المنيَّـة رَحلـهُ ومـالـوا بـه بُـرجًـا منيعًـا مُشيَّـدا
فخلـتُ فـؤادى كـفَّ عـن خفقـانـه وخلـتُ دمـى بيـن العُـروق تجمَّـدا
هنـالِك أحسَسْـتُ الفـراقَ وهـولَـه وقـدَّسـتُ ربًّـا بـالبقـاء تفـرَّدا
فيا ضيعـةَ الآمالِ من بعـدِ مصطفى ! لقـد كـان لـلآمال فـى مصـرَ معقـدا
فتـى ما أوتـه ــ بل أواهـا ــ مناصبٌ تقلَّـدَ مـن عليـائهـا مـا تقلَّـدا
إذا اتَّخـذ النـاس المنـاصبَ متجـرًا فما اقتـات منها قوتَ يـوم ولا ارتَدَى
سلوا سَاسةَ الوادى : أما كان مصطفى أعفَّهُمـو نفسًـا ، وأنـزهَهُـم يـدا ؟
هو الجبـل الراسـى؛ حجًا ، ورزانـةً إذا الحـادثُ الطـاغـى أقـام وأقعـدا
تَـزلُّ ميـاهُ البحـر عـن جَنَبـاتـهِ إذا البحر فـى الأنواء أرغَـى وأزبدا[١]
صموتٌ ، إذا ما الصمتُ كـان بلاغةً فإن قال، راشَ القولَ سهمًا مسدَّدا[٢]
وينفـذ مثـلَ النَّصـل فيمـا يُـريـده وإن كان غُصنًـا فى الوداعـةِ أملَدا[٣]
طليـقٌ محيَّـاهُ يـزيـدُ بشـاشـةً إذا الأفْـقُ بـالغيـم الكثيـف تَلَبَّـدا
تحَـدَّى العصاميِّـن؛ عـزمًا ، وهمَّـةً وبذَّ العظاميِّين ؛ أصلاً ، ومَحتِدا[٤]
نمتـهُ أصولٌ لـو نمـى النجمَ بعضُهـا لحـرَّكَ عِطفَيـه مـن التِّيـهِ إن بـدا[٥]
وربَّـاهُ بيـتٌ يخـدمُ النـاسَ شيخـهُ وإن كـان فيـه الطِّفـلُ يـولـدُ سيِّـدا

---

(١) تزل : تنحسر ، الأنواء : البروق المصحوبة بأمطار وعواصف .
(٢) راش السهم : وضع له الريش ؛ كناية عن إطلاقه .
(٣) أملد : ناعم .
(٤) يريد : أنه جمع بين المجدين : الطريف، والتليد ، والعصامى : من نبى مجده بيده ، والعظامى : من يفخر بعظام أجداده ، المحتد : العنصر .
(٥) نمته : نسبته ، حرك عطفيه : حرك جانبيه .

على البـرِّ والتقـوى تـأسّـسَ ركنُـهُ ... ومـن لبنـات العلـمِ والـديـن شُيِّـدا

نمـا زهَـرُ الآداب حـولَ سيـاجـه ... وصـاحَ بـه طيـرُ البيـان مُغـرِّدا

وطـابت ثمـارُ الفكـرِ فـى ظلِّ روضـه ... وأُنشـدَ فيـه الشعـرُ درًّا منضَّـدا[1]

تُشـاهدُ فيـه الشـافعىَّ ، ومـالكًـا ... وتلقـى ابـنَ عبَّـادٍ بـه ، والمُبَـرِّدا[2]

فَلِلعلـم فيــه سـامـرٌ أىُّ سـامـرٍ ... ولـلأدبِ العـالـى هنـالـك مُنتـدى

ولمـا دعت مصـرُ ، اشـرأبَّت قبابُـهُ ... وكـادَت مغانيـه تصيـخُ إلى النـدا[3]

ودقَّـت بيمنـاهـا القضيَّـةُ بـابـهُ ... فقـدَّم من حـرِّ الـدمـاء لها الفـدا[4]

بنـت مصـرُ بيـتَ الـرازقيِّيـن قلعـةً ... ورَبَّـت بنيـه للكتـائِبِ قُـوَّدا

يُلقِّـنُ فتيـان الحمى خـدمـةَ الحمـى ... ويغشـاه طـلَّابُ المبـادىء معهـدا

***

إمـامَ الهـدى ، أدَّيـتَ لله حقَّـهُ ... وخلَّفـت للسـارى طريقًـا مُعبَّـدا[5]

صحـائفُ مجـدٍ تيَّـم الـزَّهـر نفحهـا ... وسار على مِشكاتها النجمُ؛ فاهتدى[6]

لعمـرى، لـوَ ان المـوتَ أبقـى علـى ... لبيـضِ أياديـه ، لعشـتَ مُخلَّـدا

---

(١) الدر المنضد : الدر المفصل .

(٢) الشافعى ومالك : الإمامان المعروفان فى مذاهب الفقه ، وابن عباد والمبرد : الإمامان المعروفان فى عالم الأدب ، ويريد أن بيت الفقيد كان منتدى رجال الدين والأدب البارزين .

(٣) اشرأبت : تطاولت متسمعة للنداء ، والمغانى : جمع مغنى : الحجرة وما إليها من محال الإقامة .

(٤) يريد بالقضية : قضية مصر فى المطالبة بالاستقلال ، ويشير - فى المصراع الثانى - إلى مقتل المرحوم حسن عبد الرازق شقيق الفقيد مستشهدًا فى سبيل الوطن .

(٥) معبدًا : ممهدًا .

(٦) المشكاة : الطاقة التى ينفذ منها النور .

عهـدتُـكَ تهفـو للقريـض؛ فهـاكَـهُ ... وهل يسمع النَّائى المحجَّبُ مُنشدا ؟[1]

عليــك ســلامُ الله مــن مُتَــرَحِّــل ... قضـى ما شكـا داءً ، ولا راعَ عُـوَّدا[2]

مشى، ورسولُ الموت يحسبُ خطوهُ ... وأومَـا ، يُحيِّـى أهلَـهُ ؛ فتشهَّـدا

ومـا بـارح الأسمـاءَ وقـعُ حـديثـه ... فكيـف بـه أمسـى حـديثـا مـردَّدا ؟

كـذلـك يقضـى الـرازقيُّـون نحبهـم ... نجـومٌ تهـاوى؛ فـرقـدًا، ثـم فـرقـدا

لحـا الله دنيـا يصبـحُ المـرءُ آمنًـا ... أذاها ، ويُمسى فى الضـريح مُـوسَّدا

ومـا الحمـقُ إلا أن تفكِّـر فـى غـدٍ ... وأنتَ رهينُ الموتِ ؛ لا تَضْمنُ الغدا!

---

(١) هاك : اسم فعل أمر بمعنى « خذ » .

(٢) كان موت الفقيد بالسكتة القلبية .

خطيب هوى !

أنشئت هذه الأبيات على إثر موت المرحوم : عبد الحميد أباظة ، وهو يخطب فى مجلس النواب .

أَخطيبٌ هوى عن الأعوادِ ... أم كمىٌّ رماهُ ظهرُ الجوادِ ؟[1]

ماتَ عبدُ الحميدِ أشرفَ موتٍ ... فى مكانٍ ، فيه حياةُ البلاد[2]

وتلقَّاهُ خصمُهُ إذ تَردَّى ... فوقَ صدرٍ خِلوٍ من الأحقاد[3]

أيها الراحلُ الكريمُ ، تَخيَّر (م) تَ لعمرى مكانَ الاستشهاد

المكانُ الذى سقطت عليه ... حرمٌ آمنٌ ، وساحُ جهاد[4]

---

(١) يريد : أعواد المنبر الذى كان الفقيد يخطب من فوقه .

(٢) يعنى بهذا المكان : دار النيابة .

(٣) يشير إلى حادث معين ، يتلخص فى أن خصمه الذى كان يلاحيه تلقاه على صدره عندما سقط .

(٤) يبرر الشاعر موت الفقيد شهيدًا بقوله : إن كانت دار النيابة حرمًا آمنًا ، فإنها فى الوقت نفسه ساحة جهاد .

عاهل الصحافة

أنشدت فى رثاء المرحوم : جبرائيل تكلا رئيس تحرير الأهرام

يـا صاحبَ الأهـرام ، ذكـرُك خالـدٌ
كخُلـود ذكـر مُشيَّـدِ الأهـرامِ[1]

خـوفـو ، وجبـرائيـلُ بينهمـا ـ وإن
بعـدَ المـدى ـ رَحِـمٌ مـن الأرحـام[2]

بَنَيـا فكـان بنـاءُ كـلٍّ منهمـا
عظـةَ الحيـاةِ ، وعِبـرةَ الأيـام

ومـن المواعـظِ : كـامـنٌ فى صخـرةٍ
ومفصَّـل بـأسنَّـةِ الأقـلام

مُلـكُ الصحـافةِ أيـنَ غـابَ أميـره ؟
أرمَـاهُ عـن دَسـتِ الإمـارة رام ؟[3]

قد كنـتَ ، يا تكـلا ، دِعامـةَ مُلكها
فتـركتـهُ مُلكًـا بغيـر دِعـام

طوت المنـونُ بمصرَ نـاشرَ صُحفهـا
بِيضًـا مُبـرَّأَةً مـن الآثـام

لـو أدرَجُـوهُ بصُحفـهِ أغنتهمـو
ببيـاضهـا عـن خُضـرَةِ الأعـلام[4]

(١) الأهرام الأولى : الصحيفة ، والثانية : الأهرام الصخرية .

(٢) الرحم : القرابة .

(٣) دست الإمارة : كرسيها .

(٤) يشير إلى : ما ألف من إدراج العظماء فى الأعلام عند موتهم .

رفيق الصبا

من شعر التلمذة ، أنشئت فى رثاء زميل الشاعر الطالب : عبد اللطيف عبد الخالق . ولم نعثر عليها عند نشر الديوان الأول : « صرخة فى واد » .

اللهَ فى هول المُصابْ ... جَزعَ الشبابُ على الشَّبابْ ! !

نجمٌ تألَّقَ برهَةً ... وخبا كما ذابَ الحَباب[1]

ومهنَّدٌ ، قد كان فيـ (م) ـه لقومه أملٌ ؛ فخاب

ما كاد يشحذُ غَربهُ ... حتى تضمَّنهُ القِراب[2]

حرٌّ ، كريمٌ ، عاش فى الدّ (م) نيا غريبًا ، ثمَّ آب[3]

قد باتَ يحسبُ فى حسا (م) بِ ، والمنيَّةُ فى حساب

سَكَن التّرابَ ، وإنَّهُ ... هو معدِن الذَّهب اللُّباب[4]

ربَّاهُ معذرةً ، ألا ... ما للمنُون وللشباب ؟[5]

أكذا يودِّعُنا ، ولم ... يبلُغ من العُمر النِّصاب ؟

لكنَّهُ سبحانه ... (قسم الحظوظَ فلا عتاب) !

عبدَ اللطيفِ ، رَحلتَ عن ... جوٍّ تشبَّع بالضباب

---

(١) الحباب : فقاقيع الماء الطافية على سطح الإناء ونحوه .

(٢) شحذت غرب السيف : أرهفت حده .

(٣) نظر الشاعر - فى هذا البيت - إلى قول أبى العلاء : « أولو الفضل فى أوطانهم غرباء » .

(٤) معدن : موطن ، اللباب : الخالص .

(٥) المنون : الموت .

وتـــركـــتَ دارًا ، حلـــوُهـــا مـــرٌّ ، وصيِّبُهـــا ســـراب[1]
سيَّـــان : مـــن سكـــن اليبـــا (م) بَ بهـا ، ومـن سكـن القِبـاب[2]
الكـــلُّ منهـــا فـــى عـــذا (م) بٍ ، والمنيَّـــةُ منـــه قـــاب[3]
والنـاسُ فـى الـدنيـا كـركْـــ (م) ـــب سفينـــة وســـط العُبـــاب
أن تَنـــجُ مـــن غـــرقٍ بهـــم لـــم يَسلمـــوا مَـــن الاضطـــراب
المـــوتُ ضيـــف منكـــرٌ أبـــدًا يطـــوفُ بكـــلِّ بـــاب
لمـــا دعـــا عبـــدَ اللطيـــ (م) ـــفِ إلـى وفـــادَتـه أهـــاب[4]
بـــذل الحيـــاةَ لـــه قِـــرى وسقـــاهُ مـــن دمـــه الشـــراب
لهفـى عليـه شـاخـص العيـــ (م) ـــنين مصَفـــرَّ الإهـــاب![5]
متخضبًـــا بـــدم الشَّبـــا (م) بِ يـروعُ مـن أَثـر الخِضـابِ[6]
فـــى حجـــرةٍ مشئـــومـــةٍ سكـــنٌ يجـــرُّ إلـــى خـــراب[7]
يـــا ليتهـــا بَهمـــاءُ ينعـــ (م) ـــبُ فـى مفـاوزهـا الغـراب[8]
خـــبرٌ صبيحـــةَ الامتحـــا (م) ن أتـــى ، فـأفقـدنـى الصـواب !
فظَلِلـــتُ أكتـــبُ ، والـــدمـــو (م) ع مـعَ المـدادِ لهـا انســكاب !

---

(١) الصيب : السحاب ، السراب : البرق الخادع الذى يوهم المطر ولا يمطر .
(٢) اليباب : الخراب .
(٣) يقصد : قاب قوسين ، أى : والمنية منه قريبة .
(٤) ضمير وفادته : يعود على الموت ، والإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله .
(٥) الإهاب : الجلد .
(٦) مات الفقيد قتيلا بيد مجرم يجاوره فى السكن .
(٧) كان بين القتيل والقاتل نزاع على المسكن .
(٨) بهماء : صحراء ، المفاوز : المغارات .

وبـداىَ تـرتجفـان فـى القــــر (م) طــاسِ مـن هــول المصـــاب
وكـــأنمـــا شبــحُ الجـريـــ (م) ـمةِ فـى السؤال وفـى الجـواب
أَودَى علـــى يــــد مجـــرمٍ كــالـــزَّهـر يُتلفــه الــذبــاب
عجبــى عليـــه : كيــف طـــا (م) رَ مـن التـراب إلى السحـاب؟ ![1]
حتـــى رأَى يــده قـد امـــ (م) ـتـدَّت إلـى هــذا الجنــاب
ورمـــى الشهـــاب فكيـــف لـم يُحـرقـهُ ـ حين هـوىَ ـ الشهـاب ؟
وبــأىِّ قلـــبٍ غـــالَــــهُ ؟ لـــو قُــدَّ مــن صخــرٍ لــذاب
تعـــسَ الأنـــامُ ؛ فمنهـــم تتعلَّــــمُ الفتـــكَ الـــذئاب

***

يــأيُّهـــا الجـانـــى، متـــى صـالــتْ علـى الأُسـد الكــلاب ؟
هـــلا رعيـــت الله فـــى تلـك الأفـانيــنِ الــرِّطـاب؟ [2]
اللهَ فــــى هـــذا المُســـا (م) لِـمَ ! ليـتَ كفَّـكَ فـى تَبَـاب! [3]
أيـــذودُ مــديتَـــكَ الصقيـــ (م) ـلةَ بـــالـيــراع أم الكتـــاب ؟
أذوَيـــتَ غصنًـــا نـــاضـــرًا وسلبـــتَ كنـــزًا مـــن رغـــاب
وفجعتَنـــى ، والـــدَّهـــرُ لا ينفَـــكُّ ذا ظِفـــرٍ ونـــاب
فـــى صـــاحـــبٍ كـم رقَّ لـــى عيـــشٌ بجـــانبـــه وطـــاب
أيـــامَ تجمعُنـــــى بـــه دارٌ مبـــاركـــةُ الـــرِّحـــاب

---

(١) ضمير عليه يعود على القاتل .
(٢) الأفانين : جمع أفنان ، وأفنان : جمع فنن بمعنى غصن .
(٣) تبت يده : شلت .

(دارُ القضـــاء) وأيـــنَ منــــ (م) ــــكَ الدارُ أم أيـن الصِّحـاب ؟[1]

***

قـــل للقتيـــل : ألســـتَ مـــن عَـرَبٍ هــم الأســـدُ الغِضَــاب ؟
مَـــن مـــات حتـــفَ الأنـــف لا بـالسيـف عنـدهُـمُ يُعـاب[2]
غـــال الحِمـــامُ ابـــنَ الوليــــ (م) ــدِ على الفـراش ، فما استطاب[3]
كـــم كـــان يطلـــبُ قتلـــةً بيـــدٍ فـــأعيـــاهُ الطِّـــلاب
فـــاذهـب لـــربِّـــك قـــانـى ـــ الـــ (م) ــدَّمِ أُرجُـــوانـــيَّ الثيـــاب[4]
جـــارت خليقَتُـــهُ عليــــ (م) ـــك ، وعنــده حســـنُ الثـــواب
فــــلأنـــت ربُّ شهادتـــــ (م) ـــين : شهيـدُ علـمٍ ، واغتـراب !

***

---

(١) كان الفقيد زميلا للشاعر فى مدرسة القضاء الشرعى ، ثم فـى دار العلوم بعد أن ألغيت المدرسة الأولى ، وفى البيت تحسر على عهدها .

(٢) مات حتف أنفه : أى ميتة ربه دون فعل فاعل .

(٣) يشير إلى : مـا قاله خالـد بن الوليد ـــ حين أدركه الموت علـى فراشه ـ : « هـأنذا أموت على فراشى كما يموت العير » .

(٤) الأرجوان : صبغ أحمر .

ذكرى شوقى

أنشئت تلبية لدار الإذاعة ، فى بعض احتفالاتها بذكرى شوقى .

طَواهُ الردى ؛ فتحدَّى العدم ... بشعرٍ يدورُ على كلِّ فَم

لعمرك ، ما ماتَ مَن شعرُهُ ... على صفحاتِ الصُّدُور ارتسم

وفى كلِّ بيتٍ له صورةٌ ... تُطلُّ عليك بلحمٍ ودم[1]

تمرُّ الليالى بشعر « ابن هانى » ... فتُظهرُ من عتقهِ والكرم[2]

قوافٍ لها فعلُ بنتِ الدِّنانِ ... وكم زانَ بنتَ الدِّنان القدم ![3]

لقد منحتهُ الطبيعةُ مُلكًا ... عريضًا من الشِّعر فيه احتكم

وعرشًا كعرش « ابن داودَ » ، فيهِ ... يقومُ الطيورُ مقامَ الخدم[4]

سلوا الشّرق : هل كان شعرُ ابن هانى ... سناه إذا ما الظلامُ ادلهم ؟[5]

وبَلسمه من جراحِ الزمانِ ... وسلواه فى كلِّ خَطبٍ ألَم ؟[6]

تَغنَّى به فى السرورِ الطروبُ ... فكان الكمانَ ، وكان النَّغَم

---

(١) يريد : أنك حين تقرأ شعره يبعث إلى مخيلتك صورته .

(٢) ابن هانى : هو اللقب الذى اختاره شوقى لنفسه ، وهو ـ فى الأصل ـ لأبى نواس .

(٣) كنى ببنت الدنان عن الخمر ، وشبه شعره بالخمر : فى أن العتق يرفع قيمة كليهما .

(٤) جعل شوقى أمير الطيور ؛ لأنه أشجاها تغريدًا ، ومن هنا شبهه بسليمان فقد كانت الطيور تحت حكمه .

(٥) ادلهم : احتدم ظلامه .

(٦) « ألم » هنا فعل ماض : ألم إلمامًا .

وَناح بـه فـى الخطوب الحـزيـنُ ... فـلامَـسَ منـه مكـانَ الألـم

قـوافٍ سـرت سـريـان البُـروقِ ... تَجـوبُ الـوهـاد ، وتطـوى الأكـم

شَـواردُ طبَّقـت الخـافقيـن ... بها الشَّـرقُ - بعـد الشَّتَاتِ - التَأَم[1]

أعـزُّ علـى الضّـادِ مـن كـلِّ مـا ... حـوتـه صحـائفهـا مـن حكـم

وأروى مـن النيـل للظـامئيـنَ ... وأخلـدُ مـن لَبنـاتِ الهـرم

سلـوا الضَّادَ : هـل كـان أحمد كنـزًا ... حـوتـهُ يـداهـا ؟ تجبكُـم : نعـم !

يقـولـون : شـادٍ بِقِيثـاره ... شَجى العُـرب ، قلتُ : وهـزَّ العجم

أجـادَ القـريـضَ بعهـد الشَّبـابِ ... وأعجـز حيـن اعتـراهُ الهـرم

وكـم شـاعـرٍ لـم يَمَسّ الشُّعـورَ ... فمـا قـال شعـرًا ، ولكـن نظـم !

لعمـرُك مـا النـاس دون الشُّعـور ... ودونَ الأحـاسيـس إلا نَعَـم

إذا الشّعـب لـم يُعِـر الشُّعـراءَ ... مسـامعـهُ ، فهْـو شعـبٌ أصـمّ

ومـا قيمـةُ الـروض دونَ طيـورٍ ... تُغنِّـى ودونَ زُهـورٍ تُشـم ؟[2]

ومـا الكـون إن أَصبح الكـون سُـوقًـا ... لبَيـع القرى بـالجيـاع ازدحـم ؟[3]

لقـد عبـد المحـدثـون الحُطـامَ ... كمـا عبـد الأقـدمـون الصّنَـم

أرى عـالمًـا كسـدَت رُوحُـهُ ... علـى فضـلاتِ الحُطـام اختصـم[4]

---

(١) الخافقان : المشرق والمغرب . يشير إلى : أن شعر شوقى كان أحد العوامل التى جمعت شمل الشعوب العربية ، كما قالوا : إن شعر الشاعر « جوته » الألمانى كان من أكبر العوامل فى توحيد شمل الشعوب الجرمانية .

(٢) شبه الشعر بالطير والزهر ، وجعل الأرض بلا شعر كالروض بدون هذين .

(٣) القرى : الزاد .

(٤) ينعى على العالم إهماله للناحية الروحية ، وإكبابه على المادة .

أرادَ الحيــــاةَ بحـــدِّ الحُســــامِ وشـــاد بـــه رُكنهـــا ؛ فـــانهـــدم[1]

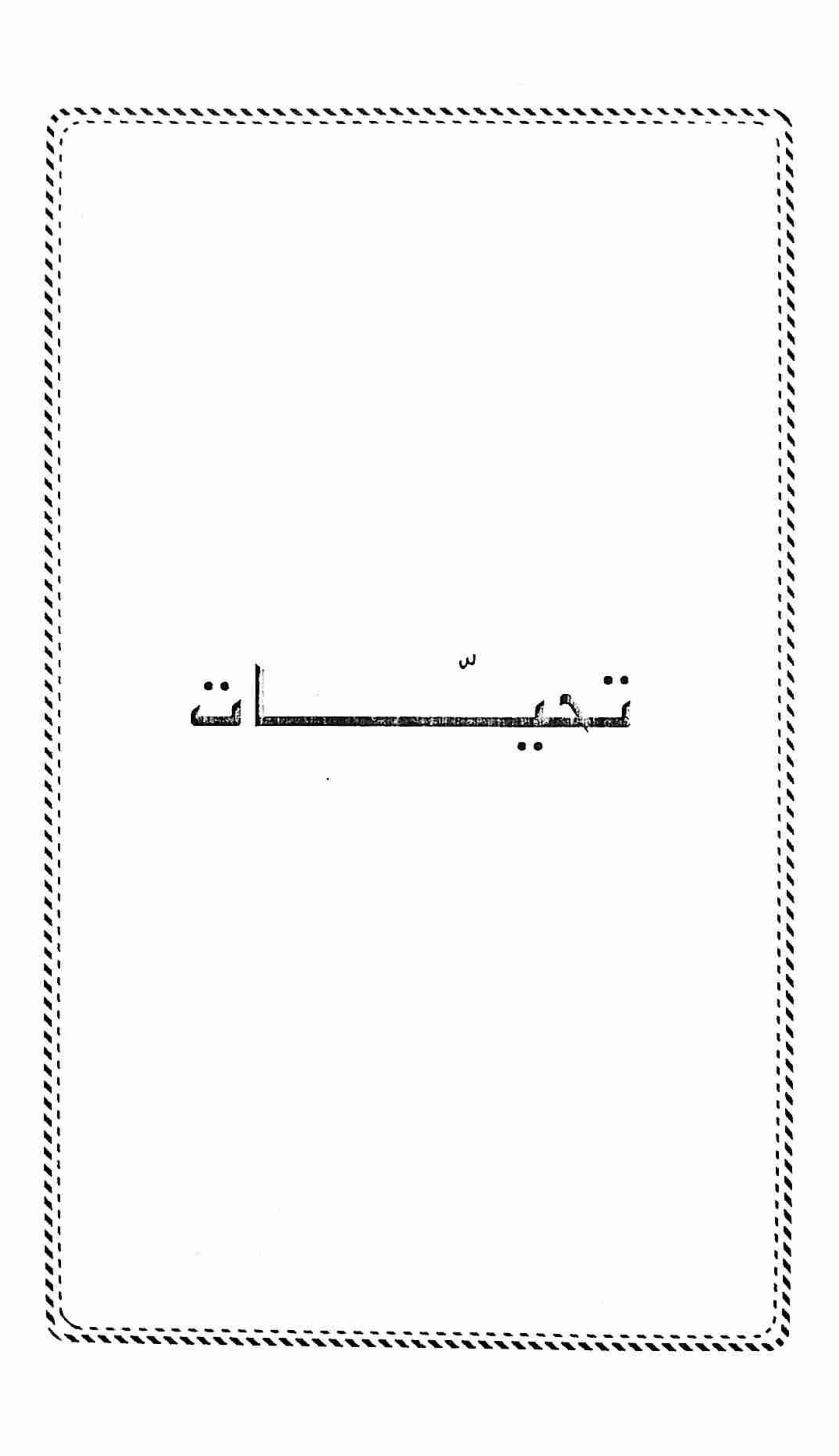
فيـا عـابـدى الــزادِ، خَلُّوا الحسـامَ وسُــوسُــوا الأمــور بســـنِّ القلــم

ومـــا الشعـــرُ إلا حيـــاةُ الشُّعـــوبِ ورمـــزُ النُّهـــوضِ ، وحفـــزُ الهِمَـــم

إذا ســاد فـــى الأرضِ ، قـلّ الفســـادُ بهـــا ، وأظـــلّ السّـــلامُ الأمَـــم

*****

(١) ينعى ــ على العـالم ـ كثـرة الحروب ؛ فـى سبيل تنازع السيـادة ، وامتلاك منـابع الثروات .



تحيّـــــات

تحيــة العميــد

في الحفـل الذى أقامه المعلمـون بناديهم ؛ تكـريمًا للدكتور : طه حسين وزير المعارف سنة ١٩٥٠ م .

أعـد ، يا شعرُ أحمدَ ، مـن جديـدٍ ... يَصــوغُ ثنــاءهُ فــى ابــنِ العميــدِ (١)

وأقســمُ ، مــا رفعــتُ بــذاك طــه ... فــأيــن ابــنُ العميــدِ مـن العميــد ؟

وزيــرَ الــدولتيــن ، إليــك أُزجــى ... نشيدى ، ما عسى يُجدى نشيدى ؟ (٢)

أميـرُ القـول أنــتَ ، فكيـف أسعـى ... إلــى الــلآلِ بــالــدُّرِّ الفــريــد ؟ (٣)

ومـا أنــأى سمــاءَك عـن جنــاحـى ... ومــا أغنــى ريــاضـك عــن ورودى !

لئـن تَـك عاهـلَ الفُصحى المفَـدَّى ... فحَسبــى : أنَّنــى بعــضُ الجنــود

ومثلُــكَ مــن مَحـا الطبقــاتِ محـوًا ... ومــن ســاوى المُســوَّدُ بــالمَسُــود (٤)

نُشيــدُ بــذكــر أقــوامٍ فيعلــو ... وتُعلــى أنــتَ مــن قــدر المُشيــد

همـا حــرفـان ضَمَّهمــا اسـم طــه ... قــرأنــا فيهمــا معنــى الخلــود

---

(١) يقصد : أحمد أبا الطيب المتنبى ، وله مدائح معروفة فى ابن العميد الكاتب المشهور ، والشبه قوى؛ فهنا شاعر يثنى على كاتب ، وهناك كذلك .

(٢) يقصد دولتى : العلم والأدب .

(٣) اللآل : صانع اللآلىء .

(٤) المسود : « بتشديد الواو » هو السيد ، والمسود : « بضم السين » خلاف السيد ، ويقصد بمحو الطبقات : أنه أول من نادى بديموقراطية التعليم، وألغى ما كان يجبى عليه من الرسوم التى ينوء بها كاهل الفقير .

تَغَنَّت باسمك الفصحى، فقالت ... ذواتُ الطَّوق للفصحى: أعيدى[1]

إذا أدباؤُها انتظموا قصيدًا ... فإنك بينهم بيتُ القصيد

وقالوا: ضاق بالحفلاتِ ذَرعًا ... فقلتُ: وكيف نُرمى بالجحود ؟

تواضع كيف شئتَ ؛ فنحن نَجزى ... على الإحسان بالشكر المَزيد

فإن لم يُرضِك التكريمُ ، فاكففْ ... ـ فديتُك ـ عن مواصلة الجُهُود

وكَفكِف من أياديك اللواتى ... أنارَ بياضُها وجهَ الوجود

ولستَ بُمستطيعٍ قبضَ كفٍّ ... براها اللهُ من كرمٍ وَجُود

ولما أن وليتَ الأمرَ ، قرَّت ... عيونٌ لم تذُق طعمَ الهُجُود[2]

وهنَّأ بعضُنا بعضًا ؛ كأنَّا ... تبادلنا التَّهانىءَ يومَ عيد

وقلنا: جاء حلَّالُ القضايا ... ومقتحمُ الحواجزِ والسُّدود[3]

ومن يلقى الحقوقَ مقيَّداتٍ ... فيعصفُ بالسلاسلِ والقيود

هما عزمان: عومٌ من زُجاجٍ ... لدى الجُلَّى، وعزمٌ من حديد[4]

---

(١) كنى بذوات الطوق عن: الطيور ؛ أى: أن اسمه أطرب الطيور التى هى مبعث الطرب بما ترسله من تغريد.

(٢) الهجود: النوم، وقرت العيون: كناية عن السرور، فهم يقولون: إن للسرور دمعة باردة « قارة » وللحزن دمعة حارة.

(٣) هذا البيت دخول على بسط قضية المعلمين والمطالبة بإنصافهم، والمراد باقتحام الحواجز: أنه لا يعبأ « بالروتين » الحكومى، ولا يحفل بالعقبات المالية.

(٤) الجلى: الشدة. الضمير «هما»: يعود على « عزمان » بعده، وهو استعمال جائز فى مثل هذا الموضع ؛ ومثله قول تأبط شرا:

هما خطتان: اما إسار ومنة ... وإما دم، والقتل بالحر أجدر

ومـــن أمســـى لـــه طـــه ظَهيـــرًا فقـــد آوَى إلـــى رُكـــن شـــديـــد[١]

إذا حـــال الـــوُلاة ، فـــأنـــت طَـــهَ وطَـــهَ أنـــت فـــى كـــل العهـــود[٢]

صـــريـــحُ القـــول ؛ تُطلقهـــا وعـــودًا مُـــدوِّيـــةً وتُـــوفـــى بـــالـــوعـــود

أيحيـــا النـــاسُ فـــى بـــذخٍ وعـــزٍّ ونحيـــا مثـــلَ زُهـــاد الهنـــود ؟[٣]

ومـــا شـــطَّ المعلـــم أو تجنَّـــى ولا هـــو هـــام بـــالعيـــش الـــرغيـــد

بـــل التَمـــسَ الكرامـــةَ فـــى زمـــانٍ بـــه الأقـــدارُ تُـــوزَنُ بـــالنقـــود

إذا مـــا الشعـــبُ ضَـــنَّ علـــى مُـــرَبِّـــى بنيـــه ، فليـــسَ بـــالشعـــب المجيـــد

ويَنطَبـــع الـــوليـــدُ علـــى هـــوانٍ إذا مـــا هـــان أستـــاذُ الـــوليـــد

طبعـــتَ علـــى الإبـــاء ، فكـــن وليًّـــا علـــى شـــمٍّ أُبـــاة الضيـــم صِيـــد[٤]

تلقَّينـــا الكـــرامـــةَ عنـــك درسًـــا ومـــا أقســـاه مـــن درس مفيـــد[٥]

لقـــد عـــرفتـــك مصـــرُ أعـــزَّ نفسًـــا إذا هـــان الـــورى هَـــونَ العبيـــد

وأرفـــع أهلِهـــا هـــامًـــا إذا مـــا تقـــوّســـت الظهـــورُ مـــن السجـــود

وأشمـــخَ أهلهـــا أنفًـــا إذا مـــا تمـــرَّغـــت الأنـــوفُ علـــى الصعيـــد

وأغـــلاهـــم يـــراعًـــا حيـــن يُشـــرَى يـــراعُ الحـــرِّ بـــالثمَـــنِ الـــزهيـــد[٦]

---

(١) ظهيرًا : سندًا ومعينًا .

(٢) اعتاد الحكام أن يدلوا ـ وهم خارج المناصب ـ بما لا يعترفون به ، أو ينفذونه وهم على كراسيها .

(٣) زهاد الهنود : مضرب الأمثال فى التقشف وخشونة العيش .

(٤) شم : جمع أشم ، أباة : جمع أبى ، ومعنياهما متقاربان ، صيد ، جمع أصيد : وهو من يشمخ بأنفه كبرًا .

(٥) يريد بقسوة هذا الدرس : أن الاحتفاظ بالكرامة يكلف صاحبه الكثير .

(٦) كانت الأقلام تشترى فى هذا العصر ، وكنى بغلو اليراع عن : تعذر شرائه ؛ على حد قول الشاعر : « ولكن دمعى فى الحوادث غال » .

لـك القلـمُ الـذى إن مسَّ طِـرسًـا ... حسبنـا الـوحـى يهبِـطُ مـن جـديـد

إذا ليـلُ الخطُـوب دَجَـا دُجـاهُ ... أضـاءَ بـأحـرفٍ كـالليـل سـود

قصيـرٌ حيـن تشبـره ، ويَـرمـى ... فيـدركُ غـايـةَ الشَّـأو البعيـد[1]

كـأنَّ مـداده شهـدٌ مصَفَّـى ... كـأنَّ سطـورَه بَسَمَـاتُ غيـد

يمـرُّ صـريـرُه بـالأُذْن طـورًا ... كـأنمُل كـاعـبٍ عَـزَفت بعـود

وطـورًا يَقـرَعُ الأسمـاع قـرعًـا ... أحـدَّ مـن العـواصـف والـرعـود

إذا هـو ثـار فـوق الطـرس يـومًـا ... فقل : يا أرضُ - ويحـك - لا تميدى

لـه - مـن غيـر فحشٍ - قـارصـاتٌ ... كـأطـراف الأسنَّـة فـى الجلـود[2]

يصيـب مقـاتـلا ، ويُحـزُّ هـامًـا ... ولا يُجـرِى الـدمـاءَ مـن الـوريـد[3]

أحـدُّ مـن الظبـا وقعًـا ، وأنـدَى ... علـى الأكبـاد مـن مـاء بَـرود[4]

ومِبضـعُ كـلِّ مكلـوم ، وسـوطٌ ... يـؤدِّبُ كـلَّ جبَّـارٍ عنيـد

بـك افتخـرت علـى الـدُّولاتِ مصرٌ ... فخـارَ الأُمِّ بـالـولـد الـرشيـد

تثَّنـت يـوم أن بعثـك عِطفًـا ... ومـالـت يـوم عُـدتَ لهـا بجيـد[5]

لقـد أدلـت بـك الفصحـى دليـلاً ... لتُفْحِـمَ مـن رموهـا بـالجمـود

---

(١) تشبره : تقيسه بالشبر .

(٢) اشتهر المحتفل به بالأسلوب المؤدب ، التهكمى ، اللاذع .

(٣) الوريد : عرق فى العنق ، والمراد : أنه يقتل قتلا أدبيًا .

(٤) الظبا : شفار السيوف .

(٥) العطف : الجانب ، وفى هذا البيت : يشير الشاعر إلى إيفاد المحتفل بـه إلى فرنسا ؛ فى بعض المهام الثقافية .

رأت « باريس » فيك نبوغ « هيجو » وشامت عبقريّة « ألفريد »[1]

فبات الغربُ يعرفُ أن مصرًا مدارُ كواكبٍ ، وشَرَى أسود

وأنَّ الشرقَ ذو مجدٍ طريفٍ كما عَرفُوه ذا مجدٍ تليد

لقد أحرزتَ للنيل انتصارًا وعدتَ إليه خفَّاق البُنود

إذا ما كنت عن بلد سفيرًا سهرتَ ، وباتَ يَنعَمُ بالرقود[2]

يراعك للعروبة شادَ ما لم يشدهُ لها حسام ابنِ الوليد[3]

جزاك اللهُ عن أدبٍ وعلم أَعدتَ إليهما زمنَ الرشيد

***

---

(١) شام البرق : راقبة ليعرف أين يمطر ؟ و « هيجو وألفريد » : هما الأدبيان الفرنسيان المعروفان : فيكتور هيجو ، وألفريد ديمسويه .

(٢) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول الشاعر :

وإن أرقتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

(٣) يقصد القائد العربى : خالد بن الوليد .

أسماؤهم رتب [1]

بعث بها إلى الدكتور : طه حسين أيضًا .

بين الورى فتيةٌ فى رفعة الشُّهبِ ... أَسماؤهمُ رُتبٌ علياءُ للرُّتبِ

طَهَ . ولاسمِكَ من حرفَيْه أُغنيةٌ ... تُوحى بكلِّ معانى المجد والحَسَب

من كان مثلَك ، لم ينهض به لقبٌ ... لكنَّ محضَ اسمه يطغى على اللقب

حرفانِ خفًّا على الأسماع ، وانطبعا ... على القلوب ، وهزَّا الشرقَ من طرب

من كان يسعى إلى الغايات يطلُبها

فقد سعت خلفك الغاياتُ فى الطلب [2]

يا مُنهض الأدب المهضوم فى زمنٍ ... تعيشُ فيه القوافى عيش مُغترب [3]

وباعثَ الروح فى أجساد صابِئَةٍ ... لا يؤمنون بغير القوت والذهب [4]

اليومَ كلُّ أديب عن صناعته ... راضٍ ، وما كان أشقى حرفةَ الأدب !

الضاد تعتزُّ ـ يا طه ـ إذا ذَكرت ... ما ضَمَّ بينكما من لُحمة النسب

إن الشعوب إذا أدلت بحجَّتها ... فأبلغَتْ ، كان طهَ حُجَّةَ العرب

*****

---

(١) لهذه الأبيات مناسبة خاصة ؛ هى : أنه قد أخطأته رتبة « الباشوية » فى العصر الماضى ، وكان متوقعًا له أن يمنحها .

(٢) يقول : إنك لم تتعود السعى إلى غاية ما ؛ حتى تسعى إلى لقب أجوف كهذا .

(٣) يشير إلى : ما يعانيه الأدب عامة والشعر خاصة : فى هذا العصر من الكساد .

(٤) أصل الصابىء : الراجع عن دينه ، ويراد به ـ هنا ـ : الملحدون إلحادًا أدبيًا .

تقدير أديب

عندما منح السيد الرئيس : جمال عبد الناصر ، توفيق الحكيم وسامًا ، تقديرًا لأدبه .

بالأمسِ وحّدَ حادى الثّورة العَربا ... واليوم أدّى لأهل الفكر ما وَجبا[1]

أقسمتُ ، ما خصّ « توفيقًا » بتكرمةٍ ... بل كرّمَ الفنَّ فى بُردَيه ، والأدبا

أكرم به نبأً هزَّ المشاعرَ لم ... يسمع أديبٌ به إلا انثنى طربا !

هذا الوسامُ لعمرى حِليةٌ لمعت ... فى صدرِ كلِّ أديب قال أو كتبا

لكلِّ ذى قلمٍ من جَرسِ أحرفه ... لحنٌ ، ولوْ أنّ « توفيق الحكيم » أبى

قل للذى عاب « توفيقًا » وجرَّحَهُ :

هل تَزحمُ البحرَ ؟ أو هل تطمِسُ الشُّهُبا ؟[2]

جزاك ربُّك خيرًا . رحتَ ترجُمهُ ... بالنقد ، فانقلبَت أحجارُه ذهبا[3]

فى الناس من ينقُدُ المُهر الأصيل ، فإن ... حثَّ الخُطا نحو مَيدان السباق حبا[4]

ومَنْ يعيب خطيبًا مِصقعًا لَسنًا ... ويَبلغُ الريق وسط الحفل إن خطبا[5]

وينقُدُ الشعرَ مثلَ الزّهر مُتّسِقًا ... فإن يَصُغهُ ، أتت أبياتُهُ حطبا

---

(١) يريد بحادى الثورة : السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

(٢) هنا : ينبغى ذكر السبب المباشر فى هذا التقدير ، وهو أن بعض النقاد هاجم المحتفل به فى صحيفة رسمية تعتبر لسان حال الحكومة هجومًا عنيفًا ، فقدم المحتفل به استقالته ، فكان الرد عليها هو هذا التقدير الكريم .

(٣) يريد : أن النفد شر أعقب خيرًا كثيرًا

(٤) حث الخطا : أسرع .

(٥) الخطيب المصقع : هو الجهورى الصوت ، وابتلاع الريق : يكنى به عن العى والحصر .

مـن كـلِّ بيـتٍ يشُـجُّ الـرأسَ مُنشـدُه ... كـأن مُنشـدَه بـالبيـت قـد حصبـا

ليـس البيـانُ بـروضٍ مُهمـلٍ فنـرى ... فـى كـلِّ يـوم غـرابًـا فـوقـه نعبـا[1]

ولا اليـراعُ جـوادًا يشتكـى عـرجًـا ... فيمتَطِيـه ذلـولاً كـلُّ مَـن ركبـا

الفنُّ ـ مذ كان ـ صعبُ المُرتقى عَسِرٌ ... إدراكُـهُ لا يُلَبِّـى كـلَّ مـن طلبـا

لا ينهـض المُلـكُ إلا بالفنـون ، فـإن ... لـم تُتخَـذ حجـرًا فى أسِّـه اضطـربـا

مَن « ابنُ حمدانَ »؟ ما أطرافُ دولته ؟ ... هل كان أكثرَ من والٍ على « حلبا » ؟[2]

لكـنّ « أحمـدَ » سـوَّاهُ لنـا مَلِكًـا ... كالدَّهر إن صال ، أو كالبحر إن وهبا[3]

لا يعمـلُ السَّيـفُ فى الهيجـاءِ مُنفـردًا ... كم مـن أديبٍ بحدِّ اللفـظ قد ضَـرَبا

وكـم مقـالٍ علـى الأعـداءِ تُطلُقـهُ ... فيستحيـلُ بميـدان الـوغـى لهبـا

وكـم رأيـتُ يـراعًـا خـاض معـركـةً ... ثـم انثنـى بـدم الأعـداء مُختَضَبـا

أهـلُ البيان إذا نـارُ الـوغـى احتدمـت ... جندٌ ، وإن فقدوا الألقـاب والرُّتبا[4]

ومـا انتفـاعُـكَ بـالأجسـام فـارعـةً ... تكـادُ من طـولهـا أن تَنطَحَ الشُّهُبـا ؟

ليـس الجمـالُ وليس الـذَّوقُ فـى بلـدٍ ... يبغـى التقـدُّم إلاَّ الـروحَ والعصبـا[5]

مَن قـال: إنَّهما فى الشَّعب مـن تَرَفٍ ... فقـد تجنَّى عليـه ، وافتـرى كَذبـا[6]

---

(١) يشير إلى : شراذم تدس أنفها بين الأدباء ، وليست من الأدب فى شىء .

(٢) ابن حمدان : هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى المعروف .

(٣) أحمد : هو أبو الطيب المتنبى .

(٤) يريد أنهم ضباط بلا ألقاب : لواء ، وعميد ، وعقيد . . . . إلخ .

(٥) يشير إلى أن الأدب يربى الذوق العام وينمى ملكة الإحساس بالجمال .

(٦) يريـد : أن تربية الـذوق والشعور بالجمال مـن الأمور الأساسيـة التى تؤهـل الأمم للنهوض والمجد .

فمــا الشعــوب بـــلا فـــنٍّ ولا أَدبٍ إلا دُمـى تُشبـهُ الأحجـارَ والخشبـا

« توفيقُ »، يهنيك تقديرُ الرئيس، وإن تكن قضيت حقـوق الفنِّ محتسبًا[1]

أتقنـتَ فنَّـكَ لـم تطلــب بـه عـرضًـا ولم تُتـاجر بـه فى السُّـوق مُكتسبا[2]

حتـى سعــى نحـوَك التَّقـديـرُ متَّئِـدًا ولـم تكــن أنـتَ للتقـديـر مُـرتقيـا

إن المـواهبَ مثـلُ الطِّيـبِ لو حُبسـت فـى قُمقُـم لـرأينـا ريحهـا غلبـا[3]

أنـتَ الأديـبُ ولـم أَعثُـر علـى لقـبٍ فى معجم المجد يحكـى ذلك اللَّقَبا[4]

*****

---

(١) محتسبًا : متطوعًا به ، لا تبغى عليه أجرًا .

(٢) العرض : الكسب المادى .

(٣) الريح : يذكر ويؤنث .

(٤) يقصد بذلك اللقب : لقب « أديب » .

ليـــالى القـــاهـــرة

فى حفل تكريـم الدكتور : إبراهيم ناجى ـ بمنزل (معالى) :
دسوقى (باشا) أباظة ـ بمناسبـة ظهور ديوانه : «ليالى القاهرة»

يـــا للَّيــــالـــى الـــوضـــاء ذاتِ السَّنـــــا والـــــرُّواءَ ![1]
تبقـــى ومـــا لليـــالـــى وأهلِهـــا مـــن بَقَـــاء[2]
مـــن كـــلِّ ليلـــةِ صَفـــوٍ ليســـت بـــذاتِ مســـاء[3]
بـــدا علـــى كـــل صُبـــحٍ منهـــا احمـــرارُ الحَيَـــاء[4]
نـــاجـــى . ليـــاليـــك راقـــت بحُسنهـــا كـــلَّ راء
نـــالـــت رضَـــائِى . وطُـــوبـــى لمـــن ينـــالُ رضـــائى[5]
إنِّـــى أجـــزتُـــكَ فـــادخـــل فـــى زمـــرة الأدبـــاء
أنـــت المجـــدِّدُ حقًّـــا لكـــن بغيـــر التـــواء[6]
قـــد حـــاد بـــالشعـــر قـــومٌ عـــن الطـــريـــقِ السَّـــوَاء

---

(١) يقصد بـالليـالـى : قصائد الديـوان ، التى جعـل لفظ : « ليـالـى القـاهـرة » علمًا عليها ، السنا : الضوء ، الرواء : الجمال .

(٢) هنا : يقـارن الشاعر بين : الليـالـى المجازيـة والليالى الحقيقية ، فيقـول : تلك خالدة وهذه إلى انتهاء .

(٣) تمتاز الليالى المجازية بأن لا ظلام فيها .

(٤) يحمر وجه الصبح خجلا حين يراها ؛ لأنها أكثر منه إشراقًا .

(٥) طوبى : الخير الكثير .

(٦) يشير إلى : تعثر زاعمى التجديد ، وما ينظمونه من لغو أجوف .

سيَّان : شعرٌ مُعمَّى   وصيحَةٌ فى الفضاء

إنَّ الغُموضَ غطاءٌ   والضعف تحتَ الغطاء[1]

لا ينجلى القبح ليلاً   بل ينجلى فى الضياء

ما كلُّ شعرٍ جديدٍ   بيعرُبىٍّ البناء

كم من جديدٍ سقيمٍ   فى جسمه ألفُ داء

لو كنتَ فى طبِّ عيسى   لم تأته بالشفاء

ناجى ، قريضُكَ سمح   فيه جمالُ الأداء

جَزلٌ كشعر حبيبٍ   سَهلٌ كشعر البهاء[2]

وكلٌّ لفظٍ ومعنى   فيه كخمرٍ وماء

أحببتُ شعركَ حتى   ما قُلتَه فى هجائى[3]

بَناتُ فكرِكَ حُورٌ   حرائرٌ فى النِّساء[4]

ليست بسوق القوافى   تُسامُ سومَ الإماء

لم ألقَ غيركَ طيرًا   محلِّقًا فى سمائى[5]

كأنَّ شعرك شعرى   فى رقَّةٍ وصفاء

---

(١) يريد : أن الإبهام أكبر ستار يسدل على ضعف الشعر ، كما أن قبح الوجوه لا يظهر ليلا ، وإنما يتضح فى وضح النهار .

(٢) حبيب : هو أبو تمام ، والبهاء : هو بهاء الدين زهير .

(٣) كان بين الشاعر وبين المرحوم ناجى دعابات، تجد بعضها فى : « ليالى القاهرة »، لناجى، وفى : « صرخة فى واد »، للشاعر .

(٤) كنى ببنات الفكر عن : القصائد .

(٥) هذا البيت ـ والأبيات التى تليه ـ : قصد الشاعر بها مداعبة صديقه .

أنـــت الخليفـــةُ بعـــدى	فـــى دولـــة الشُّعـــراء
فلتحـــذُ فـــى الشعـــر حـــذوى	ولتغتـــرف مـــن إنـــائى
حتـــى تكـــونَ جـــديـــرًا	غـــدًا بحمـــل اللـــواء
وصُـــن مـــديحـــك إلا	عـــن سيِّـــدٍ ذى إبـــاء[1]
مثـــلِ الـــدُّســـوقِّـــى حـــرٍّ	ذى فطنـــةٍ وذكـــاء
إنّ الـــدُّســـوقِّـــى يُـــزرى	بحـــاتـــمٍ فـــى السخـــاء
هـــو الأديـــبُ المـــرجَّـــى	عنـــد انقطـــاع الـــرَّجـــاء
يحـــبُّ كـــلَّ أديـــبٍ	حبًّـــا ســـرى فـــى الـــدمـــاء
أُثْنـــى عليـــه ؛ فيعلـــو	قَـــدرى، وقَـــدرُ ثنـــائى !

******

(١) هذا البيت : انتقال إلى تكريم المرحوم دسوقى (باشا) ، الذى كان حفل التكريم فى منزله .

تحيــة و تقــديـر

ألقاها فى حفل أقيم لتكريم الأستاذ: محمد عبد المنعم خفاجة ، أستاذ الأدب العربى فى كلية اللغة العربية .

هتفــوا بــذكــر أغــرَّ نــابــه   عَمـرُو بـنُ بحـرٍ فـى ثيـابـه[1]

إنْ لــم يَكُنــهُ فــى حقيــ (م) ــقتِهِ فبينهمــا مَشــابــه[2]

لا فــى مــلامــحِ وجهــهِ   بــل فــى تــوَفُّــرِهِ ودَابــهِ[3]

***

حيِّيـــتُ فيــه طــالبًــا   للعلــم أمعــنَ فــى طِــلاَبــه[4]

بــل كــاتبًــا فــى الأُفــق حلَّــ (م) ــق غيــرَ وانٍ عــن شهــابــه

إنْ ينتَسِــب سِفــرٌ إليــ (م) ــه ، تــاه فخــرًا بــانتسابــه

متــدفِّــقَ الأُسلــوب ، تَحســ (م) ــبُهُ نميــرًا فــى انسِيــابــه

فــى كفِّـــهِ قلــمٌ ، لُعــا (م) بُ النَّحــلِ قَصَّــرَ عــن لُعــابــه

***

أسفــــارهُ منهلَّــــةٌ   كــالغيــث يهطُــلُ مــن سحــابــه[5]

---

(١) عمرو بن بحـر : هو الجاحظ . والمحتفل به أشبـه من يكون بالجاحـظ ، فله ما ينيف على مائة كتاب من تأليفه .

(٢) اسم يكن يعود على المحتفل به ، والهاء من يكنه : ضمير الجاحظ .

(٣) عرف الجاحظ بدمامة الوجه .

(٤) أمعن : أوغل وتعمق .

(٥) أسفاره : كتبه .

قـد أعجـزَت قـرّاءَهُ   عـن أن يسيروا فـى ركـابـه

رفقًـا بقـارئك الـدَّءو (م) بِ ، فقـد شكـا مـن فـرطِ مـا بـه

***

لله دَرُّك كـاتبًـا   لـم يَبـغِ ربحًـا مـن كتـابـه

ولـربَّمـا كـان امتـدا (م) حُ كتـابـه أقصـى ثـوابـه[1]

ولـرُبَّمـا امتـلأت جُيـو (م) بُ النـاشـريـن علـى حسـابـه

***

للعلـم كـرَّس مـا تَصَـرَّ (م) مَ أو تبقَّـى مـن شبـابـه

يـا رُبَّ بحـثٍ مغلـقٍ   بيـديـهِ عـالـج فتـحَ بـابـه

أو مُشكـلٍ قـد راض جـا (م) محَـهُ ، وذلَّـلَ مـن صِعـابـه

تـرك الشبـاب يهيـم فـى   وادى هـواهُ أو شَـرَابـه

وصبـا إلـى الأدب الرفيـ (م) ـع ؛ فـراحَ يـرشُـفُ من رُضـابـه

كتُـبُ الثّقـاتِ كِعـابُـهُ   أرأيـت أفتَـنَ مـن كِعـابـه ؟[2]

***

متـواضـعٌ مـا قـام يُعلـ (م) ـنُ ذاتَ يـومٍ عـن جَنَـابـه

آثـارُهُ نَّمـت عليـ (م) ـه ، وجـرَّدَتـه مـن نقـابـه

كـالطِّيـب فـى الأحقـاقِ ؛ يَنفَـ (م) ـحُ ريُحـه رغـمَ احتجـابـه

---

(١) نظر الشاعر - فى هذا البيت - إلى قول محمود الوراق :

ولئن قصدت كريمهم بقصيدة   يومًا فمدح المدح منه عطاء

(٢) الكعاب : جمع كاعب ؛ وهى الفتاة الناهد .

السيـــفُ سيــفٌ مصلتًـا أو مستكِنًّـا فـى قـرابـه[1]

***

اللهُ يعلـــمُ لـــم أُجـــا (م) ملـهُ بمـدحـى أو أُحَـابـه

فخصـومـهُ اعتـرفـوا لــه بـالفضـل أكثـرَ مـن صحابـه

سِـرْ ، يـا خفـاجَـةُ ، لا عدِمتُـ (م) ـك فـى طـريقـك غيـرَ آبـه[2]

العلــمُ بحــرٌ زاخــرٌ فـاضـرب بـزَنـدِك فـى عُبـابـه

لــم يَجـنِ شهـدَ العلـمِ إلا مَــن تجـرّعَ كـأس صـابـه[3]

أرضـت ســواك قشــورهُ ونفَــذتَ أنـت إلـى لُبـابـه[4]

لله شعرك ! (5)

تحية لديوان الأستاذ : فرحات عبد الخالق .

فـرحـاتُ يـا خِـدنَ الصِّبـا وأخـا الـدِّراسة مـن قَـديـمِ[6]

وخليـلَ أيّـامٍ مـرَرْ (م) ن بنـا أرقَّ مــن النسيـم

فـى ظـلِّ « مـدرسـة القـ (م) ـضاء» ، وفى حمى « دار العلوم »[7]

---

(1) صلت : برز .

(2) آبه : اسم فاعل من أبه بمعنى حفل .

(3) الصاب : شجر مر .

(٤) لباب الشيء : خلاصته .

(5) هذه الأبيات صدر بها ديوان الشاعر فرحات المشار إليه .

(6) الخدن : الصديق .

(7) زامل الشاعر من يقرظه بهذه القصيدة فى مدرستى : القضاء الشرعى ، ودار العلوم .

غـــالَبـــتُ فيــــك ، وقــــد يُغَـــا (م) لــى الخـــلُّ فـــى الخـــلِّ الحميـــم

وحسبـــتُ شعــــرَك بعـــضَ مـــا ... تــــركَ الأوائلُ مــــن تَميــــم[١]

لله شعـــــــرُك ! إنـــــــه ... لَمِــــنَ العُــروبـــةِ فـــى الصميـــم

لا بـــــالمُهَلهَـــل نَسجُـــه ... عنـــد السَّمـــاعِ ، ولا السَّقيـــم

لله دُرُّك راصفًـــــــــا ... لبقًّـــا ! ودرُّك مــــن حكيـــم

علَّمـــت بـــالشعــــر الشبـــا (م) بَ مبـــادئ الخُلُـــقِ القـــويـــم

وطبعـــــتَ أنفُسهـــم بــــه ... طبعًـــا علـــى الـــذَّوق السليـــم

أقسمـــتُ ، مـــا حَـــبُّ الجُمـــا (م) نِ يُصـــاغُ فـــى العقـــدِ النظيـــم

كـــلا ، ولا الكـــأسُ المشَعـــ (م) ـــشَعَةُ الطِّـــلا بيـــد النـــديـــم[٢]

بـــأحـــبَّ مـــن معنـــى كـــريـــ (م) ـــمٍ صِيـــغ فـــى لفـــظٍ كـــريـــمِ

---

(١) يريد بذلك : أنه عربى أصيل .

(٢) الطلا : الخمر ، المشعشة : الممزوجة بالماء ونحوه .

يا راعي الفصحى

في حفل تكريم الأستاذ : حامد عبد القادر ، عندما عين مديرًا عامًا لإدارة اللغة العربية سنة ١٩٥٣ م .

لَمْ مأَلقَ إلا شاكرًا ، أو حامدا ... مذ قيل : قيَّضت العناية حامدا[١]

هشَّت له الفصحى ، وأطربها اسْمُهُ ... فكأنَّ أحرُفه انتظمن قصائدا[٢]

ضلَّت قوافلها ؛ فكان دليلها ... ووهت جحافلُها ؛ فكان القائدا

من عاش يحمى حَوزَةَ الإسلام ، أو ... يحمى ذِمار الضَّادِ ، عاش مجاهدا

قالوا : تكرِّمُهُ ، فقلتُ : لمحتُ فى ... هذا الجبين على النجاحِ شواهدا

أقسمتُ ، ما كرَّمتُ غيرَ مكرَّمٍ ... كلا ، ولا مجَّدتُ إلا ماجدا

كَرَّمتُ فيه فتى ، فسيحًا أفقهُ ... لا حائدًا فى رأيه ، أو جامدا

متحررًا من كل قيدٍ عقلُهُ ... لا يُصلحُ العقلُ المُقيَّدُ فاسدا

كم سائرٍ قُدمًا ولكن عينُه ... من خلفه تَبكى الزمانَ البائدا ![٣]

كَرَّمتُ فيه فتى أبيًّا ، لا يُرى ... لسوى المهَيمِن راكعًا أو ساجدا

خُلُقٌ كزهر الروضِ حين تَشَمُّه ... وتَشيمُهُ ؛ فيسيلُ عذبًا باردا[٤]

---

(١) حامد : الأولى صفة ، والثانية : علم ، كما هو واضح .

(٢) هش له : تهلل وجهه إذ رآه .

(٣) سار قدمًا : سار إلى أمام .

(٤) شام البرق يشيمه : راقبه ليعرف موضع سقوط المطر .

ما شئتَ من : عزم يُذيب الصَّخر ، أو حلمٍ يَردُّ المرهفاتِ مباردا[1]

يا راعى الفصحى ، على اسم الله سرْ بسفينها وسط العواصف ، صامدا

ووراء ظهرك معشرٌ من أهلها متوثِّبون ، مشَمِّرون سواعدا

والله لا يشقى معلِّمها بها فى عيشه ما دمت أنت الرائدا

لو شدَّ مثلك من قديمٍ أزرَهُ لتناولت يدُهُ الثريَّا قاعدا[2]

***

دارَ العلوم ، أعيذُ أهلك أن أَرى فيهم علينا حاقدًا، أو حاسدا[3]

ما ضرَّ أنجُمَك الزواهرَ أنَّنا منها استَعرنَا للمعارف واحدا

دارَ العلوم ، وأنتِ مشكاةُ الحمى لولاكِ ظلَّ الجهلُ فيه سائدا

ما كنتِ ــ وايمُ اللهِ ــ إلا معهدًا فردًا تقسَّم فى البلاد معاهدا[4]

---

(١) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول القائل :

توقد عزمى يترك الماء جمرة وحيلة حلمى تترك السيف مبردا

(٢) الأزر : الظهر ، وشد الأزر : كناية عن المساعدة .

(٣) كان المحتفل به أستاذًا بدار العلوم ، وفيها أقيم الاحتفال .

(٤) يريد : أن أبناءها منتشرون فى كل معاهد التعليم .

الطبيب يس

قل لمن أنَّ في الصباح أنينَا وشكا في المَساء داءً دفينَا :

إن ضللت الشفاءَ في كلِّ وادٍ كانَ « ياسينُ » بالشفاء ضمينا

الطبيبُ الذي تَمثَّلَ « جالي (م) نوسُ » حَيًّا في شخصه ، « وابن سينا »[1]

يفَرقُ الداءُ إذ يرى طيفَ « ياس (م) ينَ » فيُلقِي سلاحهُ مُستكينا[2]

ويصيبُ « المِكْروبَ » مبضعُ « ياس (م) ينَ » ولو كان في الفؤاد كمينا

ويَرمُّ الجراحَ ، وهي عصيَّا (م) تٌ ، إذا مدَّ للجراح يمينا[3]

كم شكونا ، فزارنا ؛ فاسترحنا فكأنَّا قبلَ العلاج شُفينا

كم شربنا الدَّواءَ وهْو أُجاجٌ من يديه فكان عذبًا معينا[4]

يتولَّى مرضاهُ بالعطف حتى ليخالون عطفه « بنسلينا »[5]

قسمًا ، لو تمثَّل النُّبلُ شخصًا يحملُ اسمًا ، كان اسمهُ : « ياسينا »

*****

---

(١) جالينوس وابن سينا : هما الطبيبان القديمان المشهوران ، وبهما تضرب الأمثال .

(٢) يفرق : يخاف .

(٣) يرم الجرح : يلمه ويأسوه .

(٤) أجاج : غاية في المرارة .

(٥) البنسلين : الدواء المعروف : شبه به عطف الطبيب على مرضاه .

تغريدات الصباح

قرظ بها الشاعر ديوان صديقه : محمد الأسمر .

ما بالُ شعرِ الشاعر الأسمرِ ... أبيضَ مثل الفَلَقِ المُسفِرِ ؟[1]

فتَّشت ما فتَّشت عن لفظةٍ ... نابيةٍ فيه فلم أَعثُر

فيه على ما فيه من قُوَّةٍ ... رقَّقه ماء النيل ، والكَوثر

كالزَّهرِ ، إلا أنّه خالدٌ ... مثلَ خُلودِ الهرم الأكبر

قد بعث الأسمرُ فى شعره ... عهد أبى الطيِّب ، والبُحترى[2]

وشاد للنيل بأبياته ... ما لم تُشَيِّده يدا جَوهر[3]

شُعرك ، يا أسمرُ ، فى قُربه ... أنأى من الزهرةِ ، والمشترى[4]

عجبتُ ، يا صاحِ ، لصاحٍ تلا ... أشعارَك النَّشوَى ، ولم يَسكَر ![5]

---

(١) فلق الصبح : نوره .

(٢) أبو الطيب المتنبى ، وأبو عبادة البحترى : شاعران معروفان .

(٣) يريد : جوهر الصقلى مؤسس القاهرة .

(٤) الزهرة والمشترى : نجمان معروفان يشبه بهما شعر الشاعر فى بعده عن يد المتناول ، على قرب مأخذه .

(٥) « صاح » الأولى : مرخم صاحب ، والثانية : اسم فاعل من صحا .

شبل بشبل

حل الأستاذ : سعد اللبان محل الأستاذ : نجيب حتاتة فى رياسة جماعة دار العلوم ، ثم أقيم لكليهما حفل تكريم عقب الانتخاب فى مبنى كلية دار العلوم .

قال قومٌ، فأرجفُوا فى المقالِ: عَقِمت دارهم من الأنجالِ (1)
جمع الأمرَ كلَّه فى يديه بطلٌ واحدٌ من الأبطال (2)
قلتُ: يا قومُ ، ويحكم؛ إن فينا من حُماةِ الشَّرى عِدادَ الرِّمال
واستَعضنا عن شبلٍ غابٍ بشبلٍ ليرى النَّاسُ كثرةَ الأشبال
قد شهرنا فى الرَّوع عَضبًا صقيلاً وادَّخرنا سواه ؛ لا عن كلال (3)
علم اللهُ ، لم نُعطِّله ، لكن لا غنَى عن كليهما فى النِّزال
أين حظُّ الجوادِ من قصب السَّبـ (م) ـق إذا كان وحدَهُ فى المَجَال ؟ (4)
لا تلوموها إذ تَجُولُ خطاها بين برج عالٍ ، وآخرَ عال (5)
كثر الزَّهر فى الرياض، فأغرت كثرةُ الزهر طيرها بانتقال
ليس فى الدار قادةٌ وجنودٌ كلُّ أبنائها من العمَّال

---

(1) أرجف فى المقال : شط وكذب ، والمراد بالدار : دار العلوم .

(2) يقصد : الرئيس المتنحى ، وهو الأستاذ : نجيب حتاتة ، وواضح أن الأبيات مسوقة مساق حسن التعليل .

(3) العضب الصقيل : القاطع الأملس ، والكلال : التثلم .

(4) يعتبر هذا البيت حسن تعليل آخر .

(5) الضمير : يعود على دار العلوم .

دارةٌ تحمــلُ اللــواءَ يــداهــا	وهْـو عـبءٌ يَئُودُ ظهر الليالـى[1]
فهْــى طــورًا تُقلُّــهِ بيميــنٍ	وهْــى طــورًا تُقِلُّــه بشمــال

***

صـدق الظـنُّ فـى نجيـبٍ ، وسعـدٍ	والمـواضـى تَبيـنُ عنـدَ الصِّقـال[2]
قـد أخـذنـا عـن الـرئيسيـن درسًـا	فـى سُمـوِّ الأخلاق عنـد النضـال[3]
أَخمـدَا جـذوةَ الخـلاف بخُلْـقٍ	يُطفـىء النـارَ كـالنَّميـر الـزُّلال
فكُفِينـا شـرَّ انفصـامٍ وبيـلٍ	أىُّ داءٍ كـالانقسـام عُضـال ؟

***

قـل لمـن كـرَّمـوا نجيبًـا : نجيـبٌ	ـ مـذ عـرفنـاه ـ مـوضـعُ الإجـلال
قسمًـا ، مـا تـزعـزعَـتْ ثقـةٌ فيـ (م)	ـه ، ولـو زُعزِعـت رواسـى الجبـال
رجـلٌ أَنفـهُ يـزيـدُ ارتفـاعًـا	إذْ تَشَـمُّ الثَّـرى أنـوفُ الـرجـال
جـدَّ فـى خـدمـة الجمـاعـة حتـى	شغلتـهُ عـن نفسـه والآل
سـاهـرًا فـى سبيلهـا ، مستهينًـا	بـالنفيسيـن : وقتـه ، والمـال
إنْ جحـدنـا جهوده ، شهـدت بضـ (م)	ـعٌ وعشـرٌ مـن السنيـن الخـوالـى
إنَّ هـذا البنـاءَ ـ وهـو جمـادٌ ـ	شـارك النـاطقيـن فـى الاحتفـال[4]
فنجيـبٌ أطَـلَّ منـه هـلالاً	ثـم آوى إليـه بعـد الكمـال[5]

***

---

(١) يؤد : يثقل . والبيت وما بعده حسن تعليل أيضًا .

(٢) يراد بالمصراع الثانى : أن الرجال تعرف عند الشدائد .

(٣) واضح من سياق الكلام أن هذا الحفل كان يراد به حسم خلاف مستحكم .

(٤) يريد : بناء كلية دار العلوم الذى أقيم الاحتفال فيه .

(٥) يشير إلى : أن نجيبًا تخرج فى هذا المعهد طالبًا ، ثم عاد إليه عميدًا .

قـد عـرفنـاك ، يـا نجيـبُ ، دوامًـا ذا مضَـاءٍ فـى الـرأى ، واستقـلال

فلتجاهـد ــ بعـد الرِّيـاسـة ــ حـرًّا إنهـا فـى الرقـاب كـالأغـلال[1]

بطَل « المَنش » فَازَفـى الحرب ، لكن خـذَلُوه فـى السِّلـم أى انخـذال[2]

مـا ونـى بعـدَ ذاك بـل كـان شيخًـا عـزمـهُ مثـلُ رأسـه فـى اشتعـال

ولنـا أسـوةٌ بشعـبٍ عـريـقٍ هـو فـى الخلـق مضـرب الأمثـال

***

إيه ، يـا سعدُ ، أحرفُ اسمِـكَ فيهنَّ (م) لــدار العلـوم أطيَـب فـال[3]

أنـت ، يـا سعـدُ ، نلتَ تـأييـدَ قـومٍ يـزنـون الكـلامَ بـالمِثقـال[4]

فـاقبـلُ العُـذرَ حيـن أختصـرُ القـو (م) لَ ، ودعنـى أحكُـمْ علـى الأعمـال

ثقـةُ الـدار فيـك تطلـبُ مهـرًا إنَّ مهـرَ الحـرائر الغِيـد غـال

إنمـا أنـتَ مِـدرهٌ عـن أُنـاسٍ حمَلُـوا الظُّلـمَ مـن سنيـنَ طِـوال[5]

وإذا حـلَّ بـالمعلـم ضيـمٌ رُمـى الشَّعـبُ كلُّـهُ بـانحـلال

مـا طلبنـا نـواطـحَ السُّحـبِ دُوراً لا ، ولا الـرَّوضَ وارفـات الظِّـلال[6]

إنَّنـا نَطلـبُ الكـرامـةَ والعيـ (م) ـشَ ولسنَـا بغيـر ذاك نُبـالـى

قُـل لمصرٍ : لـن تبلـغُ المجدَ مصـرٌ والمُـرَبُّـون مـوضـعُ الإهمـال

فئَـةٌ بثَّـتِ الكـرامـةَ فـى النَّـ (م) ـشءِ وكـادَت تـذوقُ ذُلَّ السُّـؤَال

---

(1) إنها : أى الرياسة .

(2) يقصد : تشرشل ، وكيف سقطت وزارته ، بعد انتصاره فى الحرب العالمية الثانية .

(3) « إيه » : اسم فعل بمعنى « زدنا » .

(4) يريد : أن الذين انتخبوك رجال اللغة العربية الذين صناعتهم الكلام .

(5) مدره : محام .

يا ملاذ الموظفين

اعتزمت نقابة الموظفين إقامة حفل تكريم للمرحوم : عبد الرحمن البيلى وزير المالية إذ ذاك ، وكلفت الشاعر إعداد قصيدة يعرض فيها قضية الموظفين .

حَرَسَ المالَ سيِّدُ الأمناءِ ... ورَعَاهُ . رَعَتهُ عينُ السَّماءِ !

أَمَلٌ لم يطش ، وحُلمٌ جميلٌ ... حقَّقَتهُ لنا صُروفُ القضاء[1]

سنواتٌ مرَّت بمصرَ عِجافًا ... جرَّعت أهلها كُئُوس الشَّقاء[2]

قيلَ : عبدُ الرحمن صارَ وزيرًا ... قلتُ : قد جاءَ يوسفٌ بالرخاء[3]

طاهرٌ ، لم يَحُم حواليه شَكٌّ ... أيُّ شكٍّ يرقى إلى الجَوزاء ؟

ذو سجَايا منابعُ النِّيل ودَّت ... لو حكَتها فى رقَّةٍ وصفاء

هو فى حلبْةِ الجهاد لواءٌ ... وهْو فى الاقتصاد ربُّ اللواء[4]

مستقِلٌّ برأيه فى بلادٍ ... خُطَّ سفر استقلالها بالدماء[5]

***

---

(١) فى البيت إشارة إلى : أن الموظفين كانوا يتمنونه وزيرًا للمالية .

(٢) السنوات العجاف : سنوات الأزمة ، ويقصد بها : أيام الحرب العالمية الثانية .

(٣) يشير إلى : قصة يوسف مع عزيز مصر ، وتصرفه فى خزائن الأرض أيام سنى الجدب .

(٤) الحلبة : الميدان .

(٥) كان المحتفل به مستقلا ؛ غير منتم إلى حزب من الأحزاب .

يــا قــريبًا مــن القلــوب، بعيــدًا — عــن ريــاح الحــزبيّــة الهَــوجــاء

صـرتَ رُبّــانهــا ، فسـدِّد خُطــاهــا — بيــن هُــوج الــرِّيــاح والأنــواء[1]

كثُرَت ســاسـةُ البــلاد، فمـن لــى — بـرجـال الحســابِ والإحصـاء ؟[2]

لا تَسُـودُ البــلادُ بـالجَـدَل الأجــ (م) ـــوَفِ أو بــالــوثــائق الجــوفــاء

إن أردتُــم أن تَبتَنُــوا مجــدَ مصــرٍ — فــاجعلــوا الاقتصــاد أسَّ البنــاء

يــا مــلاذَ المــوظفيــن جميعًــا — يــا وزيــرًا أحنَــى مــن الآبــاء

إنمــا أنـــت للمــوظَّـــف ظــلٌّ — بعــد مــا ذاق لفحَــةَ الصحــراء

كــان يــرجــوكَ مستشــارًا ، فلمّــا — جاءك الحكمُ ؛ طال حبلُ الرجاء[3]

فتلقَّــــاك مثلمــــا يتلقَّــــى — أهــلُ بيــتِ العليــل بُشــرى الشفــاء

إنمــا أنــتَ خيــرُ مــن يــرفــعُ الحَيــ (م) ــفَ ويَقضِــى بيــن الــورى بــالسَّــواء

فــازَ بــالمــال كــلُّ هتّــافِ حــزبٍ — فــاحمِــهِ مــن لصُــوصــه الشُّــرفــاء[4]

المحــاسيــبُ أوصَــدُوا كــلَّ بــابٍ — فــى وجــوه النــوابــغ الأكفــاء

فــانشــر العــدلَ والمســاواة فينــا — لا رَعَــى اللهُ عهــدَ الاستثنــاء[5]

***

وإذا مــا ارتقــى المــوظَّــفُ شــأنًــا — أصبــحَ الشَّــعبُ كلُّــه فــى ارتقــاء

---

(١) الأنواء : العواصف الراعدة الممطرة .

(٢) ينعى على كثرة الزعماء والأحزاب فى ذلك العهد .

(٣) كان المحتفل به مستشارًا لنقابة الموظفين قبل أن يلى وزارة المالية .

(٤) يقصد بالشرفاء : أنهم لا يقعون تحت طائلة القانون .

(٥) لم يبرح الأذهان عهد الاستثناء ، وما جره على البلد عامة والموظفين خاصة من ويلات .

وإذا هـانَ أمـرُهُ عنـد شعـبٍ فعَفـاءٌ عليـه أيُّ عفَـاء[1]

خـادمٌ ؛ يخـدم البـلاد بعـزمٍ ليس للسيـف مـا لـه من مضـاء

الكـراسـيُّ والمكـاتـب أحنَـت ظهـرَه فـي الشبـاب أيَّ انحنـاء

والأضَـابيـر بيـن طـيٍّ ونشـرٍ سلَبَـت مـا بعينـهِ مـن ضيـاء[2]

وتحـارُ النقـودُ بيـن يـديـه حيـرَةَ الـريش فـى مهبِّ الهـواء

هـو بيـن الأنـام فـى جسـم عمـلا (م) قٍ ولكنَّـهُ قصيـر الـرداء[3]

إنمـا راتـبُ المـوظَّـف دَيـنٌ هـو للغيـر مُستحـقُّ الأداء

كـم شهـورٍ مضت عليـه طـوالاً طـولَ ليـل العشَّـاقِ عند الجفـاء

كـلُّ شهـرٍ أطـلّ يـدعـو عليـه وهْـو طفـلٌ فـى مهده بـالفنـاء[4]

هـو يستعجـلُ الـرحيـلَ دوامًـا وسـواء يـودُّ طـول البقـاء

يَبتَنـى شـاهـقَ القصـورِ سـواهُ وهـو ـ ما عـاشَ ـ سـاكنٌ بـالكِراء

فـإذا مـات ، لـم يُـورِّث بنيـهِ غيـرَ حـرِّ الأسـى ، ومُـرِّ البكـاء

***

كـم صبرنـا على الخطُوب كـرامًـا واعتصمنـا عنـد الطَّـوى بـالإبـاء[5]

وخَـدعنـا الـورى بـزيِّ جميـلٍ وهـو قُبـحٌ مُمَـوَّهٌ بطـلاء

---

(١) عفاء عليه : دمار له وهلاك .

(٢) الأضابير : جمع إضبارة وهى الملف .

(٣) يقصد : أنه يخدع بحسن مظهره وإن كان على أسوأ حال .

(٤) يعنى بـذلك : ترقب الموظفين لأول كـل شهر مقبل ، وتمنيهم زوال كـل شهر هم فيه .

(٥) الطوى : الجوع .

فـإذا الحـربُ ، لا عفـا الله عنهـا — تكشـفُ السِّترَ بعـد طول الخفـاء[1]

مـرّت الحـرب بـالأنـام سـلامًـا — وبلَـونـا فـى الحـرب أىَّ بـلاء[2]

قـد أنـاخَـت علـى المـوظَّـف حتـى — عُـدَّ فيهـا مـن جملـة الشُّهـداء

إنّ مـن يكتـوى بنـار الشظَـايَـا — مثـلُ مَـنْ يكتـوى بنـار الغـلاء

حَـدِّثـونـا بـربّكـم عـن متـاعٍ — بيعَ بـالبخس فـى سبيـل الغـذاء

حَـدِّثـونـا عـن الكسـاء ؛ فـإنـا — قـد نَسِينـا يـا قـومُ طيـفَ الكِسـاء

كـم رداءٍ سـألـتُ عنـه ، فقـالـوا : — ذاب كـالملـح فـى يـد الكَـوَّاء

وسـواءُ إذا هُمُـو غَسَلـوهُ — بـتُّ أَخشـى عليـه مَـسَّ المـاء

كـم لبِسنـا فى الصيـف حِمـلاً ثقيـلاً — وخفيفًـا مُهفَهَفًـا فـى الشتـاء

كـم مشينـا بيـن الـورى بثيـابٍ — نسجَـت نصفَهـا يـدُ الـرّفـاء

***

يـا غيـاث المـوظفيـن جميعًـا — وهُـداهُـم فـى حـالِـكِ الظَّلمـاء

لا تليـقُ الشَّكَـاةُ بـالـرجُـل الحـ (م) ـرِّ ، ولكـنّ قد فاضَ مـاءُ الإناء ![3]

إن قسـا الـدهـرُ ، يـا وزيـرُ ، علينـا — فلنـا فيـك أنـت خيـرُ عَـزاء

---

(١) يقصد : الحرب العالمية الثانية .

(٢) يشير إلى : أن كل متجر رفع قيمة كسبه بنسبة ارتفاع الغلاء ، ما عدا الموظف .

(٣) فاض الإناء : تعبير يقصد به أن الأمر جاوز المدى .

إلى الوزير الأديب

بعث بها إلى المرحوم : عبد الهادى الجندى وزير الأوقاف ، عقب تقدير أظهره الوزير للشاعر .

ليتَ الزمانَ المستبدَّ العادى — يرعى الأديبَ بعين « عبد الهادى »

رجلٌ لمستُ على الأديب حنانهُ — فإذا حنانُ أبٍ على أولاد

يتعشَّقُ الأدبَ الرفيعَ ، كأنما — هو من بنى العباس فى « بغداد »

لله دركَ من وزير زانهُ : — ذوقُ الأديب ، ونظرةُ النَّقاد !

يا ناصرَ الآداب فى زمنٍ طغَت — كالسيل فيه عبادةُ الأجساد

لا وزنَ للأرواح فيه ، وإنما — صلَّى بنوه ، وسبَّحُوا للزاد

طوَّقتَ جيدى بالجميل ، وطالما — طوَّقت آلافًا من الأجياد[1]

وبعثتَ - بعد اليأس - فى نفسى المنى — حتى سمعتُ دبيبَها بفُؤادى

كلماتُ عطفك لا يزال رنينُها — يحكى بأُذنى رنَّةَ الأعواد

نزلت بقلبى مثلما نزل الحَيا — بخمائلِ الواحاتِ وهْىَ صواد[2]

فى مصر « جُنديٌّ » لمصرٍ مخلصٌ — نفذت أوامرُه على القُوَّاد

قالوا : فتى القانون أنتَ ، ومَوئِلٌ — للعدل . قلتُ : ومعقلٌ للضاد[3]

---

(١) حضر سيادته فى بعض المسارح رواية تمثيلية للشاعر ، فطلبه ، وأفاض عليه من ألوان الثناء ، ثم فاوضه فى شأن الانتفاع به فى وزارته .

(٢) الحيا : الغيث ، صواد : ظوامىء .

(٣) كان سيادته من رجال القضاء .

كرموه

ألقيت فى حفل تكريم الأستاذ: محمد سعيد العريان ، بنادى الصحافة .

كرِّموه تُكرِّموا عُريانا ... أسبلَ الفضلُ فوقهُ طيلسانا[1]

قد كسَتهُ الطروسُ ثوبَ فَخَارٍ ... وكساها من فنِّه ألوانا[2]

كرِّموه تُكرِّموا نفسَ حرٍّ ... ما رآها النُّقَّاد إلا جُمانا

صهرت نفسَه الخطوبُ ؛ فزادَت ... نفسهُ فى تَنُّورها لمعانا[3]

ذو إباءٍ ، كأنما كلُّ عضوٍ ... فيه أنفٌ أَشمُّ ، يأبى الهوانا

لم يلن عودُهُ ، وكم كبيرٍ ... عجمت عودَهُ الخطوبُ فلانا[4]

ويردُّ العدوانَ كيلاً بكيلٍ ... لو رماه الزمانُ ، يرمى الزمانا

شارعًا للطِّعان أمضى قناتيـ (م) ـن : يراعًا مُسدَّدًا ، وبنانا

شاربًا بالكأسين : شُهدٍ ، وصابٍ ... يتولَّى آنًا ، ويُصرفُ آنا[5]

وسعيدٌ فى كلِّ حال سعيدٌ ... يكرمُ الفنُّ ربَّه حيث كانا[6]

يَعجزُ الناسُ كلُّهم أن ينالوا ... بالأذى — وهو طَبعُهُم — فنَّانا

---

(١) الطيلسان : نوع من الثياب .

(٢) يشير إلى : أنه كاتب بارع .

(٣) يشير إلى : ما لقيه المحتفل به من ظلم واضطهاد وتشريد .

(٤) عجم العود : قرعه بأسنانه ؛ ليعرف مقدار صلابته .

(٥) يشير إلى تنقله فى الوظائف تبعًا لتغير العهود فى ذلك الوقت .

(٦) سعيد الأولى : علم ، والثانية : صفة .

إنَّ للفـنِّ أنفسًـا خـالصـاتٍ ... لا تبـالـى العطـاءَ ، والحـرمـانـا

إنْ تضِـق بـالأنـام كلِّهـم الأر (م) ضُ ، فلـ يعـدم الأديبُ مكـانـا

دولـةُ الطِّـرس لا يُحَـدُّ مـداهـا ... دونهـا كـلُّ دولـةٍ سُلطـانـا

ويـراعُ الأديـبِ ليـس يـراعًـا ... فـى يمين الأديـب بـل صَـولَجانـا[1]

قـل لمـن سيـمَ فـى الحيـاة هـوانًـا : ... كُـن عـزيزًا ، أو لا تكـن إنسـانـا[2]

ولَخيـرٌ لصـاغـر لبـسَ الـذُّلَّ ... رداءً : أن يَلبَـسَ الأكفـانـا

مكتبة كاملة[3]

حيا بها الشاعر مكتبة المرحوم : كامل كيلانى .

مكتبـةٌ كـاملـةٌ ... مـن مُنشـآتِ كـامـلِ

حـافلـةٌ رفـوفُهـا ... بكـلِّ سِفـرٍ حـافـل

رَوضـةُ أطفـالٍ مبـا (م) حـةٌ لكـلِّ داخـل[4]

لـم يبـقَ ـ بعـد اليـومِ ـ عُـذ (م) رٌ لصبـىٍّ جـاهـل

***

(١) الصولجان : عصا الملك .

(٢) سيم الهوان : حمل عليه .

(٣) للمرحوم : كامل كيلانى مكتبة حافلة ، كل ما يباع فيها من تأليفه .

(٤) معظم كتب المرحوم كيلانى يتعلق بأدب الطفل .

يـــأيُّهـــا القصيـــرُ ، فـــا ... خِـــر السُّهـــا ، وطـــاولِ[1]
لـــم أرَ عمـــلاقًـــا لـــه ... قـــدرُكَ فـــى المحـــافـــل
مـا الطُّـول فـى الهيكـلِ ، بـل ... فـــى الفضـــلِ ، والشمـــائل

***

لله أنـــــــتَ مـــــــن أبٍ ... جـــمِّ البنيـــن عـــائل !
أبٌ لكـــلِّ نـــاشـــيءٍ ... أبٌ لجيـــلٍ كـــامـــل
كُتْبُـــك تَهمِـــى فـــوق رأ (م) س النَّـشءِ مثـلَ الـوابـل
وتَحتَـــه تفيـــضُ بحـــ (م) ـــرًا مـا لـه مـن سـاحـل
مـــا عُـــدتَ تلقـــى دُميَـــةً ... فـــى يـــد طفـــلٍ عـــاطـــل
أو عَجَـــلاً يـــدورُ ، أو ... حلـــوى بكـــفِّ آكـــل
سَـل الصِّغـارَ : هـل لهـم ... غيـرَ (جُحَـا) من شـاغـل ؟[2]

***

« كـامـلُ » ، أنـتَ مـن بقـا (م) يـــا العـــرَب الأوائل
لـــم نـــدر مـــن أىِّ قبيـــ (م) ـــلَةٍ مـــن القبـــائل ؟
« قُـــسُّ إيـــادٍ » أنـــت ، أم ... أنـــت خطيـــبُ « وائل » ؟[3]
القلـــمُ الـــذى بـــه ... تكتُـــبُ صنـــعُ « بـــابـــل »[4]

---

(١) كان معروفًا بقصر القامة ، والسها : نجم معروف .
(٢) للكيلانى فى جحا عدة قصص خالدة ، ويعنى بهذا البيت ـ وما قبله ـ : أن كتب الكيلانى شغلت الأطفال عما اعتادوا أن يلعبوا به .
(٣) خطيب إياد : هو سحبان .
(٤) بابل : مدينة معروفة من قديم بالسحر .

رأسُـــك أم مـــدينـــةٌ　　　دائبـــةُ المعـــامـــل ؟

وأنـــتَ أم ركـــبٌ يســـ (م) ـــيرُ حـــامـــلَ المشـــاعـــل ؟

إنَّ الـــذى تُبـــدعُـــهُ　　　يُعيـــى لســـانَ القـــائل

إنَّ الـــذى تُنشئُـــهُ　　　يُعجِـــزُ طـــوقَ النـــاقـــل

أرهقـــتَ بـــالتـــأليـــف عقـــ (م) ـــلَ القـــارىء المُـــواصـــل

مَـــنْ يَـــعِ مـــا تكتُـــبُ ، لـــم　　　يَعـــىَ أمـــامَ ســـائل

قـــل للـــذى يلهَـــثُ فـــى　　　إثـــركَ : « لا تُحَـــاول »(1)

إن الـــذى حـــاولَهـــا　　　عـــاد بغيـــر طـــائل

شتَّـــان بيـــن : فـــارسٍ　　　مُـــدرَّبٍ ، وراجـــل

ربَّ أنـــاسٍ يمتَـــو (م) ن فضـــلَ كـــلِّ فـــاضـــل

صـــدورُهـــم ـــ مـــن وَجدِهـــا　　　عليـــك ـــ كـــالمـــراجـــل(2)

مـــن رام هَـــدمَ شـــامـــخٍ　　　فـــالهـــدمُ للمعـــاول(3)

خَـــلِّ الـــذئابَ إن عَـــوَت　　　فـــى طُـــرُق القـــوافـــل

وانهـــض بهـــا رســـالـــةً　　　مـــن أقـــدَسِ الـــرســـائل

***

إن قلـــتُ : « للطِّفـــل كتبـــ (م) ـــتَ » ، كنـــتُ غيـــرَ عـــادل

أنـــت مُـــرَبٍّ للجميـــ (م) ـــعِ ، ربُّ فضـــلٍ شـــامـــل

---

(1) يلهث فى إثرك : يحاول جاهدًا اللحاق بك .

(2) الوجد : الحقد والضغينة .

(3) نظر ـ فى هذا البيت ـ إلى قول الشاعر :

كناطح صخرة يومًا ليوهنها　　　فلم يضرها ، وأعيا قرنه الوعل !

ظل الحكم

في حفل أقيم لتكريم المرحوم : دسوقى أباظة ، عقب سقوط وزارة هو أحد وزرائها .

حُكــمٌ تقلَّـصَ عنــه ظلُّــ (م) ــكَ ؛ ما تقلَّـصَ عنك ظلُّـه[1]

أنــت امــرؤٌ دَســت الــوَزا (م) رة لا يُجلُّــك بــل تُجلُّــه[2]

بــالحكــم لا يعلــو محلُّــ (م) ــك أنــت ؛ بـل يعلــو محلُّـه

مــارستَــهُ حتــى ملِـ (م) ــلتَ ، ومَنْ يمــارسُهُ يملُّـه

لــم تتَّخــذهُ لمطمــعٍ شَــرَكًــا ، ولا سيفًــا تَسُلُّــه

مــاذا يضيــركُ تــركُــهُ ولــك العــلا والمجــدُ كلــه ؟

يــأسَــى علــى حُكــمٍ تقَلـ (م) ــص ظلُّــهُ مــن يستَغِلُّــه

مَــنْ يبتغــى مــن خَلفِــهِ جــاهًــا ومــالاً يستحلُّــه

كــم فـى الكنــانــةِ دست حُكــ (م) ــمٍ كــاد يلفــظُ مــن يُقلُّــه[3]

ويــحَ الكنــانــةِ ، إنَّهــا جسمٌ ، وحبُّ الحكم سُلُّـه[4]

يكفيــك مُلــكُ الشعــر ؛ إنَّ (م) لمُلكــه عــرشًــا تَحُلُّــه

عــرشُ القــوافــى أنــت ربُّ (م) الحكــم فيــه ، مستقلُّــه

---

(١) تقلص الظل : انحسر وزال .

(٢) دست الوزارة : كرسيها .

(٣) يلفظه : يقذف به .

(٤) يشير إلى : تهافت الأحزاب على الحكم فى ذلك العهد .

إنَّـــا جنـــودُك إن نَقُـــل شعـرًا ، فبـاسمـك نستَهلّـه[1]

الشعـــرُ نُـــوَّارٌ ، وإبـــ (م) ـــراهيمُ وابلـــهُ ، وطلُّـــه[2]

عـــذرًا إذا أقللـــتُ ؛ إنَّ (م) الشعـــرَ أسيَـــرُهُ أقلُّـــه

بحـــر وبحـــر

استقبـل بها المرحوم : دسوقى (باشا) أباظة عند عودته مـن بعض رحلاته إلى أوربا بطريق البحر .

أدَرى البحـــرُ مَـــن حَمَـــل ؟ أدرى الفُلْـــكُ مـــن أَقَـــلّ ؟[3]

لـــو درى البحـــرُ ، لاحتَفَـــى بـــالـــدُّســوقـــىِّ ، واحتفـــل

عَـــلَّ أمـــواجـــهُ بـــدت راقصـــاتٍ مـــن الجـــذَل[4]

حَمَـــلَ البحـــرُ دولـــةً أكبـــرت شـــأنَهـــا الـــدُّول

وفـــؤادًا كمـــائه صـــافيًـــا مـــا بـــه دَخَـــل[5]

وخِـــلالاً كجـــوِّه شـــافيـــاتٍ مـــن العِلَـــل

وجنـــابًـــا كشطِّـــهِ فيـــه أمـــنٌ لمـــن نَـــزل

حمـــل البحـــرُ درَّةً زانـــتِ البحـــر مـــن عَطـــل

---

(١) نستهله : نفتتحه .

(٢) الوابل : المطر الغزير ، الطل : المطر الخفيف .

(٣) أقل « بتشديد اللام » : حمل .

(٤) هنا حسن تعليل : يعلل الشاعر رقص الموج بأنه من فرحه بمن يحمله .

(٥) الدخل : الغل ونحوه .

تــــركَــــتْ كـــلَّ دُرَّةٍ فيـه غـاصَـت مـن الخجـل[1]

حمــــلَ البحـــرُ مُنجـــزًا يَشفـعُ القــولَ بــالعمــل

وهمـــــامًـــا أغـــرَّ ، لا يقطَـعُ الــدهــرُ مــا وصــل

لــو حـوى مثـلَ عــزمــه مـــاؤه الغَمـــرُ ، لاشتعـــل

حمـــل البحـــرُ مِسمحًــا يُشبــــهُ البحــــرَ إن بَـــذَل

بـك ، يـا بحـرُ ، فـى النـدى وبـــه يُضـــرَبُ المَثَـــل

لا لعمـــرى ؛ فـــإنَّ مـــن بـــك ســاواه مـــا عَــدَل

لستَ تُـروِى مـن الصَّـدَى وهْـــو رىٌّ لمـــن نَهَـــل

أنـتَ ، يـا بحـرُ ، مـالحٌ وهْــو أحلـى مـن العســل

أَتلَعَــتْ مصــرُ جيــدَهــا إذ رأتْ بـدرهــا أَهَـــل[2]

وانحنــى الثغـــرُ مُـــومئًـــا نحـــو يُمنـــاه بـــالقُبَـــل

الـــدُّســوقـــىُّ بـــالحشـــا حـــلَّ مـــن مصـــرَ والمُقَـــل

صـــانـــه اللهُ ربُّـــهُ كلَّمـــا حـــلَّ أو رحـــل !

***

(١) حسن تعليل آخر : يعلل غوص الدر فى قرار البحر بأنه اختفاء من الخجل ، حين رأى أعلى منه قيمة .

(٢) أتلعت جيدها : رفعت عنقها .

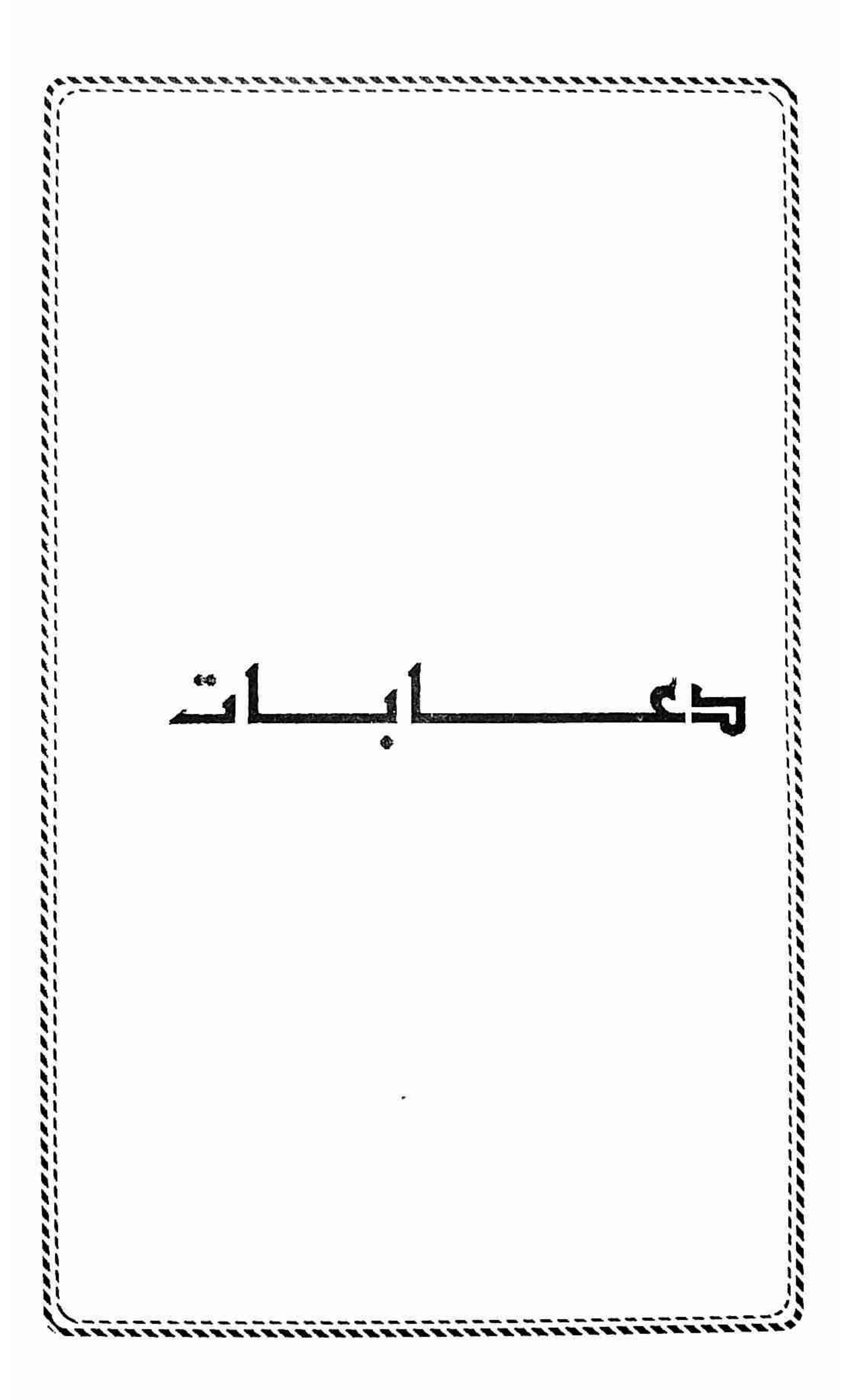
لا تتصاهروا

هنأ بهذين البيتين : دسوقي « باشا » ، عند ما بنى نجله : ثروت ، بكريمة الأستاذ : عزيز أباظة « باشا » .

قُل للأباظيِّين : لا تَتَصاهَرُوا ... بل صاهِرُوا شتَّى العَشَائر والأُسَر [1]

اللهُ بالمجد المؤَثَّلِ خصَّكُم ... ما ضرَّ لو وزَّعتُمُوه على البشَر ؟

(١) لا تتصاهروا : لا يتزوج بعضكم من بعض .


دعابات

ديك غير وديك

ديك هزيل، أقام به للشاعر أحد أصدقائه مأدبة فى سفح الهرم

يـا صـاحِ مـا لـك والكَـرَم ؟ — البخـلُ طبْعُـك مـن قِـدَم

شهـدَت ببخلـك ليلـةٌ — قمـراءُ فـى سفـح الهـرم

تبًّـا لـديكـك يـا أخـى — هُضِمَ الحديدُ وما انهضم ![1]

ديـكٌ هـزيـلُ الجسم تـر (م) — كُلُـه الجـرادةُ بـالقَـدم[2]

فـى دولـة الأديـاك كـا (م) — ن مـن السُّعـاةِ ، أو الخـدم

خِلنـاه فـى الأطبـاق رسـ (م) — ـمًا بـالمـداد ، وبـالقلم

جلـدٌ يُحيـط بـأعظـمٍ — لا لحـمَ فيـه ، ولا دَسَـم

خـافـت يـدى مـن لمسـه — فكـأنـه طيـرُ الحـرم[3]

زعمـوه روميًّـا ، ومنـ (م) — ـه العُـربُ تبـرّأُ والعجـم

لمـا بـدا قـدَّسـت مـن — خَلـقَ الخـلائق مـن عـدم

مـن يـأكـلُ الخُبـزَ القَفـا — رَ بـه ، لعمرى ، مـا ائتَـدم[4]

إنْ قلـتَ : إنَّ حسـاءَه المـ (م) — ـاءُ القَـراحُ ، فـلا جـرم[5]

---

(١) تبا : هلاكًا .

(٢) تركله : ترفسه .

(٣) طير الحرم : محرم صيده ؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ .

(٤) الخبز القفار : الذى لا أدم معه .

(٥) القراح : الصافى ، لا جرم : لا ملام .

عدس الوزير

ألقيت فى مأدبة من مآدب العدس الأباظى .

عَدسُ الوزيرِ ألـذُّ عند المأكلِ ... من ألف ديكٍ بالبَهار متبَّلِ

لا يُذكر الرومىُّ وهْو محمَّرٌ ... بجواره ، أين ابنُ هندٍ من على ؟(١)

عدسٌ تحدَّاه الكبابُ ؛ فبذَّه ... ورمى الحمامَ ؛ فصابهُ فى المقتل

قد صمتُ أسبوعًا مضى من أجلهِ ... ولوَ انَّ صومى باطلٌ لم يُقبل(٢)

حبٌّ كحبِّ الكهرمان مفصَّلٌ ... صاغَ الغوانى من فرائده الحُلى

وضَعوه فى طبقٍ ، فقلتُ لصاحبى : ... ما ضرَّ لو جاءوا به فى مِرجَل ؟

سقطت على بردىَ منه بقعةٌ ... فشمِمتُ من بُرْدَىَّ ريح قرنفل

قالوا لنا : عدسٌ ، فأفزعنى اسمه ... لمَ لا ، ومنه قد تكوَّن هيكلى ؟

حتى ظفرت لدى الوزير بأكله ... فلعَقتُ من بعد الملاعق أُنملى

عدس الأباظيِّن صنفٌ آخرٌ ... غيرُ الذى عُودِّته فى منزلى

ساءلتُ « ناجى » وهْو يحشو فكَّهُ ... عن صُنعه ، فأجابنى : لا علمَ لى(٣)

هو من كبار العالمين بأكله ... وبغير ذلك من كبار الجُهَّل

لا تَدعُ « ناجى » إن أُصبتَ بعلَّةٍ ... وبطبِّه ودوائه لا تَحفِل

---

(١) ابن هند : معاوية بن أبى سفيان ، وعلى : هو على بن أبى طالب .

(٢) يقصد : أنه صوم لم تقصد به القربة بل قصدت به البطنة .

(٣) يقصد المرحوم الدكتور : إبراهيم ناجى الشاعر المعروف ، وكان صديق الشاعر وجاره فى المأدبة .

زاد الدُّسوقيِّ المفدَّى وحده طبٌّ يداوى كلَّ داءٍ مُعضِل

سمحٌ يُباحُ طعامُه وشرابه لكن حماهُ فى السِّماك الأعزل[1]

يأيها الداعى الكريمُ تحيَّةً لله درُّك من جوادٍ مُفضِل

أقسمتُ ما عدسُ الصعيد بأسره أشهى لنا من وجهك المتهلِّلِ

إنْ يشتَكِ الشعراءُ يومًا جُوعهم كنتَ الدواءَ لهم وكنتَ الصيدلى

أَغدق على الشعراء ، واصنع دائمًا لهم الولائمَ ، وادعُنى فى الأول

إن كنتُ أظهرتُ العفافَ ، فإنما أنا شاعرٌ قد قلتُ ما لم أفعل[2]

لا زلت مغمورًا بفضلِكَ دائمًا فى كلِّ مأدبةٍ تقول تَفَضَّل

---

(١) السماك الأعزل : نجم معين .

(٢) يشير إلى حادثة معينة كانت بين الشاعر والمرحوم دسوقى (باشا)، مدح فيها الثانى الأول بهذين البيتين :

يا رعى الله غنيما فهو خير الحاكمين

قد عرفناه عفيفا مخلصا فى كل حين

من وحى الكأس

على (بك) شخصية مرحة لا تكاد تفارق الكأس شفتيه ، كان موظفًا كبيرًا ثم أحيل إلى التقاعد من سنوات ، وقد أقام له الشيخ المحترم : سعد (بك) اللبان - بقصد الدعابة - حفلة تكريم ، ألقى فيها الشاعر هذه القصيدة .

صاغوا لك الشعرَ من زهر ونُوارِ ... وصغتُه لك من من حانوت خَمَّار

ما « الروم » - إن قلتُ شعرًا - يا عليُّ ، وما ... زبيب « ذوتس » ، أو « كونياك أُوتار » ؟

حطِّم كئوسَك ، واشرب يا أبا حسنٍ ... سلافةً عُصِرت من كَرم أشعارى[1]

لله درُّك شيخًا ليس يُشبِعُه ... نهرٌ من الخمر فى أحشائه جار !

حمراءُ سحنتُه ، بيضاءُ لحيتُه ... لكنَّ صفحته سوداءُ كالقار

إنَّ الشيوخ تقومُ الليلَ فى حرمٍ ... لكن عليٌّ يقوم الليل فى « بار »

***

يمشى عليٌّ ، فلا يدرى : إلى سَقرٍ ... تقودُهُ قدماه أم إلى الدار ؟[2]

يضلُّ عن بيته ، والشمس طالعةٌ ... وليس يبعدُ عنه قِيدَ أشبار[3]

وربَّما دق باب الجار من خبلٍ ... وربَّما ضربته زوجةُ الجار

يَعُدُّ « ينّى » عليه الكأس أربعةً ... أو خمسةً وهْو لا واعٍ ولا دار

---

(١) حسن : نجل على « بك » .

(٢) سقر : جهنم .

(٣) قيد : قدر .

ويحسبُ الفأرَ - إذ يبدو له - جملاً يَعدو عليه ، فيجرى خشيةَ الفار

ويطلبُ اللحم من دكّان فاكهةٍ ويشترى الموز من حانوت جزار

وربما خدعتهُ العينُ فى رجلٍ يمشى ، فقال : صباحَ الفُلِّ يا « مارى »

وربما قابلَ « المترو » فقبّله فى وجنتيه ، وحيّاهُ « بسيجار »

وربّما أطلقَ المسكينُ « قُنبُلةً » وراح يحسبُها رنّات أوتار !

***

عليٌّ ، عذرًا إذا أَسرفتُ فى هذرى فأنت ذو منزلٍ عندى ومقدار[1]

حيِّيتُ ، يا صاح ، فيك النُّبلَ أَجمعه حيِّيتُ فيك لسانًا غيرَ مِعثار

حيِّيتُ فيك حديثًا خفَّ مسمُعه وكم حديثٍ يحاكى رجمَ أحجار

ظلٌّ خفيفٌ ، وأخلاقٌ معطرةٌ لو نُسِّقت أَصبحت باقات أزهار

يكفيك نجلان يزداد الحمى بهما كلاهما لامعٌ كالكوكب السارى[2]

وندوةُ الشيخ « سعدٍ » أنت بهجتُها لله درُّكَ بدرًا بين أَقمار ![3]

***

لا عيب فيك، سوى كأس تضاجعُها فى النوم ، تغنيك عن زوجٍ وأصهار

وكلّ ما أنجبت مصرٌ ، وما ولدت « باريس » من خرَّدٍ عونٍ وأبكار[4]

الدهرُ أفسد شيئًا أنت تعرفُه ما عاد ينفعهُ إصلاحُ عطار

بالأقدميَّة عش فى البيت منزويًا وأَخْفِ نفسك فيه خلف أَستار

---

(١) الهذر : الكلام الأجوف .

(٢) لعلى « بك » نجلان من كبار الموظفين .

(٣) يقصد سعد « بك » اللبان وكان إذ ذاك عضوًا بمجلس الشيوخ .

(٤) العون : ضد الأبكار ؛ أى : من سبق لهن زواج .

لا تغضبنَّ على فول ، ولا عدسٍ ولو أتوك بسمٍ ناقعٍ هار
عش ، يا عليُّ ، مليًّا ، واقض عمرك في كاسٍ ، وطاسٍ ، وفي لهوٍ ، وأسمار(١)
وخلِّ من شاء يبكي الحظَّ منتحبًا ويقطع العُمر في همٍ وأفكار
أترع كئوسك ، واشرب كيف شئتَ ، وقل : يا نفسُ ، لا تقنطي من رحمة الباري(٢)
ما العارُ إلاَّ الأذى بالناس تُلحقهُ ما في المُدام ، ولا في الكأس من عار
قد يغفرُ اللهُ للسِّكِّير من كرمٍ ويخلدُ الراهبُ الذِّكِّيرُ في النار

***

عليُّ ، هذا قريضٌ كنتَ تطلبُهُ فأَدِّ في كلِّ بيتٍ أَلفَ دينار
الشعر غالٍ ، ولكنِّي أَجودُ به عليك ، إنَّك ـ مثلي ـ جائع عار

مؤامرة على شاعر

صديقان تآمرا على الشاعر ، واحتالا عليه حتى دعاهما لمأدبة في محل مشهور ، فلما أحس كيدهما له في المغالاة فيما يطلبان ، غافلهما ، وانصرف ، ثم قال :

رَامَا الغَداءَ على حسابي فتقاسما ثمن الكبابِ
وخلت جيوبُهما فلم يجدا سوى رهن الثياب
عضَّا الأناملَ بعدما عضَّا الحمامَ بكلِّ ناب
مَن قال : إنَّ عليَّ إطعـ (م) ـامَ المساكين السِّغَاب ؟(٣)

---

(١) مليًا : طويلا .
(٢) اترع : املأ .
(٣) السغاب : الجياع .

أَنــا لا أغُــذِّى البطــن يــو (م) مَــا بــالطعــام أو الشــراب
لكـــن أغـــذِّى العقـــل إن هـــوجـاع بــالأدب اللُّبــاب[1]

أنف كبير

لــى صــاحــبٌ ظلــه خفيــفُ لأنفـــه دانـــت الأنـــوف[2]
أنـــف لـــه قمَّـــةٌ ، وسفـــحٌ فيـــه المغـــارات ، والكهـــوف
إن قـامــت الحـرب غــاب فيـه مــن خــوف غــارتهــا ألــوف
ســأَلتُـه : أَهْــو صُنعُ ربِّــى ؟ فقــال : لا . بـل بنـاهُ خـوفـو[3]

بخل غريزى

شرب الشاعر قهوة لم تعجبه ـ عند صديقه العزيز « عزيز » ـ فقال :

عَـزيــزٌ ليـس بــالـرجــل العـزيــزِ بخيــلٌ ، بُخْلُـه بخــلٌ غــريــزى
لـــديـــه قهــوةٌ مــن غيــر بـــنٍ يُحلِّيهـــا بمِلـــحٍ إنجليـــزى

ولكن « عزيزا » برهن على كرمه ؛ فذبح للشاعر ديكًا وديكًا ، فقال :

أقسمتُ لـم تكُ ، يا عزيـزُ ، مقصِّرًا بـل كنـتَ مثلى فـى السخـاءِ وأكثـرا
لكـــنَّ بُخلـــك لا يـــزول بـــدعــوةٍ يــا صــاح ، بــل لابــدَّ أن تتكــرَّرا

---

(١) اللباب : الخالص .
(٢) دانت : خضعت .
(٣) يريد تشبيه أنفه بالهرم .

لى صديق

داعب بها الشاعر صديقه : عباسًا ، على إثر إخلاف موعد .

لــــى صـــــديـــــق لا أراه   قبَّــــــحَ اللهُ لقـــــــاه !

مخلـــفُ الميعـــادِ لا يَعـــ (م) ـــرفُ قـــولُ الحـــقِّ فـــاه

إن يعــــدْنـــى، فكمـــا وا (م) عـــد عُـــرقـــوبٌ أخـــاه[1]

آه لـــو كنـــتُ أرى وجـــ (م) ـــهك، يـــا عبَّـــاس، آه !

طـالَ بـــالشَّمـس انتظـارى   لـك حتـى قلـت : تـاه ![2]

أيـــن سيـــارتُـــك العـــر (م) جَـاءُ، يـا شيـخَ النحـاه ؟[3]

كيـف لـم تَلحَـق بهـا مـن   حملتـــــهُ قـــدمـــــاه ؟

فى غابة

بعث بها إلى صديقه : على « باشا » عبد الرازق ، وزير الأوقاف .

يـا سيِّدًا قـد حلَّ فـى الـذؤابـه

مـن دوحـةِ السـؤدُدِ والنجـابـه

إذا شكـا الأديـبُ مـا أصـابـه

---

(١) عرقوب : هو مضرب المثل فى خلف المواعيد .

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب أخاه بيثربا

(٢) يقصد : قهوة الشمس ، وكانت مكان اللقاء المحدد .

(٣) عباس هذا نحوى يشار إليه بالبنان .

لا يطـــرقُ الأديـــبُ إلاَّ بـــابـــه
شـــاعـــرك استغـاث مـن « أنبـابـه »
وحطَّـــمَ القِيثـــار والـــرَّبـــابـــه
منهـــا استعـــار الأُفعوانُ نـــابـــه[1]
مـــن لـدغتـــه ، ضيَّعـت صوابـــه
جـد لـى بمسكـن ولو فـى غـابـه[2]

قالوا نكرمه

اداعب بها صديقه : عبد الفتاح الشناوى - مدير مكتب دسوقى « باشا » - فى حفل تكريمه .

قـالوا : نُكـرمه ، فقلـتُ : علامـا ؟
بِـمَ يستحقُّ جنـابـهُ الإكـرامـا ؟

ورأيـت إبـراهيـم أكبـر شـأنـه
فعلمـتُ أنِّـى أُخطىءُ الأحكـامـا[3]

قلَّـدت إبـراهيـم فـى تكـريمـه
أألامُ إن قلَّـدت فيـه إمـامـا ؟

أنـا إن أَطلـتُ القـول فـى أَمثـالـه
مـا خفـتُ مـن طول المقـال مـلامـا

لا بطشـهُ أخشـى ، ولا أنـا مُبتَـغٍ
مـن كـفِّ هـذا البـائس الإنعـامـا

***

---

(١) الأفعوان : ذكر الأفعى ، وكلاهما بمعنى الحية الخبيثة .

(٢) كان الشاعر يريد استئجار شقة فـى إحدى عمارات الأوقاف ، أيام استحكام أزمة المساكن .

(٣) كان المرحوم : دسوقى (باشا) حاضرًا هذا الحفل .

حسن ترقى

داعب بها صديقه : « حسنًا » حينما ترقى في عهد الاستثناءات البائد .

قـالـوا لنـا : حسـنٌ تـرقَّـى ... فـأجبـتُ : فـاز بمـا استحقَّـا

لِـمَ لا ، ولـم أرَ بينـه ... أبـدًا وبيـنَ الجحش فـرقـا ؟

هـذا زمـانُ الجهـلِ ، فيـه ... تَحـرزُ العَـرجـاءُ سبقـا

لا هـمَّ ، هـب لـى الجهـلَ إنّ ... الجهـلَ خيـرٌ لـى وأبقـى (١)

جهلويه

داعب صديقًا من أصحاب النحو الميسر

قـم انظر مـا جرى ، يـا سيبويـهِ ... ذهبتَ وجاء بعدكَ « جهلويه » ! (٢)

فأصبـحَ فى قضـايا الضـاد يُفتِى ... ويُـرجـعُ فـى مشـاكلهـا إليـه

وقيل : مجدِّدٌ فى النحو ، قلنا : ... قـواعـدُ نحـوه فـى مقلتيـه

---

(١) لا هم : أصلها اللهم .

(٢) سيبويه هو الإمام النحوى المشهور ، وجهلويه : اسم اشتقه الشاعر من الجهل على غرار سيبويه .

قرار الذبائح

داعب بها صديقه الشاعر : العوضى الوكيل ، حينما شكا
فى أبيات أنشأها من قرار حظر ذبح المواشى بضعة أيام

قرار الذبائحِ لما صَدَر
بكى ابنُ الوكيل بدمع المطر

وأُقسم ، ما شمَّ ريحَ اللحوم
ولا ذاقها مرَّةً فى العُمُر

وهل يأكلُ الكبشُ لحم الشياهِ ؟
وهل يأكل الثَّور لحم البقر ؟

وما أنتَ واللحمَ ، يا ابنَ الوكيلِ
بحسبك أكلُ لحوم البشر (١)

ليس أهلاً للجميل

بعث بها إلى : دسوقى (باشا) حينما رقى الشاعر العوضى الوكيل

عطفتَ وأنتَ ذو الحسب النبيل
على الشُّعراء فى شخص الوكيل

لقد كرَّمت أصغرهم مقامًا
لتُظهر للورى قدر الفحول

جميلٌ ما أتيت به ، ولكن
جميلُك ليس فى شخصٍ جميل

***

---

(١) يشير إلى ما اشتهر به الشاعر العوضى الوكيل من كثرة الهجاء .

حبسوك فى قفص

اشتبك صديقه العوضى فى شجار مع الجيران ، بسبب كلب ؛ فأقاموا عليه قضية وضع من أجلها فى قفص .

حبسُوكَ فـى قفصٍ ، ولسـت بضيغمٍ ... لكـن نـزلـتَ بـه نُـزُول المجـرمِ[1]

اليـومَ فـى قفصٍ حللـت ، وفـى غـدٍ ... تُلقـى الـرحـال بقعـر سجـنٍ مُظلـم

عجبـى عليـكَ : يكرَّمُ الكلـب الـذى ... خـاصمتـهُ ، وتبيـت غيـرَ مكـرَّم ! !

فيـمَ اشتبـاكُـكَ بـالكـلاب ؟ وإنمـا ... يحنو القـريبُ على القريـب المحرم[2]

سر العمامة

داعب الشاعر بهذه الأبيات صديقه الشيخ : عبد الحق .

الشيـخُ عبـدُ الحق يلبـسُ عمَّـةً ... الطُّهـرُ كـلُّ الطُّهـر فـى طيَّـانهـا

وردُ الـرُّبـا متـألّـقٌ فـى سطحهـا ... والفـلُّ منتشـرٌ علـى جنبـاتهـا[3]

تلـك العمـامـةُ سـرُّهـا فـى زرِّهـا ... من شـده ، يحصل علـى بركـاتها !

---

(١) الضيغم : الأسـد ، وهو الذى يحبـس عادة خشية بـأسه ، كمـا نرى فى حـديقة الحيوان .

(٢) القريـب المحرم : هـو الذى لـو كان أنثـى ما حـل زواجها ؛ كـالأخ ، والخال ، والعم ، وما إلى ذلك .

(٣) يشبه مـا يبدو من حمـرة « طربوش » العمـامة بالـورد ، ويشبه الأهداب الجـانبية البيضاء بالفل .

أى الخفيفين ؟

داعب الشاعر بهذين البيتين صديقه : محمود الخفيف .

صاح قد جعتُ ، فهيِّىء لى كبابًا ورغيفًا

واسقنى شايًا ثقيلاً قبَّحَ اللهُ الخفيفا !

ملك الجان

منذ فترة من الزمن احتال محتال باسم ملك الجان على امرأة ثرية وتزوجها ، وكان للحادث إذ ذاك ضجة فى الصحف . وهى قطعة قديمة .

إيه ، يا قومُ ، ما جرى ؟ أىُّ خطب دَهى الورى ؟

ملكُ الجنَّ ما لهُ حرم الأعينَ الكرى ؟

جاءنا فاتحًا ، فهل أجدبت أرضُ عبقرا ؟(1)

حطَّ فى مصرَ رحلهُ وعلى النيل عسكرا(2)

فرأى مصرَ جنَّةً ورأى النيل كوثرا

فتح المُدن بعدما وطَّدَ المُلكَ فى القرى(3)

---

(1) وادى عبقر : هو الأرض التى كانت العرب تزعم أنها مأوى الجن .

(2) كان المحتال الجن يزعم أنه وافد على مصر من بلاد سحيقة .

(3) كانت الحادثة فى مدينة القاهرة ، ومعروف : أن مجال هؤلاء المحتالين إنما هو الريف ؛ لما يمتاز أهله من سذاجة .

سينـــــادي بنفســـــه ـــ إن تـــركنـــاه ـــ قيصـــرا

***

ملـــكَ الجـــنِّ ، إن أُسِـــيءْ كنـــتَ بـــالعفـــو أجـــدرا

رجمـــةٌ منـــك بـــامـــرىءٍ شـــكَّ فـــى الجـــنِّ وامتـــرى(١)

مـــا جـــزائى لـــديـــك إن لَـــم أُبـــايعـــك يـــا تُـــرى ؟

ويـــح عقلـــى ! أكلَّمـــا آمـــن النـــاسُ أنكـــرا ؟

مـــا لمـــولاى لـــم يـــزل كـــالعـــذارى مخـــدَّرا ؟(٢)

أسفـــر الغيـــدُ ، ليتـــهُ كـــان كـــالغيـــد أسفـــرا

أهْـــو فـــى الجـــوِّ سـابـــح ؟ أهْـــو فـــى بـــاطـــن الثـــرى ؟

أهْـــو كـــالـــريـــح إن جـــرت ؟ أهْـــو كـــالبـــرق إن ســـرى ؟

أم يـــد الـــوهـــم وحـــدهـــا رسمتـــــه مكبَّـــــرا ؟

اِرتقينـــــا إلـــــى السُّهـــــا وأغـــرنـــا علـــى الشـــرى(٣)

قيســـت الأرضُ بـــالـــذِّرا (م) ع محيطًـــــا ومحـــــورا

رقعـــةُ الأرض قـــد تَجَلَّـــــ (م) ـــت كتـــابًـــا مُفسـّـرًا

هـــل رأَتْ مُقلـــةُ امـــرىءٍ فيـــه للجـــنِّ منظـــرا ؟

***

---

(١) امترى : لم يصدق .

(٢) ينكر على الجن أنهم لا يظهرون .

(٣) السها : نجم فى السماء ، والشرى : مسكن الأسود ، يقول الشاعر فى هذا البيت وما بعده : إننا طرنا فى الجو ، واصطدنا الأسود من آجامها ، وقسنا الأرض بالذراع ، حتى لم يعد فيها مكان مخبوء ، فأين يسكن هؤلاء الجان ؟

ملـــكُ الجـــنِّ قـــد بنـــى وإلـــى الإنـــس أصهـــرا[1]

وانتقـــاهـــا ثـــريَّـــةً ذاتَ مـــالٍ ، فبعثـــرا[2]

لـــم يعقـــه شبـــابهـــا إذ تـــولَّـــى وأدبـــرا[3]

مـــن يكـــن ذا فتًـــى ، يكُـــن أحمـــرَ الخـــدِّ أحـــورا

قُتـــلَ المـــالُ ؛ إنَّـــه يجعـــل القـــرد جُـــؤذرا[4]

هلـــل الجـــنُّ مثلنـــا إذ رآه وكبَّـــــــــــرا

أهْـــو كـــالنـــاس يشتـــرى منـــه بُنًّـــا وسكَّـــرا ؟

ويحـــهُ ! يسلُـــك الـــزَّوا ج سبيـــلاً إلـــى الثَّـــرا[5]

إنَّ مـــن كـــان مثلَـــه يجعـــلُ الفحـــم جـــوهـــرا[6]

يسلُـــبُ اللِّـــصَّ مـــالـــه جهـــرةً وهْـــو لا يـــرى

ظَلَـــم الجـــنَّ معشـــرٌ تخـــذ الجـــنّ متجـــرا[7]

لســـت تلقـــى ســـوى ابـــن آ (م) دم جنًّـــا مُصـــورا

أيُّهـــا العلـــمُ ، قـــم أغـــث فـــى حمـــى الـــرِّيـــف معشـــرا

خيَّـــمَ الجهـــلُ فـــوقـــه وجـــرى فيـــه أنهـــرا

---

(١) بنى : تزوج ، وأصهر إلى الأنس : تزوج منهم .

(٢) كانت الزوجة المحتال عليها ثرية ، فجعل المحتال يبعثر فى مالها .

(٣) وكانت عجوزاً شمطاء .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الفتاة الحسناء فى سعة العين .

(٥) ينكر عليه الشاعر أن يبحث عن المال عن طريق الزواج كما يفعل الآدميون .

(٦) وكيف ذلك وهو يستطيع أن يحول الفحم إلى جواهر ؟

(٧) يقصد بهذا المعشر المحتالين باسم الجان .

ربّ شيـــــخٍ مُشعـــــوذٍ　　عـــــاثَ فيــــه ودَمَّـــــرا[1]

فــــرأى رزقــــهُ هنـــــا　　ك ذلـــــولاً ميسَّـــــرا

كلمــــا جـــــاءَه عليـــــ (م)　　ـــــلٌ ، رقـــــاهُ ، وبخَّـــــرا

فهْـــو مثــلُ المسيـــح لـــو　　مـــسَّ أعمـــــى ، لأبصـــرا

وإذا مـــا تـــلا الـــرُّقَـــى　　زعـــم الجـــنَّ حُضَّـــرا

سلَّمـــت أمـــرهـــا إليـــ (م)　　ـــهِ ؛ لينهَـــى ويـــأمُـــرا[2]

وهْـــو شـــاكٍ مـــن الطَّـــوى　　يـــرتـــدى الفقـــر مئـــزرا[3]

كـــلُّ مـــا فيـــه هـــاتـــفٌ :　　كـــذب الشيـــخُ وافتـــرى

***

أيهـــا الجِـــنُّ ، حسبنـــا　　مـــا نـــراه مـــن الـــورى

ربَّ جـــنٍّ مُعـــربـــدٍ　　مـــن بنـــى الإنـــس أُمِّـــرا[4]

لـــم يـــدع يـــابسًـــا ، ولـــم　　يُبـــق فـــى مصـــرَ أخضـــرا

***

---

(١) مشعوذ : دجال : محتال .

(٢) ضمير سلمت يعود على الجن .

(٣) الطوى : الجـوع ، يقول عن هذا المحتـال : إنه يزعـم أن الجن فى خدمتـه على حين أنه يشكو الجـوع ، فلم لا يسخرها فى تدبير المال بـدل هذا الاحتيال ؛ كما يسخرها فى شفاء الأمراض المستعصية ؟

(٢) أمر : صار أميرًا ، والبيت صريح فى نقد سيـاسة الأمير الذى كان يحكم فى ذلك العهد .

ملحوظة : نشرت هذه القصيدة فى صحيفة الأهرام منذ نحو عشرين عامًا أو أكثر .

متفرّقات

النيـــل والســـودان

سافر الشاعر إلى الخرطوم فى مهمة ثقافية سنة ١٩٤٨ م ، فأقيمت له حفلة تكريم ، فى نادى الخريجين ، بأم درمان ألقى فيها هذه القصيدة .

ســـائلاهُ : أأنـــتَ نبـــعُ الجنـــان أم جنى النَّحل ، أم رضابُ الغوانى ؟[١]

أم رحيـــقٌ طـالـــت عليـــه الليالـــى لـــم يعتَّـق أمثـالـهُ فـــى الـدِّنـــان ؟

يـــا نـــديمـــىَّ ، إنَّمـــا أنـــا صـــبٌّ بـــابنـــةِ النِّيـــلِ لا ببنـــت الحـــان[٢]

أَتـرعـــا مـــن منابـــعِ النِّيل كـــأسى واهتفـا بـاسمهـنَّ ثـــم اسقيـانـى[٣]

يـــا نـــديمـــىَّ ، تلـــك ســـاعـــةُ صَفـوٍ سنحـــت ، فـاختلستهـا مـــن زمـانـى

اسقيـــانـــى سُـلافـــةً عُصـــرت مـــن قبـــل خلـــق الكُروم فـــى البُستـــان

خمـــرةً لـــم تَطـــش بلُـــبِّ لبيـــبٍ حُبُّهـــا شُعبـــةٌ مـــن الإيمـــان[٤]

عصـــر النَّـــاسُ كـــلَّ خمـــرٍ . وخمـــرى عصـــرت كـــرمهـا يـــدُ الـــرحمـــن

***

ســـائلاهُ : أبيـــنَ عبـــريـــه مـــاءٌ أم لُجَيـــنٌ ، وعنبـــرٌ ســـائلان[٥]

---

(١) ضمير الغائب فى « سائلاه » يعود على النيل كما يفهم من السياق .

(٢) كنى بابنة النيل عن : الماء ، وكنى ببنت الحان عن : الخمر .

(٣) يدل قوله : « واهتفا باسمهـن » على أن التقديس ليس للماء فى ذاته وإنما هو للماء من أجل منابعه ، والنهرى الذى يجرى فيه ، والوطن الذى يشقه هذا النهر .

(٤) يشير إلى الحديث النبوى « حب الوطن من الإيمان » .

(٥) اللجين : الفضة ، ويريد بالعنبر الغرين الأسمر اللون .

شِيــبَ آذيُّــهُ ؛ فكـــان عقيقًـــا وصفا ؛ فهْـو ذوبُ حبِّ الجُمـان[1]

وَأطـافــت بــه الــريــاحُ رُخــاءً فهْـو حلـم فـى خاطـر الـوسنـان[2]

وأطـافـت بــه الأعـاصيـر هـوجًـا فهْـو طيـشُ الشَّباب فـى عُنفـوان[3]

وسخـا ؛ فهْـو حـاتمـىُّ العطـايـا وطغـا ؛ فهْـو عـارمُ الطغيـان[4]

واستـوى ؛ فهْـو كـالقُـدود اعتـدالاً وثنـى العطف؛ فهْـو من خيـزُران[5]

وتلـوَّى فـى سيــره أفعـونًـا لا يمُـجُّ السُّمـوم كـالأفعـوان[6]

مثلُ صدر الحليم فى الرُّحب . أوْفِى ضيـقِ صـدر المُـدلَّـل الغضبـان[7]

يـردُ النـاسُ حـوضـه أبـد الدهــ (م) ــرِ ، ولا يشتكـى مــن الغضبــان

هــو طــبُّ الجسـوم مـن كـل داءٍ وهْــو طهــرٌ لهــا مــن الأُدران[8]

كـاد أن يغسـل القلـوب مـن الحقــ (م) ــد ، وَيمحـو كـوامـن الأَضغــان

شـقَّ مجـراه ، وابتنـى شـاطئيـه بيــديــه مُهنــدس الأكــوان

أنـا أهــواهُ ؛ مـا سقـى يـانـع الرَّو (م) ض، ومــا بــلَّ غُلَّــةَ الظمــآن

أنـا أهــواه مـا حَيِـتُ ، فـإن مِـتُّ (م) فَحُـوكـوا مــن عُشبـه أكفـانـى

***

---

(١) شيب أذيه : خلط ماؤه بالطمى .

(٢) الرياح الرخاء : اللينة .

(٣) الأعاصير الهوج : الرياح العنيفة .

(٤) حاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى مضرب المثل فى السخاء .

(٥) العطف : الجانب .

(٦) الأفعوان : ذكر الأفعى : وهى الحية الخبيثة .

(٧) يضيق مجرى النيل ويتسع ، حتى لترى الفرق بين بعض أجزائه وبعض فسيح المدى .

(٨) الأدران : الأقذار .

أيها النيلُ، كم لبثتَ ؟ ومن أيـ (م) ـنَ تفجَّرت ؟ ما درى الثقلان !

سابق أنتَ للمجَرَّةِ ، أم أحـ (م) ـدثُ عهدًا ، أم أنتما توءَمان ؟[1]

يا سجلَّ التَّاريخ ، حدِّث بما عا (م) يَنتَ . ليس السَّماعُ مثلَ العيان

كيفَ حاد المؤرِّخون عن القَصـ (م) ـدِ ، وجاءوا بالإفكِ والبُهتان ؟[2]

قد شهدت الإنسان يأوى كُهوفًا ويؤاخى فصائلَ الحيوان

وشهدت الإنسان ينتطحُ السُّحـ (م) ـبَ ، ويَأوى رُفاته الهرمان

حدِّث الناس عن فراعين مصرٍ : كيف بذُّوا الشُّعوب فى البنيان ؟

كيف دانت لدولةِ الفرس مصرٌ ؟ كيف دانت لعاهل اليونان ؟[3]

هات ، يا نيلُ ، ليلةً من ليالى « كِيلبُطرا » وقيصر الرُّومان[4]

حدِّث الناسِ عن بسالة عمرٍو وجنود الفاروقِ فى المَيدان[5]

أَنت، يا نيلُ ، معرضٌ للحضارا (م) تِ ، وشتَّى الشعوبِ والأديان

أفأبصرت كالحنيفةِ دينًا أو رسولاً يحكى فتَى عدنان ؟[6]

***

يا رقيقَ البَنان ، كيف حفرت الصَّـ (م) ـخر بالظُّفر ؟ يا رقيقَ البنان[7]

---

(١) المجرة : ما يرى فى السماء شبيهًا بالنهر .

(٢) الإفك والبهتان : الكذب والزور . يرمى الشاعر التاريخ بالزيف فى كثير مما يرويه .

(٣) عاهل اليونان : الإسكندر المقدونى .

(٤) قيصر الرومان : أنطنيوس صاحب كليوباترة .

(٥) يقصد : عمر بن العاص وعمر بن الخطاب .

(٦) الحنيفة : الشريعة الإسلامية ، وفتى عدنان : النبى محمد ﷺ .

(٧) يقول العلماء : إن النيل شق مجراه فى الصحراء شقًا بمائه ، فكون الأراضى الزراعية التى على جانبيه : « مصر هبة النيل » ، وفى البيت تشبيه للماء بالبنان الرقيق .

كيف دانت لك الهضابُ العواتى ؟ كيف لانت صلابةُ الصَّوان ؟
كيف جُبت الفلا بغير دليلٍ وملأتَ الصَّحراءَ بالعُمران ؟
حوَّلت كِيمَياؤُكَ التُّرب تبرًا ونفَختَ الحياة فى الصَّفوان[1]
ليت شعرى: أساحرٌ بعصاهُ أنت، أم أنت عالمٌ رُوحانى ؟
كم نسجتَ الثيابَ من غير نولٍ ثم وشَّيتها بألف دهان[2]
رُبَّ حقلٍ كسوته بعد عُريٍ فإذا الحقلُ أخضرُ الطَّيلسان[3]
ما بكَت أو غنَّت سواقيك، لكن لك رتَّلن آية الشُّكران[4]
أنت ، يا نيلُ ، فاتحٌ فتحَ المُدْ (م) نَ بغير الحديد والنيران[5]
سائرٌ لا تَحيدُ فوق صراطٍ كقطارٍ يمشى على قُضبان
دائرٌ بين لجَّةٍ وبخارٍ كنجوم السماءِ فى الدَّوران
لك فى الأرض والهواءِ مدارٌ حار فيه مقوِّمُ البُلدان[6]
قرَّبوا الشَّاءَ للسماءِ ، وزُفَّت كلُّ خَودٍ إليك فى مهرجان[7]

---

(١) التبر : الذهب ، الصفوان : الصخر .

(٢) وشيتها : نقشتها .

(٣) الطيلسان : نوع من الثياب .

(٤) حسن تعليل لما يسمع من صوت السواقى على جانبى النيل .

(٥) يقصد الشاعر موازنة بين: فتح النيل للمدائن ، وفتح الغازين لها بالحرب .

(٦) مقوم البلدان : عالم الجغرافيا . وفى هذا البيت وما قبله وصف للدورة المائية التى يدورها النيل : ماء من البحر يستحيل سحابًا ، ثم سحاب يسقط مطرًا فيكون ماء النهر ، ثم يصب النهر فى البحر ، وهلم جرا .

(٧) الشاء : الغنم ، الخود : الفتاة الحسناء ، يقول : إن القرابين تقدم للآلهة من لحوم الأغنام ، ولكنها تقدم إليك من الغوانى الحسان . والبيت يشير إلى : عروس النيل التى كانت تقذف فيه كل عام .

ليت شعرى : أأحسنوا لك صُنعًا ... أم أساءوا بذلك القُربان ؟

أقلوبُ الأربابِ مثلُ قلوبِ الـ (م) ـنّاسِ تعوى فواترَ الأجفان ؟[1]

***

فيك حيَّتْ كلَّ ذاتِ شراعِ ... تتهادى تهادىَ النَّشوان[2]

وبناتِ البُخار إذْ هى تعدو ... عدوَ خيلِ الطِّراد يوم الرِّهان[3]

الجوارى روائحٌ ، وغوادٍ ... فيك يرقُصن كالجوارى الحسَان[4]

أَرسلَ الفُلكُ فى الفضاء صفيرًا ... رنَّ فى مسمعى رنينَ الأذان[5]

ومشى يَمخرُ العباب ويُلقى الـ (م) ـموجَ سُكانهُ على الشُّطآن[6]

فإذا الموجُ فوقها يترامى ... كترامى الولدان فى الأحضان

رقصت موجةٌ وغنَّتْ سواها ... بخريرٍ منغَّم الألحان

قلتُ ـ والموجُ راقصٌ ومُغنٍّ ـ : ... ليت شعرى أذاكَ حفلُ قران ؟

وتهادى النسيمُ ألينَ مسًّا ... من رفيف النَّدى على غُصنِ بان

وتوالت على العُيون المرائى ... مُرهفاتٍ للحسِّ والوجدان

صُورٌ تبعثُ التأمُّلَ والشِّعـ (م) ـرَ ، وتُوحى بروائعاتِ المعانى

---

(١) كنى بفواتر الأجفان عن : الغوانى الحسان .

(٢) كنى بذات الشراع عن : السفن الشراعية .

(٣) كنى ببنات البخار عن السفن البخارية ، الطراد : السباق .

(٤) الجوارى الأولى : السفن ، الجوارى الثانية : الفتيات . كما هو واضح من سياق البيت .

(٥) كان سفر الشاعر ذهابا من الشلال إلى حلفا بالباخرة .

(٦) يمخر : يشق ، سكان السفينة : دفتها .

وشُخوصٌ تلوحُ إثر شخوصٍ كرسُومٍ فى لوحةِ الفنَّان

وكأنَّ الهضاب تومى إلينا بتحايا الإخوانِ للإخوان

وتكادُ الأشواقُ تدفعُ بالفُلـ (م) ـكِ وتَحتلُّ موضع الرُّبَّان[1]

أيها الفُلك، إن بلغتَ بنا السُّو (م) دَانَ، فاهدأْ، فقد بلغنا الأمانى[2]

***

بلدٌ قاته وقاتَنِىَ النِّيـ (م) ـل، ورَوَّاهُ مثلما روَّانى

جمعتنى به شريعةُ طه وهداهُ منهاجُها، وهدانى

بلدٌ ردَّدت ليَاليه شعرى وشجاها من لحنه ما شجانى[3]

نحنُ خلاَّنِ. رُبَّ روحٍ وروحٍ فى سماءِ القريضِ يَلتقيان

رشفةٌ من منابع النيل تُربِى حسناتى فى كِفَّةِ الميزان[4]

ووقوفى بهنَّ يمحُو الخطايا ويجبُّ الذنوب بالغفران[5]

أتُرانى فى موسم الحجِّ يَمَّمـ (م) ـتُ حماكم أطُوفُ بالأركان؟[6]

أم ترانى حسِبتُ زمزم يجرى ماؤها، حيثُ يلتقى الرَّفدان؟[7]

---

(١) يريد: أن حر الشوق كاد يكفى لتوليد البخار الذى تسير به السفينة.

(٢) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول الشاعر:

وإذا المطى بنا بلغن محمدًا فظهورهن على الرجال حرام

(٣) وجد الشاعر شعره محفوظًا مرددًا، يتغنى به فى أرجاء السودان.

(٤) تربى: تنمى وتزيد.

(٥) يجب: يمحو ويقطع.

(٦) صادف موعد الرحلة موسم الحج.

(٧) الرافدان: هما النيل الأزرق والنيل الأبيض، وهما يلتقيان فى مدينة الخرطوم.

ربَّ مغنًى من بين تلك المغاني جلَّ ، حتى أجلَّهُ الحرمان[1]

جيرةَ النيل ، أرضكم فوق ظهر (م) الأرض نفحٌ من جنَّةِ الرِّضوان

سُحبٌ دَمعها يسيلُ سجاما يَا لدمع يجرى بلا أحزان !

أمَّةٌ أمُّها الطبيعةُ ، والنِّيـ (م) ـل أبوها ، الأبُ الأبرُّ الحاني

وشُعاعٌ تزجيه شمسٌ ضحوكٌ ذاتُ دلٍّ ومبسمٍ فتَّان

وكنوزٌ لم يُكشف الستر عنها وأراضٍ عذراءُ غيرُ عوان[2]

أيها النيل ، إنَّ شطك رمز الخُلـ (م) ـد فى ذلك الوجودِ الفاني

أيها النِّيل ، حول شطك شعبٌ يتحلَّى بسمرة الأبدان

ذو خصالٍ مثلِ القواضيب بيضٍ ووجوهٍ فى سمرة المُرَّان[3]

سمرةُ اللون فى محيَّاه تُزرى باخضرار الرياض فى « نيسان »[4]

ولوَ انَّ القلوب صارت وجوهًا كنتمو كالبدور فى الألوان

علَّم السُّحبَ جودُكم كيف تهمى وأمدَّ النيلين بالفيضان[5]

من أياديك ـ يا زمانُ ، وما أنـ (م) ـدَرَها ! ـ رحلتى إلى السودان

أنا فيه فى منزلى وعشيرى آنسٌ بالمكانِ والقُطَّان[6]

شرُّ ما تُبتلى به نفسُ حرٍّ غربةُ الحرِّ ، وهْو فى الأوطان[7]

---

(١) المغنى : المقام .

(٢) العوان من النساء : ضد العذراء .

(٣) القواضب : السيوف ، المران : الرماح .

(٤) نيسان : من أشهر الربيع .

(٥) النيلين : الأزرق والأبيض .

(٦) القطان : السكان .

(٧) كانت الزيارة فى عهد الاحتلال لمصر والسودان كليهما .

إنَّ مصــرًا وإنَّ ســودانَ مصــرٍ   فــى رضــاعٍ وفــى دمٍ أخــوان[1]
وهمــا ــ منذُ كَّون اللهُ هــذا الكــ (م) ــونَ ــ شعــبٌ ولا أقــول اثنــان
ربــط الله بيننــا بــربــا طَيْــ   نِ وثيقيــن: الضّــادِ، والقُــرآن
لــن يَحُــلَّ الإنسانُ مــا عقــدتــه   قــدرةُ اللهِ خــالــقِ الإنســان

غــرام يــزيــد

١

أهدى الشاعر نسخة من روايته: «غرام يزيد» إلى المرحوم: دسوقى (باشا)، فبعث إليه بالأبيات التالية:

« غــرام يــزيــد » تــزيــدُ الغــرام   بمَن صاغَ تلك القــوافى الحِسَان[2]
ومــا هــى نظــمٌ، ولكنَّهــا   خــرائدُ بــذَّت عقــودَ الجُمــان[3]
ملكتَ ــ بحقٍّ ــ عنان القــريضِ   وأعجــزتَ صفــوة أهــل البيــان
ومــن ذا يطــاولُ منهــم فتــى   بليــغَ اليراعــةِ، عذبَ اللســان ؟
لــك اللهُ مــن شــاعــرٍ مُبــدعٍ   إذا قــال أصغــى إليــه الــزمــان !
تعــالَ نفــاخرْ بــك النَّــاظميــنَ   ويُــزْهِ بــأشعــارك المَشــرقــان

إبــراهيم دســوقــى أباظــة

---

(١) يقصد بأخوة الرضاع: الاشتراك فى ماء النيل، وبأخوة الدم: اتحاد العنصر الذى انحدر منه الشعبان.

(٢) جملة: «تزيد الغرام»: خبر «غرام يزيد»، على معنى رواية.

(٣) خرائد: جمع خريدة وهى اللؤلؤة لم تثقب.

غرام يزيد

٢

وهذا هو رد الشاعر ، وكلاهما نشر بالصحف - إذ ذاك -

قريضُك يرفعُ شأن القريض ... ويُنزلُهُ فى أعزِّ مكان

لقد كسب الشُّعراءُ زميلاً ... يُشارُ إلى مجده بالبنان

فما عاد يشكو الأسى شاعرٌ ... ولا عاد يندب جور الزَّمان

« دسوقىُّ » ، لو لم تسد بأبيك ... وجدِّكَ ، سُدت بسحر البيان

تفرد كلُّ فتى ماجدٍ ... بحُسنى ، وتمَّت لك الحُسنيان

توالت علىَّ أَياديك ، تترى ... ومالى - بتلك الأيادى - يدان ![1]

(١) تترى : متتالية ؛ أصلها وترى ، وهى اسم لا فعل كما يتوهم ، ما لى بالأمر يدان : لا أقدر عليه .

مثـــل التـــلال

أبيات تمثل غير قليل من كبار الموظفين

مثــلَ التّــلال تَــراهمو أو أضخمــا | لكنهـم فـوق الأرائِكِ كــالـدُّمى[1]
كُبــراءُ ، لكـن لا يُجيــد كبيرهــم | مــن أمـره شيئًــا ســوى أن يَبصُمــا
حــاكٍ يُجيــدُ النّقــلَ ، إن أسكتَّــه | يسكُت ، وإن فُتحَ الصِّمامُ تكلما[2]
يفنــى فنــاءً شخصُــه فــى غيــره | حتــى لتحسبــهُ يسيــرُ مُنــوَّمــا
سبحــان ربِّــى ! كـم حمــارٍ يُمتَطى | ويقـولُ : إنــى مـن ســلالـةِ آدمـا !

---

(١) الأرائك : يراد بها الكراسى التى يجلس عليها هؤلاء الموظفون .

(٢) يشبهه بالحاكى الذى يتكلم حين يملأ ، ويسكت إن فرغ ، فى أنه إن حفظ شيئًا من بعض مرءوسيه كان عنده ما يقوله ، وإلا فلا .

نشيد

المعهد العالى للتربية الرياضية

طُلب هذا النشيد من الشاعر ، فنظمه .

إلـى الأمـام ، سـر إلـى الأمـامِ أسـودُ بـالتـدريـب والنظـامِ

لـى عـزمَـةٌ قُـدَّت مـن الأهـرامِ سِـرُّ الحيـاةِ : صحَّـةُ الأجسـامِ

إلـى الأمـامِ سـر إلـى الأمـامِ

***

نحـن الـرجـالُ ، نُنبـتُ الرِّجـالاَ نحـن الـذيـن نُنشـىءُ الأجيـالا[1]

علـى يـدينـا نصنـعُ الأبطـالاَ إنَّـا نُـربـى للحمـى أشبـالاَ

كيمـا يصُـونـوا حُـرمـةَ الآجـام

إلـى الأمـامِ سِـر إلـى الأمـامِ

***

نَبنـى العقـولَ للحمـى بنـاءَ وبـالنَّشـاطِ نُـرهِـفُ الـذَّكـاءَ[2]

ونغـرسُ العـزَّةَ والإبـاءَ بـالـوثْـبِ والتَّمـريـن نغـزو الـدَّاءَ

ونُعلـنُ الحـربَ علـى السِّقـامِ

إلـى الأمـامِ سـر إلـى الأمـامِ

***

---

(١) يخرج المعهد معلمين للرياضة البدنية .

(٢) نرهف الذكاء : نجعله حادًا ؛ سريع الفهم .

سلاحُنا رياضةُ الأبدانِ دُروعُنا من قُوَّةِ الإيمان
أخلاقُنا متينةُ البنيانِ باهِى بنا ، يا أمَّةَ العُربان

فنحن جُندُ الحرب والسَّلامِ
إلى الأمامِ ، سِر إلى الأمامِ

***

للعلم نحن والعلا جنودُ بعزمِنا أوطانُنا تَسُودُ
بالروح فى سبيلها نَجُودُ يا أمَّةَ العُربِ ، لك الخلودُ

لجُندِكِ النصرُ على الدوامِ
إلى الأمامِ ، سِر إلى الأمامِ

***

أغنية عيد العلم

أنشئت ، بناء على طلب من وزارة التربية ، وقد لحنت وغنيت .

يا شبابَ النِّيلِ ، حيُّوا موكِبا لاح نورُ العلم فيه كوكبا
نَشأَ العلمُ بمصرٍ ، وحبا وهْو طفلٌ فى ظلال الهرم

***

يا بُناةَ النَّشء ، يا نعمَ البُناه مصرُ تُحنى للمربينَ الجباه
إنَّ نورَ العلمِ من نورِ الإله جلَّ من عظَّمَ شأنَ القلم (١)

***

(١) عظم الله شأن القلم إذ أقسم به : « ن والقلم وما يسطرون » .

حلَّ عيدُ العلم ، والوادى الأمين شامخُ العزَّةِ ، مرفوعُ الجبين

رافلٌ فى حُلَل النصرِ المبين عاش جيشُ النيل حامى الأجَمِ[1]

***

أيها العلمُ ، أنر كلَّ سماءِ وانطلق فى كلِّ أرضٍ بالرَّخاءِ

كن بهذا الكونِ عُنوانَ الإخاءِ ورسولَ السِّلم بين الأمَمِ

***

اسلمى، يا مصرُ ، يا سرَّ الوجود ما بناكِ اللهُ إلاَّ للخُلود

ما برا شعبك إلا ليَسود أنتِ مهدُ الفنِّ مُنذُ القدمِ

***

قسمًا بالنيلِ فى وقتِ السَّحر وعلى أمواجه لاحَ القمر

والنَّسيمِ الرَّطبِ يهفُو بالشَّجَر لا فديتُ النيلَ إلا بدمى

***

يا شبابَ النِّيل ، حيُّوا موكبا لاح نُور العلم فيه كوكبا

نشأ العلمُ بمصرٍ وحبا وهْو طفلٌ فى ظلالِ الهرم

***

---

(١) كان ذلك عقب الانتصار فى موقعة بور سعيد .

نشيد عيد العلم

أنشىء هذا النشيد ـ أيضًا ـ بناء على طلب
من وزارة التربية ، وقد لحن ورتل .

في مهرجان العلم ، يا مصرُ ، اطربي
يا معقل العلم ، وحصن الأدب

يا مصرُ ، يا كنز علوم العرب
بشراكِ بالعهد الجديد الذَّهبي[1]

***

بالعلمِ قد شَيَّدتِ ركنَ الهرم
وأنتِ مهدُ العلم منذُ القدم

أنت نشرت الفن بين الأمم
في كلِّ مشرقٍ وكلِّ مغربِ

***

شبابَ مصرَ ، يا مناط الأملِ
تزودوا بالعلم للمستقبلِ[2]

العلمُ في الحرب سلاحُ الأعزلِ
والعلمُ في السلم أعزُّ مطلبِ

***

يا مصرُ ، في عيد العلوم قدِّمي
إكليلَ غارِ النَّصرِ للمُعلِّمِ

قولي له : يا مُنشِىءَ الجيل ، اسلم
يا خير قائدٍ ، ويا أحنى أبَ

***

عيدَ العلومِ ، بالسَّنا تألَّقِ
على سناك الشرقُ طرًّا يلتقي

يا مصرُ ، لوحي في سماءِ المَشرق
كوكبَ علمٍ فوق كلِّ كوكب

***

---

(١) يقصد بالعهد الذهبي : عهد الثورة الذى أحدث انقلابًا تقدميًا فى نظم التعليم .

(٢) مناط : معقد .

في مهرجان العلم

ألقيت في أحد الاحتفالات بعيد العلم .

عيدٌ تـألَّقَ : لا شمسٌ ، ولا شهب ... لكن كـواكبهُ : الأقـلامُ والكتُـبُ
والعلـم روحٌ من الـرحمن مُقتبسٌ ... ونـورهُ مـن ضيـاء الله مكتسـبُ
النشءُ فـي مهرجـان العلـم مبتهـجٌ ... كـأنـه طيـرُ روضٍ هـزَّه الطَّـرب
همو طيورُ الحمى فـي يومهم ، وغدًا ... همو ليوثٌ ؛ إذا ريـعَ الحمى ، وثبُوا
يـا بـاركَ اللهُ فـي دورٍ تُظلُّهمـو ... كـالـروض ينبتُ فيهـا العلـمُ والأدب
تنمـو الكـرامـةُ فيهـا والإبـاءُ ، كمـا ... ينمـو علـى الشَّجـر التُّفـاحُ والعنـب
كتائبُ النَّشءِ جيش للحمـى لَجبُ ... وكـلُّ معهـد علـمٍ معقـلٌ أَشـبُ [1]
يـا بـاركَ اللهُ فـي مصـرٍ جهـابـذةً ... يُعطون من دمهم للنَّشء ما طلبوا [2]
تبنـى لمصرَ ـ بلا منٍ ـ سواعدُهـم ... جيـلاً إلـى الشرق والإسـلام ينتَسب
للعلـم والـوطـن الغـالـى مـواهبهـم ... تُهدى . ولـو سُئلوا أرواحهـم ، وهبوا
جُندٌ ، إذا مـا دعا داعـى الوغـى برزوا ... لكن إذا قُسِمت أسـلابها احتجبوا [3]
قـل للمعلِّـم : قـد أدَّيـت مـا يجـبُ ... حسبُ المعلِّم ـ فخرًا ـ : ذلك اللَّقَب

---

(١) الجيش اللجب : الكثير الجلبة ؛ ناية عن كثرة عدده ، المعقل الأشب : الملتف الكثير الثنايا ؛ كناية عن حصانته .

(٢) جهابذة : علماء أعلام ، ويقصد بهم : المعلمين .

(٣) نظر في هذا البيت إلى الحديث الشريف : « إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » .

يهنى الكنانـةَ : أنَّ النصرَ حـالفاهـا كما تحـالف فيها : المجـدُ والحسب[1]

حَـلَّ الغُـزاةُ بـواديهـا ؛ فمـا كَسبُـوا غيـرَ الدَّمـار وغيـرَ العـار ، فانسحبـوا

فـى كـلِّ مُعتـركٍ خـاضتـه كـان لهـا يـومَ اللقـاءِ علـى أعـدائهـا الغلـب

تكشَّفتْ فى الوغى عن صدق معدنها لا يَصدأُ المعدنان : الماسُ ، والذَّهب

عهـدٌ مـن العلـم والعـرفـان ظلَّلَهـا مِن عـالَم الغيـب ترنـو نحوهُ الحِقـب[2]

فـى كـل شـرقٍ شعاعٌ مـن ثقـافتهـا الشـرقُ دائرةٌ ، مصـرٌ لهـا قُطُـب

الشـرق صرحٌ ، سَمَـا مصـرٌ دعامتُـهُ الشّـرق جسمٌ ، نمـا مصـرٌ له عصـب

كنـــانـــةُ اللهِ صـــانَ اللهُ رايتَهـــا خفَّـاقَـةً يلتقـى فـى ظلِّهـا العـرب !

---

(١) كان ذلك عقب العدوان الثلاثى .

(٢) يقصد : عهد الثورة ، وما أحدثه من حركات تقدمية ، فى عالم الثقافة .

موظف بلا مأوى

بعث بها إلى صديقه الأستاذ: طه النمر ، وكيل وزارة التربية ، حينما رقى مفتشا أول بالتعليم الثانوى ، وذهب إلى الديوان ، فلم يجد له مكتبًا .

طه ، فديتك من أغرَّ ، همام　　طلْقِ المحيا ، مشرقٍ ، بسَّامِ !
إنَّ النمورَ تَتيهُ باسم سميِّها　　طَهَ على الآسادِ فى الآجام
يا راعىَ الفُصحى ، ومُكرمَ أهلها　　وهمو أحقُّ الناس بالإكرام
الضّادُ فى الديوان ضاعَ رجالها　　بين المكاتب ضَيعةَ الأيتام
وتكدَّسُوا فى غرفتين تكدُّسًا　　فكأنهم عقدٌ بغيرِ نظام[1]
ولقد نُقِلتُ ، فلم أجد لى مكتبًا　　يا ضيعةَ الأوراق والأقلام !
طالت بأبواب المكاتبِ وقفتى　　فتورَّمت من وقفتى أقدامى
كم مكتبٍ خالٍ جلستُ وراءهُ　　فإذا بصاحبه يلوحُ أمامى !
فأقوم أسترقُ الخطا ، وكأننى　　لصٌّ تسلَّلِ تحت جُنح ظلام
أنا ضيفُ طهَ . هل يبيتُ مشرَّدًا　　ضيفٌ ألمَّ بمحسنينَ كرام ؟
أُمنن علىَّ بغُرفةٍ ، وبمكتبٍ　　يتناسبان مع ارتفاعِ مقامى
فإذا أبيتَ ، فسوف أصبحُ عاطلاً　　وأعيشُ طولَ العُمر فى استجمام !
وإذا فعلتَ ، أصبتَ أجرَ مجاهدٍ　　وثواب ألفَىْ : حَجَّةٍ ، وصيام

(١) كان ذلك فى الوضع القديم قبل أن ينقلوا إلى مكانهم الحالى .

أيها النشء

تعلَّمُوا فـى ربيع العُمرِ ، واقتنصُوا مـن كـل سفـرٍ مفيـد خيـرَ مـا فيـه

وحصَّلوا ، إنمـا التحصيلُ فـى صِغرٍ نقش علـى الصخر لا يمحوه مـاحيه

الشَّعـبُ إن ينتصرْ بـالعلـم ينصـرُهُ والشعبُ إن يـدَّرع بالعلـم يحميه[1]

قـل للفَتاة : لقـد أصبحـتِ فى زمـنٍ للسِّتـر والخـدر لـم تُخلـق غـوانيـه

سيـرى جـوار الفتى فـى كـل معتـركٍ وفـى مجـالِ العلا والعلـمِ بـاريـه[2]

إنَّ الحمـــى بفتـــاه والفتـــاةِ معًـــا كُـــلٌّ عليـه لـــه ديـــنٌ يـؤديـــه

الطفـلُ يرضـعُ مـن أخـلاقِ مُرضعـهِ قبـل اللِّبانِ التـى تنصـبُّ فى فيـه[3]

مـا أنتجـت أُمَّـة مـن أهلهـا بطـلاً إلا ومـــن خلفـــه أنثـــى تـربيَّـــه

---

(١) ينصره ، ويحميه خبران ، لا جوابا شرط .

(٢) باريه : نافسيه .

(٣) المرضع (بلا تاء) : وصف للأنثى .

من الشعر الرمزى :

قيادة الدب

شاهدتُ فى الغاب قطعانًا من البقرِ عيونها كعيون الغيد فى الحوَرِ [1]

يقودها الدُّبُّ ، لا كانت قيادتهُ إلى المخاطر باسم الماءِ والثمر

فضلَّت السُّبْلَ . ما من حفرةٍ نهضت إلا لتسقطَ فى أخرى من الحُفر

حتى انثنى الرَّكبُ : لارِيٌّ ولا شبعٌ وكيف يهدى بصيرًا زائغُ البصر ؟[2]

آمنتُ بالله ! كم بين الورى نفر أمسى يقُودُهُموُ دبٌّ من البشر !

فى فنجان

ارتجلهما فى مكتب السيد وزير التربية :
احمد نجيب هاشم ، فى إحدى زياراته له .

قد زرتُ مكتبَ أحمدٍ ، فسقانى سمراءَ ، تحكى أعيُنَ الغِزلانِ

أنا ما ظفرت بقهوةٍ من أحمدٍ لكن شربتُ العلمَ فى فنجانِ

---

(١) فى هذا البيت : قلب الشاعر التشبيه ، فالعادة : أن تشبه عيون الغيد بعيون البقر .

(٢) زائغ البصر : حائد البصر : كناية عن العمى .

ترقيـة شـاعريـن

١

إلى صديقى الشاعر المبدع الأستاذ : محمود غنيم .

فيـمَ تقضـى الحياة كـدحًـا وتشقـى ... يا صديقى ، والجهلُ خيرٌ وأبقَى ؟(١)

طلِّـق الكُتْـب واليـراعَ ؛ لنطـوى ... فـى نعيـمٍ مـن عُمـرنـا مـا تبَقَّـى

واهجُـر النَّثر والقـريـضَ جميعًـا ... فلقـد كـان كـلُّ ذلـك حُمقـا

إنهـا خـدعـة ؛ بهـا كـم خُـدعنـا ... وسـراب كنّـا حسبنـاه صدقـا(٢)

كـم نظمنـا قـلائدًا لبنـى الضَّـا (م) د ، فسارت فـى الأرض غربًـا وشرقـا

وهـززنـا اليـراعَ ، نعصـفُ بـالظلـ (م) ـم ونـأْبَـى لمصـرَ أن تُستَـرقَّـا

وبعثنـا الغنـاءَ فـى فـرح الشـر (م) قِ ، فـراق الغِنـاء حسنًـا ورقَّـا

عبثًـا يطلـبُ الغـريـبُ قـراراً ... أو يـرجِّـى الأديـبُ فـى الشَّـرق حقـا

يـا زميلـى فـى الأقـدميـةِ والجهـ (م) ـل ، هنيئًا بالجهـل ، أحرزتَ سبقا !

محمود الخفيف

---

(١) الكدح : الإجهاد .

(٢) السراب : ما يتراءى فى الصحراء كالسحاب ، ثم لا يمطر .

ترقية شاعرين بالأقدمية

٢

رد على الشاعر المبدع الأستاذ: محمود الخفيف .

يا زميلى ، فى الأقدميَّةِ ، سُحقًا ... لاختيارٍ لا يمنحُ الكفء حقًّا

نحنُ ما عقَّنا التَّخطِّى اختيارًا ... لا ، بل العدلَ والكفاية عَقَّا !

نحن بالعِتق ، يا صديقى ، ترقِّيـ (م) ـنا ، وأغلى المدَام أو غلُ عِتقا[1]

أسِوانا بزُبدة الكأسِ يحظَى ... وكلانا من فضلة الكأس يُسقى ؟

علمَ الله ، أنَّ هذا اختيارٌ ... سرُّهُ غاب عن ذكائى ودقّا

أيها السابقُ المجلِّى ، عزاءً ... إنْ رأيتَ العرجاء تُحرزُ سبقا[2]

حسبكُ العلم والقوافى إذا الرز (م) قُ تخلَّى . أليس ذلك رزقا ؟

أنت لا تَلثَمُ الأكفَّ نهارًا ... أو تدقُّ الأبوابَ فى الليل دقّا

إنّ باب الرقىِّ فيه انخفاضٌ ... ينحنى فيه رأسُ من يَترقَّى

---

(١) أوغل : أبعد وأعمق .

(٢) المجلى : هو الجواد الأول فى السباق .

حتام تنحسنى ؟

ثم رشح كلاهما للدرجة الأولى ، فوقفت الحركة ، فقال :

يا ابن الخفيف خَفَفْتَ عقلاً ، لا دمًا — حتام تنحسُنى ، فأحيا مُعدما ؟
منذُ اندرجتَ معى بكشفٍ واحدٍ — لم يلقَ فى الدنيا غنيمٌ مغنما
لو أنَّ صاروخًا أقلَّك مرَّةً — فنزلتَ بالقمرِ المنيرِ لأعتما

سلوا الدرجات

ثم طال وقوف الدرجات ، فقال :

سلوا الدَّرجاتِ عن سرِّ الوُقوفِ : — أعَاقَ صدورَها نحسُ الخفيف ؟
حلفتُ لوَ أنّ شمسَ الأفق يومًا — به ابْتُليَت لباءت بالكسوف
ألا مَن يَبلغُ الوكلاءَ عنى : — أزيلوا اسم الخفيف من الكُشُوف ؟[1]

---

(١) يقصد : وكلاء الوزارة ، أعضاء لجنة شئون الموظفين .

ماذا سنخسر ؟

ثم وزعت الدرجات ، فأخطأتهما الترقية ؛ فأنشد الأستاذ : محمود الخفيف المصراع الأول ، فبنى الشاعر عليه .

مِنَ الـدَّرجات ، يا محمودُ ، فـاسخَر فمـاذا ـ إنْ فقـدناهـا ـ سنخسَـر ؟

إذَا كنَّـا نعـانـى اليـومَ فقـرًا فـإنَّـا بعـدهـا ، يـا صـاحِ ، أفقـر

أتأسفُ ، يا خفيفُ ، على قـروشٍ تجـودُ على السعـاة بهـا وأكثـر ؟

ولستَ بـدونهـا ستمـوتُ جـوعًـا ولسـت بهـا ستلبـسُ تـاجَ قيصـر

ومـا رفعـت لنـا الـدرجـاتُ شـأنًـا كـلانـا مـن شُعـاع الشمـس أشهـرَ

أرى النَّكِـرتِ بـالـدَّرجـاتِ أولـى فَـرَقُّـوا كـلَّ مغمـورٍ ؛ ليَظهَـر[1]

دع الدَّرجـاتِ ، يَا محمـودُ ، يحظَى بها الجُهَـلاءُ من قُـرَّاءِ « شَرشَـر »[2]

---

(١) المغمور : ضد النابه المشهور .

(٢) شرشر : كتاب موضوع للمبتدئين فى تعلم الهجاء .

ما تعطي غداً ؟

ثم منحا الدرجة الأولى معًا ، فارتجلا هذه الأبيات ، يشكران بها السيد الوزير .

قــلْ للــوزيــر أحمــدا : طَهُــــرتَ قلبًــــا ويــــدا

وكنــتَ رمــزًا يــا نجيــ (م) ــبُ للــوفــاءِ والنَّــدَى

رفعــتَ قــدرَ شعــرنــا حتــى بلَغنــا الفَــرقــدا[1]

أعطيتنـــا معًـــا ولـــم تُعـــطِ غنيمًـــا مفـــردا

إنَّ غنيمًـــا ، والخفيـــ (م) ـــفَ : خَبَـــرٌ ، ومُبتـــدا

شكـــرًا ، ولا نقـــولُ قـــد أبطـــأتَ أو طـــال المـــدى

اليـــومَ قـــد أعطيتَنَـــا الْـــ (م) أُولـــى، فمـــا تُعطـــى غـــدا ؟

(١) الفرقد : نجم معروف .

موكب الربيع

فازت هذه القصيدة بالجائزة الأولى ، فى إحدى مسابقات الإذاعة .

حمـل النسيـمُ رسـالـةَ الأزهـارِ وأذاعَ سِّـر الـرّوضـة المعطـارِ [1]

وسرى يُداعبُ صفحةَ الأمواجِ فى سَـربـانِـه ، وذوائبَ الأشجـار

ويطوفُ بالوجنـاتِ قُبلةَ عاشقٍ ويدُّب فى الأوصال كأس عُقار [2]

حىِّ الربيع ، وحىِّ عِطرَ نسيمهِ والثُم جبينَ الصبحِ فى « آذار » [3]

***

صحت الطبيعةُ بعد طُول هُجوعِها صحْو العُروسِ على صَدى « قِيثار » [4]

ونَضَتْ ستائرَ مخدعيها ، تشتكى من طولِ ليلٍ ، واحتجاب نهار [5]

وجلا مفاتنَها الربيعُ كأنما هى دميةٌ عرضت على الأنظار

حتى إذا اتَّقَت العُيونَ ، تلفَّعَت من دوحها ومُروجها بإزار [6]

***

(١) رسالة الأزهار : شذاها وعبيرها ، وسر الروضة كذلك .

(٢) العقار : الخمر .

(٣) آذار : من شهور الربيع .

(٤) الهجوع : النوم .

(٥) نضت الستائر : كشفتها . شبه الطبيعة بغانية كانت نائمة فى فصل الشتاء ، فلما جاء الربيع أيقظها ، ففتحت منافذ مخدعها لاستقبال النور شاكية من طول ليل الشتاء ، واحتجاب نهاره بالغيوم .

(٦) فى البيت : حسن تعليل ؛ لا خضرار المروج فى الربيع ، واكتساء الأشجار بالورق .

عيدُ الطبيعةِ يَحتفى وحشُ الفلا ... بحلوله ، والطيرُ فى الأوكار

الحُسنُ فيه بكلِّ شىءٍ ماثلٌ ... حتى الصُّخورِ الصُّمِّ ، والأحجار

لقط الربيعُ الطَّيفَ ثم طلى به ... أزهارهُ فأَخذنَ بالأبصار[1]

واصطادَ درَّ البحر ثم أذابَه ... طَلاًّ يسيلُ على فَمِ النُّوار

الطيرُ يهتفُ فيه فوقَ غُصونه ... فتُجيبُ وسوسةُ النَّمير الجارى

والغُصنُ مالَ على أخيه هامسًا ... همس الأحبَّةِ فيه بالأسرار

هو ناصبُ الأسلاكِ إن وصل الهوى ... بين القلوب ومرسل التيار[2]

هو للصبابةِ كلَّ عامٍ موسمٌ ... هو معرضٌ للخُرَّدِ الأبكار[3]

أوما رأيتَ البحرَ فيه كأَنَّما ... لاحت تَوائمُه بغير محار ؟[4]

الغيدُ تسبحُ أو تميسُ بشطِّه ... أسراب آرامٍ بغير نفار[5]

والرمل يكتنف المياه ، كأنما ... هى فضَّةٌ محفوفة بنُضار

***

رَكبُ الربيع بدت طلائعه لنا ... قم ، نَسرِ فى ركبِ الربيع السارى

قُم ، نسر فيه فراشتين بربوةٍ ... يتلمَّسان مشارق الأنوار[6]

---

(١) الطيف : هو ما يرى فى السماء عند المطر والبرق عادة على هيئة شريط مختلف الألوان « قوس قزح » .

(٢) شبه صلة الهوى بين القلوب بالكهرباء ، وجعل الربيع هو ناصب أسلاك هذه الكهرباء ومولد التيار .

(٣) الخرد : جمع خريدة وهى الفتاة العذراء .

(٤) التوائم : اللآلىء : شبه الفتيات المستحمات .

(٥) آرام : ظباء ، من عادة الغزال النفار ، ولكن هؤلاء لا ينفرن .

(٦) يبحث الفراش عادة عن الضوء .

قـم ، نَسـرِ فيـهِ بُلبُليـن بـأيكـةٍ ... يتطـارحـان السَّجـعَ فـى الأسحـار

دنيـا الهـواءِ تشوقنـى أرجـاؤهـا ... إن لاح لـى سِـربٌ مـن الأطيـار

فـأُحسُّ نفسى أفلتـت مـن قيـدهـا ... ومضـت محَلِّقَـةً بـريـش هـزار

ما أنـتَ ، يا طيـرَ الغُصون ، مطـوَّقٌ ... بـل أنـت عـاهـلُ دولـةِ الأحـرار[1]

إنـى لتـرهـفُ فى الـربيـع مشـاعـرى ... ويَـدِقُّ حسِّـى دِقَّـةَ الأوتـار[2]

ويُمـدُّ وجـدانـى تـألُّـقَ شمسـه ... بحـرارةٍ تَنسَـاب فـى أشعـارى

ويـزيـدُ فيـهِ بـالجمـال تَـدَلُّهـى ... إنِّى امرؤٌ ، حبُّ الجمال : شعارى[3]

ويطيـب لـى معنى الحيـاة بـه ، وإن ... تكُـن الحيـاةُ كثيـرةَ الأوزار[4]

***

قم ، يا خليلى، نسرِ فى جُنح الدُّجى ... الـروضُ كـاسٍ ، والنجـومُ عَـوار[5]

السُّحُبُ تحتَ النَّجم مثـلُ غـلائلٍ ... شفَّـافَـةٍ فـوقَ المـلاحِ قِصـار

بـدت الكواكـبُ من خِـلالِ بياضها ... تحكـى وجـوه رواهـبِ الأديـار

***

قم ، نَسـرِ حَولَ الرِّيف يطفـحُ وجهُهُ ... حُسنًـا ، وحسـنُ الرِّيـفِ غيـرُ مُعـار

فنـرى حقـولَ القمـح تَنفَحُهـا الصَّبـا ... فتمُـوجُ مـوجَ المـاءِ فـى الأنهـار[6]

---

(١) يطلق على الحمام ونحوه لفظ : (مطوق) وهذا اللقب يطلق على الأسير .

(٢) ترهف : تشحذ .

(٣) التدله : زيادة الوجد .

(٤) الأوزار : الأثقال .

(٥) يقول : الرياض مورقة ، والسماء صاحية .

(٦) الصبا : ريح لينة .

والنخلَ يحمــلُ فــى يــديــه مِظَلَّــةً ... للــزّهــو ، لا للقيــظ والأمطــار[1]

والبَــطَّ يسبَــحُ شــارعًــا أعنــاقــه ... كــزوارقٍ خضــراءَ ذاتِ سَــوار[2]

والحانيــاتِ علــى الغديــر حــواسرًا ... عــن كــل ذيــلٍ طــاهــرٍ معثــار[3]

يــا رُبَّ تبــرٍ فــى التــراب وجــرةٍ ... وُضعــت علــى رأسٍ مكــان الغــار[4]

***

متّــع فــؤادَك بــالــربيــع ؛ فــإنــه ... لحــنُ الــزمــانِ ، وبسمــةُ الأقــدار

إنَّ الــرَّبيــعَ هــو الحيــاةُ ، وســرُّهــا ... لــولاه لــم نحــرص علــى الأعمــار

---

(١) للزهو : للعجب ، لأن الزمن ليس زمن حر أو مطر .

(٢) شارعًا : مادًّا ، سوار : جمع سارية .

(٣) معثار : طويل يسبّب للابسته العثار عند السير .

(٤) يريد أن يقول : كم حاملة جرة فى الريف كان ينبغى أن تكون ملكة جمال .

تمثال فينوس

وقف الشاعر أمام تمثال فينوس ربة الجمال ،
فأوحى إليه بالقصيدة التالية :

حــــيِّ الجمـــــال وأَطـــــرِهِ إن زرُت بـــابـــلَ سحـــرِه[1]

عــــرج علـــى تمثــــالــــه والثَم جـــوانـــب صخـــره

واحـــنِ الجبيـنَ بقُـدسِ محـــ (م) ـــراب الفنـــون وطهـــره

مـــا بـــالُ هـــذا الحسـنِ أفـــ (م) ـــتَى الجامـدون بستـره ؟[2]

مَــــن قــال: إنَّ الفـــنَّ يخـــ (م) ـــضَعُ للجمـــود وأَســـره ؟

مـــا الكـــونُ إن لـــم يَنطلـــق فيــــه انطــلاقـــةَ طيـــره ؟[3]

الفـــــنُّ بـــــدريٌّ لـــــه مـــــا لا يحـــلُّ لغيـــــره[4]

إنْ شُـــــوِّه استعمـــــالُـــــهُ فـــالـــوِزرُ ليـس بـــوِزره[5]

دع عصبـــةً نَقَمـت عليـــ (م) ـــه ؛ لأنهـا لـــم تَــدرِه

يقفـــون والفَلَـــكُ المحـــرَّ (م) ك دائبٌ فــــى سيــــره

اطبَــع علـى الفــنِّ الشَّبــا (م) ب، وبـــالتَّـــذَوُّق أغـــره

---

(١) أطره : امدحه ، بابل ، مدينة معروفة بالسحر من قديم .

(٢) واضح ـ من هذا البيت ـ : أن التمثال كان عاريًا .

(٣) فاعل « ينطلق » : ضمير الفن .

(٤) بدرى : شبيه بأهل بدر ، وأهل بدر مغفور لهم، كما ورد فى الحديث الشريف .

(٥) الوزر : الذنب .

إنْ تصقُلـــوا ذوقَ الشبـــا (م) ب، أَمنتمـــو مـــن شـــره

***

فِينـــوسُ يـــا رمـــزَ الجمـــا (م) لِ العبقـــرىِّ وســـرِّه

مـــا أَنـــتِ إلاَّ متعـــةُ الـــرَّ (م) ائى ومســـرحُ فكـــره

يـــا ربَّـــةَ الشَّعـــر الـــذى   مـــا حـــال أَصفـــرُ تبـــره

كـــرَّ الـــزمـــانُ علـــى الحســـا (م) ن ، ومـــا حفَلـــتِ بكـــرِّه

أبـــدًا شبـــابُـــك نـــاضـــرٌ   فـــى مـــأمـــنٍ مـــن دهـــره

أَشَغَفتِـــهِ حبًّـــا فلـــم   تعبـــث يـــداه بنَضـــره ؟[1]

لـــم يُبـــلِ منـــك ســـوى الثيـــا (م) ب بنـــابـــه وبظفِـــره[2]

لـــوحـــى لنـــا مثـــل الجُمـــا (م) ن مجـــرَّدًا مـــن قشـــره

الحســـنُ وهْـــو مقنَّـــعٌ   كـــالبـــدر آخـــرَ شهـــره

مـــا حســـنُ أُفـــقٍ سُحبُـــهُ   يحُجبـــنَ صفحـــة بـــدره ؟

مـــا حُســـنُ روضٍ تَحبِـــسُ الْـــ (م) ـــقُضْبَانُ يـــانـــعَ زهـــره ؟

الطِّيـــب فـــى أحقـــاقـــه   متجـــردٌ مـــن عطـــره

والطيـــرُ فـــوقَ الغُصـــن غيـــ (م) ـــرُ الطيـــرِ داخـــلَ وكـــره

والـــرِّيـــمُ يَظهـــر حسنـــهُ   فـــى القـــاع لا فـــى خِـــدره[3]

يـــا حـــاجبيـــنَ الحســـنَ ، قـــد   واريتُمُـــوه بقبـــره

---

(١) ضمير الغـائب فى « شغفته »: يعـود على الزمـان ، وفى « نضره » : يعـود على الشبـاب .

(٢) فى البيت : حسن تعليل لعرى التمثال .

(٣) الريم : الغزال ، الخدر : مسكن الغزال ونحوه .

كـــم للمُهيمـــن آيـــةٌ منقـــوشـــةٌ فـــى سفـــره[1]

إنِّـــى أرى الـــرحمـــن فـــى نَبـــتِ الحقـــول ونـــوره

فـــى الـرَّمـلِ أصفـرَ نـاعمًـا متمـــوِّجًـــا فـــى قفـــره

فـــى المـاءِ كـالبلَّـور ، يَـر (م) قُـصُ مـوجُـه فـى بحـره

فـــى النُّـــور لمَّـــاح السَّنـــا متـــألِّقًـــا فـــى فجـــره

اللهُ فـــى الـــوجـــهِ الجميـــ (م) ـــلِ ، وفـــى ابتسـامـةِ ثغـره

فـــى الخـــدِّ كـــالتفـــاح لا يَخبـــو تـــوقُّـــدُ جمـــره

فـــى صُـــدغ كـــلِّ مهفهـــفٍ كـــالليـــل فـــاحـمُ شعـــره[2]

فـــى كـــلِّ أغيـــدَ نـــاهـــدٍ نَمـــت الثمـــارُ بصـــدره[3]

فـــى كـــلِّ أهيـــفَ جـــاء يخـــ (م) ـــطرُ كـاشفًـا عـــن نحـــره[4]

يَسبِـــى العيُـــونَ بلـــدنِ قـــا (م) متـــه ودقَّـــةِ خَصـــره[5]

***

الحســـنُ خمـــرُ الرُّوح فـامـــ (م) ـــلأْ ، واسقنـــى مـــن خمـــره

بـــالله لا تبخـــل بـــه أضَمِنـــتَ طيلـــةَ عمُـــره ؟[6]

أنـــا شـــاعـــرٌ متحـــرِّرٌ لا راهـــبٌ فـــى ديـــره

يهـوى الجمـال ، وفـى الجمـا (م) لِ يصـــوغُ رائعَ شعـــره

---

(١) السفر : الكتاب ، والهاء من « سفره » : ضمير الحسن .

(٢) مهفهف : ضامر البطن .

(٣) أغيد : ناعم ، كنى بثمار الصدر عن : النهود .

(٤) أهيف : رشيق القوام .

(٥) قامة لدنة : لينة متأودة .

(٦) يقول : إن عمر الجمال قصير .

أنــا مــن أُنــاسٍ يعــرفــو (م) ن لــه جــلالــة قــدره
الــزَّهــر لا يَــرعَــونَــهُ بــل يَقنَعُــونَ بنشــره[1]
حُــبُّ الجمــال تبتُّــل يحظــى المحــبُّ بــأجــره[2]
هــذا هــو الــرأى الــذى لا أَرعَــوِى عــن نشــره[3]
مَــنْ شــكَّ فيــه ، فــإنــه متخلِّــفٌ عــن عصــره

***

---

(١) النشر : العبير ، وقد نظر فى هذا البيت إلى قول الشاعر الأندلسى :

ولست من الوائم مهملات فأتخذ الرياض من المراعى

(٢) تبتل : عبادة .

(٣) أرعوى : أحيد وأكف .

عدل السماء

عندما صدرت القوانين الاشتراكية، التى
تحد من الإقطاع والرأسمالية .

تجلَّى على الأرضِ عدلُ السَّماء ... يرفُّ بأجنحةٍ من ضياء
ملاكٌ يمسُّ بكف الحنانِ ... جبينَ الشقىّ؛ فيمحو الشقاء
ويخفضُ للضعفاء الجناحَ ... ويعصفُ كالريح بالأقوياء

***

ألا إنما الناسُ من آدمٍ ... وآدمُ كلُّ بنيه سواء
أصيغ امرؤٌ من نُضارٍ وطيبٍ ... وصيغ امرؤ من تراب وماء؟[1]
تباركتَ ربى! أأنت قسمت ... عبادك بين ذئابٍ وشاء؟[2]
أمِن بعض خلقك أنت صنعتَ ... عبيدًا، ومن بعضهم أمراء؟
تَسيطر باسمك قومٌ، وقالوا: ... على الأرض نحن له خُلفاء
ودينُك دينُ المساواة وهْوَ ... من الطبقات ـ لعمرى ـ براء
سننت الشرائعَ من أجلها ... وأرسلت من أجلها الأنبياء
أيبشَمُ بالزاد جوفٌ، وجوفٌ ... يعُزُّ عليه فتاتُ الغذاء؟[3]
ويكرَع قوم عتيق المُدامِ ... وقومٌ إلى كأس ماءٍ ظِماء؟

---

(١) النضار : الذهب .
(٢) الشاء : الشياه : جمع شاة .
(٣) بشم : أتخم بالزاد .

ويفتـرشُ الخَزَّ جنـبٌ ، وجنـبٌ   إذا نـام لـم يلـق إلا العـراء ؟[1]
إذا الفقـرُ كـان جـزاءَ الفقيـر   فمـا بـال أطفـالـه الأبـريـاء ؟[2]
ومـا ذنـبُ طفـلٍ تَخُـطُّ الحيـاةُ   لـه صفحـةَ البـؤس قبـل اللقـاء ؟
ومـا فضـل طفـلٍ إذا مـا استهـلّ   تلقتـهُ فـى المهـد أيـدى الإمـاء ؟
ومـا شـاد هـذا صـروح السـلامِ   ولا اعتـاد ذلـك سفـكَ الـدمـاء
ولـو سـاد فـى الأرض عـدلُ السمـاءِ   لعـاش الأنـام بهـا سعـداء
لقـد جلـب الفقـر حـبُّ الغنـى   وعجّـل بـالمـوتِ حـبُّ البقـاء[3]
ومـا ضـنَّ بـالـدَّر ضـرعُ السحـاب   ولا شـحَّ بطـنُ الثـرى بـالنَّمـاء[4]
ولا شكَـت الأرض مـن حملهـا   ولا ضـاق بـالنـاس رحـبُ الفضـاء
ولكـن تفشّـى السُّعـارُ ، فكـان   ضحيَّـةَ هـذا السُّعـار الـرخـاء

***

تبـاركـتَ يـا بـارىء الكـائنـاتِ !   لـكَ الأرضُ تـورثُهـا مـن تشـاء
تحكّـم فـى أرضـك المـالكـون   وشنُّـوا الحـروب علـى الأُجـراء
فلمـا قضيـتَ بـردِّ الحقـوق   إلـى أهلهـا ، أجهَشُـوا بـالبُكـاء
لحُكمـك هـم أعلَنـوا كـارهيـن   ولـو قـدرُوا نـاصَبُـوك العـداء
ألا أيُّهـا المـالكـون ، كـأنّـى   بكـم تتحـدَّون حُكـم القضـاء

---

(١) الخز : الحرير .
(٢) يعنى الشاعر ـ فى هذا البيت ـ وما بعده على أيلولة الغنى والفقر عن طريق الوراثة من الآباء إلى الأبناء .
(٣) يريد أن الحرص على الغنى كثيرًا ما يجلب الفقر كما نرى الآن من إنفاق الأموال الطائلة فى التسليح استعدادًا للحروب التى لا سبب لها إلا حب الاستيلاء على مصادر الثروة .
(٤) الدر : اللبن : ويريد به الغيث .

وللهِ فـــى العـــــدل ســـرٌّ خفـــىٌّ	دعــونـى أُزِلْ عنــه بعـضَ الخفــاء

رضــاءُ المكـــافـح عنكـــم ثــراءٌ	إذا فــاتكـــم فــأنـــتٌ مـــن ثـــراء

ولـــن تـــأمنُــوا شـــرَّةَ الجـائعيـــنَ	إذا السُّخـطُ حـلَّ محـلَّ الـرضـاء[1]

وكـــم أهلـــك المـــالُ مـــن حَـازهُ	إذا المـــالُ لـــم يقتـــرن بـــالسخـــاء

دعُـــوا الأرض يملكُهـا الكـــادحـــون	فمـــا خُلقـــت لســـوى هـــؤلاء

هـــم استخـــرجـوا التِّبـر مـــن بطنهـا	وعـــاشـــوا علـــى ظهـــرهـــا أُســـراء

همـــو قطـــعٌ مـــن ثـــراهــا تَـــدبُّ	عليهـــا ، وهُـــم صحبُهــا الأوفيـــاء

مســـاكنُـــم هـــى طـــول الحيــاةِ	وأجـــداثُهـــم هـــى بعـــد الفنـــاء

وشـــاطئهُـــم إذْ يحـــلُّ المصيـــفُ	ومـــدفـــؤهـــم إذ يحـــلُّ الشتـــاء

وديـــوانهـــم هـــى عنـــد الصبــاحِ	ومضجعهـــم هـــى عنـــد المســـاء

إذا مـــا غفـــوا فهْـىَ نعـــم الـــوســادُ	ونعـــم الـــوِطـــاءُ ، ونعـــم الغطـاء[2]

ومـــن تُـــربهـــا يُنضجـــون الطعـــامَ	ومـــن عشبهـــا يَنسجـــون الـــرداء

يعيشـــون ، ليس لهـــم فـــى سـواهـا	ولا فـــى ســـوى من دحـــاهـا رجـاء[3]

وإن أجهـــــدت زارعًـــــا أرضـــهُ	فـــأعيـا ، شفتـــه بطيـب الهـــواء[4]

ولـــم يلتمـــس مـــن ســـواهـا عـــلاجًـا	فكـــانـــت هـــى الـــداءَ وهْـــى الـــدواء

لأنعــــامهــــا ودُّهُ صــــافيًـــا	ويـــا رُبَّ ودٍ بغيـــر صفـــاء

وتهفـــو السَّـــوامُ إليــــه ، كمــا	هفـــا الأصـــدقـــاءُ إلـــى الأصـــدقـــاء[5]

---

(1) شرة الجائعين : فتكهم .
(2) الوطاء : المهاد .
(3) دحاها : بسطها ، ويريد : الله جل جلاله .
(4) أعيا : أصابه الإعياء : يستعمل الفعل لازمًا ومتعديًا .
(5) هفا إليه : مال إليه ، والسوام : الماشية .

ويقنعُ من عيشه بالكفاف ويجزى عليه بحسن الثَّناء

ويدعو السماءَ لمن حرَّروهُ فتفتحُ أبوابها للدعاء

***

أيا حارثَ الأرض ، ما نُؤتَ يومًا بما لو تحمَّله الطَّودُ ناء(١)

صبرتَ على عنت الدهر دهرًا طويلاً ، فجُوزيتَ حُسن الجزاء !

دعوتَ جمالاً ، فلبَّى جمالٌ ومن كجمالٍ يلبِّى النداء ؟

إذا الضُّعفاء أهابوا به يَهبُّ إلى نجدة الضعفاء(٢)

وتمضى به عزمةٌ من حديدٍ تُفسِّرُ للسهم معنى المضاء

إذا ما مشى قُدمًا فى الطريق فلن يتلفَّتَ نحو الوراء(٣)

---

(١) ناء بالحمل : أثقله ، فلم يستطع النهوض به .

(٢) أهاب به : ناداه .

(٣) مشى قدمًا : أى إلى الأمام .

فى مهرجان الوليد[١]

فى سبتمبر سنة ١٩٦١ م ، أقام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ـ بمدينة دمشق ـ مهرجاناً لإحياء ذكرى الشاعر : البحترى ، وانتدب الشاعر للمساهمة فى هذا المهرجان ، فألقى القصيدة التالية :

حين غنَّت دمشقُ شعرَ الوليدِ ... قالت الطيرُ : يا دمشق ، أعيدى[٢]

ردّدى ، يا دمشق ، لحنًا وعته ... أذُنُ الدهر منذ عهدٍ عهيد[٣]

شاعرٌ أعجز الفحولَ بشعرٍ ... سلسٍ ، طيِّعٍ ، عصيٍ ، عنيد[٤]

كانَ شيطانه مريدًا ، ولكن ... يتراءى للعين غير مريد[٥]

شاعرٌ ، بل مصورٌ ، بل مغنٍ ... ما قوافيه غيرُ أوتار عود

فاعلٌ بالكلامِ ما يفعل الصا (م) ... ئغُ فى حبِّ لؤلؤٍ منضود

ينسجُ الشعر من زهور الروابى ... ويُنَدِّيه بابنة العنقود[٦]

ألفُ عامٍ مضت ، وتمضى ألوفٌ ... بعدها وهْو ملءُ سمع الوجود

إن يصفْ للعيون إيوان كسرى ... لمحَتْ صخر ركنه المهدود[٧]

---

(١) الوليد : اسم البحترى .

(٢) إنما خص الطير لأن من شأنه الإطراب ، فإذا طرب المطرب كان فى ذلك من المبالغة ما فيه .

(٣) عهد عهيد : عهد بعيد .

(٤) يشير إلى : ما وصف به شعر البحترى من أنه : سهل ممتنع .

(٥) كانت العرب تازعم أن لكل شاعر شيطانًا .

(٦) ابنة العنقود : كناية عن الخمر .

(٧) يشير إلى : قصيدة البحترى السينية المشهورة فى إيوان كسرى .

أو شدا بالربيع، يومًا شممنا … من قوافيه ريحَ عطر الورود[1]

وحسبنا فيها طيورًا تُغنّى … وغُصونًا تميس مثل القدود

ورأينا الشقيق بين القوافى … أخضرَ العود فى احمرارِ الخدود[2]

***

هل درى البُحترى أن القوافى … سُوقها اليوم أصبحت فى ركود ؟

ما لنا كلما نظمنا قصيدًا … نعتونا بمُفلقٍ ومُجيد ؟[3]

نحن لا نشترى « بأحسنتَ » زادًا … إنما الزاد يُشترى بالنقود

أين عهدُ الرشيد يحشو فم الشا (م) عر بالدرِّ ؟ أين عهدُ الرشيد ؟

***

هل درى البحتريُّ أن أناسًا … بعده شوَّهوا جمال القصيد ؟[4]

قد جزينا على ارتكاب الخطايا … بأناسٍ جاءوا بشعرٍ جديد

زعموه حرًّا . ورقُّ الجوارى … بعضُ أوصافه ، وذلُّ العبيد

عصبةٌ تحسبُ القوافىَ غُلاًّ … وتعدُّ الأوزانَ بعضَ القيود

لهم الله . كلُّ عيٍّ لديهم … مظهرٌ من مظاهر التجديد !

ما أُراهم يُلقون شعرًا ، ولكن … يحصبون الأسماع بالجُلمود

---

(١) يشير إلى : قصيدته المشهورة فى وصف الربيع : « أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا » .

(٢) الشقيق : زهر أحمر اللون معروف عند العرب .

(٣) « مفلق ومجيد» : من صفات الشعراء ، و «مفلق » : من فلق الصبح ؛ يقصد بهذا الوصف الإبانة والإفصاح .

(٤) فى هذا البيت وما بعده : ينعى الشاعر على دعاة التجديد من الشعراء ما يسمونه : الشعر الحر ، الذى لا يجرى على قافية أو وزن .

قلـدوا كـل نـاعـقٍ أجْنَبِـيِّ ورمـونـا بـوصمـة التقليـد
إن يكـن طـابـع الأصالـةِ فـى الشعـ (م) ـر جُمـودًا ، فمـرحبًا بـالجمـود

روضـة البحتـريِّ منبـتُ ريشـى وبهـا قـد نَشـأْتُ ، واشتـدَّ عـودى
وأُحـبُّ القـريـضَ سمـح المعـانـى مُشـرق اللفـظ ، شـاجـى التـرديـد
يشبـهُ الـراح ، كلمـا عـبَّ منهـا مُحتَسيها ، يقـولُ : هل من مـزيد ؟
ربَّ شعـرٍ معقـدٍ هـو مـرآ (م) ةٌ لمـا فـى النفـوس مـن تعقيـد
ومـن الشعـر مـا ينـد عـن الـذو (م) ق ، ويُغْـرى بـالنوم عنـد النشيـد[1]
أنت ، يا شعرُ ، سلوتى إن قسا الدهـ (م) ـرُ ، وكـادت بـى الشـدائد تـودى
لسـتُ أَشكُو الـزمـان مـا دمتُّ أَلقَـى فيـه ديـوانَ جـرولٍ ، ولبيـد[2]
خيـرُ مـا فـى الحيـاة ببضُ معـانٍ فـى سطـورٍ علـى الصحـائف سـود
لـذة الـرُّوح لـلأديـب ، وللنَّـا (م) س سـواهـا مـن المتـاع الـزهيـد
أيهـا الشـاعـرُ ، انطلـق فـى السَّمْـوا (م) تِ ، وخـلِّ الأنـام فـوق الصَّعيـد
طبقـاتُ الفضـاء عَـزَّت علـى « الـرُّو (م) سِ » ، ودانـت للشـاعر الغِـرِّيـد[3]
حلَّقـت بـى قـوادمٌ وخـوافٍ مـن خيـالـى فـى كـلِّ أفْـقٍ بعيـد[4]
يـا غُـزاة الفضـاء ، هـذا خيـالـى فـاستعيـروه سُلَّمًـا للصعـود

---

(١) يند : ينبو .
(٢) جرول : هو الحطيئة الشاعر المعروف .
(٢) يشير إلى : محاولات الروس التى لم تكلل بـالنجاح التام بعد فـى كشف الأجرام السماوية .
(٤) القوادم : ما ظهر من ريش الطائر ، والخوافى : ما بطن منها .

كـم أميرٍ دانـت لـه أُممٌ ، وهْـ (م) ـوَ مـدينٌ لشـاعـرٍ بـالخلـود[١]

إنَّ شَعبًـا لا شـأْنَ للشعـر فيـه ... ليـس بيـن الأحيـاء بـالمعـدود

هـو ظـلُّ الحيـاة ، نـأوى إليـهِ ... واحـةٌ فـى صحـرائهـا الصَّهيـود[٢]

لـو أفـاء الـورى إليـه ، أقـامـوا ... مـا أقامـوا فـى ظـل عيشٍ سعيـد[٣]

المعـانـى بـدونـه شـارداتٌ ... شـاكيـاتٌ مـرارةَ التشـريـد[٤]

يُنقَشُ الشعـر فى الصـدور ، ويُنسَى ... نثـرُ عبـد الحميد ، وابـنِ العميـد[٥]

كـم قواف عنـد الحـروب استحالـت ... قـاذفـات للنـار ذات الـوقـود

وسـلاحٍ مـن ذرَّةٍ وسـلاحٍ ... مـن تفـاعيـلِ وافـرٍ ومـديـد[٦]

نحـن جنـدُ الحمـى ، وإن أخطـأتنـا ... فيـه ألقـابُ رائدٍ ، وعقيـد[٧]

***

أيهـا الشعـرُ ، مـا عهـدنـاك إلا ... سـاحرًا تبعـثُ اللَّظـى فـى الجليـد

قـل لقـومـى : دوَّى الأذانُ ، فهبُّـوا ... مـن سُبـاتٍ ، واستيقظـوا مـن رقـود

أيـن مُلـكٌ بنتـه أيـدى الأوالـى ... كـان كـالشـامـخ الأشـمِّ الـوطيـد ؟

---

(١) يشير إلى : الملوك الذين خلدهم الشعراء بمديحهم من أمثال : سيف الدولة بن حمدان .

(٢) الصهيود : اللافحة الحر .

(٣) أفاء : رجع .

(٤) يشير إلى معنى قولهم : لا تزال الحكمة شاردة حتى تقيد فى بيت من الشعر .

(٥) عبد الحميد الكاتب ، وأبو الفضل بن العميد : هما الكاتبان المشهوران ، ومن مأثورهم قولهم : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وانتهت بابن العميد .

(٦) الوافر والمديد : بحران من بحور الشعر ، والعطف يقتضى المماثلة .

(٧) « رائد وعقيد » : من ألقاب الجيش كما هو معروف .

لـم تـزل فـى « مـدراسَ » منـه بقـايـا | وبقـايا مـازلـن فـى « مدريـد » ؟[1]
جيـرةَ المسجـد العتيـق ، دعـونـى | أقبسُ المسكَ مـن رفـات الوليـد[2]
حـدِّثـونـى عـن ابـن هنـدٍ ، ومـروا | نَ ، وسبـطِ الفـاروقِ بين الـوفـود[3]
إنَّ فـى كـل بقعـةٍ مـن ثـراكـم | صفحـاتٍ تـروى حـديـث الجـدود
هـاهنـا مجـدٌ ضـائعٌ . لا تقـولـوا : | إنَّ مـا ضـاع ليـس بـالمـردود
ابعثـوهـا مـن رقـدة بجهـادٍ | وجهـودٍ يُبـذَلـنَ إثـرَ جهـود
دولـةٌ تنشـر السـلام ظِـلالاً | مـاؤهـا للجميـع عـذبُ الـوُرود
راحـةٌ تحمـلُ السـلاحَ ، وأخـرى | خُلقـت للبنـاء ، والتَّشييـد
ينضـوى تحـت ظلِّهـا العُـرب طـرًّا | ليـس فيهـا مـن سيِّـدٍ ومسُـود
أُتخِمَـت بـالتُّخـوم أرضُ الأعـاريـ (م) | ـب ، وغَصَّت سمـاؤهـا بالبُنـود[4]
وحِّـدوهـا قيـادةً ، ولـواءً | وأزيلـوا مـا بينهـا مـن حـدود
ومـن العـار : فـرقـةٌ بيـن قـومٍ | دينُهـم قـائمٌ علـى التـوحيـد
هـل تـريـدون أن تُعيـدوا عهـودًا | لا رعـى الله طيفهـا مـن عهـود
« يـوم كُنَّـا ، ولا تسل : كيـف كنَّـا » | كـلُّ جيـشٍ بقـائد وجنـود[5]

---

(١) « مدراس » : مدينة معروفة فى الهند ، و « مدريد » : عاصمة إسبانيا .

(٢) المسجد المقصود : هو المسجد الأموى ، والوليـد : هو الوليد بن عبد الملك ، وكان معروفًا بالتعمير ، وهو المؤسس الحقيقى للمسجد الأموى .

(٣) ابن هند : هو معاوية ؛ وسبط الفاروق : هو عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر بن الخطاب جده لأمه .

(٤) أتخمت : أثقلت ، والتخوم : الحدود ، والبنود : الرايات .

(٥) يشير إلى : تفرق الجيوش العربية فى حرب فلسطين ، والمصراع الأول مقتبس من شعر شوقى ، كما هو مشهور .

فـإذا بـالـذئابِ ــ وهْـى ذئابٌ ــ تنزعُ الصيدَ مـن حُلـوق الأسـود[1]

ولـوَ أنَّـا خُضنـا المعـاركَ صفًّـا لمسخنـا اليهـود مسـخ القـرود

***

هـل حسبتـم حسـاب يـوم عصيـبٍ يُشعـلُ الشيبُ فيـه رأسَ الوليـد ؟[2]

خلـف أعـدائكـم مـن الغـرب قـومٌ هـمْ أُولُـوا مـرَّةٍ ، وبـأسٍ شـديـد[3]

فـاتقـوا بـأسَ هـؤلاء ببـأسٍ « لا يَفـلُّ الحـديـدَ غيـرُ الحـديـد »

إنَّ حـولَ الأُردُنِّ أرضًـا تنـادى : أنـا إرثٌ للعُـرب ، لا لليهـود

لا تجُـودى بقطـرةٍ ، يـا فلَسطيــ (م) ــنُ ، عليهم ، أو نَسمـةٍ لا تجـودى

إن سعـى منهُـمْ فـوق أرضـك سـاعٍ فالفُظيـه لفظَ النـوى ، أو فَميدى[4]

بـرىء المُـرسَلـون منهـم ؛ فليسـوا مـن بنـى مـوسـى ، أو بنـى داودِ[5]

هـم عبيـدُ النقـود فـى كـلِّ عصـر طـالمـا أومئُـوا لهـا بـالسُّجـود

جـلّ وجـهُ الـدينـار ليـس لصِهيَـوْ (م) نَ سـواه مـن خـالـقٍ معبـود

اِغـرسُـوا الحقد فـى القلـوب عليهـم فلقـد يُستَحـبُّ حقـد الحقـود

لقنـوا النـشء وعـد « بلفـور » درسًـا وأروهـم خيـام كـلِّ طـريـد[6]

---

(١) يقصد بالذئاب : اليهود ، وبالصيد : فلسطين .

(٢) تكررت كلمة الوليد فى القصيدة قافية ، وهى فى كل مرة بمعنى ، والمراد بها هنا : الطفل .

(٣) مرة : قوة .

(٤) « ميدى » : أمر من ماد بمعنى انهار وانهدم .

(٥) موسى وداود : من أجداد اليهود فيما يزعمون .

(٦) « بلفور » : هو الوزير البريطانى ، الذى كان أول من منى اليهود بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين .

لا تُـزيـروهُـمُ قبـرَ كـلِّ ولـىٍّ وأزيـروهــم قبـرَ كــلِّ شهيــد

ربَّ بُـرجٍ قــد صــار منـزلَ بــومٍ وعـريـنٍ قـد بـات مسكـن سيـد[1]

وعيـالٍ مــن الطَّــوى فــى هُــزالٍ يلبسـونَ الحـداد فـى يـوم عيـد[2]

وكَعــابٍ يتيمــةٍ مــا درت لِلْــ(م) ــيُتم معنى فـى غيـر درِّ العقـود[3]

وذليــلٍ محطــم هــو مــن نســ(م) ــل أباةٍ شُـمِّ المعـاطيس صيـد[4]

لا جـىءٌ كـان ملجـأ . وشـريـدٌ كــان يــأوى إليـه كــلُّ شـريـد

وهــوانُ الأحــرارِ أهــونُ وقعًــا منه حزُّ المـدى بحبـل الوريـد ![5]

يـــا فلسطيـــنُ ، إنَّ ردَّكِ دَيـــنٌ مستحــقُّ الأداءِ فــى كــلِّ جيــد

إن عيينــا عنــه ، وعــىَّ بنـونـا فهْــو ديـن فـى جيـد كـلِّ حفيـد

فــدعــى القــوم يمــرحــون قليــلا ربَّ يــوم لسَحتهــم مــوعــود

ربَّ يـوم يـرى ابـنُ « غـريُـون » فيـه ذَا نُـواسٍ ، والنـارَ فـى الأُخـدود[6]

قسمًـا بـالعـرض المَصـون ، وطفـلٍ بيـــن أحضـــان أمِّـــه مـــوءود[7]

---

(١) البرج : منزل النجم ، والسيـد : الذئب ، والشاعر يشير إلى : منـازل العرب التى احتلها اليهود بعد إجلائهم عنها .

(٢) الطوى : الجوع ، والمراد أطفال اللاجئين .

(٣) الكعاب : الفتاة نهد ثدياها ، والدرة اليتيمة : هى التى لا نظير لها .

(٤) صيد : جمع أصيد ، وهو الذى يشمخ بأنفه كبرًا .

(٥) حبل الوريد : عرق فى العنق .

(٦) ذو نواس : كـان ملكًا فـى نجران ، حفر لمـن خرج عن دينـه أخاديـد فى الأرض وأحرقهم فيها .

(٧) موءود : مذبوح ، وفى البيت : تعريض بما ارتكبه اليهود فى فلسطين من : انتهاك الأعراض ، وذبح الأطفال البرآء .

لنَخُطَّـــن فـــوق أرضـــك سفـــرًا بمـــداديـــن : مـــن دمٍ ، وصـــديـــد
ذاك عهـــدٌ قـــد عـــاهـــدتْـكِ عليـــه أمَّـــةٌ حُـــرَّةٌ ، تفـــى بـــالعُهُـــود
وجمـــالٌ مـــن خَلفهِـــاظلَّـــل اللـــــ (م) ـــــهُ جمـــالا بظلِّـــه المَمـــدود !

***

آراء
فى صاحب هذا الديوان

١ ـ كتبت مجلة « العصبة » التى يصدرها أدباء المهجر ـ فى البرازيل ـ فى عددها الممتاز ، الصادر فى سنة ١٩٤٠ م مقالا عن الشاعر ؛ عنوانه : «خليفة حافظ » بقلم الكاتب الكبير توفيق ضعون ، نقتطف منه ما يلى :

« هذا هو محمود غنيم ، الذى أقدمه الآن لقراء العصبة ؛ فخورًا بأننى أقدم شاعرًا مجيدًا ؛ إذا لم يضارع حافظًا فى أصيله فإنه يجاريه فى ضحاه ، وهذا حاضره يبشر بمستقبل ربما كان أخصب منه وأجدى ، ومما يرجح كفته ـ فى نظرى ـ: عقم[1] محيطه بالنسبة إلى محيط حافظ أيام كان يطلق صيحاته وأغاريده فى القاهرة ؛ حيث المجال الرحب ، والموحيات والمستثيرات على أنواعها ، وكلها مما يفجر الشاعرية ، ويبعث الكوامن ، ويعين على الإجادة ، أضف إلى ذلك : أنه منذ البداية حافظىّ فى تأنقه ، وتدقيقه ، وبراعته فى تخير الألفاظ ،

---

(١) كان الشاعر عند كتابة هذا المقال لا يزال يعمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية ببلدة نائية « كوم حمادة بحيرة» ، وهو الآن يشغل منصب المفتش الأول للغة العربية بالتعليم الثانوى .

والبحور والقوافى، التى تماشى روح القصيدة، وتكسبها خاصة الإعراب عن مرامى ناظمها، وتوائم بين حركات وسكنات الحدث الذى تدور عليه أو المناسبة التى اقتضتها . . .

شعر تصويرى: سداه الدقة، ولحمته الأمانة فى الأداء، ونزعة حرة، وفكر طليق من سيطرة الأوهام، وخيال واسع يتغلغل فى الأعماق، ويكشف الخبايا، ونفس طموح لا يكبح جماحها إلا الإباء المستحب » .

٢ ـ تقدم الشاعر بديوانه: « صرخة فى واد »، سنة ١٩٤٧م، إلى أول مسابقة عقدها المجمع اللغوى للشعراء المعاصرين فى مختلف الأقطار العربية، ففاز بالجائزة الأولى، ويجد القارىء حديث هذه المسابقة مفصلا فى: العدد السابع من مجلة المجمع، صفحة ٥٨ .

٣ ـ لعل من أوفى التراجم التى ترجم بها لصاحب هذا الديوان ما كتبه عنه العالم المحقق: محمد عبد المنعم خفاجى، فى كتابه: «من تاريخنا المعاصر »؛ فقد كتب عنه زهاء ٥٠ صفحة، تبدأ من صفحة ١٧٥، استهلها بقوله :

« محمود غنيم شاعر مصر الكبير، شاعر عربى موهوب، عرف بالطلاقة الفنية، والصدق فى التصوير والتعبير، والجمال البيانى الأخاذ المشرق بالوضوح والإبداع والإلهام، تناول شعره الكثير من شئون الحياة، والاجتماع، والسياسة، والفن فى خيال خصب، وموهبة عميقة الإدراك، وأداء جميل ممتع، وتوفيق بارع فى رسم الصور والمشاعر والألوان، ونسج عذب حبيب إلى القلب والروح

الأُذن . ولا نجد شاعرًا معاصرًا يوفق التوفيق كله فى رسم صورته وأدائها فى براعة ، وخفة روح ، ومصرية تعبير ، وعذوبة أسلوب كشاعرنا غنيم» .

٤ ـ كتبت مجلة « الحج » التى تصدر فى الحجاز ـ فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ ـ بقلم رئيس تحريرها الأديب الحجازى الكبير: محمد سعيد العامودى، مقالا عن الشاعر نقتطف منه ما يلى :

« الشاعر الذى أريد أن أتحدث عنه فى هذا المقال، هو شاعر مرموق من شعراء مصر ، حاملة لواء النهضة الفكرية فى عالم العروبة والإسلام .

وحقيقة قد يمكن أن يقال : إن محمود غنيم ليس أشهر شعراء مصر اليوم ، ولكن الذى لا خلاف فيه هو أنه شاعر مصر الاجتماعى الأول فى هذا الأوان .

ولست أبعد إذا قلت : إن شهرة محمود غنيم كشاعر ، وعلى الخصوص فيما هو خارج حدود مصر من الأقطار العربية ، هذه الشهرة قد بذت غيرها ، ولعل مرد ذلك إلى انفراد الشاعر بمزيتين :

أولاهما : ميله إلى الوضوح مع قوة الأداء ، وارتفاع الأسلوب ، وحسن انتقاء الألفاظ ، إلى جانب صدق العاطفة والإحساس ، وعدم إهمال الفكرة ، أو الإغضاء عن وحدة الموضوع .

أما ثانية هاتين المزيتين للشاعر محمود غنيم ؛ فهى : شعره الاجتماعى والقومى ؛ إذ الواقع أن هذا الشاعر يكاد ينفرد بين شعراء

وإلى الموضوعـات القومية ، فإذا كان مـا يحدثه شعر الشاعـر من أثر قوى فى النفس دليلا على صدق الشاعر فى تعبيره الشعرى ، كان لنا أن نقول عن شعر محمود غنيم الاجتماعـى والقومى : إنه شعر صادر عن إحساس عميق ، وعـاطفة جياشة ، وإيمان بما يقـول ؛ فلا تعمّل ولا افتعال » .

٥ ـ كتبت مجلة « المـوظفين » التى يصدرها ديوان المـوظفين ـ فى العد الثـالث « سبتمبـر سنة ١٩٥٦ م » ـ عن الشـاعر مقـالا بعنوان : «شعراء موظفون » بقلـم الشاعر المعروف : أحمد عبد المجيـد الغزالى ورد فيه ما يلى :

« أما الشاعـر الذى اختير ليكون الحلقة الأولى فـى هذه السلسلة ، فقد قيـل عنه ذات يوم : « إنـه خليفة حـافظ » وعندى أن غنيمًـا أرسخ قدمًا من حافظ ، وأرفع منه قدرًا ؛ فالمواهب التى تتفاوت عندها أقدار الشعراء ، وتتباين منازلهم يكبر حظ غنيم فيها ، ويقل نصيب حافظ .

والذى يعبـر ديوان غنيم يـواجه حقيقة لامـراء فيها ، تلك هـى : أنه شاعـر المجتمع الـذى يعيش فيه : يصـور أفراحه وأتـراحه ، ويـرسم شئونه وشجونه فى إطارات موشاة مـن صفاء خياله ، وسماحة عبارته ، ورقة ديباجته ، ودقة سبكه . كـل ذلك فى انسياب وإشراق ، يستشف القارىء فيهما صفحة الغدير المصقول .

وغنيم الشاعـر الموظف فى مصـر لا يعيش لمصر وحدهـا ، وإنما يسبح فـى أجواء المجتمعـات العربيـة لشقيقات مصـر ، ويحلق فـى سماواتها ، فيعجب ويطرب ، ويخلف هنـاك أكرم الأصداء التى ترف فى هذا الآفاق العربية الصحيحة بشعره العربى الصميم » .

٦ ـ فـى سنة ١٩٥٦م : انتدب الشـاعر لمهمة ثقـافية فى طـرابلس الغرب ، فأحدث وجوده هناك هزة فـى الأوساط الأدبية ، وقد كتبت عنه صحيفة « طرابلـس الغرب » وحدها ما ينيـف على عشرين مقالـة ـ فى أعداد شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ـ، وقد ورد فـى أولى هـذه المقـالات ما يلى ـ بقلم الكاتب الكبير : على المصراطى ـ:

« ومحمود غنيم مـن أبناء المدرسة المحـافظة التى تغار علـى القيم الشعرية ، والموازين اللغوية غيرتها على القيم الأخلاقية ، وهى مدرسة محافظة على الطابع والطبع ، ولكن ليس معنى هذا جمودًا فى الأداء ، أو قلقًا فى التعبيـر ، أو حشوًا فى التصويـر ، بل هو من هـذه المدسة المتوسطـة ، أو قل الحلقـة المفقودة بيـن : تزمـت القديـم ، واستهتار الجديد ، فهو من ناحية التعابيـر والأفكار جديد مجدد عصرى حديث ، ولكنـه لا يحطـم ولا يهـدم ، بـل ينظـم والميـزان أمـامـه ، ويقـول والمقياس فى يده ، ومن وراء الميزان والمقياس شعور و إحساس » .

ولما نزل الشاعر مدينة طرابلس حياها بقصيـدة [1]نشرتهـا جـريـدة « طرابلس الغرب اليومية » وقدمت لها بما يلى :

« الأستاذ محمود غنيـم شخصية لامعة ذات مركز مرمـوق ممتاز بين أعلام الأدب فـى العالم العـربى ، وشاعـر له شهـرته ومكانتـه ، ولعل قصيدته : « مـالى وللنجم يرعـانى وأرعاه » [2]أصبحت أعلق بـأذهان

---

(١) ارجع إلى هذه القصيدة فى هذا الديوان باب : « من وحى العروبة » .

(٢) ارجع إلى هذه القصيدة فى الديوان الأول : « صرخة فى واد » .

الناطقين بالضاد: من « قفا نبك » التى ضرب بشهرتها المثل ، ومن محاسن الصدف أن تحظى طرابلس بزيارته ليشرف مع رفيقيه على امتحان الثقافة والتوجيهية » .

وقد نشرت مجلة « هنا طرابلس الغرب الأسبوعية » ـ العدد السادس ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥١م » ـ القصيدة نفسها ، وقدمت لها بما يلى :

الأستاذ محمود غنيم شاعر من شعراء الطليعة ، وشعره من النوع الرائع الرائق الذى أعجب به الكثيرون ، وردده عديدون ، وتتلمذ له فى الشرق العربى شعراء مجددون ، وكم كانت فرصة طيبة عندما زار طرابلس ؛ ليشرف على امتحانات الدور من شاعر نكن له الإعجاب والتقدير .

٧ ـ وفى سنة ١٩٤٨ م : انتدب الشاعر إلى مدينة الخرطوم فى مهمة ثقافية ، فكان لوجوده رنة ترددت أصداؤها فى الصحف والإذاعة والأندية الأدبية ، وقد دعاه نادى الخريجين بأم درمان إلى ليلة شعرية يحييها بمناسبة قدومه .

ومما كتبته صحيفة « الأشقاء » ـ عدد ١٣٥ فى ٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م ـ بمناسبة هذه الليلة ما يلى :

« دعا نادى الخريجين بأم درمان الأستاذ: محمود غنيم ، أديب مصر وشاعرها الفذ ، بل أديب وادى النيل وشاعره ــ الذى يلاقى المعجبين بأدبه وشعره أينما حلّ فى ربوع الشرق قاطبة ـ إلى ليلة شعرية يحييها نادى الخريجين بأم درمان ، فى مساء الأربعاء بعد غد » .

ومما كتبته صحيفة « صوت السودان » ـ عدد ٢٤٠٣ فى ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م ــ تعليقًا على هذه الندوة بعد أن عددت شعراءها وخطباءها ما يلى :

« وبين عاصفة من التصفيق تقدم الشاعر الكبير الأستاذ : **محمود غنيم**، فألقى قصيدته « النيل والسودان» [1] ؛ فحلق بالحاضرين فى أجواء الفن الرفيع بوصفه البارع الدقيق للنيل ، ولئن سحر الجارم الألباب بوصفه للصحراء عند زيارته للسودان، لقد بهر غنيم العقول بوصفه للنيل ، فكان المصور المبدع والشاعر المطرب الذى اهتزت له أوتار القلوب » .

٨ ــ وكتب الأديب : **عبد المنعم عواد** بحثًا عن الشاعر ـ فى العددين : ١٩٣ ، ١٩٤ ، الصادرين فى شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٦١م من مجلة : « العالم العربى » ــ بعنوان : « **من شعرائنا الثائرين** » ، ورد فيه ما يلى :

« والشعراء الثائرون الذين عبر شعرهم عن الفساد قبل قيام الثورة والذين آزروها وواكبوا خطاها بعد قيامها كثيرون ، وأبدأ هذه السلسلة بالشاعر الكبير : « **محمود غنيم** » الشاعر الصدق الذى يحس بمشاكل قومه ، وينفعل بها ، ويعبر عنها فى شعره تعبيرًا صادقًا نابعًا من الأعماق ، فالذى يقرأ شعره قبل قيام الثورة يجده تعبيرًا أمينًا عن هذه المشاعر الوطنية المخلصة التى كانت تجيش بها نفوس المواطنين الأحرار ، فالاستعمار مثلاً مشكلتنا الأولى تناوله الشاعر الكبير فى شعره بالرمز تارة ، وبالإفصاح تارة أخرى . . . إلخ » .

---

(١) ارجع إلى هذه القصيدة فى هذا الديوان (باب متفرقات) .

ثم ختم هذا البحث بقوله : « وبعد ، فهذا أحد الشعراء الثائرين بدأت به لأنه أميزهم جميعًا فى هذا المضمار ، وهكذا كان محمود غنيم شاعرًا ثائرًا عبر عن الثورة وهى لم تزل بعد فكرة فى ضمائر الأحرار ، وباركها وواكبها وآزرها بعد أن أصبحت شجرة ظليلة تفىء على الشعب العربى بظلال من الأمن ، والعدالة ، والسلام » .

٩ ـ فى العدد ١٥ الصدار فى ٧من أكتوبر سنة ١٩٥٤م ، من مجلة : « الثورة » ، عدة إجابات عن سؤال طريف كانت ألقته على القراء مضمونه : « لو فرض أن رسالة وردت إلى مصلحة البريد المصرية ، معنونة باسم السيد المحترم أمير شعراء مصر ، فإلى من تسلم من شعرائنا ؟ » ووما ورد فى الإجابة عن هذا السؤال مما يتعلق بالشاعر ما يلى :

«ومن الذين يرشحون الشاعر : محمود غنيم لتسلم الرسالة الأستاذ : الكبير م . خ وقد طلب أن يرمز إلى اسمه ، حتى لا يثير غضب أصدقائه من الشعراء ، ويرى هذا الرأى أيضًا الشاعر : خليل جرجس خليل ، والأستاذ : عبد الكريم الغرباوى » .

١٠ ـ للمرحوم إبراهيم دسوقى أباظة ، رأى خاص فى شعر الشاعر محمود غنيم وفى الموازنة بينه وبين حافظ إبراهيم ، وفى موقفه من حركة التجديد ، فارجع إليه فى المقدمة التى قدم بها المرحوم : دسوقى (باشا) ديوان الشاعر الأول : « صرخة فى واد » .

تلك هى مقتطفات قليلة موجزة من دراسات ومقالات كثيرة ترجم فيها كتّابها للشاعر الكبير محمود غنيم ، وأشادوا بشاعريته ومكانته الممتازة فى دولة الشعر العربى .

الديـــوان الثالث

رجع الصدى

صدرت الطبعة الأولى سنه ١٩٧٩م
عن دار الشعب بالقاهرة



تقديم

فى أَحضان الطبيعة الريفية الساحرة ، وبين حقول الريف المصرى الخضر وحول غدرانها المتلألئة وأشجارها الباسقة ، نشأ الأستاذ الشاعر المرحوم : « محمود غنيم » .

نشأ متأثرًا بهذه الطبيعة البهيجة ، وبهذا الجمال غير المجلوب ، وقد أمده الله بموهبة فطرة غنية ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وتزود بالعلوم العربية والدينية ؛ حيث : دراسته فى المعهد الأحمدى بطنطا ، ومدرسة القضاء الشرعى ، ودار العلوم .

وظل وفيًا لتلك المعاهد التى أمدته بالأَصالة العربية ، والجزالة والسلاسة الشعرية ، فقال - قبيل وفاته - يعبر عن وفائه لتلك المعاهد والمغانى :

تكاد لذكراها تذوب حُشاشتى ... ويَطْفر من بين الضلوع فؤاديا

سلام عليها فى « مليج » مثابةً ... حفظتُ بها السبعَ القِصَار المثانيَا

سلام على « طنطا » ، ومعهدها الذى ... نظمت به - قبل البلوغ - القوافيا

سلام على دار القضاء ، وأهلها ... ورَبْع من العِرفان أصبح خاويًا

لقد وأدوها منذ خمسين حِجَّةً ... وما زال قلبى غائرَ الجرح داميًا !

سلام على « دار العلوم » ، وعهدها ... وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيًا !

مغانٍ غرفت العلم من غُرُفاتها ... وأودعت فيها بضعةً من شبابيا

وقد طلع الشاعر « محمود غنيم » على الحياة الأدبية بأَغاريده الشعرية منذ صباه ، ولازم معاناة تجاربه الشعرية ، وانفعاله بالحياة والأحياء ، طَوال نصف قرن من الزمان ، وتسابقت الصحف والمجلات تنشر شعره ، وتذيع فنه ؛ ومنها : السياسة الأسبوعية ، والبلاغ الأسبوعى ، والرسالة ، والثقافة ،

والأهرام ، والمصرى ، وأَبولُو ، ودار العلوم ، وبعض المجلات فى البلاد العربية كمجلة الحج السعودية ، والعصبة الأندلسية فى البرازيل .

وقد عنى الشاعر بشعره ، فجمع ديوانه الأول : « صرخة فى واد » سنة ١٩٤٧م ، ودخل به أول مسابقة شعرية يعقدها مجمع اللغة العربية، ففاز بالجائزة الأولى، وفاز الشاعر « محمد الأسمر » بالجائزة الثانية ، وفى هذا الديوان ـ « صرخة فى واد » ـ ما يزيد على العشرين بعد المائة من القصائد والمقطوعات ، واشتمل على تسعة أبواب هى :

فى الحرب ، فى الاجتماع ، فى الوصف ، فى المرأة ، عبرات ، تحيات ، زفرات ، دعابات ، أشتات .

وقدم له الوزير الأديب الناقدالمرحوم : « إبراهيم الدسوقى أباظة باشا » بمقدمة نقدية، أشاد فيها بشاعرنا ، وقرر أن أُسلوبه عنى بالفكرة والصياغة معًا ، وأَن الشاعر استوعب كل معانى الحياة والأحياء ، فى إحاطة نادرة ، ويقظة فاحصة لكل ما يضطرب فى الكون من : صور الجمال والطبيعة ، وعواطف الخير والشر.

ثم جمع ديوانه الثانى : « فى ظلال الثورة » من بطون المجلات والصحف ، وما أنشأه فى المناسبات المتعددة ، ونال به جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦٣ م ، واحتفلت به الأوساط الأدبية ومنها : رابطة الأدب الحديث، التى كرمته فى حفل شعرى لائق. وقد حيا الشاعرُ الرابطةَ بقصيدة رائعة، يقول فيها :

حَيِّ البيانَ ، وَقِفْ بسُدَّة بابه واخشع أمام الصِّيدِ من حجّابه

ياعصبةَ الأدبِ الحديث، أنا امرؤ أهوى البيانَ ، ولستُ من أربابه

آلَتْ سَدَانته إليكم، فاسمحوا لى بالوقوف ولو على أعتابه

وحوى ديوان « فى ظلال الثورة » تسعة أبواب أيضًا ؛ هى :

فى ظلال الثـورة ، من وحى العروبة ، إسلاميـات ، وطنيات ، زفرات ، أشجان ، عبرات ، تحيات ، دعابات ، متفرقات .

وقدم له الشاعر الأديب المسرحى الكبير المـرحوم : «عزيز أَباظة باشا » ومن تعبيره فى ذلك قوله :

« إنك تحس ـ وأَنت تطالع هذا الديوان ـ أَنك فى متحف رائع للطبيعة ، تعرض فيه كل ما يخلب اللب ويأسـر المشاعر من صور ؛ فكل قصيدة من قصائده أشبـه بلوحـة رائعة أَبـدعتها يـد صناع ، وهيهـات أن تجد فى بيـانه المحكم السبك ما يتجافى عنه الـذوق السليم ، وتنبو عنه النفس الشاعرة ! وَمَرَدُّ ذلك إلى مكونـات الشاعر ، من ثقافـة واسعة متنوعة ، وموهبـة فطرية تفاعلت معها أسرار الحياة ؛ فلا عجب ـ وقـد تكاملت له عناصر الشاعرية المبـدعة ـ أن يَهِيمَ فى كل واد من أوديـة الشعـر ، وأَن يصبح بحقٍّ دعامـةً راسخةً من الدعائم التى ارتفع عليها صرح النهضة الأدبية المعاصرة » .

هذا الديوان

برزت فكرة جمع هذا الديوان الذى بين أيدينا ، عندما علم الشاعر بتسجيل رسالة دكتوراه عنه بعنوان « محمود غنيم وشعره » وقد التقيت به ، فى داره بمصر الجديدة ، وأبدى - رحمه الله - فى حديثه معى رغبته فى جمع ديوانه هذا بقوله :

« إن لى عددًا من القصائد يزيد على الأربعين ، يمكن أن تجمع مع غيرها من شعرى الذى لم ينشر فى ديوان » .

وجدّ - قبيل وفاته - فى جمعه وتبويبه شأن ديوانيه السابقين ، لكن القدر لم يمهله حتى يراه مطبوعًا منشورًا كشعره فى الديوانين : « صرخة فى واد » ، و « فى ظلال الثورة » .

وكان تقسيمه للديوان مشتملاً على الأبواب الآتية :

« مع الإسلام والعروبة ، مع الطبيعة ، وجدانيات ، وطنيات ، عبرات ، تحيات ، دعابات ، متفرقات » .

وقد أضيف إلى ما جمعه : بعض القصائد التى لم ترد فيما جمعه ، ولم تنشر فى ديوانيه السابقين ، كقصيدته فى العيد الخمسينى لدار العلوم ، وقصيدته فى « المعلم » (١) ، التى كانت تردد فى جنبات قاعة اللجنة المركزية فى الاحتفال بعيد المعلم بعد وفاته بأسبوع واحد ، وغيرهما من القصائد

وقد حوى الديوان تقريباً مائة من القصائد والمقطوعات التى صاغها فى أواخر حياته ، أو ندّت عنه حين نشر شعره السابق .

ومن القسمات الوضيئة فى هذا الديوان : تمجيد المبادىء الإسلامية ، والمثل الإيمانية العليا التى قبسها الشاعر من تاريخ الإسلام ، واستلهمها من بطولاته ؛ فهو يقول فى قصيدة « الركب المقدس » :

---

(١) لم تضف قصيدة « المعلم » إلى الديوان ، كما أضيفت « دار العلوم » وستكون - بإذن الله - قصيدة المعلم فى التذييل بآخر هذا المجلد .

قــــوة الإيمــــان تغنـى ربَّهـــا عن غِـــرَار السيف أوسِـنّ القنـــاة
ومـن الإيمـــــــان أمـنٌ وارفٌ ومن التقـــوى حصـــونٌ للتُّقـــاة

وحين يذكر بغداد ، يتذكر قوتها ، ويراها عاصمة للكون تقوده حيث شاءت ، ويتذكر قوة العرب والأجداد الصناديد ، ويجعلهم عظة للعرب وقوة لحاضر العروبة ومستقبلها ؛ فيقول :

لنـــا أوائلُ سنَّـــوا كلَّ مكـــرُمـــة شُمُّ الأُنـوف ، أُبـــاةُ الضَّيم ، أمجـادُ
إن يُسْـأَلـوا مالهم فى السلم مـا نَجِلُـوا أَو يُسْـأَلـوا فى الـوغى أرواحَهم جـادُوا

ويرى الوحدة العربية دينًا يجب أن يصان ، ولا يجوز أن يبدد فيقول :

إنى لأوشـك أَن أعتـــد وحـــدتَنـــا دينًـــا ، وأن افتـــراق الشمل إلحـادُ

ويجد فى الملك « فيصل » ـ قبل أَن يقضِى نحبه ـ الملجأَ للعروبة ، والمنقذ لها فى ظلمات المحن ، وضلال الشك ؛ فيقول :

تـــدرى العـــروبـــة أَن سُـــدَّةَ فيصل درع لهـــا عنـــد الحـــروب ، ومَعْقِلُ
عـــرش يمـــد على العـــروبـــة ظلَّـــه وعليـــه أَجنحـــةُ السمـــاء تظلِّلُ

* * *

أَملُ العـــروبـــة فيك ليس يَحُـــدّهُ حـــد ، إذا استعصى عليهـــا مشكل

ولا ينسى ما تعانيهِ العروبة من جراح دامية ، وهو يرثى الزعماء ؛ فيقول فى رثاء عبد الناصر :

وإن تك مصرُ قد فقدت جمالا ... فما عَقِمَتْ ، ولا قلَّ الرجالُ
جمالٌ غاب ، والعدوانُ باقٍ ... وجرحُ القدس دام لا يزالُ
وتندملُ الجراح مع الليالى ... وجرح القدس ليس له اندمالُ

والشاعر غنيم إنسانى النزعة يحرص على كل ما فيه أَمن البشرية وسلامها ويشيد بكل ما فيه رخاؤها واستقرارها ، فنراه فى قصيدته : « على سطح القمر » يقرر أن ما يبذل فى سفن الفضاء والوصول إلى القمر من أموال ، يمكن أن يُوَجَّه فى خدمة الإنسان وتحقيق الرخاء ، وإشاعة السلام ، فيقول :

تعالَوْا نبتكرْ عهدًا جديدًا ... يعمُّ الخيرُ فيه واليسار
تسودُ به : مساواةٌ ، وأَمنٌ ... فما فى الأَرض : سِنَّوْرٌ ، وفار
تعالوا نبتكر للحرب حلاًّ ... وإلا ، حاق بالأَرض الدمار

وكان ـ رحمه الله ـ وفيًّا للأدباء ، راثيًا للشعراء ؛ فقد رثى الأديب الكبير والشاعر الفذ ، والفيلسوف ذا الثقافة العميقة والفكر المتأجج ، المرحوم «عباس العقاد» قائلاً :

كفِّنوا العقادَ فى أسفاره ... وادفنوا المِرْقَمَ والطِّرسَ معهْ
لست أَدرى : أَشِهَابًا كان ، أَم ... عَيْلَمًا ، أَم راهباً فى صَوْمَعَهْ ؟
عالِمٌ ، بل عالَمَ فى رجل ... ليت شِعْرِى : أىُّ قبرٍ وسعهْ ؟
عبقرى العبقرياتِ قضى ... فَهْىَ من حزنٍ عليه جَزِعَهْ !

وجانب الفكاهة واضح فى هذا الديوان ، كما كان واضحًا فى ديوانيه السابقين ، وربما انفرد هذا الديوان بفكاهة ملحمية طويلة كما تصور فكاهة « بط الماحى » ، وهى تدل على نَفَسٍ طويل وإلحاح على الفكاهة ، ومن مداعباته لصديقه « العوضى الوكيل » قوله :

أنـــــا إن أَردت تخلصًـــــا فــى البيــت مــن ضيــف ثقيــل
أنشـــدت هـــذا الضيـف بَيْـــ ــــتًا واحــــدًا لابـن الـــوكيل
ولــــوَ انَّنـى ثنَّيـت، أَقْـــ ـــعده الصــداعُ عن الــرحيل

ومما هو جدير بالذكر : أَن الشاعر الراحل « محمود غنيم » ـ وربما غاب عن كثير من النقاد والأدباء ـ له خمس مسرحيات ، تجعله فى عداد الشعراء المسرحيين ، و تسلكه مع شوقى وعزيز أباظة ، وقد سألته ـ فى لقائى معه ـ : لماذا لم تمثَّل مسرحيـاتك كمسرحيات شوقى وعزيز أبـاظة ؟ وكان رده : أما شوقى ؛ فقد مثل له بحكم نفوذه ، وأما عـزيز أباظة ؛ فقد مثل له بحكم نفوذ أُسرته ، أما أنا ؛ فلا قريب ولا حم !

وفى هـذا الرد المـوجز مـا يعبر عن شكـوى الشـاعر؛ فى أَنـه لـم يأخـذ نصيبـه ، ولم ينل ما يريده ، ويؤكد هذه الشكوى قوله :

إلى مـن أشتكى يــــارب ضيمى ؟ أرى نفسى غـــــريبًـــا بين قـــومى
لقــد هتفــوا لمحمــود شكــوكــو ومــــا شَعَــروا بمحمــــود غنيم !

وهذه المسرحيات هى :

١ ـــ « **المروءة المقنعـة** » : وقد استلهم أحداثهـا من التاريخ الإسلامى والأموى

٢ـ «**غرام يزيد** » : وهى مقتبسة من التاريخ الأموى .

٣ ـ « **يومـان للنعمان** » : مأخـوذة من التاريخ الجـاهلى ، وتبين بعض تقاليد الملوك .

٤ ـ « **النصـر لمصر** » : وهى من التاريخ الأيوبى ، وتصـور كفاح مصر ضد الغزاة .

٥ ـــ « **الجـاه المستعـار** » : وهى مسـرحية اجتماعيـة ، مؤلفـة من واقع المجتمع المصرى الحـديث . **وبهذه المسرحيات يعد غنيـم شاعرًا**

مسرحيًّا ممتازًا ، وكان يرضيه ويسعده أن يجد بعض هذه المسرحيات تمثل بعض فصولها فى المدارس التى يتولى الإشراف عليها .

والشاعر غنيم يعد من النقاد البارزين بآرائه التى بثها فى شعره ، أو كتبها فى مقالات ضواف فى المجلات ؛ فقد كتب فى مجلة مجمع اللغة العربية مقالاً بعنوان : « نقد النقد » وأثار فيه مجموعة من الأمثلة التى كان له فيها رأى واضح وحكم نقدى جرىء ، وكتب مقالاً فى مجلة الهلال بعنوان : « الشعر المنحل لا الشعر الحر » أبان فيه معنى الحرية فى شىء ما ؛ فحر المال هو الذى أتى من عرق وتعب ، وحر الدم يبذل فى الوطن ، أما حر الشعر فليس فيه إلا الضعف والهزال .

وتتلخص آراؤه فى النقد فيما يأتى :

١ ـ أن النقد لابد أن ينأى عن الميول والأهواء .

٢ ـ ويمجد الشعر الذى يلتزم بالعمود الشعرى ، الذى عرف عن العرب أصالة وصياغة .

٣ ـ ويوضح أن للشعر والأدب مواقف ينفعل بها الأديب ، وينكر رأى الذين يعيبون شعر المناسبات ؛ لأن كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم نزل فى مناسبات متعددة .

٤ ـ ويرى أن الوضوح لازم فى الشعر شأن العرب المطبوعين ، وينسج على منوال البحترى ، والشعر المعقد ليس إلا صدى لنفوس أصحابه المعقدة .

٥ ـ ويستنكر ما يقال : إن هذا الغرض قديم ، ولا بأس عنده بشعر المدح والرثاء .

٦ ـ ويميل إلى : أن أعذب الشعر أصدقه ، ويقصد ـ طبعًا ـ : الصدق الفنى .

٧ - ويَعُدُّ الشعر الحر ميتا ، ويصفه بأنه يوأد يوم يولد ، فلا بقاء له ولا خلود .

٨- ويهجم على أدعياء الشعر الحر ويفند آراءهم فى قوله :

وقـــالـــوا : شعـــركُم عبـــدٌ   دعـــونـــا نأتِ بـــالحـــر
فخلَّيْنَـــا المجـــال لهـم   فـــدسُّـوا الشعـــرَ فى القبـــر
هـى الأذواقُ قـــد فَسَـــدت   فصـــار التُّـــربُ كـــالتِّبـــر
وصـــار المـــرُّ كـــالحلـــوِ   وصـــار الحلـــو كـــالمـــر

ولماذا لا يحررون إلا الشعر ؟ وعليهم أن يحرروا النثر أيضاً ، كما يقول :

حَـــرِّروه من نحـــو زيـــد وعمـــرو   وخـــلاف بين النُّحَـــاةِ طـــويل
أيهـــا العـــابثـــون بـــالضَّـــادِ ، رِفْقًـــا   مـــا تَبَقَّى للعُـــرْب غيـــرُ قليل
آفـــةُ الضـــاد مَـــارِقٌ من بنيهـــا   هـــو شَـــرٌّ من ألف ألـف دخيل

وقد صاغ - رحمه الله - تجاربه الشعرية على النمط العربى الأصيل ، ونأى عن الدخيل ، وَوَفَّى جانب الفكرة والصياغة معًا ، ولم يهمل جانبًا على حساب الآخر ؛ فهو بحترى النزعة ، يقول فى ذلك :

روضـــةُ البحتـــرى مَنْبِتُ ريشى   وبهـــا قـــد نشأت، واشتـــدّ عـــودى
وأَحبُّ القـــريض سمحَ المعـــانى   مشـــرق اللفظ ، شـــاجِىَ التـــرديـــد
يشبـــه الـــراحَ ، كلمـــا عبَّ منهـــا   محتسيهـــا يقـــول : هل من مـــزيـــد ؟

وقـد تمت حـول الشـاعر دراسـات أدبيـة قـاصـرة ، كـانت تهتم ببعض الجـوانب، وتهمل بعضها الآخـر ، ولا يمكن أن نتعـرف منهـا على جوانبه

المتعـددة وآفاقـه الـواسعة ، لكن الـدراسـة الموسعـة عنـه تمت فى رسالـة الدكتوراه « محمود غنيم وشعره » التى قام بهـا كاتب هذه السطور ، وتناولت غنيمًـا من جميع جوانبـه الأدبيـة واتجاهـاته الشعـريـة ، وأشرف على هـذه الرسـالة : الأستاذ الـدكتور عبد السلام سـرحان ، أُستاذ الأدب والنقـد بكلية اللغة العـربية جامعـة الأزهر ، وناقشها : الأستـاذ الدكتور أحمـد الحوفى ، رئيس الـدراسـات الأدبيـة بـدار العلوم ، وعضـو مجمع اللغـة العـربيـة ، والأستاذ الـدكتور : محمد عبـد المنعم خفاجى ، عميـد كلية اللغة العـربية بأَسيوط ، وحازت مرتبة الشرف الأولى ، وكـانت مناقشتها فى الرابع من مارس سنة ١٩٧٥ م بقاعة محمد عبده جـامعة الأزهر ، وحضر مناقشتها لفيف من الشعراء والنقاد وآلاف من طـلاب البحوث الأدبية والنقديـة ، وعشاق الشعر الأصيل . ولا أَدعى أنها أنهت كل مـا يتعلق بالشاعر ، ودرست كل مـا قاله الشـاعر ممـا يغلق الباب ، وحين تطبع هـذه الرسـالة ستضيف إلى الحيـاة الأدبيـة والنقديـة كثيرًا ، وهى مفتـاح لأدب هـذا الشاعـر الكبير ، ومصبـاح يضىء لدراسات أُخرى وبحوث جديدة إن شاء الله .

وبعد أن سقط القلم ، وسكت النغم ، وتحطمت قيثـارة الشعر الأصيل ، الذى عزف أَلحان الأمة العربية وكفاحها ، وبعد أن توقف الطائر المحلق عَن تحليقه فى سماوات الفن الـرفيع فى سبتمبر ١٩٧٢ م ، أَقام له عـارفو فضله ومحبو أَدبـه ، ومقدرو فنه حفلى رثاء : أَحـدهمـا ـ : فى دار جمعيـة الأدباء بشارع قصر العينى بالقاهرة ، وثانيهما ـ : بدار الرابطة الإسلامية بباب اللوق بالقاهرة ، أفـاض فيهما الأدباء والشعراء والنقاد معبرين عن تقـديرهم لشعره واحتفائهم بأصالته ، ووفائهم لمـروءته ، باعتباره ركنًا للتعبير الأدبى البليغ ، ودعامة من دعائم الشعر العـربى الفصيح . وقد جمعت القصائد والكلمات

التى قيلت فى هـذين الحفلين بخلاف بعض مـا نشر فى الهـلال ، والأديب اللبنانية ، وغير ذلك من المجلات ؛ جمع كل ذلك فى كتاب :

« دموع على الشاعر محمود غنيم »

وقدم له وحقق كلماته وعلق حواشيـه كاتب هذه السطور ، وقد وزع على الأوساط الأدبيـة والشعراء والأدبـاء والنقاد على نفقـة ورثته الـذين يستحقون الشكر كل الشكر على عنايتهم بنشره ، كمـا يستحقون التقدير كلَّ التقدير ، والثناء كل الثناء لاهتمامهم بنشر هذا الديوان أيضًا .

ولا يفوتنى أن أذكـر بالتقديـر والتكريم هيئـة دار الشعب الموقرة لعنـايتها بنشر مـا يمجد الإسلام ؛ وينهض بـالعروبة ، ونشر هـذا الديوان ، وبخـاصة رئيس مجلس إدارتهـا الأستاذ الـدكتور : طـه أحمد ربيع ، والمحقق الكبيـر الأستـاذ : إبراهيم الإبيـارى ، والمشرف علـى المطبوعـات : الأستاذ ثـروت شعراوى ، وكل من أسهم فى إخراج هذا الديوان إلى المكتبة العربية ومهد له بين الدواوين الشعرية له جزيل الشكر وعميق التقدير .

القاهرة : شوال ١٣٩٨ هـ

سبتمبر ١٩٧٨ م

دكتـور :

محمد أحمد سلامة

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر

الإهــــداء

أبـدا ـ وحقّك المقَّـدس علينا يـا أبى ـ لن تـذهب صرختك فى الـوادى أدراجَ الريـاح ؛ فلقد ترددت أصـداؤها فى الأوديـة الأخرى ، التى أَحسست بهـا، وعبرت عنهـا ، شاهـدًا أَمينًا على عصـرك ، وحاديًـا نزيهًـا للقافلـة ، وضميرًا نقيًّا لها . ويومًا ما ، تبلغ آذانًا تلقى السمع وهى شهيدة ... وأرواحًا تهفو إلى بر الأمان .

فلتهنأ روحك الطـاهـرة ، وتـرضى نفسك الكـريمة ؛ فلقـد بلغت : أنـا شاهدون .

عاطف محمود غنيم

مع الإسلام والعروبة

لبيك لبيك !

فى أرض النبوة

من وحى زيارة الشاعر للأراضى المقدسة حين حج فى عام ٦٨ م ، أنشد هذه القصيدة المعبرة عن عاطفته الدينية الأصيلة :

صوت من العالم العلوىِّ ناداني ... لبَّيكَ لبَّيكَ ! لا آنٍ ، ولا واني (١)

ما أعذَبَ الصَّوتَ ! ما أَشجاه من نَغَمٍ ... سمعتُهُ بِجَناني لا بآذاني (٢) !

وكيف تسمعُهُ أُذْنٌ ، ويحملُهُ ... موْجُ الأَثير حروفاً وهْوَ رُوحاني ؟

لبَّيْتُه بفؤادٍ ملؤه وَجَلٌ ... وصيِّبٍ من دموعِ العين هتَّان (٣)

كيف الوقوفُ على باب الرسولِ ، وفي ... يدى صحائِفُ زلَّاتى وعِصياني ؟

دارَ النُّبوَّةِ ، ذنبى عنك أَبْعَدَنى ... وحُسْنُ ظَنِّى بربِّى منكِ أدناني

لم يَدْرِ قَدْرَكِ مَنْ فى ذات أَجنحة ... أتى يزورُكِ ، أو فى ذاتِ سُكَّان (٤)

هلَّا أَتيتُكِ سيَّارا على قدمى ... أَوْطَارَ من حَرِّ شوقى بى جَناحان ؟

ما غبتِ عنى ، وإن لم يمتلئْ بصرى ... من أَهلكِ الصِّيدِ أَو من رَبْعِكِ الغاني (٥)

قد كنتُ ألقاكِ فى لَوْحى ، وفى كُتُبى ... وفى سطور أَحاديثى ، وقرآني

ما زلتِ رسمًا جميلاً فى مُخَيِّلتى ... حتى كأَنَّا التقينا منذ أزمان

---

(١) أنى أنْيًا كجثى جُثيًا ، ورَضِى رِضَى : تأخر وأبطأ ، وآن : متأخر ، ووان : ضعيف متكاسل

(٢) الجنان ـ بفتح الجيم ـ : القلب والرُّوح .

(٣) الصيب : المطر ، والهتان : الغزير.

(٤) ذات أجنحة : كناية عن الطائرة ، وذات سكان : كناية عن السفينة ، والسكان : الدفة .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الشريف العظيم .

كأننى لستُ ضيفاً عنـد أهلك ، بل ... هم فى ربوعِهمُ الفيحاءِ ضيفانى

وما طَرِبْتُ لِلَحْنٍ ليس يذكُرُ لى ... ما فيكِ من علَمٍ ، أو فيكِ من بان

الله يعلم كم حركتِ فى خلَدى ... من ذكريات ، وكم هيَّجتِ أشجانى !

كم فى دُروُبك من درب أَصَخْتُ له ... كأنه بحديث الأَمس ناجانى

لىِ من صعيدك أَفواهٌ ، وأَلسنةٌ ... بقدر ما فيه من رَمْل ، وكُثْبان

يا جيرةَ الحرَمَيْن الآمِنينَ ، لكُم ... أُهدى التحيَّة من رَوْح ورَيْحان

الله أَورثكم مجدا يُقصِّرُ به ... قبل الحبيب لسانُ الحاسد الشانى (١)

والله شرَّف مغناكم، وشرَّفكم ... خيرُ البقاعِ أَقلَّت خيرَ سُكَّان

ما للشرابِ وردنا ماءَ زمزمكم ... بل للطهارة من رجس وأَدران

بالله ، لا تُتْرعوا من مائها قدحى ... بل فاغمُروا جسدى منها بطوفان (٢)

هنا رحيق ، عتيقٌ ، حلّ مشربه ... فيه طهارةُ أرواح وأَبدان

هنا مفاتيحُ أَغلاقِ السماء ، هنا ... باب الوصول إلى جنَّات رضوان

هنا بنى المصلحُ الأُمىُّ جامعةً ... على أَساسَيْنِ من : علم، وعرفان

على قواعدَ من هدْى النُّبوَّة ، لا ... على قواعدَ من صَخْر وصَفْوان

وكيف لا ورسولُ الله منشؤها ؟ ... جلّ البناءُ ، وجلَّ المنشىءُ البانى !

ما كان طلابُها إلا شراذمَ من ... رعاة إبْلٍ ، ومن عباد أَوثان

ربَّى العتيقَ أَبا بكر بها ، وأَبا ... حفص ، وربّى عليّا ، وابْنَ عفَّان

طلاَّبُها فى ربوع العالم انتشروا ... مبشِّرين بإصلاح وعمران

وسمحة من سماء الله مُنْزَلة ... ومُحْكم من كلام الله ربّانى

فيها تخرّج سُوَّاسُ البريّة من ... أدنى المحيطِ إلى أَقصى خُراسان

ساسوا الشعوب بأَحكام الكتاب؛ فما ... أَحسّ شعبٌ بجَوْر ، أو بطغيان

---

(١) الشانى ـ أصلها الشانىء ـ : المبغض الكاره .

(٢) لا تترعوا : لا تملئوا ، والقدح : الآنية .

سماحـةٌ عُـرِفَ الـدّيـنُ الحنيفُ بهـا ... مـا فـرّقَتْ بيـن ألـوان وأديـان

من كلّ مِسْعَـرِ حـرب يـوم معركـةٍ ... وكلّ نـابغـة فـذّ وفنّـان [1]

أَجلّهـم كـلُّ ذى علـم وفلسفـة ... وهَـابَهم كلُّ ذى جـاه وسلطـان

« الله أكبـر » كـانت سـرَّ قـوّتهم ... على الجبابـرِ من فُـرْس وروـمـان

شـاد البُداةُ حضـاراتٍ بهـا ، وبهـا ... ثَلُّوا عـروشا ، وسَلُّوا دُرَّ تيجـان [2]

لاحصنُ قيصـر أَغنى عنـه زحفهمـو ... ولا احتمى منهمـو كسـرى بإيـوان

والأمـر لله ، دارَ الـدهـر دورتـهُ ... فأصبح القـومُ شـاءً بيـن ذؤبـان !

قد جال فى أَمْسِهم فكرى ؛ فأضحكنى ... وجال فى يومِهم فكـرى ؛ فأبْكانى !!

يا ويـحَ قومى ! نَسُوا الله الكبيـرَ ؛ فلم ... يـذكـرْهُم اللهُ ، نسيـانٌ بنسيـان !

يـاربِّ ، شعبُك يشكـو مـا أحـاط بـه ... من الخطوب ، فأدركْ شعبَك العانى [3]

أدْركْ بلطفك شعبـاً غـطَّ فى وَسَـن ... على تُخـوم عـدوٍّ غيـرِ وَسْنـان [4]

يـا سيِّد الـرُّسْل ، لم أَنْشِـدْك ممتدحـاً ... فأنت فـوق مـزاميـرى وألحـانى

ومـا علىَّ ــ إذا أَنشَـدْتُ ــ من حَـرَجٍ ... كمْ كنتَ تُصْغِى إلـى إنشـاد حسَّـان

لمَّـا رأَيتُ القـرابينَ التـى قـدِمَتْ ... بهـا الوفـودُ ؛ جَعلتُ الشعـر قُرْبـانى

لو استطعتُ ، نظمتُ الشعر من بصرى ... ونـور قلبى ، وبعضُ الشعـر نـورانى

يهـونُ عنـدىَ إن أكسِبْ رضـاك بـه ... مـا نـال أحمـدُ مـن كفِّ ابن حَمْـدان

بل دون نظـرةِ عطـفٍ منك واحـدةٍ ... ملكُ السمـاء وملـك الأرض فى آن

إنى لأَطْـرُقُ بـابَ المصطفى بيـدٍ ... بيضـاءَ لم تتعـوَّدْ طـرقَ بيبـان

وأبسطُ الكفَّ أستجـدى رضـاه ، ومـا ... بسطتُ كفى لـذى مَنٍّ وإحسـان

---

(١) مسعر حرب : موقد نارها .

(٢) البداة : جمع البادى ؛ وهو من يسكن البادية .

(٣) العانى : الأسير ، أو المرهق الذى أصابه العناء .

(٤) التخوم : جمع تخم ، وهو الحد بين البلاد والدول .

وأسفحُ الـدمعَ سهلاً فى حِمـاه ، وكم كفَّتْ عن الدمع يـوم الروع أجفانى (١)

لا أَكتـم اللهَ مـــا أَسلفـتُ من زَلَـلٍ وهل يغطِّى عليـــه طـولُ كتمـانى ؟

إذا جـوارِحىَ الــلاَّتى جنَتْ شهـدتْ بمـا جنـت ، كـان إقرارى كنكـرانى

جاهدتُ، ياربِّ ، أعدائى فما وهَنت قــواى ، لكن جهـادُ النفس أعيـانى

إن عدتُ من حـربها الشَّعْـرَاءِ منتصرًا حينـا ، فكم عدتُ أحيـانًا بخـذْلان !

والنفسُ أفتكُ بــالإنسـان مـن سَبُعٍ ضـارٍ ، وأرْدَى لــه من نـابِ ثعبـان

مـاذا أقــولُ ؟ أقــول الله : قــدَّر لى إن شـاء أسْعـدنى، أو شـاء أشقـانى

أو أدّعـى أنَّ لى أمَّـــارةً أمَـــرتْ أو أن شيطـانِـىَ الشِّـرِّيـرَ أغـوانى (٢)

أستغفـرُ الله ! ذنبى لستُ أجحـدُهُ لكنْ على الغيـر يُلقى التهمـةَ الجانى

يــارَبِّ، إن لم تُقِلْ ذا عثـرةٍ ، فلِمَنْ مـا فى جِنَـانِـكَ من حُـور وولــدان ؟

لمن بنيْـتَ جنــانَ الخُلْـد دانيـةً قطـوفُهـا ، ذاتَ أشجـار وأفنـان ؟

لِـذاتِكَ العصمةُ الكبـرى بها انفـردت وعصمـــةُ النـاس من زور وبهتـــان

وأنت أحْنَى علـى العـاصين أنفِسهم مـن كل أمٍّ رءوم ، أو أب حـــان !

مـا زاد فـى ملكك الأَوَّابُ خـردلــةً أو نالـه المذنبُ العـاصى بنُقصان (٣)

يجنى على نفسه الجانى، ومن زَرَعَتْ يمينُـه الخيرَ فى الـدنيـا هو الجـانى !

ومن أكـــون بِكَـوْن أنت مُبْــدِعُــه أقطـــرة بيـن أمـــواج وشُطْـــآن ؟

أم ذرَّةٌ فى فضـــاءٍ لا يُحِـسُّ بهـــا لم أدر مـا كُنْهُهَـا فى العـالم الفـانى ؟

سبحــان من يعلم الأَسـرار أجمعهـا وســرُّه هــو أعيـــا كلَّ إنســان !

ومــا أبــرىءُ نفسى مـن جَهَـالتِهـا جَهلى ، وعلْمى بجهلى كـم أراحـانى

---

(١) أسفح الدمع : أرسله منهمرا ، وسفح الدمع سفحا وسفوحًا : انصب ، والروع : الفزع .

(٢) النفس الأمارة : التى تأمر صاحبها بالسوء، وتزينه له ، وأغواه الشيطان : استهواه ، وأضله

(٣) الأواب : العابد ، والذى يرجع إلى ربه من قريب ، ولا يتمادى فى الذنوب .

يـاربِّ ، إن كنتُ قد قصَّـرتُ فى نُسُكى ... فمـا تسـرَّبَ شَكٌّ نحـو إيمـانى[1]

مـا جـاءنى فيك شيطـانى يشكِّكُنى ... إلا وعـاد بثـوب الخـزيِ شيطـانى

وكيـف لا ، ورسـولُ الله بَيِّنَتى ... وحجَّتى أنت ، والقـرآن بـرهـانى ؟

يـارُبَّ يـوم نهـانى فيـه خـوفُك عن ... لهـو ، وغيـرىَ يلهو بـابنـة الحـان[2]

ورُبَّ يـومٍ كبحْتُ النفس عـن عبث ... فيـه ،وكنتُ شبَـابًّـا بين شُبَّـان

ورُبَّ معصيَـة لم آتِهـا وَرَعًـا ... والنفسُ تـأْمرُنى ، والـدينُ ينهـانى[3]

ولا أُمُنُّ على ربِّى بطـاعتـه ... إنى أعـوذ بـه من كل مَنَّـان

عصيـانُ ربِّكَ ذنـب واحـد ، فإذا ... يئستَ من عفـوِه ، فـالـذنب ذنبـان

لبَّيْكَ ، يـارب ، لا آلُـوك تلبيـة ... حتـى تمنَّ علـى ذنبى بغُفـران[4]

سِيَّـان : إن أقضِ ، أو أرجعْ إلى وطنى ... مـا دمتَ تشملُنى بـالعفـو ، سِيَّـان

فإن أعُدْ عـدتُ مغفورَ الـذنوب ، وإن ... أمُتْ فصحـبُ رسـولِ الله جيـرانى

ليس التَّشبُّـثُ بـالأوطـان مـن أربى ... كُلُّ البـلادِ ـ بـلاد العـرب ـ أوطـانى

كَهْـفٌ بأرض رسـول الله أرْوَحُ لـى ... من قُبَّـةٍ ضُـرِبَتْ فى ظـلِّ بستـان

فيم القبـاب على الأمـوات نَنْصبهـا ؟ ... يكفى الدفينَ بجوف الأرض شبران ![5]

الخـاملـون من الأحيـاء كم طلبـوا ... على حسـاب دفينٍ رِفْعَـةَ الشـان

لا تبتغـوا المجـدَ من تشييـع مَيِّتكم ... أو المغـالاةَ فى قبـرٍ وأكفـان

---

(١) النسك : العبادة .

(٢) ابنة الحان : كناية عن الخمر ، والحانة : موضع بيعها .

(٣) رب فى هذا البيت والبيتين قبله ـ للتكثير ، أى أنه كان كثير الخوف ، وكثير كبح النفس ، وكثير الطاعة .

(٤) لا آلوك تلبية : لا أقصر فى الإقبال عليك والاستجابة إليك .

(٥) ينكر الشاعـر أن تُنصَب القباب على الأموات أسوة بأهل السنة ، وذلك مخـافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية .

يا ربِّ ، قد عشتُ في دُنياي مغترباً ... ويلاه إنْ أغْترِبْ في العالم الثاني !

حاشاك ، ياربِّ ، في أُخراي تَحْرِمُني ... ياربِّ ، حَسْبيَ في دنياي حرماني

أستغفر الله من كُفران نعمتِهِ ! ... بل فوق ما أَسْتحقُّ اللهُ أعطاني

ألم يجدْني أخا غيٍّ فأرْشَدَني ؟ ... وهائماً غير ذي مأوىً فآواني ؟

ألم يجدني أخا جهلٍ فعلَّمَني ؟ ... وعائلاً غير ذي وجْدٍ فأغناني ؟ (١)

وما البكاء على الدنيا وزخرفها ؟ ... شاهت ولو أنها دنيا سليمان !

وما أُبالي بما في الكون أجمعِه ... إنْ صحَّ منه الرضا عني وأرضاني

لبيك مِلْءَ فمي ، لبَّيْك ملْءَ دَمِي ... لبَّيْك يارب من قلبي ووِجداني

إليك شفَّعْتُ من تُرْجَى شفاعته ... يارب، إن خَفَّ يوم الحشر ميزاني

---

(١) في هذا البيت وما قبله تأثر الشاعر بمعاني القرآن الكريم في سورة « والضحى » « ووجدك ضالا فهدىٰ ووجدك عائلا فأغنىٰ » .

الركب المقدس

بمناسبة عيد الهجرة

نشرت فى الرسالة بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٦٤ م (العدد ١٠٦١)

أىُّ ركب دبَّ فى جوْف الفلاهْ ... يقْتَفى التاريخُ فى شوق خطاهْ ؟ (١)

تحتَ جُنْحَ الليل يسرى خُفْيَةً ... فى سبيل الله والحقِّ سُراه(٢)

يقطع الليلَ مَسيرًا ، فإذا ... وشَت الشمسُ به ، ألقى عصاه

وقريشٌ خلفَه لاهثةٌ ... تسأل الركبانَ عنه والمشاه (٣)

فكأنَّ البرقَ فى خَطْفَتِهِ ... أعْيُنٌ شزراءُ ، وَدَّتْ لو تراه

وكأن الطودَ فى إطراقِهِ ... سامعٌ تُنْصِتُ منه أُذُناه (٤)

وكأن الرملَ يُحْصِى خطوَه ... وكأن النجمَ من بعض الوُشاه

غير أن الركبَ يمضى ثابتا ... وشعاراه : اتْئادٌ ، وأناه

ويقينٌ بالذى يحرسُه ... من يَلُذْ بالله لم يَخْشَ سواه

فى سبيل الله يمشى آمنا ... كيف يخشى وَهْو يمشى فى حِماه ؟

قِلَّةٌ لكنها فى عزمةٍ ... لا قليلٌ ذَرْعُها أو مُتَنَاه (٥)

ما نجومُ الليل إن قيست بها ؟ ... ما رمالُ البيد ؟ ما قَطْرُ المياه ؟

لا دُروعٌ سابغات ، لاقنا ... مشرعاتٌ ، لاسيوفٌ منتضاه

قوة الإيمانِ تُغْنى ربَّها ... عن غِرار السيف أو سنِّ القناه

---

(١) الفلاة : الصحراء : ، يقتفى : يتتبع .

(٢) سرى سرى ، وأسرى إسراء : سار ليلا .

(٣) لاهثة : من لهث لهثًا ـ ولهاثًا بالضم ـ : أخرج لسانه عطشاً ، أو تعباً ، أو إعياء .

(٤) الطود : الجبل .

(٥) الذرع : الطاقة والقوة . أى : أن قوة هذه القلة كثيرة ، غير متناهية .

ومن الإيمان : أَمنٌ وارف ... ومن التقوى : حصونٌ للتقاه

ركبُ طه وأبى بكر سَرى ... فى حواشى الليلِ ؛ فانجابَ دجاه [1]

ما اهتدى بالنجم فى جنح الدُّجى ... بل سرى النجمُ لعَمْرى فى سَناهْ

آه لو تعرِفُ أطباقُ الثرى ... من أقلّت أرضُها الصمَّاءُ آه !

لو دَرَتْ من حملتْهُ ، لثمت ... قدميه حين تخطو قدماه

واستحالت جنةً وارفةً ... من نخيل يانعٍ ، دان جَناه

لو دَرَى المُزنُ به ظلّلَهُ ... من هجيرٍ يشتكى الضبُّ لظاه

وهَمَى مَاءً عليه باردًا ... وحميمًا فوق من يبغى أذاه [2]

لو دَرَى القفرُ بمن يجتازُه ... ضجَّ بالتسبيح والذكر حَصاه

لو درى الدَّوْحُ بمن مَرَّ بهِ ... لحنى الدوحُ له شمَّ الجِباه

لو درى الوحش به ، ما نفرت ... ظبيةٌ منه ، ولا فَرّت مهاه [3]

لو درى الطير به ، ما أجفلت ... منه ورقاءُ ، ولا ريعَتْ قطاه [4]

❊ ❊ ❊

من هو الركبُ ؟ نبىٌّ مرسَل ... وحواريٌّ تهدى بهداه [5]

رَجُلاه بهما الدارُ نَبَتْ ... فغزا العالمَ طُرًّا رجلاه

ومشى التاريخُ من خلفهما ... مرهفَ الآذانِ تَرْنو مُقلتاه

فى يديه لَوْحُه ، ما همَسَا ... همسة إلا وخطتها يداه

إن يكن هاجر منها كارِهًا ... فَغَدًا يأْتى على رأسِ الغزاه

---

(١) انجاب دجاه : انكشفت ظلمته .

(٢) همى ماء : صبه ، والضمير للمزن .

(٣) نفرت الظبية : شردت ولم تستقر .

(٤) أجفلت : أسرعت ، ريعت : فزعت وخافت .

(٥) الحوارى : الناصر ، أو ناصر الأنبياء خاصة .

وغــــدًا يُشْعلهــــا بيضـــاءَ فى ... بلـــدٍ جَــارَ عليـــهِ ونفـــاه (١)
وغــدًا يعفُــو ، ولـــو شــاءَ غَــدَا ... كلُّ مكـىٍّ غـــريقـــاً فى دمــــاه
وغــــدًا يجنى رءُوســـــاً أينعـت ... فى القصـاص العــدل للنـاس حيـاه
ومن العفــــو : ضــــرارٌ ، وأذًى ... ومن العفـــو : عقــابٌ للجُنــــاه

❊ ❊ ❊

حلَّ ركـبُ المصطفى فـى يثــربِ ... كيف لا، واللهُ يَــرْعَـى من رعـــاه ؟
رحَّبَـتْ يثــــربُ، بـل ألقت علـى ... أُذُن الـــدهـــرِ هُتـافًــا ؛ فَــوَعـاه
« طلع البــدر » : نشيـــدٌ خـالـــد ... كلمـــا ردَّدَه الـــدَّهـــرُ شجـــاه
بشَّـــرَ الشِّـــرْك بمـــوت عــاجِل ... أيهـــا الشـركُ ، دَنَـا يــومُ الــوفـاه
أيهـــا الأنصـــارُ ، هـــذا يــومُكم ... يـــا سيـوف اللهِ فى حــربِ الطغــاه
اذكـرى ، يــابـدرُ ، مـا شـاهــدتـهِ ... من جنـــود الله فى حـــربِ عـــداء
واحكِ ، يـا إيـوان كسـرى ، للـوَرَى ... ذلك البــرج المُعَلَّـى : من محـــاه ؟
وارو ، يــا يـرمـوكُ ، مــاذا صَنَعَتْ ... بـــرءوس الــروم أَسيــافُ الكمــاه ؟
يــا طَرِيــدًا ، مـلأ الــدنيـا اسمُــه ... وغَـــدَا لحنــــاً على كـل الشفــــاه
وغــــدت سِيـــرتُــــه أُنشـــودةً ... يتلقَّــــــاهـــــــا رُواةٌ عـن رواه
ليت شعــرى : هل درى من طــاردوا ... عـــابــدو الـلات ، وأتبـــاع منـــاه ؟
هل دَرَتْ مـن طــــاردتْـــــه أُمـــةٌ ... هُبَلٌ معبـــودُهـــا ؟ شــاهَـتْ وشـاه !
طــاردَت فى الغـــارِ مَـنْ بــوَّأَهـــا ... مَقْصِـــــدًا لا يبلغ النجمُ مـــــداه
طــاردَتْ فى البيـــد مَـنْ شَـادَ لهـــا ... دينُــه فى الأرضِ جــاهًــا أىَّ جــاه
ســؤدد عــــالى الــذُّرَا مـــا شــادهُ ... قيصــرٌ يــومـــاً ، ولا كســرى بنــاه
ورأى التـــاريخُ مــــا أذهلـــــهُ ... فــانثنى مِنْ دَهْشتِــهِ يَفْغــرُ فــاه

---

(١) يشعلها بيضاء : إشارة إلى أفواج الناس التى أقبلت على الدين من غير إراقة دماء .

هـــالـــهُ فتحٌ تــرامى أفْقُــه   وأذانٌ ردَّدَ الكـــونُ صـــداه
ومحـــاريبٌ بشـــرق الأرض ، أو   غـــربِهــا تَشْـــدُو بتكبيـــرِ الإلـــه
يُهْـــرَع النـــاسُ إليهـــا زُمَـــرًا   كلما نـادى المنادى للصـلاه (١)
أيُّ دينٍ ذلك الـــدينُ الـــذى   حَـــوَّل الأفكـــارَ عن كلِّ اتجـــاه ؟
صَهَـــرَ الأنفُسَ حتى لم تعُـــدْ   تـــدركُ الأنفسُ شيئـــاً مـــا عـــداه
كم أب خـــاصـم فى الله ابنَـــهُ   وأخٍ حـــارب فى الله أخـــاه
بـــاسمـــه أمْسَى يسُـــوسُ الأرض مَنْ   يحلبُ النـــوقَ ،ومَنْ يـرعى الشِّيَـاه
ويجـــوبُ البحـــرَ مـن لم يَـــرَهُ   غيـــرَ طَيْف من خَيـــالٍ فى كـــراه
نـــاشِـــرًا مـن فـــوقـــه أعـــلامَـــه   تفـــزَعُ العِقْبـــانُ منهـــا والبُـــزَاه

❊ ❊ ❊

لم يكـن طـه لعَمْـــرى ســاحـــرًا   يخـــرِقُ العـــادات أو يَتْلـــو رُقَـــاه
كلُّ مـــا جـــاءَ بـــه من معجـــزٍ   سحَـــرَ الألبـــابَ : قـــرآنٌ تـــلاه
مُـــرسَـــلٌ نـــال بـــآى الـــذكـــرِ مـــا   لم ينـلْ من قبلُ مـــوسى بعصـــاه
وحَّـــد العُـــرْبَ ، وكـــانـــوا بَـــدَدًا   كهشيم النبت من شـــاءَ رعـــاه
قـــوَّةٌ كـــامنـــةٌ أخـــرجهـــا   مثلمـــا يخـــرجُ طَلْـــعٌ منْ نـــواه
فـإذا التيجـــانُ تهـــوِى، وإذا   بِـــرُعـــاةِ الإبْلِ للـــدنيـــا رُعـــاه

---

(١) يهرع - على صورة المبنى للمجهول - بمعنى : يسرع ، والزمر : جمع زمرة ، وهى الجماعة .

بغداد

قيلت هذه القصيدة فى مهرجان الشعر ، الذى أُقيم ببغداد عام ١٩٦٥ م

بغدادُ قرةُ عينِ الشرق ، بغدادُ ... لحنٌ تغنَّى به الإسلامُ والضادُ

الدهرُ يعرفها للكون عاصمةً ... تقودُه كيفما شاءتْ ؛ فينقاد

إن تبتسمْ تُشرقِ الدنيا ، وإن غَضِبَتْ ... ففى السمواتِ إبراقٌ وإرعاد

تُزْهى الحواضرُ ما شاءَت بحاضرها ... وكلُّها لكِ ، يا بغدادُ ، أولاد

الغربُ يعرف ما أدَّى بنوك لهُ ... الكُتْبُ تنطق ، والأقلامُ شُهَّاد

بنى عمومة طهَ ، ما أقول لكم ... وأنتمو لبنى العباسِ أحفاد ؟

تدرى العروبةُ يومَ الروع أنكمو ... لها سواعدُ فى الجُلَّى ، وأعضاد

ثُرتُم على البغى والباغى ، ولاعجبٌ ... فالشعب للحاكم الجلادِ جلاد

ما فى العراق افتراقٌ بعد ثورته ... أكرادُه عَرَبٌ ، والعُرْبُ أكراد

ما كَاسْم بغدادَ فى الأفواه أُغنيةٌ ... ولا كأمجادكم ، ياقومُ ، أمجاد

قل للألى طاف حول النجم طائفُهم ... وارتاد منهم طِباقَ الجوِّ مُرتاد : (١)

إن تفعلوا ، فبنو العباس من قدمٍ ... تناولوا بالأكفِّ النجمَ أو كادوا

أيامَ ملكُ بنى العباسِ مزدهرٌ ... له من الشمس والأفلاك حُسَّاد

عروشُهُم فوق ظهر الأرض راسخةٌ ... كأنها فوق ظهر الأرضِ أو تاد

لم أدر : كانوا ملوكاً أم فلاسفة ؟ ... عليهمو من نسيج العلم أبْراد

العلم حليتهم ؛ ما منهمو ملِكٌ ... إلا فقيهٌ ، ونحويٌّ ، ونقَّاد (٢)

---

(١) يشير إلى : الدول التى أطلقت أقمار الفضاء ، وتجاوزوا بها مدار الجاذبية الأرضية ؛ كأمريكا ، وروسيا .

(٢) التعبير « ملك » غير مناسب للخلفاء الذين يهمهم معنى الإسلام ، والشاعر متأثر بتعبير عصره .

فاض الفراتُ حضاراتٍ ؛ فكان له ... بها مع الماء إرغاء وإزباد

وسال دِجْلَةُ قبل الماء معرفةً ... منها ارتوت مُهَجٌ ظمأى وأكباد

ما كان للشعر فى بدوٍ وحاضرةٍ ... لولا رواتُك ، يا بغدادُ ، إنشاد

الشعرُ ، أنت التى علَّمْتِ وازنَهُ ... أن القوافىَ أسبابٌ وأوتاد (١)

دوَّنتِ ما نظَم الأسلاف من دُرَرٍ ... لولاك بادَتْ غواليها كما بادوا

كم من معارفَ قد أَحيَيْتِ داثرَها ... وكم لعلمٍ جديدٍ فيك ميلاد (٢)

لولاك ما كان للفصحى مذاهبُها ... وللحديث رواياتٌ وإسْناد (٣)

بغداد ، حسبُك من دنياك أربعةٌ ... هم فى الشريعة للأجيال روّاد (٤)

مدينةٌ ، للنُّواسيين ركنهمو ... فيها ، وللعلم والآداب قُصَّاد

العيشُ فيها كموج البحر مصطخبٌ ... فيه تلاقت من الألوان أضداد

لِلَّهْو فيها حوانيتٌ وأنديةٌ ... وللصلاة محاريبٌ وعُبَّاد

وللثقافة تأليف وترجمةٌ ... وللغناءِ مزاميرٌ وأَعواد

يارُبَّ كنز حوته دارُ حكمتها ... تُحْصَى النجومُ ولا يحصيه تعداد

كنز من الفكر فيه كلُّ مبتكرٍ ... أملاه ذهنٌ كومض البرق وقَّاد

يارُبَّ شعرٍ عراقىٍّ هتفت به ... كأنه لِىَ فى الأسحار أوراد

مازلت أتلوه حتَّى لم يعُدْ أبدا ... بينى وبين الألى قالوه أبعاد

الوهم مثَّلهم لى فى الكتاب ؛ فهمْ ... فوق الصحائفِ أرواحٌ وأجساد

---

(١) السبب : حرف متحرك وحرف ساكن . والوتد : ما كان فى العروض على ثلاثة أحرف .

(٢) الداثر : الهالك والهامد ، ويشير إلى : حركة العلوم والترجمة من علوم القدماء ، فى عصر العباسيين .

(٣) الإسناد : جمع سند ، والحديث المسند : هو ما أسند إلى قائله .

(٤) العدد أربعة : يشير إلى المعارف ، والعِلم الجديد ، واللغة الفصحى ، ورواية الحديث .

هذا ابن هانى على يُمْناىَ يُنْشدنى ... وعن يسارِىَ بَشَّارٌ وحمَّاد (١)

وأين منك عهودٌ رُحتُ أنشرها ... مرّت بها عقب الآماد آماد ؟

دعنى أُسَرِّحُ فى آثارها نظرى ... آثارُها عظةٌ كبرى و إرشاد

دعنى أعيشُ مع الماضين فى حُلُمٍ ... إن الهمومَ على اليقظان تزداد

علَّ الرشيدَ إذا أنشدت يسمعُنى ... إن الرشيدَ كريمُ الكفِّ جوّاد

وما الرشيدُ سوى لحنٍ يردده ... فمُ الزمان ، وللألحانِ ترداد

حصَّادُ هامِ العِدا فى كل معركةٍ ... وللسنابل يومَ السلم حصَّاد

ينهى ، ويأمر فى الدنيا ، وفى يده ... بعد المقادير إشقاءٌ وإسعاد

تُزْجَى إليه هدايا الرومِ لا كرمًا ... إن الضعيف لمن يخشاه وَدَّاد

أهاب بالسحب : أنَّى شِئت فانسكبى ... فكل نبتِك لى ، يا سُحْبُ ، إيراد

ربُّ القصورِ ــ قصور العزِّ ـ باذخةً ... كأنها فى نطاحِ السُّحْب أطواد

ربُّ الجوارِى اللَّواتى ما لهن سوى ... عواهل الفرس والرومان أجداد

من كل جاريةٍ للشعرِ راويةٍ ... كأنها غُصُنٌ فى الرَّوْض مَيَّاد(٢)

❊ ❊ ❊ ❊

لنا أوائلُ سنُّوا كلَّ مَكْرُمةٍ ... شمُّ الأَنوف أباةُ الضَّيْم أمجاد

شادوا المعاقلَ ، والآطامُ شامخةٌ ... لله والمجدِ والعمرانِ ما شادوا ! (٣)

---

(١) ابن هانئ : هو الحسن بن هانئ وكنيته : أبو نواس ، وبشار : شاعر عباسى شعوبى ، وحماد : الراوية ، وهناك حمادان آخران ؛ هما : حماد عجرد ، وحماد الزبرقان ، وكلهم من شعراء المجون .

(٢) فى هذه الأبيات الثمانية : من قوله : عل الرشيد ... إلخ . يبين الشاعر أزهى عصور بنى العباس فى زمن الرشيد ؛ فقد حارب أعداءه وانتصر عليهم ، وفتح باب العلوم والترجمة ، وكان عصره يزخر بالقوة فى الحياة الاجتماعية والسياسية والحربية ، وقد كان يغزو عامًا ويحج عاماً آخر .

(٣) الآطام : الحصون (كذا ـ برفع الآطام وشامخة ـ ضبطت فى الطبقة الأولى من هذا الديوان وعلى هذا الضبط : تكون « والآطام شامخة » جملة حالية وقد ضبطه الشاعر ـ رحمه الله ـ شامخة بالنصب حالاً من المعاقل والآطام ، وهما ـ على هذا لطبط ـ منصوبتان ، ورؤية الشاعر سديدة) .

إنْ يُسْألوا مالَهم، في السلم، ما بخلوا ... أو يُسْألوا، في الوغى، أرواحَهم جادوا

لهمْ سيوف على الأغماد ثائِرةٌ ... لكنْ لها قُلَلُ الأبطالِ أغماد (١)

همْ في رءوسِ أعاديهم ذوو طمع ... وفي الغنائِم - بعدَ النصر - زُهَّاد

ينقضُّ كالصقر فوق المدْنِ جيشهمو ... كأنما هي صَيْدٌ وَهْوَ صيَّاد

في السلم إن عاهدوا، والحرب إن ظفروا ... عن شِرْعة العدلِ والإسلامِ ما حادوا

لا تلمِسُ الأرضَ منهم بيضَ أوجههم ... إلا وَهُمْ لجَنَابِ اللهِ سُجَّاد

❊ ❊ ❊

أبناءَ يعرُبَ، لسنا من سلالتهم ... إن نحن لم نَسُد الدنيا كما سادوا

تكتَّلَت أُممُ الدنيا بأجمعها ... وأنتِ، يا أُمةَ التوحيد، آحاد

إني لأُوشِك أن أعتَدَّ وحدَتَنا ... دِينًا، وأنَّ افتراقَ الشملِ إلحاد(٢)

بالأمس: كُنَّا، وكان الشرق أجمعُهُ ... إن قام تُقْعِدْه أغلالٌ وأصفاد

في كل واد للاستعمار قاعدةٌ ... لها أساسان: تخريب وإفساد

واليوم: لاعيشَ للمحتلِّ في بلد ... حرٍّ، ولن تلبَس الأطواقَ أجياد

قد بات مارد الاستعمار محتضَرًا ... يبكيه من عُصْبة السكسون عُوَّاد

ما عذرنا إن بقينا أُمة شيعًا ... لكل جيش بها جندٌ وقُوَّاد؟

كادَ الأعادي لنا يومَ اللقاءِ، ولو ... أنَّا وقفنا لهم صفًّا، لما كادوا

لا يحرز النصرَ جيشٌ غيرُ متَّسِقٍ ... تباينت فيه أجْنَادٌ وأبناد(٣)

عجائب الدهر لا تُحْصَى، وأعْجَبُها ... أن يُخْلِيَ الغابَ للذؤبان آساد!

---

(١) قلل: جمع قلة، وهي كالذروة والقمة؛ والمراد: هام الأبطال ورءوسهم.

(٢) أعتد: أعد. والشاعر - هنا - يجعل وحدة العروبة عقيدة تصل إلى قوة الدين في النفوس.

(٣) الأبناد: جمع بند وهو العلم الكبير، وغير متسق: غير منظم من وسق.

البَغْىُ أَوْجَـدَ إسـرائيل مـن عـدمٍ ولن يـــدومَ لإســـرائيـل إيجـــاد

وإنمـــا القـــدر المحتـــوم لاحِقُهم يـــومًـــا ، وللقـــدر المحتـــوم ميعـــاد

فلْيعلم الغَـرْبُ أن الشـرق لافظُهم وإن أتتهمْ مـن الشيطـــانِ أمـــداد[1]

إنى أُسِـىءُ إلى الأوغـــاد قـــاطبـــةً إن قلت عن عصبة الصِّهْيوْن : أو غاد [2]

هم أحرزوا النصر ؛ حتى ما لغيرهمو فى النقص : نونٌ ، ولا قـاف ، ولا صاد

* * *

أبنـاءَ يَعْـرُبَ ، ذودوا عـن محـارمكم إن الكـــريمَ عـن الأعـــراض ذوَّاد

الــلاجئــون جِـراحٌ فى جــوانحِنــا تَـدْمَى ، فهل لجـراح العُـرْب ضَمَّـاد ؟

الــلاجئــون سَقـام فى مفـاصلنـا ولا شِفـــاءَ لـــه إلا إذا عـــادوا

أَلْقُوا بصهيون فى عُرْض الفَلاةِ ؛ فهم من عهـد فـرعـون أَفَّاقـون ، شُـرَّاد [3]

تعـــوَّدُوا النفىَ والتشـريـد من قـدمٍ وكلُّ مـــا عُـــوِّدَ الإنســـانُ يعتـــاد

سلْ « سُرَّ من را » : أباق فى مرابضها من جيشها الباسِلِ المغْوَار أفراد ؟ [4]

هل ثَـمَّ معتصم ثـــانٍ نُهِيـبُ بـــهِ ؟ نــادُوه ، يـا أهل يـافَـا ، جَهْـرةً ، نـادوا

---

(١) لافظهم : مخرجهم ، والأمداد : جمع مدد ؛ وهو : ما يتقوى به من سلاح ، أو طعام .

(٢) الأوغاد : جمع وغد ، وهو الأحمق الدنىء .

(٣) أفاقـون : جمع أفاق ـ كشداد ـ : من يضرب فى الأرض بحثًا عن الـرزق ، وتطلق على اليهود ؛ لأنهم لم يستقروا فى وطن .

(٤) سر من رأى ـ بضم السين والراء ـ أى : سرور ، وبفتحهما ، وبفتح الأول وضم الثانى ، وسامـرا ، وكان اسم هذا البلد سـاء من رأى . ولما شرع فى بنائه المعتصم (الخليفـة العباسى) ؛ ثقل ذلك على عسكره ، فلما انتقل بهم إليها ؛ سر كل منهم برؤيتها ، فلزمها هذا الاسم .

قـولـوا لمنقـذِ عَمّـوريّـةَ : اغْتُصِبَتْ منّـا الديـار ؛ فلا مـاءُ ، ولا زاد! [1]

❊ ❊ ❊

يـا يــومَ رَدِّ فِلَسطينَ الشهيـدةِ ، مـا للعُـرْب غيـرُكَ فى الأيـام أعيـاد

لا يحسَب القـوم أن العُرْبَ قـد عَقِموا شعبُ العُـروبـة لـلأبطـال ولّادَ

مـا زال فينـا لعَمْـرٍو ، وابن حـارثـةٍ وخـالدٍ ، وصـلاح الدين أنـداد [2]

---

(١) شاع أن عمورية هى التى استغاثت ؛ والصحيح أن القرية التى استغاثت هى « زبطرة » ، حين هجمها الروم ، وهتكوا أعراض نسائها ؛ بدليل قول أبى تمام .

لبيت صـوتًـا زبطـريـا هـرقت لـه
كـأس الكـرى ورضـاب الخـرد العـرب

وكان الصوت المستغيث لسيدة مسلمة ، سباها الروم بعد أن فتحوا « زبطرة » ؛ فاستغاثت : «وامعتصماه ! » ، ويروى أن هذا الصوت كان فى بيت من الشعر هو :

يـا ابن الخـلائف من ذؤابـة هـاشم
ذهبت « زبطـرة » منك إن لـم تـأتهـا

أما عمورية ؛ فكانت مدينة حصينة ، ولد فيها « تاوفلس » ملك الروم الذى حاربه المعتصم ، حين اعتدى على « زبطرة » ، وبعد أن خلصها من أيدى الروم اتجه إلى عمورية . قال أبو تمام :

يـا يـوم وقعـة عمـوريـة ، انصـرفت
عنك المنى حفـلا معسـولـة الحَلَبِ
أبقيت جـد بنى الإسـلام فى صعـد
والمشـركين ودار الشـرك فى صبب

راجع : رشفات من رحيق الأدب ، ص ٢٩٤ ، للدكتور عبد السلام سرحان ، ورسالة الدكتوراه عن : محمود غنيم وشعره ، د . محمد أحمد سلامة ، ص ٣١٤ .

(٢) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، ويضرب به المثل فى الشجاعة والإقدام .
وابن حارثة : هو زيد ؛ أبو أسامة بن زيد .

انتصار الجزائر

قالها الشاعر بمناسبة انتصار ثورة الجزائر على فرنسا ، ونيل الجزائريين استقلالهم .

قمْ ، نـــادِ : حيَّ على الفـــلاحْ | الفجــرُ ـــ فجــرُ السلم ـــ لاحْ
ولكـلِّ غـــاشيـــةٍ مـــدًى | ولكـلِّ داجيـــةٍ صبـــاح(١)
كفَّ المجـــاهـــدُ فى الجـــزا (م) | ئر عن مـــواصلـــةِ الكفـــاح
ألقـى الســـلاحَ ، ولـم تـــزل | يَـــدُهُ تشـــدُّ على الســـلاح
وإلـى الـــدمـــاء بكفِّـــهِ | تتعطش البيضُ الصِّفـــاح(٢)
جنـــــــدُ الصليبيِّـن فـى | أوراس هـــادنَهم صـــلاح(٣)
إن يصـــدقـــوا فـــالسّلم، أو | فـــالسَّيف إن كـــذَبَتْ سجـــاح(٤)

❊ ❊ ❊ ❊

حـقٌّ إلـى أربـــــابـــــهِ | ردَّتْـــه أطـــرافُ الـــرِّمـــاح
مـــا سلَّـم العـــادِى بـــهِ | عـن طيـبِ نفـسٍ أو سَمَـــاح
كفلَـتْ لهم عَـــزَمـــاتُهم | لا مجلسُ الأمـنِ النجـــاح
دقُّـــوا عليـــه بـــابـــهُ | وبـــوجهـــهِ عنهم أشـــاح(٥)

---

(١) الغاشية : القيامة ، والنار ، والمراد : المصيبة .

(٢) الصفاح : جمع صفح ، وهو من الوجه والسيف عرضه ، فالصفاح : السيوف العراض .

(٣) أوراس : منطقة جبلية ، تحصن فيها المجاهدون الجزائريون ، وفيها كانت المفاوضات .

(٤) سجاح : أميرة تغلبيـة اشتهرت بالكذب وتـدبير المؤامرات مع مسليمـة ضد المسلمين ، وكانت من بنى تميم وتزوجت فى تغلب ، وكانت دسيسة الفرس ضد الإسلام .

(٥) أشاح : أعرض وتكبر .

لم يُجْدِهِمْ عَرْضُ اقترا (م) ح ، أو مناقشةُ اقتراح

ما للحقوقِ بغيرِ نا (م) رِ الحرب نورٌ واتّضاح

لما رأَوْا صممَ الدُّعا (م) ةِ إلى السلام عن الصياح

هبُّوا يصدُّون الدَّخيـ (م) ـلَ عن العرين المُسْتَباحَ

بعزائمٍ يَقْدَحْن نيـ (م) رانًا إذا نَبتَ القداح

من كل أعزلَ ؛ نارُهُ   وحديدُه : الحقُّ الصُّراح

إيمانُهُ نفَّاثةٌ   تطوى الفضاءِ بلا جناح

وثباتُهُ جيشٌ تمو (م) ج به الرَّوابِي والبِطاح

إن خاض نارَ الحرب فهْـ (م) وَ أهَبُّ من هُوجِ الرياح

العار يخشاه ولا   يخشى على الرُّوح الرَّوَاح

عربٌ يَزينهمُ السما (م) حُ ، وبالكرامة هم شِحَاح

يردون حوض الموت ، أو   يحيوا بأعراض صحاح

وكأَن طعم الموت فى   أفواههم شهد وراح

كم من غزالٍ فى الجزا (م) ئرعلَّم الكبشَ النطاح

بيضٌ ، لها بالبيضِ والسُّمْـ (م) ـرِ : انتطاقٌ ، واتِّشاح[1]

تستقبل الموتَ الزُّؤا (م) مَ بأوجهٍ غُرٍّ صِباح[2]

لكِ ، يا جميلةُ ، سِيرةٌ   مثلُ الزهورِ لها نُفاح[3]

أنا لستُ أدرى : من زئيـ (م) رِ كان صوتُكِ أم صُداح ؟

---

(١) بيض - الأولى - : جمع بيضاء صفة المكافحة الجزائرية ، وبيض الثانية - جمع أبيض - : السيف . وانتطقت المرأة النطاق : لبسته على وسطها ، واتشحت بالوشاح : شدته ولبسته .

(٢) الزؤام : الكريه .

(٣) النفاح - بالضم - : الرائحة الطيبة .

حَسْبُ الفـــــــــرنسيِّين أن　　يَخْشَــوْا مُسَــاوَرَةَ المِــلاح[1]

ألبَسْتِهِـم عـــــارا ، وبعـــــ (م) ـــضُ العــارِ لا يَمْحُــوه مــاح

قــابلتِ حكمهمـــو عليـــ (م) ـــكِ بكـلِّ بشـــرٍ وارتيـــاح

السِنُّ تضحـك ، والمحيّـــ (م) ـــا مشـرقٌ ، والـوجـه ضـاح

حتـى إذا الجـــلاَّدُ نـــا (م) دى : يـا جميلـــةُ ، لا بـــراح[2]

أشْعلتِهـــا نـــارا عليـــ (م) ـــهِ ؛ فـاسترحْتِ ، ومـا استراح !

مـــا كـــان حكمهمـــو عليـــ (م) ـــكِ سـوى وسـام أو وُشـاح

ومن المحـــاكـم مـــا يشـــا (م) بُ الجـــدُّ فيـــهِ بـــالمُـــزاح

بـــالعـــدل تهتف وهْـــوَ من　　أحكـــامهـــا دامى الجـــراح

❊ ❊ ❊

أيْـن الـــذيـن علـى العَـــدا (م) لـــةِ يُكثِـرون من النّـــواح ؟

هل لـــلألى نصحـــوا بتحـــ (م) ـــقيق المســـاواة انتصـــاح ؟

مـــا بـــالُهم لـم يـــوحِ غيـــ (م) رهمـــو بـــالاستبـــداد وَاح ؟

قـــوم دَعَـــاوَاهمُ عِـــرَا (م) ضٌ حين تَـــذْرَعُهـــا فِســـاح

فَضَحتْ معـــاملـــةُ الجـــزا (م) ئر دَجلَهـم أىَّ افتضـــــاح[3]

قـــالـــوا : العـــدالـــة بنتُ مـــا (م) ءِ السِّينِ ، قلنـــا : من سفـــاح[4]

---

(١) المساورة ـ من ساوره ـ : أخذ برأسه ، ووثب إليه .

(٢) لابراح : لا ريب من تعذيبك .

(٣) الدجل : فى البيت ـ : الكذب والتمويه .

(٤) يشير الشاعر إلى : أن فرنسا التى ادعت أنها صاحبة حقوق الإنسان ـ ومنها العدالة ـ هى التى انتهكت حرمة العدالة ، وهى تطلبها لنفسها فقط وتحرمها على غيرها ، وقد قال شوقى :

إنى رأيت يـــد الحضـــارة أولعت　　بـــالحق هـــدمًـــا تـــارة وبنـــاء

شـــرعت حقـــوق النـــاس فى أوطـــانهم　　إلا أبـــــاة الضيم والضعفـــــاء

أئذا غــزا النــازى فــرنـــ (م) سَـــا لا تكفُّ عـن النّبـــاح ؟ !
لكـنَّ مَـنْ يغـــزو الجـــزا (م) ئرَ مـــا عليـــه مـن جُنـــاح

* * *

حـيِّ ابنَ بِــــلاَّ ، وَاتْـلُ فـى أُذْنَيْـــهِ ســورةَ الانشـــراح
وقـل الســلامَ على جـــوا (م) دٍ لايلينُ لـــــه جمـــاح
لـك من قَـــريضى بـــاقـــةٌ لا مـن عَمـــارٍ، أو أقـــاح[1]
أنـــا لا أخَصُّك دون قـــو (م) مكَ ، يـــاابْنَ بِـلاَّ ، بـــامتـداح
سِفْـــرُ الجهـــاد همـــو ، وإن شــابَتْـــه صفْحـــةُ الافتتـــاح
إن قيَّـــدوكَ فقـــد أُصِيــــ (م) ـبوا بعـد قيـدكَ بــالكُســاح
مـــا كـــان سجنُـك ـ إذْ نزلْــ (م) ـتَ بـه ـ سوى غُـرَفٍ وَسـاح[2]
فكـــأنَّ سَـــاجنَكَ السجيــ (م) ـنُ ، وأنتَ منطلقُ السَّــراح
ثمـن العـــلا والمجـــد مـــا قـــدَّمتمـــوه من أضَـــاح
مـــاســـال مـن دمكم لـــــهُ عَـــرْفٌ كعَـــرفِ المسْكِ فـــاح
مـن كـل جُـــرحٍ ســـائلٍ تمتـــدُّ ألسِنـــةٌ فصـــاح
إجْتَحْتُـم المتهجميــــ (م) ـن على الحِمَى أىَّ اجتيـــاح
وسقَيْتُمـــوهم دمْعَهـم بـــدلا من المـــاء القَـــراح[3]
للعُـــرْب أجمعَ قـــد تحقَّـــ (م) ـق ذلك النصـــرُ المتـــاح
وطن العـــروبـــة ليس للـــ (م) ـراعين بـــالكـــلإِ المبـــاح

---

(١) القريض : الشعر . والعمار ـ بفتح العين ـ : الريحان يزين به المجلس . وأقاح : جمع الأقحوان .

(٢) ساح : جمع ساحة .

(٣) القراح : الماء الصافى .

صونوا مكاسبَكم وما حققتموه من الرباح

السلم ناحِيَةٌ ، وقد بقيتْ أمامكمو نواح

لايستخفَّكم المِرَا (م) ح ؛ فربما قتل المِرَاح[1]

إنى أعيذُ صفوفكم من كلِّ خُلْفٍ أو تلاح[2]

والحقد فاطَّرحوه ، ما للحِقْد إلا الاطِّراح

والله ، ما يُرْجَى لقو (م) مٍ بينهم إِحَنٌ صلاح[3]

الشرق أغفى حِقْبَةً واليوم جَفْنُ الشرق صاح

صوت الشعوب مدوِّيا بكِيان الاستعمار طاح

ما عاد هذا المسخُ يُزْ (م) عجُنا بطلْعَتِهِ الوَقاح[4]

بعدالة ألقى عصا (م) ه فوق عاتقه وراح[5]

---

(١) المراح : الزهو والاختيال .

(٢) التلاحى : التجادل الذى يؤدى إلى التشاتم .

(٣) االإحنة : الحقد والغضب ، وجمعها : إِحَنٌ كعنب .

(٤) طلعة وقاح : وجه لا حياء فيه .

(٥) ألقى عصاه : كناية عن الإقامة ، والشاعر لا يقصد ذلك ؛ بدليل قوله : فوق عاتقه . وكان عليه أن يأتى بكلمة فى معنى : حمل أو رفع ويستقيم بها الوزن .

فى مهرجان الجزائر

زار البقيعَ ، وحجَّ زائرْ   شدَّ الرحالَ إلى الجزائرْ (١)

لبَّيْتُ حين نزلتُها   وأقمتُ للحجِّ الشعائر

ونضَوْتُ أثوابى بها   واعتضتُ عنها بالمآزر (٢)

وخلعتُ نعلى فوق تر (م) بِ مثلِ تُرب الطُّور طاهر

شدُّ الرِّحالِ إليكمو   للذنبِ عند الله غافر

* * *

جبلُ الجزائر أنت ، يا   أُوراسُ ، أم جبلُ المجازر ؟

هل فيك شبرٌ لم يخضَّـ (م) ـبْهُ دَمٌ من جُرح ثائر ؟

مَثَلٌ لِعَمْرى ، أنت ، للـ (م) ـحُرِّيَّة الحمراءِ سائر

يا أُمةَ الشهداء ، يا (م) عِرِّيسةَ الأُسْد الزوائر (٣)

الحاملين على العدا   مثلَ السيول أو الأعاصر

الصاعدين على الهضا (م) ب ، الهابطين إلى المغاور

المؤثرين لطعنةٍ   من قاتلٍ عن قيد آسر

المنكرين ذواتِهم   حتى تراهم بالمجاهر

ما مَنْ يجاهد خُفيةً   خلف الستار كمن يجاهر

لم يطمعوا ـــ إذ دافعوا   عن أرضهم ـــ فى أجر آجر

---

(١) البقيع : مدافن الصحابة والسلف الصالح بالمدينة .

(٢) نضوت أثوابى : خلعتها .

(٣) العريس والعريسة : مأوى الأسد .

مـن ذاد عـن أوطـــانـــه لينـال أجـرًا، فهْـو تـاجـر
عُـزلٌ أمـام مـد جَّجيــ (م) ـــن بكـل مـاضى الحـدِّ بـاتـر
إن غــاب حــدُّ سـلاحهم فيقينُهـم بـالله حـاضـر
أغنـاهمـو إيمـانُهـم عـن كـلِّ طـائرةٍ وطـائر
هـدُّوا المـدافـع بـالفئـو (م) س، وبـالعصىّ، وبـالخنـاجـر
مـا كـان أعـزلُهم بـوا (م) هى العـزمِ فـى الهيجـاء خـائر
لـو لم يجـد فأسـاً ولا حجـرًا ،لحـارب بـالأظـافـر
شبَـحُ المنيَّـةِ إن أغـا (م) روا ،لا يـدور لهم بخـاطـر
لـو مـات منهم تِسعَـةٌ لم يـرهب الإقـدامَ عـاشـر
إن يـركبـوا كـانـوا قَسَـا وِرَ ، تَحتهـا خيلٌ ضـوامـر [1]
وإذا مشَـوْا نَقَبُـوا الثـرى نقبـا كأنَّ لهـم حـوافـر
مـن كـل رامٍ حـاذق فى الـرمى والتَّسـديـد مـاهـر
بـالـرُّوحِ تَسمح نفسـه وبِعِـرْضـه فى بُخْل مَـادر [2]
مـا مـات منهم واحـدٌ بـرصـاصـةٍ من كـفِّ غـادر
إلا انبـرى للثأر منـ (م) ـهُ ألفُ ثـائرةٍ وثـائر
كـم زان سيـفٌ مِعْصَمـا كـانت تزيِّنُـه الأسـاور
كـم غـادةٍ هيفـاءَ يشـ (م) ـكُو جيـدُهـا حملَ الجـواهـر
مـا آدهـا حملُ السـلا (م) ح ولاشَكَتْ ثِقْلَ الـذخـائر [3]

---

(١) قساور وقساورة : جمع قسور وقسورة ؛أى : الأسد .

(٢) مـادر : لئيم من بنى هـلال ضـرب بـه المثل فـى البخل ؛ إذ كـان يسقى إبلـه ، فبقى فى الحوض قليل ، فأفسده .

(٣) آدها ـ من آد يأود أودا ـ : أعياها وأثقلها .

بـــالسهـــدِ ،لا بـــالكُحْل، يـــو (م) مَ الـــزحفِ كحَّلَتِ النـــواظـــر
نسجَتْ حَمـــائلَ سيفهـــا في الحـــرب من سُـــورِ الغـــدائر
كـم ذاتِ جفـنٍ فـــاتـــرٍ صـــالت بعـــزمٍ غيـــرِ فـــاتـــر
كـم للجـــزائر قصـــة تُتْلى كمـــا تتلى المـــزامِـــر[1]
قـــام الـــرُّواةُ بنقلهـــا فَصَغَـــا إليهـــا كلُّ ســـامـــر
أهـلَ الجـــزائرِ ، أنتمـــو ملءُ الخـــواطـــرِ ، والمشـــاعـــر
لـــو صُغْتُ كُلَّ مشـــاعـــرى شَكَت المحـــابِـــرُ ، والـــدفـــاتـــر
أنـــا لست أسْلُـــو حُبّكـم « غيـــرى على السُّلـــوان قـــادر»
أنتـم لطُـــلاَّب الحقـــو (م) قِ ـــ إذا همـــو ضَلُّـــوا ـــ منـــائر
أنتـم لتـــاريـخ الشعـــو (م) بِ ـــ إذا هـــى انتَفَضَتْ ـــ مصـــادر
أنتـم أســـاتـــذةُ الـــورى في حـــربِ تقـــريـــرِ المصـــايـــر

❊ ❊ ❊

جُـــرْحُ العـــروبـــةِ فى احتـــلا (م) لِ القـــدسِ عـــزَّ على الجبـــائر
عجبى علـــى الـــذؤبـــانِ : كيـــ (م) ـف عَـدَتْ على الأُسْدِ الكـواسر ؟ !
فسـدَ القيـــاسُ ؛ ومـــا أصـــا (م) بَتْ فـى حَـزِيـــرانَ المعـــايـــر[2]
خَسِـــرَ القضيـــةَ صـــاحبُ الـــ (م) ـــفوزِ ، المبينِ وفـــاز خـــاســـر
لـــو تنطقُ الأفـــلاكُ ، قـــا (م) لـتْ : تلك نـــادِرَةُ النـــوادر
أنـــا لا أُصـــدِّق مـــا أرى عَقْلِي عن الإدراكِ قـــاصـــر
أنـــا حـــائرٌ فـى سِـــرِّذَا (م) لِكَ الانـــدحـــار ، وألفُ حـــائر

---

(١) المزامر : هى مزامير داود « عليه السلام » وهو : ما كان يتغنى به من الزبور .

(٢) يشير إلى : حرب حزيران « يونية » سنة ١٩٦٧م بين العرب وإسرائيل ، حين انتصر المعتدى ، وخسر صاحب الحق .

أمـــرٌ تطيشُ لـــه العقـــو (م) لُ ، ومنـــه تنْفَطِـــرُ المـــرائر[1]

قـــالـــوا : تُظَـــاهِـــرُهُم قـــوى الـــ (م) ـــعدوانِ ، قلنـــا : فَلْتُظَـــاهـــر

فـــى شعـــب « فِتْنَـــــامَ » الأَبِـيِّ (م) المُسْتَمِيتِ لنـــا بصـــائر

هـــل بين مَـــنْ قهـــروا الصليـــ (م) ـــبيين للصِّهْيَـــوْنِ قـــاهـــر ؟

شُـــــــذَّاذُ أهـــلِ الأرضِ فـــى « حَيْفَـــا » أذلُّـــوا كلَّ كـــابـــر

وَعَنَـــــا لهم عَـــــرَبٌ عَنَـتْ لهُمُ القَيَـــاصِـــرُ ، والأكـــاسـر[2]

قـــالـــوا : اليهـــودُ ، فقلت : شعـــ (م) ـــبٌ من قـــديم العهـــدِ فـــاجـر

مـــن يـــــومِ أجْـــــلاَه النبىُّ (م) عن المـــدينـــةِ وهْـــوَ صـــاغـر[3]

إن ينسَ مـــــاضيَـــــه مع الـــــ (م) إســـلامِ ، فـــالتـــاريخُ ذاكـــر

بَـــــرِىءَ الخليلُ وسبْطُـــــه يعقـــوبُ من تلك العنـــاصـــر

* * *

حَتَّـــام ، يـــاقـــومى ، نُفـــا (م) خِـــرُ بـــالأوائل إذْ نفـــاخـــر ؟

أنعيش عـــــــالاتٍ على زمنٍ بعيـــدِ العَهْـــدِ غـــابـــر ؟

خَلُّـــوا صـــلاحَ الـــدين خَلُّـــ (م) ـــوا خـــالـــدًا رهْنَ المقـــابـــر

كـــلٌّ علينـــــا ســـــاخِـطٌ فى قَبْـــرِهِ ، والكلُّ ســـاخـــر

لا تـــــذكـــــروا مجـــــدِ الأوا (م) ئلِ ، واذكـــروا عمَـــلَ الأواخـــر

الصبـــــرُ طـــال علـى الهـــوا (م) نِ ، فهل يُثَـــابُ عليـــه صـــابـــر ؟

---

(١) تنفطر : تتشقق ، والمرائر : جمع مرارة و ؛هى : هنة لازقة بالكبد لكل ذى روح ، ما عدا النعام والإبل .

(٢) عنا : ذل وخضع .

(٣) يشير الشاعر إلى يهود بنى النضير فى الآية : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . » ، سورة الحشر ، الآية : ٣ .

صَبْـرُ الكـريم على المـذلَّـ (م) ـةِ والأذى إحـدى الكبـائر
طـال الـوقـوفُ على القنـا (م) ة ، أَمَـا لهـذا المـاء عـابـر ؟
مـاذا يفيـدُ ــ بغيـرِ ضَـرْ (م) ب ــ صـارمٌ فى كـفِّ شـاهـر ؟
شُـدُّوا على أعـدائكـم (م) أو سَـرِّحُـوا تلك العسـاكـر
مـا العـارُ فـى الخـذلانِ ، لٰـ (م) ـكِنْ فى الـرضـاءِ بـه المعـايـِرْ
لا تحـذَروا خطـرَ الهجـو (م) م ؛ فليس يظفـرُ مَنْ يحـاذرَ
بـل قَـامِـرُوا بمصيـركم فلَـرُبَّمَـا فـاز المُقَـامـر[1]
فِتيـانُ فَتْح وحـدهـم فـى الحـظ ليس لهم مـؤازر
وكمِيُّهُـمْ بيـن العِـدَا ومكـايـدِ العمـلاء حـائر
لله دَرٌّ فتـى العـرو (م) وبـة : يـاسـر ؛ ورجـال يـاسـر !
لاتطلبـوا الإنصـافَ مِنْ قـاضٍ بـواشنْطـونَ جـائر
حُكَّـام وَاشُنْطُـون ــ عنـ (م) ـد الحكمِ ــ ليس لهم ضمـائر
لاتَبْسُطـوا الأَعـذارَ ؛ مـا فى النـاسِ للمغلـوبِ عـاذر
النـاسُ أنصـارُ القَـوِىِّ (م) وليـس للضعفـاء نـاصـر
لا تُـوسِعُـوا الأَقـدارَ لَـوْ (م) مًا ، أو تقـولـوا : الجَـدُّ عَـاثِـر[2]
شـرٌّ صنعْنَـاهُ بـأَيـ (م) ـدينا ، فمـا ذنْبُ المقـادر ؟
حتَّـام يَحْتَـدمُ الخـلا (م) فُ ، وفيـمَ تفتـرقُ العشـائر ؟
الجـوُّ لا يصفـو لنـا إلاإذا صَفَـتِ السـرائر
والنصـرُ طـوعُ العُـرْبِ ، مـا عَقَـدوا على النصـر الخنـاصـر

---

(١) المقامرة : المراهنة ، ويقصد : المغامرة .

(٢) الجد : الحظ والنصيب ، العاثر : التعس المصاحب للشر .

أحسبتُمُ النصـــرَ المبيـــــ (م) ـــنَ يجيئكُم معَ صُبْحِ بـاكـــر ؟
فـى سَلَّـــة خضـــراءَ حُفَّـــ (م) ـــت بـالــورود ، وبـالأَزاهـر ؟
وجنــــودكـم رهـنُ الكَـــرى
بين المخـــادع ، والمقـــاصــر ؟
النصـــر دون سبيلـــــهِ
قبضُ الأكُفِّ على المجـــامـر
النصـــرُ دون بلـــوغـــهِ
عَـرَقٌ كمـــوج البحــرِ زاخــر
ودمٌ يمـــورُ على الثَّـــرى
متأججُ القطـــرات فـــائر[1]
هيهـــات !لا تَـأْسُــو جـــرا (م) حـاتِ الحمى خُطَبُ المنـابــر
الحقُّ يــؤخـــذ بـــالخنـــا (م) جـرِ ، لا هتـافـاتِ الحنـاجـر
لغـــةُ المـــدافع وحـــدهـــا
أسلـوبُهـا فـى الحـرب سـاحـر
وقـــذائفُ البـــارود أبـــ (م) ـــلغُ من قصـائد ألـفِ شـاعــر
وزئيـــرُهـــا عنـــد الـــوغى
من بعضِ رنَّـات المـزاهـر[2]
وشـــواظُهـــا قَبَسٌ يُضِــــ (م) ـيءُ لنا المسالِكَ فى الدَّيَاجر[3]
لَهْفِـى علـى الأَحـــرار مـن
أَهْلِ العــروبـــةِ والحـرائر
سكـنَ العــراءَ رجـــالُهم
ونســـاؤُهم بعـــدَ العمـــائر
يـــا لاجئيـن، وجـــرحُكـم
مُتَغَلْغِلٌ فـى القلـبِ غـــائر
لاتيئســـوا يـــا قـــوم ؛ ســو (م) ف تـــدقُّ للنصــرِ البشـــائر
هـى هجـــرةُ قمتـم بهـــا
والنصــرُ يُكْتَبُ للمهـــاجـــر
لكـــأنَّنِى بِغَـــدِ وقـــدْ
دارَتْ عَلى البـــاغِى الــدوائر
كـم ضـــاحكٍ فـى يـــومـــه
يبكى غـــدًا ملءَ المحـــاجـــر

---

(١) دم يمور : يجرى كالسيل . فائر : يغلى .

(٢) المزاهر - جمع مزهر - : آلة موسيقية ، أو عود يضرب به .

(٣) الدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

بــــارُبَّ شـــــاكَ منكمـــــو   قـــد عـــادَ يـــومًـــا وهْـــوَ شـــاكـــر

العُــــرْبُ نحـن وليس يُفْـــــ (م) ــــلتُ مـن يـــد العَـــرَبِـىِّ واتـــر

أنتـم على سفـــــرٍ ، وســـــو (م) ف يعُـــودُ للـــوطـنِ المســـافـــر

أملَ العـــــروبــــةِ ، يـــا ابْنَ مـــد (م) ينَ ، من يَلُـــذْ بك فَهْـــوَ ظـــافـــر[1]

تـــدرى العـــــروبـــــةُ كـم لنَجْــــ (م) ــــدَتِها ركبتَ من المخـــاطـــر

ولـــــرُبَّمَـــــا عقَــــدَتْ على النَّـــ (م) ــــوَم الجُفـــونَ وأنـت ســـاهـــر

للهِ قلبُـــكَ ! إنـــــــــــــــــهُ   بـــــالحبِّ والإِســـلامِ عـــامـــر

مُسْتَـــــرْشِـــدٌ بهـــدى الحنيــــ (م) ــــفةِ ، بـــاسمهـــا نـــاءٍ ، وآمـــر

فـــى عـــــــــــالمٍ مُتَحَلِّـــلٍ   بـــالـــدين والـــديَّـــانِ كـــافـــر

أقسمتُ ، مـــــا زجـــرَ الـــورى   عن غَيِّهـم كـــالـــدين زاجـــر

وهـى الحضـــــارةُ ؛ كـم عليــــ (م) ــــها للحنيفـــة من مـــآثـــر

كم بـــــاسمهـــا نشـــر العلـــو (م) مَ ، وأَسَّسَ العَـــرَبُ الحـــواضـــر

ولقـــــد تشيبُ الشمسُ ، والـــــ (م) إســـلامُ غضُّ العُـــودِ ، نـــاضـــر

تـــدرى العـــروبـــةُ ، يـــا ابْـنَ مـــد (م) ين ، أنـكَ الـــرجلُ المغـــامـــر

لـــك فى جميع ربـــــوعِهـــــا   ذكـــرٌ كنفحِ المسْك عـــاطـــر

كَـــــذَبَ الـــــذى زعم العـــــرو (م) بـــةَ لـم تعُـــدْ تَلِـــدُ العبـــاقـــر

فـــــلأنتَ أكبـــــر شـــاهـــد   مـــــا أُمَّـــةٌ ولـــدتْـكَ عـــاقـــر

للعُـــــرْب أنـت ، وأنـــــورٌ   ومعمَّـــرٌ ، إن غـــابَ نـــاصـــر

---

(1) فى هذه الأبيات : نجد الشاعر يشم رائحة المستقبل ، وكأننا به وهو يرى ويسمع ما يقوم به الرئيس الجزائرى « بو مدين » ؛ من مؤازرة للعرب ، فى معركتهم ضد اليهود الباغين قبل العاشر من رمضان وفى أثنائه ، وبعده ! وقد توفى الشاعر قبل هذه المعركة بعام وبعض أيام (٢٣ / ٩ / ١٩٧٢ م) .

في مكة المكرمة :

تحية وقضية

قال الشاعر ، من وحى زيارته مكة والمدينة ، مؤديا فريضة الحج عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

بـــابُ النَّبىِّ ، وبـــابُـــه لا يُقْفَل ... أبـدًا ، هــو الملـكُ المعظَّم فيصل

إنـــا لنُحْـرِمُ فـى حمـاه ، وإنـــهُ ... بـــدمـــائِنـــا ومَتَـــاعِنَـــا يتكفَّل

شهـــدَ الحَجِيجُ بأنَّ دولـــةَ فيصلٍ ... تَـــرْعَـى الحجيجَ بـأعينٍ لا تَغْفَـل

فى ظلِّـــه لبَّى الجميعُ ، وكبَّـــروا ... وشَـدَوْا بـآيـاتِ الـدعـاء ، ورتَّلـوا

تـدرى العـروبـــةُ أن سُـدَّةَ فيصلٍ ... دِرْعٌ لهـا عند الخطـوب ، ومَعْقِل[1]

عـــرشٌ يَمُـدُّ على العـروبـة ظلَّـه ... وعليـــه أجنحـــةُ السمـــاء تُظَلِّل

❊ ❊ ❊ ❊

المـــؤمنـــون بكل أرض إخـــوةٌ ... وبنصـرهم نَطَـقَ الكتـابُ المنْـزَل

إن كـــان حـــاضـرُهم تجهَّم حقبَـةً ... فلهم بفضل الـوحـدةِ المُسْتقبَل[2]

سيَســودُ آخـرُنـا بفضـلِ وقـوفِنـا ... صفًّـا ، كمـا سـار الـرَّعِيلُ الأوَّل

ويقينُنَـــا فى الله خيـــرُ عَتَـادِنـا ... وعليـــه فى قهـر العِـدَا نتَـوَكَّل

وسلاحُنـا المـاضـى وسيلـةُ نصرِنـا ... لَسْنـــا بغيـرِ ســلاحنـا نتَـوَسَّلُ

لا تَبْسُطـوا للغَـرْب ، يا قـومى ، يَدًا ... للغَـرْب طرفٌ فى السياسة أحْـوَل[3]

لا تستمـدوا النصـرَ من قبـر ، ولـو ... أنَّ الـــدَّفيـنَ بـــه نبىٌّ مُـــرسَل

---

(١) السدة - بضم السين - : باب الدار ؛ أى : أن دار الملك فيصل حمى للعرب من الشرور .

(٢) تجهم : عبس وكشر .

(٣) طرف أحول : يكنى به عن النظر غير المستقيم ؛ لخداع الشعوب .

مـا قـال ربك : بـالقبـور تَمَسَّحُـوا ... بل قال ـ جلَّ جلالهُ ـ : « وقل اعملوا »
إنـى أقبل رأسَ كـلِّ مجـاهـد ... إن قبَّلَ الصخـرَ الأصَمَّ مُقَبِّل[1]

* * *

إنـا لنُشْهِـدُ أهلَ بَـدْرٍ أننـا ... فى النصر أو نيل الشهادة نَـأْمُل
ويقـول قـائِلُنـا لـدى استشهـادِه : ... يـا ليتنى فى كـلِّ يـوم أُقْتَل !
جَسَـدُ الشهيـدِ إلى جـوارِ اللهِ فى ... عَـدْن ، على أيـدى الملائك يُحمَل
رجلُ العـروبـةِ من قـديم فى الـوغى ... أسَـدٌ ، وأنثـاهـا لبَـاةٌ مُشْبِل[2]
أسـلافُنـا فـى كل مَلْحَمَـةٍ لهم ... تـاريخُ مجـد بـالـدمـاء مُسَجَّل
لسْنَـا بـأمجـادِ الأوائل نكتفـى ... لكنْ كمـا فعـل الأوائلُ نفعل[3]
عن ثـالث الحَـرَمين نـدفعُ عُصْبـة ... دخلَتْـهُ كـالمكـروبِ إذْ يتسلَّل
وعـروقُنَـا تَغْلى بهنَّ دمـاؤنـا ... فكـأنمـا فى كـلِّ عـرق مِـرْجَل
هُمْ أشعلوا فى المسجد الأقْصَى اللَّظَى ... فَلْيَحْتَـرِقْ بشُـوَاظِهـا مَنْ أشعلـوا
شعبٌ تحـامتْـهُ الشعوبُ ، يكـاد إن ... حملتْـه أرضٌ تحتـهُ تتـزلـزل
مُتَفَـوِّقٌ فى التحـزيَـات ، معـوِّق ... رَكْبَ الحضـارة ، للفسـاد مُسَبِّل
حَصَّـادُ مـالِ العـالمين بكلِّ مـا ... يُنْـدى الجبينَ ، كأنما هـو مِنْجَل
سلْ أرض يَثْـرِبَ عن يهـودِ قـريظـة ... وبنى النضيـر ، يُجِبْك كيف استُؤْصِلوا

---

(١) فى هذا البيت ـ والبيتين قبلـه ـ : يدعو الشاعر إلى العمل الجـاد وحمل السلاح ، وينفر من التمسح بقبور الأنبياء والصالحين ، وهو على حق فى هذا .

(٢) اللباة : لغة فى اللبـوة بسكون الباء وبفتح اللام وكسرها ، وقد تهمـز ، وتضم الباء أيضًا ، وفيها اللبة واللب : الأسدة .

(٣) تأثر غنيم فى هذا البيت بقول أحد القدماء :

لسنـا وان أحسـابُنَـا كـرمت ... يـومـاً على الأحسـاب نتَّكِلُ
نبلـى كمـا كـانت أوائلنـا ... تبنـى ، ونفعل مثلمـا فعلـوا

عــرف اليهـودَ محمــدٌ ؛ فأبــادهم ... مــا ضَــرَّ لــو بمحمَّــد نتمثَّل ؟
ولســوف نُسْألُ عن تــراثِ مُحمــد ... مــاذا يكــون جَــوابُنَــا إذْ نُسْــأَل ؟

* * *

يــا مَنْ ببيت الله طــافــوا سبعــةً ... وتنسَّكــوا فيــه ، وفيــه تبتَّلــوا
أعلمتموا ــ وقد استُبيحتْ أرضُكم ـ ... أن الجهــادَ من التَهَجُّــد أفضل ؟
قــولـوا لقــومى : إنَّ ذؤبــانَ الفــلا ... عبثت بهم فَعــلامَ قــومِىَ عجّلــوا ؟
اليــوم قــد دخـل العــدوُّ بــلادَنــا ... وغــدًا علينـا فى المخــادِع يــدخل
إنى لأطلقُهــا بمكــة صَــرْخَــةً ... مشبــوبــةً ، فى المشــرقين تُجَلْجِلُ
حمْلُ السلاح اليوم صــارَ فــريضةً ... والــزحـفُ للــدين الحنيـفِ مُكمِّل
من راح يبــذُل نفسَــه أو مــالَــه ... فلــدينــه ولعــرضــه مــا يَبْــذُل
لا كــان منــا مَن على أو طــانــه ... بأعــزِّ مــا ملَكَتْ يــداه يبخَل
لا كــان منــا حين يُنتَهكُ الحِمَى ... مَنْ يكتفى بــدمــوعــه ويُحَــوْقِل
لا كــان منــا مُحْــرِمٌ لا يــرتــدى ... بمــلابس الميــدان إذ يتحلَّـل
لا كــــان منــــا مَنْ بــأمٍّ أو أبٍ ... أو طفلــةٍ فى مهــدهــا يتعلَّل
لاكــان من أبنــاء يعــرُبَ من يَنى ... ويقــول إنِّى عــاجــزٌ أو أعْــزَل
مَنْ لا يُغِيــرُ بمــدْفع ، وذخيــرةٍ ... تكفيــه فأسٌ إذْ يُغيــرُ ومِعْــوَل
لا يعــرف العــربىُّ معنى اليــأْس فى ... خطب ولا هــو فى الشــدائد يُعْــول
إن كــان يَجْمُلُ فى الحروب صمودُه ... فصمــودُه بعــد الهــزيمــة أجْمَل
إن مــرَّ بــالعــربىِّ يــومٌ عــابِسٌ ... فأمــامَــه : يــومٌ، أغــرُّ، محجَّل

الوحدة الكبرى

أيهـــا العُـــرْبُ أرْهِفـــوا الآذانـــا هل سمعتم - كما سمعتُ - الأذانا ؟

هـاتفٌ عُلـويٌّ الـدعــاء إلى الـوحــ (م) ــدةِ من عــالَـمِ الخلـود دعــانـا

أيهـــا الهـــاتفُ السَّمـــاويُّ أذِّن في البهـاليل من بنـي عـدنـانـا [1]

قــد لمستَ الشَّغــافَ مـن كلِّ قلبي وأثَـرْت الشعـورَ والـوِجْـدانـا [2]

رجَّعَتْ صـوتَك الحنـاجرُ في مصـ (م) ــر وفي جِلَّـقٍ وفي بغـــدانـــا

نبـــاً حين زار قبـــرَ صـــلاحٍ هـزَّ عِطفيـه فـي الثـرى نشـوانـا

رددتـــه الجنـــود فـي كل ميـــدا (م) نٍ نشيـــدًا فـــزلـــزل الميـــدانــا

ووعـــاه رهـطُ ابن مـــريـمَ إنجيـــ (م) ـــلاً ورهطُ ابنِ هـــاشمٍ قـــرآنـــا

وتغنَّتْ بـــه شفـــاهُ العـــذارَى مـــا أحبَّ الشفـــاهَ والألحـــانـــا

وحـــدةٌ لـم تشنَّ فيهـــا حـــروب لا ولا ســالـت الـدمـا غـدرانـا

قـد أقمنـــا في كل صـدرٍ لهـا حفـ (م) ـــلاً ، وفي كلِّ مهجة مِهْــرجـانـا

حقَّقَتْنَـــــا إرادةٌ حـــــرةٌ فـي أممٍ حـــرةٍ تعـــافُ الهـــوانـــا

مـــا بنـــاهـــا إلا أشـــاوِسُ صيـدٌ عِتْـرَةُ السِّبْـط أو بنـو مـــروانـــا[3]

* * * *

يـــا وفـــودَ الأحـــرار من كلّ قطـــرٍ عـــزَّ كـالنجم في السمـــاء مكـانـا

يمقت الضيم ؛ كلمـــا سِيمَ ضيمـــاً هبَّ فـي وجـه ربِّـه بـــركـــانـــا

---

(1) البهاليل ، جمع بهلول بضم الباء ؛ وهو السيد الجامع لكل خير .

(2) الشغاف كسحاب غلاف القلب أو حبته .

(3) أشاوس : جمع أشوس وهو العظيم .

قــد رسمتم خطــوطَ وحــدَتنــا الــ (م) ــكبْرى، وكنتم لِسِفْـرِهــا عنـوانــا

ووضعتم أســـاس بنيـــانهـــا الــ (م) ــعالى ؛ فمن شــاءَ تمَّم البنيــانــا

لكأنّــى بغيثهـــا صـــار سَيْــلاً طــاغِيَ المــاء يَجــرفُ الطغيــانــا

وكأنّــى بظلهـــا صـــار لفْحًـــا كلمـــا هب يَصْهَــرُ الأبــدانــا

وكأنــى بسلمهـــا صـــار حــربًـــا واستحـــالت أنـــوارُهـــا نيــرانــا

واستحـــالت أنغـــامُهـــا زمجــراتٍ تتحـــدَّى العـــروشَ والتيجـــانـــا

وأحـــاطت بـــالمـــارقيـن وإن لم تشهــرِ السيف، أو تَسُلَّ السنــانــا

قــوَّةُ الشعب من قــوى خــالقِ الشَّعْــ (م) ــبِ إذا مــا تحـــدَّتِ السلطــانــا

وإذا الشعبُ ثــار يــومــاً على الغــا (م) شم ، كـــانت شيــاهُـــه ذؤبـــانــا

وغَــدَتْ كلُّ ذاتِ طَــوْقٍ عُقــابًــا وغـــدا كل أرنــب أُفْعُـــوَانـــا

يغفــرِ الشعبُ كــلَّ ذنب ، ولا يمــ (م) ــنحُ عــرشــاً أذلَّـــهُ غُفــرانــا

عَصفَ الــدهــرُ بــالعــروش، وولى عهــدُ ، كســرى وقيصــرٍ لا كـــانــا

ليس فى كـفِّ عــاهلٍ صــوْلجــانٌ حَمَل الشعبُ وحــدَه الصولجــانــا

* * * *

يــا حمــاةَ الــذِّمــار فى سفح « أورا (م) س » ، وأُسْدَ العــرينِ فى نَجْـرَانا [1]

يـــا بنــى العمِّ فى العقيــق، ونجـــد وبنى الخـــالِ فــى ربـــا عَمَّـــانــا [2]

أزِفَتْ ســـاعـــةُ النهــوض فهيَّـــا ليس بـــاليَعْـــرُبِىِّ مـــن يَتَـــوَانى

فُتِحَـتْ دارةُ الخلـــــود ؛ فــإن زُرْ (م) تم وجــدتم ببــابِهــا رِضْــوانـــا [3]

بَــاسِمَ الثغـــر قبــل أن يفتح البـــا (م) ب ، لمن زار يفتــح الأحضـــانـــا

---

(١) نجران : موضع بالبحرين ، وآخر قرب دمشق ، وثالث بين الكوفة وواسط ، ولعله المراد هنا .

(٢) العقيق : موضع بالمدينة ، وباليمامة وبالطائف ، وبتهامة ، وبنجد . ولعله يقصد هنا الأول .

(٣) دارة الخلود : يقصد بها مصر ، التى تتلقى وفود العرب بالترحاب من أجل الوحدة العربية .

رجلٌ هـامَ بـالعـروبـةَ حتى ... صـار رمْـزًا لهـا ، وصـار كيـانـا

هى فى جسمـه مع الـدم تسرى ... لا وَريـدًا أبْقَـتْ ، ولا شـريـانـا

كلمـا حـاق بـالعـروبـةِ خَطْبٌ ... كـان شطًـا تُلْقِى عليـه الأمـانـا

واقفٌ عمـرَه على الـذَّوْدِ عنهـا ... لـو رمـاهـا الـزمـان أضحى الـزمـانـا

أُمَّـةٌ فى هُـدَى جمـالٍ تَفَـانَتْ ... وجمـالٌ فـى حُبِّهـا يتفـانـى

مـا جمـالٌ فى الأرض إلا أمـانٍ ... لبنى العُـرْب صُـوِّرَتْ إنسـانـا

* * * *

شَمِلَتْنَـا عنـايـةُ الله حتـى ... جعلتْنَـا بفضلـه إخـوانـا

قـد مَحَـوْنـا من الـوجـود حـدودًا ... وتُخُـومـا تفـرق الأوطـانـا

واتَّخـذْنـا حبَّ العـروبـةِ دينًـا ... يجمع المـرسلين والأديـانـا

وحَفَـرْنـا فى بـاطن الأرض جُبًّـا ... ودفنَّـا الأحقـادَ والشَّنـآنـا

وصـلاتُ القُـرْبى علـى التُّـرْبِ ستر ... مُسْبَلٌ ، جـلَّ قـدرُه أو هـانـا

وكـرامُ النفـوس تَنْسى إسـاءا (م) تِ المـوالى ، وتَـذْكُـرُ الإحسـانـا

إنَّ مـن خَصَّ كـل قـوم بِلِسْـنٍ ... جعل الضـادَ للكـرام لِسَـانـا

* * * *

مـا جَنَيْنـا مـن الخـلافِ ورودا ... بل جنينـا القَتَـادِ والسَّعْـدَانـا [1]

حَسْبُنَـا أن عصبـةً لَفَظَتْهـا ... كـرةُ الأرض تستَبِيحُ حِمـانـا

ولـوَ انَّـا لـدى الـزحفِ صفًّـا ... مـا دَهَـانـا من الأسى مـا دهـانـا

بل قـذفنـا العـدوَّ فى مَـوَجِ البحـ (م) ر ، وقُتْنَـا من لحمـه العِقْبـانـا

ولـوَ ان العـدوَّ بـالجنِّ من جنـ (م) ـدِ سليمـانَ والـريـاحِ استعـانـا

---

(١) الأولى أن تكون « ورودا » : « ثمارا » ، أو « زهورا » ، لأن هذا الجمع غير مسموح به .

إن حـــول الأردُنِّ حقًّـــا سليبـــا إن نسينـــاه ، فهْـوَ لاينســانـــا
الشطـــوطُ التى على جـــانبيـــه كلَّ يـــوم تَستصْــرِخُ الجيــرانـــا
والنجــــومُ التى تُطِـلُّ عليــــه فى دجـى الليل تُنْكِــرُ السُّكَّـانـــا
لهفَ نفسى على عَــرينــةِ أُسْــد أبـدلـوهـا بـأُسْـدهـا قُطْعَـانـا [1]
وطيــور عن الخمـــائل ذِيــدت وجـــراد تسلَّـقَ الأغصـــانـــا
ومَغَـــانٍ حَنَّتْ إلى الأهـل أرضـــا وسمـــاءً ، واستشـرفَـت جـدرانـا
أيهـا الـدهـر ، إننـا عـربٌ ، لســـ (م) ــنا على الذَّحل نَغْمِضُ الأجفانا [2]

* * * *

ليس يـرضى الكـريمُ أن يلبسَ العـا (م) ر ، ويـرضى أن يلبسَ الأكفــانـــا
نَبِّىءِ القـــومَ : أن للقـــوم يـــومـــا قُـدَّ من فحمـة الـدجى طيلسـانـا

* * * *

جمع العُـــرْبُ أمـرهَـم مـن شتـــات إن للعُـــرْب بعـــد ذلـك شـــانـــا
ســـوف نحيى تـــراثَنـــا من جـــديـــد ونـــزيـــد التـرَاث آنـــا فـــآنـــا
أو لسنـا الشعبَ الـذى قهـر الفـرس قـــديمـــا ، ودوَّخ الـرومـــانـــا ؟
ولـــه كـــانـت الملـــوكُ عبيـــدا وبنـــاتُ الملــوكِ كـانت قِيَـانـا ؟
ســائلـوا مـــوكبَ الحضـارة عَنَّـا : مَنْ حَمـاهـــا من المغـول ســوانـا ؟
أين عهــدُ الـرشيـــد حين تحــدَّى فى السمـوات عـارِضًا هتـانـا ؟ [3]
كـــان هــــذا تـــاريخنَـــا يـــوم كنـــا وحـــدةً فى الحـــروب لا وحـــدانـــا
إن للعـــرب مـــاضيـــا ؛ فـــاطلبـــوه فى منـــاطِ الجـــوْزاء أو كيـــوانـــا

---

(١) عرينة كالعرين : مأوى الأسد.

(٢) الذحل : الثأر ، والعداوة ، والحقد .

(٣) العارض الهتان : السحاب الكثير المطر وفى البيت إشارة إلى موقف الرشيد ؛ حيث قال للسحابة : شرقى أو غربى ، أو أمطرى حيث شئت ، فلو أمطرت بأقصى البلاد فسيأتينى خراجك .

انــزعــوه من فكَّى الــدهــر قَسْـرًا　　كلُّ صعب يــراض بــالقســرِ لآنــا

املئـــوا البـــر زاحفـــاتٍ ثقـــالا　　واملئـــوا الجـــوَّ كلَّـــه عِقبـــانـــا

واملئــوا غـــارِب العُبَـــاب سفِينًـــا　　ثم غُـــوصـــوا فى جـــوفـهِ حيتـــانـــا

نحن فى عـالـمِ الصـواريخ ، والـذَّر (م) فــلا عـــاش مَنْ يعيشُ جبـــانـــا !

من مشاعر الوحدة العربية :

شعب واحد ورب واحد

الله أكبـر ! شعبٌ قـام شـاعـرُه ... يَشْـدُو ، فـأَنْصَت فـوق الأيكِ طـائرْ

شعبُ العروبـة صـان الله وحدتَـه ! ... تُحصَى النجـومُ ، ولا تُحصَى مفاخـرُه

إن خطَّ أو سـوَّد التـاريخُ سيـرتـه ... تهتـزُّ من روعـة الـذكـرى مشـاعـره

إن كـان مـاضيه بـالأمجـاد محتشـدًا ... فمـا تخلَّى عَنِ الأمجـاد حاضـره [(١)]

كـالكرم طـاب جنىً فى كف قاطعـه ... وزاد من طيبـه فـى الـدَّن عـاصـره

مجـدُ العروبـة مـرهـونٌ بـوحـدتهـا ... والخُلْف أولـه ضعفٌ ، وآخـره

هيهـات ينهض شعب بعـد كَبْوتِـه ... إلا إذا اتَّحَـدَتْ قلبـاً عنـاصـره !

والشعبُ وحـدتـهُ أقـوى ذخـائره ... يـوم الحقيقـة إن عُـدَّت ذخـائره

هى السـلاحُ بيمنـاه إذا خَمَـدَتْ ... نيـران مِـدْفعـه ، أو فُلَّ بـاتـره

يـارُبَّ شعب شتيتِ الشمل منقسم ... من ضعفـه قُلِّمَتْ منـه أظـافـرُه

مـا عاش يـومـاً وإن طـال الزمـان بـهِ ... بل دُورُه حيـن تأويـه مقـابـره

لـه من الـوطـن المحتلّ مغفـرة ... إذا أقـام ، وللمحتـلِّ عـامـره

يعيش فـى داره عبـدا لآسـره ... الطفل زاجـرُه ، والعبـدُ آمـرُه

من يرضَ بالعيش فى ظل الهوان ، فلا ... آوتْـه أرضٌ ، ولا قـرَّتْ نـواظـره

والمـرء تُشقيـه يمنـاه ، وتُسْعـدُه ... وإن تكنْ بيـد المـولى مصـايـره

للعُـرْب دين على التـوحيـد مـرتكـزٌ ... إليـه بـاطنُـه يـدعـو ، وظـاهـره

---

(١) الأولى أن يكون البيت هكذا :

قـد كـان مـاضيـه بـالأمجـاد محتشـدا ... ومـا تخلّى عن الأمجـاد حـاضـره

لأن التعبير بإن يفهم منه القلة أو الشك ، وأيضًا لا يناسب قوله : محتشدا .

مــاســرُّ قــوتــه فــى غير وحــدتــهِ ... على مبـادئهـا قـامَتْ شعـائره

حَسْبُ ابن آمنـةَ الـزهـراءِ معجـزةً : ... شعبٌ على يـده انضمَّتْ عشـائره

مـا زال يَخْبِطُ فـى دَيْجُـور فُـرْقتـهِ ... حتى تـألَّفَ بـالإسـلام نـافـره

تمَّت علـى نَغم القـرآن وحـدتـهُ ... كأنمـا سحَـرَ الألبـاب سـاحـره

وطبَّق الكـونَ طيْفٌ مـن مهـابتـهِ ... وأوْغَلَتْ فى نـواحيـه عسـاكـره

إن يـذكـرِ العَـرَبَ ارتـاعَتْ قيـاصِـرُه ... وبـات يخفُق مـن رُعْبٍ أكـاسـره

شعب من البيـد ظهْـرُ العِيسِ مَـرْكَبُـه ... أطاعه الكونُ : بـاديه ، وحاضره (١)

البَـرُّ من خيلـهِ يَـرْتَـجُّ يـابسُـهُ ... والبحـر مـن سُفْنِـه يهتَـزُّ زاخـره

قم سـائل البحرَ ـ بحرَ الرومِ ـ: هلِ عَجبتْ ... أمـواجُـه وفتى الصحـراء عـابـره ؟

مَنْ علَّـم البـدوىَّ المـاء يـركبُـهُ ... فـراح يَمْخُـرُ لُجَّ البحـر مـا خـره ؟

مـا كـان يعـرف إلا المـاء منسكبـا ... من الغمـامِ إذا مـا جـاءَ مـا طـره ؟

حتى إذا اشتَـدَّ بـالتـوحيـدِ سـاعِـدُهُ ... مَشَىٰ على المـاء تَعْلُوه دساكره (٢)

لـولا معـاقِلُ قسطنطينَ ، لا نطَمَستْ ... آثـارُ دولتـهِ ، وانْقَضَّ سـامـرهْ

* * * *

سَلِ العـروبـةَ فى شَتَّى مـرابعهـا ... عن مَجْـد أوَّلهـا : هـل عـاد داثـره ؟

إنِّى لألمـحُ فى آفـاقهـا ألقـاً ... مِنْ فجـرِ نهضتهـا لاحَتْ بشـائره

إنْ صحَّ ظنِّى، فـإن النصـرَ عن كثَب ... من شعبها . لِمَ لا ، والله ناصره ؟ (٣)

شعبٌ تخلَّص من أغـلالـه ، ومَضَى ... يجـرُّ ذيـلَ رداء الـذُّلِّ آسـره

ففى الكنـانـة : شعبٌ صان حَـوْزتهـا ... يـوم القنـاةِ من الـذُّؤْبَـانِ كـاسـره

وفى الجـزائر : شعبٌ شنَّ معـركـةً ... على المظـالمِ خـاضَتْهـا حـرائره

---

(١) العيس : جمع عيساء وأعيس ؛ وهى : الإبل التى يخالط بياضها شقرة .

(٢) الدساكر : جمع دسكرة ؛ وهى : بناء كالقصر حوله بيوت ، وربما قصد بها الحصن .

(٣) كثب : قريب

وفى الشـآم : وئامٌ لا يـزال ـــ على رغم الحوادثِ ـ ما انبَتَّتْ أو اصره (١)

وعبرَ دِجلة : شعبٌ قامَ قَومتهُ الـ (م) ــكُبْرى، وثار على الطُّغيان ثائره

وحَـوْلَ صنعـاء : جيشٌ ثَلَّ قـائدُهُ عـرشا يُتاجر بِاسْمِ الدين تاجـره

هى العـروبـةُ ، عينُ الله تَكْلَـؤُهـا مـا دَارَ فى الفلك الـدوَّارِ دائره

❊ ❊ ❊ ❊

أبنـاءَ يَعْـرُبَ ، هـذا اليـومُ يـومُكمـو يـومٌ أغـرُّ ، صَبيحُ الـوجـهِ ، نـاضـره

عَهْـدُ السلاسل والأغـلالِ قـد ذهبت أيامُـه السُّودُ، وانجـابتْ دَيَـاجِره (٢)

بـالله ، لا تُنْسِكم أعْـرَاسُ نصـر كمـو خصمًـا عنيـدًا ، وأقـوامـا تـؤازره

على تُخـومِكُمُو ، يا قـوم ،عن كثب خَصْمٌ أَلَـدُّ خَئُـونُ العهـد، غـادره

لا تأمنـوه ، ولا تَغْشَـوْا مضـاجعَكم إلا وأعينكـم يَقْظـى، تحـــاذِرُه

وكيف نـأمَنُـــه والسُّمُّ فـى فمـــه وليس يـزحفُ إلا وَهْـوَ فـاغـره ؟

وكيف نأمـن قـومـا لا أمـان لهم ؟ إنى أرى كيـدَهم تبْـدُو بـوادره

نـارُ العـداوة يَصْـلاهـا مُـؤَجِّجُهـا والجُبُّ يسقط فى مَهْواه حافـره (٣)

صَفُّـوا سـرائرَكم مـن كلِّ شـائبـة تصفُـو الحيـاةُ لمـن تَصْفُـو سـرائره

لاتـذكُـرُوا خَطَـأَ المـاضى وحَـوْبَتَـهُ مـا كـان من خطإ فـاللهغـافـره

تُنسَى الذنوبُ مع القُرْبى وإن عَظُمت إن الشَّفيـقَ صغيـــراتٌ كبـــائره

إن الإخـاء ـــ إذا ما الإخـوةُ اختصمـوا على الخصـومـة ـــ مُرْخَـاةٌ ستـائره

إن يلتئمْ شملُكُم ، لأنَ الحـديـدُ لكم كمـا يُلينُ الحـديدَ الصلبَ صـاهـرُه

إن تطلبوا المجـدَ؛ فالصـاروخُ مُنْطَلِقًا ووَحـدة الصَّفِّ ، والشورى مصـادره

---

(١) ما انبتت : ما انقطعت .

(٢) الدياجر : جمع ديجور ؛ وهو : الظلمة .

(٣) استلهم المعنى من المثل الشائع : « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

(٤) الحوبة : الهم والإثم .

كأننى أَلْمَحُ التـــاريـخَ ، مُنْتَضِيًـــا يـــراعَــهُ ، وبيمنـــاه دفـــاتـــره[1]

كمـا اطَّلعتُم على تـاريـخ غـابـرِكم تاريخُكـم فى غدٍ تُتْلَى محـاضره [2]

* * * *

جمـالُ ، تَمِّمْ لشعب الضـادِ وحدتَـهُ فإنمـــا هى حَبٌّ ، أنـت بـــاذره

لاخصمَ للعُـرْب مهمـا عَـزَّ جـانِبُـه إلا وأنت بعـــونِ اللهِ قـــاهـــره

ينـــام شعبُك فى أمْـن ، وفى دعــةٍ وأنت ـ وَحْدَك ـ طولَ الليلِ ، ساهره

أقسمتُ ، مـا عـادت الأهرامُ مفخـرةً للنيل ، بل إن فَخْـرَ النيل نـــاصـــره

سَيْفُ العروبة ، سيفُ اللهِ أنْتَ ، ولن يُفَلَّ سيفٌ إلـٰهُ العـرشِ شـاهـره !

(١) اليراع : القصب ، والمراد : القلم . وانتضى التاريخ يراعه : أعده ؛ ليسجل المفاخر .

(٢) الغابر : تطلق على الماضى ، والمستقبل ، والمراد بها هنا : الماضى .

تحية الكويت

من وحى زيارة الشاعر للكويت .

قُمْ ، حَيِّ فـــاتنـــةَ الجمـــالِ   بـــالشِّعْــر كـــالسِّحْــر الحــلالِ
حَيِّ الكُـــوَيْتَ ، وقـل لهـــا :   يَـــا دُرَّةً بين الـــــرِّمـــال
يـــا وَاحـــةً قـــد خطَّهـــا الـــ (م) رَّحمٰنُ فــى وَسَـط التِّـــــلال
جنـــاتُ خُلْـــد فى لظَـى الـــ (م) ــصَّحراء وارفـــةُ الظِّـــلال
لم تَـــدْرِ ـــ منْ تَـــرَف ـــ حُـــدَا (م) ءَ النُّـــوقِ ، أوِ وَخْـــدَ الجمـــال[1]
قـــد كـــدتُّ أخلَـعُ ـــ إذ نَـــزَلْـ (م) ـــتُ بِقُـــدْسِ واديهـــا ـــ نِعَـــالى

* * *

بينى وبينَـك ، يـــا كُـــوَيْــ (م) ــتُ عُـــرًى وثيقـــةُ الاتصـــال
إن لـــم أكـــن قـــــد زُرْت أر (م) ضكِ فـــى سِنِى عُمْـــرى الخـــوالى
فلكـم ذهبتُ إليك طيّـــــا (م) رًا بِـأجنحـــــة الخيـــــال
لـى فـى رُبُـــوعـك وَقْفَـــةٌ   أشْهَـى إلى مـن الــــوِصَـــال
وألــــذُّ طعْمًـــا من رُضَـــا (م) ب الغِيـــد ، ربَّـــاتِ الحجـــال
وأحـبُّ من شـــرب الطِّـــلا   لا ، بل عصيـــر البـــرتقـــال (٢)
لا أذكـــرُ الصَّهْبـــاء حيـــ (م) ـــن تُشَـــابُ بـالمـــاء الـــزُّلال
فـى بلـــدة قـــد حُـــرِّمت   بهـا ، لا : وحـرمـة ذى الجـلال (٣)
لا ، والنبـىِّ محمـــــــد   خيـــرِ الأواخـــر والأوالـى
لم يحـــوِ دينٌ مـــا حـــوى الـــ (م) إســـلامُ مـن شـــرَفِ الخـــلال

---

(١) الحداء : زجر الإبل وسوقها ، والوخد : سرعة الجمل واتساع خطوه .

(٢) الطلا : الخمر . وكذا الصهباء .

(٣) البيت ـ فى شطره الثانى ـ مختل موسيقيا ، إلا إذا تُكُلِّف نطق الضمير : « ها » من « بها » بلا مد ، ولم أتمكن من العثور على الأصل بخط الشاعر ؛ للتأكد من صحة البيت .

ولقـــد دخلتُك فـى الـــدُّجى فـأرَيْتنِى بيـضَ الليــــــالى

يــا بلـــدةً ، يَحْمَــرُ ـــ من خَجَلٍ بهــا ـــ وَجْـهُ الهـلال

لِمَ لا ، وأعمـــدةُ الضيـــا (م) ء بهــا بُــدُورٌ فـى الكمـــال ؟

وأتـمُّ مـن أنـــوارهـــا نُــورٌ يَشِعُّ مـن الأهـــالـى ؟

من كـل وجـــهٍ يَعْـــربىٍّ (م) نـمَّ عـن كَــرَم الخصـــال

يتـــوارث الأمجـــاد عـن أصلين :عـن عـمٍّ ، وخــــال

قـالـــوا : بـلاد الـزيـت ، قلـ (م) ـــت : بــلادُ أبطـال الـرجـال

الـــذائدين عن الـــذمــا (م) رِ ، الصَّــادِقيـن لــدى النضـال

التـــابعين مقـــالهم قبـل التكلـم بـــالفعـــال

ولكـم جنى العـــربىُّ ، مُــرَّ (م) الفِعْـل من حُلْـــو المقـــال

يـأيهـــا العَـــرَبُى قـلْ للـــدهـــر : دمعُ الحُـــرِّ غـــال

منِّـى تعلَّمتِ الثبــــا (م) تَ الـــرَّاسِيَــاتُ من الجبـــال ؟

قُـلْ للـــزمـــان : تَحَـــدَّنـى فلســـوف يُعْيِيك احتمـــالـى !

إنـى لأشجَـعُ مـن لُيُـــو (م) ثِ الغـــابِ إن دُعيتْ : نَـــزَال (١)

هَيْهَـــاتَ مـــا فى معجـم الـــ (م) ـــعَرَبىِّ لَفظـــةُ الانْخـــذال !

هـى مِحْنـــةٌ كسَحـــابـــةٍ فى الصَّيْـفِ تُـــؤْذِنُ بـــالـــزوال

كنَّـــا ـــ ومـــا زلْنَـــا ـــ بُنَـــا (م) ةَ المجـــدِ ، صُنَّـــاعَ المعـــالى

---

(١) نزال : اسم فعل ؛ أمر بمعنى انزلى .

كأس من الخروب

قلْ لِلكُويْتِ ـ إذا نـزَلْتَ بأرضها ــ: طُــوبَى لـواديـك المقـدس طــوبى
للهِ دَرُّكِ يــا كـــويتُ مـــدينـــةً ليس النبيــذُ بـأرضهــا مشــروبــا !
لم ألق فى غيـر الكويت « خـواجة » يَـدَعُ الخمـورَ ، ويشـربُ الخرّوبـا
قل « للخــواجـةِ » : ذاك دينُ نبيِّنـا أتُــراك مـن دين النبىِّ غضـــوبــا ؟
فإذا غضبـت ، ففى الخليج ومـــائهِ سَعَةٌ ؛ فَقُمْ ؛ واشربْهُ : كُوبًا ، كوبا

فى البصرة

قـالوا لنـا : شاعـرٌ فى البصرةِ انقلَبـا فقلتُ : مـالَ مِن استقبـالها طـرَبـا !
مـا مَـال مِنْ كـأسِ رَاحٍ رَاحَ يشـربُهـا لكنَّــهُ من سجـايــا أهلِهـا شَــرِبــا
إنّـــا إذا عثَـرتْ فى السَّـــاحِ أرْجُلِنـــا فليس منـا جَـوَادٌ فـى الحـروب كبــا
ومـــا تَعَثَّـــر مِنَّـــا قَـــائِلٌ أبَـــدًا إن أشْعَرَ الشِّعْر وَسْط الحَفْل ، أو خطبا

مع الطبيعة

على سطح القمر

لَيهْنك ، يـا أبـولُّـو ، الانتصـارُ — بربك : كيف طرْت بهم وطَاروا ؟ [1]

وكيف حملت ركبَكِ فى سـلام — فقـرَّبِهم على القمـر القـرار ؟

وكنـا نحسَبُ الأفـلاكَ خلقـاً — غـريبـاً لا يَـزُور ولا يـزَار

فكيف استـأنَسَتْ بك ، يـا أبـولُّـو — وكَمْ جَمَحَتْ ؛ ولجّ بهـا النِّفـار ؟

على هـامـات أهلك من قصيـدى — ومن شِعْـرِ الحسَـانِ الغيـدِ غـار

فمَنْ « كولومبُ » إن قيل : اكتشافٌ ؟ — ومَنْ « أدِسُـونُ » إن قيـل : ابتكـار ؟

بـربك : كيف سـرت على طـريق — عقيمٍ ؛ لـم يعبِّـده السِّفَـار ؟

ولـم يمـرُرْ بـه الإحطـامُ — يطيـر من النَّيـازك أو نثَـار ؟

فـلا ريحٌ لهـا فيـه هُبـوبٌ — ولا سُحُب لهـا فيـه انهمَـار

ولاَ كُتبَتْ عليـهِ لافتـاتٌ — ولا يَهـدى السُّـراةَ بـه مَنـار

ولا صَفَنتْ بـه خيل عِـرَابٌ — ولا وخَـدت بـه نـوقٌ عشـار [2]

ولا خطَّ الأعـاجم فيـه يـومًـا — ولا خَطَـرت بـه يـومـاً نِـزَار

ولا مَـنْ أصلـهُ فـى الخلق طينٌ — ولا مَنْ أصلـهُ فى الخلـق نـار

❋ ❋ ❋ ❋

مضى عهدُ البخـار ؛ فبـاتَ يبكى — على أطـلالِ دولتـه البخـار

❋ تكلم الشاعر عن أقمار السماء ، وأقمار الفضاء ؛ ولعله كان أكثر شعراء العصر الحديث فى هـذا الجانب ، وقـد نشرت القصيـدة فى مجلة الحج السعوديـة ، وعلق عليهـا الأستـاذ ، عبـد القدوس الأنصارى ، فى مجلة التضامن الإسلامى السعودية ، عدد يونيو ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٥٤٥ . وقرر جزء منها على الشهادة الإعدادية فى مصر . انظر : رسالة الدكتوراه للمؤلف ، ص: ١٦٣ .

(١) ليهنك : هنيئاً لك .

(٢) صفن الفرس يصفن صفونًا : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . وقد وخدت الإبل : أسرعت ، أو وسعت خطوها .

ومَـرْحَى بـالصـواريخ اللَّـواتى ... يـدين لنـا بهـا الفَلَك المـدار

نجـوم الأُفْق مـا عـادت وُجـوهًـا ... عن الأنظـار يحجبهـا خِمَـار

وفيهـا بـات يطمع مَنْ إذَا مَـا ... رأى الأهـرامَ أدركـه دُوَار !

سيحملنـا الأثيـرُ إلى الـدَّرارِى ... كمـا حَمَلَتْ أوَالينـا المِهَـار[1]

وتُتَّخَـذُ المصـايفُ فـى ذُرَاهـا ... وتُفْجَعُ فـى شـواطئهـا البحـار

إلى المـرِّيخ ينقُلنـا قطـارٌ ... غـدا ،ويعـودُ منْـه بنـا قطـار

ويـربط بيننـا نَسَب ، وصِهْـرٌ ... ويجمع بيننـا فِيـه اتِّجـار

تعـالى اللهُ ! إن العلمَ نـورٌ ... سنَـاه مـن سَنـاهُ مستعـار

أفَوْقَ الأرض يُضْمَنُ ـ ليت شعرى !ـ ... بهـذا الكشف للعلم انتشـار ؟

ويُـرْسَى للسَّـلام بـه أسـاسٌ ... ويُكتَبُ للحضـارة الازدهـار ؟

أمـانٍ تلـك ؛ إن هِىَ أخطأتنـا ... فـلا نصـرٌ هنـاك، بل انـدحـار

بـربِّكِ ، يـا أبـولُّـو ، حـدِّثينا : ... أمـا فى رُقْعَـة القمـر اخضـرار ؟[2]

أمـا فى سطحـه قـد شُقَّ نهـرٌ ... ولا فـى أيْكـه غنَّـى هَـزَار ؟

ألا غنمٌ هنـاك لهـا ثُغَـاءُ ... ولا بقـرٌ هنـاكَ لـه خُـوَار ؟

أجئنـا نَـذْرَعُ الآفـاقَ ذرعًـا ... لتحـوينـا بـه الأرضُ القفـار ؟

سليلَ الأرض ، مَـالَـكَ ظلْت طفـلا ... وقـد شَبَّت عن الطَّـوْق الصِّغـار ؟

ومـالَكَ لا تفُـوهُ لنـا بحـرف ... أعِىٌّ ذاك منك أم احتقـار ؟

تُـرَاكَ خَجِلْـتَ من سـوء التـلاقى ... فهـذا الصمتُ منك لنـا اعتـذار ؟

أخـا الأقمـار ، مـالكَ ــ حين زُرْنَـا ... حِمَـاكَ ــ عَـرَاكَ صَـدٌّ وازْوِرَار ؟

---

(١) المهارى والمهرية : إبل تنسب لحى من العرب ؛ يسمى مهرة بن حيدان .

(٢) هذا البيت وما بعده يعبر عن أمل الشاعر فى حل مشكلات البشرية عن طريق العلم ، وعلى العلماء أصحاب الفضاء أن يحققوا الرخاء للإنسانية بالذرة .

ولم يَفْــرِشْ لنــا الطُّــرُقـاتِ وَرْدًا | بنـــوك ، ولا بتسليم أشـــاروا ؟
ومـــالك لا تَهَشُّ وقــد قَـــدِمْنَــا | عليك ؟ أبيننـــا إحَـنٌ وثَـــار ؟
فــلا رَحمًــا رعَيْت ، ولا حقــوقًــا | مقــدَّسَـــةً بِهَــا يَقْضِـىَ الجِــوَارُ !
ولَـــوْ كُنَّــا نـــزور أخًــا كـــريمًــا | تلقتْنــا التَّحــايــا والعَمَــار [١]
حملنــا زادَنــا معنـــا ؛ فهَـــلاَّ | غَضِبْتَ، وقلتَ : حملُ الـزاد عـار ؟
أحتَّى المـــاءُ ليس لـــديك مــاءٌ | فلَيس لمن يَغَصُّ بك اعتصـار ؟ [٢]
وحتى الجــوُّ جــوُّك ليس فيــه | لنـــــا إلاَّ صقيـعٌ ، أو أُوَار ؟ [٣]
ظنننــا فيك تَعْــزِيَــةً وسلــوى | لمن أنضـــاه فقــر واعتِــرار [٤]
وقلنـــا : فيـك للطَّـــاويـن زاد | وللشــــاكين مـن عُــرْيٍ دِثـــارُ
وقلنـــا : فيك عيشٌ ليس فيـــه | خصَـــامٌ بين أهلِك أو شِجَـــار
حَسِبنـــا فيك مـــاسًــا أو نُضَــارا | ولا مـــاسٌ لـــديك ولا نضـــار
فمــا عُــدْنا نَــذُوبُ إليك شــوقًــا | ولا بسَنَـــاك يـأخـــذُنَــا انْبهـــار
فكن مـا شئتَ : بــدْرًا ، أو محــاقــاً | فسيــان : اكتمـالُك ، والسِّـرارُ [٥]
خُمـــارٌ إذْ جَهِلْنَـــاك اعْتَــرانــا | وفــارقَنَــا بــرؤيتك الخُمــارُ [٦]
وفى المجهـــول يسْبَحُ كـلُّ فكــر | كمـا سَبَحتْ بشـارِبهـا العُقَـار [٧]
لقَـد زُرْنَــا حِمـــاك ونحن نَــدْرى | لعمـــــرُك أنْ زَوْرتَـك انتحـــار
أتعلم فى صخـــورك كم بَـــذَلْنَــا ؟ | سَلِ « الـدولارَ » ، ينبِئْك « الـدلار » !

---

(١) العمار : الريحان ؛ يزين مجلس الفرح والسرور.

(٢) الاعتصار : شرب الماء قليلا ، قليلا ؛ لإزالة الغصة .

(٣) الأوار : حر النار والشمس ، والعطش ، واللهب .

(٤) المعتر : الفقير ، والمتعرض للمعروف من غير سؤال .

(٥) المحاق : ثلاث ليال فى آخر الشهر تكون مظلمة ، والسرار : الهلال أول الشهر .

(٦) الخمار : السكر وأثر الشرب . (٧) العقار : الخمر .

ومــــا أدرى : أُربحٌ مُشْتَــرانــــا | تُــرابُك بــالجــواهــرِ ، أمْ خَسَــار ؟
أيكفى الأرضَ ومضٌ منك يَبْــدُو | إذا مــا الأَرضُ فَــارَقَهــا النهــار ؟
وأنك عـــابثٌ بـــالمــوج فيهـــا | وللمــــوج امتـــدادٌ وانحســـار ؟
وأنك للشُّهـــورِ بهـــا حسَـــابٌ | وإن ضلَّـــوا أوائلَهـــا وحَـــارُوا ؟
وأنـك تُلْهِمُ الشعـــــراءَ فيهـــــا | وإن يَكُ أدركَ الشِّعْـــرَ البَـوَار ؟ (١)
وكيف لَقِيتَ « نيل وألـــدرينـــا » | أرانَ على مُحَيَّـــاك اصْفـــرَار ؟
أتخشى أن نُغيــرَ عليك يــومًـــا | كمـــا فى الأرض غــاراتٌ تُثَــار ؟
عَـــلامَ ، وأنت أوديـــة يَبَـــابٌ | يُصَـــالِ على ربـوعك أو يُغَـــار ؟
أتعلم أنهـم هَمَسُـــوا وقـــالـــوا | ـ بلا خَجَلٍ ـ : لمن هذا العَقَار ؟ (٢)
وأُمُّكَ هِــــــرَّةٌ تَلْقَى بنيهــــــا | بفيهـا حين يـدركهـا السُّعَار !! (٣)

❊ ❊ ❊ ❊

يقـول الناسُ ــ فى شرق وغرب ــ : | فَخَـــارٌ لا يعـــادلــــهُ فَخَـــار
ومجــدٌ لا يفــوز بــه سـوَى مَنْ | لــــه دَأْبٌ عليــــه واصْطبــــار
ولا يحظَى بِنَيْـل المجـــدِ قَـــوْمٌ | إذا لاقتهـم العَقَبَـــاتُ خـــارَوا
ومهـرُ المجـد ــ إن تَخْطُبْـه ــ غَـال | وبَعْضُ المَهْــرِ مَـوْتٌ واحتضـار
فإن يُخْلِفْ لنـــا قَمَـرٌ ظُنُــونًـــا | ففى الملكـــوت أقمـــارٌ غـــزَار
وقبـل النُّجح إخْفَـــاقٌ وثَـــان | وأول مِشْيَـــة الطِّفل العثَـــار

---

(١) لا يفوت الشاعر أن يبكى حظه ـ بوصفه شاعرا ـ كلما واتت فرصة .

(٢) العقار : الضيعة ، والمتاع والنفيس .

(٣) تأثر الشاعر ـ هنا ـ بقول شوقى عن الشمس :

فيـــــالـك هــــــرة أكلـت بنيهـــــا
ومــــا ولــــدوا وتنتظـــر الجنينـــا

ويَهْمِسُ آخــرون : لقـــد شَططْنــا متى ضــاقــتْ بأهليهــا الــدِّيــار ؟

عــلامَ الخَبْـطُ فى جــردَاءَ ، فيهــا يَعــزُّ المــاءُ والخُبْــزُ القفَــار ؟ (١)

كنــوز الأرض خــافيــةٌ علينــا ولا يَبْـــدُو لنـــا إلا الإطَـــار

ومــا زالـت بهــا : فَحْمٌ ، وزَيْتٌ ومــا زالت بهــا : عَسَلٌ يُشَــار (٢)

ظننّــا أن فى القمــر انطــلاقًــا أفى القمــر انطــلاقٌ أم إسَــار ؟

كأن النَّـــازِليـــهِ نُـــزُولُ سجنٍ وأين مَضَــوا فَحَــوْلَهُمُــو حِصَــار !

تَنَفُّسُهــم بــــه داءٌ عَيَــــاءٌ وحَبْــو الطفـلِ إن هُمْ فيـه سَــارُوا

خَطَــوْا خَطْــوَ المقَيَّــد ؛ لا يمينٌ يُتَــاحُ لهــا المسيــرُ ، ولا يَسَــار

وقــالــوا : كلُّ مجهــود بَــذَلْتمُ هنــاك ، وكـلُّ « دُولارٍ » جُبَــار (٣)

زرعتمْ سَــرْحَــةً سمَقَتْ وطــالت ولكــن لا ظِـــلاَلَ ولا ثمــــار !

كَشَفْتُمْ إن تكــونــوا قــد كشفتم لَقًى فى الجــوِّ ، ليس لـه اعتبار (٤)

كشفتــم ذرَّةً سبحــت بـــأُفـــق فسيحِ السَّــاحِ ليس لـه انحصـــار

لمستم شــاطىءَ المجهــول لَمْسًــا وجَــــدَّ بكم إلى الأرض الفِـــرَار

ومن سَبَـــر المحيطَ فليس يَشْفى قليلَ طمـــوحِـــه إلا القـــرار

سلـو الأفـلاك ـ إذ طِرْتُم إلَيْهــا ـ : أكـــان لهــا من الضحك انفجــار ؟

وقَبْلَكُمُــو بنى هــامــانُ صــرحًــا فكــادَالنجمُ يــدركُــهُ انهيــار (٥)

أضعتُمْ فـى الهــواء كنــوزَ مــالٍ وملءَ الأرض بُـــؤْسٌ وافتقـــار (٦)

---

(١) الخبز القفر والقفار : غير المأدوم ؛ أى : أكله بدون ما يسيغه .

(٢) يشار : يستخرج .

(٣) جبار : هدر وباطل ؛ لا عائد له .

(٤) اللقى : ما طرح وأهمل ، والجمع : ألقاء .

(٥) هامان : وزيـر فرعون ، وفى القرآن الكريم : « وقـال فرعون يا هامـان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » .

(٦) يدعو الشاعـر ـ فى هذا البيت وما بعده ـ الدول الكبرى إلى : رعـاية الدول الصغرى ، وأن تقدم للبشرية ما تحتاج إليه ؛ من طعام ، وملابس ، ودواء .

وحـول القـدس مـن جُـوع وعُـرْيٍ ... أُلُــوفٌ تستجيــرُ ؛ فــلا تجــار
وقــد فتكَـتْ بنــا الأمــراضُ فتكًــا ... وأبــدى الطبّ عــاجـزةٌ قصَــار
وأكبَــرُ مَنْ تــرى يَغْــرُوه داءُ ... فتلحقُــه المَــذَلّــةُ والصَّغَــار
وسِــرُّ حيــاتِكم مــا زال لُغْــزًا ... عــويصــا لـم يُـزَحْ عنـه السِّتـار
ومــا تلك الحيــاةُ ؟وكيف جئنــا ؟ ... خيــارٌ ذا المجىءُ أم اضطــرار ؟
أُمــورٌ قبلنــا ، اختلفــوا عليهــا ... وطــال البحثُ ، واتصـل الحــوار
فلـم نعـــرف لهـم إلا فَطِيـــرا ... من الآراء ليـس لــه اختمــار (١)

❊ ❊ ❊ ❊

تعــالــوْا نبتكــرْ عهــدًا جـديـدًا ... يَعُمُّ الخيـــر فيـــه واليَسَـــار
تســودُ بــه : مســاواةٌ ، وأمن ... فمــا فى الأرض : سنَّــوْرٌ ، وفــار
ولا مَنْ أصلُــه : ذهَـبٌ ، ومِسْكٌ ... وأصلُ سـواه : مخْشَلَبٌ ، وقـار (٢)
ولا من زان سَحْنَتَــه أبيضــاضٌ ... وآخــرُ شَــانَ سحنتــه اسمـرَار (٣)
تعــالــوْا نبتكــرْ مصـلاً جـديـدًا ... بــه فـى الشيب يَسْــوَدُّ العــذَار
فكم هــدم المشيبُ حيــاةَ شيخٍ ... ومــا أغنــاه حَــزْمٌ أو وقَــار !
تعــالَــوْا نبتكــرْ للحــرب حــلاًّ ... وإلاَّ حَــاقَ بــالأرض الــدَّمَــار
ولغــزُ المـوت مــا استعصى عليكم ... فَفَخْــرُكمــوُ بعلمكمُ اغتــرار
شهـــدتُ بأن لله اقتــــدارا ... وغيــرُ الله ليس لــه اقتــدار
وأن الجهلَ لـلإنســانِ ـــ مهمــا ... يَـزِدْ علمــا ، ومعرفــةً ـــ شعَــار
وأن وراءَ هـــذا الكـــونِ ربًّــا ... لــه فى الكــونِ أسْـرَارٌ كِبَــار !

---

(١) الرأى الفطير : الساذج الذى لم ينضج .

(٢) المخشلب : الزجاج ، والقار : الزفت .

(٣) السحنة : الوجه ، والهيئة ، واللون .

غزو الفضاء

غُزَاةَ السمــواتِ ، حُثُّوا الـرِّكـابـا إلى النجم ؛ قـد أصبح النجم قَـابـا

لكم طــائرٌ شقَّ جــوفَ الفضـــاءِ رأتــه العُقَــابُ ؛ فــراع العقــابــا

تخطى الهـــواءَ ، وجـــاز الأثيــرَ ومــرَّ ؛ شِهَــابــا يَــؤُمُّ شهــابــا

هـــو العلـمُ ؛ صـــوَّر مِنْقَـــارَهُ وراشَ الجناحَ ، وسوَّى الذُّنـابى [1]

وأرسلــــــه رائدا فى الفضــــــاء إلى النَّجم يكشفُ عنه الحِجَـابـا

ألا ليت شِعْــرِىَ ــ والعلمُ سِــرٌّ يَـرُوضُ به المعْضلات الصعـابا ــ :

أَتَبْــدُو لنــا مُغْلَقَــاتُ السمــاء ويفتحهــا العلمُ بــابــا فبـابـا ؟

ويُخْضِعُهــا بعــد طـولِ الجِمـاح ويقطعهــا جيْئَــةً وذَهَــابــا ؟

فَمُنْتَجِعٌ حل بـــــالمشتَـــرِى ومُغْتَــرِب من عُطَــاردَ آبــا ؟ [2]

وآخــر راح يشُــدُّ الــرحَــالَ إلى زُحَلٍ ويُعــد العَيَــابــا ؟ [3]

وكنــا نعُــدُّ النســورَ ملــوكــا لعـرش الهـواء ، فصـارت ذُبَـابـا !

صــواريخُ تطــوى السمــوات طيـاً كمــا راح يطـوى السجـلُ الكتـابـا

إذا صح ظنى ، فســوف تَهُــزُّ الــ (م) وجــود ، ونُحْـدثُ فيـه انقـلابـا

كَأَنِّىَ بــالنجـم يـرْنُــو إليهــا ويسألهــا لــو تَــرُدُّ الجــوابــا

ويهتف ــــ فى وجل ــــ قــائلا : حمــامــةَ سلم أرى أم عِقَــابــا ؟

أتشعـــر أبـــراجُـــهُ أَنَّـــا نُعِـــدُّ لهــا حَطَبَــاً وثِقَــابــا ؟

أعنـــد الكـــواكـب أن الأنـــامَ هنــا انقلبــوا جِنَّــةً وذِئابــا ؟

---

(١) راش الجناح : قواه . والذنابى : الذنب .

(٢) انتجع المكان : أقام فيه .

(٣) العياب : جمع عيبة ؛ وهى : الحقيبة .

وأن ابنَ آدمَ فى الأرض عاثَ ... وكان له العقلُ ظفرًا ونَابا ؟

فصاغ من الذَّرَّة المرهفاتِ ... وقَدَّ الرِّماح ، وسوى الحرابا ؟

وأصبح يُسْرِجُ نفَاثَةً ... وغوَّاصةً ، لا خُيُولاً عرَابا ؟ (١)

وكم سار فى الأرض مستعمرًا ... فمصَّ دماً واستَرَقَّ رقابا ؟

فماذا من النَّيِّرات يريدُ : ... أخيْرًا أراد بها أم خرابا ؟

* * *

وما بالُ أهلِ الكواكب عزُّوا ... علينا ، وهُنَّا عليهم جنابا ؟ (٢)

أما فكَّروا فى الهبوط إلينا ... ونحن إليهم ركبنا السحابا ؟

ألاَ يُرْسلون إلينا رَسُولا ؟ ... ألا يَبْعَثُون إلينا خطابا ؟

أليسوا بأوسَع منا عقولا ؟ ... وأكثرَ فى الكون منَّا اضطرابا ؟

تُرَى : هل أرادوا إلينا الوصولَ ... فعزَّ عليهم ، وضَلوا الصوابا ؟

ألا أيها القَمَرُ المتَجنِّى ... علينا ، كفى جفوة واجتنابا

علامَ تزيدُ عن الأرض بُعْدًا ... إذا زادت الأَرضُ منك اقترابا ؟

أرى الأرضَ تهفُو إليك اشْتِيَاقًا ... وتطلب منك الدُّنُوَّ ، فتَابَى

وَمَالَكَ بَيْنَ الكَواكِبِ أُمٌّ ... سِوَاها إذا ما أردت انتسابا

* * *

عشِقْناك حتى حسِبْنا الليالى ... ومقدارَ نورك فيها حسابا

ليالٍ كساها شعاعُك سحرًا ... فطابت لمن يَجْتَلِيها ، وطابا

وأخشى ـ إذا ما نزلناك ـ أَلاَّ ... يكونَ جمالُك إلا سرابا

أتكتسب النورَ من أرضنا ... كما تأْخذ النورَ منك اكتسابا ؟

---

(١) يسرج نفاثة : يضع فوقها ما يساعد على الرحلة ؛ كما يوضع السرج على الفرس .

(٢) الجناب : الفناء ، والناحية ، والمراد ـ هنا ـ : القدر ، والقيمة .

ألــلأَرضِ فيك ليــالٍ وضَــاءٌ ... تــرقَّبهــا ســاكنــوك ارتقــابــا ؟
أَبِــالأَرض شُبِّهت الحــورُ فيك ... وإن كــان هــذا لــدينــا سبــابــا ؟
أتتخــذ الليــل حُــوُرك شعْــرًا ... لهُنَّ ، وضــوءَ الصبــاح إهــابــا ؟
وهل جعـل الله خمــرَ الجِنَــانِ ... وشُهْــدَ الجنــان لهنَّ رضــابــا ؟
ومــاذا يطـأنْ بأرضـك ؟ مسكــا ... وغــالِيَــةً ، أم يَطَــأْنَ التــرابــا (١)

❊ ❊ ❊

أَيَأكُـلُ فيك أنــاس طعــامــا ؟ ... ويلبس فيـك أنــاس ثيــابــا ؟
وهل فيـك يفــرى الشتــاءُ الأديمَ ... ويلتهبُ الصَّيْف فيك التهـابـا ؟ (٢)
وهل يجــد العيشَ فيـك بنــوك ... كما نجـد العيشَ شوكاً وصـاباً ؟ (٣)
وهـل كــان آدمُ أيضــاً لهم ... أبًــا وَرِثــوا عنه هــذا العــذابــا ؟
وهل بينهـم من يــدين بــدين ... ويرجـو الثوابَ ، ويخشى العقـابا ؟
أيحتــربــون بأرضـك ، أم هُمْ ... يعيشــون أهــلاً بهـا وصِحــابــا ؟
ومــاذا نــرى حين نَهْبطُ فيكَ ؟ ... أزرعـا وضَــرْعـا نـرى ، أم يبــابـا ؟
تكهَّنَ قــومٌ ؛ فقــالــوا : حــويتَ ... مــرابعَ خُضْـرًا ، ورَوْضا ، وغـابـا (٤)
وأرْجَفَ قــومٌ ، فقــالــوا : وحــولٌ ... ومستنقعــاتٌ تفيـض عُبــابــا
وقــال أنــاس : صحــارى تضمُّ ... رَوَاسِيَ شــامخــةً وهضــابــا
كــذلك كنـتَ ، ومـازِلتَ ، لغـزًا ... إذا مــا بحثنــاه زِدْنـا ارْتِيـابــا
ولم تــر أوضـحَ منك العيــونُ ... ولم تــر أكثفَ منك نِقَــابَــا

❊ ❊ ❊

(١) الغالية : الطيب .

(٢) يفرى الشتاء الأديم : يشق الجلد ويقطعه .

(٣) الصاب : شجر مر .

(٤) تكهن تكهنا ، وكهن له كهانة : قضى له بالغيب . والحرفة منها : الكهانة بكسر الكاف .

أتعلمُ كم فيك أنشـدت شعـرا ... كضـوئك يحكى لُجَيْنـاً مُذَابـا ؟

وكم كـان نـورُك مصـدر وحْيى ... وكم بك شبهتُ خُـودًا كِعابـا ؟ (١)

وكم قمـر ذى سنـاً كَسَنـاكَ ... سقـانىَ مِن شفتيـه الشرابـا ؟

وكم قمـرٍ سـاطع صـدَّ عنيِ ... كصـدِّك لمـا فقدتُ الشبـابـا ؟

زَوَتْ عنـىَ الأرضُ أقمـارَهـا ... غـداةَ رأَتْ شعـرَ فَـوْدِىَ شـابـا (٢)

فمـا عـاد لى قمـرٌ واحـدٌ ... يبـادِلُنى بـالعتـابِ عتـابـا !

وكيف التصـابى ، ولى لِمَّـةٌ ... أبى لـونُهـا لِىَ أنْ أتصـابى ؟

* * * *

سـلامـاً ، بنـى النيـرات ، إلى أن ... نـزورَ حِمـاكم ، ونَغْشى الرِّحـابـا

مع العلـم نحن علـى مـوعـد ... وآمـل ألا نُطِيـلَ الغيـابـا

فقـد يكشف العلمُ هـذى الرمـوزَ ... وقـد يتسلقُ تلـك القبـابـا

وقـد يصبح الكـون دارًا ؛ فَـلا ... نَعُـدُّ نـزول السمـاء اغتـرابـا

لـه الله حلمـاً لـذيـذًا نـراه ... ويـاربَّ حلم لـذيـذ أصـابـا

ولـن يقف العلـم إن هـو صحَّ ... ولن ييـأسَ العلم إن هـو خـابـا

وليـس يَعِـزُّ على العلم شىءٌ ... وكيفَ ، ومنـه رأينـا العجـابـا ؟

---

(١) الخود ـ بفتح الخاء ـ : المرأة الجميلة ، وجمعها : خود ، بضم الخاء ، والكعاب ـ بالفتح ـ الجميلة الصدر ، والجمع بكسر الكاف .

(٢) زوت أقمارها : أبعدت وأخفت الحسان .

فى الربيع :

نيسان

نيسانُ ، أنتَ لعين الدهر إنسانُ ... ياليت كلَّ ليالى الدهر نيسانُ !

ما الطيرُ ؟ ما الزهرُ ؟ إنى لا أخصُّهما ... بفتنةٍ ؛ كلُّ شىء فيك فتَّان

الصخرُ يبدو لعينى فيك منتشِياً ... أُحسُّ فيه حياةً وهْوَ صفْوان

ينساب دفْؤُك فى الأبدان عافيةً ... لا تشتكى السُّقْمَ فى نيسانَ أبدان

وللربيع خمورٌ ؛ لا كرومَ لها ... ولا كئوسٌ، ولا دَنٌّ ، ولاحان

قالوا : الربيع ، فقلت : العدل طابَعُه ... لا فى النهار ، ولا فى الليل طغْيان

تعادل الليلُ فيه والنهارُ معاً ... كأنما هو للأيام ميزان

كم كَهْرب الجوَّ فصلٌ غيرُ معتدلٍ ... تعاورتْه زياداتٌ ونقصان !

الحسن فى سِنَة من نومه ، فإذا ... حلَّ الربيع فإنَّ الحسن يقظان

كأنما لم يكن شمسٌ ، ولا قمرٌ ... قبل الربيع ، ولا سرْوٌ ، ولا بان

الكون فى نشوة من يوم مقْدَمه ... فكل ما فيه يمشى وهْو ميْسان

كل الطيور عصافيرٌ مغردةٌ ... فيه ، وكلُّ مكان فيه بستان

قم ، نبِّه الطير فى الأوكان من وَسَنٍ ... طال الشتاء عليه وَهْو وَسْنان

طال الشتاءُ ؛ فلا طيرٌ ، ولا شجرٌ ... لا الطيرُ طيرٌ ، ولا الأغصان أغصان !

قم، نبه الطير ينظرْ عِزَّ دولته ... عرشُ الربيع عليه الطيرُ سلطان

هذى منابرُك العليا مهيأةٌ ... ياطيرُ ، فاصْدَحْ ؛ فكل الكون آذان

أنت الملحِّن والمُنشى ، وأنت لنا ... رِقٌّ ، وأنت مزاميرٌ وعيدان

الطير يصدح ، والغدران هامسةٌ ... المطربان هما : طيرٌ ، وغدران

* * * *

قم ننظُر المـاء ـ مـاء النهر ـ فى دَعَة   والبطُّ يسبـح فيـه وَهْـو جـذلان

يخط فيـه خطـوطا لا بقـاء لهـا   كأنهـا حـادثٌ يمحـوه نسيـان

من كل مـا خرة للمـاء ، عـابـرةٍ   كأنهـا وحـدهـا فُلكٌ ، وربـان

الجيد ساريـةٌ ، فـى الجـوِ عـاليـةٌ   والرِّجلُ فى المـاء مجْدافٌ ، وسكان

أسطـول سلـم تقـر العينَ رؤيتـهُ   لم تنـدلع منـه نحـوَ الشطِّ نيـران

❊ ❊ ❊

مَرَّ النسيم على سطح الغـدير ضُحًى   ومـاؤُه مُطْبقُ الجفنين نعسـان

فيم التجعُّـد إذْ مـرَّ النسيم بـه ؟   سلوا الغدير ، سلـوه : أَهْو غضبان ؟

إن النسيم رسـول الـزهـر حمَّلـه   سـرَّ العبيـر ، ولـلأسـرار كتمـان

لكنـه بـاح بـالسر الجميـل ، وقـد   يطيب للسر ـ سرِّ الدهـر ـ إعـلان

كم للنسيم مع الشعـر الطويل أو الـ (م)   ثَّوْب القصيـر دُعـابـات لَهَـا شـان

وكم لـه بغصـون الـدوح عـربـدةٌ   كأنـه بغصـون الـدَّوْح ولهـان

وكم تـرنَّح سكـرانـاً بهبَّتـه   كمـا تـرنـح بـالصهبـاء سكـران

وكم رسـالـةِ حبٍ جـاءَ يحملهـا   كـالبرق وهْـوَ حثيثُ الخَطْو عجـلان

رسـالـة حلـوة الأنغـام ؛ قَـرَّ بهـا   قلبُ الحبيب قـرارًا وهْـوَ حَيـران

قالوا : عليل ، فقلنـا : هل إليه سَرَى   من المحبيـن أَنَّـاتٌ وأشجـان ؟

❊ ❊ ❊

عـرش الطبيعـة قـد صُفَّتْ أرائكُـهُ   إن الـربيع لهـذا العـرش سلطـان

عـرش، سـرادقـهُ فى كل نـاحيـةٍ   يقـام ، يشهـده حُـورٌ وولـدان

ليست معـازفـه رقـاً ، ولا قَصَبـاً   لكن معـازفـه طيـرٌ ، وأفنـان

قد نُسِّقَتْ فيه أزهـارُ الربـا أُصُصاً :   ورد ، وآسٌ، ونَسـريـنٌ ، وريحـان

الأفْق بـالنجم ـ لا بـالشمع ـ مـزدهرٌ   والأرض بـالبُسُط الخضـراءِ تـزدان

أمـا تـرى الأرضَ وشّاهـا الـربيع كمـا وشى الثيابَ ــ ثياب العُرس ــ فنان ؟

نـولٌ يحـوكُ على وجـه الثـرى حُلَـلاً شتى ؛ لهن ــ كمـا للطيف ــ ألـوان

ولا خيـوط لهـا غيــر النبـات ، ومـا لهـا سـوى المـاء أصبـاغ ، وأدهـان

* * * *

إن الــربيعَ كتــابُ الحبِّ نقــرؤُهُ الحبُّ حــاشيــة فيــه ، وعنــوان

فكلُّ عينٍ بــه كــالسيف فــاتكــةٌ وكل قَــدّ بــه كــالـرمح طعَّــان

وكل خــدٍ بــه تفــاحــةٌ نضجت وكل نَهْــد حــواه الصــدرُ رمّــان

رجعت فيـه إلى الدنيـا ، أسائلهـا : هل غيرت أهلهـا أم هُمْ كما كـانوا ؟

مـا أخطأت مقلــةٌ فيـه لهـا هــدفـاً إن صوَّبتْ سهمها ، والسهـمُ حرنان

صيدُ القلوب ـ كصيد الطيـر ـ معركةٌ لهــا : سهــام ، وأقــواس ، وأزمــان

بين الظبــاء وأُسْــد الغــاب دائرةٌ ســلاحهـا : أعْيُن وسْنَى ، وأجفــان

كم في الربيع لها فوق الشواطىءِ ، أو تحت الظلال ــ ظلالِ الدَّوْح ـ ميدان

تبسم البحـر من بعد العبـوس ؛ فهل للبحر ــ أيضاً ــ مسرّات ، وأحزان ؟

* * * *

يا سادنَ البحرِ ، قم ، وافتح شواطئه بــالبــاب للبحــر زُوَّار ، وضيفَــان

مـرَّتْ عليـه شهـور ، وهْـوَ في سِنَـة لا الموج مـوجٌ ، ولا الشطآنُ شطآن

مَهْـدٌ بـه الـرَّمـل ، والكثبـانُ نـاعمـةٌ أغلى ثمـــارٍ لـــه رمـل ، وكثبـــان

سِـرْبُ الغـواني على الأبـواب منتظـرٌ تكشَّفَتْ منـــه أعْضَـــادٌ ، وسيقـــان

من كل سـاحــرة العينين ، ضـامـرةِ الخَصْــرُفي ظَمَـإٍ ، والـرِّدفُ ريَّــان

إذا سبحن على أمــواجــه ، فُتِحَتْ للسـابحــات من الأمــواج أحضـان

يبــدون في شَطِّـــه أو فــوق لُجَّتــهِ كأنمــا هُنَّ درٌّ ، وهْـــو دِهْقـــان

أيسكن الــدرُّ والمَـرجـان شـاطئَــه أم في قــرارتــه در ومــرجــان ؟

لا أرهب البحرَ والغيد الحسان بـهِ   فإنَّ غضبتَـــه عَطْفٌ وتحنـــان
ولا أهـاب هـديـر البحـر إن سبحت   فيـه المهَـا ؛ فَهْـوَ تطْـريبٌ وألحـان
عجبت للبحر ؛ قد فـاض العُبَابُ به   لكنــه لِـرُضَــابِ الغيــد ظمــآن !

* * * *

سبحـان من صوَّر الـدنيـا فأبدعهـا !   فقل لرَبِّكَ ـ رب العرش ـ : سبحان !
آيـات ربك تَتْرى فـى الوجـود ؛ فهل   للمـرء عينٌ ؟ وهل للمرءِ وِجْـدان ؟
كل البقـاع محـاريبٌ لـه صُنِعَت   وكل مــــا تسمع الآذان قــــرآن !
فى كل ظــاهــرة تبـدو يَلـوُحُ لنـا   على جـلالـة ربِّ العـرش بـرهـان !
كم ذرةٍ فـى فضـاء الله ســابحـــة   فيهـا : عـوالمُ لا تُحْصَى ، وأكـوان !
فيم الصعـود إلى الأفـلاك نكشفهـا   والشمس تضحك والشِّعْرى وكيوان ؟
إن ابنَ آدمَ عن ســرِّ الـوجـــود ، وعن   سـر الحيـاة ، وســر المـوت غفـلان
ضلَّ ابـنُ آدمَ إذ رام الـوصـــولَ إلى   نهـايـة الكـون ! والإنسـان إنسـان !

في المصيف :

على شاطئ البحر

يـــارُبَّ جـاريــة فى البحـر كـــالعلم ... تــراقصت فــوق مـــوج منـــه ملتطم

وســـابحينَ علــى شطـــآنـــه بَـــرمـــوا ... بالصيف ؛ فانغمسوا فى مائه الشبم (1)

والبحـر لا ضــائق ، أو شــاعـرٌ بهمـا ... لكنـــــه نــــــاظـــــرٌ فى ثغــــر مبتسم

يقول ــ فى عجب ـ : كم قــارةٍ ركبت ... ظهـرى ، وكم نملـةٍ دبَّتْ على قـدمى

* * * *

يابحر ، قد سئِمَتْ نفسى الحياةَ على ... وتيـــــرة ، فــأرحْ نفسـى من الســأم

إنى أتيتُكَ مصطـــافـــا ، وملتَمســـاً ... من مـائك المعـدنـىِّ البرءَ من سقمى

أما الحِسَان على الشاطى ؛ فقد لمحت ... شَيْبى ، فَهِمْتُ بهـا وحـدى ، ولم تَهِم

إذا نَظَــرتُ إلــى حسنـــاءَ ســـابحــة ... نــاديت عَهد شبـابى ، وهْـوَ فى صمم

حسبى نسيمُ الصبـا ، فـــامــلأَبِـه رئتى ... ولا تحـــــرِّكْ بأيــــام الصِّبَـــا ألمى

أغـرقتُ فيكَ همـومى . ليتهـا وقعت ... فى بطن حــوتٍ من الحيتــان ملتقمِ!

* * * *

إن كـــان شطُّك بــالجنسَيْن مختلطـــا ... فـربمـــا اختلط الجنسـان فـى الحـرم

استغفـــــر الله ! زِىُّ البيت محتشِمٌ ... لكـنَّ زيَّـك زىٌّ غيــــــرُ محتشـم

لله منظــــرُك الســـاجى إذا بسَطَت ... لك الـرياح أصيـلا راحـة السلمَ ! (2)

ورُخْنَ ينقشن فى الأمـــواج من صــورٍ ... مــا ليس ينقشـه الرسَّـامُ بــالقلم !

---

(1) الماء الشبم : البارد .

(2) الساجى : الساكن ، والسلم : الاستسلام والمسالمة .

حبـابُ مـائك ، أَم كـأْسٌ لهـا زبـدٌ ؟ وهمسُ مـوجك ، أم شـاج من النغم ؟
وفـــوق رملك أمشى ، أم علـى بُسُط صفـراءَ منقـوشــةٍ من صَنعـة العجم ؟

* * * *

قالوا عليك : أُجاج الماء ، قلت لهم بل مـــاؤُك العَــذْب سيـالٌ بكـل فم
ألم يحـوِّلْ شعــاعُ الشمس مـاءَك من مِلْح أجـاج إلى عـذب من الـدِّيم ؟
لـولاك ما هَطَلت وطفـاء ، أو هَـدلت ورقاءُ ، أو قبَّلَتْ كـأسٌ شفاهَ ظمى (١)
لم ينتسـب شجــرٌ إلا إليك أبـــاً ولا انتمـى زهَـــــر إلا إليـك نُمـى
سـريْتَ فى طبقــات الأرض مُنْسَـرِبـاً فكيف أصبحتَ تيجاناً على القمم؟ (٢)
وكيف طِـرْتَ بـلا ريش وأجنحـــة فى حالق الجوِّ كـالِعقْبان والرخم ؟ (٣)
النيل يعـــرفُ والـدَّانُـوبُ أنهمـــا من فيضُ سحبكَ ، أو من سَيْلِك العَرِم
مـا سحَّ فـوقـك غيثٌ ، أو جـرى نهَرٌ إليكَ إلا اعتـــرافـــا منـــه بـــالنِّعم
كم مِنَّـــة لـك فى الأعنــاق تبـذلهـــا ولا تمنُّ بهـــا ، يـاحــاتـمَ الكـــرم !
سرُّ الحيـاة ـ لِعَمْرى ـ أنتَ مذ نشأت حول الضفاف ، تعـالى بارىءُ النسَمَ !
متى ابتـدأْتَ على الغبْـراءِ وابتـدأت ؟ هل أوغَلَتْ مِثْلَمَا أو غَلْـتَ فى القدم ؟
مـرَّت عليـك قـرونٌ ليس يحصُـرُهـا عــدٌّ ، ولم تَشْكُ مـن شَيْب ولا هـرم
قل لى ـ بربِّـك ـ : كهل أنت ، أم هرم أم لا تــزال غـــلامـاً بـــالغَ الحلُم ؟

* * * *

يكـــادُ سـائِلُك الـرقــراقُ يخـدعنـــا عمَّـا حـوَى من وُحــوش لَسْنَ فى أجم
أشِـرعَةَ الغـابِ تقضى بين أهْلِكَ ، أم حقُّ الضعيف لـديهم غيـرُ مُهْتَضَم ؟

---

(١) الوطفاء : السحابة الكثيفة .

(٢) المراد بالتيجان ـ هنا ـ : السحاب ، وهو الذى يطير فى أعالى الجو .

(٣) الرخم : جمع رخمة ؛ وهو : طائر أبقع (فيه سواد وبياض) ، ويشبه النسر فى الخلقة .

هوِّنْ عليك ؛ فكم فـى البرِّ من سمك ... يلوح فى صـورةِ الدُولات والأُمم ! (١)

قـالوا : السـلامُ، ولم تعرف شـرائعُهم ... غيـرَ المخالب والأنيـاب من حكم !

يـا طـالمـا كنتَ ميـدانـاً لغـاشِمِهم ... فَشَـاب مـاءَك من أطمـاعـهِ بـدم

وشـادَ جِسْـرًا علـى الأمـواج من جُثث ... فلم تعُـدْ تشتكى الحيتانُ من قَـرَمَ (٢)

* * * *

قد كنـتَ، يا بحرُ ، قبـل اليوم تقهـرُنا ... وكنتَ فـوق حـدود الظـنِّ والـوهَم

حتى كشفنـاكَ بالعلم الحديـث؛ فما ... عادَتْ تحوطك أسْدَافٌ من الظلم (٣)

القـوم رادُوك، بل ســادوك من زَمنٍ ... حتى غـدَوْتَ لهم مـن أطْـوَع الخـدم

وما اكتفـوا بارتياد البحـر ، بل سَبَحُوا ... كـالجنِّ فى عـالم الأفـلاك والسُّـدُم

إن كنتَ يا بحـرُ عملاقـاً ، فأنتَ وما ... تحـويـه فى ملكـوت الله كـالقَـزَم

ومـا أنـالُك فـى شعـرى بِمَنْقَصَـة ... يكفيكَ أن خَصَّكَ الـرحمـنُ بـالقسم

إذا تَسمعْتُ خلتُ المـوجَ فيك شـدَا ... بـذكـرِ مَنْ كـوَّنَ الأكـوانَ من عـدم !

---

(١) الدولات : الدول ، جمع دولة ، والله يداولها بين الناس .

(٢) القرم : شدة شهوة اللحم . وقد قرم إلى اللحم : من باب طرب .

(٣) أسداف : جمع سدف و سدفة ـ بفتح السين فى الأول وضمها فى الثانى ـ وهو الظلمة .

فى الصيف :

من وحى البحر

يـــالجَمَـــال المنظـــر الخـــلاَّب !

عنـــد التقـــاءَ الأُفـقِ بـــالغيـــاب !

وَفـــوقهـــا مـــواكبُ السَّحـــاب !

تسبـح فى الفضـــاءِ كـــالقبـــاب !

والشمـس تـــارةً بـــلا نِقَـــاب

وتـــارة تُشْـــرِفُ فـى الحِجـــاب

خلـفَ ظَـــلام الغَيـم والضبـــاب

والبحـــر كـــاسٍ ، أزرقُ الجِلْبَـــاب

زرقـــةَ عَيْـنِ الغـــادةِ الكَعَـــاب

مـن لـى بِمِجْهَـــرٍ وإصْطِـــرْلاَب ؟

حتـى أرى الشمـس علـى اقْتـــراب :

إذ مـــال قُـــرْصهـــا إلى الغِيَـــاب

واصطبغَـتْ بحُمْـــرَة العِتَـــاب

وانطفـأتْ جمْـــرَةُ الالتهـــاب

فى المـــاء ؛ فَهْى كـــالسِّـراج الخـــابى (١)

وصـــاح صـــوت الـــدهـــرِ كـــالغـــراب

---

(١) السراج الخابى : السراج الطافىء ، الذى لا يبعث الضوء .

ـــــ فى نَغَم خَـــال من الإطْـــراب ـــــ :
صفحـــــةٌ انطَـــوَتْ من الكتـــاب !

... ...

يــــا بحــــرُ ، أنت ملتقَى الأحبـــاب
وبـــاعثُ النَّشْـــوة فى الأعصـــاب
ومُبْـــدلُ الأُنس بـــالاكتِئَـــاب
وطـــاعنُ الصيف بـــلا حِـــرَاب
إذا عَـــدَا كـــالضَّيْغَم الـــوثَّـــاب
مُهَـــدِّدًا بمِخْلَـبٍ ونـــاب
تمُّـــوز عـــاش منك فى إرهـــاب
آرادُه حـــانيـــة الـــرقـــاب
قهـــرتـــه بـــرقـــة الحَبَـــاب
والنسمـــات الحلـــوة الـــرِّطـــاب
فعـــاد مـــرتـــدًّا على الأعْقـــاب
للين حـــد ليس للقـــرضـــاب (1)
مـــا فيك شىء ليس بـــالجَـــذَّاب
حتى اصطـــدامُ مـــوجك الصَّخَّـــاب
بـــالصُّمِّ من صخـــورك الصِّـــلاَب
يحكى لنـــا زئيـــرَ أُسْـــدِ غـــاب
مُهْتَـــاجـــةٍ، مُثـــارة ، غضَـــاب
كم مـــوجـــةٍ تُـــومِض كـــالشِّهـــاب

---

(1) القرضاب : السيف القطاع ، الذى يقطع العظام ، والجمع : قراضبة .

أو كحُسَـــــام سُـلَّ مــن قِـــــراب

بيضـــــــاءَ مثـلِ دِرَّة الحِـــــلاَّب

نِثَـــارُهَـــا مـن لـــؤلُــؤ مُـــذَاب

مـــوجُك ــــ مثلُ الــدهــر ــــ فى انقــلاب :

بَيْنـــا نــــراه ليِّـن الجَنَـــاب

إذا بــــه أرفـعُ مـن هِضَــــاب

عَـــزَّت على الأَجْـــدلِ والعُقَـــاب

... ...

إن كنـتَ غيــــرَ ســـائغِ الشَّـــراب

فمنـك مـــاءُ الأنْهُـــرِ العِـــذَاب

إن تَفْخَـــرِ الأَنْهـــارُ بـــالأَنسَـــاب

فـــالنيـل مـن أبنْـــائك الأَنجَـــاب

مـلءُ الثُّغُـــور أنــت والأكـــواب

بكـلِّ عـــذب بَـــارِدٍ مُنْسَـــاب

كـــالشهــد فى الأفــواه والــرُّضَـــاب (١)

مـــاؤُك سِـــرُّ النَّسْـل والإِخْصَـــاب

وواضـعُ البـــذور فـى الأَصْـــلاب

وأنــت ســـرُّ خُضـــرة الـــروابى

وثَمَـــرِ النخيـل والأَعْنَـــاب

أنــتَ عَمَـــرْتَ الأرضَ مـن يَبَـــاب

لـــولاك مـــا حَبَـــا عليهـــا حَـــابِى

---

(١) الرضاب : الريق ، أو عسل النحل .

أو خلقَ الإنســـــانُ مـن تُـــراب

... ...

كـأنمـــا أنت هنـــا أعــرابى

خيـــامُـــه أرْبَتْ على الحِسَـاب

منصـــوبــةٌ ، مشـــدودةُ الأطْنَــاب (١)

عـــاليَـــةٌ ، مفتـــوحـــةُ الأبـــواب

رِيُّ الظمـــاء ، مَطْعَـمُ السِّغـــاب (٢)

تجمـع بيـن : الصِّيـــد ، والأَوْشــاب

بيـن رؤوس النـــاس ، والأذنـــاب

وَرَبْـــرَبِ الغِـــزْلان ، والـــذئاب

مـــا نَـمَّ نـــابحٌ من الكـــلاَب

أو حـــاجب فظٌّ من الحُجَّـــاب

وأنـت جـــالسٌ على الأَعْتـــاب

مـن الـــرمـــال فـــارشٌ زَرَابـى (٣)

تَستقبلُ الـــوفـــودَ بـــالتـرحـــاب

طَلْق المحيـــا واسع الـــرحـــاب

ضخم الجفـــان، فـــاهـق الجـــوابى (٤)

... ...

والغِيـــدُ أسْــرَابٌ إلى أســراب

يَنبُتْـن فـى شَطِّـك كـــالأَعشـــاب

---

(١) الأطناب : جمع طنب ـ بسكون النون وضمها ـ وهو : حبل تشد به الخيمة .

(٢) هو سغب وسغبان : أى جوعان ، والجمع : السغاب .

(٣) الزربية : الوسادة تبسط للجلوس عليها . وفى القرآن الكريم : « وزرابى مبثوثة » .

(٤) الجابية : القصعة الكبيرة ، والجمع : بالجوابى . فاهقة : مكتظة بالطعام .

إليـك يفـــــرغـن مــن المخَـــــابـى

يَكَــــــدْن يَبْــــدُون بـــــــلا ثيـــاب

لَسـنَ بحــــاجـــــة إلى اغتصـــــاب

يـــــابحـــــر ، أين شُــــرْطَـــــةُ الآداب ؟

غيــــدُك قـــــد أفْقَـــدْنَنِي صَـــوَابـى

أهكـــــــذا يلعبْـن بـــــالألْبـــــاب ؟

هنـــــا جمـــــالٌ ليس بـــــالكَـــذَّاب

والبحـــــر لا يجُـــــورُ أو يُحَـــــابـى

يــــــذيـب كُحْـل العيـن والأهْـــــداب

ومـــــا علـى الأَوْجُـــــه مـنْ خضَـــــاب

أَضْــــوَعُ من مِسْكٍ ومـن مَـــــلاَب (١)

ليُعـــــرَف الـــــزيفُ مـن اللبـــــاب

مَـــــلابِسُ البحــــر بــــلا « أزْواب » ،

حـــول الجســـوم الغَضَّـــة الإِهَـــاب ،

أخطــــرُ مـن نــــار علـى أحْطَـــاب !

كـم ذات جسم للنُّهـى ســــــلاَّب

يـــرمُقُهـــا النـــاظــــر فى إعجـــاب

بكـل طَـــــــرْف نَهـمٍ نَهَّـــــاب

يجْـــرحُ مثلُ مُـــدْيَـــة القصَّـــاب

يـــا للجمـــال الصَّـــائبِ المصَـــاب !

---

(١) الملاب : نوع من الطيب كالزعفران .

الحمـــــد لله خَلَت وطَـــــابى [1]

مـن الهـــــوى وعُطِّلَـتْ ركَـــابى

مـــا عـــاد لـى بين الحسَـان سـابى

يـــذيقنى حـــلاوة العقَـــاب

ولا يطيـلُ فـى الهـــوى انْتحَـــابى

مـن كثـــرة الهجـــر والاجتنـــاب

مـــا أنـــا إن صَـــدَّ الحبيبُ عـــابى

ولا ليـــوم الـــوَصْل فى ارتقـــاب

وَكيـف أغشـى حَلبـــة التَّصَـــابى ،

ومـــا معـى قـــوسى ولا نشـــابى ؟

كيـف أخـــوضُهـــا بسيـف نـــابى ؟

وفـــرَسِى بـــادى الهُـــزَال ، كـــابى ؟

مـــالى وللْكَـــواعب الأَتـــرَاب ؟

أيـن مَضَيْـتَ أيـن يـــا شبـــابى ؟

قُبِّحْـتَ يـــا أخـــدَعَ مـن ســـراب !

مـــا الحب غيـــرُ قَـــدَر غَـــلاَّب

وسبَـب العمـــــران والخَـــرَاب

عُـــذُوبـــة الحـب من العَـــذَاب

وشَهْـــــدُه مُخْتَلِـطٌ بصـــــاب

... ...

(1) الوطاب : جمع وطب ؛ وهو : سقاء اللبن ، وخلت وطابه من الهوى : فرغ منه .

يـــا بحـــرُ ، قـــد أصبحتَ من أصحـــابى

أكـــــاد أشتكى إليك مـــــا بى

كـأنمــــا تَشفى من الأوصـــاب

أو تَفهـمُ المقصــــودَ مـن خطـــابى

فـــإن أقلْ تَهُمَّ بـــالجـــواب

يـــا بحــر ، دقَّتْ ســـاعـــةُ الإيـــاب

وهكــــذا العمـــرُ إلى ذَهَـــاب

عمـــرى لـــو امتـــدَّ إلى أعقـــاب

قضيتُـــــه ، ومـــا انقضت آرابى !

إن مت فـــادفنـــوا معى رغـــابى

... ...

يــــا بحــــر، أنت ريبــة المــرتـــاب

لكننـى فيـك أرى محـــــــرابى

دأبُـك هـــــذا أبـــدا ، ودَابى

أغشـــاك لـــلأَجـــر ، وللثـــواب

غِشْيَـــانَ عبـــدٍ ، خـــاشع ، أَوَّاب

مُحَلِّـق بفكـــره ، جـــوَّاب

فى المُلـك مُلْـك سيـــد الأَربـــاب

الشهْـب ســربٌ فيـــه من ذبـــاب

والشمس عُـــودٌ لاح من ثقـــاب

والأرض تُرسٌ دار فى دولاب

وأنت قَطْرٌ سال من لُعَاب

جلَّ جلالُ الخالِق الوهَّاب !

مقدَّسِ الصفات والألقاب

كم همسةٍ فصيحة الإعْراب

للموج تُطْرِى اللهَ فى إسهاب

تشرح سرَّ الكون للطُّلاَّب !

يا بحر ، كم وصلْتَ من أسباب

بينى وبين الغافر التَّوَّاب

أنت لكلِّ مُلْحِدٍ وصابى ،

إن تاه فى مُفْتَرَق الشِّعَاب

يا خامس الأَربعة الأَقطاب

فلسفة الحياة

زُفَّت الـــدنيـــا إليـــه كَـــاعبَـــا | منـــذ أن سُــوِّىَ طفــلا ، بل جنينـــا
مُعْـــرِسٌ لم يكُ يـــومـــا خـــاطبَـــا | أو أثـــارت عـــرْسُـــه فيـــه حنينـــا

... ...

رُبَمـــا بَتَّتْـــهُ فى يَـــوْمٍ هـــواهـــا | بعـــد أن شـــبَّ عن الطـــوق الغـــلام
أو قَلَتْـــه ذات يـــوم ، و قـــلاهـــا | مَـــــــالِحُـــبٍّ بيـــن قلبيـــن دوام !

... ...

لا ، لَعَمْرى ، لم يجد طعم الحياه | مُحْتَسٍ من جامهـا المُتْرَع صـابا [1]
مـــا رأتْ عينـــاى ملـــدوغـــا ســـواه | هـــام بـــالحيَّـــة نـــابـــاً ، ولُعَـــابـــا

... ...

كم عليل الجسم، ذى طـــرف كَليل | يعشـــقُ النـــــورَ ، وإن لـــم يَـــــرَهُ
وشـــريـــدٍ فى الحيـــاة ، ابنِ سبيل | إن رأى طيـــفَ الـــــرَّدى أنكـــــرهُ

... ...

حشـــــراتُ الأَرض من ألهمهـــــا | جمعَ مـــا تقتـــات فى فصل الشتـــاء ؟
وطيـــــورُ الجـــــوِّ من عَلَّمهـــــا | كيف تبنـــى عشَّهـــا ؟ حبُّ البقـــاءِ

... ...

طـــابت الـــزهـــرة لـــونـــاً ، وعبيـــرًا | فهـــوى الطيـــر إليهـــا بـــالجنـــاح
ومشى فـــى دولـــــة النبـــت سفيـــــرا | بين جنبيهـــــا بحبَّـــــات اللقـــــاح

... ...

ولحفظ النـــوع ــــ لا أكثـــرَ ـــ قَـــدْ | خلـــع اللهُ على الأُنثـــى الجمـــــــالا
وبَـــــراهـــــا فـــى بهـــاءٍ وغَيَـــدْ | فإذا حـــواءُ تستهـــوى الـــرِّجـــالا [2]

---

(١) الجام : الكأس ، والصاب : عصارة شجر مر .

(٢) الغيد ـ بفتحتين ـ: النعومة .

ولأمـــرٍ وأَدَ البنتَ أبـــوهـــا | وأَحسَّ العطـفَ نحـو الـولـد
وتـرى الهِـرَّةَ إن ريعَ بنـوهـا | دافعت عنهم بعـزم الأَسـدِ

... ...

ولأمـرٍ مـا تفيض العيـن دمعًـا | كُلَّمـا حلَّ بهـا ضيفٌ غـريب [1]
جَلَّ من أبـدع هـذا الجسمَ صُنعًـا ! | كلُّ عضـو خلفـه كـفُّ طبيب !

... ...

وعجيبٌ أمْـرُ هـذا الهيكـل | وهْـوَ يـومـا شاربٌ كأسَ الحمَـام
كيف يـرميـه بـداءٍ معْضِلٍ | منْ حمـاه من تباريح السَّقَـام ؟ !

... ...

مـا أتينـا هـذه الـدنيـا اختيـارا | لا ، ولا منهـا خـرجنـا طـائعين
مِعْصَم قُلِّـدَ بـالـرغـم سِـوَارا | وعلى الـرغـم قَضَـاهُ بعـد حين

... ...

وعجيب أمـرُ أحيـاءِ البحـار | وهْيَ تغـزو بسيـاطٍ وحِـراب [2]
أَفَتَحْتَ المـاء غـزْوٌ وانتصـار | كـالـذى نعهـدُه فـوق التـراب ؟

... ...

آكـلاتُ اللَّحم فى جوف الصحـارى | بم تقتـاتُ ؟ أيقضى الليث جـوعـا ؟
أُعـذُرِ الـوحش إذا مـا الـوحشُ حـارا | فهْـو لـم يسمَعْ بِطَـه أو يَسُـوعـا

... ...

وإذا نحن عـذرنـا الـوحش عـذرًا | فلعمـرى ، أيُّ عـذر للبشـرْ ؟
إن تحقَّقْ دولـةٌ عِـزًّا ونصـرًا | فعلى أنقـاض دُولات أُخَـرْ

---

(١) فى العين غدد خاصة تفرز الدمع ، إن دخلها جسم غريب ؛ لتطرد هذا الجسم .

(٢) فى معهد الأحياء المائيـة نوع من السمك يسمى : « أبا حربة » ؛ مزود بحربـة قوية يدافع بها عن نفسه ، وفيه نوع آخر يسمى : « أبا كرباج » ؛ مزود بسوط قوى كالذى يتخذ من جلود الفيلة .

عـــالَـمٌ يطلب بـــالمـــوت الحيـــاه بعضُـــه يحيـــا على أشـــلاءِ بَعْضٍ
يقفُ المـــــرءِ على رأْس سِـــــواه كلمـا ضـــاقَتْ بـــه صفحـةُ أرْضٍ !

... ...

ليس نقـلُ الـــدمِ من شغـل الطبيب وحـــــده ينقلـــــه كـل الأَنـــــام
كم دمٍ يجـرى بشـــريـــان غـــريب تـــارةً فـــوضى ، وطـــورًا فى نظـــام

... ...

وعجبنـــا من تصـــاريف القـــدَرْ وَهْـــوَ حَتْمٌ ليس منـــه مَهْـــرَبُ
هـــرَمٌ يبقـى ، وطفـل يُحْتَضَـــرْ وعَـــوانٌ ـــ دون بكـــرٍ ـــ تُخْطَبُ

... ...

وغنـىٌّ مـــــالُـــــه أسعـــــدهُ وغَنىٌّ صـــار بـــالمـــال شقيًـــا
وفقيـــــرٌ فقـــــره أفســـــدهُ وفقيـــرٌ صـــار فَـــذًا عبقـــريًّـــا

... ...

وبحثنـــا عن ملـــذَّات الحيـــاه فـــوجـــدْنَـــاهـــا على غيـــر قيـــاسْ
ســـاكنُ الكـــوخ غـــريـقٌ فى كـــرَاه ونـــزيلُ القصـــر يَجْفُـــوه النُّعَـــاسْ

... ...

وأرى لله تـــــدبيـــــرًا خفيـــــا ونظـــامـــا عبقـــريًّـــا فى العطـــاء
خَلقَ النـــاس ، فقيـــرًا ، وغنيًّـــا ومتـــاعُ الكلِّ فى الـــدنيـــا ســـواء

... ...

ربمـــا أتعبـت الـــدنيـــا أجيـــرا كلمـــا فكـــرفى رقَّـــة حـــالـــهْ
فـــإذا مـــا صـــار فى يـــوم أميـــرا ودَّ لَـــوْ عـــاد إلى راحـــة بـــالـــهْ

... ...

ربمـــا يحســـد إنســـانـــا ســـواهْ حـــاسـد لم يـــدر مـــا خلف القنَـــاع
يعـــرف الإنسـان فى الـــدنيـا أســـاهْ ومـــآسى الغيـــر ســـرٌّ لا يُـــذَاع

... ...

وســـؤال عجـــزت عنـــه الفِطنْ : هـــذه الأحيـــاءُ مَـنْ آبـــاؤُهـــا ؟
قـــد عـــرفنـــا آدمَ النـــاسِ ، فَمَنْ آدمُ الطيـــر ؟ ومَنْ حـــواؤُهـــا ؟

... ...

هل وجـدتم فى السمـوات أنـاسـا ... يـا غـزاةَ الجـوِّ ، يـارُسْلَ الفضـاء ؟
أقْـرِءوهم مـن بنى الأرض سـلامـاً ... وعِـدُوهُمْ ــ بعـد حينٍ ــ بـاللقـاءِ

... ...

أَلَنَـا فـى الأفْقِ إخـوان وأهلُ ؟ ... مَـالَهُمْ لا يَصِلُـونَ الـرَّحِمَـا ؟ !
مـا لنـا فى الجـوِّ نعلُـو ، ثم نعلُـو ... ثم لا نبصـرُ فيـه نَسَمَـا ؟

... ...

لكأنـى بـالسمـوات العُـلاَ ... بـاسمـات الثغـر من صنع البشـرْ
ابحثـوا ــ من أين جئتم ــ أولا ... ثم والـوا البحث عـن أهل القمـرْ

... ...

أيهـا المُنْعمُ فـى الكـون النظـرْ ... تَعِبَ البـاحث من قبلك فيـهْ
هـو كـالبحـر ، فخـذ منه الحـذَرْ ... من يجـوبُ البَحْرَ أخْلِقْ أن يتـوهْ !

... ...

أيهـا العلمُ ، املأ الـدنيـا اختـراعـا ... اِخـرِقِ الأرضَ ، وحلِّق فى السمـاءِ
أنت لم تقطـع من الشـوطِ ذراعـا ... أين لُجُّ البحـر من قَطْـرةِ مـاءِ ؟

... ...

ما احتيـال العقلِ فى تلك الأَحاجى ؟ ... رَبِّ ، قـد آتيْتَنـى ذِهْنـاً كلِيـلا
كلمـا أمعـن عقلى فـى اللَّجَـاجِ ... قلت : « أوتينـا مـن العلم قليـلا »

... ...

مَلَكُـوتٌ كلمـا فكـرتُ فيـه ... زدتُ إيمـانـا بعجـزى ، ويقينـا
وإذا مـا زاد بـى شكِّى ، وتيهِى ... قلت : حَسْبى أن لـى ربًّـا ، ودينـا

صورة شمسية

تلك السمــــاءُ ، وذاك سَطْحُ المَــــاءِ

كلٌّ بـــدا فى الحُلَّـــةِ الـــزَّرْقَـــاءِ

والشمسُ بـاسِطَـــةُ الشُّعَـاع ، تخَـالُهـا

فى الأُفْقِ بـــاديـــةً ، وفى الـــدَأْمَـــاءِ

لـــولا اضطـرابُ المـــاءِ فى الـــدأْمَـــاءِ ، لَمْ

نَعْـــرِفْ ذُكَـــاءَ مِـنْ شُعَـــاع ذُكَـــاءِ [1]

---

(١) الدأماء : البحر . وذكاء : الشمس .

وجدانيات

مشاعر الآباء!

هُمْ جميعًا فى الحبِّ عندى سواءُ
لا امتيازٌ كلاّ ، ولا استثناءُ

عِقْدهم كلُّ حبَّة فيه ـــ مهما
كثُر الحبُّ ـــ دُرَّةٌ عصماءُ

ليس عندى وسيمُهم بأَثير
لا ، ولا مَيَّز الذكِىَّ الذكاءُ

وعيون الآباءِ حَوْلاءُ ؛ فيها
يستوى الخاملون والنُّبَهَاءُ

غيرَ أن الصغير منهم أثِيرٌ
وأَثيرٌ من بات يَعْرُوه داءُ

وأثيرٌ من بات عنِّى بعيدًا
وكثيرٌ أولادىَ الغرباءُ

أنا فيهم أرى استقامة ظهرى
من جَديد إن آد ظهرِى انْحناءُ

لستُ أدرى : بنيتُهم ، أم بَنَونى
أم من الجانِبَيْن كان البناءُ ؟

لستُ أدرى : أَمِنْ حُشَاشة قلبى
قِطعٌ هؤلاء ، أَم أبناءُ ؟

أبدًا ما أُحسُّ جِسْمِىَ إلاَّ
أنهمْ فى كيانه أعْضاءُ

من شَغَافِ القلوب ، من حَدَق الأعْـ (م) ـيُن صيغ الحَرْفان : هَمْزٌ ، وبَاءُ

* * * *

عاطفٌ ، عادلٌ ، عزيزٌ ، وعزمى
عِصْمَةٌ ، عاصمٌ ، عِمَادٌ ، علاءُ

ما عرفت الحنان والحبَّ إلاَّ
يوم جاءُوا ، أنْعِمْ بهم يوم جاءُوا !

لست أبغى منهم على العطف أَجْرًا
لهم الحُسْنى ، أحسنوا أَم أَساءُوا

وذنوب الأَبناء للصَّفح والغُفْـ (م) ـران ؛ مهما جَنَوْا فهم أبرياءُ

وعيوب الأبناء غيرُ عيوبٍ
مُقْلةُ الحبِّ مقلةٌ عمياءُ

القَمِىءُ الكَظيمُ عند أبيه
فارعُ الطُّول ، عينُه حَوْراءُ

رُبَّ شَوْهَاءَ لا ترى الأُمُّ فيها
غيرَ حسناءَ لم تَلِدْها النساءُ

إنَّ عَطفى لهم دِثــــار إذا مـــــا ... كَلِبَ البــــردُ ، واستبــدَّ الشتـــاءُ
وإذا مسَّتْهـمْ حـــــرارة صيفٍ ... فحنـــــانى النَّسيمُ ، والأَنْـــدَاءُ
وإذا شَحَّ الـــزادُ، والمـاءُ يـومًـا ... فلهمْ مِـنْ هَـــوَاىَ : زادٌ ، ومـــاءُ
ورضـــائى عنهم بغيــر حــدود ... ولقـــد ينفـع البنينَ الـــرضـــاءُ
لم يــدَعْ حبُّهم مكـــانًـــا لحبٍّ ... فى فـــؤادى تحتلُّـــه حسنـــاءُ
مـــا تمنيت أن يكـــون لحىٍّ ... غيْـرِ نجلى فـوق ارتقـائى ارتقـاءُ

* * * *

إن تنَلْهُم ســرَّاءُ، هــزَّت كِيــانى ... من بعيـــدٍ بخمــرهـــا السَّـرَّاءُ
أو يُصــابـوا ـــ ولا أُصيبــوا ـــ فَإنِّى ... من قـــريب لمن أُصيبَ الفــداءُ
أنــا أخشى عليهمُ الشَّوْكَ فى الـور (م) دة ، والـــذَّرَّ إذ يَهُبُّ الهـــواءُ
غيـــر أنى أَرُوضُهمْ أن يُعَـــانــوا ... عَنَتَ العيش ؛ فـالحيـــاةُ عَنَـــاءُ
لا ، لعمــرى، مـــا كـلُّ عيشٍ نَعِيمٌ ... هـــو ضَنْكٌ حِينًـــا ، وحينًـــا رَخــاءُ
لا ، لعمــرى ، مـــا كـل ريحٍ نسيمٌ ... إنمـــا الــريـحُ : زَعْـزَعٌ ، وَرُخَـــاءُ
كم تَمَنَّيْتُ أن تكـــون الليــــالى ... لصغَـــارى كمـــا تكـــون الإِمَـــاءُ
ويكـــونُ النَّجـــاحُ حِلْفًـــا لهـمْ فى ... كلِّ خطـــو ، وهُمْ لــــهُ حلفـــاءُ
ليتنى أسقيهِـمْ تجـــاربَ عُمْـــرى ... فى إنَـــاء! وأيـن هـــذا الإنـــاءُ ؟
أو أُذيبُ العلــــومَ فى كـأسِ مـــاءٍ ... وأقـول : اشــربـوا، هنًـــا ، وشِفـاءُ
ليتنـــا كُلَّمـــا نُسَمِّى وليـــدا ... وَهْـو فى المَهْـد تَصْدُق الأسمـاءُ !
ليتنـــا نُـــورثُ البنينَ مـن الفِطْ (م) ـــنَةِ ، والنُّبْل ، والنُّهَى مـــا نشـاءُ !

* * * *

أنـــا أرجـــو ألاَّ يخيبَ لَهُمْ مَسْـــ (م) ـــعىً ، وألاَّ يطيشَ فيهم رجـــاءُ
كم سَـأَلْتُ السَّمــاءُ عَطْفًـا عليهم ... ليت شِعْرى : هل تستجيب السماءُ ؟

ودعـــاءُ الآبـــاء أثْمَنُ كنـــزٍ حينمــــا يُخْطِئُ البنينَ الثَّـــراءُ
ليس كـلُّ التُّـــراثِ بَيْتًـــا وحقْـــلاً خيـــر مـــا وُرِّثَ البَنُـــون الـــدعـــاءُ
أنـــا من أجْلهـم أُريـــدُ حيـــاةً تَغْمُـــر الكـــونَ ليس فيهـــا شقـــاءُ
لم يَشِنْهَـــا علـى المتـــاع صِـــرَاعٌ أو تُشَـــوِّهُ جمـــالَهـــا الشحنـــاءُ
ليس فيهـــا داءٌ يُخَـــامِـــرُ جسمـــا ســاغَ ، أو مَـــرَّ فى الحُلُـــوق الـــدواءُ
لم يكـــدِّرْ صفـــاءَهـــا ثُكْل أمٍّ ليس فيهـــا على عـــزيـــز بكـــاءُ

تضحيـــاتُ الآبـــاءِ شَتَّـى ، ولكن بَسْمَـــةٌ من طفلٍ عليهـــا جَـــزَاءُ
لَثَغَـــاتُ الصغيـــر ـــ إن حَـــاوَل النط (م) ـــقَ ـــ نَشيـــدٌ مـــوقَّعٌ ، وأداءُ
وصيـاحُ الأطفـــال ـــ والأَبُ غَـــافٍ ـ نَغَمَـــاتٌ شجيَّـــة وغنَـــاءُ
وخطـــابٌ يـــأْتيك مـن نجلك الثَّـــا نى قميـصٌ جـــاءَت بـــه البُشَـــراءُ
يُكْسِبُ المـرءَ فـى الحيـــاةِ سُـــرُورًا بل غُـــــرُورًا أبنـــاؤُه النُّجبـــاءُ
واهمٌ مـن يقـــول : لـى بعـــد أُمى وأبى مُخْلِصـــون ، أو أصْفِيَـــاءُ
أصـدقُ الأَصـدقـاء فى هـذه الدُّنْـ (م) ـــيا همُ الأُمَّهـــات والآبـــاءُ
وســـواءٌ فـى ذلـك الحبِّ : حـيٌّ نـــاطقٌ ، أو بَهيمَـــةٌ عَجْمَـــاءُ
هِـــرَّةُ البيت إن يَطُفْ بِبَنِيهـــا طـــائِفُ السُّـــوءِ حَيَّـــةٌ رَقْطَـــاءُ
ذاك ســـرُّ البقـاء ، لـــولا حنان الـــ (م) أَبِ والأمّ مـــــا تسنَّى البقـــــاءُ
ولأمْـــرٍ مَـــا يخلُفُ ابنٌ أَبـــاه كى تـــدومَ الحيـــاةُ والأحيـــاءُ

ظلع وشيب ! [1]

وأصبـرُ فى الحيـاة على هُمُـوم — تَضيـقُ ببعضهـا ذرْعُ الحليـم
طـريقىَ كلُّـه صخـرٌ ، وإنى — لأعثـر بـالحصـاة على الأديم [2]
وكـم خِـلٍّ حميـم لـم أزُرهُ — وبـى شـوقٌ إلـى الخِلِّ الحميـم
ولـوْ أنّـى استطعت وَصَلْتُ أهْلى — وصحبى ، بل سَعَيْتُ إلـى خُصُومى
ألَمْ تـرَنِى أخـا ظَلْعٍ إذا مـا — مشيتُ ، وكنت أعدى من ظَلَيم ؟ [3]
كأنّـى من أسَـاىَ على شبـابى — أُمثِّل مِشْيَـةَ الطفـل الفطِيـم
حملت عصـاى مُتَّكـأً ، وكـانت — لمحْضِ الزَّهْـوِ فى الـزمن القـديم
ومـا كـانت لتَجبُـرَ ضعفَ سـاقى — ولـو كـانت عصـا مـوسى الكَلِيم
وهل تُغْنِـى عصًـا مـن عُـود نَبْعٍ — إذا مـا السَّـاقُ كـانت من هَشِيم ؟
ورُبَّ مُجَـامل لى عِنْـد سَيْـرِى — أُحسُّ بطعنـه لـىَ فى الصميـم
وآنَـفُ أن يَمُـدَّ إلَـى حُـرٌّ — يَـدًا ، وأضِيقُ بـالقلب الـرحيم !
وأفـزع حين تُبْـدِلُنى حَنَـانًـا — بحبِّ ربَّـةُ الـوجـه الـوسيم
وأسمع ـ إن دَعَتْنِـى الغِيـدُ عَمًّـا ـ — هـزيمَ الـرَّعْـدِ فى الصوت الـرخيم

* * * *

فإن تَـكُ سَـاقِىَ اعتلَّتْ ، فمـا إن — مَشـتْ إلا على نَهْـج قـويم
وحَسْبى أنَّ سـاقىَ وَهْىَ تشكـو — سَعَـت بى بين زَمْـزَمَ والحَطيم
وحسبى أن يصيبَ الـدَّاءُ جسمى — وتَسْلَمَ منـه أخـلاقى وَخِيمى [4]

(١) الظلع ـ بفتح الظاء وسكون اللام ـ: الضعف .

(٢) الأديم : ظهر الأرض .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) الخيم ـ بكسر الخاء ـ : السجية ، والطبيعة ، والأصل .

وَإِنْ تقصر خُطَـاىَ ، فـرُبَّ خطْـوٍ قصيـــرٍ نـمَّ عن خُلُـق كـــريـم

أمـــا يمشـى عبـادُ الله هَـــوْنًـا كمـا فى آيـة الـذِّكْـرِ الحكيم ؟ (١)

أمـــا تَغْـــدُو الأَرانبُ والهُـــوَيْنَــا تُمَثِّلُ مِشْيَـــةَالأسـد الشتيم ؟

وليس العيـبُ فى ســاقـى ورُسْغى لعمـــرُ أبيك ، بل شَيْبِى غَـريمى

إذا مـا الـرأْسُ شـاب ، فكلُّ طبٍّ يضــاعِفُ علَّـة العضــو السَّقيم

تـزيـد مفـاصلى الإِبَرُ التهـابـا كـأنَّ المصلَ يُصْنَـع من سمـــوم

وقـالـوا : الشيب حَـزْمٌ ، قلت : كـلاَّ سليـمُ العقـل فــى الجسـم السليم

ومن شَغَفِى بلـــون سَـوَاد شَعْــرِى أَلِفْـتُ السُّهـــد فـى الليل البهيـم

ولـم أر مثـل داءِ الشَّيْـب أعْيــــا أُنـــاسـا يَصعَــدون إلى النجــوم

يئستُ مـن الـــوَرَى ، وَوَثِقْـتُ فيمن يُعِيــدُ الـرُّوحَ فـى العظم الـرَّمِيم

❊ ❊ ❊ ❊

قضيت العمـــر أَمْقُتُ كـلَّ ضعفٍ فكيف مُنيتُ بـــالضعف المُقِيم ؟ !

كفـــانى أَنَّنى قـــد عشتُ حتى سمعتُ هَـزِيجَ غِـرْبـان ، وبـوم

وأنى صِـــرتُ مطمعَ كلِّ عَـــادٍ قليلِ الحَـــوْلِ ذى خـــدٍّ لطيم

وليس يـرى الكـريـمُ أشـدَّ وقعـا عليـــهِ مـن معــــاداة اللئيم

وإنَّ الحـــرَّ تـأبَى نَعْلُـــه أنْ تصـافحُ هـامـةَ العبـد الـزنيم (٢)

فـــلا يُنكِــرْ أَخــلائى سُكُــوتى ولا يعجبْ خصـومى مـن وجـومى

وأقبحُ مـــا تـــراه العين خَلْـقٌ دميـــمٌ نَـــمَّ عـــن خُلُـــقٍ ذميـــم

وسِـــرْحـــانٌ يقلِّـــدُ ليْث غـابٍ وقِـــرْدٌ يـــدَّعى لَفَتَــــاتِ ريم

وذُو قَلَـمٍ تجِلُّ الفَـــأْسُ عَنْـــهُ يفـــاخـــرُ بـــالنَّثِيـــر وبـــالنَّظيم

---

(١) قولـه تعالى ـ فى سورة الفـرقان ـ : « وعبـاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هـونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا » .

(٢) الزنيم : الدعى .

وبعض النـــاس ذُو وَجْـــهٍ صَفِيقٍ ... ينـــافس بَـــرْدهُ بَـــرْدَ الحُسُـــوم

وبعض النـاسِ عنـد الـرَّجْمِ أولى ... بِـــهِ مـن كل شَيْطَـــان رجيم

* * * *

أقِيمِى ،أوْ فَـرِيمِـى ، يَـا حَيـاتى ... سـواءٌ : أَنْ تُقيمى، أو تَـرِيمى [1]

إذا مـــا عِشْتِ فى جِيل جـديـد ... فإنَّـكِ فيـــه أشْبَـــهُ بـــاليتيم

وحسبكِ أن تَـرَىْ حَـدَثًـا غَـريـرًا ... إليك بنظـــرة شـــزْراءَ يُـــومى [2]

إذا شـابَتْ نـواصـى اللَّيْثِ ، هَمَّتْ ... فـــريسَتُـــه عليـــهِ بـــالهُجـــوم

قَلَيْنَـا المـوت ــ وهْـو على قِـلاَنـا ... لـــه يشفـى من الـــدَّاءِ العَقِيم [3]

إذا مـــا الطِّـبُّ أفلس، كـان طِبًّـــا ... لِمَـا استعصى عليـه من الكُلُـوم [4]

لعمـرك، قـــد يكـون المـوت أحْنَى ... علـى الأَحيـــــــاء مـن أُمٍّ رءُوم

ولم أر مثـلَ طيف المـوتِ ضيفًـــا ... يُلِمُّ بســاحــة الحُــرِّ المَضِيم [5]

---

(١) ريمى : ابعدى .

(٢) نظر شزرا : نظر غضباً واحتقارا بمؤخر عينه ، يومى : يشير .

(٣) قلينا : هجرنا .

(٤) الكلوم : جمع كلم ؛ وهو: الجرح .

(٥) المضيم ـ بفتح الميم ـ : المظلوم .

حنين إلى الماضى

لعمرك، ما صارت رسوما بواليا ... ولكن بلينا نحن ، وَهْى كما هيا

مَغَانٍ سقيناهُنَّ ماءَ شبابنا ... وأسْقَيْنَنَا نَبْعًا من العلم صافيا

وما برحت شمَّاءَ، شامخةَ الذرا ... فهل ثَمَّ أشياخى بها ولِدَاتِيا ؟

تكاد لذكراها تذوبُ حُشاشَتى ... ويطفرُ من بين الضلوع فؤاديا !

سلامٌ عليها فى « مليجَ » مثابةً ... حفظْتُ بها السبعَ القِصار المثانيا

سلام على طنطا، ومعهدِها الذى ... نَظَمْتُ به قبل البلوغ القوافيا

سلامٌ على دار القضاء ، وأهلها ... وربعٍ من العِرْفان أصبح خاويا

لقد وأدوها مُنْذ خمسين حِجَّة ... ومـا زال قلبى غائرَ الجُرْح داميا

سلام على دار العلوم ، وعهدِها ... وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيا !

مغان غرفتُ العِلْمَ من غرفاتها ... وأوْدَعْتُ فيها بضعةً من شبابيا

أروح إليها كلَّ يومٍ ، وأغْتَدى ... إلى العلم عطشانا ، من العلم رَاويا

وهَمِّى من الدنيا : كتابى، ومِرْقَمى ... خليلىَّ ، رُدَّا مِرْقمى ، وكتابيا

إذِ العيشُ صَفْوٌ ، والحياة رخِيَّة ... كأَنَّا بدنيانا أَمِنَّا اللياليا

تُزَيِّن دنيانا أمانٍ عريضةٌ ... فما أجملَ الدنيا ، وأَحْلى الأمانيا ! !

وإذْ نتبارى فى القريض ونَظْمِهِ ... ونفتَنُّ فيه بنْيَةً ، ومعانيا

نُدَبِّجُه طورًا رصينًا مهذَّبًا ... وطورا دُعَابَات ، وطورا أهَاجِيا

وننظمه أُنشودةً وطنيةً ... تحمِّس رِغدِيدًا ، وتُوقِظُ غافيا

وننشده للمخلصين مدائحاً ... وللزُّعماء الراحلين مَرَاثِيا

وكان لنا ـ إذْ نحن عُزْلٌ ـ ذخيرةً ... نصُدُّ بها الجيشَ الذى جاء غازيا

ونارا على المحتلِّ يَصْلَى أُوارَها ... وسَيْفًا على رأسِ الخَوَارج ماضيا

زمـــانٌ تقضَّى فـى مِـــرَاحٍ ، وفى دَدٍ … فهل كنتُ فيه نـاعم البال راضيا ؟ (١)

لقـد كنت أشكـو فيـه من غيـر علَّـة … فأصبحت من عـلاَّتِى اليـومَ شاكيـا !

تشَكَّى زهيـــر من ثمـــانيـن حِجَّـةً … وإنى لأشكـــو مـذْ بلغـتُ ثَمَـانِيَــا !

وأقسم ،لـوْ أنى رُدِدْتُ إلى الصبــا … لمــا كــان نـوْحـى فيـه إلاَّ أغــانيــا

بكينــا بِـدَمْعِ العيـن أزْمِنَـــةً مَضَت … وكـانت مــزايـاهــا لـدينـا مَسَـــاوِيـا

ومــا طيبَ عيشٌ ليس يَشْعُـرُ أهلُـهُ … بلــذَّتِـــه إلا إذا صــار مـــاضيـــا ؟

أرى صُـــوَرَ المــاضـى تفــزِّعنى إذا … هَجَعْتُ ، وتغـزونى إذا كنتُ صاحيـا

فيـــاليتنى أحيــا ليَـــوْمِىَ وحــدَهُ … وليت لأمسى مـن حيـاتِىَ مَــاحِيــا !

ومــا سـرنى مـن أمس عنـد ادكـاره … أدَرَّ لــدمع العين مِمــا شجــانيــا !

فَــلاَ تَقْلبَـا لى مـن حيـاتِىَ صفحَـةً … وإن كُتبتْ بـالمِسْكِ أذْفَـرَ ذاكيـا (٢)

ويتعب فـى دنيـــاه مـن دقَّ حسُّـــهُ … وأوتِى ذِهْنًــــا للحـــوادث واعيــــا

وأين لِـداتى اليـومَ ؟ هل رَمَتِ النَّـوى … بهم فى أقـاصى المَشْرِقَيْن المـراميا ؟

وهل أصبحـوا فى كل شرقٍ ومغـربٍ … يُعـانُـون مـا أصبحـتُ منه مُعَـانِيـا ؟

يعانـون فَوْدًا أبيـضَ الشَّعر ، نـاصعًا … بـه صـار وجـهُ العيش أسْحَمَ دَاجِيـا؟

سـلامٌ على من عاش منْهُمْ ، ورَحْمَـةٌ … على من غـدا فى ظلمة القبـر ثَاويـا !

على كـلِّ قبـــرٍ مـن قُبـــور أحبَّتى … سَحَـابٌ من الغُفْـران ينسابُ هَـامِيـا

خليلىَّ ، مَنْ لـى كل يـومٍ بـوقفـة … على كل قبـر حَاسِـرَ الـرأْس جَاثِيـا ؟

وهل فى وقـوفى مـا يخفِّفُ لَـوْعَتى … عليهم؟ وهل دمعى يُهَـوِّنُ مـا بيـا ؟

وكيف بقـائى بعـد صحبى وبعـدمـا … تجلَّل رأسى الشيبَ ؟ كيف بقـائيـا ؟

وكيف بقـائى وانكفـائى على العَصَـا … يـذكِّـرنى بالمـوت إن كنت نـاسيـا ؟

---

(١) الدد : اللهو واللعب .

(٢) المسك الأذفر : شديد الرائحة .

مَشَيْتُ على الأَرض الهـوَينَا ، كأنمـا ... أبى لى وَقـارى أن يَـرَانِىَ عـاديـا

ومـا بى لعمـرى مـن وقـار ؛ وإنمـا ... هـو العجز لـولاه سَبَقت خياليـا

وعـزَّزتُ سـاقىَّ اللتيـن تـراخَتـا ... بثـالثـة لم تجْـرِ فيهـا دمـائيـا

إذا ما اشتكت لم تشكُ حُمَّى جَوَارِحى ... ولم أُعطهـا مَصْـلاً من الـدَّاءِ واقيـا

وأين صنيعُ الله من فـرع دَوْحَـةٍ ... حَـوَتْـهُ يَمِينِى فـاقـدَ الحِسّ ذاويـا ؟

ألاَ رُبَّ يـومٍ فيـه قـد كـان وَارفًـا ... وكـان دقيق الحس، أخضـر نـامِيـا

خليلىَّ ، أعيـا الخطوُ ساقـى، فَحَطِّما ... عصـاى ، وردًا لِى صـلابـةَ سـاقِيـا

سَـلاَ مَنْ إلى الأفـلاك حَثُّوا رحَـالهم : ... ألم يجـدوا من علَّـةِ الساق شـافيـا ؟

ألم يجـدوا للشَّيْبِ مصـلا يُـزيلُـه ؟ ... ألم يجـدوا منـه طَبيبـاً مُـدَاويـا ؟

إذا عجزوا فى الأرض عن كشف ضُرِّها ... ففيم يجـوبـون النجـوم الـدَّرَارِيـا ؟

وكيف ادعـاءُ المـرءِ للعلم والحِجَـا ... وشرُّ حيـاة المرء مـا زال خافيـا ؟ (١)

* * * *

لعمـرك، مـا أضفى علىَّ سعـادةً ... يَسَـارِى ، ولا أزْرَى افتقارى بحـاليـا

تفـرِّقنـا الـدنيـا : يَسَـارا ، وفَـاقَـةً ... ونقتسم اللَّـذَّاتِ فيهـا سـواسيـا

وَرُبَّ أميـرٍ وَدَّ لـو كـان سُـوقَـةً ... وذى جِـدَةٍ قـد بـات يَغْبِط عـافيـا

ومطـربـة تشجى الجمـوعَ بصوتهـا ... وقـد حَمَلَتْ بين الضلـوع مـآسيـا

وتحسـدهـا بيـن الخُـدُورِ حَـرائِرٌ ... وتحسد فـى بعض الخدُور الجوار يا

* * * *

تصَفَّحْتُ أيـامى فلم تَـرَ مقلتى ... بمُعْجَمِهَـا سَطْـرًا بقـدرىَ زاويـا

فلستُ أُبـالـى عَـادِىَ المـوت بعـدما ... حَيِيتُ عيـوفَ النفس، للضيْم آبيـا

---

(١) فى هذه التساؤلات : يتضح أمل الشاعر من تقدم العلم ، وأن عليه أن يكفل الراحة والأمن للإنسان على الأرض .

تـرفَّعـتُ عن أشيـاءَ ليسـت تَشِينُنِى وأعلم أنِّـى قـد أكـون مُغَـاليـا

ومـا ضـرَّنى أن ألْبَسَ الثَّـوْبَ بـاليـا إذا كـان من عيبٍ يُـدَنَّسُ خـاليـا ؟

إذا مـلأ الحِقْـدُ الصـدُورَ ، فإنَّنى لأحملُـهُ صـدرًا من الحقـد صـافيـا

ومـا أنـا والحقـدُ الـدَّفينُ أُكِنُّـه بصدرى ؟ و إنِّى مـا عرفت الأعـاديا

تسَـامُحُ نفسى لم يَـدَعْ لى شـانِئًـا وإن زاده هـذا السَّمَـاحُ تمـاديـا

ولم أَتَسَـامَـحْ عن صَغَـار ؛ وإنمـا يسـامح مثلى كبْـرَةً وتعـاليـا

وأُعْـرِضُ عَمَّن لا أَوَدُّ لقـاءَه ولا يبلغ الأعـراض عنـه التَّقَـالِيـا

وَزَهَّـدَنِى فى كِسْـرَةَ الخبـز : أننى وَجَدتُ صِـراعًـا حـولهـا ، وتفـانيـا

ومن كلب الـدنيـا على كلب الغنى تَمَنَّيْتُ لـو أقضى حَيَـاتىَ طـاويـا

❊ ❊ ❊

خليلىَّ ، حَتَّـام التعلـل بـالمنى ؟ دَعَـانِى ؛ فإنِّى قـدْ عـرفت مكـانيـا

كفـانى من الإنْجَـاح مـا قـد أصبتُـه ومن فَشَلٍ مـا كنت فيـه مـلاقيـا

وكيف طمـوحى بعد أن شابَ مَفـرِقى بحسبِىَ من دنيـاىَ : زَادِى ، ومَـائِيَـا

ومضمـون قـولى : أَسأَل الله قـربـة وعفـوا أرجِّيـه ليـوم حسـابيـا

عَـرَفْت حيـاتى : بـؤسَهـا ونَعِيمَهـا فياليت شِعْـرِى : بعدها مـا ورائيا ؟

ويا ليت شعـرى - يوم تدنـو مَنِيَّتى - : أيُحْسِنُ قبـرى ، أم يُسِىءُ لقـائيـا ؟

خليلىَّ ، إنـى لا أُبَـرِّىءُ سـاحتى أَأزعم أنِّى مـا اقْتَـرَفْت معـاصيـا ؟

فـلا تـدفنـا ذنبى بقبـرىَ ، وادفنـا صـلاتى مَعِى فى جَـوْفِه ، وصيـاميـا

فإن تـدفنـا ذنبى معى ، فلـرُّبمـا عفـا الله عمّن كـان للعَفْـو راجيـا

ويأسُك مـن عفـو السمـاءِ خطيئـةٌ أشـد من الـذنب الـذى كنتَ جانِيـا

أَأَيْئَسُ من عفـو السمـاءِ، وربَّمـا وجـدت على الأرض ابن حَـوَّاءَ عَـافيـا

لعلَّ إلـٰـه العـرش يَقْبَلُ تـوبتى ويسمع فى البيت الحـرام دعـائيـا

أَهَبْت به ـ إذ لُذْتُ بـالرُّكن ـ قائلاً : حَنَـانَيْك مَـدْعُـوًّا ، ولَبَّيْك داعيـا !

وأَسْبَلتُ عنـد الستـر غَـرْبَ مَـدَامِعى وما كـان دمعى فى الحوادث جـاريا !

ومـا كُنْتُ ـ لولا صَـالِحٌ ـ مُتَمَتِّعـا ولا طـائِفًـا بـالبيـت سَبْعًـا ، وسـاعيـا

جَـزى الله عنى صـالحـا ، وكفى بـه مُثِيبًـا على حُسْن الصَّنيع ، مُجَازيـا !

أشيع أصحابي

أُشَيِّعُ مَـن حــانـتْ مَنِيَّتُـــه قبلى   وفـــاءً لـــهُ، لا لـــلأقـــارب والأَهْل

يقولـون : مَنْ هذا ؟ وأعـرف فضل مَنْ   بـأَعواده سـارُوا ، ويعـرفُ لى فضلى

وكم من عـزيــز مـا استطعت وداعـه   أَحَاوِلُ أن أسعى ؛ فتخـذلنى رِجْلى !

يشيِّعُــه : قلبى ، ولبى ، وخـاطــرى   إلى القبر إن لـم تَقْوَ ساقى على حَمْلى

ويـارب مُلْتَـاعٍ علـى المَيْت مـا سَعَى   إليـه ، وسـاعٍ لم يَذُقْ لـوْعَـة الثُّكل !

ومــا أبتغى ـ إن حــان حَيْنىَ ـ زَفَّــةً   بِحَسْبِى من السـاعين مَنْ كُلِّفـوا نقلى

لقــد عشت لا أُعْنَى بطبـل يُـدَقُّ لى   فما حاجتى بعد الممات إلى طبْل ؟ !

إذا كنتُ مقبـولا ، فمـا بِىَ حـاجـة   إلى كثـرة الأفْـواج أو زَحْمَــة الحَفْل

وإن كـانت الأُخـرى ، فليس بِنَـافِعِى   وفـودٌ من السـاعين فى عَـدَدِ الـرمل

وأَعْلَـمُ أن الله ليس بِخَــــــاذلـى   فلِلّـــــه فضـلٌ لا يحيط بــــهِ عَقْلى

جِبَـالُ ذنـوبى ـــ حين أَذْكُـر عفـوَه   ورحمتَـه الكبـرى ـــ أدَقُّ من النَّمْل !

* * * *

ألا ليت شعْـرى : هل تُلاحقُنى غـدا   متـاعـبُ ألقـاهـا على كَتِفى نَسلى ؟

سَيعْلَمُ أهلى ـ بعد فَقْـدى ـ مكـانتى   فتبكى دَما عِرْسِى ، ويبكى دَمًا نَجْلى !

إذا ولــدى نـاءُوا بـأَعْبـاءَ نسْلِهِمْ   دَرَى ولـدى كم حَمَّلـونىَ من ثقلى

وأُقْسِمُ لـم أرهقْ أبى فـى حيــاتــه   ولا سَهِـرَت أُمِّـى الليـالىَ مـن أجلى

حمائم الحرم

أوحت بهذه القصيدة رؤية الحسان المتنسكات فى الحرم الشريف .

حيِّ حمـــائمَ الحـــرَمْ بـــالبيت ســـرْبُهـــا اعتصمْ
سِـــرْبٌ من الآرام مـــا حـــواه بـــانٌ أو عَلَـم [1]
من كـل خَـــوْد كَسَنَـــا الصْـــ (م) ـــبح إذا الصبـحُ ابتسم
حَسْنَـــاءُ ، إلاَّ أنَّ هـــ (م) ـــذا الحسـنَ بـــالتقـــوى اتَّسَم
يصـــونُهـــا مـن كلِّ ريـــ (م) ـــبَة جـــلالٌ وعظـم
يَـــالَمَهَـــاة يَـــرْعَـــوِى إن يَلْقَهـــا ليثُ الأجَـم ! [2]
ذات جمـــال خـــالصٍ لِلَّـــه غيـــر متَّهَـم
فـى حُلَـلٍ بيض عليـــ (م) ـــها طـابَعُ الـــزُّهْـــد ارتسم
فَضْفَـــاضَـــة ، لكنهـــا كـــالبـــدر فيهـــا أو أتَـم
لا ثـــوْبُهـــا بخصـــرهـــا وَشَـى ؛ ولا بـــالصَّـــدْرِ نَـمْ
والحسـنُ كمْ يـــزداد حُسْـــ (م) ـــنًا إن هـــو احْتَشَم [3]
فـى مَسْحَـــة الـــرُّهْبَـــان لا حَـث وهْـى مـن خيـــر الأُمَم
مُسْلِمَـــة ، قَـــانِتَـــة لِلَّـــه بـــارىءِ النَّسَم
قَـــوَّامَـــةُ الليـل إذا جَـنَّ الظـــلا وادْلَهَـم
تُبْـــدِى اتِّضَـــاعـــا ، وَهْى عُنْـــ (م) ـــوانُ الإبـــاءِ والشَّمَم

---

(١) الآرام : جمع رئم ؛ وهو : الظبى ، والمراد : الحسان .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية ، وتشبه بها الحسناء فى جمال العيون . يرعوى : يكف. الأجم : الغابة .

(٣) هكذا البيت : فى طبعة الديوان الأولى ، وفى إحدى نسخ القصيدة بخط الشاعر ، وهو مكسور فى شطره الثانى . وفى بعض نسخ القصيدة تصحيح لهذا البيت بتغييره إلى :

ما أجمل الجمال فى الـ (م) عيون إن هو احتشم

وهو أجمل معنى ، وأصح وزناً !

تخـــــدم مـن تعـــرف، أو   تجْهَـلُ مـنْ غيـــر ســـأَم

والنيِّـــــــرات تَشتهـى   لـــوَ انَّهَـــا لهـــا خـدَم

* * * *

فـى البيت قَــــدْ سمعْتُهـــا   تـــدعـــو بصـــوت من نَغـم

سمعتُهــــا وهْـى تلــــ (م) بِّـى فـى خشـــوع ونَـــدَم

تَلْبِيَــــــةً تكــــــاد أن   تنفُـــذَ فـى الصَّخْــــرِ الأَصـمْ

مـن فَمِهَــــا إلـى سمــــا (م) ءِ الله يصعَــــــد الكَلـم

خِلـتُ سمـــــاءَ اللهِ قـــــا (م) لت ـــ حين نَـادَتْهـا ـــ : نعم !

* * * *

سِـــرْبُ الظبـــاء ـــ وَيْحكَم ! ـ   على الطَّـــواف قـــد عـــزم

خلــــوا لـــه طـــريقَـــهُ   إن طـــاف سَبْعًـــا واستلم

هنــــا رأيت الحسن بــــالـــ (م) سَّيْــــرِ التقى والملتَـــزم

والحجـــرَ الأسْـــوَدَ بــــالـــ (م) ـــــعقيق والـــدُّرَّ التثم

خيـــرَ صفـــاة فـى الــوجــ (م) ـــود قُبِّلَتْ بخيـــر فم

سَلْسَـلُ زمــــزَمَ الْتقَـى   بِـــرِيقِهـــا العـــذب الشَّبِم

هـــــــذا وذاك بَلْسَمٌ   إذا أسَـــا الجُـــرْحَ التـأم

فــدَيْتُهـــا مـن الصَّفـــا   سَـــاعِيَـــةً على قـــدم

تُــرَفْــرِفُ الأَمْـــلاكُ فـــوْ (م) قَ رأْسِهـــا مثـلَ العلـم

تشـقُّ فـى هَــــــوَادة   طـــريقَهَـــا فى المُـــزْدَحَم

تخـــرُسُهـــا إذا سَعَـتْ   عيـنُ إلـــــهٍ لـم تنـم

والنـــاس فى زِحَـــامهم   مـــوجٌ بِمَـــوْجِ الْتَطَـم

كـم قـــدم زلـت ، وكـم   رأسٍ بـــآخـــرَ اصطَـــدم

هنـــــا رأيـتُ الحُسْـنَ مـن ... إبليـسَ بـــــالــــــرَّجْم انتقـم
كَبَّـــرْتُ سَبْعًـــا ، وَهْى تـــر (م) مى الجَمَـــراتِ بـــالعنـم[1]
يـا ليت شعـرى ـ إذ رَمَتْ ـ : ... أغَيْـظُ إبليـسَ احتــــــدم ؟
أم هـبَّ مِـن مَكْمَنـــــــــه ... يَلْثَـــمُ كـفَّ مـــن رَجَـــم ؟
إن تَـــرْمِـــهِ اليـــوم ، فكـمْ ... أمـــام طُهْـــرِهـــا انهـــزم !

* * *

قُمْ سَـــائِلِ الحسنـــاء : مـــا (م) ذا قـــــدَّمـت مـن النِّعَـم ؟
سَلْ هَـــدْيهـــا ـ إذْ نَحَـرَتْـــ (م) ـــهُ ـ : هـل أحَسَّ بـــالألم ؟
سَلْهَـــــا : أأَنـت مِثْـلُ كـلِّ (م) النَّــــــاسِ مـن لحـمٍ ودم ؟
أم مَلَـكٌ منـــــــــــزَّلٌ ... ينشـــــر فـى الأرض السلَـم ؟

* * *

يـــا حلــوُ ، لا عـــانيتَ بعــ (م) ـــضَ مـــا أُعَـــانى مـن سَقَـم
ولا عثَـــــرْتَ عَثْـــــرتـى ... بيـن الــــوهَـــــادِ والأكَـم
ولا شَكَـتْ سـاقُـك مـــا ... تَشْكُـــوه ســـاقى مـن وَرَم
نفْسِـى لنفسـك الفِــــدَا ... مـن كـلِّ مكـــــروه ألَـم
وحجـــــةٌ مَبْـــرُورةٌ ... تمحـــو الـــذنـــوبَ واللَّمَم[2]
يخُطُّهـــا فى لـــوْحِـــه ... ربُّ العبـــادِ بـــالقلم
فـى الحـجِّ أنـتَ حكمـــةٌ ... والحـجُّ كلـــــه حِكَـم

* * *

---

(١) العنم ـ بفتحتين ـ: شجر لين الأغصان ـ وأزهاره قرمزية ، يتخذ منها خضاب ـ وتشبه به أنامل الحسان .

(٢) اللمم : الذنوب الصغيرة المتقاربة .

أقسمت بـــالستـــر ، وَبِالْـــ (م) حجْـــرِ ، وأَعْظَمْ بـــالقســم !

إنَّ الصَّـــلاَح فى الحســـا (م) ن الغيـــد مـن أَحْلى الشِّيَـم

إنَّ الجمـــالَ عفَّـــةٌ وحســـنُ طبْـع وكـــرم

ليس الجمـــالُ الابتـــذا (م) لَ ، واستبـــاحـــةَ الحُـــرَم

بَعْـضُ النســـاء نعْمَـــةٌ مـن عنـــد وَهَّـــاب النِّعَـم

وبعضُهـن كـــالبَـــرَا (م) كِيـن : رُجُـــوم ، وحُمَـم !

لا خيـــرَ فـى بَيْت لَـــهُ مـــا للْجبَـــال مـن قمـمَ

إن كـــان ركنُ الـــدّين فيـــ (م) ـــهِ والفضيلـــةِ انهـــدم

* * *

بـــالـــرُّوح همْـتُ فَلْيَهـمْ بـــالجسمِ عَـــابـــدُ الصَّنـم

قـــالـــوا : عَشِقْـتَ فى الحَـرَم ؟ قلـتُ : نَعَـمْ ، ولا جَـــرَم !

صفاء النفس !

دعِينى أَنْجُ من دنيـــا الهُمُـــوم | وفى ملكَــوت عـــرشِ الله هِيمِى
دعى خُـــدَع المُنَى يـا نفس ؛ إنِّى | أريـــد البحث عن عيشٍ كـــريم
لقـــد مَنَّيْتِنى دهـــرًا طـــويـــلاً | فعُدتُ ؛ ومـا حصدتُ سوى هَشيم
فـأعْطينـى مقـــادَك ، واتْبَعينـى | أقُـــدْكِ إلى الصِّـــرَاط المستقيم
ألا ، يـا نفسُ ، لـو تصفينَ يـومـاً | لكنـتِ أرقَّ مـن مَـــرِّ النسيم
وطِـرْتِ بخَـافيَـات مـن ضيـاء | ولـم تمشى على ظَهْــــر الأديم
وكـــدتِ تُحَلِّقين مع الثُّـــريَّــا | وتَتَّخِـــذِين بُـرْجـاً فى السَّـــدِيم
وأدركتِ الـــذى لا تحتـــويـــه | بطـــونُ الكُتْبِ من شَتَّى العلـــوم
ولم تخْـفَ الحقـــائُق عنكِ مهمـا | خَفِينَ عـن المــــدارك والفُهُـــوم
ولم يصـــرفكِ عن أُخْـــرَاكِ شَىْءُ | وغيـــرَ رضـــاء ربِّكِ لم تَـــرُومى

* * * *

ألا ، يا نفسُ ، وَيْحَكِ! لَسْتِ نفسى | إذا حـاولـت نَيْـلاً من غـــريمى !
فَسُلِّى الضّغْن من جَنبَـات صـدرى | وَرِقِّى لـــلأَحبَّـــة والخُصـــوم
وكـونى : من حَبَاب المـاء ، أو من | عَبِيـر الـــزَّهْـر ، أو ألَق النُّجـوم
إذا مـا الحَـرْبُ حول الـزَّاد قـامتْ | فخَلِّى الـزادَ نـاحيـــةً ، وصُـومى
دَعينِى لا أعِشْ إلا بِـــــرُوحى | فقـــد كُتِبَ الفنـاء على الجُســـوم
أحبِّـى كـلَّ حـــىٍّ ؛ لا تخصِّـى | بحبِّـكِ كـلَّ ذى وجـــــه وَسِيـم

مَتَى ، يـا نفسُ ، لا تُبـدِين زهـوًا ... بمـا أحـرزت من حَـظٍّ عظيم ؟
متـى ألقـاك لا تُلْقِيـن بَـالاً ... لمـا يعـرُوك من خَطْـب جسيم ؟
يكـون الكـونُ حـولـكِ مُكْفَهِـرًا ... وتبتسميـن عـن دُرٍّ نظيـم ؟
بـربك ، كـم شـربتِ كئـوسَ راح ... مُشَعْشَعَـة ، وأخـرى من جحيم ؟
فهل كـان الأسـى والبِشْـرُ إلاَّ ... كأطيـاف السَّحَـائب والغُيـوم ؟
وكـل لَـذَاذَة تفنـى ، وَيَبْقَـى ... متـاعُ الخُلـدِ فى دار النعيـم

* * * *

إذا دَجَت الحـوادث ، فـاستضيئي ... بنـور اللهِ فـى الليـل البَهِيـم
ودُومـى إن أردت الله ذُخْـرًا ... على التَّقْـوى ، وعنهـا لا تَـرِيمى
ولا تُصْغـى إلى همـس الأمـانـى ... وإلا ، عشْـت فـى هـمٍّ مُقيـم
وحسبُك سَلْسَـلُ الفـرْدوس راحـاً ... وسِرْبُ الحـور حَسْبُـك من نـديم !
وأين الحـورُ من نَـدْمـان سـوء ... وخمر الخلـد من حَلَبِ الكروم ؟ (1)

* * * *

إلـى الله اتَّجهـتُ بكـلِّ قلبـى ... وأسـألُـه السعـادة للْعمُـوم
سألـتُ الله للمُثْـرى مـزيـدا ... من النُّعْمـى ، ويُسْـرًا للعـديم
سألـتُ الله يَمْحُـو الـدَّاءَ محْـوًا ... فـلا تقع العيـونُ علـى سقيم
سألـتُ الله للعَـانِـى انطـلاقًـا ... وعطـفَ أب وأُمٍّ لليتيـم (2)
سألـتُ الله للـدنيـا سـلاَمًـا ... يعيشُ الليثُ فيـه مع الظَّلِيـم
ولـولا أننى أدْرَى بقـدرى ... سـألـتُ الله فـى أهـل الجحيـم
وقلت لـه : أتُصْلى النـاسَ نـارًا ... وقـد سمَّيْتَ نفسَك بـالـرحيم ؟

---

(1) ندم على الأمر ندماً : أسف وكرهه بعد وقوعه ، وهو ندمان وهى ندمانة والجمع ندامى .
وحلب الكروم : الحلب مصدر بمعنى اسم المفعول مثل : جنى .
(2) العانى : الأسير .

داء ودواء ! !

وكنتَ إذا عَـــرَاكَ عضـــالُ داء　　　وأنـت فَتى ، وَثِقْتَ من الشفـــاء

فمـا لـك كلَّمـا غشِيَتْك عـــدوَى　　　زكـــام رُحْت تُـوقِـنُ بـالفنـــاء ؟

دواء الشَّيْــخ يُعْيِـى كــلَّ طِــبٍّ　　　ومـا أغنى الشبـــابَ عن الـدَّواء !

غريب بين قومى !

إلى مَـنْ أَشتكى ، يـــاربِّ ، ضَيْمى　　　أرى نفسى غـــريبــاً بَيْنَ قـــومى !

فكم هتفـوا بمحمـــودِ شكـوكـو　　　ومـــا شَعَــرُوا بمحمـــودِ غُنيْم !

تعلم كيف تنسى

وَربَّ أخٍ أســـــاء إلىَّ ليـــلاً　　　أُصـــافحُــه إذا طلع النَّهَـــارُ

و من لم ينس ــ أو يَتَنَـاسَ ــ مُضْنَى　　　وقـــد يــؤذى ابْنَ آدمَ الادّكـــارُ !

ثراء وشقاء !!

مـــا مع الصبـر لَعَمْـرى فَـاقَـةٌ　　　إنمـــا الصبرُ على الفقـرِ ثـــرَاء

مـــا مع الصبــر لعمـــرى عِلَّـةٌ　　　إنمـــا الصبــر على الـــدَّاء شِفَـاء

نذير الموت

ذَوائبُ من بعـــد الظَّـــلامِ تضىءُ ... لِتُعلِنَ : أن المـوت ســوف يَجِىءُ
فيـزدادُ فى الإحسـان مَن كـان مُحْسِنًـا ... ويُقْلِعُ عـن سُــوءِ الصنيـع مُسِىءُ
ألا أيهـــــا الشَّيْـبُ المُلِمُّ بلحْيَتِـى ... لك الـويْلُ ! إنِّى من سَنَـاك بـرىءُ
ترى معجـزات العلم تتْرى ، فهَلْ أرى ... شبـابِىَ من بعـدِ المَشِيبِ يضىءُ ؟
دَعُـونى من الطِّبِّ الحديث ، وكشفـه ... فإنى أُغـذُّ السَّيـر وَهْـو بطىءُ (١)
هـو الطب : أما فـى الجِرَاح ؛ فَمَـارِدٌ ... وأمَّـا أمـام الشَّيْب ؛ فَهْــو قمِىءُ

يأس وأمل !

إذا تـــذكَّـــرْتُ ذنبى ... تملَّـك اليـــأْسُ قلبى!
ويـــذهب اليـــأْس عَنىِّ ... ذكـــرى لـــرحمــة ربىِّ !

داء نتيجة داء

يقــولــون لى : المشْىُ خَيْــرُ دواءْ ... وطُــول ُالقُعـود يَعُــوق الشفـــاءْ
فقلـت : وصفتُمْ دواءً عـــزيـــزًا ... فـلا هُو فى الأرضِ ، أو فى السمـاء
كـــذاك الحيـــاةُ : نشـــاطٌ وليـــدُ ... نشــــاطِ ، وداءٌ نتيجـــةُ داء

---

(١) أغذ السير : أسرع فيه .

وطنيّات

لا نكسة

مَنْ قــال : إن اللَّيْث ولىّ مُـدْبـرًا ؟ الأُسْــدُ إنْ وثبتْ ، تعــود القَهْقَــرى
إن الشجــاع يَفـرُّ فى سَـاح الـوَغَى لِيَكِــرَّ من بعــد الفــرار مُظَفَّــرا
لا يَفْــرَحَنَّ المُفْتــرون بجَــولَــة كسبوا بـدَايَتَها ، وخـابَ مَنِ افْتَرى !
قل لــلألى بــدءوا بــدَايةَ هتْلَــر : سَتُجَــرَّعُــون غـدًا نهـايــةَ هتْلَــرَا
إنــا تــركنــا الخصْـم يضحك أوَّلاً ليــزيـد نَــوْحًـا حين نَضْحَكُ آخـرا
وَلَــرُبَّ ضِــرْغَــام أُصيب بلــدْغَــة من عَقْــربٍ دبَّتْ على وجـه الثَّـرى
يــا شعبَ إســرائيلَ ، غَــرَّكَ مــاردٌ فى الحرب لاقى غَيْرَكُفْءٍ ؛ فازْدَرى !
إنَّــا جُنــودُ بنى النضيــر ، وخَيْبَــر ولَتَلْحَقَنَّ بنـى النضيــرِ ، وخيبــرا

* * *

كـذب اليهــودُ ؛ فمـا أقـامــوا دَوْلَــةً فى أرضنـا ، لكن أقـامـوا مَنْسَـرا [1]
الغــدرُ دَيْــدَن شعبهم ؛ فلــوَ انَّــهُ يــومــاً وَفَـى ، لعجبت ألاَّ يَغْـدرا !
قــالــوا : عبـدنـا ربَّ مــوسى وحـدَهُ قلنــا : عبــدتم ذا الــرَّنين الأصْفــرا
ليست لإ بــــراهيمَ نسْبَتُكُـم ، وَلاَ لبنيـــــه ؛ لكـنْ تُنْسَبُــــون لآزرا
لــو تسألــون أبــا البَرايــا آدمــاً : هل من ســلالتِكَ اليهـودُ ؟ لأنْكَــرا

* * *

يأيهــا العــربى ، لا ذُقْت القـرَى أبدًا ، ولا نعِمَـتْ جُفونُكَ بـالكرى !
لا يــرقــد العــربـىُّ ملءَ جفــونـه ويــذوقَ طعمَ الــزادِ حتى يَثْــأرا
شـرفُ العــروبـةِ بـات وَهْــوَ مُلَــوَّثٌ بــالعــار ، لا تَلْبَسْــه حتى يَطْهُــرا

---

(١) المنسر : جماعة اللصوص .

عــــارٌ علينـــا لُبْسُـــــهُ حتى يُـــرَى … مُتَطَهِّـــرًا ، بـــدم العِـــدا متعطِّـــرا

ليث العـــروبـــة مـــا عَـــرَا أظْفـــارَهُ ؟ … ويـــلاه من هِـــرٍّ على الليث اجْتَـــرا !

نَمِـــرُ العـــروبـــة مـــا دَهَـــا أنيـــابَـــهُ ؟ … أوَمَـــا رأى ذئبَ الفـــلاةِ تَنَمَّـــرا ؟

نِسْـرُ العـروبـة مـــا أصـاب جَنَاحَـهُ ؟ … قـولـوا لــه : إن البُغَـاثَ اسْتَنْسَـرا !

صـــاروخُكُـمْ سَمَّيْتُمُـــوه قـــاهِـــرًا … مـا عـــاقَـهُ يـــوم الـوغـى أن يَقْهـرا ؟

صـــاروخكم سميتمـــوه ظـــافِـــرًا … مـا عـــاقَـهُ يـوم الـــوغى أن يَظْفَـرا ؟

صـــاروخكـم سميتمـــوه عـــابِـــرًا … مـا عـــاقـه يـــوم الـوغـى أن يَعْبُـرا ؟

ويحى علـى تلك الصــــواريـخ التى … تَـــأْبَـى غَـــدَاةَ الـــرَّوْع أن تتفجَّـــرا !

لا تَحْلُمـــوا بـــالنصـــر حـــول مـــوائدٍ … أضْفَـى عليهـا الـزَّيْـفُ لـونـاً أخضـرا

بل عنـــه فـى سُـــود الـــوقـــائع فَتِّشُـــوا … أو فَـاسْأَلُـوا عنه النَّجيعَ الأحمـرا [١]

قالـوا : الحقوقُ ، فقلت : لفظٌ لـم أجدْ … عنــــه كَألْسِنـــــة اللَّهيب مُعَبِّــــرا

أنصِتْ إليــــه إذا المَـــــدَافـعُ أَطلَقَتْ … تَسْمَعْــــهُ مـن أفـــواههـن مُفَسَّــــرا

النصـــر ليس يَنَــــالــــهُ بســـؤالــــه … شعبٌ ضعيفُ الحَوْل ، مَحْلُـولُ العُرا

للنصـــر جيشٌ فى الحـــروبِ مُـــزَوَّدٌ … من عـــزمـه المـــاضى بجيش آخـــرا

يــــارُبَّ فـــرد فى الكـــريهـــة واحـــد … بـالصـدق والإيمـــان يَعْـدلُ عَسْكَـرا

من عـــاش فى جـــوِّ القصـــورُ مكيَّفًـــا … فعلى الحـــروب وهـولهـا لَـنْ يصبرا

من بـــات بيْنَ وســـائد ونَضَـــائد … فَعَلَى المبيت بخنـــدق لن يَقْـــدرا

للحـــرب جنـــدٌ يصبـرون علـى الطَّـوى … يـــوم اللقـــاء ، ويلبسـون العِثْيَـرا [٢]

ويـــرون جَـــوْف الـــرمل أجملَ فُنْـــدُق … وروائحَ البـــــارُود تنفح عَنْبَـــــرا

ويـــرون قَصْف المِـــدْفعيَّـــة أرْغُنًـــا … يَشجى ، وقعقعـةَ الحناجـر مِـزْهـرا

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) العثير : الغبار . وهو على وزن درهم .

ويَـــروْن أن الجُـــرح يحكى مُقْلــــةً		حــوراء ، والــدم كــالشراب مُعَصْفــرا
ويـــرون أن مــن اسْتُبِيحَ لـــــه حِمًى		يلقى المنـــايـــا ، أو يعيشُ مُحَــــرَّرا

* * *

منّى على فتنــــــامَ ألـفُ تحيَّــــــة		حَيُّوا معى الشعبَ الذى بَهَـرَ الورى
يـا أيهــا الشعب الــذى مـا هَــالَـهُ		عـــددُ العــدو ؛ فكــان منــهُ أكثــرا
عَلَّمْـتَ أهْـلَ البغــى : أن البغـى لا		يُغنى ، وأنَّ جنـــــودَهُ لن تُنْصـــــرا
وأريتَـــــهُ أن الضَّعيف بحقِّـــــــه		بطلٌ يُـــــذلُّ العَـــاتىَ المتجبِّـــــرا
وكتبتَ فــى التـــاريـخ أروعَ قصَّــــة		عن غَضْبَـة الآســادِ إنْ ديسَ الشَّـرَى
قـولـوا لــواشنطـونَ تسحبُ جيشَهـا		فمــــواطنُ الأحـــرارِ لن تُسْتَعْمَـــرا
أيسيطـــرون على شعـــوبٍ حـــرَّةٍ		وعليهمـــو شعبُ اليهــود تسيْطَــرا ؟

* * *

شعبَ العـروبِـة ، ما فعلتَ بخـالـد		وتُـــراثِـــهِ ؟ أتـرى التـراث تبعثــرا ؟
إنِّى لأَلمح روحـــــهُ من فــــوقنَــــا		قـد رفـرفت ، مثـلَ الخيـال إذا سَـرَى
تَــرْنُـو إلى اليَــرْمُـوك وَهْى مُشيحَــةٌ		وتقـــول : إنى لا أُصـــدِّقُ مـــا أرَى !
أين الفتــوحـاتُ التى استخلصتُهـــا		من دولتَىْ : كِسْرى العظيم ، وقَيْصَرا ؟
بِمَ كــان يُنْصــــرُ خـــالـــدٌ ؟ ألأنَّــهُ		من جَنْــدَل ، لا من تـراب صُـــوِّرا ؟
قـــد كـــان ذا رأس يطيــرُ بضـــربـــة		ودم إذا جُـرِحَتْ جــوارحُـهُ ، جـرى
لكنـــهُ يغْشَى الـــوغى مُتَقَلِّـــدًا :		بـــالصبـر دِرْعًـــا ، والعقيـدة مغْفــرا
الله أكبـــــر سيفُـــــهُ وقنـــــاتُــــهُ		مـــا خــاب عنـد الحربِ شَعْبٌ كَبَّـرا

* * * *

يـــا قـــوم ،هُبُّــوا هبــةً مُضَـــريَّــةً		إن الفتى العـــربىَّ إن دُعِى ، انبَــرى

ضُمُّوا الصفـوفَ ، ووحِّدوا أَشْتَـاتكمْ ... فى الـوحـدة النصـرُ المبينُ مُـؤزَّرا
قالوا : الوبـاء ، فقلت : إن القُدْسَ قَدْ ... نـزل اليهـودُ بـه ، فكـانـوا أخطـرا
لم يتـركـوا للمسجـد الأقصى ، ولا ... للعُـرْب فيـه مَنْسَكًـا ، أو مَشْعَـرا
أن يظْهـرُوا ، يـا قـوم ، لم يُبْقُـوا لنـا ... أو لـلأذان ، أو الحَنيفَـةِ مَظْهَـرا
إنى لأُشْهِـدُكم على مـا قلتـهُ ... وعليـه قـد أشْهَـدْتُ هـذا المِنْبـرا
مـاذا أقـولُ ؟ أقـولُ : فيلٌ صـادَهُ ... جُـرَذٌ ، وسِـرْحَـان أذلَّ غضَنْفَـرا ؟
أنـا إن عَـذَرْتُ ، فإن جيـلاً بعـدكم ... يـا قـوم ، من أبنـائكم لَنْ يَعْـذُرا
أنـا إن غَفَـرْتُ ، فليس للتـاريخ إنْ ... يَكْتُبْ لعصـر مقبل أن يَغْفـرا
لا يـرحم التـاريخُ فى الأَحكـام ، إنْ ... قَـاضَى مُسِيئًـا ، أو أدَانَ مقصِّـرا

✻ ✻ ✻ ✻

أعلى الفـدائيين نلْقى عبْئنَـا ... ونُطِلُّ مـن خلف الستـار لنَنْظُـرا ؟
أين الـذى يَلْقَى الأعـادى جَهْـرَةً ... ممَّنْ يُغيـرُ عَلَيْهمُـو مُتَسَتِّـرا ؟
يـا مَعشَـر الفتح المبين وجنـدَهُ ... حُيِّيتُمُـو جنـدًا وطِبْتُـمْ معشـرا
أنقـذتمـو شـرفَ العـروبـةِ بعـدمَا ... أمسى على وجـهِ التُّـراب مُعَفَّـرا
وبـذلتمـو أرواحَكُم لبـلادكُمْ ... ثَمَنًـا ، وجَلَّ المشترِى والمشتَـرَى !
يـاليتنى قـد كُنْتُ فى يَـد بعضكُمْ ... لغمًـا يصيب بـه العـدُوَّ مـدمِّـرا !
أو حـرْبـةً مَسْنُـونَـةً ، أو مـدْفَعًـا ... متفجـرًا ، أو صَـارمـاً ، أوْ خِنْجَـرا !
مـا ضَـرَّ شعبـاً أنتمـو من أهلـه ... أن يستطيل على الشعـوب ويَفْخَـرا
إنـا لنـرجـو أن يكـون صُمُـودُكم ... لِنُكُـوصنَـا يـوم الحسـابُ مكفِّـرا
النصـر حَسْبُكمـو إذا فُـزْتُـم بـه ... فَخْرًا ، وحَسْبُ شهيدكـم أن يُؤْجَرا !
لـو يعلـمُ الشهـداء أجـرَ جهـادهمْ ... ودُّوا لَـوَ انَّ المـوت فيـه تكـرّرا
قـولـوا لمن رُزِق الشهـادة منكمـو ... يصفِ الجِنَانَ ، وحُـورَها ، والكـوثرا

والله ، ما خدم البلادَ كَمُفْتَدٍ قَدْ ذاد عنْ حُرُ ماتها متنكِّرا

لا المجد أمَّل من وراء جهادهِ كلاًّ ، ولا اتَّخذ الإغارةَ مَتْجَرا

من يذكرُ الأوطان يَنْسى غيرَها أجْدِرْ بها هى وحدَها أن تُذْكَرا !

شُنُّوا عليهم كلَّ يومٍ غارةً فى كل وادٍ ، فى المدائِن، فى القُرى

وقفوا لهم فى كلِّ دربٍ ، واكْمُنُوا تحت السُّفُوح ، وحَلِّقُوا فوق الذُّرا

لا تتركوهم يَنْعَمُون برَوْضَةٍ فى القُدْس، أو يجنون كَرْمًا مُثْمِرا

إن يَطْعَموا ،وَجَدُوا الطعام مسمَّمًا أو يشربوا، وجدوا الشراب مُكَدَّرا

أو يَدْرُجُوا فوق الثَّرى ،لا تلبث الْـ (م) أَمقدام بالأَلْغام أن تتعثَّرا

أو يرقدوا ، حلموا بضرٍّ منكمو قد هبَّ من تحت السرير مُشَمِّرا

وثقوا بأنَّا لاحقون بكم غدًا ولسوف نُعْلِنُهُ جهادًا أكبرا

راهب الحقل

راهبٌ خطَّ في القُرى محرابَهْ ... بين شطِّ الغديرِ واللَّبْلابهْ

عاش للحقْل، والنبات؛ فكانا ... دينَه في حياته، وكتابه

عرف الله فطْرَةً لا اكتسابا ... فرَجا عفوه، وخاف عقابه!

ما احتواه في الله شكٌّ، ولا طُو (م) لُ التحرِّي عنه أثار ارْتيابه

حَسْبُه أنَّ كل شيءٍ بهذا الـ (م) ـكون يُومِي إليه بالسَّبَّابه

عرف الله في الطبيعة: عطفاً ... وحنَاناً، وقوَّةً غلاَّبه

مِنْ قُواها استمدَّ قُوَّةَ زَنْدَيـ (م) ـه، ومن شَمْسِها استعار خِضَابه

رُبَّ طبعٍ من الغدير استقاهُ ... فَهْوَ ينسابُ في الحياة انسيابه

مَنَحَ الأرضَ – لا المِلاحَ – هواهُ ... فَهْوَ صبٌّ بها؛ عميقُ الصَّبابه

كادحٌ في شبابه؛ ما قضى في ... مَسْرحِ اللَّهْوِ والمِراحِ شبابه

وإذا شاب، لم يزل عودُه كالنَّـ (م) ـبْعِ فيه بقيَّةٌ من صَلابه

يلبَسُ الشيْبَ هالةً من وَقار ... لا الضنا شانَهُ، ولا النقص شابه

لم يزيِّنْ ثِيابَه النقشُ؛ لكن ... زيَّن الطهرُ والعفافُ ثيابه

زُرْقَةُ اللونِ في العيونِ، وأُخْرى ... في السموات زانتا جلبابه

وإذا خاف من حساب عسير ... ذو ثراء، فما أخفَّ حسابه!

يحسُدُ القصرُ كوخَه! رُبَّ كُوخ ... هو للأمن والسلام مثابه

أَيْنَ عشٌّ رفَّ النعيمُ عليه ... من قصور رانَتْ عليها الكآبه؟

القَمَارِيُّ حوله والسواقي ... تلك عود، وهذه شبَّابه (1)

---

(1) القماري: جمع قمرية وقمري، وهو نوع من الحمام.

لم يـــؤرّقْــه فى مَنـــاط الثُـرَيَّـــا ... مطلب راح يـــرتقى أسبـــابــه

مُكْتَفٍ مـن طعـــامـــه بِكَفَـــافٍ ... قـــانـعٌ من شـرابـهِ بِصُبَـابـه [1]

رَضِيَتْ نفسُـــه ؛ فعـــاش سعيـــدًا ... ولقــد يُسْعِـدُ الـرضـا أصحـابَـه

فى سُكـون القُـرى ينـامُ ، ويصحـو ... مـا لـه والمــدائن الصخَّـابـه ؟

أنـا مـنْ ضـاق بـالحَـوَاضـر ذَرْعـا ... وأواهـــا ؛ فحطَّمَتْ أعصـــابـــه !

كم لها ـــ كالمِـلاَح والرَّاح ـــ صرعى ... خـدعتهم أضـــواؤهـــا الخــلاَّبـه

حسب هــــذا الأُمِّـى أرضٌ بَــــرَاح ... هــو فى لـــوْحهـــا يجيـد الكتــابـه

خـــاملٌ مَن يـــراه غيـــرَ نبيـــه ... وجهــولٌ مَنْ بــالجهـــالـة عـــابـه

هــو لا يــرتقى المنــابــر ؛ لكنْ ... فـأْسُـه فى الثَّرى تُجيـدُ الخطــابـه

لـــو تَـرى مــا يَخُـطُّ محْـراثُـه فى ... أرضـه ، قلتَ : آيـةٌ فـى النَّجَـابـه

إنَّ للكـــــون مَعَهـــدًا لم يُثَقِّـف ... بِــــدَوَاة ومــــرْقَـم طُـــلاَّبَــــه

لم يُسَجِّـل علـــومَـــه فـى كتــاب ... أو يُــــدَوِّنْ فـى مُعْجَـمٍ آدابــــه

وبــــه تُشْغَف الســـوائم حبًّـــا ... ويـــراهـا دُونَ الـــورى أحبــابـه

ربطتْـــــــهُ بكل ذَاتِ ثُغَـــــــاء ... أو خُـــوَار مـــودَّةٌ ، بل قـــرَابـه

رفقـــةٌ يأمـن الصـــديقُ أذاهـــا ... لا بــدسَّـــاســة ولا كـــذَّابـه

كم سَقَتْـــه من الحليـب زبيبـــاً ... أبيض اللـــون ، لا يضيـع صـوابـه

كم صـديقٍ مـن وَجهـه يقطر البشـــ (م) ـــر ، ولا يـأمَنُ الصَّـديقُ غيـــابـه

وَمِنَ النـــاطقين مـن هُـوَ أضْـرَى ... من أفـاعى وَكْـرٍ ، ومـن أُسْدِ غـابـه

* * * *

مـــا لهـــذا المَـــلاَكِ أمسى وأضحى ... وَهْـــو نهْـبٌ ، مُقَسَّمٌ لِعَصَـــابـــه

صـرفـوا الـراهِبَ البتـول عن اللّــ (م) ــه ، وصَـارُوا مِنْ دُونـه أربـابـه

---

(١) الصبابة ـ بضم الصاد ـ : بقية الماء فى الإناء .

أَمنَ العــدلِ أن يعيش أسيــرَ الــــ (م) ـــحقْل ، قَدْ شَـابَ بـالـدماء تـرابـه
وَهْــو مـن أخــرجَ النُّضَـــار من الأر (م) ض ، وصَفَّى من التُّـراب لُبـابـه ؟ !
كم جنى القَمحَ عَسْجَدًا ، وجنى القُطْ (م) ـنَ لُجَيْنًا ، وبـات يَلْعَق صابـه !
يطـرُقُ الخَيْــرُ كـلَّ بـاب ، إذا مــا أثمــرتْ أرضُــه ، ويَتْــرُكُ بـابـه
ولمــولاه يعصــر الكــرم خمــرًا ثم يسقيــه لأَثِمـــاً أعتــابــه
رُبَّ أَيْـــدٍ تخـــاف فــاهُ ، إذا مــا رام تَقْبيلَهـــا ، وتَخْشى لُعَــابــه
رب دُرٍّ فى مفـــرق كـــان يـومـــاً قَطَــرَاتٍ من الجبيـن مُــذَابــه
ودمـــاءٍ تحـــوّلَتْ فــى صِحَـــاف وَجَبَـــاتٍ شهيـــةً مستطـــابـــه
عَبَــرُوه جِسْــرًا إلــى المجـــد ؛ حتَّى بلغـــوا فـــوق مَنْكِبَيْــه الـــذُّؤابــه
بِـاسْمِـه يَظْفَــرون بـالمـال والجَـا (م) هِ وَيَقْضِى كلُّ امـــرىء آرابـــه
وَهْـوَ شـاكٍ من الطَّوى ، لاصِقٌ بـالـ أرض ، يَجتَــرُّ حلقُــه أوصَــابــه !
يُسْلَبُ القــوتَ ، ثم يــؤمــرُ أن يَنْــ (م) ــعَتَ بـالجـود والنَّــدى سلَّابـه
إن أحسُّـــوا وجـــودَه ، فكطيف لَمَحَتْـــهُ عينٌ عليهـــا سحـــابـــه
أو تعـــالى صـــراخُـــه ، فكمـــا طنَّ (م) بـدَوْح الهجيــر صــوتُ ذُبــابـه

❊ ❊ ❊ ❊

بَسَطَ الـــراهبُ البتــولُ يــديــه ودَعَـــا اللهَ دعـــوةً مستجـــابـــه
ظل فى أرضــه غـــريبـــاً ، إلى أن بعث اللهُ مـن يَـــرُدَّ اغْتِـــرابـــه
فـإذا ثـــورة على الظلم تَبْـــرى رأســـه ، ثـم تقتفى أذنـــابَـــه
وإذا الـــراهبُ الـــذى نَسِيَ الشَّــدْ (م) وَ ، منَ الشَّجــوِ يستَــرِدُّ ربــابــه
مستعيـــدا إيمـــانَـــه بعـــد شك فى السمـــوات كـــاد أن ينتـــابـــه
ملْءُ محـــرابـهِ : صـــلاةٌ ، ونُسْكٌ فى وَقَـــار يحفُّـــهُ ، ومَهَـــابـــه
راكعٌ ، قــائمٌ ، على الأرض جــاث فـــوقهـــا فى تَبَتُّـل وإِنَـــابـــه
صلـــواتٌ تُحَــوِّلُ التُّــرْبَ تبْــرًا أجـــزل اللهُ للمُصلِّى ثـــوابـــه

معجزة السد

هاتِ، يا شعرُ ، سِحْرَ هاروتَ هات! صنعَ السـدِّ صانعُ المعجـزات

والسـد مِنْ صنع بـابـل إلا وَحْيُ شعـر من عنـدِ هـاروتَ آت (١)

كم رأى النـاسُ من جمـال فعَـالا كُلُّهَـا من خـوارق العـادات

بَطَـلٌ كلُّ مستحيـل لـديـه يتـراءى فى حَيِّـز الممكنـات

هُـوَ لَـمْ يعتـرفْ بلفظِ « محـال » فَمَحَـاهُ مِنْ معجم الكلمـات

لاتقـولـوا : عجـائبُ الأرض سبعٌ فَهْى ـ مِنْ بعـد السَّدِّ ـ سبعُ هنات

الصخـورُ الصَّمَّاء كيف استحالت خلفَ أسـوانَ أَلْسُنَـا نـاطقـات ؟

مُفْصِحَاتٌ عن مجـد مصر قـديمًا وحـديثـاً بِمُحْكَم الآيـات

بين سـدٍّ على العُبَـاب مُقَـام وقُصُـور فـى جـوفـهِ غـارقـات

قل لمن شيَّـدوا الهيـاكلَ فـى مصـ (م) ـر ، وأَرْسَوْا أهـرامَهـا الشامخـات :

قـد بَنَيْتُم بـأَذْرُع كـادحَـات وَبَنَيْنَـا لـلأذرع الكـادحـات

وبنيتم لِلْمَـوْتِ أنتم ،وَلَسْنَـا نحن نبنـى للمـوت ، بَلْ للحيـاة

ليـس من يَبْتَنـي لِيَحْفَـظَ رُوحـاً مثـلَ مـن يَبْتَنِى لحفـظ رُفَـات

أيهـا السـدُّ ، مـا عَهِـدْنـاك إلاَّ مَصْـدَرَ اليُمْن ، مصـدرَ البـركـات

نحن ـ من قبـل أن نَخُطَّك فى الأر (م) ضِ ـ جَنَيْنَـا تأميـمَ مـاء القنـاة

منعـوا دَرَّهم ؛ فقلنـا : رويـدا (م) نحن نَغْنَـى بـالاكتفـاء الـذَّاتى

أجمعـوا أمْـرَهُم ، وجـاءوا بليْل فَـرَمَـى الله جمعَهم بـالشَّتـات

---

(١) فى الشطر الأول ـ من البيت ـ كسر بين !

وظفرنا بدولتين ، وأُخرى   هىَ فى الأرض سُبَّة [1] الدُّولات

ما بنينا سدًّا ؛ ولكن بَنَيْنَا   مجدَ مصرٍ ، ونحن خيرُ البناة

وفتحْنا بهِ لمصرَ كِتاباً   خالدَ الذِّكرِ مشرقَ الصَّفحَات

وَمَحوْنَا عن مصرَ وَصْمَةَ عار   بَرِئَتْ أرضُها من الوَصَمَات

نحن لو لم نَجِدْ لعَمْرِى صخوراً   لابْتَنَيْنَا الخزَّان بالهامات

وحفرنا أنْفاقَهُ بالبنان الـ (م) رَّخْص ، أو بالأَظافر الناعمات

وجعلنا ملاطَهُ [2] من دِمَاء   غاليات ، على الحِمَى طاهرات

وبَذَلْنا عن طيبِ نفس له الما (م) لَ ، وعشْنَا عَيْشَ الجِيَاع العُرَاة

فَلَقَ اليَمَّ ناصرٌ بعصاه   وعصاهُ لَيْسَتْ من الحَيَّات

بَلْ عصا ناصرٍ تَدبُّ على الأر (م) ض ؛ رِيَاضًا خضراءَ ، مُعْشَوْشِبَات

وعصا ناصرٍ إذا مَسَّت الصَّخْـ (م) ـرَ ، أحالَتْهُ أغصنا وارفات

وعصا ناصر تَفُلُّ صواريـ (م) ـخ الأعادى ، وبِيضَها المرهفات

أنتِ يا مصرُ من قديم اللَّيالى   كعبةُ السائحين والسائحات

أوَ لم يُهْرَعُوا إليك وُفُودا   ليزوروا آثارَك الخالدات ؟

قُلْ لمن قَدَّسوا فراعينَ مصر :   هَلْ رأَيتُمْ آثارَها المحدَثات ؟

أيها القوم ، طوِّفوا حَوْل مصر الـ (م) ـيومَ ، فى زِىِّ مُحْرِمين حُفَاة

وَقِفُوا خلفَ سَدِّها فى خشوعٍ   وقفةَ المسلمين فى عَرفات

ها هنا الفنُّ قام يَرْوِى حديث الْـ (م) ـمَجْدِ عنا ، والفنُّ خيرُ الرواة

ها هنا معبدُ الفنون لمن را (م) مَ صلاةً ، فكَبِّروا للصَّلاة

أيها النيل ، كم شَقَقْت طَرِيقًا   فى جبال ، ومهيعا [3] فى فلاة

---

(١) السبة : العار ، ويقصد بها : إسرائيل .

(٢) الملاط : الطين ، أو مادة يطلى بها الحائط ، وتجعل بين كل حجرين فى البناء (المونة) .

(٣) المهيع : الموضع العامر .

كم نسفت النُّجُـودَ نجـدًا، فنجـدًا ... وفـريت الصفـاة بعـد الصَّفـاة

ماؤك العَـذْبُ كان فى الصخـر أمضى ... من شِفَـار الفئـوس فى اللَّبنـات

تطـأ الصخـر فـى أنـاة ورفـق ... فإذا الصخـرُ حفنـةٌ من فُتـات

مـا لأمْـوَاهك العَـواتى استكـانت ... فى خشوعٍ خلف الصخورِ العواتى ؟

وقَفتْ خلف سَـدِّ أسوانَ حَيْـرَى ... عـاجـزاتٍ ، مشْلولـةَ الحَـرَكـات

لم تـزل تقهـرُ الطبيعـة ، حتَّى ... قَهَـرَتْهـا أيـدى البُنَـاة الكُمَـاة

أيهـا النيل ـ صانـك الله ـ عُـذْرًا ... إن نَضَعْ فـى طـريقـك العقبـات

مـا أرانـا إلا أسَـرْنَـاك أسـرًا ... بقيـودٍ مشـدودةِ الحلَقـات

نحن لـو نستطيع صُنَّـاك فى الآ (م) مَـاقِ ، بين الجُفُـونِ والحَـدَقـات

نحن من غَيـرة بنينـا سُجُـونًـا ... من خُـدُود للخُـرَّدِ الفـاتنـات

القـواريـرُ تُحفظ الـراح فيهـا ... وتُصَـان العطـور فـى الآنيـات

حَسْبُك اليـوم أنَّ مـاءك حُـرٌ ... من قيـودِ المستعمـرين الطُّغـاة

تعس البحـرُ ، وهْـوَ ملْحٌ أجـاجٌ ... كيف يَحْظَى بوصلِ عَـذْب فرات ؟ !

فى سبيل الشيطـان مـا نـال منك الـ (م) بحرُ سُحْتًـا ، فى الأعْصُر الخـاليات

مـا قَـذَفْنَـا فى البحـر مـاءك عـذبـاً ... بل قـذفنـا فى البحـر بـالأقـوات

وَسَقَيْنَـا الحيتـان عـذبـاً نميـراً ... وَحَـرَمْنـا منـه جـذورَ النبـات

مصـر أُم الفنـون من سـالف الدَّهْـ (م) ـر ، أَرُونى كمصـرَ فى الأُمَّهَـات

مـا بنت سـدهـا بصخـر ومـرو (1) ... بل بنَتْـهُ بصـادقِ العَـزَمـات

بِجُهُـودٍ تُحـوِّل التُّـرْبَ تبْـرا ... وتَبُثُّ الحيـاة فـى الفَلَـوات

وتشيـع الـرَّخـاء فى كـلِّ واد ... وتَصُبُّ الغِنَى بكـلِّ الجهـات

---

(1) المرو : أنواع من الصوان ذات أشكال شتى ، وحجارة بيض رقاق براقة ؛ تقدح منها النار .

نَسْلُنــا من أكبــادنــا فَلــذاتٌ نحـن نبْنِى لهـــذه الفلـــذات

نحن نبنـى لنـــا ثَـــرَاءً وَمَجْـــدًا ولأَجيـــالٍ ، بعـدنــا قــادمــات

أَسْعِفُــوا هــذه الفيـافِىَ بــالمـا (م) ءِ ، وَرَوُّوا أكبـادَهـا الظـامئـات

إنَّ فى بــاطن الصحـارى كنــوزًا فـاكشفـوا عن كنـوزهـا الخـافيـات

ثَـــرْوَةُ الشعب مجـده إن أراد الـــ مَجْـدَ ، والأَرضُ مصـدرُ الثـروات

مـــا كـــريـمُ الأَحْجَـــار درٌّ يتيمٌ لَاحَ فـــوق النُّحـــورِ واللَّبَّـــات

بَلْ كـريمُ الأحجـار مـا ادَّخَـرَ المـا (م) ءَ ؛ لإِحْيَـــاء كلِّ أرض مَـــوات

حجَـرُ السَّـدِّ زينـة الـوطن المحـــ (م) ـــبوبِ ، والـدُّرُّ حليـةُ الغـانيـات

ذكرى دنشواى !

فى ١٣ يونية ١٩٠٦ م ، حدثت حادثة دنشواى .

هِىَ دنشـــــواىُ ولا أزيـــــدْ ... فى السمع أحْـرُفُهـــا نَشِيـــدْ !

إنِّـى لأُحنـى الــــــرَّأسَ إذْ ... أمْشِـى على هـــذا الصعيـــد

فى كـــربــــلاءَ قضى الحُسَيْـــ (م) ـــنُ ، وكَمْ هنـــا سِبْطٌ شهيـــد!

كِـمْ هَـــامَـــة صُلِبَتْ هُنَـــا ... وَدَمٌ تـــدفَّقَ مـن ورِيـــد

لله أَشـــــلاءٌ ، عليـــــ (م) ـــها صَـرْحُ الاستقـلالِ شِيـد !

... ...

يـــا دنشـــــواىُ ، وأنتِ فـى ... أرضِ الحِمَـى بيتُ القَصِيـــد

أنـت التـى نَبَّهْـتِ أهـــــ (م) ـــلَ الكهفِ من طُـولِ الـرقـود

وَصَنَعْـتِ أبطـــال البِـــلا (م) دِ ، الــذَّائديـن عـن الحُـدود

النَّـــاقميـن علـى الدَّخِيــــ (م) ـــلِ ، الثَّـائريـن على القُيُـود

أنْــت التــى أشْعَلْـتِ كــلَّ (م) عَــزيمَـــة فى بــورسعيـد

بِســلاحِكِ المـاضـى تَقَلَّــ (م) ـد « مُصْطفى » ، وَسَطَا « فـريـد »

وَوَلـــدْتِ سعـــدًا للكِنَـــا ... نَـــة ، أيهـــا الأُم الــولُــود

مـــا نَـــاصـــرٌ إلا لَكَ ابْـــ (م) ـــنٌ حين يُنْسَبُ ، أو حفيـــد

طَهَّـــرْتِ أرجـــاء الحمـى ... مـن كـلِّ جبَّـــارٍ عَنِيـــد

خمسيـن عـــامًـــا تَحْمليـــ (م) ـــن بِبَطْنِـكِ النصَّـر الـوليـد (١)

نَصْـــرُ الشعــوب الثَّـــائِرا (م) تِ يَسيـــرُ فى خطْـــوٍ وئيـــد

---

(١) يشير الشاعر إلى : سنة ١٩٥٦ م ، ويبين أثر دنشواى فى أبناء مصر ، إبان العدوان الثلاثى .

كـم مِنْ ثمَـــار بـــذرُهـــا فـى الأَرض من عَهْــــد عهيـــد
والشعـبُ غيـــرُ الفـــرْد، دو (م) رةُ عـــامِـــهِ عُمْـــرٌ مَـــدِيـــد

... ...

يـــا صـــائِدَ الـــوَرْقَـــاءَ، سَهْـــ (م) ـــمُكَ ليس بـــالسَّهْم السَّـديـد
لقــــد اعْتَــــدَيْـتَ على حِمَـى قـــوم أُبَـــاةِ الضَّيم ، صيـــد[1]
من جـــاءَ يصطـــاد الأُســـو (م) دَ من الشَّـــرى ، فَهُـــوَ المَصيـد
يـــا دنشـــوايُ ، وأنتِ عُنْـــ (م) ـــوانُ البُطُـــولـــة والصُّمُـــود
مـــاذا جنيتِ سِـــوَى الـــدِّفَـــا (م) ع عن الحَـــلائل والحَصيـــد ؟
هم حَـــاكَمُـــوكِ أمـــامَ محــ (م) ـــكَمَة الثَّعَـــالـب والقـــرود
الظَّـــالِمُـــوكِ قُضَـــاتُهـــا وهُمُ النِّـــابـــةُ ، والشُّهـــود
نَصَبُـــوا المقَـــاصِل ، والحُشُـــو (م) دُ العُـــزْلُ تنظـــرُ فـى جُمـــود!
زَفَـــرَاتُهـــا متصَعِّـــدَا (م) تٌ مَلَّهـــا طـــولُ الصعـــود!
والشمسُ فـــوق القـــوم كَـــا (م) سِفَـــةٌ تُحَمْلِقُ فـى شـــرود!
والأَرضُ تحـت القَـــوم كـــا (م) دتْ مـن مَظَـــالمهم تَميـــد!
وعلى المقـــاصـــل : كلُّ شَيْـــ (م) ـــخ واهـنٍ ،وفتىً جليـــد !!

... ...

شَهَـــروا السِّـــلاح بقـــريـــةٍ لا نَـــارَ فيهـــا أو حـــديـــد
مـــــا يفعـل البطـلُ الكمـىُّ (م) بحـــدِّ سَيْـف من جَـــريـــد ؟
وكـأنَّ أفئـــــدة الطُّغَـــا (م) ةِ مـن الصُّخُـــور أو الجليـــد
الجـــوُّ جمـــرٌ حَـــوْلهُـم وهمـــو همـــو رَمْـــزُ البـــرود

---

(١) أباة الضيم : من يرفضون الذل ، وصيد : شرفاء عظماء ، جمع أصيد .

زُرْقُ العيــــون ، مَـــدِيـــدَةٌ	قــامـــاتُهم، حُمْــرُ الجلـــود
كـــالأُرجـــوان وُجُـــوُهُهُـمْ	وقلـــوبُهـم كَـــالْقَـــار سُـــود
لا يخْشَعُـــــون لِـــدَمْع أطْ (م)	ـــفَال يَتَـــامَـى فى المهـــود
وعـــويـلِ رَبَّـــاتِ البيـــو (م)	تِ كـــأَنَّـــهُ قَصْفُ الـــرعـــود
فكــــأنمــــا الإِعْـــوال فـى	آذانهـم نَبَــــراتُ عـــــود

. . . .

يـــأَيهـــا العهـــدُ البَغِيـــ (م)	ــضُ، خَسِئْت من بين العهـــود!
لا كـــان عهـــدُ الـــرِّقِّ ، والْــ (م)	إقْطَـــاع، والملك الطَـــرِيـــد!
أيَّـــام أنْ كـــان الضَّمِيــــ (م)	ــرُ يُبـــاعُ بـــالثَّمَـن الـــزهيـــد
عَهْـــدٌ بـــه الحـــرُّ الكـــريــ (م)	ــمُ يَعيشُ فـى ذُلِّ العبيـــد
فيــــه : ولـىُّ الأَمْــــر مَـــأْ (م)	مُـــورٌ ، وسَيِّـــدُهُ مَسُـــود
إن أوْمَـــــأَ المُحْتَـــلُّ ، أوْ	مَـــأَ كـلُ وَالٍ بـــالسجـــود
من تـــرضَ « لنـــدنُ » عنْـــهُ مِنْ	أهل الحِمَـى ، فهـــو السعيـــد
والعـــرش أشبـــهُ بـــالــــدُّمى	والقـــولُ مـــا قـــال العميـــد
العـــــرشُ بين مــــــوائدٍ	خُضْـــر ، وكأس طَـــلاً ، وغِيـــد
فـى مثلِ أُبَّهَــــةِ الــــرَّشيــــ (م)	ــدِ ،ومـــالَـهُ عَـــزْمُ الـــرشيـــد

. . . .

اليـــــوم لا مُسْتَعْمِــــرٌ	طَـــاغٍ ، ولا مَلكٌ قعيـــد
الأمــــر فى يــــد نَــــاصـــرٍ	لا « لمُبســـونَ » ، ولا « لُـــويـــد »
أوطـــــانُنــــا مِلْـكٌ لنـــــا	فيهـــا نعيشُ كمـــا نُـــريـــد
فـى أرضهـــا نَبْنـى المَعَـــا (م)	قِلَ، والمصـــانعَ ، والسُّـــدود

كـى يعلـمَ الملـــــــوان أنَّ (م) بمصـــر شَعْبًـــا لا يَبيـــد[1]
كـــالبَحْـــر ليس بـــآسن أبـــدًا ، وإن طـــالَ الـــرُكـــود
اليـــوم لا عـــاف يَمُـــدُّ يَـــدًا ، ولا سَمْحٌ يجـــود
لا ســـــائلٌ ، أو مُحْسنٌ الكـلُّ فـى عَيْـشٍ رغيـــد
عَـــرَقُ الجِبَـــاه كم اسْتَحـــا (م) لَ قـــلائدًا فـى كـلِّ جيـــد!
كـم صِيغَ مـن قطَـــراتـــه للمتـــرَف الـــدرُّ النَّضيـــد!
الأَرضُ للـــــــزُرَّاع ، لا للـــوَارثينَ عـن الجـــدوُد
والكـل خَـــــدَّامُ الحِمَـى والعَـــدْلُ بينهُمُـــو يســـود
وإذا أُغيـــرَ على البـــلا (م) د ، فكلُّنَـــا جَيْـشٌ يـــذود
أطفـــالُ وادى النيـل يَـــو (م) مَ الـــزَّحْـفِ من بعض الجُنـــود
وظِبـــاؤُه يـــوم الـــوَغَـى يَبْـــدُون فـى لِبَـــدِ الأُســـود

※ ※ ※ ※

يـــا دنشـــوايُ، هنَـــاك مـــا أحْـــرَزْت من مـــاض مَجيـــد!
قـــد طـــاب حـــاضِـــرُكِ السَّعيـــ (م) ـــدُ، وطـــابَ غـــابـرُكِ التليـــد
ذكـــراك كـــانت مَـــأْتَمًـــا بـــالأَمس، وَهْـىَ اليـــوم عيـــد
شهـــداؤُكِ الأَبْـــرارُ يَبْـــ (م) ـــتَسمُون فـى دار الخلـــود
ويهنَّئـــون النِّيل والْـــ (م) ـــهَرَمَيْن بـالعَهـدْ الجـديـد
رشَقـــوا جمـــالا بـــالـــزهـــو (م) ر؛ من الجِنَـــانِ ، وبـــالـــورود[2]

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) رشقه : رماه . والجنان : جمع جنة . والورود : جمع لم يسمع .

وإلى فلَسطينَ الشهيـــــد (م) ةِ قَـــدْ أشَــارُوا من بعيــد

قــولي لَهُمْ : صَبْــرًا جميـــ (م) ــلاً ! قــد دنــا يــومُ اليهــود

وغـــدًا نُطَهِّـــرُ أرضَنَــا مِنْ رِجْسِ عُبَّـــادِ النقــود[1]

---

(١) عباد النقـود : اليهود ، وجاء فى القرآن الكـريم عنهم : « ولتجدنهم أحرص النـاس على حياة » .

ذكرى العدوان الثلاثي !

أعياد النصر

نشرت هذه القصيدة فى الرسالة ، بتاريخ : ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ م .

وقفتُ أُبـــارِكُ أَعيـــادَهَـــا وَ أَتلُـو علـى الكـون أمجـادَهـا
وأَمجـــاد مِصْـرٍ تهـزُّ الـوجــودَ ويستَعْـذبُ الـدهــرُ إنْشَـادهـا
وآثـــارُهـــا كعبـــةٌ للفنـــونِ تُـــزَار ، أَلَـمْ تَــرَ قُصَّـــادهـــا ؟
أســاس الحضـــارة مَن خَطَّـــهُ ؟ ودنيـا المعـــارفِ مَنْ شـــادهـــا ؟
سَلِ الأَرضَ : من بثَّ فِيهَـا الحيـاةَ وصـــاح ؛ فَـــأَيْقـظ رُقَّـــادهـــا ؟
وأرْسَى علـى الأَرض أهْـــرَامَــــه فـــأَصغـرت الأرض أوتـــادهـــا ؟
ألاَ قل لمن طَـــافَ حـول الفضـاءِ ورام الكـــواكب فَـــارْتَـــادهـــا :
سَلِ النَّجم، يُخبِـرْك : أَنَّـا قـديمًـا بلغنـــا الشمـــوس وآرادهـــا [1]

❊ ❊ ❊

بعثتُ نشيـــدىَ فـى عيـــد مصـرَ يشـــارِكُ فى العـــزْف أعـــوادهـــا
وللنَّصْــــرِ أُنْشُـــودَةٌ لا تُمَـلُّ ولا يَسْـــأَمُ السمْعُ تَــرْدَادهـــا
تُـــرَتِّلُهـــا أَلْسُنٌ مثلمـــا تـــرتِّل فـى الليلِ أورادهـــا
أَلا ، إنَّنَـــا أُمـــةٌ حَطَّمتْ بقبضـــة « شمشـــونَ » أصفـــادهـــا
تُعَـــرِّض أجيـــادَهـــا للسيـــوف ولا يلمس الطـــوق أجيـــادهـــا
لأجل الحِمَى تُـــرْخِصُ المُهجـاتِ وتَصْهَـــرُ فى النـــار أجســـادهـــا
وتنسـى إذا حـــاربَتْ نَفْسَهَـــا وتـــذكـر فى الغـــد أحْقـــادهـــا

---

(١) آرادها : أصلها ، آراد جمع رأد ، ورأد الضحى : وقت شباب الشمس وارتفاعها .

وتعلـمُ أنَّ الهـــزيمـــة عـــارٌ يـــلاحق فى التُّـــرُب أجـدادهـــا
حيـــاضُ الـــردى أين رُوَّادُهـــا إذا نحـن لـم نـك رُوَّادهـــــا ؟
نخـــوض الحـــروب إذا أُوقِـــدَتْ وإن نـكُ نكـــره إيقـــادهـــا
وتعـــرفُنـــا البيـضُ عنـــد اللقـــاءِ كمـا تعـرف الصُّفْـرُ (١) نقادها

❊ ❊ ❊

ويـــوم القنـــاة دَهَـى المعتـــدينَ على حُـــرُمـات الحمَى مـــا دهى
سَمَـاوَاتُ « لنـدنَ » قـــد أرْعَـدَتْ فمـــا رَهِبَتْ مصــــرُ إرعـــادهـــا
وقُـــوَّاتُ « بـــاريسَ » قـــد أوْعَـدَت فمـــا خَشيَتْ مصــــر إيعـــادهـــا
وخلف ركـــاب الخَميسَيْنِ ســـاقت عصـــابـــةُ صِهْيَـوْنَ أوغـــادهـــا
سَلِ الحلف ـ حلْفَ الشياطينِ ـ : كَيْـفَ رأى غَـــابَ مصْـــرَ وآســـادهـــا ؟
جيـــوشٌ تُـــدِلُّ بـــآلاتهـــا رأَتْ فى الكنَـــانَـــة أَنْـــدَادهـــا
هُمُـــو حَسِبُوا مصـــر صَيْـدًا سمينًـا وقـــدْ تَقْنصُ الأسْـــدُ صَيَّـــادهـــا
ومـن رام لَحْمَ الكَــــواســـــر زادًا لَـــهُ ، تَـكُ أشـــلاؤُه زادهـــا
ومصـــر تَـــرُدُّ أذى مَنْ يُغيـــرُ عليهـــا ، وتَجْلِـــدُ جَـــلَّادهـــا
لقـــد عَبَّـــأَتْ مصـــر يـــوم القنـــاة من الحـقِّ والحِقْـــد أجنـــادهـــا
وغَى مـــا استطـــاع العـدو المغيـرُ بغيـــر الهـــزيمـــة إخمـــادهـــا
أدَار السَّـوادُ (٢) رحـاهـا ؛ فكـــانـوا جنـــودَ الحـــروب ، وقُـــوَّادهـــا
تـــرى الأُمَّ تـــزْحَفُ زحـف اللَّبَـــاة إليهـــا ، وتَـــدْفَـعُ أولادهـــا
لقد حسبتهـا السموات « بـدراً » (٣) فســـاقَتْ إلى مصـــرَ أمـدادهـــا

---

(١) يقصد : الدنانير الصفر .

(٢) يريد بالسواد : الشعب .

(٣) يشير إلى : غزوة بدر .

وكم حـرسَتْ مصْـرَ عينُ السمـاءِ وَكَـادَ الإلـٰهُ لمن كـادهـا

إذا ادَّرعـت أُمــةٌ بـالـيقـيـنِ تـولَّـى المُهيْمِنُ إنجـادهـا

ولم أنْسَ أن العـروبـة كـانت سـواعـدَ مصـر وأعْضَـادهـا

ولم أنس جِلَّقَهـا [1] حين مدَّت يَـدَيْهَـا ، ولم أنس بغـدادهـا

أراد المهـاجمُ تَشْتيتَهَـا فـوحَّـدَ بـالغـزو آحَـادهـا

وسـاد العـروبـةَ رُوحُ الـوِئام وأنْعمْ بـهِ حينمـا سـادهـا !

ومصـرُ مـلاذُ العـروبـة ؛ تَحْمِي حمـاهـا ، وتـرعـى لهـا ضـادهـا

وتـدفعُ عنهـا العـوادىَ حينَ تَنُـوب ، وتحمل مـا آدهـا [2]

وتـدرى العـروبـةُ أن جمـالا إذا جُـرِحَـت ، كـان ضَمّـادهـا

وتعـرف مصـرُ لـهُ أنَّـهُ إلى قِمَّـة المجـد قـد قـادهـا

وتعـرف أنَّ جمـالا أذلَّ عِـداهـا ، وأرغم حُسَّـادهـا

تـولى بمصـر زمَـام الأمـور فقَـوَّم بـالعـدل مُنْـآدهـا [3]

ويـاربَّ وال أراد صـلاح الْـ (م) أُمُـور؛ فَضَـاعَـفَ إفسـادهـا

وربَّ طبيـب قلَيـل المـرُون إذا مـا أَسـى علـة زادهـا [4]

عهـودُ المَظَـالـم زالَتْ ، فـلا سَقَـاهـا الغمـامُ ، ولا جَـادهـا !

ولم نتحـدَّ العـروشَ ؛ ولكـنْ هـو الظلـمُ زَلْـزَلَ أطـوادهـا

أرى المَلكيَّـةَ حُمَّتْ ، وبـاتَت من السُّقْـم تُـوئسُ عُـوَّادهـا

وسـاد السَّـوادُ البـلادَ وصـارَ ولاةُ الممـالـك أفـرادهـا

وعـزَّت نفـوسٌ علـى الهُـون رِيضَت ومن أَلِـفَ الـذلَّـةَ اعتـادهـا

---

(١) دمشق .

(٢) ما آدها : ما أجهدها .

(٣) مُنْآدها : معوجها .

(٤) كانت كلمة المرون فى الأصل بخط الشاعر : « المران » .

لقد كانت الأرْضُ حربًا على مَنْ سقاها ، ونَضَّرَ أعوادها

تفيض على ناعمات الأكفِّ نُضَارًا ، وتحرم حصَّادها

فكم من عراةٍ لهم سادةٌ منَ الخَزِّ تنسجُ أبرادها

وُحُوشٌ من الإنس ليست بغيرِ دمِ الشعبِ تنقع أكبادها

بأيد مُلَوَّثة ، لا تعفُّ من السحت تجْمَع إيرادها

جمالُ ، جمالُ ، حقوقُ الضعيف إذا سلبت كنتَ رَدَّادها

جمال، جمال، قيود الشعوب إذا أُحْكِمَتْ كنتَ حدادها

جمال ، جمال ،بِنَى الاحتلال إذا شُيِّدَتْ كنتَ هدَّادها [1]

غزوْتَ العروشَ، وبعد العروش تَتَبَّعْتَ بالغزو عُبَّادها

بَلَوْنَاك فى كل خَطْب؛ فكنتَ ذكىَّ القريحة ، وَقَّادها

إلاَمَ سُكُوتك عن عصبة تَولىَّ الشياطينُ إيجَادها ؟

أيَشْهَدُ مصرعَها الغَرْبُ يوماً كما شَهِد الغُرْبُ ميلادها ؟

بِرَبِّك : هل حانَ ميعادُها ؟ قد اسْتَبْطَأَ العُرْبُ ميعَادها

لقد سَئِمَ العُرْبُ طولَ الجمام وقد ملت البيض أغمادها [2]

---

(١) البنية : ما بنى، وجمعه : بنى .

(٢) الجمام : الراحة .

في عيد الثورة سنة ١٩٦٥ :

بين عهدين

لا مصرُ مصرُ ، ولا السُّكَّانُ سكانُ ... واد جديدٌ ، وقومٌ غيرُ من كانوا !

عهدان : هذا عزيزٌ ملْؤُهُ رَغَدٌ ... وذاك طابَعُه ذُلٌّ وحرمان !

ثلاثَ عَشْرَةَ مَرتْ لم تَدَعْ حجراً ... إلا تناوله نقْص وبنيان

خُطَا الشعوب وئيداتٌ ، فكيف بنا ... مرَّتْ علينا الليالى وَهْىَ أزمان ؟

يكاد ينكر طَرْفى ما أشاهدهُ ... كأَنَّ طرفىَ يرنُو وَهْو وسْنان

إذا مشيتُ بِسِيف النيل أنكرُهُ ... وربما أنكرَتْنِي منه شُطْآن (١)

قد كان يجرى ذليلَ الماءِ مكتئباً ... ما بَاله اليوم يجرى وَهْو نَشْوان ؟

على المَجَرَّة جرَّ الذيل مفتخرًا ... أما ترى الموجَ فيه وَهْو مَيْسان ؟

من للمجرة بالسَّدِّ الذى رفعتْ ... أسوارَه فوق ماء النيل أسْوان ؟

أين العميد بشَطِّ النيل يملكهُ ... طُرًّا ، كما ملك الدنيا سليمان ؟

وأين سُدَّتُه تَعْنُو الوجوهُ لها ... وتنحنى فوقها هَامٌ وأذقان ؟

والنيل يعصر للمحتَلِّ كرمتَهُ ... وسادةُ النيل للمحتل عُبْدان ؟

لا يُعجبَنَّ ذَليلاً حُسْنُ بِزَّتهِ ... بعض الثِّياب على الأحياء أكفان ! !

اليوم ينساب ماءُ النيل منطلقاً ... خَرِيرُهُ نَغَمٌ شاج ، وألحان

يارب عصر مضى لا النيل مُرْتَجزٌ ... ولا تحس خريرَ النيل آذان

يطيب للغاصب المحتل سَلْسَلُه ... وابْنُ البلادِ بماءِ النيل غَصَّان !

---

(١) سيف النيل : شاطئه وساحله ، بكسر السين .

لأَيُـــرْجِعُ الله عهـــدًا دال دائلــــهُ سـادَ السَّــوادَ بـه جــورٌ ، وطغيـــان

كلُّ امــرئٍ عـــاكف فيــه على وَثَن والمـــالكـــون زمـــامَ الأمــــر أوثــان

كُنَّـا وكـانت بــه أهـــدافنـا سِلعـاً لهُنَّ فى مصــــر أســواقٌ، وأثْمَـــان

يلى الـــزَّعــامــةَ فيــهِ كـلُّ مُتَّجِــر يـريـد ربحـاً ، وحظُّ الشعب خُسـران

من كـل صــائغ أقـــوالٍ مُنَمقَّــة كأنــه فـى مجــال القــول سَحْبـان

على المنـاصب بين القـوم معــركـةٌ كبــرى لهــا ألْـفُ ميدان ، وميــدانُ

والأجنبى يــديــر الحــربَ عن كَثَب فى مصــرَ ، وهْـوَ قريـرُ العين جـذلان

كــانـوا نَعَـاماً إذا نــارُ الـوغى اتَّقَـدتْ لكنهم إذ يَسُـــود السِّلـمُ فُـــرســـان

كم أنكـرتْ عهدَ الاستعمـار شرذمـةٌ هُمْ ـ لا سِوَاهُمْ ـ للاستعمــار أعوان

زعـامـةٌ كـان الاستقـــلال فى يَـدهَـا عصماءِ يعرضها فى السوق دِهْقَان [١]

ما كان فى يدها استعمارُ مصر سوى قميصِ عُثْمَـــانَ لمَّـــا مـــات عثمـــان

❊❊ ❊❊

تَمُّــوزُ بـالثــورة البيضــاء تـــاه على كل الشهــور ؛ فَغَضِّ الطَّـرْفَ نيســان

شتَّـــان بينهمــا : هـــذا يَفُــوح بــه زهْـــرٌ ، وذاك ليـــوم النصــــر إبَّـــان

أنعم بهـــا ثــورةً بـــاتتْ تسيــر على مِشْكَـــاتهـــا أممٌ شتى، وبلـــدان !

أثـارهـا عـربىُّ السَّمْت، أسْمَـرُ من صميم مصـــر ، بمـــاء النيل ريَّـــان

فى عصبـة مِنْ بَنـى الأهـرام شـامخـةٍ بِنَـا هُمُو ، لَـوْ يلين الصخْـرُ ما لانـوا

مُبَـــرَّئيـن من الآراب ؛ مــــا علقَتْ بمـــــا عليهم من الأثـــــواب أدران

غَـذَا همـــو من ثمـار النيلِ يـــانعُهـا ومن حَــــرَائر وادى النيـل ألبــــان

على أكفِّهمـــــو أرواحُهـمْ هِبَـــــةٌ منهم لتحْـــريــر واديهم وقُـــربـــان

---

(١) دهقان : التاجر ذو الخبرة .

لهم قُلـوبٌ علـى الأوطـان سـائلـةٌ ... من رِقَّـةٍ ، وَهْى يـوم الـروع صفـوان

لم يُـولَـدُوا فى قصـور العزِّ شـامخـةً ... تـزين أبهـاءَهـا حـورٌ وولـدان

بل أنبَتَتْهـم عصـورٌ كُلُّهـا محنٌ ... للظلم فيهـا ـ كمـا للطيْف ـ ألـوان

والشعب يُصْلحُـه أبنـاء جلْـدَتـه ... هيهات يأسُو جراحَ الشاء ذوبان !

لا يحسم القـولُ عـدوانًـا على وطنٍ ... وإنمـا يحسم العـدوانَ عـدوان

لا يطفىءُ المـاءُ نيـرانَ العـدوِّ إذا ... مـافـار؛ بل تطفـىءُ النيـرانَ نيـران

... ...

ثـلاثَ عشـرةَ مـا شـاب الشبابُ بهـا ... ولا تجـاوز سِنَّ الـرشْـد غلمـان

قـد حقَّقَتْ معجـزات لا يحققهـا ... لمصـرَ فى عـالم الأَحـلام إنسـان

ولا تنبَّـأَ رمـلُ الضَّـاربيـن بهـا ... إذا تنبَّـأَ بـالأسْـرار كُهَّـان

ولا تـدورُ لشعـر فى مُخَيِّلَـة ... والشعـر تَـدْنُـو لـه الشِّعْـرَى وَكِيـوان

أنَّى اتجهنـا ، رأينـا نهضـةً عَمَمـاً ... لهـا أسـاسـان : إنصـاف وعُمْـران

ياليت شِعْرِى : أعهد السحر قد رَجَعَتْ ... فيـه العصـا ، وهْىَ فـوق الأرض ثعبـان ؟

كلا ، لعمرىَ ، مـا السِّحْرُ المُبينُ سوى ... عـزمِ شديـدِ القُـوى ، يَحْدُوه إيمـان

... ...

عهـدُ الخـواقين قـد طَـاحَ الـزمـان بِـه ... ما عـاد يُزْهَى بتاج الملك خـاقـان (١)

قـد حطَّم المـاردُ العمـلاقُ قُمْقُمَـه ... فمـا لغيـر سَـوَاد الشعب سلطـان

والملكُ عبءٌ ، يـؤُود الظهـرَ محملُـهُ ... لا هـامـة عـاطـلٌ بـالتـاج تَـزْدان (٢)

ليستْ ملـوكُ الـورى أنصـافَ آلهـة ... ولا رعـايَا ، هُمُـو فى الأرض قُطْعـان

بـالأمسِ كـان لنـا عـرشٌ أُقِيمَ على ... غيـرِ الـولاء ؛ فلم يَصْلُحْ لـهُ شـان

---

(١) الخواقين : جمع خاقان ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الترك . وهى كلمة تركية .

(٢) يؤوده : يعجزه .

والعــرش عِــزَّتُــه من عِــزّ أمتــه   إن هـان شعبٌ على حُكَّامه هـانـوا
هيهـات يثبتُ عـرشُ الملك إن هـو لم   تسْنِـدْهُ من شعبـه المحكومِ أركـان !

... ...

تَمُّــوزُ ، ذكَّــرتَنِي مـا لَسْتُ نـاسيَـه   والـذكريـاتُ : مَسَرَّاتٌ ، وأحـزان !
ذكَّــرْتَنِى القصـرَ إذ كــان الجنـودُ بـه   وربُّـه عـن صـروف الـدهــر غفـلان
صــريع كـأسٍ ،غــريقٌ فى مبــاذلــه   ياليـت شعرى : أقَصْرٌ ذاك أم حَان ؟
الشعب كــان سجينــا عنــد مــالكــه   فبــاتَ وَهْــوَ لِرَبِّ التَّــاج سجَّــان
قضى شـريدًا ، فمـا أدمى القلـوب ، ولا   سـالتْ عليـه مـن الأجفـان غُـدران !
والـدهـرُ قـاضٍ؛ إذا جـارَ القضـاةُ على   حقّ ، ففـى يـده للعــدلِ ميــزان

من وحي المؤتمر

نشرت في مجلة الرسالة

العدد : ١٠٤٥ ، ٢٣ من يناير سنة ١٩٦٤ م

مَنْ هـؤلاء بـدار النـدوة اجتمعـوا ؟ الـدهـر ينظـرُ ، والتـاريخُ يستمعُ

سـادات يعـرب قد حطُّوا رحـالهمـو في دارهمْ ، وإلـى أوطـانهم نـزعـوا

كل البـلاد بـلاد العُـرْبِ أبـرجُهم في أيهـا نـزلـت أجْـرَامُهم ، سَطَعـوا

إن لـم تَسَعْهم بـوادى النيل أرْبُعُـه ففى الصـدور ، وفَـوْقَ الهـام مُتَّسع

يـا سـادةَ العُرْب ، حيَّـا الله مَقْـدَمَكم وبـاركت يـومَـه الآحـادُ والجمع !

الأمـرُ جـدٌّ ، ونعم النـاهضـون بـه أنتم ، ومَنْ غيـركم بـالأمـر يضطلع ؟

إن كـان للخصم أقـوامٌ تشـايعـهُ فـالحـقُّ ، والمـلأُ الأعلى لكم شِيَع

إن الـذيـن سكتنـا عن مَظَـالمهم لمَّـا سكتنـا عليهـم حقبـة ؛ ضَبَعـوا

لقـد مَدَدْنـا لهم حبلَ الـرجاء ، ولـوْ لـم : نمْـدد الحبل ، فى أوكارهم قبعـوا

تصَّـرف القـوم فى الأردُنِّ حين غـدا لهم : مَصيفٌ بشطَّيْـه ، ومُـرْتَبَع

إن يُطْلقوا يـدَهم فى نهركـم ، طمعوا من بعـدُ فى غيـره ، واستحكم الطمع

مَنَّـوْا بملك سليمـانٍ نفـو سَهُمُـو ولـو تحقَّـق هـذا الحُلْم مـا قنعـوا

لو يشـربون دمـاءَ العُرْبِ ، مـا نَهِلوا أو يـأْكلون لحـومَ العُـرُبِ ، ما شَبِعـوا

... ...

بـالله ، هل نَسِـى الأشـرارُ أنهُمُـو يـومَ القنـاة على أقفـائهم صُفعُـوا ؟

إذْ أقبلت دول العـدوان زاحفـةً زحف الأفـاعى ، وهـم فى ذَيلهـا تَبع

جـاء الثـلاثـةُ ، والشيطـان رابعُهم يحدوهُمُو حادِيَانِ : الحقدُ ، والجشع

وغـرَّهم من سبيـل الغـدرِ مـا سلكـوا وسـرَّهم من جنـود البغيِ مـا جمَعـوا
حتى وقفنـا لهم صفًّـا ؛ فمـا كسبـوا شيئـا ، ولكنَّهم بـالخـزى قَـدْ رَجعـوا
شـادوا من الـوَهْم آمـالا، فحين بَـدَتْ شمسُ الحقيقـة فى آمـالهم ؛ فجعـوا

* * *

إن الضبـابَ الـذى غَشَّى مـرابعَنـا من خُمسَ عَشْرَةَ كـاد اليوم ينقشع [1]
هم حـرَّكـوا فتنـة كنَّـا نتُـوق إلى يَـدٍ تحـرِّكهـا ، والخيـرُ مـا صنعـوا
مـؤَجِّجُ النـار تَصْـلاهـا جوارحُـه وحـافـرُ البئـر فى أعمـاقهـا يقَع
فَلْينقلـب سـائلُ الأردنَّ ألسنـةً من اللهيـب على شطَّيْـه تنـدلع
ومـا لهم وميـاه النهـر فى بلـد لا النهـرُ يعـرفهـم فيهـا ، ولا التُّرع ؟

* * *

الأرض تلعَنُهـم مـن تحـت أرجلهـم والأُفْقُ ينظـر شَـزْرا ؛ كلمَّـا طلعـوا
والشمس تطلع فيهم ، وَهْى كـاسفـةٌ والنجم يبْـدو عليهـم ، وَهْـو مُمْتَقَع
مَنْ هـؤلاء ؟ وما تلـك الوجـوه ؟ ومِنْ أىِّ الخـلائق هـذا المنظـر البَشع ؟
من أى وَكْـر ببطن الأرض قد زَحَفُـوا ؟ من أىِّ مستنقع فى جـوفهـا نَبَعُـوا ؟
سبحـان من زيَّن الـدنيـا وشَـوَّهَهُمْ ! إن الخليقـة ثَـوْبٌ هُـمْ بـه رُقَع
قد أضحك الكونَ : أن الـذئب جار على سبْع الفَـلاَة ، ولم يَفْتكْ بـه السَّبُع
وأن أجبنَ مَـنْ فـوق التـراب على أُسْدِ الشَّرَى منْ بنى عـدنان قد شجعوا
وأن شـذَّاذَ أهلِ الأرض قـد نـزلـوا جنـات عـدن ، وفى أفْيَـائهـا رتعـوا
مَنْ قال : إن الشَّرَى ــ والليثُ داخلهُ ــ لـلابقين وللشُّـرَّاد منتجـع ؟
لا تمنـعُ الظلمَ أقـوالٌ مُنَمَّقَـةٌ الظلم بـالنـار والفُـولاَذ يمتنع
وبـالـوقـوف أمـام الخَطْبِ محتـدمـاً صَفَـا قلـوبُ المنايـا منـه تَنْخلع

---

(١) يشير إلى : تـاريخ قيام إسرائيل ، ويأمل فى مؤتمـر الرؤساء العرب أن يخطط لإضعـافها وتقليم أظافرها .

حتى كأنَّ قلـوبَ العُـرْب قـاطِبَـةً ... قلبٌ ، وأضـلاعها مـن حـولـه ضِلَع

لا يحسب القـومُ أن الخُلف بينكُمُـو ... فى الـرأى معنـاه أن الشَّمْلَ مُنْصَـدع

بـالضـاد وثَّقَ ربُّ العـرش أُلْفتَنـا ... هيهـاتَ هيهـاتَ حبلُ الله ينقطع !

لن تـردعُـوهم بغيـر السيف منصلتا ... إن اللئيم بحـدِّ السيف يـرتـدع

وكيف نـردع شعبـا مـالـهُ خُلُقٌ ... يصـد عن منكـر، أو شـرعـة تـزع ؟

المـالُ عنـدهم دِيـنٌ يُـدَان بـه ... هـو التُّقَى ، وهُـو الإيمـان والـوَرَع

يكـادُ يسجـد للشيطـان سَاجِـدُهم ... فى القُـدْسِ، إن كان بـالشيطـان ينتفع

دُقُّـوا طبـول الـوَغَى ؛ فـالكل مُلْتَئِمٌ ... شَـاكى السِّلاح ، ليـوم الـزحف مُـدَّرع

العُـرْبُ أجمع قُـوَّاتٌ معبَّـأَةٌ ... إن قلتم : انـدفِعُـوا للغـارة ، انـدَفَعـوا

أبنـاءُ يعـربَ حبُّ الحـرب فى دمهمْ ... على الحفيظـة والإقـدام قـد طُبِعُـوا

من كل أرْوَعَ يلقـى المـوتَ مبتسمـاً ... فى سـاحـة الـرَّوْع: لا خـوفٌ ، لا فـزع

الـرُّوحُ يُسْلمُهـا طـوعـاً ؛ كـأَنَّ لـه ... فى الحـربُ روحًـا سـواهـا حين تنتـزع

إن يفعلـوا ، فتـراثٌ عـن أوائلهم ... سـارُوا على هـديهم فيـه ، وما ابتـدعـوا

ليست إلى العَـرَب الأمجـاد نسْبَتُنَـا ... إن نحن لـم نختـرع فى المجد مـا اخترعـوا

هُمُـو أوائلُ سنُّـوا المكـرُمـات لنـا ... لله والمجـد مـا سَنُّـوا ، ومـا شَـرَعُـوا !

وللعلـوم من الأسفـار مـا كتبـوا ... وللفنـون من البنيـان مـا رفعـوا

شـادوا الحضـارة بُنْيَـانًـا على أسس ... والدهـر فى المهد: لا كَهْـلٌ ، ولا جذَع

إن قيلَ : سلمٌ ، فهم فى السلم قـد نَبَغـوا ... أو قيل : حربٌ، فهم فى الحـرب قد بَـرَعوا

يا سـادة العُرْبِ، أمْرُ العرب فى يـدكم: ... إن تنطقـوا سَمِعـوا ، أوتأْمـروا صَـدَعـوا

ادعـوا تُلَبِّ فتـاةُ الحىِّ دعـوتكم ... قبـل الفتـى ، ويلـبِّ الشيـخُ واليفـع

إن تُقْـدمـوا فبنـو الإقـدام نحن ، وإن ... قلتم سـلامـاً فبـالإكـراه نقتنع

الـلاجئـون لهم، يـاقـوم ، مَظْلَمَـةٌ ... قـد خَطَّهـا قلمـان: الحُـزن ، والجـزَع

كأنَّنِى بهمُــو إذ هــان أمــرُهُمُــو ... ودُّوا لَــوَ انَّهُمُــوا قبل الهــوان نُعُــوا

سِيمُوا الخضــوع ؛ فعافُــوه ، وكيف بِهِ ... وهم لغيـر جَنَـاب الله مـا خضعـوا ؟

تملَّكت عصبــةُ الأشــرار مـا رفعــوا ... من البِنَى ، وجنتْ فى الأرض ما زرعوا

لهم على الأرض أكبــادُ تـذوب أسًى ... غيرَ الهَوَان ، وغير البـؤس مارضعوا !

تحت القِبَاب ـ قباب العـزِّ ـ قد نَشأُوا ... لكنَّهم فى خيــام الـذُّلِّ قــد وُضعـوا

عاشـوا على فضلات المحسنيـن بها ... السُّمُّ مـا أكلوا ، والمرُّ مـا جَرَعـوا !

الـلاجئـون بظهـر الضــاد قـاطبـة ... جُـرْحٌ عميقٌ ، وهم فى قلبهـا وجع !

وكيف يَجْفــو لـذيــذُ النـوم أعينَهم ... وفى المضاجع إخوان لهم هجعو ا ؟

بــالله ، لا تقبلــوا فيهـم مُســاومـةً ... مع الخصـوم ؛ فمـا أعــراضُنَـا سِلَع

الشـرق يـرقب مــا يُمْلِيـه جَمْعُكُمُـو ... والغــرب ينظـر مــا يأتى ومـا يــدع

ورُوُحُ كلِّ شهيــدٍ فـى الجِنَـان على ... قـــــراركم مـن وراء الغيب تَطَّلع

السـاجدون لكم يـدعُون إن سجـدوا ... والـراكعـون لكم يـدعـون إن ركعـوا

حتى المساجد كادت ـ وَهْى من حجرٍ ـ ... مع المصلين تـدعـو الله ، والبِيَع [1]

---

(١) البيعة ـ بكسر الباء ـ : معبد النصارى .

نشيد الوطن السليب

أثيروها ، فنحن لها جنود ... وهم بدل الهشيم لها وقود
تطلع نحونا وطن سليب ... به وبأهله عبث اليهود

إلى الوطن السليب غدا نعود

أثيروها فأشرار البرايا ... لها دون الأنام هم الضحايا
ولو أن المنايا حالفتهم ... سقيناهم وإياها المنايا

أثيروها ... ... إلخ .

إذا ما الحق أنكره الطغاة ... ولم تظهره آي بينات
فأفواه المدافع ناطقات ... وألسنة اللهيب لها لغات

أثيروها ... ... إلخ .

دعاة الشر كم نقضوا العهودا ... فلا تبقوا لدولتهم وجودا
وما غصبوا فلسطينا ، ولكن ... بها حفروا لأنفسهم لحودا

أثيروها ... ... إلخ .

برئنا من تراث ابن الوليد ... وأمجاد الأبوة والجدود
إذا زحف المغير على الحدود ... فلم نفتك به فتك الأسود

أثيروها ... ... إلخ .

لنا أرض بها أسد وغاب ... وجو فيه يحترق السحاب
لنا ماء يحيل البحر جمرا ... به للمعتدى سم مذاب

أثيروها ... ... إلخ .

وقفنا كالرواسى للنضال ... نصون العرض بالمهج الغوالى
لنا من حقنا المسلوب جند ... وجند من عناية ذى الجلال

أغنيـــة :

وطن ينادي أهله !

١٠ من يولية ١٩٦٧ م

أخى ، هـذه الأرضُ مـا شـأْنُهَـا ؟ ... يكـادُ يُنَـاجيكَ بنيـانُهـا !

تكـادُ لفَـرْطَ أَسَـاهـا تفيضُ ... من الـدَّمع ـ لا المـاءِ ـ غـدرانُها !

بِـرَبّك : هل فَقَـدَتْ أهلَهَـا ... فـزادتْ على الأهل أحْـزَانُهـا ؟

لقـد حلّهَـا غيـرُ سُكَّـانهـا ... وعنهـا تَـرَحَّلَ سُكَّـانُهـا

على بـابهـا صاح طَيْـرٌ غـريبٌ ... فَنَـاحَ على طَيْـره بَـانُهـا !

إذا ذُكـر العُـرْبُ ؛ حنَّتْ ، وأنَّتْ ... وراحَتْ تُلـوِّحُ أغصـانهـا !

وصـاحت تُهيبُ بجيـرانهَـا ... فهل سَمعَ الصَّوْتَ جيـرانُهـا ؟

فلَسْطِينُ ، أرضُ العُـرُبـة عَيْنٌ ... وأنتِ مـن العَيْن إنْسَـانُهـا

فـلا غَمَضَتْ عنك عينُ فتَـاكِ ... ولا ذاقَت النَّـوْمَ أجفـانُهـا

إلـى أن أُقبِّل أرضَكِ سَبْعـاً ... فتهـدأ نفسى وأشجـانُهـا

فإن عشت ، تخْمُـدْ بقلبى حقـودٌ ... تَسَعَّـرُ فى القلب نيـرانُهـا

وإن متُّ ، لـم تُنسنيكِ الجنـانُ ... وَحُـورُ الجنَـانِ وَولْـدَانُهـا

وَخَلْفى لِثـأْرى وثَـأْر بـلادى ... أُسُـودُ الحُـرُوب وفُـرْسـانُهـا

إذا صفَحَـاتُ البطـولـةِ خُطَّتْ ... فـإنَّ العـروبـةَ عُنْـوَانُهـا

ودينُ العُـروبـةِ ـ بعـد الإلـه ... وبعـد النَّبِيِّينَ ـ أوطـانُهـا

فلَسْطين : أرواحُنـا الغـاليـاتُ ... بِبـابكِ تَـرْخُص أَثْمَـانُهـا

بـلادِىَ ليست لغيـرى ، ونَفْسِى ... ونَفْسُ وَحِيـدِىَ قُـرْبَـانُهـا !

على هامش المعركة :

إلى مجلس الأمن

يـا مَجْلسَ الأمن ، جِـدٌ أنتَ أم لعبُ ؟ وصـورةٌ حيَّـةٌ ، أمْ هيكلُ خشبُ ؟

أُسطورةأنت فى العصر الحديث ، غدًا تـروى أحـاديثَهـا السُّمـار والكتب

مَبْنَـاكَ دارٌ لحفظ الأمـن سـاهـرةٌ عليـه ، أم مُنتَدًى تُلْقَى بـه الخُطب ؟

فى كلِّ يـومٍ تُـدينُ الغاصبين ؛ فلا بالحكم دَانُـوا ، لا ردُّوا الذى اغتصبوا

مـا بَالُ خَـدِّك من لطـم اليهود لـه كأنَّمـا هـو بـالحِنَّـاء مُخْتَضِب ؟

لَقَـدْ أذلَّك ذلاًّ غيـرَ محتمَـل شَعْبٌ ذليـلٌ إلى صِهْيَـوْنَ ينتسب

وَيْحى على معشـر قـادَتْهم امـرأةٌ بكل أحكامكَ الحيطانَ قـد ضربوا ! (١)

إذا تحـدَّتْ شعـوبَ الأرض قـاطبـةً أُنثى ، فَقُـولـوا ليـوم الحشـر يَقْتـرب!

يـا مجلسَ الأَمن ، من أَمَنْتَـهُ فَـزِعٌ من خـوفه قلبُه فى صـدره يَجِب! (٢)

ومن أغْثَتَ بُغَـاثُ الطَّيْـرِ تخطفـهُ ومن أعَنْـت فـلا جَـاهٌ ولا نَشَب (٣)

من اكتسى بِكَ عَـارٍ ؛ لاَ كِسَـاء لَـهُ يكسـوهُ إلا الرِّيـاحُ الهُوجُ ، والسحبُ

وليـس مَنْ تَتَبَنَّـاه لِتَحميَـهُ إلا يتيمـاً لـه الهَمُّ المُقيم أب

وَعَـاجِـزٌ أنت عن إنصـافِ مُهْتَضَمٍ عجْـزَ الثعالب عـن كرْمٍ بـهِ عنب (٤)

* * *

لمجلس الأمن أحكـامٌ تـذوبُ ، كمـا ذابَتْ فَقَـاقِيعُ كـأس حَفَّهـا حَبَب

يا طـولَ ما ضحكتْ بِيضُ الصحائف مِنْ أحكامه ، وشَكَتْ أقلامُ مَن كتبوا !!

---

(١) ويحى : عجبى .

(٢) يجب : من وجب القلب وجيباً ، إذا اضطرب .

(٣) بغاث الطير ـ بتثليث الباء ـ : أشرارها وضعافها . والنشب : المال والعقار .

(٤) المهتضم : المظلوم .

مـا شـاهـد النـاسُ قَبل اليـوم مَحْكَمَـةً ... لَم تَمْـحُ إثمًــا من الآثــام يُـــرْتَكَب

ولا قُضَــاةً يَهَــابُـــونَ الجُنَــاة ؛ فهم ... يُغْضُــون إن أزهقــوا الأرواحَ أو نهبــوا

تَكَـالَـبَ القـومُ حــولَ الأرض وانتشـروا ... مثل الجراد بها ، واسْتَحْكَم الكَلَب [1]

فى كل يــوم جــديــدٌ مِنْ تَــوَسُّعِهِمْ ... حَتَّى تَخَــوَّفَـت الأفــلاكُ والشهُب

هم يشـربـون دمــاء النـاس إن ظمئـوا ... ويــاكلـون لُحُـومَ النـاس إن سغبــوا

لا يَهْنهم من لحــوم النـاس مــا أكلُـوا ... أو يَهنهم من دِماء النـاسِ ما شَـرِبُوا ! !

إن تَتـرُكـوهُمْ ، فلن يُشْفَى سُعَـارُهُمـو ... يـومًـا ، ولن يَقْنَعُـوا يــومـاً بمـا سَلَبُـوا

يا سَاهـرين على الأمن ، اهْجَعُوا ؛ فلقدْ ... طَــال السُّهـادُ بكـم ، والأمنُ ينتَحِب !

صــونُــوا كــرامتكم ممن بهــا عَبِثـوا ... أو فَاستـريحوا ؛ فقـدْ أضْنَاكُم التَعَب!

لا تعجلـوا بـاتهــام القـومِ ، والتَمسـوا ... عُـذْرًا لآثــامهم ، واقْضـوا بمــا طلبـوا

ودَلِّلُـــوهم إذا لم يُـــذْعنُـــوا لكمُـــو ... إن المــــودَّة بـــالتـــدليـل تُكتَسب

وَبَـــرِّئُوا كـل جــانٍ من جِنـــايتـــهِ ... إذا بَـــدَا لَكُمُـــو فى وَجْهِـــهِ غَضَب

***

يـــا مَنْ وهبْتُم لنـــا أمْنًــا نعيشُ بـــه ... عَفْـوًا ، ألاَ يملِكُ الإنســانُ مـا يَهَب ؟

فأَمِّنـوا ــ قبل أمن النـاسِ ــ أنْفُسَكُمْ ... أوْ ، لاَ ؛ فليـس لهم فـى أمْنِكُـم أرَبُ

مــاذا فعلتم سِـوَى أنْ صَـار عــالَمُنَــا ... غــابًــا تحكَّم فيــه مَـنْ لــه الغَلَب ؟

نَــارُ الحـروب التى فـى العـالَم اتَّقَـدَتْ ... أنتم لهـا ــ قبلَ من يَصْلَوْنَهـا ــ حَطَب

لا تَهْتِفُـــوا بشعـــاراتٍ مُـــزَيَّفَــــة ... مَـا السلم ، والأمن إلا المَيْنُ والكـذب

يــاليتَ مَغْنَــاكُمُــو مَغْنًى يطيب لنــا ... فيـه الغِنـاءُ ويحلـو اللَّهْـوُ والطَّـرَب !

أجْدَى على الأمن من أقْطَابِ مجلسكم ... كَلْبٌ على اللِّصِّ ـ إذْ يَغشى الحِمَى ـ يَثِب

هَـذِى قـراراتكم شَـلاَّءُ ، مُـودَعَـةٌ ... غَيَابَـةَ السجن ، عنهـا النُّورُ مُحْتَجِب

---

(١) الكلب : الداء المعروف ، والأذى والشر .

أحكـامكم عَـاطِـلاتٌ لا يُنَفِّـذُهـا ... إلا الحـديـدُ وإلا النَّـارُ تلتهب

الحكم مـالم يَجِـدْ سيفًـا يعـزِّزُهُ ... خُـرافـةٌ ؛ مـالهـا رَأْسٌ ولا ذَنَب

لا أمْنَ فى الأرض مـا لم يَحْمِ حَـوْزَتـه ... جيشٌ يـرد جِمَاحَ المعتـدى ، لَجب

شـدوا على من أثـاروا حَـوْلكم شَغَبـاً ... بـالحَزْم لا بـالتَّـراخى يُحْسَمُ الشَّغَبُ

وأدِّبُـوا مَنْ عصـاكم بـالسـلاح ؛ فقـد ... يُقَـوِّمُ الأنفسَ المُعْـوَجَّـةَ الأدب

رُدُّوا اعتبـاركمو يـا ،قوم، حسبكُمُـو ... حِلْمًا ؛ لقـد فَقَدتْ أحلامَهَـا العَرَب

على هامش المعركة :

كلب بلفور

« وجهت إسرائيل إلى بريطانيا إنذاراً ، تطلب فيه : أن تعدل قانونها بحيث لا يسمح للفلسطينيين أن يزاولوا فيها نشاطهم » .

مَنْ سَمَّن الكلبَ أمسى منه مَعْقُورا — يا جيرة « المَنْشِ » ، هذا كلب « بلفورا »

الذنبُ ذنبكُمُو ، والكلبُ كَلْبُكُمو — ما زال يَسْمَن حتى بات مَسْعُورا

لولاكمو ، لم يجد نابا ولا ظُفُرا — ولا رأت عينُه — لَوْلاَكُم — النُّورا

وكيف يزجر هذا الكلبَ زاجرُهُ — وليس عن عَضِّ من رَبَّاه مَزْجُورا ؟

عَضَّ اليمينَ التى كم أطعمتْ فَمَهُ — وكم سقَتْهُ النَّمِير العذبَ مقطورا

وسوف يَعْقرُ أمريكا بفيه غدًا — إن لم تُعِدُّوا له قَيْدًا وسَاجُورا

وسوف يَنْبَحُ من لاقى ويَجْرَحُهُ — ما دام يلقَى له نابًا وأظفورا

ألقوه فى جَوْف جُبٍّ لا قرار لهُ — وخَلِّفُوه بجوف الجب محصورا

إن تطرحوه بماء البحر، دنَّسهُ — فطهروا منه ماءَ البحر تطهيرا

بأىِّ عينٍ نظرتم يومَ مَوْلِدِهِ ؟ — كانت عيونكمو حوْلاءَ أم عُورا ؟

يَا ليتكم يوم أن ربَّيْتُمُوه لنا — أبْدَلْتُمُونَا به أفْعَى وخنزيرا !

دَلَّلْتُم الكلب حتى كاد سادتُكم — يدعونه : ملكاً ، أو إمْبراطورا

إذا سمعتم نُباحاً منه أطْرَبَكُم — كأنكم قد سمعتم منه مَزْمُورا

وإن دنا منكمو قبَّلْتُمُوه كما — يُقَبِّل الحورَ صبٌّ يَعْشَق الحورا

وإن تجَهَّم قمتم حول مَضْجَعهِ — حتى ينامَ قريرَ العين مسرورا

وإن يَبُلْ فى سرير من أسرَّتكم — شَممْتُمو بولَه : مِسْكًا، وكافورا

إن الثِّقَاب الذى أشعلتموه ، غدًا ... يُؤجِّجُ النار فوق الأرض تَنُّورا
بالأمس أنكرتمو شرَّ اليهود إلى ... أن أصبح اليوم ملموساً ومنظورا
لم تُنصفوا يوم آوَيْتُم ـ بلا حذر ـ ... شعبًا على النَّفْى والتشريد مفطورا
شمَّ الهواء ؛ فثار الشر فى دمه ... يا ليتهُ ظل تحت الأرض مطمُورا !
ما ضَرَّ إن حاولوا إنضَاج خبزهِمُو ... لو أحرقوا كوكباً بالناس مَغْمورا ؟
قد أسْكَر القومَ نصرٌ زائفٌ ظفروا ... به ، فلا تَعْذِلوا من بات مخمورا
الفأرُ فى حانة الخَمَّارِ إن تره ... لألْفِ هرٍّ تَصَدَّى ، كان معذورا

* * *

يا مَنْ جَلَبْتُم لنا هذا الوباءَ ، خذوا ... نصيبَكم منه قبل الغير موفورا
ما كنتُ أحسَب إسرائيلَ تنذركم ... وقد بنيتم بها من خَلْفِكُم سُورا
أنتم حفرتم بها فى الشرق ساحتكم ... يا ليته كان بالقرصان مخفورا !
كم راع إنذارُ إسرائيل ليثَ شرًى ... عن غابِهِ ارتَدَّ « نابليونُ » مقهورا
تلفَّت الجيش عبر المَنْشِ من فزع ... إذ ذاك ، وانْتَفَضَ الأُسطول مذعورا
ويْحى على الدولة العظمى ؛ أتيح لها ... مَنْ راح يُوسِعُها ذُلاً وتحقيرا !
زُجُّوا بقانونكم فى البحر ، والتمسوا ... سواه حتى تنالوا عَطْفَ « مائيرا »
« جولدا » تُدِلُّ عليكم دَلَّ غانية ... ليس الدَّلال على الحسناء محظورا
وكل تِيه من الحسناء مُحْتَمَلٌ ... وكل ذنب جَنَتْه كان مغفورا
إن لم تقوموا بتقديم الولاء لها ... يرتدَّ أُسطولُكم فى البحر مَدْحورا
وانهار شاطئكم من تحتِ أرجلكم ... وبات بالنار ـ قبل الماء ـ محصورا
وكيف لا، ولها جيش تصولُ به ... لو حارب الجِنَّ طُرًّا عاد منصورا ؟
ما بال دستوركم : عَدْلاً، وتسويةً ... بين الجميع ؟لَحَاهُ اللهُ دستورا ![1]

---

(١) لحاه الله : قبحه .

لقــد تطــوَّرت الــدنيــا بِــرُمَّتِهــا ... ولم يــزل جــامِــدًا لم يلق تطــويــرا

ويلٌ لهم !أئذًا جــافــى مطــامِعهم ... قـــانــونُ دولتكــم عَــدُّوه مَبْتــورا ؟

قــولــوا لهم، يضعــوا أحكامَــه لكمــو ... أو فــاجعلــوا الأمر فيمــا بينكم شُــورى

دار الــزمــان ؛ فصار العبــد يَأْمُــر، أوْ ... ينهى ؛ ومـــولاه مَنْهِيًّــا ، ومــأْ مــورا

مـا كــان فى شــرعكم أمْتٌ ولا عِــوَجٌ ... لكنْ تَجَنَّــوْا عليــه وادَّعَــوْا زُورًا (١)

متى نَفَــى وطنُ الأحـــرار مهتضمـــاً ... يـــريــد للــوطن المحتــل تحــريــرًا ؟

إن تأو بعضَ ضحــايــاهم بــلادُكمــو ... فكم أوَتْ فَـــاجِــرًا منهمْ وشِـــرِّيــرًا

لا تتــركـــوا أحـــدًا يــرتــاد واديَكم ... وصَيِّـــرُوهُ على الصَّهْيَــون مقصـــورا

مــدَّ اليهــود إلى التــاميــز أعينهم ... فهل يـــريــدون فى أحيـــائه دُورا ؟

أهم بــ « لنــدن » فى التوراة قــد وُعدوا ... أو جــاء ذلك فى التلمود مسطــورا ؟ !

يا جيــرة المَنْشِ، أضحى ليثُكم جُرَذًا ... وصــار شاهينُكم فــى الجو عصفــورا !

---

(١) الأمت : الضعف ، والوهن ، والشك ، والعيب .

نشيد
مدينة الأَقصر

يـــا بلـــدة الأَقصُـــرْ　　دانـتْ لـك الأعصُـــرْ
واديك كـــالأسطـــرْ　　فـى صفحـــة الخلـــدِ

❋ ❋ ❋

لِمُلُـــــوك واديكِ　　شهـــدت أعـــاديكِ
كـم معبـــدٍ فيكِ　　أَرسَـى مـن الطـــود

❋ ❋ ❋

يـــا كعبـــةَ الغـرْب　　فـى دولـــة العُـــرْب
كـــم فيـك مـــن ركْـب　　كـم فيك مـن وفـــد

❋ ❋ ❋

كـم فيك من سِفْـــر　　قـــد خط بـــالتبْـــر
من ســـالف الـــدهـــر　　نقشًـــا علـى البـــرْدِى

❋ ❋ ❋

آثـــارك الغَـــرَّا　　قـــد صيـــرت مصْـــرا
بيـن الـــورى طُـــرَّا　　علَمـــاً علـى المجـــد

❋ ❋ ❋

فى تـــربك الطـــاهـــر　　مجـــدٌ لنـــا غـــابـــر
سيُعيـــده نـــاصـــر　　بـــالعـــزم والجـــد

عبـــــرات !

رويدك يا جمال !

نهضتَ بمـــا تَنُـــوءُ بـــه الجبـــالُ فكيف يطـول عمـرُك يا جمـال ؟ (١)

رويـدك ، يـا جمـــال ، فأنت تشكـو وللجسـد الـذى يشكـو احتمـال

فتًى لم يستكـنْ للـــداء لَمَّـــا غـــزاه ، كأن غـزوتــه احتـلال

أيحســب أن داء القلــب خصـمٌ وأن الحــرب بينهمــا سِجَــال ؟

ومـــا أخْنى عليـــه الــداء لكن شجـــاعتُــه هـى الـداء العُضــال

صـريعَ القلب ، مـا خَلَّفْـت قلبـاً بصـــدر لم يُخَـــامِـرْهُ اعتــلال

أيشكـــو قلبُك الخفَّـــاقُ ضِيقـــاً وقلبك لا يحيـط بـــه خَيَـــال ؟

وفيـــه لكل محـــزون مكـــانٌ وفيـــه لكل مكـروب مجـــال ؟

أيسكت ، والقلـــوب لهـــا وَجِيبُ ويبِسَ ، والرياض لها اخضلال ؟ (٢)

أيسكـن والكــــواكب دائراتٌ كأنَّ الكـون ليس بـه اختــلال ؟

أيَغْـــوِزُهُ دم ، ولنـــا عـــروقٌ جـــرت فيهـــا دمـــاء لاَ تُكَــال ؟

❋ ❋ ❋

عـــلام تشـــدُّ رحلك يـــا جمـــال ؟ رويـــدَك ! لم يَحِنْ لك الارتحـــال

رســـالتُك التـى أنفقْتَ فيهـــا حَيَـــاتَك ، مـــا أُتِيـح لهـــا الكَمَـــال

لكم عَلَّمتنـــا صبـــرًا جميـــلاً وأين الصبـــر بعـدك والجمـــال ؟

ومـــا نَعْصِى نصـــائحَك الغَـــوَالى ولكـن كيف يمكـن الامتثـــال ؟

مصـــابُك لاتخففُـــهُ دمـــوعٌ ومجـــدك لا يصـــوِّرُهُ مَقَـــال

---

(١) تنوء الجبال : تعجز .

(٢) وجيب القلب : اضطرابه وخفقانه . اخضلت الرياض اخضلالا: كثرت أوراقها وأغصانها .

سَمَـوْتَ إلى السُّهَـا حيًّـا ، وَمَيْتًـا ... ومــوتـك ليلـــةَ الإسْــرَاء فَــالُ

كأنـى بـــالتـــراب عليك يبكى ... ويصـــرُخُ فـــوق قبـــرك إذ يُهَـــال

جـرى النيلُ الحــزين عليك دمعـاً ... وســال دمــاً على البطل « القنــال »

صخـور السـد بعـدك نـاطقاتٌ : ... بأنْ لا شىءَ فـى الـدنيـا محــال

بحيــرةُ نــاصـرٍ مـاذا دَهَـاهَـا ؟ ... دمـــــوع تلك أو مـــاء زلال ؟

* * *

قبضـتَ علـى أزِمَّتهـــــا بكـفٍّ ... كأن بنـــانَهـــا قُضُبٌ صقـــال

ويختلف الــرجــال كمــا أرادوا ... فإن أو مــأت أنت ، فـلا جـدال

وتعلم أنَّ عـــرش الحكم سُهْـدٌ ... وجهـــــد ، لا دلالٌ واختيـــال

وأنَّ مَن استقــــر عليــــه ، تُلْقَى ... علـى كتفيــه أعبـــاء ثِقَـــال

فلـم يغمض لـــه فـى الليل جَفْـنٌ ... ولم يهــدأْ لــه فى الصحــو بــال

إذا كــانت عـروسَ الشـرق مصـرٌ ... فأنـت بخــدِّهـــا الــوَرْدِيِّ خــال

* * *

صَمَتَّ ، وكـم خطـــابٍ منك دَوَّى ... بأسمــاع الــورى وَهْــو ارتجــال !

إذا أطلقْتَـــــه أصغـى جَنُـــوبٌ ... إليـــه ، وأرهف الأُذنَ الشَّمَـــال

وشـــر الصَّمت صَمْتٌ مِنْ بَليغ ... لــه فى المحفـل الخُطبُ الطـوال

حــديث لا تكلُّفَ فيـــه ، بــاد ... ولا بـــادٍ عليـــه الافْتِعَـــال

إذا أَلقيتــــه وسَـط احتفــــال ... تكهْـــرَب أو تمغطسَ الاحتفـــال

تــزيِّنُــهُ حقـــائقُ ســـافـراتٌ ... سفــورَ الغِيـد تبـرزهـا الحجـال

ومــا لغـة السيــاســةِ غيــرُ زيْفٍ ... ومــا مــدلـــولهـــا إلاَّ ضـــلاَل

وخيــر القـــول مــا أمــلاه طبْعٌ ... وأصـدقُـه هــو السِّحْـرُ الحــلال

عهـــدتك تبتنى للخُلْقِ رُكْنًــا بعصـر ســاد فيـه الانحـلال
تـريـد لهـذه الـدنيـا سـلامًـا تـآخى اللَّيْثُ فيــه والغــزال
وعهــدًا من رخـــاءٍ ؛ لا فقيــرٌ يمــد يـديـه فيــه ، ولا ســؤال
فمـــا فى النـــاس من بَشِم عَلِيلٍ ولا طــاوٍ أضَــرَّ بــه الهُــزَال (١)
ولا شعـبٌ تحكَّـم فـى ســـواه ولا عـــانٍ بـــرجليــه شِكـــال
تـريـــد العيش تسـويـةً وتَـــأْبَى إرادتُـك الطبـــائع والخصـــال
وكيف يســودُ فى الـدنيـا سـلامٌ إذا لم يَخْـم حَــوْزَتَـه القِتَـال ؟

❊ ❊ ❊

وقـالــوا : عـاش فـى دنيـاه فـذًّا فقلت : ومـات مـوتـاً لا يُنَـال
وشُيِّعَ نعشُــه فى مِهْـــرَجَـــان تحفُّ بـه المَهـابـةُ والجـلال
ومـاج النـاس حـولَ النعشِ مَـوْجـا كأن الحــزن ذَوَّبَهُمْ ؛ فســالــوا !
مشينـــا ، لا نصــدِّقُ مــا نــراه وكيف نَـرَى وللـدَّمْعِ انهمـال ؟
نُكـــذب مَــوْتــه ، ونشكُّ فيــه ولاشكٌّ ، هنـــاك ولا احتمـــال
فَلَمَّــا طـــاشت الآمـــال قلنـــا ــ على مضض ــ : إلى الله المـآل
ومـالــوا بـالــرَّئيس ليـدفنـوه فهل مـــال المقطم حين مـــالـوا ؟
ومـا ســالـت دمــوعُ العين إلا لتطفىء مهجـــةً فيهـــا اشتعـال
وبعض الـدمع ذوبُ القلب سَـالتْ عُصَــارتُـه ، وبعض الـدمع آل (٢)

❊ ❊ ❊

نعـاه النـاس فى شـرق ، وغـرب كـأنهمــــوا لــــه صَحْبٌ ، وآل
ومــا ورِث السيـادةَ عَنْ جـدودٍ ولا شهــر اسمَـــهُ عَمٌّ وخــال

---

(١) البشم : الإكثار من الطعام إلى حد التخمة ، وأبشمه الطعام : أتخمه ، والطاوى : الجائع .

(٢) الآل : السراب ، والمراد : الخداع .

فقل لمُفَــاخــر بأبيــه : هـل من | أب للشمس ؟ وابـنُ مَن الهـلال ؟
إذا فخـر العصـامِيُّـون يـومـاً | بأنفسهـم، فـأَنْـتَ لهم مثـال

* * *

تعـالـى الله! إن المـوت حق | ومـا للطبِّ فـى المـوت احتيـال !
وكم مُتَـدَثِّـر صُـوفـاً وقطنـاً | حِـذَار البـرد أدركـه السُّـلَال ! [1]
وكـم عينٍ مُكَحَّلَـةٍ بسحـر | لهـا فـى القبـر بـالتـرب اكتحـال !
ألا ليـت العظيـمَ يَظَـلُّ حيّـاً | ولا يعـرُوه شَيْبٌ واكتهـال !
دَفَنَّـاه بـأيـدينـا ، وكُنَّـا | نُـزَاعُ إذا أَلَمَّ بـه سُعَـال !
قضَى ـ كـابن الـوليد ـ على فـراش | وكم أخْطَـاه غَـدْرٌ واغْتِيَـال
فـلا نـام الجبـانُ قـريـرَ عين | ولا صَلَحَتْ لـوَاهـى العـزمِ حـال
إذا حـان الـرَّدَى، فـالمـاء سمٌّ | كأن المـاء تنفثُـه صِـلَال [2]
وإن كُتبتْ لمخلـوق حيـاةٌ | تثلمـت الأسنَّـةُ والنِّصـال
ولا يفنى عظـامُ النـاس، لكن | إلى التـاريخ مَـوْتُهُم انتقـال
حيـاةٌ فى صـدور النـاس، أو فى | بطـون الكتب ليس لهـا زوال

* * *

سَلُـوا رَكْبَ العـروبـة فى البـوادى | تَخُبُّ بـه النَّجَـائب والجمَـال
بِبَطْـن الأرض تستـرهُ وهـادٌ | وفـوق الأرض تُظْهِـرُه تـلال
سَلُـوه :عَـلَامَ ينتحب انتحـابـا | وتنتحب الـرَّوَاحلُ والـرِّحـال ؟
لقـد عصفت بحـاديـه السَّـواقى | وغَطَّتْـه الجنـادلُ ، والـرِّمَـال
وظـل الجسْـمُ يتبعـه ،ولكـن | جمـالٌ لم تَغبْ مَعَـهُ الظـلال
كأنـى بـالفقيـد مِـنَ الأعـالى | يشـاركنـا إذا احتـدم النِّـزال

---

(١) السلال ـ بضم السين ـ: مرض يصيب الرئة ، يهزل صاحبه ويضنيه .

(٢) الصلال : جمع صل ـ بالكسر ـ وهى : الحية الخبيثة .

وتهتف روحـــه : مـــالـى تـــراث أخلفـــــه لكـم إلا النِّضـــــال

وإلا مـــــا ورثتم مـن خـــــلالى ونِعْمَتْ ثـــــروةً تلـك الخِـــلال

* * * *

جنودَ العُـرْبِ، والوُا الـزحف، لَسْتُمْ كتـــائبَ نـاصـــر إن لم تـــوالـــوا

وإن تُمْـــددْ أعـــاديَكم بجنـــد أبــالسـةُ الجحيم، فــلا تبـالـــوا

وغـــالـــوا بـــالنفـــوس ، فإن ينلهـــا من الأهل الهـــوان ، فــلا تغـالـــوا

وحـرب الأهل ـ مـا دارت رحـاهـا ـ مَغبَّتُهـــــا على كـل وَبَـــــال

أفى حـــرب المصيـــر مع الأعـــادِى يَــدبُّ إلـى صفــوفكم انفصــــال ؟

أليس لكم بِمَـنْ غَصَبُــوا حمـــاكم عن الشحنــــاء بينكم اشتغــــال ؟

دمــــاءُ الأهل فـى الأُرْدُنِّ ســـالَتْ وقُطِّعَت الـــوشَـــائجُ والحبَـــال

وصـــال بـــه الجنـــودُ أسـودَ غَـــابٍ فليتهمـــو على الأعْـــداء صـــالـــوا !

إذا انتصــــــر الشقيـقُ على شقيـقٍ فَيُمْنَـــــاه أصـــابَتْهـــا الشِّمَـــال

* * * *

لعمـرك، مـا العـروبـةُ مَحْضُ فَخْـرٍ بأســـلاف لنـا كـــانـــوا ، وَدَالُـــوا

ولكنَّ العـــروبـــةَ صـــدقُ عَـــزْمٍ ومبـــــذولان : أرْوَاحٌ ، ومـــال

وإحْيَــــاءٌ لأمْجَـــــادِ الأوَالـى وأقـــوال تُعَــــزِّزُهـــا فعَـــال

وأفئـــدة رَسَـــا الإيمـــان فيهـــا لهـــا بـــالله فى المحَـن اتصـال

إذا أنتـم إلـى العــــرب انْتَمَيْتُمْ فمـــا تكفى العَبَـــاءَةُ والعِقَـــال

جُنُـودَ العـرب ، نـــاداكم جمــالٌ وصــاح بكل مِئْـــذَنَـة بـــلال :

عِـــدَاكم مـــالهـم أبـداً عُهُـودٌ وهل للـــرقص فى المشى اعتـــدال ؟

عهــدنــاكــم إلى الجُلَّى عِجَــالاً　　وعنــد الفيْءِ مــا أنتـم عجــال

سليلُ العُــرْب عنــد الحَــرْب ثَبْتٌ　　لــه وجــهٌ وليس لــه قَــذَال

لئن نَكُ فـى حَـزِيـرَانَ انخــذلنـا　　فكم نصــرٍ يُسَبِّبُــه انخــذال

وإن تك مصــر قـد فَقَـدَتْ جَمَـالاً　　فمــا عقمت ، ولا قَلَّ الــرجــال

جمــالٌ غــاب ، والعــدوان بَـاقٍ　　وجــرح القُــدس دَام لا يــزال !

وتنــدمـل الجــراحُ مع الليــالى　　وجـرح القـدْسِ ليس لـه انـدمَـال !

دمعة على العقاد !

فيلسوف الشرق

نشرت فى مجلة الرسالة فى ١٩/ ٣/ ١٩٦٤ م .

جـزع الشـرق ، وأجـرى أدْمُعَـهْ ! ... ليت شعـرى : أىُّ خطـب رَوَّعـه ؟

لا تلـومـوه على تَـذْرافهـا ... فيلسـوف الشـرق خَلَّى مـوضعـه

شيَّع الفجـرَ لعمـرى بـاسمًـا ... والضحى فى رأده مـن شَيَّعَـه ؟ (١)

كفِّنـوا العقـادَ فى أسفـاره ... وادفنـوا المِرْقَـم والطِّرْس معـه (٢)

لست أدرى : أشهـابًـا كـان ، أمْ ... عَيْلَمًـا ، أم راهِبًـا فى صـومعـهْ ؟

عـالم ، بـل عـالَمٌ فى رجل ... ليت شعـرى : أىُّ قبـر وسعـه ؟

سـائلـوا العلَّـة : هـل أوْدَتْ بـه ... رغم سبعين وخمس مسـرعـه ؟ (٣)

لا تقيسُـوا بـالليـالى عمـرَهُ ... بل سلـو ا : فـى أى شىء قطعـه ؟

لم يَسَلْـهُ سـائلٌ عـن معضل ... حَيَّـر الأَفهـام إلاَّ أقنعـه

مَـالـه اليـومَ طـويـلا صمتُـه ؟ ... أى شىء عـن جـوابى منعـه ؟

صـرَعَ المـوتُ فتًى لـم يستطع ... خصمُـه فـى حَلْبَـة أن يصـرعـه

لستَ تـدرى : أهـو يَحْشُـو طـرْسه ... أحْـرفـاً ، أم هـو يحشـو مـدْفعـه ؟

وسـلاحـاه : يَـراعٌ مُـرْهَفٌ ... ودليـلٌ بَيِّنٌ ، مـا أنصعـه !

ذو يـراع حيـن يـأسُـو علَّـةً ... يـزدرى كـلُّ طبيـبٍ مبضعـه

دولـة الألفـاظ فى خـدْمَتـه ... إنْ دعـا اللفظـةَ ، جـاءت طيِّعَـه

نـافـذُ الطعنـة ، إن شـاكَ بـه ... أضْلُعَ الجبَّـارِ، تقْصِفْ أضلعـه

---

(١) رأد الضحى : ارتفاع الشمس وانبساطها .

(٢) المرقم : القلم ، والطرس : الورق .

(٣) يشير بذلك إلى : سن العقاد حين وافته المنية (٧٥ عاما) .

إن يسلطه على نجم هَوَى … أو على أركان طوْد صَدَّعه

رُبَّ حقٍّ صانه ، أو بَائِس … ذاد عنه ، أو سَفِيه رَدَعه

رب غِرٍّ رام منه لفْتةً … فرماهُ بالنُّعُوت المقذعه

نخلةٌ دَبَّتْ عليها نَمْلَةٌ … وَخضَمٌّ فيه نَقَّتْ ضِفْدَعه

شتم الأعرجُ طوْدا شامخاً … حينما أعجزه أن يطلعه

إن عرض الحر مرعًى مُخْصبٌ … يجد الوالغ فيه مرتعه

سائلوا ذئب الغضى فى جحره : … مَنْ على الأُسْدِ الضوارى شجَّعه ؟

ينزل الليث إلى ليث ، ولا … تجمع الليثَ بهرٍّ مَعْمَعَه

قلم العقاد سيفٌ باترٌ … لم يجرِّدْهُ ابتغاءَ المنفعه

لم يجرعْهُ كُئوسَ الشَّهد ، بَلْ … كم كئوس من زُعَاف جَرَّعَه

العصاميُّ الذى يأْبى سوى … كفِّه نحو العلا أن تدفعَه

العَيُوف النفس ؛ لو ألبسه … غيرُهُ ثوبَ خُلود خلعه

يَابِسٌ ، بل شَامِس ؛ لم تستطع … رغبة أو رهبة أن تخضعه

لا تلوموه على أخلاقه … هكذا رَبُّ البَرَايا طَبَعَه

هكذا صوَّرَهُ بارئهُ … وعلى مقلتهِ قَدْ صنعه

عاش فى عصر الشفاعات ؛ فما … شقَّ الا بِيَدَيْه مهْيَعَه (١)

وهْو كم من نَابه أخْمَلَهُ … وأديبٍ من حضيض رفعه

لا يحط الدهرُ مَنْ يرفعُه … لا ، ولا يرفع قَدْرًا وضعه

يجد الأعداءُ فيه لَدَدًا … والأخلَّاء صفاءً وَدَعَه

شامخُ الرأْسِ إذا الرأْسُ انحنى … أبغضُ الناس إليه الإمَّعَة (٢)

---

(١) المهيع : الطريق .

(٢) الإمعة : الذى لا رأى له ، ويتبع غيره : أساء ، أو أحسن .

ليست العـزة دينـاً تبعَـهْ — إنمـا العـزَّةُ دينٌ شـرَّعـه

وتَقَـاضَتْـهُ المعـالى حقبَـةً — ثمـنَ العـزة فقـرا أدقَعـه

رُبَّ يـوم عضـه فيـه الطـوى — ورداء بيـديـه رَقَّعـه

فى زمـان أَلِـفَ الـذُّلّ ؛ فمَنْ — رفع الهـامـةَ فيـه ، جـوَّعـه

لاَثـمُ الأعتـاب فيـه آمـرٌ — والفتى الحـرُّ بـه مـا أضْيَعَـه !

حسبُـه السِّجْـن أواه تسعـةً — وَهْـو يشكـو من سقـام أو جعـه (١)

ونـزول المـاجـدِ الحُـرِّ بـه — مـن قـديـم سُنَّـةٌ مُتَّبَعـه

❊ ❊ ❊ ❊

كـاتِـبٌ تلمح فى أُسلـوبـه : — وجهَـه ، بل يـدَه ، بل أصبعَـه

ذو بيـان لـم يقلِّـده الحلَى — من رَأى الأُسلـوب فَـلاً ، سجعـه

لم يُـوَشَّـعْ بجُمَـان قـولُـه — بل بفكـر فيـه عمقٌ وسَّعَـه

رُبَّ نثـرٍ بَـرْقعَتْـهُ زينـةٌ — هـو زيفٌ حين يَنْضُـو بُـرْقُعَـه

رب نظم مـا لـه من هـدَف — ليس يـدرى نـاظمـوه مـوقعَـه

ومن الشعـرِ غثيث فـاتـرٌ — تـأْنفُ الآذان مـن أن تسمعـه

مـالـه من أبْحُـر، أو تُـرَع — أو عيـون . لست تـدرى مَنْبَعـه !

لفَّقَتْـه عصبـةٌ مـا وردت — بحـرَه ؛ بـل وردت مُسْتنقَعـه

هل درى الشمَّـاخُ فـى صحـرائه : — أن قـومـاً ألبسـوه قُبَّعـه ؟

يـا دعـاةَ الشعـر ، مـاذا قلتمـو ؟ — أنـا لا أسمع إلا جعجعـه !

أيهـا الـذؤْبَـان ، قـد حَلَّ الشـرى — واستُبِيحَت حـرمـاتُ المسبعـه

فأحلُّـوا الشعـر مـن أوزانـه — واقطعـوا كل لسـان قطعـه

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) يشير إلى : سجن العقاد تسعة أشهر ؛ لأنه كان وجه إلى الملك فؤاد قوله ـ فى مجلس النواب ـ : «وإن الشعب قادر أن يسحق أكبر رأس يعطل الدستور » .

عبقـــريُّ العبقـــريـــات قضى ... فهْيَ من حُـــزْنٍ عليــه جــزعــه !

إن بَكتْـــه العبقـــريـــات دَمًّـــا ... فَهْي مـن أوصـــافـــه منتـــزعـــه

خَـــالـــدٌ خلَّـــد أبطـــال الـــورى ... أي معنى بهمُـــو قَـــدْ جمعـــه ؟

ادفنـــــــوه بيـن دور العلـم، أو ... بين دور الكُتْـب خُطُّـوا مضجعـــه

طلَّقَ الـــدُّنيـــا ثـــلاثًـــا ، واصطفى ... من بنـــات الفكـــر حُـــورًا أربعـــه

مـــا بنى إلا بمـــوســـوعـــاتهـــا ... وتبنـــاهـــا ؛ فكـــانت منَعـــه

عـــاش كـــالنحل دَءُوبًـــا بينهـــا ... يَنْتقَـى من كُـلِّ زَهْـــر أينعـــه

أغلبُ الظَّـنِّ ، لعمـــرى ، أنهـــا ... خيـــرُ مَنْ صـــاحَبَـــه أو وَدَّعـــه

مـــات عبـــاسٌ ! وتبقى أُمَـمٌ ... تجتنى مـن بعـــده مـــا زرعـــه

مـــات عبـــاس ! جـــزاه ربـــه ... رحمـــةً عن كلِّ معنـىً أبـدعـــه !

دمعة على الخفيف !

نشرت فى الأهرام ، فى ١ - ١١ - ١٩٦١ م

من كنتُ بـالأمس فى شعـرى أُداعبُـهُ ... مـا بـالُـه اليـوم قـد أصبحت أرثيـه ؟

يـأبى علىَّ قـريضى أن يصـدِّقَنى ... إن قلت : أصبح بطنُ الأرض يُؤويه !

أرثى الخفيف بشعـرى أم أُفـاكهُـهُ ؟ ... لا ؛ بل أسوق لـه إحـدى الأفـاكيـه

إنى لأحسَب تـأْتينى مـداعبـة ... جـريـا على عـادتى أنشأتها فيـه

تشابَه الحزنُ عنـدى والسرورُ ؛ فما ... أدرى فكـاهـاتِ دهـرى من مـآسيـه

محمـودُ ، شعـرُك حَسْبى إذ تفـارقُنى ... فأنـت فى كـل بيت حيـن أرويــه

رنـاتُ صـوتـك تسرى مـن مطـالعـه ... وحسنُ سَمْتِك يبـدو من قـوافيـه

محمودُ ، سامَحَك الرحمن ! كنـت ندًى ... على فُؤادِى ؛ فكيف اليـومَ تُصميه ؟!

في رثاء الخفيف :

فديتك راحلا !

عَـلامَ تَشُـدُّ رحلكَ غيـرَ وانى ؟ فـديتُـك راحـلاً قبل الأوان !
رويـدك، يا خفيفُ ؛ فلست تـدرى بقبـرك ــ بعـد بُعْـدكَ ــ مـا أُعـانى
بـربِّك : كيف تلقـى المـوتىَ دونى ؟ وكيف بـه دعـاكَ ، ومـا دعـانى ؟
وإنى مـن كيَـانـك كنتُ جـزءا كمـا قـد كنتَ جـزءا من كيـانى
وَكنتُ أعُـدُّ دمع العين ضعفًـا فسـال عليـك منطلـقَ العِنَـان
وكيف أُطيـقُ بعـدك حَقْنَ دمعى ولـى : قلـب يحس، ومقلتـان ؟
وقـالـوا : إن سَكْبَ الـدمع يَشْفى فمـا للـدمع بعـدك مـا شفـانى ؟
ومـا هـذى الحيـاةُ سـوى طـريق ونحن علـى الطـريق مسـافـران
فكيف تـركْتنى فى الـدرب فـردًا ومـالى بـالسُّـرى فـردًا يـدان ؟
وآخـى بيننـا الأدبُ المصفَّـى فظن النـاس أنـا تـوءَمـان
فكنتُ إذا فـرحتُ ، فـرحتَ قبلى وتَشجَـى أنـتَ، إن هَمٌّ شجـانـى
وإن غَشِيَتْك غـاشيـةٌ ، أُعَـزَّى وإن رُقِّيـتَ ، جـاءَتْنى التهـانـى

* * * *

أحقًّـا : أنَّ محمـودا تـولى وأنـى لـن أراه ، ولـن يَـرانـى ؟ !
وكيف ، وصـوتُـه مـا زال يسـرِى إلى سمعى كمـا تسـرى الأغـانى ؟ !
وذلـك سمتـه طلـقُ المحيـا وذاك شبـابُـه فـى عنفـوان ؟
كـذلك أنتِ ، يـا دنيـا ، سـرابٌ لَحَـاكِ الله ! مـالـك من أمـان !
يُطـالِعُنى الخفيـفُ بكل أُفْق وألمـح وجهَـه فـى كـلِّ آن

فعنـــد النـــوم يَعْـــرض لى خيـــالاً ... وعنـــد الصحـــو يبـــدو للعَيـــان

أكــــاد أراه حيـن أسيـغُ مَــــائى ... وزادى فـى الكئــــوس ، وفى الأوانـى

أرى وَجـــهَ الخفيـف خَبَـــا سَنـــاهُ ... فأعجـب : كيف يَبْـــدُو النيِّـــرَان ؟ !

وأعجب للكـواكـب : كيف تَسْرِى ... ولا يَعْـرو الكـواكبَ مـــا عـرانى ؟ !

كــأنِّـى مـــا جَفـوْتُ ســـواه خـــلاًّ ... ولا خـــلٌّ ســـواه قـــد جفـــانى

كأنـى مـــا جلستُ إليــه يـــومـــاً ... ليُطْـــرِفَنى بأبكــــار المعـــانى

فأنســـانى الجلـــوسُ إليـــه نفسى ... ومــــا أَلقــــاه من عَنَت الـــزمـــان

يطيبُ بَيَـــان محمـــود بسمْعى ... ومحمــــودٌ يطيـبُ لـــــه بيـــانى

ويطـــرب حيـن يهجـــوه غنيـمٌ ... وأطـــرب للخفيف إذا هجـــانى

كـــلانـــا شـــاعــر يهجـــو أخــاه ... بـــلا حقـــد عليـــه ولا اضطغـــان

أهــــاجٍ هُـنَّ فى الأذْوَاق أشْهَـى ... من التشبيب بـــالبيض الغـــوانى

ســـرت أبيـــاتُهـــا بين النـــدامى ... فـأنستْهم معتَّقـــــةَ الـــــدِّنـــان

يعطـــرهـــا الـــوفـــاءِ بنفـح طيب ... ويكســـوهـــا الصفــــاء بطيلســـان

وكم مـــدحٍ يفيـض بــــه نفـــاقـــا ... لســـانٌ مثـلُ نــــاب الأفعـــوان

* * * *

كَبَـــا المُهْـــر الـــذى مـــا اعتـــاد إلا ... فَخَـــار السبق فى يـــوم الـــرِّهَـــان

وقـــال الطبُّ : سكتـــةُ نبض قلب ... عـــرتـــه ! فقلت : أفنــــاه التَّفـــانى !

سِجلٌّ خُـطَّ فى خمسين عــــامًـــا ... طـــوتـــهُ يـــدُ المنيَّـــة فى ثــــوان

ولكن بعـــد أن أضحى نشيـــدًا ... يُـــردَّدُ مثـل تـــرديـــد الأذان

يصيب المـوتُ محمــودا ؛ فيفنى ... وليـس تـــراثُ محمـــود بفـــان

* * * *

أعِنِّى ، يـــا خفيفُ ، علـى المـراثى ... رأيت الشعـــرَ بعـــدك قـــد عَصَـــانى

فكم عـــاونْتنى فى مـــدح خلٍّ وكم ســاعـدتنى فـى هجـوِ شــانى
ومــا تـرجَمْتُ عـن حـزنى بشعـرى فهــلا كــان شعـرُك تَـرجمــانى ؟
عهـدتُـك نـاطقًـا بــالشعـر دُرًّا كأنك صِــــدْتَ شعـــرَك من عُمـان
تفّـــــرد كـل ذى قلـم بِحُسْنى وتمـت للخفيـف الحُسنَيــــان
بكت فيك الكتـــابـة ، والقـــوافى نبـــوغَ ابن المقفّع ، وابـن هـــانى

* * * *

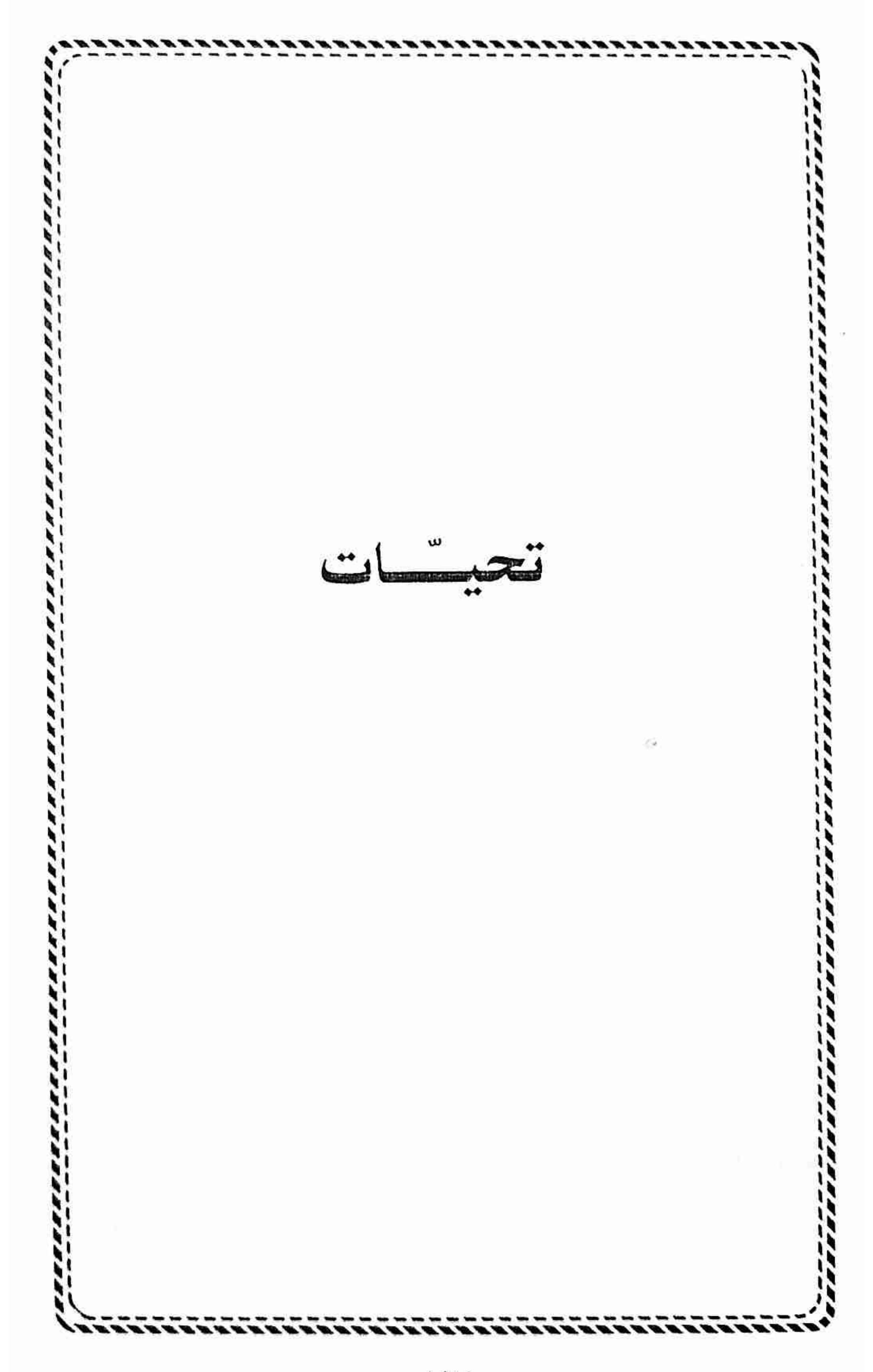
ليَهْنكَ : أن مَـــوْتـك فى مكــــان طَهُـــور الأرض ، قُـــدْسىِّ المغـــانى
صـــريعُ العلم أشجـعُ من صـــريعٍ بضـــرب السيف ، أو طَعْـن السِّنـــان
ودُور العلـم مَيْـــــــدانٌ فسيـح يمـــوتُ بـــه الشهيـــدُ بـــلا طعَـــان
وكـل دروسهـــــا نُسُكٌ ، وَوَحْىٌ وآيــــــاتٌ مـن السبع المثـــــانى
ولمَّـــا أن سقطـتَ على ثَـــرَاهــا كمـــا سقط الكَمِىُّ عن الحصـــان
تفـــزَّعَ سقفُهـــا هَلعًـــا ؛ وضجَّتْ صحـــائفُهـــا ، وأَعْـــوَلت المبـــانى
وسحَّت مـن عَصىِّ الـدمـع سُحْبٌ على دمـك الـــزكىِّ الأرجـــوانى
دمـــان : دمُ الشهـــادة منك يجـرى وآخـــرُ مـن دمــــوع العين قــــانى
وزاغت حـــولـك الأبصــــار حتى كأنَّ الأفْـقَ غُشِّىَ بــــالـــدُّخـــان
وربع جَنــــانُ كـلِّ فتىً جليـــد يخـــوضُ لَظَى الـوَغى ثَبْت الجنـــان
عيــون بنيكَ حــولكَ نــاضحَــات بـــدمع ، أو بطهـــر ، أو حنـــان
يَـــوَدُّ فِــدَاك كلُّ أغَـــرَّ منهم كأن قَـــوَامـــه مـن خيـــزران
ومـــا فقـــدوا بفقـدك غيـــرَ دُنيـا معلقـــــة عليك مـن الأمـــانى
ومـــا حَمَلُـوا على الأعنـــاق إلا مـلاَكًـــا من مـلائكـــة الجنَـان

* * * *

تَخــذتَ العــالمَ العُلْــوِيَّ دارًا | وَعفتَ العيشَ فى دار الهَــوَان
وليس النجم يمكثُ فى مــدار | وليس الطيــرَ يلْبَثُ فى مكــان
وأشهــد، مـا حَنَيْتَ الـرَّأْسَ يـومًـا | لتــدْنُــوَ مـن فــلانٍ أو فــلان
ولا عَــرَّضتَ نفسَك لابتــذال | ولا عــرضت شِعْــرَك لامتهــان
فمــا تسعى إلى أحــد، ويسعى | إليكَ مُهَــرْولاً قــاص ، ودانى
ولا تــرجــو سوى المــولى مُعينًـا | وأكــرم بـالمعين وبـالمعَــان !
ومــا الــزُّلْفَى ســوى ستــرٍ يغطى | قصــورَ مــواهبٍ ، وخمــولَ شـان
ضمنتَ بعبقــريتك الأمــانى | ومــا كــالعبقــريَّــةِ من ضمــان

* * * *

ومـا أعقبتَ ، يـا محمـودُ ، نَسْلاً | ســوى أبكــارِ أفكــارٍ حِسَــان
إذا خطبت ، تســاق لهـا الــدَّرَارى | مُهــورا ، لا اليتيم مـن الجُمــان
ولــولا الفن كنتَ أبًــا وجَــدًّا | ولكن لست بــالــرجُلِ الأنــانِى
كفى بــالفن، للفَنَّــان دَبْــرًا | يَعُــوقُ عن التنــاسل والقِــران
رســالتك النبيلــةُ منك حَلَّتْ | محل النَّجْل والــزوج الحَصــان
لقــد رَبَّيْتَ لــلأوطــان جيــلاً | أشــمَّ الأنـف منطلقَ اللســان
فكل أب بمصــرَ يــراك قَبْــلاً | أبــا لبنيــه أوَّلَ، وهْــو ثــانى
شبــابُ الجيل يسألُ عـن أبيــه | فيــومئ نحــو قبـرك بــالبنــان !



تحيّـــات

من يد الرئيس

من وحى جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر،
التى تسلمها الشاعر من يد السيد الرئيس،
فى عيد العلم، عن ديوانه : « فى ظلال الثورة »

قل للرئيس : رفعتَ مَوْضعَ شاعر ... يطريك من قلب، بِحبِّكَ عامر
نيل الجوائز من يديك جوائزٌ ... أخرى تفوز بها يَمينُ الظافر
لم أَدْرِ : من كف الرشيد ينالها ... مَنْ فاز، أو من كَفِّ عبد الناصر ؟
هذا جمالٌ صافحتْ يدُهُ يَدِى ... والقلب يخْفقُ عن جناحَىْ طائر
رَدَّ الشبابَ إلىَّ إذْ صافحتُه ... يدُ ثائرٍ شَدَّت على يَد ثائر
أغلى الجوائز من جمال : نظرةٌ ... منه، تَقَرُّ بها عيونُ الناظر
أغلى الجوائز من جمال : قُبْلَةٌ ... طُبِعَت على هذا الجبينِ الطاهر
يا راعِىَ الآداب، إن الفنَّ لمْ ... يظفَرْ بعهدٍ مثلِ عهدِكَ زاهر
اليوم لا يشكو أديبٌ حظَّهُ ... فلقد نَهضْتَ بكل حظّ عاثِر
قالوا: بنو العباس، قلنا : أيْنَ هُمْ ... ليروا جمالاً فى الزمان الحاضر ؟
أعْلَيْتَ من شأن اليَراع، وإنَّه ... فى المعجزات عَصاً بيُمْنَى ساحر
فى السِّلْمِ يرتاد النجومَ، وفى الوغى ... يبْرِى الرقابَ بحدِّ سيف باتر
يا شافيا صنعاءَ من أوجاعها ... لله درُّكَ من طبيب ماهر !
أحرزْتَ فى نجران نصرًا باهرًا ... وغدًا سَتُتْبِعُه بنصر باهر
حتى تُطَهَّرَ للعروبة أرضُها ... فى القدس من عباد عجل السامر

حفظ الله صالحا

إلى الأستاذ : صالح مسعود ،
وزير الخارجية والوحدة بليبيا ،
الذى أنا مدين له بأداءِ فريضة الحج[1] .

حفظ الله صــالحــا ، وأدامَــهْ ... مــا عَـدَتْه ــ ولا عـداهـا ـ الشهـامَـهْ
عــربـيٌّ على مُحيَّـاهُ تبــدو ... من سمـات العُـرْب الأوَالـى عـلامـه
ليس من نجـد ، أو تِهـامـةَ ، لكن ... تتبـاهى نجـدٌ بـه ، وتهَـامـه
بل بـأمثــال صـالح يتحــدى ... شَعْبُ ليبيا ، ويـرفع الشرقُ هـامَـه
إنمـا صــالحٌ بقيــةُ قــومٍ ... بـالمعـالى نفـوسُهُم مُسْتَهَـامـه
يصنعـون الجميلَ طبْعـاً ، وإن هم ... لم يُثَـابُـوا عليـه يَـوْم القيـامـه
أرْيَحِـيٌّ ؛ يكـاد يمنح أرْبَـا (م) ... ب الخطـايـا صلاتَـهُ ، وصِيَـامـه
يُتْبِعُ القـولَ بـالفعـال ، وكم من ... قـائلٍ تَنْقُص الفعـال كـلامَـه
لَسْتَ تـدرى ـ إذا حَبَاك بفضل ــ : ... أنت معـط ، أم نـائلٌ إنعـامـه ؟
يمـلأُ السمع إن تحـدَّثَ ، والعيْــ (م) ... ــنَ إذا لاح رَوْنَقـاً ، ووَسَـامـه
يمـلأُ القلبَ حيـن يَبْـدو لـرائيـ (م) ... ـه ؛ فـلا يستطيعُ إلا احتـرامـه
شِـاهـرٌ سَيْفَـهُ لـرَدِّ فلسطيـ (م) ... ـن المفـدَّاةَ ، شـارِعٌ أقـلامـه
فإذا مـا التمستَـه فى مجـالِ الـ (م) ... زَّحف ، كـان المهنـدَ الصَّمْصَـامَـه
وإذا مـا التمستَـه فى مجـالِ الْـ (م) ... ـبَحْثِ ، كـان المحقِّقَ العَـلاَّمـه
وإذا حلَّ صــالحٌ فى مكـان ... كـان غـابـاً يحـلُّ فيـهِ أُسـامـه
لا ، لَعَمْـرى ، فمـا أُسـامَـةُ إلا ... كـاذب حين يَـدَّعى إقـدامـه

---

(١) حج الشاعر ١٩٦٨ م ، بدعوة من الممدوح .

بطل مـــا انحنى غَـــدَاةَ نَفَـــوْهُ　　　لا ، ولا يـــوم قَـــرَّروا إعـــدامـــه

رُب حكمٍ قـــد أَصْـــدَرُوهُ عليـــه　　　فتلقى صُـــدُورَهُ بـــابتســـامـــه

يُبتَلَىَ الحـــرُّ دائمـــا بـــأُنَـــاس　　　لا تســـاوى هـــامـــاتُهم إبهـــامـــه

إن صـــوت الأحـــرار يعلـــو وإن هُمْ　　　كمَّمُـــوا كل نـــاطـــقٍ بكمـــامـــه

إن تـــاريـــخ صـــالـــح صفحـــاتٌ　　　من كفـــاح ، بل قصـــة ، بل « درامـــه »

من يُـــرِدْ خـــدمـــةَ العـــروبـــة والإسْـــ (م)　　　ـــلامِ ، يَجْعَلْـــه فى الجهـــاد إمـــامـــه

من شبـــاب ثَـــارُوا على كل طغيـــا (م)　　　نِ بليبيـــا ، وحَطَّمـــوا أصنـــامـــه

ومشى ركبُهم إلـــى ســـاحـــة التضـــ (م)　　　ـــحيةِ الكُبْرَى حـــامـــلاً أعـــلامـــه

بـــارك الله فيـــه عَهْـــدا جـــديـــدًا　　　أدرك الشعب فيـــه معنى الكـــرامـــه !

صنع المعجـــزات وَهْـــوَ ولِيـــدٌ　　　لم يكـــد عمـــره يجـــاوِزُ عـــامـــه

* * * *

يـــا ابـــنَ مسعـــود ، قـــد أتيت بمـــا لم　　　يُـــرْوَ عن حـــاتم ، وكعب بن آمـــه (١)

أنت قـــد طـــرتَ بى إلى عـــرفـــات　　　وإلى المصطفى ؛ فـــزرت مقـــامـــه

لكَ ، يـــا صاح ، نصفُ أجرِ طـــوافى　　　ووقـــوفى ، وإن أبَيْتَ اقتســـامـــه

أسأل الله ذا الجـــلال الســـلامـــه　　　لكَ فـــى كلِّ رِحْلَـــة وإقـــامـــه

---

(١) جوادان عربيان ؛ يضرب بهما المثل فى السماحة والجود .

ناصر الفصحى

فى الاحتفال بتكريم الأُستاذ : عزيز أباظة ؛
بمناسبة منحه جائزة الدولة التقديرية .

جاءَتكُ مُطْرِقَةً من شدة الخَجَلِ ... عذرا لها إن تكن جاءَتْ على مَهَل !
عذرا لها ؛ أنها كانَتْ مُهَرْوِلَةً ... لكن تكاثَرَت الأَحجارُ فى السُّبل
إن كان قلبك لم يخفق لمَقْدَمها ... فقلبها خافق من شدة الجذل
أَكْرِمْ بها فى مجال الفخرِ جائزةً ... قد نالها بطلٌ مِنْ راحتَىْ بطل !

❊ ❊ ❊

يا رافعًا راية الفصحى ، وباعِثَها ... من وحشة البدْو فى زاه من الحلل
يارُبَّ قُنْبُلَة من أحرف صُنِعَتْ ... أَلقَيْتَها غير هَيَّاب ، ولا وَكِل
والقوم أفواههم فى الحفل فاغرةٌ ... وأنت أثبتُ وَسْطَ الحفل من جبل
دعوت باللغة الفصحى إلى اللغة الـ (م) ـفصحى ؛ فَأَيَّدت قولَ الحق بالعمل
كأنما كان أوصاك الخليلُ على ... تراثه ، أو نمَاك الأَسودُ الدؤلى
إن الذى يَشْنَأُ الفصحى وينكِرُهَا ... يدعو على لغة القرآن بالشَّلَل
إن جادلوك ولَجُّوا فى جِدَالهمُو ... فالحق مُذْ كَان لم يَسلَمْ من الجدَل
والجهر بالحق بين المنكرين لهُ ... رسالةُ الله أوْحَاها إلى الرسُل
الجهلُ علةُ ما قال الخصوم ، وإن ... تَذَرَّعُوا بسوى هذا من العلل
هيهات تجمع يوما شملنا لغة ... بلا قواعدَ تَحميها من الخلل !
إنِّى أخاطب سكان الكفور ؛ فلا ... أعى الخطاب ، ولا القاموسُ يشرح لى
ماوَحَّد العُرْبَ كالفصحى ، فإن وَهَنَتْ ... فَبَشِّر القومَ بالخذلان والفشل

إذا تكلف قــول الشعــر قــائلـــه | فــالشعـر عنــدكَ طَبْعٌ غَيْــرُ مفتعل
هما النقيضان ـ فى ديوانك اجتمعا ـ : | فكْـرُ الأواخــر ، فى ديبــاجـة الأُول
عصْـرُ الحُسَام ، وعصـرُ الـذَّرَة اقْتَرَنَـا | فى شعرِه ، والتقى الصَّـاروخُ بالجمل
رعيَّـــةُ الشعـر قــد أصبَحْتَ راعِيهَــا | والشعــرُ دولتــه مــن أكــرم الــدول
والخـارجـون على أحكـامهـا صَبَــأُوا | مِثْلَ الخــوارج فى عهـد الإمــام على
مُجـدِّدُو الشِّعْـر غَضُّـوا من مَحَـاسنِـه | كمـــــا يُضَيِّعُ كُحْـلٌ عيْنُ مُكْتَحِـل
هم أنشئــوه بــــلا وزن وقـــافيـــة | فَلْيَأخُــذُوا ألفَ بيت منــه مُــرْتجَل
ما ألبس الشعرَ سـربالَ الجمال سوى | مستفعلن فـــــاعلن مستفعلـن فعل
كم صـدَّعُـونـــا بأقـوال مُهَلْهلَــةٍ | ليست بشعـرٍ ، ولا نثـرٍ ، ولا زَجَل !
إن القَــرِيضَ بـــلا وزن وقَــافِيَـــةٍ | خُنْثَى ؛ فـلا هو بالأُنثى ولا الـرجل !
الشعــر بــاق ببقـاء الحِسِّ تــدفعُــه | عـوامل الحُبِّ ، والإِشْفَـاق ، والأَمَل
لن يبلغ القـوم من تَشْـويهِـهِ غَـرَضـاً | صـلابـةُ الصخـر تُعْيِي قـرنَي الـوعل
هيهـاتَ ينْضَبُ نبعُ الشعـر مـا بَقِيَتْ | حَسْنَاءُ تـوحى إلى العُشَّاق بـالغزل !
سحـران لم يأت هــاروتٌ بمثلهمـا : | سِحْـرُ العيون ، وسحـر الأَعْينِ النُّجُل

❊ ❊ ❊

يــا رائد المســرح الشِّعـرىِّ فى زمنٍ | فيـه الرَّطَـانَـةُ صارتْ مَضْـرِبَ المثل
طَوَّعْتَ للمسرح الشعرَ العَصِىَّ ، ومن | لـــه اقتــدارُك إنْ يـأمُــرْه يَمْتَثِل ؟
أشخاص مسـرحك الأمواتُ تحسبهم | فوق الصحـائِفِ من عَظْمٍ ومن عَضَل
تكَــادُ مـن غيــر تمثيل علـى خشب | نَـرَى تَحـرُّكَ مــا حَـرَّكْتَ بــالمقل
لـــو أن قَيْسـاً صَحَــا من قَبْــرِهِ ورأى | لبْنَى عـزيزٍ ، لَنَـاجَى النَّفسَ بـالقُبَل

ما نسيناك

إلى صديقى الشاعر الكبير الأستاذ : محمد مصطفى الماحى ؛
بمناسبة إهداء الشاعر ديوانه : « فى ظلال الثورة »
صديقه الحميم فى ١ ـ ٢ ـ ١٩٦٢ م

جَلَّ مَنْ بـالبيـان ، يا صَـاح ، زَانَكْ ... صَـانَـهُ الله ذو الجَـلَال ، وصـانَك !

كيف يشكـو بَـرْدَ الشتـاء ربيعٌ ؟ ... أوَ مـا شَمَّ أنفُـه ريحـانَك ؟

اعـذُر السُّقْمَ إنْ عَـرَاك ؛ فما للسّـ (م) ـقم حِسٌّ بـهِ يـذوق بيـانك

لـو دَرتْ من تكـون تلـك الليـالى ... مـا أصـابت بعلَّـةٍ جُثْمَـانك

ولأبقَتْـكَ للقـوافِى مُعَـافىً ... تَبْتَنِيهـا مُشَيَّـدًا ببيـانك

مـا نسينـاكَ ، يـا صـديقى ، ولكنْ ... مـا عـددْنَـا نفـوسَنَـا أقْـرَانك

أنـا إن لـم أبْعَثْ إليك قـريضى ... فـلأنّى يَخْشَى حَصَـاىَ جُمَـانك

لا تَلُمْنى ؛ فـإن شَيْطـانَ شعْـرِى ... يتَـوَارَى إذا رأى شَيْطَـانك

ليس ذنبى إن بـات يـرفعك الشعـ (م) ـرُ ، ويعلى بين الكـواكب شَانك

أنت بين النجـوم ، يا صـاح ، تَسْرِى ... فَلِىَ العُـذْر إن جهلتُ مكـانك

صـاح ، هـذا ديوان شعـرِى على مـا ... فيـه ، فـامْنَحْ تقصيـرَهَ غُفْـرانك

رد الماحى

أخى العزيز الشاعر الكبير الأستاذ : محمود غنيم .

يـا صـديقى لقـد عـرَفْتُ مكـانك بين صَحْبى ، كمـا عَـرَفت بيـانَك

شَفَّنِي عـارضٌ من السُّقْم حسبى منـه : أنـى لم أستطع لقيـانك

فأنبت الكتـاب عنى ؛ لأنى أشْـ (م) ـتقت فى لـوعـة النوى ألحـانك

وحـديثـا كـرائق الـراح عـذبـا كنت فيـه مـداعبـا أخـدانَك

يـاصفييِّ ، وأنت تعـرفُ ودِّى وارتقـابى ـ مـدى الحيـاة ـ حَنـانك

أصحيح مـا قيـل عن نشـرك اليـو (م) مَ جـديـدا أصفيتـه وجـدانك ؟

ونفَخْتَ البيـان آيتَك الكبـ (م) ـرى فـزكَّتْ بسحـرهـا سلطـانَك ؟

فـإذا صح مـا علمـتُ، فإنِّى لحـريٌّ بـأَن أذوق افتنـانَك ! !

قـد تَشَهَّيْتُ زورَةً هـى طِبِّى وتمنيتُ أن أرى « ديـوانَـك »

ومعـاذ الاخـاءَ أن يُحـرَمَ الـوُدَّ (م) مُحِبٌّ ، أو يشتكى هِجْـرانَـك

ولأنْتَ الـوفىُّ فـى كل حيـنٍ فأقم لـى على الـوَفَـا بـرهـانَك

شكـرَ الله حسن صنعك، إنِّـى لن تُـوَفِّى بَـراعَتِي شكـرانك

المخلص :
محمد مصطفى الماحى

شعر الماحى

سَلْ عن الحبِّ ، والوِدَاد الصُّراح إن هما أعوزَاكَ شعرَ الماحى
والتمِسْ فيه نفسه ، تلق صفوًا من لُجَين أذيب فى دَنِّ راح
هى نفسَ شَفَّافَةٌ ؛ نسجتها قدرةُ الله من شُعَاع الصَّبَاح
وَهْو شعر أشهى إلى كلِّ نَفْسٍ من جَنَى النحلِ ، أو رُضَاب الملاح

* * * *

يا هَزَارًا فى روضة الشعر ، لكن لست مثل الهَزَار رخوَ الجناح
لكَ فى الشعر كلُّ معنىً رَقيقٍ فى بناء أقوى من الصُّفَّاح
أدْرِك الشعرَ، يا مُحَمد ، إن الـ (م) ـشِّعرَ دون الفنون دَامى الجراح
شَوَّهتْه عصابةٌ تدَّعِيهِ مثل دعوى : مُسَيْلِم ، وسَجَاح

* * * *

من أحلَّ القريضَ من وزنه أو من قوافيه ، فَهْوَ شخصٌ إبَاحى
نحن فى عصر أصبح العَجْزُ فيه قدرةً ، والإخفاقُ كلَّ النجاح
نحن فى عصر لله فيه السعى أعلى مراتب الإفصاح[1]
رب بيت يُغْنِى الزمانَ ، وبيت من هشيم يَذْرُوه مرُّ الرياح
كلُّ شعر أتى بغير عمودٍ عُدَّ فى الشعر من قبيل المُزَاح

* * * *

ليس شعرا ما لم يكن عن شُعور وله من قَرَارةِ النفس واح

---

(١) البيت مكسور كسرا واضحاً .

ليس شعـــرا مـــا لم يقم قـــائلـــوه بخطـــــاب القلـــــوب والأرواح

ليس شعـــرا مـــا احتـــاج قُـــرّاؤه فى فهم أهــــدافــــه إلى شُـــرّاح

ليس شعـــرا مـــا جـــاء عَنْ غيـــر طَبْع بعـــد طـــول اللّجَـــاج والإلْحَـــاح

إن من ينشـــد القـــريض بـــلا طبْـــ (م) ـــع ، يَخُـوض الـوَغَى بِغَيْـرِ سِـلاح

❊ ❊ ❊ ❊

صـــاح ، قل لى ـ وأنْتَ أكبَـرُ مُثْرٍ ـــ : كيف سميت : « ماحيِا » ، يا صاح ؟

لك مـــن أكْـــرَم الخِـــلاَل رَصِيـــدٌ وكنـــــوز من التُّقَـى ، والصَّـــــلاح

ومن الشعـــــر فِضَّـــــةٌ ، ونُضَــــارٌ أفمن يَملِـكُ النفيسين مــــــاح ؟ !

أىّ الشاعرين ؟

يسكن صديقنا : الماحى
فى شارع يحمل اسم : البحترى .

الشاعـر الماحى، الـرَّقِيقُ ، العبقرى فى شـارع سَمَّـوْهُ بـاسم : البحتـرى

فسألت : أىُّ الشـاعـرين مـرادُهم ؟ قـد حـرت فى هـذا ، وزاد تحيـرى !

فَـرسَـا رِهَـانٍ ؛ ليس بَيْنَ كليهمـــا من فـارق غيـرُ اختـلاف الأعْصُـــر

في مهرجان دار العلوم

في العيد الخمسين لإنشائها : ١٩٢٧ م

خَلِّ العــذارىَ ، لا يَــرُقْنكَ منظــرا ... هُنَّ الظِّبــاءُ صَرَعْـنَ أسادَ الشَّـرى

وملكْنَ قلبَكَ ، لا يَــرَوْنَ فكَــاكَــهُ ... أرأيتَ مَمْلُــوكَ الغــوانى يُشْتَـرى ؟

قلــبٌ أرقُّ من النَّميــــرِ طلبتـــهُ ... فــوجــدتُــهُ من مقلَتَىَّ تحــدَّرا

وهــو الجَمــالُ رأيت فــى تقــديسِــهِ ... تقــديس من بَــرأ الجمَــالَ وصــوَّرا

أحببتَـــه عفَّ الإزارِ ، وكم هَـــوًى ... عَبِثَ الهــوى بصفــائِه ؛ فتكــدَّرا !

لا تعــذُلانى أن صَبَــوْتُ بل اعــذُلاَ ... قلبى إذا هُــوَ فى الصَبَّــابَــةِ قَصَّــرا

وإذا بحثتَ عن الغــرام ، وجــدتَــهُ ... لتحــرُّكِ الــدمِ فى عــروقِكَ مَظْهَــرا

من لم يحــرِّكْــهُ الجمــالُ ، فَمَيِّتٌ ... كيف الحيــاة إذا الفــؤادُ تحجَّــرا ؟

قل لابن حُجْــر : يــا قَتِيلَ عُنَيْــزَةِ ... هَلاَّ شَهِدْتَ من الكِنــانةِ جؤذرا ؟ (١)

هــلا شهــدتَ عقِيلَـــةً مِصْــرِيَّـــةً ... تنسيك ذاتَ الخِــدْرِ ، وابنةَ قَيْصــرا ؟

حضــرِيَّـــة يُــدْمِى بعيــرُ عُنيــزَةَ ... بِــزمــامِــهِ إبْهَــامَهــا والخِنْصَــرا

أبتِ الـــرواسمَ ، واستقَلَّتْ مَــركبــا ... بــالكهــربــاءِ وبــالبخــار مُسَيَّــرا

مــا بــالُ هــذا الظَّبْيِ أقبل يَنْثَنِي ؟ ... هل بــات من أَسْــرِ الخُدَور محــرَّرا ؟

الله لا يــرضيــه سَتْــرُ هِبَــاتِــه ... أتُــرَاهُ قــد خلَـقَ الجمــاَل لِيُستَــرا ؟

جُــولِى بمعتَــرَكِ الحياةِ طَليقــةً ... إنى رأيت الخِــدْرَ سِجْنــا أصغــرا

من لم يَعِــفَّ مع السفــورِ ضميــرُهُ ... لا يــرتــدى ثــوبَ العَفَــافِ مخــدّرا

---

(١) ابن حجر : هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى المصرح بحبه ، وعنيزة : بنت عمه ، ويقول فيها : ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة .

والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وهو كناية عن الفتاة الجميلة .

قالوا : عجبنا كيف تصدق فى الهوى
وتَعِفُّ فى شرخ الشبيبة مئزرا ؟

أو ما ترى صَرْحَ الفضيلةِ قد هوَى
باسم الهوى والحب ؟ قلتُ : نعم، أرى !

لكنما دارُ العلوم أُمُومتِي
قد علَّمتنى أن أُحِبَّ وأطهُرَا

دار نزلتُ بها ؛ فكانت جنَّةً
ووردت منهلَها ؛ فكانت كوثرا

فيها قضيتُ من العلوم لُبَانَتى
(وعلى كواكبها تعلمْتُ السرَى) [1]

دار المربِّين الذين بَلَوْتُهم
فحسبْتَ (رُسُّو) منهمو ، و (سْبنسرا)

لمْ أتْلُ فيها من دروسىَ أَحْرُفاً
إلا تلَوْتُ من الفضيلة أسْطُرا

دارٌ نزلت عكاظَ يوم نزلتُها
وشهدتُ من أهل الجزيرة مَعْشَرا

وشربتُ فيها من مَعِينِ « محمد »
شِعْرًا أرقَّ من النسيم إذا سَرَى [2]

الشاعرُ البَدوىُّ تلمس نفسهُ
فتحسُّ فيها شاعرًا متحضِّرَا

ولقد يصوغ الشِّعرَ ؛ وهْوَ حماسةٌ
فيريك عَمْرًا فى الجِلادِ ، وعنترا [3]

وتحس قَعْقَعَةَ السلاح ، ودونَها
خيلٌ سَنَابِكُهَا تثير العِثْيرا [4]

دارُ العلوم أمومةٌ ما أنجبتْ
لسماءِ وادى النيل إلا نيِّرا

طلعتْ شِهاباً فى ظلام مطبقٍ
لا يأمنُ السارى به أن يَعْثرا

فسعَتْ بمصرَ إلى العُلا ، وجوادُها
كابٍ ، ولهْجَتُها تسير القَهْقرَى

حسبُ الكِنانَةِ من بنيها أنهمْ
كانوا لدائرة المعارف محْوَرَا

ولدتْ ؛ فأنجبت الكرامَ ، وأتأمَتْ
وجَرَى بنوها فى المعارف أبْحُرا

---

(١) الشطر الثانى لشوقى .

(٢) محمد : هو الشاعر محمد عبد المطلب شاعر حديث ، يلتزم عمود الشعر العربى الأصيل ، وكان أستاذ الشاعر غنيم فى دار العلوم .

(٣) عمرو : هو ابن معد يكرب الزبيدى الذى ضرب به المثل فى الإقدام والجرأة . وعنترة : هو ابن شداد العبسى وكلاهما شاعر إلى جانب شجاعته .

(٤) العثير : الغبار .

مَلَكوا مقاليدَ البيانِ ، فَبِاسْمِهم نجد الكلامَ مُذَيَّلاً ومصدَّرا
من كل أروعَ مِدْرِهٍ في كَفِّه قلمٌ قد اتخذ الأصابع مِنْبرا [1]
فتخالُه ــ إن قال شعرًا ــ أحمدًا وتخالُهُ عند الخطابة حيدَرا [2]
دارَ العلوم، تحيةً من ناشئٍ عرف الجميلَ لباذليه وقدّرا
يا دوحةً سمَقَتْ ، فطاول فرْعُها (فرعَ الثريا وهي في أصل الثَّرى) [3]
لله درُّكَ ، يا عليُّ ، سَللْتَها سيفاً على عُنُقِ الجهالة مُشْهرا ! [4]
أسَّسْتَها ؛ ففتحتَ مِصْرَ بفتحها وسبقْتَ (عمْرًا) في الفتوح ، و (جوهرا)

... ...

يا ربما فتح الممالكَ فاتحٌ بمعاهد التعليم عالية الذُّرا
يغْنيك عن ذهب « المعزِّ » وسيفِهِ قلمٌ يخطُّ على الصحيفةِ أسْطُرا
إن اليراعةَ في أنامل طالبٍ كالسيف في كفِّ المدَرَّع أبْتَرا
والطِرْسَ في يُمْناه أبيضَ ناصِعاً مثلُ اللواءِ على الكتيبة أَحمرا
ولَرُبَّ مدرسةٍ تحطم قلعةً وتُبيدُ أسطولا، وتَهْزِمُ عَسْكرا
ما المجدُ في هرم كصرح يُبْتَنَى كي تُلْحَدَ الأمواتُ فيه وتُقْبَرا
أو في المآذنِ باسِقاتٍ ، أينما أرسلتَ طرْفَكَ نحوهُنَّ تحيَّرا
عصرُ الخورنقِ والسَّدِيرِ مضى ، فلا تَذْكرْ لنا نعمانَه والمنْذِرا
هذا زمانُ العلم ، تُرْفَعُ دورهُ وتُشَاد؛ لا لَبِناً ، ولكن جوَهرا

---

(١) المدره : السيد الشريف ، والبليغ الفصيح ، والشجاع الجرىء .

(٢) أحمد : المراد به المتنبى والحيدر : الأسد . (٣) الشطر الثانى لشوقى .

(٤) على : هو على مبارك باشا الذى أنشأ دار العلوم ، وكان ناظرا (وزيرا) للمعارف آنذاك .

أو مـا رأيـت الغَـرْب ألقَى سيفَـهُ وسطـا تحـدى علمـه واستعمـرا ؟
الله يعلم مـا تـوطَّـدَ ملكُهُمْ إلا لأنَّهُمُـو أسـاتـذةُ الـورى
إنى رأيتُ الشـرقَ ينطقُ عَنْهُمُـو (كـالببغـاءِ مـردّدًا ومكـرّرًا)
والشـرق مطلعُ كـلِّ شمسٍ، أفقـهُ نجْمُ المعـارف، مِن هُنَـا لِكَ أسْفَـرا
يـارب يـوم بَـرَّزَتْ بعلـومِهـا (بغـدادُ) فيـه ؛ فأصْبَحَتْ أم القـرى
ولـرب يـوم مِصْـر فيـهِ شَيَّـدَتْ أهـرامَهـا ، والغَرْبُ فى سِنَـةِ الكِرى
قِفْ فى ثَـرَى الإسكنـدريـة بُرْهَـةً واسْتَفْتِ « بطليمـوسَ » ، والإِسْكَنْدرا
واستفْتِ هـذا الثغرَ عـن تـاريخِـهِ فـالعلم ـ قبل المـاءِ ـ منه تفجَّـرا

* * *

يـا معهـدًا للضـاد ألقى بـذرَهُ فى تُـرْبَـةِ الـوادى الخصيب فأثمـرا
ردَّ القـديمَ إلى الحـديث مـوفَّقـاً ومشى بجنب الـدهـر حيـنَ تطـوّرا
خمسـون عـامـا قـد طـواهَـا مثلمـا تَطْوِى السلافـةُ فى الـدِّنَـانِ الأَعْصُـرا
هـو ثـالثُ الهـرمين فى هـذا الحمَى هل يَهْـرَمُ الهـرمـان مَهْمَـا عُمِّـرا ؟
مـا بـالُ من أنْحَى عليـه بلـومـه وأطـال فى هَجْـوِ القـديـم وثَـرْثَـرا ؟
يـا من تقلَّـد مـن عصـاه مِغْـولاً وعـدا على دارِ العلـوم مُـدَمِّـرا
مهـلاً ـ فَدَيتُك لـو لمستَ جـدارهـا لـرأيت كل الصيـد فى جـوف الفـرا
يـارُبَّ فـاتِنـة ـ يعيبُ جمـالَهـا مَن كـان يُـدْرك كنهَـهُ لـو أبصـرا
(لا تَحْـذُ حَـذْوَ عصابـةٍ مفْتـونـةٍ يجـدون كل قـديم شىءٍ مُنْكـرا) (١)
يجـدون إنكـارَ القـديم فضيلـةً والخـوضَ فى الـدِّين الحنيف تحضُّـرا

---

(١) غير خاف أن البيت لشوقى ، فى رائيته الخالدة فى الأزهر .

عَبَدُوا الجديد مقلِّدين ، وربَّما حَسِبُوا سوادُ القارِ مِسْكاً أذفرا

فانقُدْ علومَك كالدراهم، إننى أَلْفيتُ منها خالصا ومُزَوَّرا [1]

يا نازلى دارِ العلوم ، نزلتُمُو ركناً من البَيْتَ الحرام مُطَهَّرا

كرَّمتُمُوا أمَّ اللُّغى فى شخصها وأقمتموا للدين فيها مَشْعَرا

هى حفلةُ الدين الحنيف، شُهُودها كشهودِ بدْرٍ فى الجهادِ وخَيْبَرا

فكأنَّنيِ أبصرتَ جِبْرِيلاً بها بين الصفوف مُهَلِّلاً ومُكبِّرا

(١) فى هذا البيت ـ والأبيات السبعة قبله ـ يعيب الشاعر صنيع المرحوم الدكتور طه حسين، حين دعا إلى التجديد ، وذم القديم ، وشكك فى شعرنا القديم ؛ زاعما أنه منتحل .

حى البيان

ألقاها الشاعر فى حفل تكريمه ، الذى أقامته رابطة الأدب الحديث ، بمناسبة صدور ديوانه : « فى ظلال الثورة » ، فبراير ١٩٦٢ م

حَىِّ البيـانَ ، وقـفْ بسُـدَّةِ بـابـه … واخشَعْ أمام الصِّيد من حُجَّابه !

يـاعصبـةَ الأدب الحديث ، أنـا امرؤٌ … أهـوى البيـانَ ولَسْتُ من أربـابـه

آلَتْ سَـدَانَتُـه إليكـم ، فـاسمحـوا … لىَ بـالـوقوف ولـوْ على أعْتَـابِـه (١)

إن لم يكـونـوا سـادنيه ، فأنتُمُـو … رهبـانـه النُّسَّـاكُ فى محـرابـه

أنتم صَيَـارِفَـةٌ إذا اختلطت على … لُبِّ اللَّبيـبِ قُشُـورُهُ بلُبَـابـه

والـدافعـون لِـوَاءَهُ فـى عـالَم … نخـر القَرَى كـالسوس فى آدابـه (٢)

لا وزن لـلأرواح فيـه ؛ وإنمـا … ذهب الحُطَـامُ وحُبُّـه بصـوابـه

ينـون بـالفضـل السـلامَ ، ولَيْتَهُم … بـالـروح قـد عَمِلُوا على استتبـابـه !

إن رُمْتَ للشعب الحيـاة فَغَـذِّه … بـالفنِّ ، قبل طعـامـه ، وشرابـه

الفنُّ إنْ يـأخُـذْ بسـاعـد أُمَّـة … نهضت ، وتـذهبُ رِيحُها بذهـابـه

كم نـال شـاعـرأُمَّـةٍ بـربـابـة … مـا لم ينَلْـهُ كمِيهـا بِحِـرَابـه

* * *

ليت الحيـاةَ جميعَهـا شِعْـرًا ؛ إذن … لم يَشْكُ هـذا الكـونُ طولَ عَـذَابِـه !

وسمعت تَحنـان الحَمَـام بأيكـه … بـدَلَ الـذئاب العـاويـات بغـابـه

ورأيت وجـه العيش غَضًّـا نـاعمـا … فيـه مـلامحُ من وجـوه كِعَـابـه

---

(١) السدانة : خدمة البيت الحرام ، أو أى مكان مقدس ، والقائم بها : سادن : والجمع : سدنة .

(٢) يقال : قرى فلان قريا وقرى ؛ ورم شدقاه من وجع الأسنان ، والمراد : أضعف الآداب وأفسدها .

لا غـارقًــا فى الـدمـع ، أو مُتَخَضِّباً ‏ بـدم الحـروب يَـرُوعُ لـونُ خِضَـابـه

عصـر تَمَشَّى الضعفُ مثلَ الـداءَ فى ‏ شُعــرائه ، وســرى إلـى كُتَّــابــه

واذا أُصيـب الشعب فـى آدابــــه ‏ عَــزَّ العـزاءُ أمامَ هـوْل مُصَــابـه

حَتَّـامَ يشكـو الشعــرَ من مُتَمَسِّحٍ ‏ فيــه يُشيِّــدُ نفسَـه بخـرابــه ؟

نَفَـرٌ رأى التجـديـد فى إعجـامِـهِ ‏ لمــا أحسَّ العجْـزَ عن إعْــرَابـه

ينــــون أنفسهم علـى أشــــلائه ‏ وعلى حســاب النَّيْـل من أقطــابـه

وأمَسُّ مـــا يلقى الكـريم إهَــانَـةً ‏ تأتيــــه مِمَّنْ ليس مـن أضْــرابــه

يـــا رُبَّ داعِيــة يبـــوِّئُ نَفْســهُ ‏ عَــرْشَ القـريضِ، وغَيْـرُه أولى بـه

ولَــرب أُسْتَـــاذ لـــهُ مُتَفَـــرِّغ ‏ أحْــرَى بـه لـو عُــدَّ من طُـلاَّبــه !

فَحْلٌ ينـــال النصـرَ فى ميـدانــه ‏ وســواه يُستـولى علـى أسْـلابــه

مـــا كل ذى صـــوت يَطنُّ بِطَـــائرٍ ‏ غَـرِد ، هَـزَارُ الرَّوْض غَيْـرُ ذُبَـابـه

والشعـــر منـــه : مُخلَّــدٌ ، ومعَمَّــرٌ ‏ ومكفَّنٌ فـى مهْـــده بِثيـــابــــه

* * * *

أعــددتُ للنُّقَّــادِ صَــدْرًا لـم يضقْ ‏ يـــومـــا بمنتقِـــدٍ فسيحُ رحـابـــه

أجــدى علـى الفنَّــان من إطْـرَائه ‏ نَقْـــدٌ يبصِّــرُهُ بمـــوضـع عَـابِــه

إن تَنْقُــدِ الفنــانَ ، تُــرْهفْ حسَّــهُ ‏ وإذا أردتَ لــه الكَــلاَل، فَحَــابِــه

ولقـــد أُفضِّلُ نـــاقـــدا متحـــامـــلا ‏ عن جـــاهل يَشْتطُّ فـى إعجـابـــه

والنقـــد يَجْنى ورده مـن شـــوكـــه ‏ غَضًّـا ، ويعصـر شهْــدَهُ من صَابـه

يَغْيــا بــه من يَسْتَــريبُ بنفســـه ‏ ويسيغُـــه طَبْـعُ الأديبِ النَّـــابِــه

مَنْ يَبْن بالصُّفَّاح صَرْحاً ، لم يخفْ عَصْفَ الرياح الهُوج حولَ قِبابه (1)
ما سار ركبُ الفنِّ فى ملكوتِه إلا وسارَ النقدُ خلفُ رِكابه
ما أحرز الفنُّ الرفيعُ تقدماً إلا وكان النَّقْدُ من أسبابه
وأحقُّ نَقَّادٍ بصفعِ قَذَالِه من راح يخلطُ نَقْدَهُ بِسبَابِه (2)

****

قُلْ للألى أَثْنَوْا عليك بفضلهمْ — والفضل مَرْدُودٌ إلى أصحابه — :
أضْفَيْتمُو حُلَلَ الثناء على امرىء ليس الثناءُ وَحُبُّه من دَأْبه
ما سار وانيةً خُطَاه ؛ وإنما حَدَّت دواعى العيش من إخْصابه
شاهَتْ أضابيرُ المكاتبِ ؛ ما سَمَتْ بالفنِّ ؛ بل عملتْ على إجْدَابه
أقضى الحياةَ هناكَ يوماً واحدًا مُتكَرِّرًا ، فى منظرٍ متشابه
أكداسُ أوراقٍ يغيبُ الشِّعْرُ فى طَيَّاتِها ، ويطُول عهدُ غيابه
ويَفِرُّ شيطانُ القوافى هارِباً منها هروبَ الكَبْش من قَصَّابِه
والفنُّ يطلب راهباً متفرِّغاً وودتُّ أنى كنت من رُهَّابه
وإذنْ لَطِرْتُ إلى الفَضاءَ محلِّقاً فى لمح كوكبه ، ورمش شهابه
وأتيتُ من سحرِ البيان بمعْجِزٍ لم يَرْوِه الرَّاوُونَ عن أغْرابه
ومن الحروفِ المُعْجَمَات عصرتُ ما لا يعصر الخَمَّارُ من أعْنَابه
شعرٌ بهِ ينسى المُحِبُّ حبيبَهُ والغائب المشتاقُ يومَ إيابه

****

(1) الصفاح : السيوف العريضة ، القوية .
(2) القذال ـ كسحاب ـ : جماع مؤخر الرأس ، أعلى القفا .

يـا عصبـة الأدب الحـديثِ، سَلِمْتِ منْ ظُفُــر الـزمــانِ على الأديبِ ونَـابــه

كم عفَّت الــدنيــا أديبــاً قَــارِحــاً فأصــاب فى نَـاديـك حُسْنَ ثـوابــه

سيــروا مع الأيــام بــالأدب الــذى كـــرَّسْتُمــو أيــامكم لحســابــه

لا يشكُ عَصْــرُكُمُـو قمــاءةَ ثـوبــه بل أَظْهــروا العمـلاق فـى جلبـابــه

عصــرُ الحضــارة والضيــاءِ أَظلَّكُمْ حــاشـاه يُغــرقكم بِفيْضِ عبـابــه !

قـد بات يغشى النَّجْـمَ فى صاروخـه من كــان يَــرْصُــدُهُ باضْطِــرلابــه

بين وزير وشاعر

انتهت مدة خدمة الشاعر : محمود غنيم ، المفتش العام للغة العربية ، فتعب فى الاتصال به طالبوه الذين كانوا يتصلون به عن طريق مكتبه ؛ فبعث إلى السيد وزير المواصلات بالأبيات التالية :

نشرت فى مجلة الرسالة ، العدد : ١٠٤١
٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م

كُنْ لى نصيرًا ، يا خليل ... يا صاحبَ الحَسَب النبيل
قدْ صِرْتُ بعد تقاعُدى ... مِنْ بعضِ أبناء السَّبيل !
لا يهتدى أحدٌ إلىَّ (م) ولو سَعى لى ألفَ ميل
بَيْتى بدون مسرَّة ... مثلُ الفَلاةِ بلا دليل

ولما أمر السيد الوزير بتركيب تليفون بمنزله بمصر الجديدة ؛ شكره بالأبيات التالية :

أنا إن شكرت لمصطفى ... فبشكْره يقْضى الْوَفَا
أسْدَى إلىَّ يَدًا أرقَّ (م) من النسيم وألطفا
قد كنتُ سِرًّا خافيا ... فالآن قد برح الخفَا
والآن أصبح منزلى ... عَلَماً كَمرْوةَ والصَّفا

إهداء

إلى صاحب المعالى ، الشيخ : عبد الله الجابر الصباح .

لَمَّــا رأيت جميلَ عطفِك غــامــرى ... ورأيتُ فضلَكَ فـوقَ شُكْـرِ الشـاكـر

عَبَّرْتُ عـن شكرى بِذَوْبِ حُشَـاشَتى ... وعميق إحسـاسى ، وفيضِ خواطـرى

أهــدى إليك ــ ولا أَمُنُّ ــ أعَـزَّ مَـا ... ملكت يـدى ، والشِّعْـرُ كَنْزُ الشـاعـر

قــدَّمتُ ديــوانى إليـكَ ، وحَسْبُـهُ ... شَــرَفُ القبـول من الأميـر الجـابـر

فإذا قبلـتَ ، فتلكَ عنــدى مِنَّــةٌ ... أُخْــرَى ، وشُكْــرٌ مــالــه مِنْ آخــر

قــالوا : الصبـاحُ : فقلت : لولا أنَّـهُ ... كَسَمِيِّــهِ ، لـم يَسْبِ عين النــاظـر

الجــابــر الصبَّـاح إن ذكــر اسمــهُ ... خلَعَ الجمـال على الصَّبَـاح السَّـافـر

إلى الأمير القاسمي

في ١-٦-١٩٧٠م

إلى الأميـــر القـــاسمي ذي الفضـل والمكـــارم

ربِّ الفـــريض النـــابغيِّ (م) والسخـــاء الحـــاتمي

صقـــر قـــريش كلِّهـــا أُمَيَّـــةٍ ، وهـــاشم

مـــا في الصقـــور مِثلُـــهُ كـــلاَّ ، ولا القَشَـــاعم

إلـى الـــذِي قِصَـــارُه يُـــزْرِين بـــالمـــلاحم

كـأنَّهـــا تَحَـــدَّرَتْ مـن منبج ، أو جـــاسم

إلى الـــذى عَـــزَّتْ بـــه أرض المُعِـــزِّ الفـــاطمي

أبعثُ شعـــري واجمـــاً مُطَـــأْطِئَ الجمـــاجم

مـا قيمـــة ُالأصـداف عنـــ (م) ـــد صـــائدِ التـــوائم ؟

فَـــاعْجَبْ لهـــا هـــديَّـــةً لشـــاعـــرٍ مـن نـــاظمِ !

مع تقديم أخلص التحيات وأصدق التمنيات ...

مساجلة
بين العقاد ومحمود غنيم

زار الأستاذ : محمود غنيم مدينة أسوان ، فى رحلة تفتيشية فى أثناء وجود الأستاذ : العقاد بها ، فنشط لزيارته فى منزله ، وأنشده الأبيات الآتية :

أُســوانُ والعقّــادُ فيهــا كعبــةٌ — سمح الـزمان ؛ فكنت من حُجّـاجها
قـد كنت أُبْصـرهَـا بـرأس حَـاسرٍ — واليـوم قَـدْ أبصـرتُهـا فى تـاجهـا
قـولـوا لـروّاد الكـواكب : إنَّنِى — زُرْتُ النجـومَ الـزُّهْـرَ فى أبـراجهـا
الضّـادُ ـ يـا عَبّـاسُ ـ أنت سراجُهـا — وأنـا شعـاعٌ من ومَيِض سـراجهـا

وقد رد عليه الأستاذ : العقاد ؛ بقوله :

أسـوان فى ديـن السمـاحـة كعبـة — بِحُدَاتهـا ، والغُـرِّ من حجّـاجها
أَقْبِلْ إليهـا ، يـا غنيمُ ، وزِدْ بمـا — حَيَّيْتَهـا بُـرْجـاً إلى أبـراجهـا
والشعـر مـن وَحْى الغنيم غنيمـةٌ — أغنى الغُنَـاة مُـزَوِّدٌ من حـاجهـا
أنت الـوميضُ من السـراج إذ ارتقت — ومضـاتُـه العليـا إلى مِعْـراجهـا

سلطان العاشقين

أبو سلطان

أهدى الأمير : صقر القاسمى إلى الشاعر ديوانه : « فى جنة الحب » ؛

فكتب إليـه :

أيُّ حبٍ فـى ذلك الـــديــوان ؟ أى شعــرٍ فيــه رقيق المعــانى ؟

هـا هنـا الشعرُ هـا هنـا ، والتَّصـابى إنمـا الشعــر والهــوى تَــوأَمَــان

غَــازِىَ الغيــد فى دمشق ، ولبنـا (م) ن ، وفى شَـطِّ دجلـــة ، وعُمـــان

عُمَــرٌ أنت فى الصبــابـةِ ، أو قَيْــ (م) ــسٌ جـديـد، أو ابن أحْنَفَ ثـان

لـو تــلا هـؤلاء شعــرَكَ ، قـالــوا : إن سلطـــانـنـــا أبـــو سلطـــان !

قداحة

أهدى الأمير : صقر القاسمى إلى
الشاعر قداحة (ولاعة) ثمينة ؛
فبعث إليه :

قَدَّاحةٌ جاءَتْكَ من قدَّاح ... قداحِ زَنْدِ المجدِ والسَّمَاح
شُعْلتُها تضىءِ كالمِصْبَاحَ ... هازئةً بعاصف الرياح
فَتيلُها من طرة الملاَح ... وَزَيْتُها من قَطَرات الرَّاح
أو من عصير الزَّنْبَق الفَوَّاح ... لله ومضُ نورِها اللَّمَاح !
يحكى لنا عن فلق الصباح ... رقصتُه تدعو إلى المراح
وتَفتح القَلْبَ بلا مِفْتَاح ... وتملأ الصدْرَ بالانشراح
إليكَ أهداها كريم الرَّاح ... مَنْ قَدْرُهُ جلَّ عن الأَمْداح
وفضلُه احتاج إلى شُرَّاح ... لازلتَ ، يا صقرُ ، رحيبَ السَّاح
مرفرفا فى الجَوِّ بالجنَاح ... مُحَلِّقاً فى سائر النواحى
تعشق كلَّ ذات وجه ضاحى ... ولا أقول : رَجُلٌ إباحى
فأنت رمز الطهرِ والصلاح ... لكن أقولُ : مطلَق السراح
يهيم بالثُّغُور كالأَقاحى ... وبالخدود الحُمْر كالتفَّاح
نَسِيبه نهاية الإفصاح ... تحفظه الحسَان فى الألواح
الحبُّ للأجساد كالأرواح ... والشِّعرُ وَحْىٌ ، والجمال واحى

أيّنا الأباحى ؟

ورد الأمير الشاعر على الشاعر

بالأبيات التالية :

يـا شـاعـرا محلِّقَ الجنـاح كـالنَّسر فى الجوِّ الطليقِ الضاحى

يسمو على السحاب ، والرياح يـرنـو بعينَىْ قـانِصٍ لمَّـاح

يختـار من أجـوائه الفسَـاح فـرائدًا من درر وِضَـاح

أو ماحـواه الثغـر من أقـاح أو زَيَّـنَ الصـدورَ من تُفَّـاح

غنيم ، خِـذْن المجـدِ والسمـاح شعـرُك كـالمـرام لـلأرواح

لا يتـرك الصـاحىَ وهْـو صـاحى نـزَّهتَـه عن كَبْـوةِ المـدَّاح

وصُغْتَـه للحب والسـلاح وللـوفـاءِ المَحْضِ والمِـلاح

صـاف ؛ كمثل الجدول المِمْـراح مـا احتـاج معنـاه إلى شـراح

قـدَّاحتـى حلت بخيـر سـاح بكفِّ شهـم، مـاجـد، قـداح

إشـراقهـا مِنْ وجهـه الـوضَّـاح وزنـدُهـا من عَـزْمَـه الطَّمَّـاح

قـد بَعَثَتْ تشكـرُ لى سمـاحى تقـول : نلتُ غـايـة الفـلاح

حللتُ فى كـف فتًى إبـاحى ليس يـرى فى الحب من جُنَـاح

لَـوْجُـدْتَ للـوكيل بى، يا صـاح لطـال سُهْـدى وعـلا نُـوَاحى (١)

من قبضـةِ الأنـامـل الشّحّـاح وصحبـةِ الخـلائق القبـاح

تبًّـا لكل شـاعـرٍ وَقـاح فى شعـره أكـذبُ من سجـاح

---

(١) يشير إلى : الشاعر العوضى الوكيل ، وكان بين الأمير ، وغنيم ، والعوضى مداعبات وأفاكيه .

تقليد

في يوم: ١٢ من يولية ، سنة ١٩٦٣ م ، أقام السيد : وزير التربية والتعليم مأدبة عشاء ؛ تكريما للمحالين إلى المعاش من كبار رجال الوزارة ، وكان الشاعر من بينهم ؛ فألقى فيها هذه الأبيات :

أكـرِمْ بـه مـن « سَيِّـدٍ » تقليـدا ... زاد العلـومَ وأهلهـا تمجيـدا !

مـا مَجَّـد المتقاعـدين ، بل الألى ... بـدرُوا جهادًا فى الحيـاةِ جـديـدا

قل للـوزيـر : غَمَـرْتَنـا بسعـادةٍ ... حتى غـدا يَـوْمُ الإحَـالـةِ عيـدا

حفلٌ كـريم، عن رضـاك معبـرٌ ... لَسْنَـا نـريـد على رضـاك مَـزِيـدا

الله سـاقك للمُعَلِّم نجـدةً ... وبنـاك حصنـا للعلـوم مشيـدا

أو لم تـرُدَّ إلى المعلم حقـه ؟ ... لـولاك ؛ لم يـك حقـه مـردودا

إنـا سنتخـذ الـوزيـر إمـامَنَـا ... من يمشِ خلف خطاه ، عاش سعيدا

لا هُمَّ ، أَمْـدِدْنَـا ببعض نَشَـاطِـه ... ومعـاذَ رَبىِّ أن أكـونَ حَسُـودا !

هوليلاى

قيلت فى حفل تكريم الأستاذ: محمد أحمد بنونة ، الوكيل المساعد لوزارة التعليم العالى ، فى ٢٢ من ديسمبر ١٩٦١ م

كـرِّمـوه ؛ فإن من تُكـرمـونـه ... تَتَمنَّى شمسُ الضُّحى أن تكـونـه

لـو وضعنـا عـن المـروءَة سِفْـرًا ... كـان عنـوان سفـرهـا : بنُّـونـه

ولـوَ انَّ الشيـوخَ تُعْشَقُ كـالبيـ (م) ـض العَذَارى ، لم يعشق القلبُ دونه

هـوليـلاى ؛ فـاعـذرونى إذا مـا ... أنـا أصبحت فى الهـوى مجنونَـه

كَمْ دعـانى إلى مـوائِد شـايٍ ... عَـامِرات ، فكيف أقضى دُيُونه ؟

رجلٌ مـن تكنْ لـه فى يـديـه ... حـاجـةٌ ، فَهْى عنـدهُ مَضْمـونـهْ

وعليهـا ابتسـامـةٌ عـذبـةٌ ، فيـ (م) ـها شِفَـاءُ لـلأنفس المحـزونـه

صـاغـه الله مـن نَـدًى ، وظِـلاَل ... يشبـه الـروضُ زهـرَهُ ، وغصـونـه

فـإذا شم أنفُـهُ ريحَ ضيـم ... كـان كـالصخـر جفْـوةً وخشـونـه

شـامخٌ كـالجبـال فـى غَيْـر كِبْـر ... ليس يُغْضِى على الهـوان جفـونـه

وشُجـاعٌ فـى رأيـه ، ليس يَـدْرِى ... جيمَ جُبْـنٍ ، أوبَـاءَه ، أو نُـونَـه

مـا عَهِـدْنَـاهُ بـالمنـاصب مَفْتُـو (م) نًـا ، ولكنهـا بـه مفتـونـه

خلفـهُ فـى شتـاءِ أمشيـرَ دِفءٌ ... ونسيمُ مُـرَطَّبٌ فـى بئـونـه

لا تقيمـوا لـه احتفـالا وتُلْقُـوا ... فيـه قـولاً مُنَمقـاً تنشئـونـه

ألفُّوا فيه سيرةً ، أو كتابًا   ودَعُوا فتيةَ الحِمَى يقرءُونه

أو دَعُونى أنظِمْ سجاياه طرًّا   فى نشيد مُرَتَّلٍ يحفظونه

كى يشِبُّوا على حميد السجايا   وعلى عِزَّة النفوس المصونه

أيها المُحْتَفَى به، أنت أهْلٌ   لعيون القَرِيضِ، فَاقْبَلْ عيونه

وأَجِزْنى بمنحةٍ ، وتذكَّرْ   أننا فى الشتاءِ ، فصلِ المعونه

وتذكرْ من كان يَجْزِى على الشعـ   ـر بِمَنْح الجواهر المكنونه (م)

فى زيارة الواحات

هلَّلتُ للــوادى الخصيبِ الأخضـرِ ... متحـدياً جَـدْبَ الفضـاءِ المُقْفـر

فَنَـزَلْتُ منه ــ إذْ نـزلتُ ــ بجنـةٍ ... وشــربتُ فيـه مثلَ مــاء الكَــوْثَـر

لكأنمــا الصحــراء عنــه تبَسَّمَتْ ... بعــد العُبُــوس تَبَسُّمَ المستبشــر

يأيهــا الــوادى الجميل ، تحيَّــةً ... بشــراكَ ! قــدْ وافـاكَ خَيْــرُ مُعَمِّـر

لكَ حــاضــرٌ زَاهٍ ، سيأتـى بعـدهُ ... مستقبلٌ أزْهَـى على يَــدِ أنــور

أَمـا الظَّــلامُ ؛ فقـد تَبَـدَّدَ جيشـهُ ... وسطـا عليـه عَسْكَـرٌ فى عسكـر

كلمة تقدير

إلى الصديق ابن الصديق ، الدكتور : أسامة حسن علوان

يكتبُ اللهُ للمـــريض السَّـــلاَمَـــه   حين تـأسـو المـريضَ كفُّ أسـامـه

مَلِكٌ حـــاكمٌ على دولـــةِ الأَعْـــ (م)   ـصابِ ، يُمْضِى فى مُلْكِهـا أحكامه

دائم البِشْـــرِ إذ يعـالـج مَـرْضَـا (م)   هُ ، وقـد تُبْـرِىءُ المـريض ابتسـامهْ

ليس ملْكَـــاً لنفســـه هـــو ، لكِنْ   هـــو مِلْكُ لكلِّ شَـــاكٍ سقَــامـــه

لكـــأَنَّ المسيحَ أوصى أُسَـــامَـــه   بشفـاءِ المَـرْضَى ؛ فقـام مَقَـامَـه !

يا ابن عيسى

أنتَ للحقَ أنتَ، خيـــرُ طـــريقٍ   يـا ابنَ عيسى، وأنـت عـوْنُ الفـريق

قـــد عهـدنـــاك فى جميع قَضَـايــا   كَ حَلِيفَ النجـــاح والتـــوفيـق

لك فى سـاحـة العـدالة ، يـا معخـ (م) ـــمُودُ جــولاتُ مِـــذْرَهٍ مِنْطِيق

يَشْفَعُ الحقَّ بـــالـدليلِ مَصُـــوغــاً   فـى بيـــان كأنَّـــهُ مِنْ رَحيـق

يـوشك الحقُّ ـــ إذْ تـدافعُ عنـهُ ـ   أن يمُـــدَّ اليَـــدَيْنِ بـــالتصفيق

يَفْـــزَعُ الظلمُ إن رآك ، كمـا يَفْـــ (م) زَعُ جيشُ الظـــلام عنـد الشُـروق

إن عيسى أحيـــا مـــوَات الـــدنيـــا   وابن عيسى أحيـا مـوَات الحقــوق

الطبيب إمام

أنتَ فى الطبِّ ، يا إمامُ ، إمَام — إن لمسْتَ السَّقيم ، زال السَّقَامُ

لك وجهٌ يكاد يقطر بِشْرًا — وابتسام تُشْفَى به الآلامُ

أودع الله فى يديك سلاحا — كلُّ جُرْح بحدِّه يَلْتَامُ

هو سيفٌ ماض على كلِّ داءٍ — وهْوَ للناس : رحمةٌ ، وسلامُ

أنت لولاك ؛ لم تَشَمَّ عبيرا — أو تُشَنِّفْ آذانَنا الأنغامُ

يا أبا فيصل

يــا أبــا فَيْصَـلٍ ، عليك سـلامُ   إن بيتـا يـأْويك بيتٌ حَـرَام

لا تقُلْ : حـاتم، وكعـب ، ومعن   إنهم عنـد صَـالِح أقـزام

بَـاسِمٌ أنت للضيـوف ، وأحلى   مَـا بِـه يُكْـرَمُ الضيـوفُ ابتسـام

ليس كـلُّ الطعـام خُبْـزًا وأرزًا   فمن البِشْـرِ للضيـوف طعَـام

أنت ، يـا صَاحِ ، صَالِحٌ لِلْمَعَالى   وشَهَـابـاً بـه يُنِيـرُ الظـلام

حفظ الله صـالحـا وبنيـه   إنَّ نَسْلَ الأبِ الكـريم كِـرَام

أنت فـى دولـة الكُـوَيْت لـواءٌ   خَـافِقٌ فـوقها ، وهُمْ أعْـلام

تحية موجزة

للشاعر الكبير : أحمد السقاف

رفعتَ ، يا سَقَّافُ ، سقفَ منزلى — إلى الثُّريا ، والسِّمَاك الأعزل
أما ترى جدرانه فى جَذَل — كادت تُحَيِّيكَ وإن لم تَعْقل
لله أنتَ من كريم مُفْضِل — وشاعر من الطِّراز الأول !
شعرُكَ ، يا سَقَّافُ ، عذبُ المَنْهَل — أعذب من لاميَّةِ السَّمَوْءَل (1)
كم لك من قصيدة فى محفل — ألهته عن سِقْطِ اللِّوى وحَوْمَلَ ! (2)
شعر يسيل كالنَّمير السَّلْسَل — ليس بواهى النَّسْج أو مُهَلْهَل
ذَكَّرَنَا شعرَ الفُحُول البُزَّل — ما لِلَبيد مِثْلُه ، أو جَرْوَل (3)
يارب شعرٍ فَاتِرٍ مبتَذَل — لا هو بالنثر، ولا بالزَّجل
من القَوافى، ومن الوَزْن خَلِى — به يُشَجُّ الرأسُ ، لا بالجندل
مَنَ نظم الشعر بلا مستفعِل — فإنما أصابهُ فى المقتل
لله دَرُّ أحمدٍ من رجلٍ — قد سار فى شَبَابه المقتبل
فى خَلْقِه وخُلْقِه المكتمِل — كاد يكون مضربا للمثل
ينطق لكن بلسان العجل — وهو الفصيح قولُه ، إن يقُل

❊❊❊❊

تحية موجزة لم تصقل — فشعرها أشبه بالمرتجل
يسعى إليك، مُطرِقًا فى خَجَل — فالتمس العذر له ، والعذرَ لى

---

(1) السموءل : شاعر جاهلى ، وضرب به المثل فى الوفاء .

(2) يرمز إلى معلقة امرىء القيس ، التى تبدأ بقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل — بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(3) جرول : لقب الحطيئة ، الشاعر المجيد الهجاء .

هنا شعر أنثى!

في ٩ـ٦ـ١٩٦٨ـم

لِلُــورَا قَــوَافٍ تَفُــوح عبيــرا ... رعى الله لــورا ، وديــوان لــورا
لقــد رَقَّ ؛ حتى حسبنــاه ســال ... رَحِيقــاً عتيقــاً ؛ وعــذْبًــا نميــرا
بحــورٌ مــن الشعــر فــى عُمْقِهــا ... وَرُحْبِ مَــداهــا تحــاكى البحــورا
ولم تَحْــوِ مــاءً، ولكن حــوَتْ ... عــواطفَ جيَّــاشَــةً وشُعُــورا
هنــا شعــرُ أنثى : تفيض حَنــانــا ... وحُبًّــا ، وتحمل قَلْبــاً كبيــرا
وكـم قلـم فى بنَــانٍ خَضِيـبٍ ... حسبنــاه من شــاربيْن استُعيــرا
لقــد حلَّقَتْ بجنــاح قــوىّ ... كعصفــورة تَتَحَــدَّى النســورا
وخلَّت ســواهــا مــن الغــانيــاتِ ... يسيــر مهيض الجنــاح كسيــرا
وثــارت علــى التُّــرَّهَــات بقلبٍ ... شجــاع، وحــق لهــا أن تثــورا !
تعبــر، صــادقــةً ،عن هــوَاهــا ... وتنكــره الغيــد إفكــاً وزورا
وهل تنكــرُ الغــانيــاتُ الغــرامَ ؟ ... أيحمِلْن بيـن الصــدور صخــورا ؟
كيــوبيــد يُغــزو عــرينَ الأُســود ... فكيف بــه لا يشقُّ الخــدُورا ؟

هل عاد قيس ؟

إلى الشاعر العاطفى : محمد عمر الطوانسى

بِنَسِيبِ شعــــرِكِ ، يـــا عُمَـــرْ للغـــانيــــات حَـــلا السَّمَـــرْ

هتَفَت بـــه الهيفَـــاءُ ، وهـــ (م) ـــىَ بخـــدْرهـــا عنـــد السَّحـــر

شعـــــر تغنَّى العــــاشقـــو (م) نَ بـــهِ على ضَـــوء القمـــر

وبـــــــه تَمثَّل كـــلُّ صَـبٍّ (م) يشْتكـى خِـــــلاًّ هَجَـــــر

الحبُّ فَـــاض بـــه كمـــا فـــاض العُبَـــاب على النَّهَـــر

هـــو للصَّبَـــابَـــة معـــرض هـــو للغَـــوانِـى مُـــؤتمـــر

مـــا زلت تنسب بـــالحســـا (م) نِ الغِيـــدِ ، ربَّـــاتِ الحَـــوَر

وتئِـنُّ مـن فَـــــرْط الهُيَـــا (م) م وتشتكـى طـــولَ السهـــر

حتى سألتُ : أعـــاد قَيْـــ (م) ـــسٌ ، قيسُ ليلى، من سَفـــر ؟

أو هـل تُـــرَى ابن أبـى ربيـــ (م) ـــعةَ بعـد غيبتِـــهِ حضـــر ؟

أو زار طيـف كُثيِّـــــــــرٍ أو أحـــوصٌ ثـــانٍ ظهـــر ؟

* * * *

سيمـــا الأصـــالــة فى قَـــريـــ (م) ـضكَ ، لا الفهـــاهـــةُ والهـــذر

لا الشعـــر خـــانَتْـــه قـــوا (م) فيـــه ، ولا الـــوزنُ انْكَسـر

مـــا الشعـــر إن هـــو لـم تـزيَّـــ (م) نْــهُ قـــوافيـــه الغـــرر ؟

الشعـــر مـــا لم يتـــزن كـــالعـــود ليس لـــه وَتَـــر

بـــالشعـــر يلْهَجُ معشـــرُ مـــا عنـــدهم عنـــه خبـــر

والشعـــرُ منهـم بــاسمُ الشـــ (م) ـــفتين، مفتَـــرُّ الثَّغَـــر

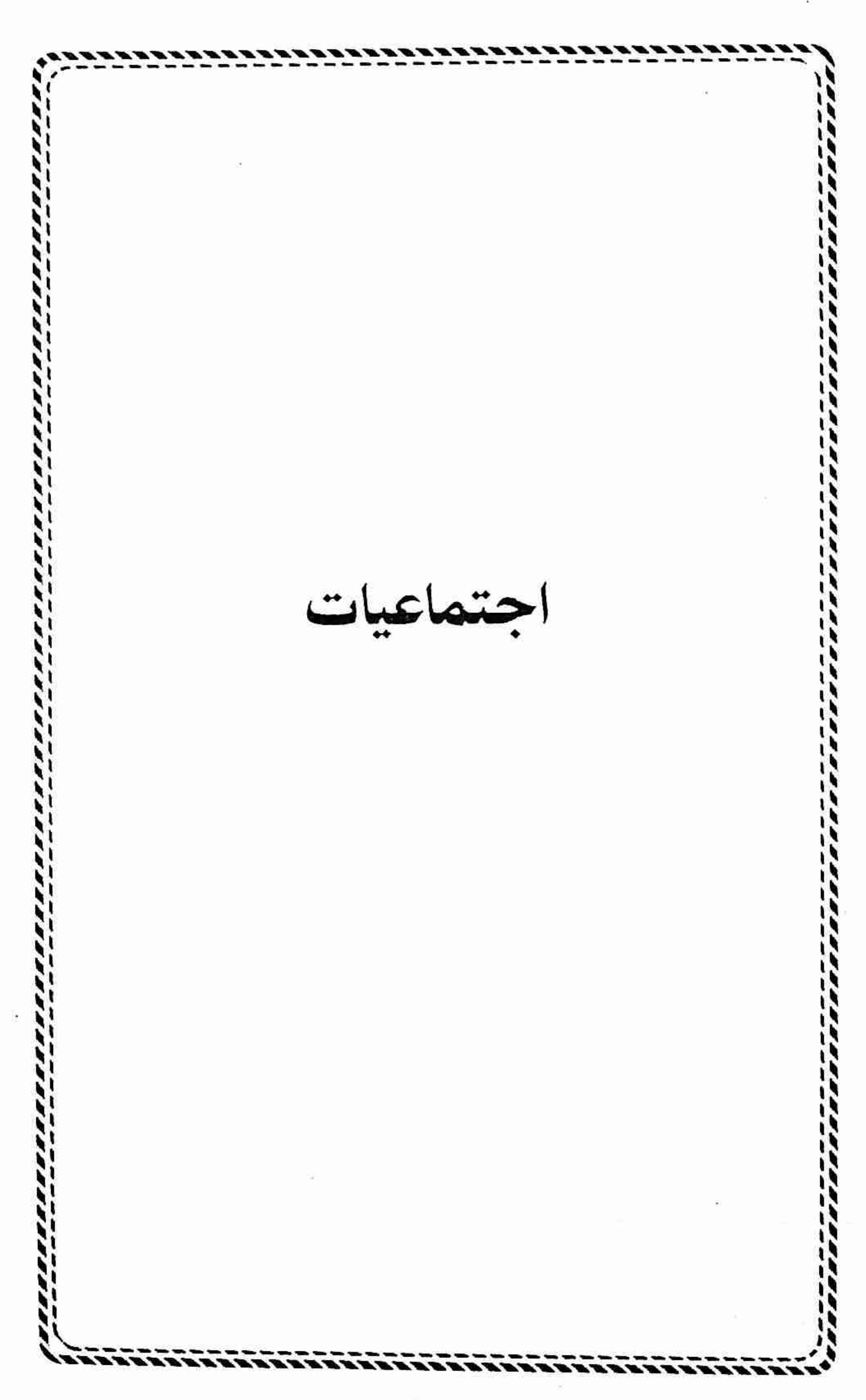
والشعـــر منــــه خـــالـــدٌ بـــرواتــــه بــاقـى الأَثَـــر

ومكفَّـــنٌ فـى مهـــــــــده يـــوم الـــولادة يُحْتَضَـــر

مــــا كـل مـن خـطَّ اسمَــــهُ فـى صـــدر ديـــوانٍ شَعــر

الغـثُّ لا بُقْيـــا لـــــه مهمــــا أَذِيع أو انتشـــر

والـــدهـــرُ خيـــرُ مميِّـــزٍ بيـن الــــلآلـىءِ والحجـــر



اجتماعيات

أسف بالغ !

نشرت الصحف أن مريضًا استبد به المرض ، وتردد على المستشفيات ؛ فلم يجد من بين الأطباءِ من يداويه بالمجَّان ، ولجأ إلى أخيه فبرم به بعد مدة ، فلم يجد بدًّا من أن يتردى فى جب ؛ تخلصًا من حياة لم يجد بين أبنائها التراحم ، وفقد فيها التواد والمعروف مع أقرب الناس إليه ، فقال الشاعر [1] :

شَفَاه رسول الموت إذ خانه الطِبُّ	وضاقت به الدنيا ، فلم يضق الجُبُّ
فتى عاش فى آلامه نِصفَ مَيِّتٍ	كنوُر سراج لا يضىء ، ولا يخْبُو
تحاماه أهلوه ، ومن قَلَّ مالُه	فليس له أهلٌ ، وليس له صَحْبُ
أهابَ بأهل الطبِّ ، والطبُّ مُطْرِقٌ	أصمُّ ، له (جيب) ، وليس له قلب
إذا أَنَّ ذُو جاه ، فعشرون آسيا	على بابه ، والمعدمون لهم رَبُّ !
بنى وطنى ، هذا شهيد عُقوقكم	فليس عليه أو على القدَر الذنب
تباركت ربى ! يسقط الطير جائعًا	بمصرَ ، وفى مصر المناهل والحبُّ
وكم هبةٍ تُحْيى من الموت أنفسًا	على قدمىْ هيفاءَ ينثرها حِبُّ
بنى وطنى ، حذرتُكم نشوةَ الغنى	فأولها سِلْم ، وآخرها حرب !

(١) من صور الحياة المصرية : للأستاذ محمد صادق عرنوس ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، سنة ١٩٤٨ م .

من شعره المبكر :

حفل زواج

أرأيتَ كيف تــلاقَتِ الأقمــارُ … وحــوتْ نجــومَ الأُفْقِ تلك الــدارُ ؟

لا غَـرْوَ ؛ هـذا منـزلٌ مُسْتَـأْصِلٌ … فى المجـد، بُرْجُ الشمـس منه يَغَار

يأيهــا الحفلُ الكــريمُ ، تحيــةً … من نَفْحِهـــا تتعطَّـــرُ الأزهـــار

لم يَحْـوِكم هــذا المكـانُ ؛ وإنمـا … تحــوِيكُـمُ الأَسمــاعُ والأبصـــار

أهْنِيء بيـومك، يـا « محمد » ، إنـه … يـــوم تَضِنُّ بمثلـــهِ الأعمَـــار

أنـا لا أقـول : لقــد ظفـرتَ بِـدُرَّةٍ … إن الجــواهِـــرَ كلَّهـــا أحْجَـــار

بل تلك أنثى من سلالةِ « مُصْطَفَى» … هل بعــد ذلك رِفْعــةٌ وفَخَـــار ؟

* * * *

أمحمـــــدٌ ، منِّى إليكَ نصيحــــةٌ … لكَ ســوف أبْــذُلهــا ، وَلِى دِينـار

عهــد العُـزُوبَــةِ قَـدْ مَضَى بِشقــائِهِ … إن العُـــزُوبَـــةَ كلَّهـــا أخْطـــار

قَــدْ عِشْتُ قبلـكَ أَعْــزَبًــا ، لكننى … لا أرْضَ تَـــــأْوِينى ، وَلاَ لِـىَ دار !

لا تسألــوا عن بَعْضِ مــا قــاسيتُــهُ … قبل الـــزواج ؛ فهـــذه أســـرار

قــالـوا: الــزواجُ ، فقلتُ : من ريفيَّةٍ … لا المُـــدْنُ تُعجِبُنى ، ولا الأمصـــار

لا تَخْــدَعَنَّكَ غــادَةٌ حضـريَّـــةٌ … فيهـــا بيــاضٌ زائفٌ، وحَمَـــار (١)

---

(١) يقال فى صفات الألوان : حمرة وزرقة ، ولا تكون الصفة منها على : (فعال) إلا فى بياض وسواد .

أَتَظُنُّ أن الجسم جسمٌ : نصفُــــه ... عــارٍ ، وأثــوابٌ عليــه قِصــار

اختَــرْ لنفسِكَ مـن فُتَيَّـاتِ القُـرى ... أهْــلا ، فهُنَّ مَــلائِكٌ أطهــار

أنـا لا أقـولُ : تــزَوَّجُـوا رِيفيَّـةً ... ممَّـنْ يُـــدَقُّ لأجلهـن الــزَّار

كــلاَّ . ولكـنْ بينَ جُـدْرانِ القُـرى ... حُـورٌ ، حــرائرُ، نُهَّـدٌ، أبْكـار

أنثى مُثَقَّفَـــةٌ إذا عــاشــرتَهـا ... تَــدْرى شئــون البَيْتِ كيف تُــدار

قل للشبـــاب إذا أراد تَــأَهُّـــلاً : ... ثَــوْبُ الجمـال على النسـاءِ مُعَـار

لا يَخْــدَعنَّهم الجمـــال ، ولا الغِنَى ... إن يَبْتَغُــوهُ ، فـــإنهَّمْ تُجَّــار

العلـمُ للهيفــاءِ أجْمـلُ زينــةٍ ... إن لم يــزنهـــادملج وسِــوَار[1]

من لمْ تُجمِّـلْ بـالفضيلـةِ نَفْسَهـا ... لم يُغْـنِ عنهـا فِضَّـــةٌ ونُضَــار

زُفَّتْ كـــريمــةُ مصطفى لمحمَّــدٍ ... يــا حبــذا الأزواجُ والأصْهَــار !

قــد بـات فـى أمِّ الكتـاب مسجَّــلا ... عقـــدٌ يتـــوَّجُ رأسَـــهُ نَضَّـــار

---

(١) الدملج والدملوج : سوار يحيط بالعضد ، وكل ما صنع بحذق ومهارة .

النشيد الرياضى

بعَـزْم الشَّبـاب نَهُـزُّ الـوجـودْ ... وبـالتَّضْحِيَـاتِ وبـذْلِ الجُهُـودْ
إذا السِّلْمُ سـادَ ، فنحنُ البُنَـاةُ ... وإن شَبَّت الحَـرْبُ ، كنَّـا الجنـودْ

* * *

سـواعـدُنـا خُلِقَتْ للنِّضَـال ... وأقـدامُنَـا قَـاهِـرَاتُ الـرِّمَـالْ
وإقْـدَامُنَـا مـن هُبُـوبِ الـرِّيَـاح ... وإيمـانُنُـا فى رُسُـوخ الجِبَـالْ

* * *

كـرامٌ ؛ نُصـافِحُ من نغلبُ ... ويَسْمُـو بأخـلاقنـا المَلْعَبُ
ويصنعُ منَّـا رِجَـالاً ، ونَحْنُ ... بـه أُسْـرَةٌ ، وهْـوَ نِعْمَ الأَبُ

* * *

لنـا حَـرَكَـاتٌ تَشُـدُّ العـرا ... وتَـرْبِط بين شُعـوبِ الـوَرَى
وتَكْسُـو الحيـاةَ رِداءَ الجَمَـالِ ... وتَبْنِى السَّـلامَ رفيعَ الـذُّرَا

* * *

شِعَـارُ الـريـاضِىِّ نِعْمَ الشِّعَـارْ : ... أصُـدُّ الغُـزاة ، وأحْمِى الـذمَـارْ
أُجِلُّ الكبيـرَ ، وأرْعَى الصَّغِيـرَ ... وأعْـرِفُ للجـارِ حقَّ الجِـوَارْ

نشيد
المعهد العالى للتربية الرياضية

إلى الأمـــام سِـــرْ ، إلى الأمـــام　　　أسُـودُ بـالتّـدريب ، والنظـــامِ
لى عَـــزْمَـــةٌ قُـــدَّتْ من الأَهْـــرَام　　　سِـــرُّ الحيـــاةِ صحـــةُ الأَجســـام

إلى الأمـام سِـــرْ إلى الأمـام

نَحْنُ الـــرِّجَـــالُ ، نُنْبِتُ الـــرِّجَـــالاَ　　　نحن الـــذيـن نُنْشِىءُ الأَجْيَـــالاَ
على يَـــدَيْنَـــا نَصْنَعُ الأَبْطَـــالاَ　　　إنَّـــا نُـــرَبِّى للحمى أشْبَـــالاَ

كَيْمـــا يَصُـونُـــوا حُـــرْمَـــةَ الآجَـــام
إلى الأمـام سِـرْ إلى الأمـام ... إلخ

نَبْنـي العُقُـــولَ للحِمَـى بنـــاءَ　　　وبـــالنَّشَـــاط نُـــزهِفُ الـــذَّكَـــاءَ
ونَغْـــرِسُ العِـــزَّةَ والإبَـــاءَ　　　بِـــالْـــوَثْبِ والتمـــرينِ نَغْـــزُو الـــدَّاءَ

ونعلن الحـــرب على السَّقَـــامِ
إلى الأمـام سِـرْ إلى الأمـام ... إلخ

سِـــلاَحُنَـــا ريـــاضـــةُ الأبـــدانِ　　　دُرُوعُنَـــا مِنْ قُـــوَّةِ الإيمَـــان
أخـــلاقُنَـــا متينَـــةُ البُنْيَـــانِ　　　بَـــاهِى بنـــا ، يـــا أمَّـــةَ العُـــرْبَـــان

فنحن جنْـــدُ الحــربِ والسَّــلام

إلى الأَمــام سـر إِلى الأَمــام ... إلخ

للعلـم نحنُ والعُـــــلاَ جُنـــودُ بعَـــزْمنـــا أوطـــانُنَـــا تَسُـــودُ

بـــالـــروح فى سبيلِهـــا نجُـــودُ يـــا أمَّـــةَ العُـــرْبِ، لكِ الخُلُـــودُ

لِجُنْـــدكِ النَّصْـــرُ على الـــدوام

إلى الأَمـام سِـرْ إلى الأَمــام ... إلخ

استعطاف وتبرئة

استعطاف موجه إلى سمو الأمير : زايد بن سلطان حاكم اتحاد إمارات الخليج ، بشأن قضية الأمير : محمد صقر القاسمى .

حَيِّ الخليجَ ، وسل ساداتِه النُّجُبا ... عن ليثِ غابٍ ، على شُطْآنه وثَبا

ما حاد عن شرعة الإنصاف مُهْتَضَمٌ ... قد جاءه يقتضى حقًّا لَهُ سُلبا

قصر الإمارة مَغْنَاهُ ومرتَعُهُ ... إنْ يقتحمْهُ بلا إذْنٍ ، فلا عجبا !

مَنْ حكمَّ المَنْشَ فى شطِّ الخليج ؛ فذا ... وَالٍ أُقِيل ، وهذا غيره نُصبا ؟

لصٌّ تصرَّفَ فيما ليس يملكهُ ... ما كان للصِّ أن يَمْتَنَّ أو يهبا

هزليَّةٌ أحكم المحتلُّ حَبْكَتَها ... لا تعرضوها فُصُولاً بعد ما ذهبا

إن الأَميرَ الذى لاقى مَنِيَّتَه ... ما كان للعرش منْ وَاليهِ مُغْتَصِبا

لكنَّها فِتْنَةٌ هو جاءُ عارمةٌ ... ألقى الدخيلُ عليها النارَ والحطبا

شاه الدخيل ؛ فكم شَبَّتْ لظىً يَدُهُ ... وكم أخًا بأَخ فى فتنة ضَرَبا

ما كان من هَمِّ صقر قَتْلُ صاحبهِ ... لكنْ عليه بحد السيف قد عتبا

وكيف يفتك فى وعيٍ أَخٌ بأَخ ؟ ... لكنه قدَرٌ فى اللوح قد كُتِبا

لبئسَتِ الحربُ ـ حَرْبُ الأهل ـ عاقبةً ... أشقى فوارسها مَنْ أحرزَ الغلبا

يكاد يهتزُّ ركنُ الأرض من فَزَعٍ ... إذا أَخٌ وأخوه فوقها احتربا

ويح الشقيقين : مَقْتُول جرى دمُهُ ... وقاتل دمعُه من قلبه انسكبا !!

لا الصِّهرُ أغنى ، ولا الأرحام شافعةٌ ... والثأرُ لا يعرف القربى ولا النسبا

سجيَّةُ العربى الحرِّ من قدمٍ إن ضاع حقٌّ له لم يألُهُ طلبا
يخوض من أجله الرَّجَّافَ مُصْطَخِبًا آذيُّه ، ويخوضُ الجمْرَ ملتهبا

* * *

عذرا لصقر إذا قاضيتموه ؛ فما أولاه بالعذر فى الذنب الذى ارتكبا
إن كان قدَّم كأسَ الموت مُتْرَعَةً إلى أخيه ، فمنها قَبْلَهُ شربا
صقرٌ حسامٌ بكف العربُ منْصَلِتٌ ماضى الغرار ، إذا حَدُّ الحُسَام نبا
صقرٌ هو الصقر فى جوِّ السماء، إذا ما أصبح الصقرُ فى جو السماءِ دَبى
صقر ومَن مثلُ صقر فى أرومته ؟ هو المنسَّبُ خالاً ، والكريم أبا
صقر أميرًا ، وصقر سوقةً ، رجلٌ يعيش رأسًا ، أشمَّ الأنف ، لا ذَنَبا
من قدَّمَ العرش قربانًا لأُمته وقام للوطن الغالى بما وَجَبا
وعاش فى غربة عَيْش الكَفَاف، ولوْ شاءَ استحال الحَصَى فى كفِّهِ ذهبا
نال الإمارةَ إرثًا عن أوائلهِ فكيف يذهبُ ميراثُ الجدودِ هبا؟
إن كان صقر عِظَامِيًّا فقد ظفرَتْ يداه بالمجدِ موروثا ومكتسبا

* * *

لو طأطأ الرأس صقرٌ عاش فى دَعَةٍ ولم يَعِشْ فى فِجَاجِ الأرض مغتربا
ما دار فى فلك المُحْتَلِّ إِمَّعَةً بل كان يَقْضِى ، ولا يَقْضى له أربَا
ما كان شاهًا بِشِطْرَنْجٍ تحركهُ كف الدَّخيلِ كما شاءَتْ إذا لعبا
كانت جَرِيرتهُ أن سِيمَ فى نفرٍ من قومه ذلةً ، فاستسلموا ، وأبَى
كانت جنايته أن قال : « لا » ، وعَصى منْ لا يُرَدُّ له قولٌ إذا رغبا

لا يقبل الحـــر زادًا قـــدَّمَتْــه لـــه كفُّ الـدخيل ، ولو ذاق الـردى سَغَبَا

* * *

قل لابن سلطـــانَ قــولاً غيــر مُتَّهَم مِنْ شاعِـرٍ منصف لا يألف الكـذبا :

شيخَ الإمـارات ، صقـرٌ أنت تعـرفـهُ وأنت ــ يـوم نَفَـوْه ــ تعـرف السببـا

ناشـدتُك العَدْل فيه ، والعـروبةَ ، بل نـاشـدتك الله ، والإسـلامَ ، والحَسبـا

طــال الـزمــانُ عليـه رَهْنَ مَحْبِســهِ والصقر لا يعـرف الأَقْفَاصَ والقُضُبَـا

لا تأخـــــذوه بِــــوِزْرٍ ليـس وازِرَهُ فَتُشْعِلوا فى الصـدور الحِقد والغضبا

ورشحـــوه ليــومٍ فيـــه نـدفـع عَنْ أحسـابنـا ، إن هـذا اليـومَ قـد قـرُبَـا

إن تفقـدوه ، فقـدتُم خَيْـرَ قـادتِكم والحامِىَ المـرتَجَى ، والمعقل الأَشِبَا

هــو الأمير الــذى أحْيَـا لكم أدَبًـا يعيـد عهـد بنى حَمْـدانَ فـى حَلَبـا

عطفًـا على شَيْخَــةٍ رِيعَتْ بفقـد أخٍ فكيف أنْ نَجْلُهَـا أو بَعْلُهَـا نُكِبـا ؟ !

قالـوا : جَلِيلةُ . قلنا : لا تقـاسُ بها وإن جـرى دمعهـا مـن عينهـا سُحُبـا

رُدُّوا إلى القـــاسِمىِّ الحـــر قلعتَــهُ وامشـوا على نَهْجِـهِ إن كنتمو عَـرَبـا

دعـــابات

بط الماحى

تبتدىءُ هذه المساجلة الفكاهية ، حينما وقف الشاعر الظريف : عبد السلام شهاب فى إحدى الندوات التى نوقش فيها ديوان الماحى ، فألقى زجلا فكاهيا ظريفا ، بدأه بقوله :

ديــوان المــاحى الــدمياطى   سبحــان الـوهَّــابِ العــاطى !

ثم جعل يعدِّدُ مناقبَه حتى قال :

ولبيت المـــاحى صِيتٌ فـى   تــربيـــة البطِّ الــزَّغــاط

وحينئذ : تحركت شهوة الطعام عند الشاعر؛ فأرسل إلى صديقه الماحى يقول :

قــد سمعنـا عن بطكـم مـا سمعنـا   فأكَلنــا بــالأُذْن حتى شبِعنــا

غيــر أن الأفــواه تنطق هَمْســا :   مــا عــرفنـا لــذلك البط مَعْنى

يــا أبــا مُصْطفى ، عليك ســلامٌ   أفَيُــرْضيك أن شبعتَ وجُعْنــا ؟

وسع النـــاسَ كلَّهم بطُّـك النـــا (م)   ضِحُ دُهنـــاً ، لكنــه لـم يسعْنــا

جُـــدْ علينـــا ولـــو بطيفِ جَنَــاح   لا تَدَعْنَا نشكو الطوى ، لا تـدعنا !

نحن فـى عَهْــدِ أزمـــة وغـــلاءٍ   قــد رهنَّـــا فيــه المتـــاع وبعنـــا

نحن قـــوم لنـــا العفــافُ شِعَــارٌ   إن سُقينَـــا حِسَـــاءَ بطٍ قنعنـــا

وإذا نـــالنـــا كَــرِيـمٌ بـــإحســا (م)   نٍ شكــــرْنَــا صنيعَــــهُ وأذعنـــا

ونــــذيـق البخيل هَجْـــوًا وبَيــلاً   مِثْلَ حــدِّ الســلاح ضربــاً وطعنــا

صاح ، لا عذر بعـد هذا ، فَقُلْ لى :   قـــد سمعنـــا مـــا قلتَـــهُ وأطعنـــا

فكتب الماحى إلى الشاعر ، يقول :

يـا أخى ، يـا غنيـمُ ، رِفْقاً بحـالى	إن عبـد السـلام بـات يُغَـالى
لا تصدقْ مـا قـالَـهُ ، يـا صـديقى	إنـه شـاعـرٌ رحيب الخيـال
لـم يـــزرنـى ولـم أزره ، ولكـن	هـاجـه الشـوقُ للطعـام الغـالى
كـان فيمـا مضى يقـدَّمُ بطٌّ	ودَجَـاجٌ محمَّـرٌ فى المقـالى
يـومَ كـان الـزمـان سهـلا رَخيًّـا	لا يمـر الغـلاء فيـه ببـال
فَغَدَا البطُّ والـدجاج ـ كمـا تَعْـ (م)	لم ـ ضـربيـن من ضُـرُوب المحـال
غيـر أنى ـ وقـد تَصَـوَّرتُ مـا قـا (م)	ل صحيحـاً ـ أراه سَهْلَ المنـال
لك عنـدى وللصـديقِ شِهَـابٌ	أسمنُ البطِّ فى قـريب الليـالى
ولمـن شئت مـن مُحبيكَ طُـرًّا	أنـا والله لست بـالبخَّـال
فـاقترح ، يـا أخى ـ فـديتُكَ ـ يومـاً	واختبر ـ إن شكَكْت ـ صِدْقَ مقالى

ولما وجد الشاعر الدعوة مذبذبة غير صريحة ؛ بعث إلى الماحى يقول :

أيهـا الشـاعـر الـرقيـق الحـال	أنـا لم أدْرِ أن جيبَـك خـالى
أنت قَـدْ بِتَّ تـدَّعى الفَقْـرَ حتىَّ	كِـدْتُ أهـدى إليك قـوتَ عيـالى
مـا طلبنـا إليك ذبـح فَصِيلَيْـ (م)	ـن ، وفَحلينِ من فُحُـول الجمـال
بل طلبنـا جنَـاح أنثى مـن البطِّ (م)	إلـى الله تَشْتَكِـى مـن هُـزال
فعـلام الأسـى ، وطـولُ التَّشَـاكى	والتَّبـاكى على الـزمـانِ الخـالى ؟
لَسْتَ ممن يـدعـو الضيـوفَ بقلبٍ	بل بقـول ممـزَّقِ الأوصـال
لست ممن يـدعـو بطـرفٍ قـريـرٍ	بل بطـرفٍ ذى مَـدْمَع سَيَّـال
مُـومِئـاً نحـوَ بـاب دارك للضيـ (م)	ـف بِيُمْنَاك ، طَـارِدًا بـالشِّمَـال
والكـريـم الكـريـم يـدعـو بقلب	ثـابتٍ ثـابت ثبَـاتَ الجبـال

يــا ابـن دِمْيَــاطَ ، إنَّ دمْيَــاطَ   إنْ عـدَّت بنيهـا تعـدَّك ابـن حـلال

إن دميــاط مَهْبِطُ الشِّعــرِ ، لكن   هى فى الحــرص مضــربُ الأمثـال

إن أنْجَــالَهَــا كَثِيــرٌ ، ولكن   أنت ، يـا صَـاح ، أنْجَبُ الأنجال

بكــرُهَـا أنتَ حِكْمَــةً وبيــانــاً   وفتـاهــا حِـرْصـاً على الأمــوال

صــاح دَعْنى من أكـل بطِّك ، دَعْنى   أوثِـر الجـوعَ ؛ إن عِــرْضِىَ غـالى !

فأجـاب المــاحى إجابـة لا تـزيـد عن سـابقتهـا فتيــلا بقـولـه :

يـا صـديقى ، لقـد عهـدتُك عَـدْلاً   منصفــاً فى المقَــال والأفعــال

أنـا لا أشتكى ـ كمـا قلت ـ فقْرًا   لا ، ولا البُخْلُ خَصْلَةً مـن خصـالى

فلم الجــور والتشكُّكُ فيمــا   سُقْتَـه بـاكيـا لِـرِقَّـهِ حـالى ؟

فيم نُكْــرَانُك الغــلاءَ ، وكـلُّ الــ (م) ــناس يشكـون من أذى مغتـال ؟

فــإذا لم تحسَّــهُ ، فهنيئــاً   لكَ مــا قــد جمعـتَ من أمــوال

أنـا عنـدى من القنـاعــة كَنْـزٌ   ومـن الله فضلُــه المتــوالى

إن دميــاط ذاتُ جــد ، وقَصْـدٍ   لا لحــرص ، ولا لِسُــوءِ فعــال

تضع الحقَّ فى النِّصـاب ، ولا تفـ (م) ــعل فعل الأغْفَــال والجُهَّــال

هل أُجَـارِيك فـى دُعَـابَتِك الحـرَّ (م) ى ، وأنت المُــدَاعِبُ المتغــالى

لا ، وحسبى أنّـى أعُــودُ إلـى دَعْــ (م) وَتِكَ اليــوم ، صـادِقـاً فى سـؤالى

مـعَ مـنْ شِئْـتَ مِـنْ محبيـك ، أنّـى   لا أمــارى ، ولست بــالبخَّــال

فـاقترح ، يـا أخى ـ فـديتُك ـ يومـاً   واختبر ـ إن شككت ـ صدقَ مقالى

وحينئذ : وجـد الشاعـر أنه لا مندوحـة من تنفيذ ما هـدد به ؛ فبعث إليـه بهذه المقطوعات :

١ـ دون الوصال

بـالله ، يـا ذاتَ المُحَيَّـا الضَّـاحِى ... قـد طال بى لَيْلى ، وأنتِ صَبَاحى !

قـالت : أتطمع فـى الـوِصَال ودونـه ... قُبَلُ النجـوم وأَكْلُ بطٍّ المـاحى ؟

٢ ـ ليلى المريضة بالعراق

ويـلاه !ليلى بـالعراق مـريضـة ... قـد أصْبَحَتْ فى عـالمَ الأرواحِ !

كيف السبيلُ إلـى الـدواءِ ، وإنمـا ... هـو دِرْهمٌ من دهـنِ بَطِّ المـاحى ؟

٣ ـ حـامل الأوسمـة

قال الصـديق : لقد وصلتُ ؛ فـزينوا ... صـدرى بـألفِ قِـلادَةٍ ووشـاح

فسألتـه : أوليت عـرشاً ؟ قـال : لا ... لكن لمحـت خَيَـال بَـطِّ المـاحى

٤ ـ مصارع الآسـاد

سـاءَلتـه من أنت ؟ قال : أنـا الـذى ... يـدرى الكمـاة المُعْلَمُـون كفـاحى

صـارعت آسـاد الشَّرَى ؛ فَصَـرعْتُهَـا ... لكن عجـزتُ أمـام بط المـاحى

٥ ـ الفـرسـان الثـلاثـة

لـو أن « هـانيبـالَ » جـاءَ محـاربـاً ... فى ألـف ألف مُـدَجَّجِ بسـلاح

أو أن « نـابليونَ » عـاد ، و « هِتْلَرًا » ... لم ينجحـوا فى غَـزْوِ بط المـاحى

٦ـ المستحيـلان

لا شىءٍ فـى دنيـاك غيـرُ متـاح ... من يسْعَ ، كُلِّلَ سعْيُـهُ بنجـاح

إلا طبيبـاً قـام يُحْيِى ميتـاً ... أو طـامعـا فى أكلِ بط المـاحى !

٧ ـ فـى زحـل

لمـا تكَشَّفَت النجـوم ، وأفلحـوا ... فى غَـزْوهـا بـالعلم أىَّ فـلاح

سـاءَلت عن زُحَل : أفيـه خـلائقٌ ؟ ... قـالـوا : وجـدنـا فيـه بطَّ المـاحى

٨ـ عفريت من الجن

أسمعت عـن جنٍّ ابن داود الـــذى　　قـد جـاءَهُ بـالعــرش فـوْقَ جنـاح ؟
لـــو ظـل يبحث ألفَ عــامٍ كـــامل　　لم يــدر أين مكــانُ بط المــاحى !

٩ـ محتضر يتمنى

شـاهــدت خِلىّ وهْـو يَلْفِظُ رُوحـهُ　　فسألتــه : مـا تشتهى يـا صـاح ؟
فأجــاب : أطلب مـن حبيبى قبلــةً　　أو قطعـــةً مـن لحم بط المـــاحى

١٠ـ مهر الخطيبة

قـال الخطيبُ : لَقَدْ فقـدت خطيبتى　　وأطُــول حُـزْنى بعــدهـا ونُــواحى !
كيف السبيلُ إلى الــزواج ، ومـرهـــا　　هــو ريشـة من ريـش بط المـاحى ؟

وقد أجاب الماحى على هذه الدعابات بقوله :

يـا أخى ، يـا غنيـم ، سـامحك اللـ (م) ـه! فمـا كنتُ يـا أخى بـالشَّحَـاح
كم قصيـــد دَبَّجْتـــه كنتَ فيـــهِ　　مَثَــــلاً فـى بـــراعـــة اللَّمَّـــاح
تحسـب البط نعمــــةَ الله ، حتـى　　بِتَّ تـــرضى بـــريشـــة مـن جنَـاح
مَـــرَّةً تطلب الحِســـاءَ ، وأُخْــرى　　تَتَغَنَّـي بـــــالبط فـى إفصــــاح
أتُـــرى : ليس فـى البسيطـــة شيءٌ　　يمـلأُ البطـنَ غيــر بط المـــاحى ؟
إن ذكـرت الغـلاءَ يـومـاً تشككـ (م) ـت ، وبـالغتَ فى مقـالـةِ لاحى
ورفعـتَ السيـــــاط حتى كـأنـى　　جئت ذنبـا فـوق الـرضـا والسمـاح
كم تــأتِّى مستنفــرا فى حـــديث　　خَـــالِبٍ للعقـــول والأرواح
فـى خيـــال مُجنَّـح ، وبيـــان　　أين منــه بـلاغــة الـوضَّـاح ؟
صغت فيـه مـلاحِمـاً وحِكـايـا (م) ت تجلت فى أجمـل الأوضــاح
ولقــد كــدتُ أحْـرَنُ اليـوم حتى　　أتلقـى العِتَــاب كـل صبــاح

فهــو عتب مُحبَّبٌ بل نكــاتٌ　　مُسْكِــرَاتٌ للنفس مثل الــراح

غيــر أنى أعـودُ ألمحُ مـا يســـ (م) ــفر عنــه البيـان من إلْحَـاح

فَسَلِ الــرحمــة التى أمــر الله　　بهـــا ؛ فَهْىَ شيمــة السمَّــاح

فـاقترح يـا أخى ـ فديتك ـ يـوما　　واختبر ـ إن شككت ـ صِدْق الماحى

وأخيرا ذبح البط ؛ فقال الشاعر شاكرا :

العود أحمد

يقـولـون : مـا للشعــر غـاض معِينُـه　　وكنتَ تقول الشعـر فى البط محكَما ؟

فقلت لهم : قـد كان جـوعىَ مُلْهِمِى　　فلمـا أكلـت البط ؛ لم ألق مُلْهِمـا

فـلا شُكْـرَ للمـاحى إذا لم يُثَنِّهـا　　فـإن هـو ثَنَّى كـان أسْخَى وأكـرمـا

وإلا فإنـــا قـــائلــون لِبَطِّــهِ :　　« إلى حيث ألْقَتْ رحلَهـا أم قشعما »

وأهــونُ من هــذا لــدَىَّ : لــوَ اننَى　　حفـرت بظُفْـرى فـى الجَنَـادِل مَنْجما

لــه الله بطـا صِـدْتُـه بقصـائدٍ　　تكـاد تصِيـدُ النَّجْم من كبـد السَّمَـا !

من الشعر الفكاهى :

قالوا أحيل

أحيل الأستاذ : محمد برانق ، صديق الشاعر وزميله ـ من عهد التلمذة ـ إلى المعاش ، فقال يكرمه ويداعبه :

قـالـوا : أحيل إلى القُعُـودِ والمـاءَ يـأْسِنُ بـالـركـودِ
فأجبت : كَـلا ، بل ستُـو (م) لدُ ، يا مُحَمـدُ ، من جديد
من كـان مثلَكَ لا ينـا (م) مُ ، وَمَنْ لمثلِكَ بـالـرُّقـود ؟
فَغَـدًا تُتَـاجـر فى النَّحَـا (م) س ، وفى الصفيح ، وفى الحديد
إنِّى أعيـذُك بـاسم ربِّ الْـ (م) عَـرش من عين الحسـود
مـا زلتَ بعـد بلـوغك الـ (م) ـستين مُحْمـرَّ الخـدود
كـم ذاتِ دَل تشتهـى مـا فـوق خـدِّك من ورود
لك فتنـة البِيضِ الغـوانى حيـن تَبْـدُو من بعيـد
إنـى أُكَـرِّمُ فيك بعضَ الحِلْم والـرأى السَّـديـد
لك بعضُ مـا لى من : صَفَـا (م) ءِ النَّفْسَ ، والخُلُق الحميـد
لكـن رُزِقْـتَ بثـروةٍ ورُزِئْتُ بـالفقـر الشـديـد
سبحـانَ من قَسَم المـواهـ (م) ـب والحظـوظَ على العبيـد !
رجـل يسـودُ بِعِلْمِـهِ وسِـوَاهِ بـالجَـدِّ السعيد
اكتُبْ وألِّف كيف شئـ (م) ـتَ ؛ فأنْتَ من أهل الجُـدود
لم تُـؤتَ شعـراً مثل شعـ (م) ـر أبى العـلاءِ ، أو الـوليـد
كَـلاَّ ، ولا علمَ ابنِ سيـ (م) ـنا ، أو يَـرَاعَ ابنِ العميـد

لكـن رزقتَ مَهَـــارة الصِّهْــــــ (م) ـــــيَوْنِ فى جمـع النقـــــود

قـل لـى : أأَنـت لِيغـــــربٍ أم أنـت مـن أصـل يَهُـــودى ؟

ألـــديـك منجـم عسَجْـــدٍ أم بِئْـــرُ بتـــرول سعـــودى ؟

بـــالله ، كـم لك فـى المصـــا (م) رف، يــا مُحَمَّـدُ ، من رصيـد ؟

كـم تقتنـى مـن ضيْعَــــــةٍ كُبْـــرَى ومـن بيـتٍ مشيـــد ؟

لكِـنْ بيـــــوتُـكُ لا تســـا (م) وى شَطْـــرَ بيَتٍ من قصيـــدى

أنسيـتَ إذْ كُنَّـــا معــــاً نشتـــاقُ رائحــة الثَّـــريــد ؟

أنسيـت إذ كنـــا ننـــا (م) مُ على سَـريـــرٍ من جـــريـــد ؟

فـى منــزل قـــد كَـــادَ مِنْ تَقْـــوَاه يُـــومِىءُ بـــالسجـــود ؟

أنسيـت إذ كنـــا نُضَحِّــــ (م) ــى بـــالفـــلافل كُـلَّ عيـــد ؟

أيـــام كـــان ربـــاطُ جيــ (م) ــدِكَ خـرقــةً ، وربـــاط جيـدى

ونكـــاد نَقْضِى العـــام أجْـــ (م) ـمَعه بِســـرْوَال وحيـــد ؟

فـــاقنـعْ بمـــا كسبَـت يـــدا (م) كَ ، ولا تقُلْ : هـل من مـــزيـــد ؟

وابْسُـطْ يمينك بـــالعطـــا (م) ءِ لِشـــاعِـــرٍ مثلى مُجِيـــد

واعلَـمْ بـأن المَـــدْحَ ليــــ (م) ــس يُبـاع بـــالثَّمـنِ الـزهيـــد

فـــإذا دَفَعْتَ ، سمعتَ مــــا قـــال ابنُ هـــانىءَ فى الـــرشيـــد

واذا أبيْـتَ، فَلـي هِجَـــــا (م) ءٌ ، دونــــهَ سلْخ الجلـــــود

جحود

اقترض الشاعر من صديقه الشاعر:

كامل الصيرفى مبلغا من النقود ،

ثم رده إليه مشفوعا بقوله :

إلى ابن الصَّيْرَفِيِّ أردُّ دَيْنى ... ولست أردُّهُ خُلُقاً ودينا

فإنى لم أكن يوماً حَرِيصاً ... على رد الحقوقِ ، ولا أمينا

ولكن لم أُطِقْ صبرًا على أن ... أكونَ لجائعٍ عَارٍ مَدينا

فَيَا ابْنَ الصيرفى خَسِئْتَ ! حاشا ... لمثلى أن تكون له مُعينَا

ولستُ بقائلٍ : شكرا جزيلاً ... فلستَ بشكر أمْثَالِى قَمِينا

ولستُ إليكَ ألجأُ بعد هذَا ... ولو عاملتُ إبليسَ اللعِينا

فيم احتفالكم ؟

فيم احتفـالكمـو بـه ؟ وعـلامـا ؟ كَـرَّمْتُمُـو سَبَّـابـةً شَتَّـامـا

عَضْبُ اللسـان يكـاد يهجُـو نَفْسَـه ويجـرِّحُ الأخـوال والأَعمـامـا

إن لم يجـد حـرا يمـزق عِـرْضَـه أمْسى كئيبـاً ؛ لا يـذوقُ منـامـا

إن يـأْكل النـاسُ الـدجـاجَ ، فـإنـه أضحى لـه لَحْمُ الأنـام طعـامـا

مـا بيْـن فكَّيْـهِ لسـانٌ سـائل منـه الأفـاعـى تَسْتَعيـرُ سمـامـا

قـد بـاتَ يهجـونى ؛ ومِنِّى شِعْـرُهُ وأنـا الـذى ألهمتُـهُ إلهـامـا

أرأيـتَ تلميـذا يَعـقُّ معلِّمـاً وذُبَـابَـةً قـد هـاجَمَتْ ضـرغـامـا ؟

شكـرا لقـوم كَـرَّمُـوه ؛ فـإنهم تـركـوا الفحـولَ وشجعـوا الأَقـزامـا

منحـوه جـائزةَ القَـريضِ ، وإنـهُ فى الهجـو يأْخـذ أربعين وِسَامـا

إن الـوكيـلَ لِسَـانُـه سيكـون فى أيـدى زبـانيـة الجحيم زِمَـامـا

لن يغفـرَ المـولى لـه إقْـذَاعَـهُ ولـوَ انـه صَلَّى ، وطـافَ ، وصـامـا

يا ابْنَ الوكيل ، دَع الهِجَاءَ ، وبى أَشِدْ أُسْبِغْ عليـك الفضل والإنعـامـا

إنى جعلتُك فـى بـلاطى شـاعـرا كم فى بـلاطى شـاعـر ونـدامى !

تبرأ من أبيه

لصديقنا الشاعر العوضى الوكيل نجل، طلب من الجهات الرسمية حذف كلمة العوضى من اسمه، فقال الشاعر يداعبه :

شريفٌ قد تَبَّرأ من أبيه ... وأنْكَرَ الانتسابَ إلى سَفِيه

وأُقسمُ، إنه لاخف سُخْطاً ... على تلك الأبوة من أخِيه

ولو كان ابنَ كوهينٍ لباهى ... وتاه بذلك الأب أيَّ تِيه

لقد بلغ الوكيل أحطَّ دَرْكٍ ... ومَنْ أدْرَى بذلك من بَنِيه ؟

أبٌ فى السوق يَعْرِضُه بنوه ... بلا ثمن، فَيَا مَنْ يشتريه ؟ !

... ...

عصامى

ولما عَىَّ الوكيل عن الرد قال الشاعر على لسانه هلا قلت ؟ :

شريف ما تبرأ من أبيه ... فكل فضائل الثقلَيْن فيه

ولكن كان إن يُذْكَرْ أبوه ... يتيه بذلك الأب أىَّ تيه

فلما شَبَّ، قال : بمحض جَدِّى ... وصنع يدَىَّ مجدى أبْتَنِيه

إذا كان الفتى لأبيه تُعزَى ... نباهَتُه، فما هو بالنبيه

بنو العَوَضِىِّ كلُّهُمُ عصام ... كذا العوضُّى قد رَبَّى بنيه !

يا بائع الليمون

مداعبة لصديقه ؛ العوضى الوكيل .

يــا بــائع الليمــون فى الـ (م) أســواق بــالثمن القليلِ

إنــى أدلُّـك إن إرد (م) تَ غِنَى اليهــودِ على السبيل

اعــرضْــه فـى الحفــلات بعـ (م) ـد سمـاع شِعْـرِ ابن الــوكيل

بيت واحد

مداعبة أخرى له أيضا .

أنــا إن أردت تخلُّصـاً فـى البيـت مـن ضيـف ثقيـل

أنشـدتُ هـذا الضيفَ بيـ (م) ـتا واحـدًا لابن الــوكيـل

ولــوَ انَّنيِ ثنَّيتُ، أقـ (م) ـعده الصُّدَاعُ عـن الـرحيل

من هو ؟

بعث صديقنا : العوضى الوكيل ، إلى الأمير الشاعر الكبير: محمد صقر الهاشمى :

هجـانىَ صقــرٌ ولـم أهجـه وقــد رابنى منــه مــا رابنـى

ولست أميــرا ، ولا حــاكمـا فـإن قلت هجـوا، فمـا عـابنى

فكتبت إليه :

لعمرى إن هجا العوضىَّ صقرٌ فهذا الهجوُ للعوضِّى فخر
ومن هو ذلك الصعلوكُ حتىَّ يكون له لدى الامراء قدر ؟
ولم تسمع بليث عَضَّ فأْرا وبرغوثٍ عليه انقَضَّ نَسْر

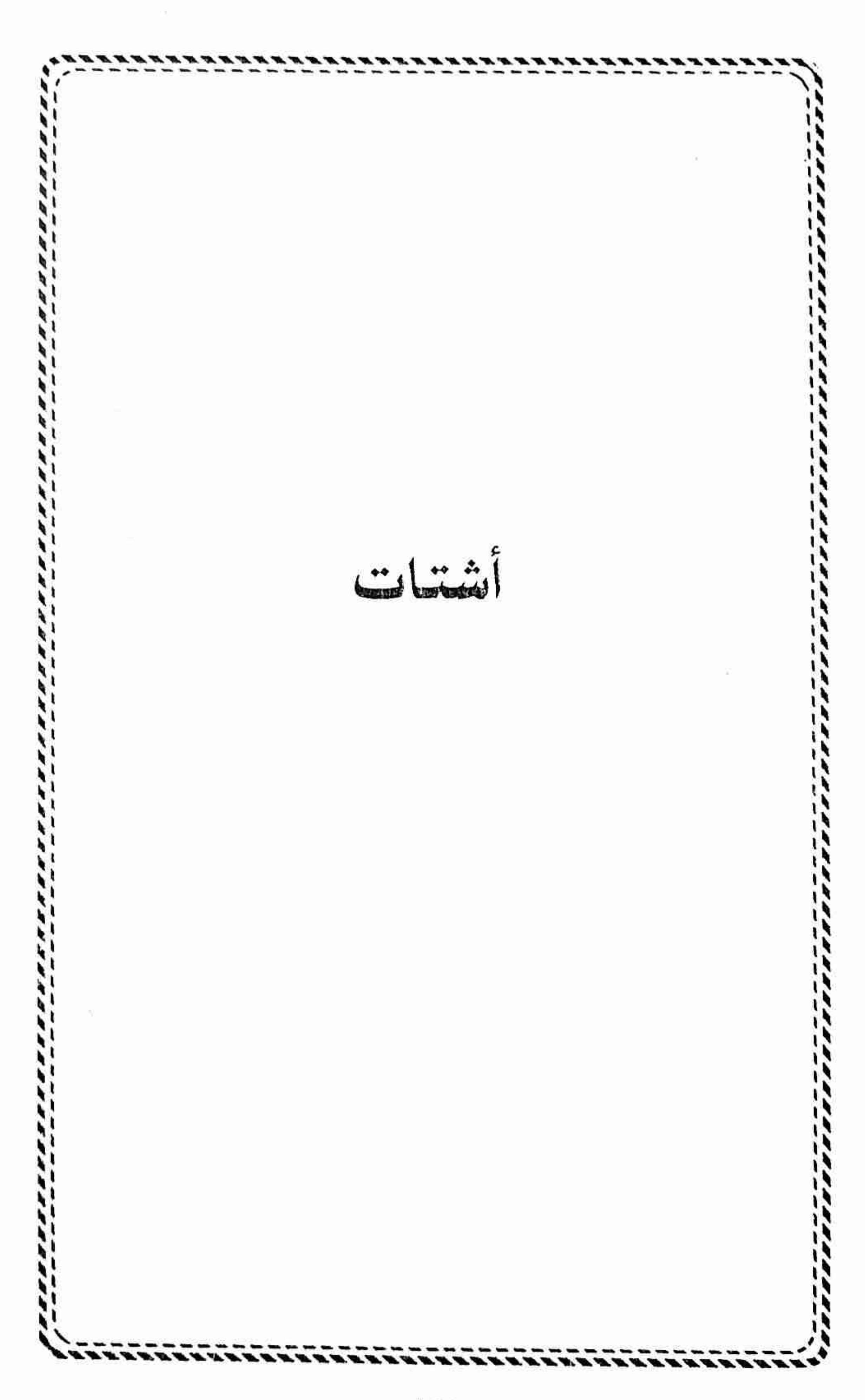
... ...

حلاوتان

فى حفل حاشد أقيم اقتراع على علبة حلوى ، فكانت من نصيب حسناءَ تسمى فاطمة ، فطمع فيها الشاعر ؛ فارتجل الأبيات التالية :

قالوا : أتبخل بالحلاوة فاطمُ ؟ فأجبت : إنى لا أصدق بخلها
هيهات تبخلُ بالحلاوة غادةٌ الله أعطاها الحلاوة كُلَّها !
لك ، يا فتاةُ ، حلاوتان : فهذه للناظرين ، وتلك نَبْغى أكلها

وبذلك وضع يده على العلبة .



أشتات

جندى يحمل سلاحين

لله جنـــــدىٌّ بَـــــدَا ... من وجهــه فلـقُ الصَّبَـاح !

ذو طُـــــرَّة مُضْفَـــرَّةٍ ... كغـــدائر الغِيـد المـــلاح

هــذا البَنَـانُ الـــرَّخْصُ لاَ ... يَقْـوَى على حمل السِّـلاح

يكْفيــــه لحظٌ فَــاتـكٌ ... بين القلـوبِ لــهُ جِـرَاح

مــا حــرب جنــدىٍّ لــهُ ... فى السلـم كلُّ دَمٍ مبــاح ؟

على لسان الأمير

لم يهد الشاعر الكبير : عزيز أباظة مؤلفاته إلى سمو الأمير الشاعر : صقر القاسمى ، فاشترى الأمير هذه المؤلفات ، وغلفها ، وبعث بها هدية إلى المؤلف ، وطلب إلى الشاعر أن يقدمها إليه بأبيات ، فقال :

يـــا شـــاعـــرا عَـــزَّت بـــهِ ... لغـــةُ الخليـل وسيبـــويـــه

إن قـــال مـــال الـــدهـــر مِنْ ... طَـــرَبٍ ، وأَرْهَفَ مسمعيـــه

لـم يُعْطَ فنـــانٌ كبيـــ (م) رٌ أصْغَـــرينِ كـأصغـــريـــه

عمَّ الجميعَ نَـــدَى يـــديـــ (م) ـــه ،وإن حُـرِمتُ نـدى يـديـه

ومـن الخَـــوَارِق : بُخْـلُ مَـنْ ... يَـــرْوى الحَيَـــا عن راحتيـــه

أبتـــاعُ شعـــرَك، يـــا عَـــزِيـــ (م) زُ، ولـــو بمليـــونَـيْ جنيـــه

إن كنـتَ لـم تُسْعِـفْ بـــه ... ظمـــآنَ مشتـــاقـــاً إليـــه

فـــإليكَ أُهْـــدِيـــه ، وإن ... تَكُ أنـتَ نـــاسجُ بـــردتيـــه

أهـــدى إليـك عصيـــر خمـــ (م) ـــر أنْتَ غـــارسُ كـــرمتيـــه

هـــذا سجلٌ ، كـلُّ مـــا ... أنشـأتَـــه فـى دَفَّتَيْـــه

سِفْـــرٌ يعَضُّ السمـح مـن ... حِـــرْصٍ عليـــه بنـــاجِـــذيـــه

من سُـــود أحـرفـــه يـريـــ (م) ـــك الفنُّ حمـــرةَ وجْنتَيـــه

عجبـــا أزُفُّ إلـى عـــزيـــ (م) ـــزِ تحفـــة هى من لـــديـــه

« كـــالبحـــر يُمْطِـرُهُ السحـــا (م) بُ ، ومـــا لـــهُ فَضلٌ عليـــه »

حديث خرافة

حملنـــــا رايـــــةَ الشعـــــر   مـــــدى حين من الـــدهـــر
فـــرفـــرف ظلُّهـــا فـــوقَ   مـــدارِ الأنجم الـــزُّهْـــر
إلـى أن جـــاءَ نـشءُ بيْـــ (م) ـــنَ مـأفـــونٍ ومُغْتَـــرِّ
وقـــالـــوا : شعـــركُم عبْـــدٌ   دعـــونـــا نَأتِ بـــالحـــر
فخلينـــــا المجـــال لَهُـم   فَـدَسُّـوا الشعـــرَ فى القبـــر
هـى الأذواق قـــد فَســـدَتْ   فصـــار التُّـــرْب كـــالتِّبـــر !
وصـــار المُـــرُّ كـــالحُلْـــوِ   وصـــار الحلـــو كـــالمـــر !
يقـــول الشعـــرَ قـــائلُهم   كجلمـــــودٍ من الصخـــــر
ومـــا نـــدرى لـــه معنىً   ولا قـــائِلُـــه يـــدرى !
فنـــرجـــو الله لَـــوْ مَـنَّ   على الأسمـــاع بـــالـــوَقْـــر
حـــديثُ خُـــرَافـــةٍ يَنْبُـــو   عـن الأذواق والفكـــــــر
ويبلـغ فـى بـــــرودتـــــه   مئـــــاتٍ عقبَ الصفْـــــر
وبعض القـــول خنثى؛ ليـــ (م) ـــس بـــالنظم ،ولا النثـــر
تكـــاد تقيـــؤه الصحُفُ   إذا قُـــدِّم للنشـــــر
ألا مـــا آسَنَ الشعـــرَ   إذا لـم يَـكُ مـن بحـــر !

وخـــانتـــه قَـــوَافيـــهِ وشَطْـــرٌ طـــال عـن شطـــر

ومـــا الشعـــر ســـوى وَحْـى على ألسنـــةٍ يجـــرى

إذا همَست بـــه شَفَـــةٌ ســـرى كـــالبـــرْق إذ يســـرى

ويفـــرض نفســـه فَـــرْضـــاً على التـــاريـخ بـــالأمـــر

يُنَـــال الشعـــر بـــالطبع وليس يُنَـــال بـــالسفـــر

وليس ينـــال بـــالـــدعـــوى ولا بـــالطبل والـــزمـــر !

إلى دعاة الشعر الحر :

حرروا النثر أيضا

حــرِّرُوا الشعــرَ من قُيــود الخليلِ وحَمَــوْه مــن فـــاعـل وفَعـــول

لهمُ الله ! مــا لهــمَ يَتْــركــون النـــ (م) ـــثر رهنـــاً بكـل قيـــدٍ ثقيل ؟

أيهــا القــومُ ، حــرِّروا النثر أيضــاً لِتُتِمُّـــوا بـــــذاك صنعَ الجميـل

حـــرروا النثـــر من قَـوَاعــدِ صــرفٍ مشكـــلات أعْيَتْ كبــار العقـــول

حـــرروه مـن نحــو زيــدٍ وعمــروٍ وخـــلافٍ بيـن النحـــاة طـــويل

حـرروه مـن أحـرف الجـرِّ ، والجـز (م) م ،ومن فَـــاعلٍ، ومـن مفعـــول

مـا لتلك الأسمــاء : تُـرْفَعَ كــالهـا (م) م ،وهــذى تُجَــرُّ جَرَّ الــذيــول ؟

مــا لتلـك الأفعــال : هــذا عَلِيلٌ بــات يشكــو ،وذاك غيــر عليل ؟

انطقـــوا بــالكــلام دون مُــراعَـــا (م) ةِ فـــروع لضبطـــه أو أصــــول

واطـرحـوا هذه المعـاجِمَ فى الـدجــ (م) ــلةِ ، أو فى الفُــرَاتِ طَـرْحَ المغـول

واتــركـــوا هــذه المجــامعَ ينعــا (م) هــا لأصحـــابهــا نعـــاة الطُّلُــول

أيهــا العـابثــون بــالضـاد ، رفقـا مــــا تبَقَّى للعُــــرْب غيـــرُ قليل

آفـــة الضـــاد مـــارق من بنيهـــا هُـــوَ شَـــرٌّ مـن ألف ألـف دخيل

تكشف الغيد !

من « المينى جيب إلى « الميكروجيب » ، إلى مالا يعلم إلا الله وحده !

تكشَّفَ الغِيدُ أعضادًا وسِيقَانا — لم يبق مستَتِرٌ فى الغيد ما بانا
ما للفساتين فوق الرُّكْبَةِ انحسرت — فما ترى تحتها عينان فستانا ؟
ياليت شِعْرِى : ما تُبْدى الفتاة غَدًا — بعد الذى قد بدا من جِسمها الآنا ؟
كأنَّنى بثياب الغِيدِ بعد غدٍ — إن حَدَّثَ الناسُ عنها ، قَدَّموا كانا
قل لِلمليحة : لا تَكْشِفْ مفاتنها — فالذوقُ يُنْكِر هذا الكشفَ نكرانا
بالله ، يا فتيَاتِ العَصْرِ ، قُلْنَ لنا : — أزانَ أبدانكُنَّ العُرْىَ أم شانا ؟
صُنَّ الجمال بأثواب تضاعفهُ — كم من جمالٍ بِضَافى ثوبه ازدانا
لسنا نعود إلى الماضى بغادتنا — ولا نريد لها سِجْناً وسجَّاناً
لكنَّ للذوق حدًّا لا نجاوزهُ — وللشريعة والأخلاق مِيزانا
قد يأخذ الحُسْنُ بالألباب مُؤْتزراً — وليس يأخذ بالألباب عُرْيانا
تلك الخدُور التى ضاق الحِسان بها — كم ألهَمَتْ شاعرا فى الحبِّ ديوانا
كم نظرةٍ خلف سترٍ خِلْسَةً أخذت — فأَجَّجَتْ فى حَنَايا الصدر نيرانا
كم كنتُ أحلمُ بالحسناءِ لائذةً — بِخِدرِها ، فبماذا أحلم الآنا ؟
كم زارنى طيفُ من أهْواهُ فى حُلم — فكان أجمل من مرآهُ يقظانا
إن الفتاة إذا لم تُبْدِ زينتها — أضفى الخيالُ عليها الحسنَ ألوانا
الحسنُ فى الوهم غيرُ الحسنِ تبصره — شَتَّان بينهما فى الذوق ، شتانا !
لا تعرضى الحسن ، يا حسناء ، مبتذلا — لن تَفْتِنى بابتذال الحسن إنسانا
لا يُعْشَقُ الحسنُ إلا وهو مُمْتَنِعٌ — ما أرخص الحسنَ مقدارا إذا دَانا !

بـالبـدرِ هِمْنَـا زمــانــا وهــو أُحْجِيَـةٌ	حتى إذا مـــا كشفنــا سِـــرَّه هـــانـــا

والمــاءُ ـ وهْـو قــوام الــروح ـ أرْخَصَـه	أنــا نـــرى كلَّ نَهْـــرٍ منــه مــلآنــا

والـــورد يَفْتِنُ فـــوق الغصن منظــرُهُ	وليس ـــ إن عَـرَكْتَـه الكـف ـ فتَّــانــا

يا حـورُ ، ما أجمـل الغِزْلانَ نـافرةً !	فـانفـرن ، يا حـور ، أو لستنَّ غـزلانـا

إن الجمـــال الـــذى كُنَّـــا نهيم بــهِ	مـا عـــاد يشكـو مُحِبٌّ منه حـرْمــانـا

مـا عـاد للحسن عنـد الصبِّ مَنْزِلَـةٌ	مُـــذْ مَـدَّ كفَّيْـــهِ يستجـديــه إحســانـــا

كم من فـؤاد بـه نار الهـوى خَمَـدَتْ	وكـــان من حَـرِّهَـــا بـالأمس بُــرْكـانـا

قـد يصحب المرءُ أنثى فى تَبَـذُّلِهـا	وليس يـــرضى بهـــا إن رام بُنْيَـــانـــا

أنثى الخــلاعـة فى العينين شَــائِهَـةٌ	تكـــاد تحسبهـــا العينـــان شيطــانـــا

لا تَنْسَ يــوم الْـوَغَى أنثى رســالتَهـا	قـــد تلبس الفتيــاتُ الـدرع أحيــانـــا

هــذا زمـان تخوضُ الحـربَ نسـوتُـهُ	مع الـــرجـال شُجَـــاعَـات وشجعـــانـا

تصـوِّبُ المـدفعَ الــرشـاشَ غـادتُـه	فى الحـرب : لا أعينا نُجـلاً وأحضانـا

إذا تَبَـــدَّتْ عَـــذَارَانـــا بـــلا حُلَل	فكيف تُـــرْفـلُ فى درع عـــذارانـــا ؟

يـا مَن بحثتَ عن الحـور الحرائر ، خـذ	أزيـــاءَهُنَّ على الأخـــلاق عنـوانـــا

سلاح غاندى

تقلـد صـوتَـه غـانـدى حسـامـا مـرهف الحـد
ولـم يغمـده إلا أن تجـاب مطـالـب الهنـد
فمـا أغنت بـريطـانيـا قـوى الأسطـول والجنـد
ولـوَّح وهْـو مسجـون بسيف الجـوع مـن بعـد
مخيف ، مـا يخـاف من الـ (م) ـغضنفر وهْـو فى القيـد
حسـام: لا يـريـق دمـا ولا يـأوى إلـى غمـد
ويقطـع حينمـا ينبـو كـذى غـرْب وإفـرنـد
فيـا لله مـن حمَـل يـريك مصـارع الأُسْـد !
ومـا غـانـدى بـذى بطْش ولا هـو بـالفتى الجلـد
ولكـن هيكـلٌ لـم يخْـ (م) ـوغيـرَ العظم والجلـد
خيـال حيـن تلمحـه وأعـزلُ غيـرُ معتـد
تنـازلـه بـريطـانيـا نـزال النـد للنـد
ويـأبى حكمهـا للهنـ (م) ـد حكـم الحـر للعبـد
بصـوت الحق قـد نـادى وصـوت الحق كـالـرعـد
فهـز الغـرب هـزَّ الفلْـ (م) ـك بين الجـزر والمـد
ومـا غـانـدى سـوى عـزم من الصـوَّان منقـدٍّ

وإيمـــانٍ رســـا كــالطـــو (م) د، أو أَرْسَى مـن الطـــــود
وتمثـــــالٍ أقيـم لنـــــا مـن الإخــلاص والـــزهــد
وفــــــردٍ حـل فـى شعـب وشعـب حـل فـى فــــرد
كـأن الله صـــــور جسْـــــ (م) ـــمه من طينـــة الخلـــد
تكـــاد النـــاسُ تتبعُـــه وتحسَـب أنـــه المهـــدى

آخر

ما أثمرته قريحة

محمود غنيم

ودبجه يراعه

إيضاح *

ذهب بعض الدارسين [1] إلى أن آخر ما قال محمود غنيم ، هو بيتاه :

إلى من أشتكى يارب ضَيمْى ؟ أرى نفسى غريباً بين قومى
فكم هتفوا بمحمود شكوكو وما شَعَرُوا بمحمود غنيم [2]

ولكن هذه القصيدة « صانع الأجيال » هى آخر ما أخرجت قريحته الشعرية المتوقدة ؛ ومما يدعم ذلك :

* أن هذه القصيدة كانت تردد فى جنبات نادى المعلمين بالجزيرة ، فى أول احتفال بعيد المعلم ، بعد وفاته بأسبوع واحد [3] .

* أن فى كلمة مجلة الرائد التى نشرت فيها القصيدة ، إشارةً صريحة إلى أن هذا آخر ما نظم غنيم [4] .

* أن ابنا باراً من أبناء الشّاعر ـ وكلهم بار بأبويه ـ قد أكد لى غير مرة أن هذه القصيدة هى آخر ما كتبه الوالد ــ رحمه الله ــ من الشعر ، وكان من حديث هذا الابن الوفى قوله : كتب والدى هذه القصيدة قبل وفاته بما لا يزيد على أيام الأسبوع ؛ استجابة لمطلب عبر الهاتف ، من السيدة الفاضلة : فاطمة عنان ، أم المعلمين آنئذٍ . وكان يضع فى

---

* بقلم : مراجع الديوان .

(١) راجع كلمة الدكتور : مختار الوكيل ، فى كتاب : دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص٤٤ ، ودراسة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة عن محمود غنيم فى : خمسة من شعراء الوطنية ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .

(٢) رجع الصدى : ص ١١٣ طبعة دار الشعب ، وص ٧٥٧ طبعة دار الغد العربى .

(٣) جاء هذا على لسان أحد أبناء الشاعر ، وكان قد شهد هذا الاحتفال .

(٤) انظر الكلمة قبل القصيدة ، ومجلة الرائد ، ص٣٢ ، العدد الأول : يناير وفبراير ١٩٧٣ م .

حسبانه أن يلقيها بنفسه فى عيد المعلم ، وقد جلست معه أكثر من مرة : مرة وهو يصوغهـا الصياغة الأولى ، وثانيـة وهو ينقحها ويراجعها ، وثـالثة وهو يعدها فى صورتهـا الأخيرة ، وكانت تغمره ـ رحمة الله عليـه ـ سعادة كبيرة ، وشعور بجمع بين عظمـة الفنان ، ووداعة الأطفـال حين كان يقـول لى : ما رأيك يا ولـدى فى هذه الأبيات ؟ وهل يعجبكُ هذا الأسلـوب ؟ وما تعليقك على هذه الفكرة ؟ ولكن القدر لم يمهله ، فاختاره الله إلى جواره .

صانع الأجيال *

آخر ما نظم المعلم الشاعر الكبير الأستاذ: محمود غنيم، وكان على موعد مع عيد المعلم حيث يلقى فى مهرجانه هذه القصيدة العصماء ... ولكن القدر أبى إلا أن يسبق الأجل ويخفت إلى الأبد هذا الصوت الجهير، بعد أن خلد فى هذه القصيدة أمجاد المعلم وأمجاده ...

قالوا: المعلمُ. قلت: لَستُ أُغالى ... إن قُلتُ: هـذا صانعُ الأَجيالِ

إن قلتُ: صوَّرها، وأَبدَعَ خَلْقَهَا ... لم يُغضِبِ الـرَّحمنَ صِدقُ مقالِى

نُورُ المعلّمِ نفحةٌ قدسِيَّةٌ ... من نُورِ وَجْهِ الخَالِقِ المُتعالى

وصَداهُ من صَوْتِ الإلهِ، كأنَّهُ ــ إن رَاحَ يُطلِقُه ــ أذانُ بِلالِ

صَنَع الصواريخَ المُبِيدةَ غيرُهُ ... وعلى يَدَيْهِ يتمّ صُنعُ رِجالِ

أبدًا يُبشِّر بالسَّلام، وليس مَنْ ... يَبْنِى السَّلام كقَاطِعِ الآجالِ

جُنْدِيُّكِ المَجهولُ ـ يا مِصرُ ـ الذى ... لا فِى البُكورِ يَنِى، ولا الآصَالِ

فى ساعةِ الجُلَّى يَجِيءُ مُشَمِّرًا ... وَ يَغِيبُ ساعةَ قِسْمةِ الأَنْفَالِ

كم أَغفلُوه، فما تَراءَى شاكِياً ... أو باكِياً من عِلّةِ الإغفَالِ

حَسْبُ المعلِّم: راحةٌ نَفْسِيَّةٌ ... تغنيه ـ إذْ يَشْكُو ـ من الإِقلالِ

ما بَعْدَ تَقويمِ النّفوسِ سَعادةٌ ... أو بعد مَحْوِ جَهالةِ الجُهَّالِ

ما ضَرَّه عِرضٌ سليمٌ فوقَه ... ثَوبٌ رخِيصٌ، أو قَمِيصٌ بَالِى

كَمْ مكثِرٍ ما نَالَ من إكثارِهِ ... إلا ازْدِيَادَ الهَمِّ والبَلْبالِ

فِيمَ الثَّراءُ الجَمُّ؟ ليس لمَيِّتٍ ... كفنٌ بِهِ جَيْبٌ لحِفْظِ المَالِ!

* * *

* مجلة الرائد: العدد الأول ـ السنة الثامنة عشرة ـ يناير، فبراير ١٩٧٣ م ص ٣٢ : ٣٥

ولقد قَضيتُ العُمرَ أطْبَع فِتيَتِي ... طَبْعاً على كَرَمٍ ، وحُسْنِ خِلالِ
كم كُنتُ أحبُوهم بَعْطِفي دائماً ... لا فرقَ بَيْنَهُمُو وبَيْن عِيالِي
حَسْبي فَخاراً : أن أقدِّم للحِمَى ... من فِتْيَتِي بَطَلاً من الأبطالِ
يا رُبَّ أروعَ ماجدٍ صادَفْتُه ... فسألتُ عنه ، فكانَ من أنجالِي
أمْسَى يُبادِلُني الوفاءَ بِمثْلِهِ ... إنّ الجَميلَ يُكالُ بالمِكْيالِ
كانوا تَلامِذَتِي، فَصَارُوا إخْوَتي ... وأعزَّ أصحابِي ، وأكرمَ آلي
أنَّى اتجهتُ ، وجدتُهم بِيَ أحْدَقُوا ... « مِنْ عَنْ يَمِيني تارةً وشِمالِي »
يا مُنصِفِي العُمَّال ، هلاَّ زِنْتُمُو ... باسْمِ المُعَلِّم صَفحةَ العُمَّالِ ؟
هو عاملٌ، بل راهِبٌ مُتَبَتِّلٌ ... صُوَرُ العِبادة جَمَّةُ الأَشكالِ
يارُبَّ دَرْسٍ واحدٍ أربَى عَلَى ... تَسْبِيحِ أيَّامٍ، وذِكْرِ لَيالِي
وَلَرُبَّمَا نَسِيَ المُعَلِّم نَفْسَهُ ... وَجَنَى عليه جِهادُه المُتَوالِي
ولقد يَنامُ وكُتُبُه من حَوْلِه ... فكأنه مِنْهُنَّ بين تِلالِ
وَيَبِيتُ يَهْذِي بالدُّروسِ، كأنَّه ... فى الفَصْل بين إجابةٍ وسُؤال
أو نازِلٌ بجَزِيرةٍ ،أو سابِحٌ ... فى البحر بين الرَّأسِ والشَّلاّل
أو غارِقٌ مع خالدٍ أو طارقٍ ... فى الحَرْب بين صَوارم وعَوالِي
أو منْشِدٌ للنَّشْءِ شِعْرَ حماسةٍ ... أَو نادِبٌ طَلَلاً من الأطْلالِ
أو بَيْنَ أهرامٍ، وَبَيْنَ دَوائرٍ ... مَجْهُولةِ الأحْجامِ والأطْوالِ
أو بين أفعالٍ صِحاحٍ ما شَكَت ... عِلَلاً ، ومُعْتَلٍّ من الأَفعالِ

* * *

نادِ المعلّم ـ قبل آسادِ الشَّرَى ـ ... يا ابنَ العرين، ويا أبَا الأَشْبال
رَسَنُ الشَّبيبَة فى يَدَيْك ، وإنَّها ... حَبلُ الرَّجاءِ ، ومَعْقِدُ الآمالِ
قَدِّرْ خُطاكَ ؛ فأنتَ وحدَك قُدْوةٌ ... للنَّشْءِ فى الأقوالِ والأعمالِ
لَيْسَ المدرِّسُ ناجحاً فى دَرْسِه ... ما لم يكُن للنَّشْءِ خَيرَ مِثالِ
لو قدَّر اللهُ الكمالَ لغَيْرِه ... قُلْنَا له : استَمْسِك بكُل كَمالِ

مـا حلَّ من عبـثٍ لَغيـرِك ، فَهْـو فى
شَـرْعِ الـوَرَىٰ لك أنتَ غَيْـرُ حَـلالِ

النَّــاسُ تَصفَح عن سِـواكَ ؛ وإنَّمـا
يَــزِنُــون ذَنبَك أنـتَ بـالمِثْقــالِ

أقسمتُ، مـا جَـارُوا عَلَيْك ؛ وإنَّمـا
وضَعُــوك منهـم مَـوْضِعَ الإجْــلالِ

لا تَشْكُ من عَنَتِ الحَيـاةِ ، فإنَّمـا
شَكْـوَى العَـزِيـز بِـدَايَـةُ الإذْلاَلِ

أوَ مَـا نَظَـرتَ إلى المهندسِ كـادِحًـا
فى القَيْظِ بيـن جَنـادِلٍ ورِمـالٍ ؟ !

وإلى الطَّبِيـب يَعِيش طِيلَـةَ عُمـرِهِ
مـا بين حَشْـرَجَـةٍ ؛ وبَيْن سُعـالٍ ؟ !

ولَــرُبّ قــاض تَنْقَضِـى أيــامُــه
فى صُحْبَــة السَّفَّــاكِ والنَّشَّــالِ !

وتعيشُ أنتَ مـع المَـلائِك نــاعمـاً
فى الخُلْــد بَيْـن أرائكٍ وظِــلالِ

خدعَتْك نفسُك إن ظَنَنْتَ سِواكَ مِنْ
شَتَّى الطَّــوائِفِ مُستَــرِيحَ البَـالِ

الكُلُّ شَــاكٍ حَظَّــه ، مُتَبَــرِّمٌ
هَيْهـاتَ أن يَـرضَى الأنـامُ بحـالٍ !

والحُـــرُّ مَنْ حَمَل الحَيــاةَ بمَنْكِبٍ
كـالطَّـوْدِ لا يَشْكُــو من الأثْقـالِ

❊ ❊ ❊

يأَيُّهــا الجُنْــدُ الأُلَى مــا زَيَّنُــوا
صَــدْرَ الجِهــاد بـأنْجُمٍ وهِــلالٍ

هــلاّ قَبِلْتُم نُصحَ خِــدْنٍ سـابِقٍ
لم يَسلُ شِكَّتَــه ، ولَيْسَ بِســالِ ؟

إن كــان أعيـاهُ النِّضـالُ ، فَرُوحُـه
وشُعــــورُه مَعَكم بكُـلِّ مجــــال

رَبُّـوا الشَّبـابَ على الفَضِيلـة ؛ إنَّهـا
هى زَيـنٌ مُـزْدَانٍ، وحِلْيَــةُ حَــالٍ

ما الـدِّينُ خَصْمٌ للحَضَارة ؛ بـل هُمَا
صِنْـوانِ ، بل جَسَـدَان فـى سِـرْبـالِ

قُــولُـوا لهم : إنّ الصَّـلاةَ ريـاضَــةٌ
ووِقَـــايَـــةٌ مـن فِتنَـــةٍ وضَـــلالِ

قُـولُــوا لَهُم : إنَّ الحَنِيفَـةَ وَحْـدَهـا
كَـــانـت ذَخيــرةَ فَــاتِحِيـن أوَالِى

« اللهُ أكبـــرُ » طَلْقَـــةٌ ذَرِّيَّـــةٌ
مَلَكَ الـوُجُـودَ بهــا رُعــاة جِمــال

مــــا حَقَّق الأهــــدافَ إلاّ أُمَّـــةٌ
رَسَخَت عَقِيـدَتُهـا رُسُـوخَ جِبـالِ

وإذا أُصِيبَ الشَّعْـبُ فى إيمــانِــه
فـانْـدُبْـه فى نَـوْحٍ ، وفى إعـوالِ

وإذا هــو انحَلّت عُـرى أخْـلاقِـه
لم تُجْـدِ فيــه حِيلَــةُ المُحْتــالِ

مـا طــاف طـائِفُ الانحِـلالِ بـأُمَّـةٍ
إلا وآذَنَ نَجْمُهـــــا بِــــزَوالِ

حُلُّوا لنا عُقَدَ الشَّبابِ جميعَها ... فلطالَمَا استعْصَت على الحلَّالِ

غُوصُوا بأغْوارِ الشبيبَة ، وانفُذُوا ... من كُلّ بَابٍ مُحْكَمِ الأقفالِ

فإذا عرفْتُمْ أينَ يَكمُن داؤها ... فاستأصِلُوه أيَّما استِئصالِ

أنتُم ـ إذا عَجَزَ الطَّبيبُ ـ أُساتُها ... من كلّ داءٍ فى النُّفُوس عُضالِ

لا تَيْئَسُوا من بُرْءِ ذى سَقَمٍ، وإن ... طالَ العِلاجُ عليه أيَّ مَطالِ

كان الصُّعودُ إلى السَّماء خُرافةً ... كُبْرَى ، فَصارَ اليومَ غيرَ مُحالِ

واستأنِسوا الأطفالَ فى حَلقاتِكُم ... بِبَراءةٍ كبَراءةِ الأطْفالِ

بحَنانِ وَالِدةٍ ، ورِقَّةِ وَالِدٍ ... ومَحَبَّةِ الأعْمامِ والأخْوالِ

وأحقُّ مَنْ ساسَ الصِّغارَ مُحَنكٌ ... صَقَلَتْه دُورُ العِلْمِ أيَّ صِقالِ

* * *

يا وَاقِفين على السَّلام جُهُودَهُم ... قُودُوا الصُّفوفَ بِعَزْمِ هانيبَالِ

دِيسَ العَرينُ ؛ فأغمدُوا أقلامكم ... وتقَلَّدُوا بأسِنَّةٍ ونِصالِ

ومنَ البليَّة : أنّ جَوَّ السّلْمِ لا ... يَصْفُو بغَيْر مَعارِكٍ وقِتالِ

العِلم عُنوانُ السَّلامِ ، وإنَّما ... هُمْ أفسَدُوه بسُوءِ الاسْتِعْمالِ

أنتُم ـ لعَمْرِى ـ مُشْعِلُو الثَّوراتِ فى ... قَلْبِ الحِمَى ، وبُناةُ الاسْتِقْلالِ

وأعزُّ ما مَلَكَ الحِمَى من ثَوْرَةٍ ... ومُحَارِبُو الفَوْضَى والاسْتِغلالِ

ومُحَطِّمُو الأغلالِ عن سَاقِ الحِمَى ... من بعد ما وَرِمَتْ من الأغْلالِ

ومُوَحِّدو شَمْلِ العُرُوبة ، وَهْوَ مِنْ ... طُولِ الشِّقاقِ مُمَزَّقُ الأوْصالِ

والنازِلُونَ إلى مَيادين الوَغَى ... كالأُسْدِ حين تَقُولُ مِصْرُ : « نَزالِ»

والمُرخِصُون نفُوسَهم فى حُبِّها ... ولِمِصْرَ يَرخُص كُلُّ شَىْءٍ غالِ

والكاتِبُون لها صَحائِفَ مَجْدِها ... يَوْمَ الكَرِيهَة بالدَّمِ السَّيَّالِ

وعلى يَدَيْكم سوفَ يَنْتَصِر الحِمَى ... وتَعُودُ أمجادٌ لمِصْرَ خَوالى

وتَذُوقَ ما ذَاقَ التَّتارُ عِصابَةٌ ... هى فى الشَّراسَةِ مَضْربُ الأمثالِ

ويُحَقِّقُ اللهُ الرجاءَ ؛ فلا نَرَى ... فى القُدْس للصُّهْيَوْنِ طَيْفَ خَيالِ

والله لا يَنْسَى كِنَـــانَتَـــهُ ! وكَـمْ ... للهِ إمْهَـــالٌ بِـــلاَ إهمـــالِ !

* * *

حَمَلَ الأمَـــانَـــةَ أنـــورٌ ، ولأنْـــوَرٍ ... كَتِفَـــانِ تَضْطَلِعَـــانِ بـــالأحْمـــالِ

عـــرفَتْـهُ مِصْـرُ بَلِ العُـروبَـةُ كُلُّهـا ... خَـوّاضَ أهـــوالٍ ، وحِلْسَ نِضـالِ

اليُمْنُ والإقبـــالُ مـن حُلَفَـــائِه ... لا زَالَ حِلْـفَ اليُمْنِ والإقبـــالِ !

إنْ غـابَ عـن مِصْـرٍ جَمـالٌ واحـدٌ ... فَبِمِصْـرَ ـ يَوْمَ الـرَّوْعِ ـ ألفُ جَمـالِ

قالوا عن:

« محمود غنيم »

فيمـا يأتى، بعض من الآراء النقـديـة التى أدلى بهـا الأدبـاء، والشعراء، حول صاحب الديوان، وشعـره ؛ سواء أكان خلال حياته أم كان بعد وفاته .

وقـد رأينا أن نعـرض لمقتطفـات مختـارة من هذه الآراء؛ لعلهـا تسـاند القـراء، والبـاحثين؛ فى التعرف علـى شعر محمـود غنيم من وجهة نظر معاصريه !

«لقد كان الشاعر الراحل فى طليعـة من أنجبتهم مصر من شعراء العربية وأدبائهـا ؛ فحولة ، وأصـالة ، وصدقًـا ، والتزامًـا ؛ فقد تميز شعـره بغـزارة الفـكر ، والثقـافة الـواسعة ، والصياغـة المحبوكة ؛ لمعـرفته بأصـول اللغة العربية وأسرارها ، وحلاوة الإيقاع ؛ ولحسه المرهف ، وشاعريته الأصيلة .

لهذا ؛ يمكننا أن نضع محمود غنيم فى مـرتبة الشعراء المتطورين ، رغم تمسكه بأسلوب الشعر العمودى ، والتزامه بهذا الأسلوب » .

يوسـف السباعى

«لقد استطاع محمود غنيم ـ على مـدى نصف قرن من الزمان ـ أن يمنح الشعر العربى رصيدًا فاخرًا من نفـائس القصيدة ، يضاف إلى الذخر الكريم من روائع بحوثه وأعلاقها !

إن محمود غنيم يمثل الشاعر الحق ؛ بشوامخ شعره ؛ وبما كان يرفد هذا الشعر من خبرة واسعـة الآفاق ، وعلم غزير بآداب هذه اللغـة الشريفة . . . إلى علم بالغ محيط بأصول فن الشعـر نفسه : عروضه وموسيقـاه ؛ أصوله، وفصـوله ؛ جليلـه وهزيلـه ! وذلك مشرب من العلم والخبـرة ، خلفاؤه فيـه قليلون ، مع الأسف البالغ ! !»

عزيز أباظة

«كـان « غنيم » من جيل الأعلام الكبـار الذين شبّـوا على حب العربيـة ، وبلاغتهـا ، وشعرها ، وتـراثها ، وكان للصحـافة الأدبية ، ولنـدوات الشعر ، والأدب ـ فى القاهرة ـ أثرهما الكبير فى نفسه .

ولا شك أن دراسته فى الأزهر ، ودار العلوم ، ثم حياته ، وعمله ، وبيئته ؛ قد مكنت للثقافـة العربية الأصيلـة فى نفسه ! ومن أجل ذلك ؛ جاءت عبـاراته عالية المنزلـة فى البلاغة . ويعدّ من أنقى معاصريه لهجـة ، وأعذبهم بيانًا ؛ وهو ـ من هذه الناحية ـ شاعر بليغ ، يتخطى بأسلوبه القرون ؛ ليصل بعبارته إلى منازل المحدثين فى الجلالة ، والرصانة ، والطبع ، وقوة النسج » !

د . محمد عبد المنعم خفاجى

«ومحمـود غنيم . . من ذلك الـرعيل الـذى أشرب حب الشعـر العـربى الجزل الأصيـل ؛ بديبـاجته الـرائعة ، وصورة الـدافئة ، ومعـانيه المتـألقة ، وأخيلته المجنحة .

وهو ـ إلى ذلك ــ شاعر مصرى أصيل ؛ عـذب البيان ، سلس العبارة ، مـوسيقىّ اللفظ ، عميق النظـرة ، صـافـى التأمل ، هـادىء النفس ، مـولع بالريف المصرى ؛ ومتفانٍ فى حب أهله . . .

ولقد أحسن تصوير الريف المصرى فى كثير من قصائده الرائعة ! » .

د. مختار الوكيل

« كان الأستاذ : محمود غنيم رضى النفس ، كريم الخلق ، أنيس الطبع ! وكثيرًا ما كـان يتبسط معى فى القول ، ويشملنى ـ وشعـر زملائى ـ بدعـاباته

الرقيقة ؛ معلنـا عدم رضائه عن نهجى ونهج زملائى فى القـول، فأتقبل هذه المعاتبة هادىء النفس !» .

صلاح عبد الصبور

«اشتهر محمود غنيم بقومياته ودينيـاته المجلجلة ، واشتهر ـ بعد ذلك ـ بأنه كان من ظرفـاء عصره ؛ وله فى الإخوانيات ، والمداعبـات الإخوانية باع طويل ، لا أحسب أن أحدًا من معاصريه قد بلغ شأنه » .

صالح جودت

«لقـد كان غنيم ظـاهرة متفـردة فى أدبنـا الحديث ؛ كـان متـين البنــاء الشعرى ، إلى جـانب براعـة الصور ، ونضارة التعبيـر ، وعذوبـة الألفاظ ، وعصريّة الموضوعات .

وكان يحن إلى الفردوس المفقود ؛ والفردوس المفقـود ـ فى نظره ـ هو : الدولـة الإسلاميـة . . . كان يريـد أن يعيد مجد هـذه الدولـة ، وكانت تلك رسالته ؛ لم يكن يقول هذا تقريرًا ، ولا فراقًا ، ولا بكاء ؛ بل كان يقوله شعرًا ناضرًا ، مصورًا ، ملونًا، عذبًا ، سهلاً على ألسنة الرواة !» .

د . نجيب الكيلانى

«تناول الشاعر ـ فى شعره ــ جميع الأغراض ، وطرق كل الموضوعات : ما يتصل منها بالتعبير عن ذاته ، وما يتعلق بالجوانب الاجتماعية ، والدينية ، والقومية ، والوقوف عند مظاهر الـوجود، ومناجاة الطبيعة واستلهامها !وعبر عن آلامه وأحـلامه ؛ كمـا عبر عن آلام أمتـه وآمالهـا ، فى شعر عـذب يغزو القلوب ، ويستحوذ على النفوس !!» .

د. كامل السوافيرى

«إذا كان لشوقى ميزة الأسبقية إلى الحديث عن النيل ، فلمحمود غنيم ميزة التفوق على شوقى نفسه ؛ فى طلاوة البيان ، وروعة الموسيقا » .

الغزالى حرب

«هذا هو شعر غنيم ، الذى سيذكره القراء والدارسون : اليوم ، وغدًا ، وبعد غد ؛ وسيذكرونه فى كل مقام ، وفى كل مجال . سيذكرونه إذا طلعت الشمس ؛ فيهتفون بأشعاره فى تحيتها ، وسيذكرونه إذا بزغ القمر ؛ فينشدون بعض ما قاله غنيم فيه ، وسيذكرونه كلما أقبل الصيف ؛ وكلما أقبل الربيع وازدهر ، وسيذكرونه طالما بقى للسان العربى وجود على هذا الكوكب الذى نعيش عليه !!» .

العوضى الوكيل

أسلحتـــهُ أرســانهنّ القـــوافي والقــوافي كم شــاعــرٍ تعصــاهُ !

ســاقهــا فى مجالــهِ طيّعــاتٍ راقصــاتٍ علـى صــدى نجــواهُ

واحتــوى فى خيــالـه أدب العُـرْ بَ تــراثًــا ، مقـدّسـا مــا احتــواهُ

ووعى أرفـعَ البيـــانِ من القـــرْ آنِ ، يضفى جــلالــه مــا وعـــاهُ

ثم أجْـرَى يــراعــه فــى اقتـدار بــالــذى قـدْ جـرى بــه أصْغَـرَاهُ

دقّـة الصـائغ الصنــاع إذا مــا صاغ مـن جوهـر الكـلام جُلاهُ !

حسن كامل الصيرفى

إن جدّ فى القـول فالآيـاتُ محكمةٌ كأنهـــا فيضُ نبع غيــر محــدودِ

أوْ صاغَ فى الشعر عقـدًا من فرائِدِهِ ألقى البيـــانُ إليْـهِ بــالمقـاليــدِ

فى سلْسلٍ من بديع اللحنِ ، يألفُهُ سمعُ الفتى ؛ بين منغـوم ، ومنضـودِ

فى لفظــه ، ومعـــانيــه ، ورقّتِــهِ مـا يفتنُ اللبَّ من حسن وتجـديـدِ !

وإن يفُـهْ بـدعـابـاتٍ جَـرَتْ طـرفًـا فى أَنفُسِ القوم جَـرْيَ الماء فى العودِ

كأنهـــا نفحـاتُ الطيب عــاطــرةً أو أنهــا بسمـــاتُ الخــرَّد الغيـــدِ

فى عفـــةٍ ونقـــاءٍ لا يخــالِطُـــهُ زيفٌ ، وليس عن الفصحى بمردودِ !

محمد مصطفى الماحى

يا أخـا الشعرِ ، يجمعُ الـرنَم العذْ بَ ، وجُمُّـــاعُ أمـــرهِ نغَمَــاتُ

كلُّ سمْطٍ منـــه كسمط الـــلآلى قـــد جلَتْـــه الشطـــورُ والأبيـــات

أنت فيـهِ المبّـرزُ الفحلُ ؛ يـروى عنك آيـــاتِكَ الحســـانَ الـــرواةُ

زعمـــوهُ يسيـــرُ من غيـــرِ لحنِ ولنظم الكـــلام منــــهُ انفــلاتُ

كيف يجرى بغيْرِ لحنٍ على الـــ(م) ـدَّهر ، ومنه الغنـاءُ والنبَراتُ ؟!
إنهـا دعـوةُ التسيُّب شـاعَتْ وسقـاهـا من العـداءِ العـدَاةُ !!

العوضى الوكيل

أسْمَعْتَنِى من رصينِ الشعـر قـافيـةً ما شَـانَهـا خللٌ ، أو ضـرَّ إقـواءُ
ولم تَـزلْ صامـدًا ، والحـربُ طاحنـةٌ كأنمـا نظـراءُ القـولِ أعـداءُ
وذائدًا عن حمى الفصحى ؛ تُشِيدُ بِهَا وللعـزيمـةِ يـوم الـذَّودِ إمضَـاءُ
مستلهمًـا لغـةَ القـرآنِ خـالـدةً فروضـةُ الشعرِ ـ بعـد الوحيِ ـ غَنَّاءُ

***

قـالوا : هجـوتَ ! وكم أسمعتنى طُرَفًا من الدُّعابِ ، ومـا للسهم إصمَاءُ !
فمـا تكنُّ سـوى الأخـلاقِ فـاضلـةً وللـرجـولـةِ تكـريمٌ ، وإعـلاَءُ
وحـافظًـا لكرامـاتِ الـرجـالِ .. إذَا أسرَرْتَ هجْوا ، علَتْ للمدْحِ أصْدَاءُ
ومـا هجـوتَهُمُ غـلاًّ ، ولا حَسَـدًا بلْ أنت للظلمِ فى دُنْيَـاك هجَّـاءُ !

عامر محمد بحيرى

***

إنَّ «محمـودَنـا غنيمُ» المعـانى كـانَ للشعـر مـا عَـلا مـوضـوعًـا
فـاذكـرُوهُ معلِّمًـا نشَّأ الجيــ ـلَ وأزكى بـالطيِّبـات الفُـرُوعـا
واذكـرُوه مفكـرًا عـاش حـرًّا قـاوم الضيْم ؛ مـا استلانَ الخُنُـوعـا
واذكـروه لـدَى العـروبـةِ سـدًّا عـاشَ فيهـا ـ كمـا تَشَـاءُ ـ مَنِيعـا
الأعـاصيـرُ صَدّهـا عَنْ حمِـاهـا ورَمَى طيْشَهـا ، ووفّى الـدفُـوعـا

والأســاطيــرُ ملَّهـــا فى بيـــانٍ رصَّع الخلْـــدُ وشْيَــهُ تــرصيعــا
والنــــواطيــرُ ردَّهـــا فى هــدوءٍ ولقــد عــزَّ شــاعــرًا مطبــوعــا !
كان حُلوَ المـزاح ؛ روحًا ، وطبعًا كان عفَّ اللسان ؛ يـرضى السميعا
رحمَ اللهُ فى الفَــراديسِ « محمــو دًا » ، وأبقى بيــانــه المسمــوعــا !

قاسم مظهر محمود

***

أنت بــالشعــر تَـرْجُمــانٌ لواديــ ـــكَ ، رســول محــذِّر ، مُتَفــائِلْ
كم نظمت القصيــد « صـرْخَـةَواد» ودواوينَ عبقـــرىٍّ منـــاضِلْ !
ولطيفُ المــزاح ينســاب من رُو حِكَ سِحْـرًا ، وإن يَكنْ غيرَ هـازِلْ
والقصيــد الــذى أشَعْتَ وعَطَّــرْ تَ ، كأن النسيم بـالشعــر جـائِلْ !

مصطفى بهجت بدوى

الشعـــــرُ بعـــــد « غنيمٍ » بــاكٍ ، حــزيـن المشــاعــرْ !!
عَلَـى أخينـــــا « غنيمٍ » كنــا عقــدنــا الخنــاصــرْ
فمــــا تعـــداه نــــدٌّ ولا شـــآه مُنــاظــرْ
يغـــوص دون المعـــانى فــى كلِّ بحــر زاخــرْ !
فــى خفـــة وبيـــانٍ كأنــه سحــرُ ســاحــرْ
وفــى بـــديهـــة ذهنٍ مُهيَّأ الــذهن حــاضــرْ
وفــى مـــرارة لـــذع حلــو الــدعــابــة سَاخِــرْ
وفــى طــرافــة مــزحٍ ضــاحى الجــوانب سَـافِــرْ
وفــى بــــراءة قلــب مثل الطفــولــة طــاهــرْ

محمد عبد الغنى حسن

غنَّتْ بأشعـــاره الـــدنيـــا بأجمعهـــا

وعطَّـــرَ السَّهْلَ بـــالألحـــان والبيـــدا

كنـــا نفـــرُّ إليـــه من متـــاعبنـــا

فنلتقـى ببســـاط الأنـس ممـــدودًا !!

ينسى الحـــزين لَـــدَيْـــهِ مـــا يفـــزِّعـــه

ولا يعـــود بـــه المكـــدود مكـــدودًا !!

إذا هجـــا ، كـــان أحـــلانـــا معـــابَـتَـــةً

وإن روى ، كـــان أعـــلانـــا أســـانيـــدا

تكـــاد أشعـــاره ـ مـــن طـــول مـــا فعـــلت

بلـــبِّ ســـامعـــها ـ تحـــكى العنـــاقيـــدا

ولا يكـــــاد يجلّـى فـى فكـــاهتـــــه

حتـى يميـلَ إليـــــه الأذن والجيـــــدا

يـــــود مهجـــــوُّه من حلـــــو نكتتـــــه

لـــــوزادَهُ بـــالهجـــاء المـــرِّ تخليـــدًا

محمد عبد الغنى حسن

ســـلام على نيـلِ اللغـــا ، وفـــراتهـــا

ونشـمِ الخُـــزَامَـى فى خِضَـمِّ الـــزوابـعِ

وبسمَـــةِ إنســـانٍ ، وسمحـــة شـــاعـــرٍ

إذا انحـــدر السيـلُ ارتقى فـى المطـــالِـعِ

وفيٌّ ؛ كأنّي «بالسمْوءَل» ماثِلٌ

بمأساته في الذود دون الودائِعِ

ونذْب « كزيد الخيْل » من كل لائذٍ

« وعنترة » في النجع من كل طامع

و «عروةٍ بن الورد » من كلّ عاجزٍ

ومن كلّ مسكينٍ ، ومن كلِّ جائع

« وسَحْبانَ » في التّبْيَان من كل قدرةٍ

إذا جالت الأفذاذُ بَيْنَ المجَامِعِ

كامل أمين

من شِعْرك العذْبِ تلك الكأسُ مترعة

فيها لكل جراح القلْبِ ملْتَأَمُ

نشَّأْتَ جيلاً لفُصْحَانا يُدعِّمُهَا

فأين بعدك ـ يا محمودنا ـ الدعَمُ ؟!

قد عشت صَرْحًا لفصحانا وعزَّتِهَا

والهادمون لفصحانا بكَ انهدموا

أقسَمْتُ ، شعُركَ أنغامٌ على وترٍ

من الخلود ، وحقُّ ذلك القسَمُ !

محمود جبر

ذهبَ الـــردى بـــالشـــاعـــرِ العمـــلاق

ومضـيِ بخيـــــر أحبَّتى ورفـــــاقـى !!

وقســا الحِمَـــام على القـــريض ؛ فـــدكَّـــهُ

فـى غيــــر مـــــا رفـقٍ ، ولا إشفـــاق !!

وعـــدا على الفصحى ، فقـــوَّض صـــرْحَـهـــا

واغتـــال سيـــدَّهـــا على الإطـــلاق

فغـــدت تنـــوحُ على عميـــد حُمَـــاتهـــا

وتمـــــدّ كـفَّ العَـــــوْزِ والإمْـــــلاقِ

د. عزت شندى موسى

مـــــا جفَّ نبعُـكَ ، أو تـــــوانى سيْبـــــهُ

عَبقُ الـــــزهـــور ـــــ إذا ذبلْـنَ ـــــ بقَـــاءُ

يـــا شـــاعـــرَ الفصْحَى ، ومنكَ لـــواؤُهـــا

بكـتِ القصـــائدُ إذْ بكـــاكَ لِـــــوَاءُ

محمـهـودُ ، قـــد كنتَ النجـــومَ تألُّقَـــا

بلســـانِ يعـــرُبَ ، والكـــلامُ عطـــاءُ

فُقـتَ الأوائلَ فى المحـــافل ؛ منشـــدا

غُـــرَرَ القصيـــدِ ، وكـــانَ منـكَ ضيَـــاءُ

صنتَ الـــذى نهجَ القُـــدَامى قبلَنَـــا

واختـــرتَ نهجًـــا قـــدسَتْـــهُ سمَـــاءُ

رشدى محمد إبراهيم

قـــد كـــان أستـــاذَ البـــلاغـــة ؛ طـــالمـــا

قـــد هـــزَّنـــا ببيَـــانِـــهِ وبَـــديعِ

ميـــزانـــه : عـــدل ، بـــرقـــة شـــاعـــر

يـــزنُ الكـــلامَ بقُـــدرة التصـــريعِ

ويجـــول فى روض القـــريـض بشَـــدْوهِ

كـــالعَنـــدليـب يَجُـــولُ بيْـنَ ربُـــوعِ

ويُنَمِّـق الأفكـــار ، دراً صـــافيـــا

فيُـــذيعُهـــا التـــاريـخُ خيـــر مـــذِيعِ

روحيـــة القليـــنى

فهـــارس
المجـلـد الأول

أولاً

فهـرس القصـائـد

فهرس الديوان الأول

« صرخة فى وادٍ »

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
راقصة	١٥٠	**تحـــيات**	
عصفورة تتحدى النسور	١٥٢	مبايعة الفاروق	٢٠٣
شاعرة	١٥٥	ميلاد الفاروق	٢٠٧
عرش الجمال	١٥٧	زفاف الفاروق	٢١١
عرش الجمال أيضًا	١٥٨	تحية فريال	٢١٥
غادة « البسفور »	١٦٠	تحية العراق	٢١٦
شكر عارفة	١٦٢	تحية الرسالة	٢١٨
أدب الجمال	١٦٣	تهنئة بوسام	٢٢٠
رياء	١٦٥	تحية وقضية	٢٢٢
القبلة	١٦٦	أدب الوزراء	٢٢٦
عبـــرات		تحية السودان	٢٣٠
ذكرى فريد	١٦٩	حمل القلادة	٢٣٠
مدفع فوق مدفع	١٧٤	**زفـــرات**	
(١) هرم يهوى	١٧٧	كأس تفيض !	٢٣٣
(٢) هرم يهوى	١٧٩	تحية مولود	٢٣٦
فقيد الفصحى	١٨٣	بين الشعر والمال	٢٣٨
الربيع الحائل	١٨٧	وحى العيد	٢٣٩
ذكرى فنان	١٨٩	لا تخدعونى بالمنى !	٢٤٠
رثاء طيارين	١٩١	راتبى	٢٤١
سبق القضاء	١٩٣	من للموظف؟	٢٤٢
الشهيد الأول	١٩٥	العلاوة	٢٤٣
رثاء طفل	١٩٧	«الكادر»	٢٤٤
تعزية صديق	١٩٩	الأمل الطائح !	٢٤٥
مأتم فى عرس	١٩٩	الأسد السجين	٢٤٦
		أين الصديق؟	٢٤٧

فهرس الديوان الثانى

« فى ظلال الثورة »

فهرس الديوان الثالث

« رجع الصدى »

ثانيـــا

فهـرس القــوافــى

(أ) القوافى المرتبة ترتيبًا هجائيًا *

قافية الهمزة

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
رثاء طيارين	يا مصر قد عزِّ العزاءُ	البقاءُ	مجزوء الكامل	١٩١
عدل السماء	تجلّى على الأرض عدلُ السماءْ	ضياءْ	المتقارب	٦٢٥
الإنسان الآلى	ماذا أشاهدُ لا طينًا ولا ماءَ	حوّاءَ	البسيط	١٣٢
بيوت الشعراء	كسوتُ الناس خزًّا من ثنائى	كسائى	الوافر	١٥٤
العلم والتاج	فاروق يا رب اليد البيضاءِ	بناءِ	الكامل	٢٧٣
الملاح التـائه	بعثْتَ بملاحك التائهِ	إهدائهِ	المتقارب	٢٨٦
المطر	بدت الأرض مرَّةً كالسماءِ	ماءِ	الخفيف	٢٨٣
بطش الضعيف	كأسٌ تدور على ثغور ظماءِ	البيضاءِ	الكامل	٢٨٩
شيخ القضاة	نِضْوُ السُّهاد أطال من إغفائِهِ	بُرَحائِهِ	الكامل	٥٠٢
ليالى القاهرة	يا لَلّيالى الوضاءِ	الرواءِ	المجتث	٥٤٦
يا ملاذ الموظفين	حرسَ المالَ سيد الأمناءِ	السماءِ	الخفيف	٥٦٠
فاجعة الثغر	الثغر أين مضى رواؤه	شتاؤه	مجزوء الكامل	٤٨
مشاعر الآباء	هم جميعًا في الحب عندى سواءُ	استثناءُ	الخفيف	٧٣٩
ثراءٌ وشقاء	ما مع الصبر لعمرى فاقةٌ	ثراءُ	الرمل	٧٥٧
نذير الموت	ذوائب من بعد الظلام تضىءُ	يجىءُ	الطويل	٧٥٨

* قام بعملها : محمد فتحى نصّار ، وحسّان محمد الشناوى .

قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

قافية الزاى

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
بخل غريزى	عزيز ليس بالرجل العزيزِ	غريزى	الوافر	٥٨١

قافية السين

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
طموح	خليليَّ هل للمجد حدٌّ فأنتهى	أُرسِ	الطويل	٢٧٣
تحية طرابلس	قالوا الجمال هنا والمجد فاقتبسِ	طرابلسِ	البسيط	٣٦٣

قافية العين

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
هجاء واستغفار	أأمنح إبراهيم أشهى قصائدى	يُدعىٰ	الطويل	٢٦٤
فيلسوف الشرق	جزع الشرق وأجرى أدمعَهْ	روعَهْ	الرمل	٨٠٧
لاح الهلال	لاح الهلال لنا بومض شعاعِ	قناعِ	الكامل	٣٨
الكبش شق العصا	الكبش شق العصا يوما على الراعى	أتباعى	البسيط	٢٨٧
حول الامتيازات	قد أرهف التاريخ من أسماعِهِ	يراعِه	الكامل	٤٤٢
صوت الشباب	نشء الكنانة أنت نعم الداعى	واعِ	الكامل	٤٤٥
الملك الرضيع	لنا ملك سامى المقام رفيعُ	رضيعُ	الطويل	٣٤١
من وحى المؤتمر	من هؤلاء بدار الندوة اجتمعوا	يستمعُ	البسيط	٧٨٦

قافية الفاء

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
الرد نجوت	وأقسم لو أن الرد نجوت نلته	سلفا	الطويل	٢٦٥
أى الخفيفين ؟	صاح قد جعت فهىء	رغيفا	مجزوء الرمل	٥٨٧
بين وزير وشاعر	أنا إن شكرت لمصطفى	الوفا	مجزوء الكامل	٨٣٧

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
تحية العراق	حييت فى شخص الجمالى	الجمالِ	مجزوء الكامل	٢١٦
بين الشعر والمال	حسبت أهلك فى عز وإقبالِ	إقلالِ	البسيط	٢٣٨
لا تخدعونى بالمنى	أَقَتِلْكَ عاقبتى وذاك مآلى ؟	آمالى	الكامل	٢٤٠
العلاوة	قد حلَّ مايو فاسمحى بوصالى	خيالى	الكامل	٢٤٣
مداعبة صديق	هون عليك وجفف دمعك الغالى	المالِ	البسيط	٢٥٣
قيس ولبنى	جلوت للضاد فى زاهٍ من الحُللِ	الأولِ	البسيط	٢٧٥
بطل الجلاء	أمل تحقق بعد طول مطالِهِ	استقلالِه	الكامل	٣٢٢
جمال طرابلس	هذى طرابلسٌ أم هذه نبلى ؟	جذلِ	البسيط	٣٦٦
شبل بشبل	قال قوم فأرجفوا فى المقالِ	الأنجالِ	الخفيف	٥٥٧
مكتبة كاملة	مكتبة كاملَة	كاملِ	مجزوء الرجز	٥٦٦
عدس الوزير	عدس الوزير ألذ عند المأكلِ	متبلِ	الكامل	٥٧٦
ليس أهلا للجميل	عطفت وأنت ذو الحسب النبيلِ	الوكيلِ	الوافر	٥٨٥
تحية الكويت	قم حى فاتنة الجمالِ	الحلالِ	مجزوء الكامل	٧٠١
أشيّع أصحابى	أشيع من حانت منيته قبلى	الأهلِ	الطويل	٧٥٠
ناصر الفصحى	جاءتك مطرقة من شدة الخجلِ	مهلِ	البسيط	٨٢٢
يا بائع الليمون	يا بائع الليمون . . .	القليلِ	مجزوء الكامل	٨٨٢
بيت واحد	أنا إن أردت تخلصا	ثقيلِ	مجزوء الكامل	٨٨٣
حرروا النثر أيضا	حرروا الشعر من عروض الخليلِ	فعولِ	الخفيف	٨٩١
ظل الحكم	حكم تقلص عنه ظلك . . .	ظلّه	مجزوء الكامل	٥٦٩
تحية وقضية	باب النبى وبابه لا يقفلُ	فيصلُ	الكامل	٦٨٩
رويدك يا جمال	نهضت بما تنوء به الجبالُ	جمالُ	الوافر	٨٠١

قافية الميم

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
جنازة السلام	أرأيت إذ ولد السلامْ	الفطامْ	مجزوء الكامل	٦٧
صدى الجلاء	سرى فى الكنانة مسرى النغمْ	الهرمْ	المتقارب	٣١٧
ذكرى شوقى	طواه الردى فتحدّى العدمْ	فمْ	المتقارب	٥٣١
ديك غير وديك	يا صاح مالك والكرمْ	قدمْ	مجزوء الكامل	٥٧٥
حمائم الحرم	حيِّ حمائم الحرمْ	اعتصمْ	مجزوء الرجز	٧٥١
تجار العقائد	خطر تغلغل فى الحمى	مرْيما	مجزوء الكامل	٩٣
الحياة	حرة لا تزور إلا لماما	الغلاما	الخفيف	١١٨
أدب الوزراء	هتفوا بهيكل الوزير وإنما	انتمَى	الكامل	٢٢٦
صاحب آوتيه	صاحبٌ آوتيه خمسين عامًا	المقاما	الرمل	٤٦٣
خيال فى يقظة	ثغر الحبيب من الإطار تبَسَّما	سلما	الكامل	٤٧٨
قالوا نكرمُه	قالوا : نكرمه فقلت علاما ؟	الإكراما	الكامل	٥٨٣
مثل التلال	مثل التلال تراهموا أو أضخما	الدُّمى	الكامل	٦٠٢
حَتام تنحسُنى	يا ابن الخفيف خففت عقلا لادما	معدما	الكامل	٦١٤
حفظ الله صالحا	حفظ الله صالحا وأدامَهْ	الشهامَةْ	الخفيف	٨٢٠
فيم احتفالكم	فيم احتفالكمو به وعلاما ؟	شتاما	الكامل	٨٨٠
عصبة الأمم	ويحى على محكمة السلامِ	السلامِ	الرجز	٦٥
قومى بين الشرق والغرب	قومى لأنتم عبرة الأقوامِ	سامِ	الكامل	٩٥
هرم يهوى	فى بهو فرعون بل فى ساحة الحرمِ	الهرمِ	البسيط	١٧٧
أم على	قل لنجيب يا أمير الندى	تمَّهْ	السريع	٢٦٠
الكبش والذئب	الكبش قام خطيبا فوق أيكته	الغنمِ	البسيط	٢٨٦

قافية النون

قافية الهاء

قافية الياء

(ب) فهرس الأراجير

(جـ) القوافى المنوّعات *

(*) رتبت القوافى ـ هنا ـ بحسب أسبقية ورودها فى المجلد كله .

عنوان القصيدة	مطلعها	بحرها	رقم الصفحة
نشيد حيوا العلم	ارفعوا الصوت وحيوا العلما	الرمل	٤٢٥
نشيد شباب الجامعة	هلموا يا شباب الجامعاتِ	الوافر	٤٥٣
نشيد الدعاية الصحية	يا شباب العلم فى الوادى الأمين	الرمل	٤٥٥
نشيد الطيران	اسلمى للشرق يا أم النسور	الرمل	٤٥٦
نشيد المعهد العالى للتربية الرياضية	إلى الأمام سر إلى الأمامِ	الرجز	٨٦٣
أغنية عيد العلم	يا شباب النيل ، حيوا موكبا	الرمل	٦٠٤
نشيد عيد العلم	فى مهرجان العلم يا مصر اطربى	الرجز[1]	٦٠٦
فلسفة الحياة	زفّت الدنيا إليه كاعبا	الرمل	٧٣٢
نشيد الوطن السليب	أثيروها فنحن لها جنودُ	الوافر	٧٩٠
نشيد مدينة الأقصر	يا بلدة الأقْصُرْ	مجزوء الكامل[2]	٧٩٨
بط الماحى[3]	قد سمعنا عن بطِّكُم ما سمعنا	الخفيف	٨٧١
من هو ؟	هجانى صقرٌ ولم أهجُهُ	المتقارب	٨٨٢
النشيد الرياضى	بعزم الشباب نهز الوجود	المتقارب	٨٦٢

---

(١) ويمكن عد هذا النشيد من الموشحات .

(٢) استخدم الشاعر مجزوء الكامل استخدامًا لافتًا ؛ إذ بنى النشيد على «مُتَفَا علن مُتْفَا»، مع جعل التفعيلة الثانية حذاء مضمرة فى الأعاريض والأضرب كلها ، وهى صورة لم ينص عليها أهل العروض ، ولكنها تشهد لغنيم بالتمكن من الموسيقا ، وتطوبعها لشاعريته .

(٣) وضعت «ملحمة بط الماحى» ـ كما سماها بعض الدارسين أو المساجلة الفكاهية كما سماها الشاعر ـ هنا ، إيثارًا لترتيب الشاعر نفسه ؛ إذ لم يضع للقصائد والمقطوعات خاصة التى بينه وبين الماحى عناوين محددة ، إلا فى آخر مقطوعة ؛ وهى : «العود أحمد» .

رجاء واستدراك

لقد بُذِل فى هذا المجلد ما يعلم الله وحده من وقت وجهد ؛ لكى يخرج إلى القارىء الكريم فى صورة مفيدة ممتعة !

ومع هـذا ، لا يسلم عمل البشـر من نقـص ، وإن بلـغ الجـودة فى الإتقـان ؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ له الكمال المطلق !

لذا ؛ نعتذر إلى القـراء والدارسين عما قد يقع فى هـذا العمل من أخطاء غير مقصودة .

ومن هذه الهنات : أن « **كلمة تقدير** » وقعت ـ فى فهرس القـوافـى ـ بعـد « **هوليلاى** » فى قافية النون ، وموقعها الصحيح بعد « **حفظ الله صالحًا** » فى قافية الميم .

وسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم !

شكر وتقدير

نود فى الختام أن نتقدم بعميق الشكر إلى كل من ساعد فى إخراج هذا المجلد من الباحثين والشعراء .

ونتوجه بشكر خاص إلى الكاتب الصحفى والشاعر الكبير الأستاذ/ مصطفى بهجت بدوى ، والدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ـ رئيس رابطة الأدب الحديث ، والأستاذ/ حسان الشناوى ـ المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر على صدق معاونتهم .

كما نخص بالشكر الأستاذ/ حمدان جعفر ـ مدير عام **دار الغد العربى** وأسرة الدار .

دكتور/ **عزيز محمود غنيم**

قام بالإشراف على طبع هذا المجلد
رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

رقم الإيـداع

٩٣ / ٨٩٩٧

I.S.B.N

777-5066-20-4



قد يكون من السهل إخراج ديوان شعرى فى طبعة جديدة، إذا كان ثمة نسخة من الطبعة السابقة .

أما إخراج تراث أديب كبير فى سلسلة أعمال كاملة ؛ فعمل يحتاج تضافر جهود، وتعاون عقول؛ ليَخرج فى ثوب يريح القراء ويسعدهم!

وها هو ذا المجلد الأول من الأعمال الكاملة للشاعر الكبير : محمود غنيم يضم - بين دفتيه - دواوينه الشعرية الثلاثة : «**صرخة فى واد**»، «**فى ظلال الثورة**»، «**رجع الصدى**» . وقصائده تغطى حقبة زمنية من حياتنا الثقافية والسياسية، تربو على نصف قرن من الزمان!!

حقبة حفلت بمتغيرات هائلة فى مسيرة الوطن والأمة؛ إذ حملت أحلام الاستقلال، وحماس الثورة، وانكسارات الهزيمة، وآمال النصر ، وهى منعطفات امتلكت حواس الشاعر ؛ فانطلق يعبر عنها بالبيان الساحر الذى ملك ناصيته، وبالموهبة التى رفدته بتراكيب وصور متفردة، شهد له بها نقّاده قبل محبيه .

ويكشف تراث محمود غنيم الضخم اعتزازه بميراثه الشرقى على أرض العروبة والإسلام؛ فلم ينجرف - برغم إدراكه تخلف أمته عن ركب التقدم - مع تيار التغريب الذى غالى بعض رموز الثقافة - فى هذه المدة العصيبة من حياة الأمة - فى تبعيته، ثم اعتذروا عنه فى أخريات حياتهم!!

كما يتسم جانب من شعر غنيم برؤية نقدية لاذعة يكاد ينفرد بها من بين شعراء جيله؛ حين أشهر سلاح الشعر يغمده فيما اعترى حياتنا من ظواهر سلبية؛ وتلك وظيفة جديدة للشعر تعامل معها باقتدار!

ويؤكد شعر غنيم صعوبة إدراجه ضمن مدرسة شعرية معينة؛ ففيه امتداد لمدرسة البعث، ومسحة من مدرسة الديوان، ولمحة من جماعة أبولو، ونفحة من جماعة أدباء العروبة، ثم هو - بعد ذلك - صاحب أدَاء مستقل، ورؤية خاصة مكنته من أن يتبوأ منزلة مرموقة بين شعراء العربية ، فى العصر الحديث .

الناشر